

مَجْمَعُ الْحَمَانِ
 فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

تأليف العلامة المحقق والشيخ الفقيه الفاضل السيد

الشيخ أبي علي الفضل بن الحسين البصرى

صححه وعلق عليه سيد هاشم الرسولى المحمدى
 بفقير

الشيخ أبو بكر محمد بن الحاج محمد بن الكتابى

الناشر

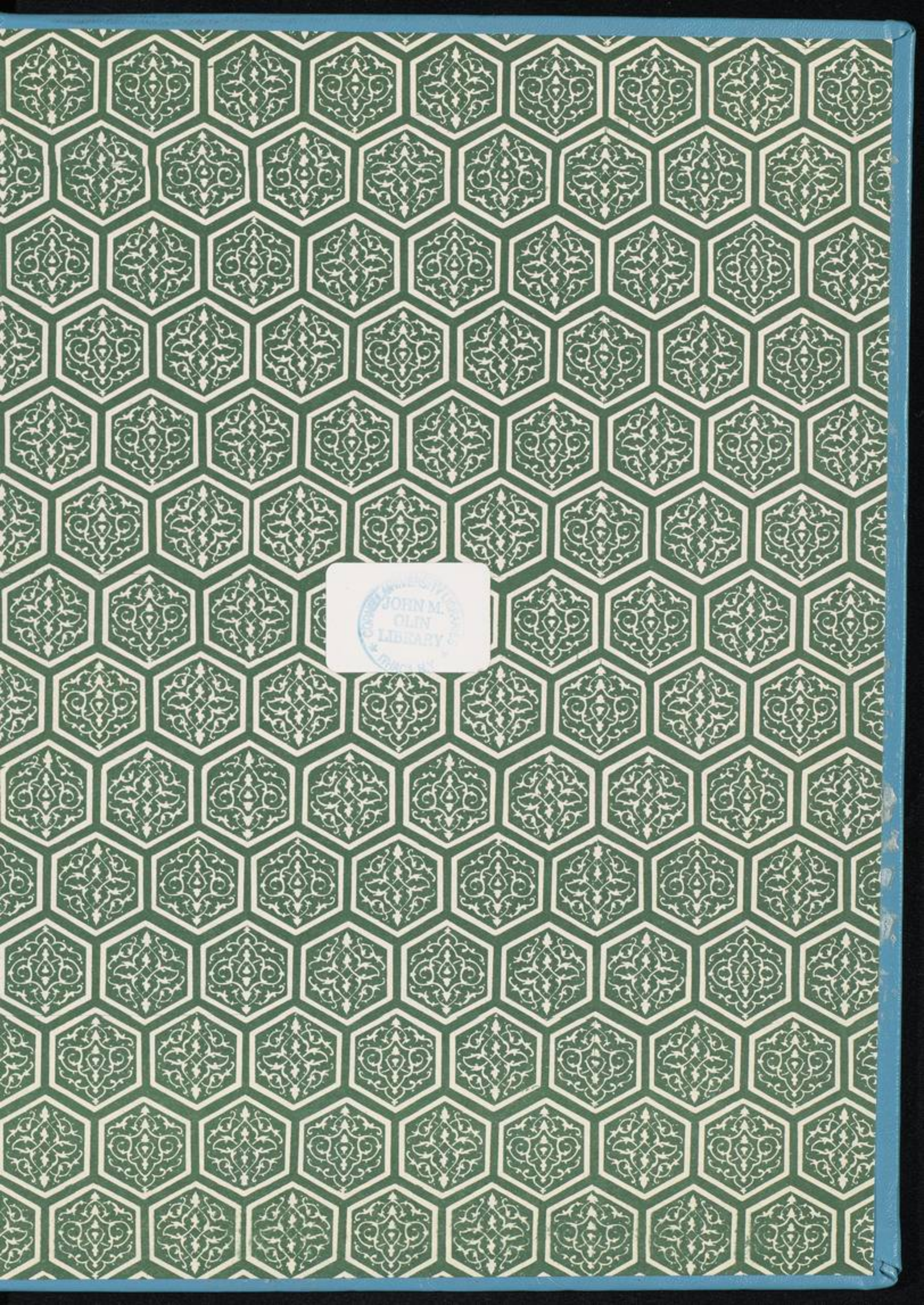
مكتبة العلمىة الإسلامية

طهران - سوق الشيرازى

بازار ۵۶۳۵۵۹

ناصرى ۳۹۴۵۲۹

تلفون



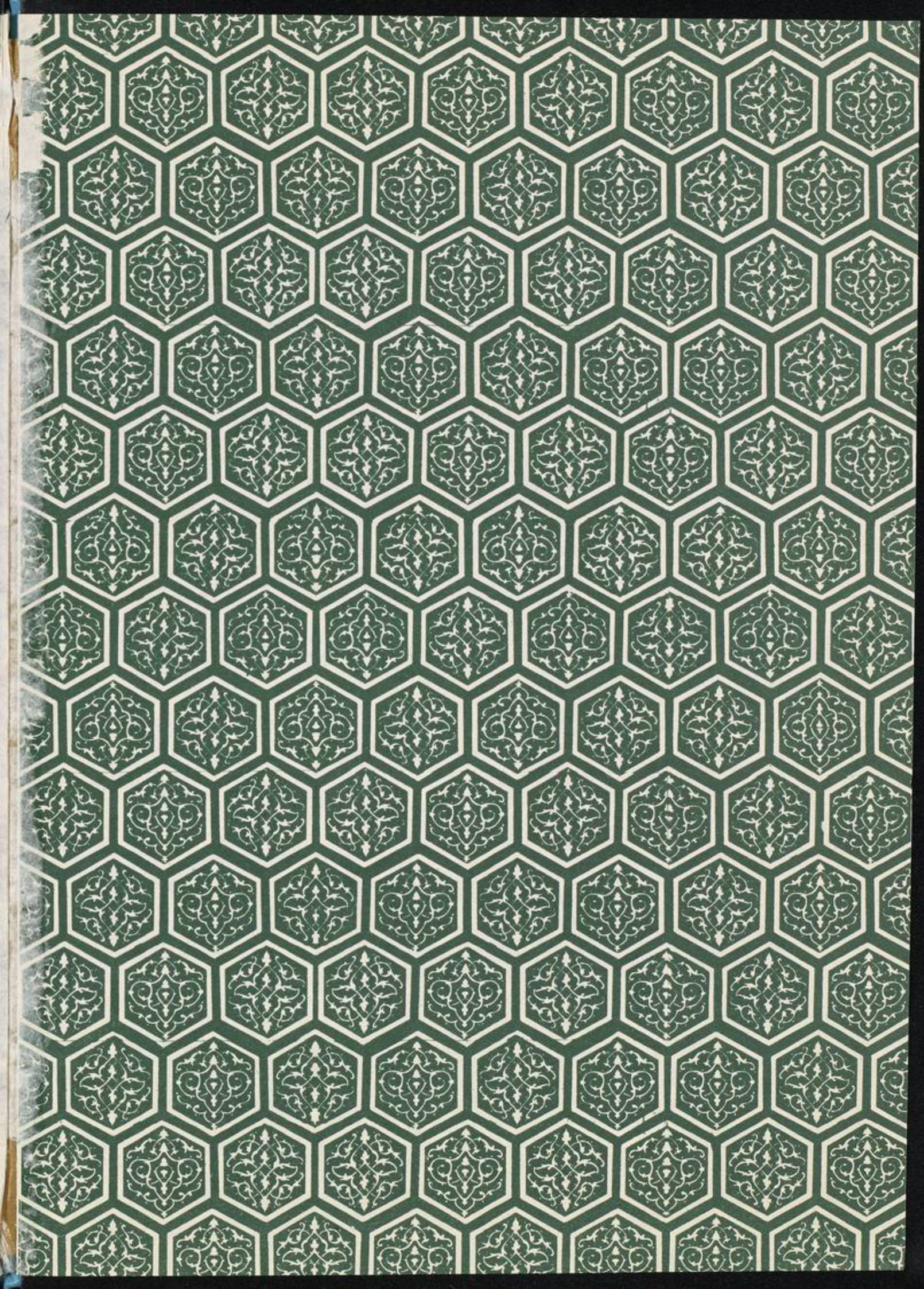
JOHN M. O'LIN
LIBRARY

CORNELL UNIVERSITY LIBRARY



3 1924 059 368 351





مَجْمَعُ الْبَيِّنَاتِ

في
تفسير القرآن

تأليف العلامة المحقق العلامة المفسر الفيراني
الشيخ أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي

المطبعة سنة ٥٤٨

صححه وعلق عليه سيد هاشم الرسولي المحمدي
بنفقته

السيد أبو محمد الحاج السيد محمد بن علي الكاشغري
الناشر

مكتبة علمية اسلامية

طهران - سوق الشاه

بازار ٥٦٢٥٥٩ } تلفون
ناخري ٣٩٤٥٢٩ }

IR-AR-85-930750

بسم الله الرحمن الرحيم

كلهتنا

٧، ٢،

OLIN

+

BP

130

'4

T14

1980

ju2'2

الاصل في نسختنا هذه هي النسخة المطبوعة بـ «صيداء» الا انها لما
 لم تكن خالية عن الاغلاط حاولنا تصحيحها فراجعنا فيه الى عدة من النسخ
 منها : نسخة مخطوطة مصححة عتيقة لغزارة كتب العلامة النسابة الآية العجبة
 السيد شهاب الدين المرعشي النجفي دامت بركاته العالمة .
 منها : نسخة مخطوطة عتيقة اتحفنا بها العالم الجليل الحاج الشيخ حسن
 المصطفى دام ظلّه العالی .
 منها : النسخة المطبوعة بالطبع الحجري بطهران المعروفة بـ (طبع ملاحسن)
 فما كان من تحريف او تصحيف او زيادة اصلحناه في المتن واماماً كان من سقط
 بتعذر فاوردناه بالهامش بين المعقفتين مضافاً الى بيان المشكلات ، وحلّ المعضلات
 فجاءت بحمد الله نسخة صحيحة لم يطبع مثلها ، والكتاب أقوى شاهد و
 برهان .

حقوق الطبع بهذه الصورة المزدانة

بالتعاليق والمقدمة و سائر الخصوصيات

محفوظة للناشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاعِنِّي عَلَى جَمِيعِ الْمُهْمَاتِ
سورة النساء

هي مدينة كهاوقيل انها مدينة إلا قوله إن الله يأمركم ان تؤدوا الأمانات إلى اهلها الآية وقوله ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم في الكلاله إلى آخرها فإن الآيتين نزلتا بمكة ﴿ عدد آياتها ﴾ مائة وسبع وسبعون آية شامي وست كوفي وخمس في الباقيين خلافا آياتان أن تضلوا السبيل كوفي شامي فيعذبهم عذابا ليا شامي

﴿ فضلها ﴾

أبي ابن كعب عن النبي (ص) قال من قرأها فكأنما تصدق على كل مؤمن ورث ميراثا واعطي من الأجر كمن اشترى محررا وبرى من الشرك وكان في مشيئة الله من الذين يتجاوز عنهم وروي عن عمر بن الخطاب انه قال تعلموا سورة البقرة وسورة المائدة وسورة الحج وسورة النور فإن فيهن الفرائض وروي العياشي باسناده عن امير المؤمنين (ع) انه قال من قرأ سورة النساء في كل جمعة أو من من ضغطة القبر إذا ادخل في قبره

﴿ تفسيرها ﴾

لما ختم الله السورة التي ذكر فيها آل عمران بالأمر بالتقوى افتتح ايضا هذه السورة به إلا أن هناك خص به المؤمنين وعمم به هاهنا سائر المكلفين فقال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا

﴿ القراءة ﴾

قرأ اهل الكوفة تساءلون بتخفيف السين والباقون بتشديدها وقرأ حمزة والارحام بالجر والباقون بالنصب وقرئ في الشواذ والارحام بالرفع

﴿ الحجة ﴾

من خفف تساءلون اراد تساءلون فحذف التاء من تتفاعلون لاجتماع حروف متقاربة ومن شدد فقال تسألون فإنه ادغم التاء في السين وحسن ذلك لاجتماعهما في انهما من حروف طرف اللسان واصول الثنايا واجتماعها في الهمس فخفف هنا بالادغام كما خفف هناك بالحذف قال ابو علي من نصب الارحام احتمل انتصابه وجهين ﴿ احدهما ﴾ ان يكون معطوفا على موضع الجار والمجرور (والاخر) ان يكون معطوفا على اتقوا وتقديره واتقوا الله واتقوا الارحام فصلوها ولا تقطعوا واما من جر فإنه عطف على الضمير المجرور بالباء وهذا ضعيف في القياس وقليل في الاستعمال وما كان كذلك فترك الأخذ به أحسن وإنما ضعف في القياس لأن الضمير قد صار عوضا ما كان متصلا بالاسم من التنوين ففتح ان يعطف عليه كما لا يعطف الظاهر على التنوين ويدل ذلك على انه اجري عندهم مجرى التنوين حذفهم اليا من المنادى المضاف اليها كحذفهم التنوين وذلك قولهم يا غلام وهو الأكثر من غيره ووجه الشبه بينهما انه على حرف كما ان التنوين كذلك واجتماعهما في السكون ولأنه لا يوقف على الاسم منفصلا

منه كما ان التنوين كذلك والمضمر اذهب في مشابهة التنوين من المظهر لأنه قد يفصل بين المضاف والمضاف اليه
إذا كان ظاهرا بالظروف وبغيرها نحو قول الشاعر

كَأَنَّ أَصْوَاتَ مَنْ إِيْطَالِهِنَّ بِنَا
أَوْ آخِرِ الْمَيْسِ أَصْوَاتُ الْفَرَارِيجِ^(١)

وقول الآخر (من قرع القسي الكنائن) وليس المضمر في هذا كالظاهر فلما كان كذلك لم يستجيزوا
عطف الظاهر عليه لأن المعطوف ينبغي أن يكون مشاكلة للمعطوف عليه وقد جاء ذلك في ضرورة الشعر انشد سيبويه

فَالْيَوْمَ قَرَبْتَ تَهَجُّونَا وَتَشْتِمُنَا
فَأَذْهَبَ فَمَا بِكَ وَالْأَيَّامُ مِنْ عَجَبٍ

فعطفت الايام على موضع الكاف وقال آخر
نُعَلِّقُ فِيهِ مِثْلَ السَّوَارِي سُبُوفَنَا
وَمَا بَيْنَهَا وَالْكَعْبِ غَوْطٌ تَفَانِفٌ^(٢)

فعطفت الكعب على الها. والالف في بينها ومثل ذلك لا يجوز في القرآن والكلام الفصيح قال المازني وذلك
لأن الثاني في العطف شريك للأول فان كان الأول يصلح ان يكون شريكا للثاني وإلا لم يصلح ان يكون
الثاني شريكا فكما لا تقول مررت بزيتك وكذلك لا تقول مررت بك وزيتك واما القراءة الشاذة في رفع الارحام فالوجه
في رفعه على الابتداء اي والارحام ما يجب ان تتقوه وحذف الخبر للعلم به

✽ اللغة ✽

البث النشر يقال بث الله الخلق ومنه قوله كالفراش المبثوث وبعضهم يقول ابث بمعناه يقال بثتكَ سرِّي
وابثتكَ سرِّي لقتان واصل الرقيب من الترقب وهو الانتظار ومنه الرقيب لأن كل واحد منهما ينتظر موت
صاحبه يقال رقب رقباً ورقبة ورقباً فعلى هذا يكون الرقيب فعلاً بمعنى الفاعل وهو الحافظ الذي لا ينيب عنه شيء

✽ المعنى ✽

ابتداء الله سبحانه هذه السورة بالموعظة والأمر بالتقوى فقال (يا أيها الناس) وهو خطاب للمكلفين من جميع
البشر وقيل النداء إنما كان في سائر كتب الله السالفة بيا أيها المساكين وأما في القرآن فما نزل بمكة فالنداء بيا أيها
الناس وما نزل بالمدينة فمرة بيا أيها الذين آمنوا ومرة بيا أيها الناس (اتقوا ربكم) معناه اتقوا معصية ربكم
او مخالفة ربكم بترك ما أمر به وارتكاب ما نهى عنه وقيل معناه اتقوا حقه ان تضيءوه وقيل اتقوا عاقبه فكأنه
قال يحق عليكم ان تتقوا عقاب من انعم عليكم بأعظم النعم وهي ان خلقكم من نفس واحدة واوجدكم
ومن عظمت عنده النعمى فهو بالتقوى اولى وقيل ان المراد به بيان كمال قدرته فكأنه قال الذي قدر على ان
خلقكم من نفس واحدة فهو على عقابكم أقدر فيحق عليكم ان تتركوا مخالفته وتتقوا عقوبته وقوله (الذي
خلقكم من نفس واحدة) المراد بالنفس هنا آدم عند جميع المفسرين وإنما لم يقل نفس واحد بالتذكير وإن كان المراد
آدم لأن لفظ النفس مؤنث بالصيغة فهو كقول الشاعر

أَبُوكَ خَلِيفَةٌ وَلِدَّتُهُ آخِرٌ
وَأَنْتَ خَلِيفَةٌ . ذَاكَ الْكَمَالُ

فأنث على اللفظ ولو قال من نفس واحد لجاز (وخلق منها زوجها) يعني حواء عليها السلام ذهب أكثر المفسرين
إلى انها خلقت من ضلع من اضلاع آدم (ع) ورووا عن النبي (ص) انه قال خلقت المرأة من ضلع آدم (ع)
ان اقتسما كسرتها وان تركتها وفيها عوج استتمت بها وروي عن ابي جعفر الباقر (ع) ان الله تعالى خلق حواء من
فضل الطينة التي خلق منها آدم وفي تفسير علي بن ابراهيم من اسفل اضلاعه (وبث منها رجلا كثيرا) اي نشر
وفرقت من هاتين النفسين على وجه التناسل رجلا (ونساء) وانما من علينا تعالى بأن خلقنا من نفس واحدة لأنه اقرب
إلى ان يعطف بعضنا على بعض ويرحم بعضنا بعضا لرجوعنا جميعا إلى اصل واحد ولأن ذلك ابلغ في القدرة وادل

(١) اليبس : شجرتيغذ منه الرحال . اوغل في السير : اسرع . الفرواويج جمع الفروج : فرخ الدجاجة ، والشاهد في فصل
الجاردين المضاف وهو «اصوات» والمضاف اليه وهو «اوآخر الميس» . (٢) قائله : مسكين الدارمي . السواري جمع

على العلم والحكمة وقوله (وآتوا الله الذي تساءلون به) قيل في معناه قولان أحدهما انه من قولهم اسالك بالله ان تفعل كذا وانشدك بالله وبالرحم ونشدتك الله والرحم وكذا كانت العرب تقول عن الحسن وابراهيم وعلى هذا يكون قوله (والارحام) عطفاً على موضع قوله به والمعنى انكم كما تعظمون الله بأقوالكم فعضموا بطاعتكم اياه والآخر ان معنى تساءلون به تطلبون حقوقكم وحوالجتكم فيما بينكم به والارحام معناه وآتوا الارحام ان تقطعوا عن ابن عباس وقتادة ومجاهد والضحاك والربيع وهو المروي عن ابي جعفر (ع) فعلى هذا يكون منصوباً عطفاً على اسم الله تعالى وهذا يدل على وجوب صلة الرحم ويؤيده ما رواه عن النبي (ص) انه قال قال الله تعالى انا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته وفي امثال هذا الخبر كثرة وصلة الرحم قد تكون بقبول النسب وقد تكون بالانفاق على ذي الرحم وما يجري مجراه وروى الاصمغيني عن امير المؤمنين (ع) قال ان احدكم ليغضب فما يرضى حتى يدخل به النار فايما رجل منكم غضب على ذي رحمه فليسسه فان الرحم إذا مستها الرحم استقرت وانها متعلقة بالعرش تقول وتنادي اللهم صل لمن وصلني واقطع من قطعني (ان الله كان عليكم رقيبا) اي حافظا عن مجاهد وقيل الرقيب العالم عن ابن زيد والمعنى متقارب وإنما اتى بلفظة كان المفيدة للماضي لانه اراد انه كان حفيظا على من تقدم زمانه من عهد آدم وولده إلى زمان المخاطبين وعلمنا بما صدق منهم لم يعزب عنه من ذلك شيء

قوله تعالى (٢) **وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَبَدَّلُوا الْخَيْثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا** آية

﴿ اللغة ﴾

الحوب الاثم يقال حاب يحوب حوبا وحيابة والاسم الحوب وروي عن الحسن انه قرأ حوبا ذهب إلى المصدر وتعب فلان من كذا إذا تحرّج منه ونزلنا بحوبة من الأرض اي بموضع سوء والحوبة الحزن والتعب والحوب الروح والحوبا الروح

﴿ المعنى ﴾

لما امر الله سبحانه بالتقوى وصلة الارحام عقبه بآب آخر من التقوى وهو توفير حقوق اليتامى فقال (وآتوا اليتامى أموالهم) وهذا خطاب لأوصياء اليتامى اي اعطوهم أموالهم بالانفاق عليهم في حالة الصغر وبالتسليم اليهم عند البلوغ اذا اونس منهم الرشد وسأهم يتامى بعد البلوغ مجازا لأن النبي (ص) قال لا يتم بعد احتلام كما قالوا للنبي (ص) يتيم ابي طالب بعد كبره يعنون انه رباه وكقوله سبحانه والتي السخرة ساجدين اي الذين كانوا سخرة (ولا تبدلوا الخبيث بالطيب) معناه لا تستبدلوا ما حرّمه الله تعالى عليكم من اموال اليتامى بما احله الله لكم من اموالكم واختلف في صفة التبديل فقيل كان اوصياء اليتامى يأخذون الجيد من مال اليتيم والرفيع منه ويحملون مكانه الحسيس والردي عن ابراهيم النخعي والسدي وسعيد بن المسيب والزهري والربيع والضحاك وقيل معناه لا تبدلوا الخبيث بالطيب بأن تمجّلوا الحرام قبل أن يأتيكم الرزق الحلال الذي قد راكم عن ابي صالح ومجاهد وقيل معناه ما كان اهل الجاهلية يفعلونه من انهم لم يكرنوا يورثون النساء ولا الصغار بل يأخذوا الكبار عن ابن زيد وأقوى الوجوه الاول لأنه إنا ذكر عقيب اموال اليتامى فيكون معناه لا تأخذوا السمين والجيد من اموالهم وتضعوا مكانهما المهزول والردي فتحفظون عليهم عدد اموالهم ومقاديرها وتجمعون بهم في صفاتها ومعانيها وقوله (ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم) اي مع اموالكم ومعناه ولا تضيفوا اموالهم إلى اموالكم فتأكلوها جميعا ويحتمل ان يكون معناه ولا تخلطوا الجيد من اموالهم بالردي من اموالكم فتأكلوها فان في ذلك اجحافا وإضراراً بهم فاما إذا لم يكن في ذلك اضرار ولا ظلم فلا بأس بخلط مال اليتيم بماله فقد روي انه

هنأت القوم إذا علمتهم وهنأت فلانا المال إذا وهبته له أهناه هنا ومنه المثل إنما سميت هانئتهن أي تعطي

الاعراب

قوله ما طاب ما ههنا مصدرية عن الفراء أي فانكحوا الحلال ويروى عن مجاهد أيضا فانكحوا النساء. نكاحا طيبا قال المبرد ما ههنا للجنس كقولك ما عندك فالجواب رجل أو امرأة وقيل لما كان المكان مكان إبهام جاءت ما لا فيها من الإبهام كقول العرب خذ من عندي ما شئت وقوله مشنى وثلاث ورباع بدل مماطاب وموضعه نصب وتقديره اثنتين اثنتين وثلاثا ثلاثا وأربعا أربعا إلا أنه لا ينصرف لعتين العدل والصفة قال الزجاج أنه لا ينصرف لجهتين ولا أعلم أحدا من النحويين ذكرهما غيرهما أنه معدول عن اثنتين اثنتين وثلاث ثلاث وأنه عدل عن تأنيث وخطأه أبو علي الفارسي في ذلك وأورد عليه كلاما كثيرا يطول بذكره الكتاب ثم قال لو جاز أن يقول قائل إن مشنى وبابه معدول عن مؤنث لما جرى على النساء. وواحدتهن مؤنثة لجاز لا آخر إن يقول إن مشنى وبابه معدول عن مذكر لأنه اجري صفة على اجنحة وواحدة مذكرة وإنما جرى على النساء من حيث كان تأنيثها تأنيث الجمع وهذا الضرب من التأنيث ليس بحقيقي وإنما هو من أجل اللفظ فهو مثل النار والدار وما أشبه ذلك وقد جرت هذه الأسماء على المذكر الحقيقي قال صخر الفري

مَنْبِتٌ بِأَنَّ تَلَايِنِي الْمَنَابِيَا أَحَادَ أَحَادٍ فِي شَهْرِ حَلَالٍ

وبيت الكتاب

وَلَكِنَّمَا أَهْلِي بِوَادٍ أَنَسَهُ ذِنَابٌ بَغَى النَّاسَ مَشْنَى وَمَوْجِدٌ

جرى فيه مشنى وموحد على ذناب وهو جمع مذكر وقال تميم بن أبي مقبل

تَرَى النَّعْرَاتِ الزَّرْقَ تَحْتَ لَبَانِهِ أَحَادَ وَمَشْنَى أَصَعَقَتْهَا صَوَاهِلُهُ (١)

فأحد ومشنى هنا حال من النعرات وقال أبو علي في القصرات إن مشنى وثلاث ورباع حال من قوله ما طاب لكم من النساء فهو كقولك جنتك ماشيا وراكبا ومنهدرا وصاعدا تريد أنك جنته في كل حال من هذه الأحوال ولست تريد أنك جنته وهذه الأحوال لك في وقت واحد ومن قدرها على البديل من ما قال إنما جاءت الراو هنا ولم تأت أو لأنه على طريق البديل كأنه قال وثلاث بدلا من مشنى ورباع بدلا من ثلاث ولو جاء بأو لكان لا يجوز لصاحب المشنى ثلاث ولصاحب الثلاث رباع وقوله نحلة نصب على المصدر وقوله نفسانصب على التمييز كما يقال ضقت بهذا الأمر ذرعا وقررت به عينا والمعنى ضاق به ذرعي وقرت به عيني ولذلك وحد النفس لما كانت مفسرة والنفس المراد به الجنس يقع على الواحد والجمع كقول الشاعر

بِهَا جِيفُ الْحَسْرَى فَأَمَّا عِظَامُهَا فَيْصٌ وَأَمَّا جِلْدُهَا فَصَلْبٌ

ولم يقل جلودها ولو قال فإن طبن لكم أنفسا لجاز وقوله بالآخرين أعمالا إنما جمع لثلاثتهم أنه عمل يضاف إلى الجميع كما يضاف القتل إلى جماعة إذا رضوا به ومن في قوله عن شيء منه لتبيين الجنس لا للتبويض لأنها لو وهبت المهر كله لجاز بلا خلاف وهنيتا مريتا نصب على الحال

النزول والنظم

اختلف في سبب نزوله وكيفية نظم محصوره واتصال فصوله على أقوال (أحدها) أنها نزلت في اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب في مالها وجمالها ويريد أن ينكحها بدون صداق مثلها فنهوا أن ينكحوا إلا أن تقسطوا لهن في الكمال وهو أمثالهن وأمروا أن ينكحوا ما سواهن من النساء إلى أربع عن عائشة وروي ذلك في تفسير أصحابنا وقالوا أنها متصلة بقوله ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء

(١) وفي بعض النسخ «أصعقتها» بدل «أصعقتها». النعرات جمع نعرة: ذبابة ضخمة زرقاء تسقط على الدواب فتؤذيها. واللبان: صدر الدابة وأصعقتها أي قتلتها. والصواهل جمع الصاهلة: صهيل الفرس

اللاتي لا تتوتونهن ما كتب لهن وترغبون ان تنكحوهن فإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا الآية وبه قال الحسن والجائني والمبرد (وثانيها) انها نزلت في الرجل منهم كان يتزوج الاربع والخمس والست والعشر ويقول ما يعني ان اتزوج كما يتزوج فلان فاذا فني ماله مال على مال اليتيم الذي في حجره فانفقه فنهاهم الله عن ان يتجاوزوا الاربع لثلاثا يحتاجوا الى اخذ مال اليتيم وان خافوا ذلك مع الاربع ايضا اقتصروا على واحدة عن ابن عباس وعكرمة (وثالثها) أنهم كانوا يشددون في اموال اليتامى ولا يشددون في النساء ينكح احدهم النسوة فلا يعدل بينهن فقال تعالى كما تخافون الا تعدلوا في اليتامى فخافوا في النساء فانكحوا واحدة الى اربع عن سعيد ابن جبير والسدي وقتادة والريبع والضحاك وفي احدي الروايتين عن ابن عباس (ورابعها) انهم كانوا يتخرجون من ولاية اليتامى واكل اموالهم ايماناً وتصديقاً فقال سبحانه ان تخرجتم من ذلك فكذلك تخرجوا من الزنا وانكحوا النكاح المباح من واحدة الى اربع عن مجاهد (وخامسها) ما قالها الحسن ان خفتم الا تقسطوا في اليتيمة المرباة في حجركم فانكحوا ما طاب لكم من النساء مما احل لكم من يتامى قرباتكم مثني وثلاث ورباع وبه قال الجائني وقال الخطاب متوجه الى ولي اليتيمة اذا اراد ان يتزوجها (سادسها) ما قاله الفراء ان كنتم تخرجون عن مواكبة اليتامى فتخرجوا من الجمع بين النساء وان لا تعدلوا بين النساء ولا تتزوجوا منهن إلا من تأمنون معه الجور قال القاضي ابو عاصم القول الاول اولي واقرب الى نظم الآية ولفظها

✽ المعنى ✽

(وإن خفتم ألا تقسطوا) اي لا تنصفوا ولا تعدلوا يامعشر اولياء اليتامى (في اليتامى) وذكرنا معناه والاختلاف فيه في النزول (فانكحوا ما طاب لكم) اي ما حل لكم ولم يقل من طاب لكم لأن معناه نانكحوا الطيب (من النساء) اي الحلال منهن اي من اللاتي يحل نكاحهن دون المحرمات اللاتي ذكرن في قوله حرمت عليكم امهاتكم الآية ويكون تقديره على القول الأول إن خفتم أن لا تعدلوا في نكاح اليتامى إن نكحتوهن فانكحوا البواغ من النساء وذلك انه ان وقع حيف في حق البواغ امكن طلب المخلص منهن بتطبيب نفوسهن والتاس تحليلهن لأنهن من اهل التحليل واسقاط الحقوق بخلاف اليتامى فإنه إن وقع حيف في حقهن لم يمكن المخلص منه لأنهن لسن من اهل التحليل ولا من اهل اسقاط الحقوق وقوله (مثني وثلاث ورباع) معناها اثنتان اثنتين وثلاثا ثلاثا واربعاً اربعاً فلا يقال أن هذا يؤدي إلى جواز نكاح التسع فإن اثنتين وثلاثة واربعه تسعة لما ذكرناه فإن من قال دخل القوم البلد مثني وثلاث ورباع لا يقتضي اجتماع الاعداد في الدخول ولأن لهذا العدد لفظاً موضوعاً وهو تسع فالمدول عنه إلى مثني وثلاث ورباع نوع من العمي جل كلامه عن ذلك وتقدس وقال الصادق (ع) لا يحل لاء الرجل ان يجري في اربعة ارحام من الحرائر (فإن خفتم ألا تعدلوا) بين الاربع او الثلاث في القسم او النفقة وسائر وجوه التسوية (فواحدة) اي فتزوجوا واحدة (او ما ملكت ايمانكم) اي واقتصروا على الاماء حتى لا تحتاجوا الى القسم بينهن لأنهن لا حق لهن في القسم (ذلك) اشارة الى العقد على الواحدة مع الخوف من الجور فيما زاد عليها (ادنى ألا تعدلوا) اي اقرب ان لا تميزوا وتجوروا عن ابن عباس والحسن وقتادة ومن قال معناه ادنى ان لا تكثروا على اليتامى فانهم ضعه في اللفظة في الآية ما يبطله وهو قوله أو ما ملكت ايمانكم ومعلوم ان ما يحتاج اليه من النفقة عند كثرة الحرائر من النساء مثل ما يحتاج اليه عند كثرة الاماء وقيل كان الرجل قبل نزول هذه الآية يتزوج بما شاء من النساء وقوله (وآتوا النساء صدقاتهن نحلة) معناه واعطوا النساء مهورهن عطية من الله وذلك ان الله تعالى جعل الاستمتاع مشتركاً بين الزوجين ثم اوجب لها بازاء الاستمتاع مهراً على زوجها فذلك عطية من الله للنساء وقيل اراد بنحلة فريضة مسماة عن قتادة وابن جريج وقيل اراد بالنحلة الدين كما يقال فلان يتحل كذا اي يدين به ذكره الزجاج وابن خالويه واختلف فيمن خرط بقوله وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فقيل هم الازواج امرهم الله باعطاء المهر للمدخل بها

كلاما وتسير المدخول بها على النصف على ما مرّ شرحه من غير مطالبة ممنهون ولا مخصصة لأن ما يؤخذ بالمحاكمة لا يقال له نحلة وهو قول ابن عباس وقتادة وابن جريج واختاره الطبري والجبائي والرماني والزجاج وقيل هم الاولياء. لأن الرجل منهم كان اذا تزوج آيعة اخذ صداقها دونها فنهاهم الله عن ذلك عن ابي صالح وهو المروي عن الباقر (ع) زواه ابو الجارود عنه والاول اشبه بالظاهر (فان طبن لكم عن شيء منه نفسا) خطاب للزواج معناه فان طابت نفوسهن به شيء من الصداق (فكلوه) اي كلوا الموهوب لكم (هنيئا مريتا) فالهنيء الطيب المساغ الذي لا ينقصه شيء والمريء المحمود العاقبة التام الهضم الذي لا يضر ولا يؤذي وفي كتاب العياشي مرفوعا الى امير المؤمنين (ع) انه جاءه رجل فقال يا امير المؤمنين اني يوجع بطني فقال لك زوجة فقال نعم قال استوهب منها شيئا طيبة به نفسها من مالها ثم اشتر به عسلا ثم اسكب عليه من ماء السماء ثم اشربه فانني سمعت الله تعالى يقول في كتابه وانزلنا من السماء ماء مباركا وقال يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس وقال فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريتا فاذا اجتمعت البركة والشفاء والهنيء المريء شفيت ان شاء الله قال ففعل ذلك فشفي وقد استدلل بعض الناس على وجوب التزويج بقوله فانكحوا من حيث ان ظاهر الامر يقتضي الوجوب وهذا خطأ لانه يجوز العدول عن الظاهر بدليل وقد قام الدليل على ان التزويج غير واجب

قوله تعالى (٥) وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا . آية

﴿ القراءة ﴾

قرأ نافع وابن عامر قيا بغير الف والباقون قياما بالالف

﴿ الحجة ﴾

قال ابو الحسن في قيام ثلاث لغات قيام وقيم وقوام وهو الذي يقيمك قال لبيد
أَقْتَلِكْ أُمَّ وَحَشِيَّةً مَسْبُوعَةً خَذَلَتْ وَهَادِيَةَ الصَّوَارِ قِيَامَهَا

قال ابو علي ليس قول من قال ان القيم جمع قيمة بشيء انما القيم بمعنى القيام وهو مصدر يدل عليه قوله ديننا قيا فالقيمة التي هي معادلة الشيء ومقاومته لامذهب له ههنا انما المعنى ديننا دائما ثابتا لا ينسخ كما نسخت الشرائع التي قبله فيكون مصدر وصف الدين به ولا وجه للجمع ههنا ولا لاصفة لقلته مجيى هذا البناء في الصفة الا ترى انه انما جاء في قولهم قوم عدي ومكان سوي وفعل في المصادر كالشعب والرضا ونحوهما اوسع في الوصف فاذا كان كذلك حمل على الاكثر

﴿ المعنى ﴾

لما امر تعالى فيما تقدم بدفع مال الايتام اليهم عقبه بذكر من لا يجوز الدفع اليه منهم وقال (ولا تؤتوا السفهاء) اي لا تعطوا السفهاء (اموالكم) اختلف في المعنى بالسفهاء على اقوال (احدها) انهم النساء والصبيان عن ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن والضحاك واي مالك وقتادة وزواه ابو الجارود عن ابي جعفر (ع) قال ابن عباس اذا علم الرجل ان امرأته سفية مفسدة للسال وعلم ان ولده سفية يفسد المال لم ينبغي له ان يسلطها على ماله (وثانيها) ان المراد به النساء خاصة عن مجاهد وابن عمر وروي عن انس بن مالك قال جاءت امرأة سوداء جرية المنطق ذات ملح الى رسول الله فقالت يا ابي انت وامي يا رسول الله قل فينا خيرا مرة واحدة فانه بلغني انك تقول فينا كل شر قال اي شيء قلت لکن قالت سميتا السفهاء قال الله سماكن السفهاء في كتابه

(١) اي في مملقته المعروفة (٢) سمعت الوحشية : اكل السبع ولدها في مسبوعة . خذلت الطيبة ، تغلفت عن صوابها وانفردت عن القطيع . الصوار : قطيع البقر و هاديتها متقدمتها .

قالت وسيتنا النواقص فقال وكفى نقصانا ان تدعن من كل شهر خمسة ايام لا تصلين فيها ثم قال أما يكفي احدان انها اذا حملت كان لها كاجر المرابط في سبيل الله فاذا وضعت كانت كالمشحط بدمه في سبيل الله فاذا ارضعت كان لها بكل جزمة كعتق رقبة من ولد اسماعيل فاذا سهرت كان لها بكل سهرة تسهرها كعتق رقبة من ولد اسماعيل وذلك للمؤمنات الحاشعات الصابرات اللاتي لا يكفرن العشير (لا يكفرن العشير نسخة) قال قالت السوداء ياله فضلا لولا ما يتبعه من الشرط (وثالثها) انها عام في كل سفية من صبي أو مجنون أو مجبور عليه للتبذير وقريب منه ماروي عن ابي عبد الله (ع) انه قال ان السفية شارب الخمر ومن جرى مجراه وهذا القول أولى لعمومه وقوله (التي جعل الله لكم قياماً) أي اموالكم التي جعلها الله قواماً لمعاشكم ومعادكم تقيمكم فتقومون بها قياماً وقيل معناه ما تعطي ولدك السفية من مالك الذي جعله الله قواماً لعيشك فيفسده عليك وتضطر اليه فيصير ربا عليك بنفق مالك عليك (وارزقوهم فيها واكسوهم) اختلف في معناه فقيل يريد لا تؤتوهم اموالكم التي تملكونها ولكن ارزقوهم منها ان كانوا ممن يلزمكم نفقته واكسوهم الآية عن ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد وقيل يريد لا تعط امرأتك وولدك مالك فيكونوا هم الذين ينفقون عليك واطعمهم من مالك واكسهم عن السدي وابن زيد وهذا امر باحراز المال وحضياسته كقوله ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل وبلغت اليه قول النبي (ص) نعم المال الصالح للرجل الصالح وقيل عن بقوله اموالكم اموالهم كما قال ولا تقتلوا انفسكم أي لا تؤتوا اليتامى اموالهم وارزقوهم منها واكسوهم عن سعيد بن جبير والاولى حمل الآية على العموم فلا يجوز ان تعطي المال السفية الذي يفسده ولا اليتيم الذي لا يبلغ ولا الذي بلغ ولم يؤنس منه الرشد وإنما تكون اضافة مال اليتيم الى من له القيام بأمرهم ضرباً من المجاز أو يكون التقدير لا تؤتوا السفهاء اموالكم التي بعضها لكم وبعضها لهم فيضيعوها وقد روي أنه سئل الصادق (ع) عن هذا فقيل كيف يكون اموالهم اموالنا فقال إذا كنت أنت الوارث له (وقولوا لهم قولاً معروفاً) أي تطفوا لهم في القول ولا تخاشنهم وقولوا لهم ما ينهم على الرشد والصلاح في امور المعاش والمعاد حتى إذا بلغوا كانوا على بصيرة من ذلك وفي هذه الآية دلالة على جواز الحجر على اليتيم إذا بلغ ولم يؤنس منه الرشد لأن الله منع من دفع المال إلى السفهاء وفيها أيضاً دلالة على وجوب الوصية إذا كانت الورثة سفهاء لأن ترك الوصية والحال هذه بمنزلة اعطاء المال اهل السفه وإنما سمي الناقص العقل سفياً لأن السفه خفة الخلق ولذلك سمي الفاسق أيضاً سفياً لأنه لا وزن له عند اهل الدين

قوله تعالى (٦) وَأَبْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا (آية)

❖ اللفظة ❖

الإيناس الإبصار من قوله آنس من جانب الطور نارا أخذ من إنسان العين وهو حدقتها التي تبصر بها وانست به انسا الفته وفي قراءة عبد الله احستم أي احستم بمعنى وجدتم فحذف إحدى السينين نحو قوله فظلمت تفكهنون وأصل الإسراف تجاوز الحد المباح إلى ما لم يبيح وربما كان ذلك في الإفراط وربما كان في التقصير غير أنه إذا كان في الإفراط يقال منه اسرف بسرف إسرافاً وإذا كان في التقصير يقال سرف بسرف سرفاً ويقال سرفت بكم فسرفتكم يراد به سهوت عنكم واخطأتكم قال الشاعر

أَعْطَوْا هَنِيْدَةً تَحَدُّوْهَا ثَمَانِيَةً مَا فِي عَطَائِهِمْ مِنْ يَدٍ وَلَا سَرْفٍ

(١) هنيءة اسم لكل مائة من الابل . حدى الابل : ساقها و غنّى لها

يريد انهم بصيبيون مواضع الاعطاء فلا يخطؤونها والبدار المبادرة واصل ذلك الامتلاء ومنه البدر القمر لامتلائه نوراً والبدر لامتلائها بالمال واليندر لامتلائه بالطعام وعين حدره بذرمة مكتنزة والحبيب الكافي من قولهم احسبني الشيء اذا كفاني والحبيب من الرجال المرتفع النسب وقيل الحبيب بمعنى المحاسب

✽ الاعراب ✽

اسرافاً مصدر وضع موضع الحال وكذلك قوله بداراً وموضع ان يكبروا نصب بالمبادرة اي لا تأكلوا مسرفين وميادين كبرهم وقوله بالمعروف الجار والمجرور في موضع نصب على الحال وكفى بالله الباء مزيدة والجار والمجرور هنا في موضع رفع بأنه فاعل كفى وحسياً منصوب على الحال او التمييز والتقدير كفى الله في حال الحساب

✽ المعنى ✽

لما امر الله بابتلاء اليتامى أموالهم ومنع من دفع المال إلى السفهاء يسن هنا الحد الفاصل بين ما يحل من ذلك للولي وما لا يحل فقال (وابتلوا اليتامى) هذا خطاب لاولياء اليتامى امرهم الله ان يختبروا عقول اليتامى في افهامهم وصلاحهم في اديانهم واصلاحهم في اموالهم وهو قول قتادة والحسن والسدي ومجاهد وابن عباس (حتى اذا بلغوا النكاح) معناه حتى يبلغوا الحد الذي يقدرون معه على المقاومة وينزلون وليس المراد بالبلوغ الاحتلام لأن في الناس من لا يحتلم أو يتأخر احتلامه وهو قول أكثر المفسرين فمنهم من قال إذا كمل عقله وأونس منه الرشد سلم إليه ماله وهو الاولى ومنهم من قال لا يسلم إليه ماله وإن كان عاقلاً حتى يبلغ خمس عشرة سنة قال اصحابنا حد البلوغ اما كمال خمس عشرة سنة او بلوغ النكاح او الابتناء وقوله (فإن أنتم منهم رشتدا) معناه فإن وجدتم منهم رشتدا او عرفتموه واختلف في معنى قوله رشتدا فقيل عقلاً وديننا وصلاحاً عن قتادة والسدي وقيل صلاحاً في الدين وصلاحاً في المال عن الحسن وابن عباس وقيل عقلاً عن مجاهد والشعبي قال لا يدفع إلى اليتيم ماله وان اخذ بلحيته وإن كان شيخاً حتى يونس منه رشتد العقل والأقوى ان يحمل على ان المراد به العقل واصلاح المال على ما قاله ابن عباس والحسن وهو المروي عن الباقر للاجماع على ان من يكون كذلك لا يجوز عليه الحجر في ماله وإن كان فاجراً في دينه فكذلك إذا بلغ وهو بهذه الصفة وجب تسليم ماله إليه وفيه ايضاً دلالة على جواز الحجر على العاقل إذا كان مفسداً لما له من حيث انه إذا جاز ان يمنع المال عند البلوغ إذا كان مفسداً له فكذلك يجوز الحجر عليه إذا كان مفسداً له بعد البلوغ وهو المشهور في اخبارنا وقوله (فادفعوا إليهم اموالهم) خطاب لاولياء اليتيم وهو تعليق لجواز الدفع بالشرطين البلوغ وابتناء الرشد فلا يجوز الدفع قبلهما (ولا تأكلوا اسرافاً) اي بغير ما اباحه الله لكم وقيل معناه لا تأكلوا من مال اليتيم فوق ما تحتاجون إليه فإن لولي اليتيم ان يتناول من ماله قدر القوت إذا كان محتاجاً على وجه الاجرة على عمله في مال اليتيم وقيل ان كل شيء أكل من مال اليتيم فهو الأكل على وجه الاسراف والاوّل البق بمذهبنا فقد روى محمد بن مسلم عن احدهما قال سألته عن رجل بيده ماشية لابن اخ له يتيم في حجره يخلط امرها بأمر ماشيته قال إن كان يليظ حياضها ويقوم على مهنتها ويرد نادتها فليشرب من البانها غير منكم للحلبات ولا مضر بالزولد وقوله (وبدارا ان يكبروا) اي ومبادرة لكبرهم معناه لا تبادروا بأكل مالهم كبرهم ورشدهم حذراً ان يبلغوا فيلزمكم تسليم المال اليهم (ومن كان غنياً فليستعفف) اي من كان غنياً من الاولياء فليستعفف بماله عن أكل مال اليتيم ولا يأخذ لنفسه منه لا قليلاً ولا كثيراً يقال استعفف عن الشيء وعف عنه إذا امتنع منه وتركه (ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف) ومعناه من كان فقيراً فليأخذ من مال اليتيم قدر الحاجة والكفاية على جهة القرض ثم يرد عليه ما اخذ منه اذا وجد عن سعيد بن جبير ومجاهد وابي العالية والزهري وعبيدة السلماني وهو مروي عن الباقر (ع) وقيل معناه يأخذ قدر ما يسد به جوعته ويستور عورته لا على جهة القرض عن عطاء بن رباح وقاتدة

(١) قوله يليظ حياضها اي يطبخها وصلاحها واصلاحها من الاصلاق . النادة : النافرة الشاردة . قوله غير منكم للحلبات اي غير مبالغ فيها

وجماعة ولم يوجبوا الجرة المثل لأن أجره المثل ربما كانت أكثر من قدر الحاجة والظاهر في روايات اصحابنا أن له أجره المثل سواء كان قدر كفايته أو لم يكن وسئل ابن عباس عن ولي يتيم له إبل هل له أن يصيب من البانها فقال إن كنت تلوط حوضها وتنهأ جرباها أصبت من رسلها غير مضر بنسل ولا ناهك في الحلب والرسل اللبن والنهك المبالغة في الحلب (فإذا دفعتم اليهم أموالهم فاشهدوا عليهم) وهذا خطاب أيضا لولياء اليتيم أي إذا دفعتم إلى اليتامى أموالهم بعد البلوغ فاحتاطوا لا تقسكم بالأشهاد عليهم كي لا يقع منهم جحود وتكونوا أبعد من التهمة فانظر إلى حسن نظر الله لليتامى وللأوصياء وكال لطفه بهم ورحمته لهم وانعامه عليهم وكذلك نظره ولطفه بجميع عبادته في أمور معاشهم ومعادهم (وكفى بالله حسيبا) أي شاهدا على دفع المال اليهم وكفى بعلمه وثيقه وقيل محاسبا فاحذروا محاسبته في الآخرة كما تحذرون محاسبة اليتيم بعد البلوغ

قوله تعالى (٧) لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا (آية)

✽ اللغة ✽

الفرق بين الفرض والوجوب أن الفرض يقتضي فرضاً وليس كذلك الوجوب لأنه قد يجب الشيء في نفسه من غير إيجاب موجب ولذلك صح وجوب الثواب والعوض عليه تعالى ولم يجز أن يقال لذلك فرض ومفروض وأصل الفرض الثبوت فالفرض الحز في سبب القوس حيث يثبت الوتر والفرض ما أثبتته على قسيك من هبة أو صلة والفرض ما أعطيت من غير فرض لثبوت تملكه وأصل الوجوب الوقوع يقال وجب الحائط وجوبا إذا وقع وسمعت وجبة أي وقعة كالهدة ووجب الحق وجوبا إذا وقع سببه ووجب القلب وجيبا إذا خفق من فزع وقعة

✽ الأعراب ✽

نصيباً مفروضاً نصب على الحال لأن المعنى فرض للرجال نصيب ثم قال نصيباً مفروضاً حالاً موكداً وقيل هو اسم في موضع المصدر كقولك قسماً واجباً وفرضاً لازماً ولو كان اسماً لاشابثة للمصدرية فيه لم يجز نحو قولك عندي حق درهما ويجوز لك عندي درهم هبة مقبوضة

✽ النزول ✽

قيل كانت العرب في الجاهلية يورثون الذكور دون الإناث فنزلت الآية دأً لقولهم عن قتادة وابن جريج وابن زيد وقيل كانوا لا يورثون إلا من ظاعن بالرماح وذاد عن الحريم والمالك فقال تعالى مينا حكم أموال الناس بعد موتهم بعد أن بين حكمها في حال حياتهم

✽ المعنى ✽

(للرجال نصيب) أي حظّ وسهم (مما ترك الوالدان والأقربون) أي من ترك الوالدين والأقربين (ولللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون) أي وللنساء من قرابة الميت حصة وسهم من تركته (مما قلّ منه أو كثر) أي من قليل التركة وكثيرها (نصيباً مفروضاً) أي حظاً فرض الله تسليمه إلى مستحقيه ومستحققيه لا محالة وهذه الآية تدل على بطلان القول بالعصبة لأن الله تعالى فرض الميراث للرجال وللنساء فلو جاز منع النساء من الميراث في موضع لجاز أن يجري الرجال مجراًهن في المنع من الميراث وتدل أيضاً على أن ذوي الأرحام يرثون لأنهم من جملة النساء والرجال الذين مات عنهم الأقربون على ما ذهبنا إليه وهو مذهب أبي حنيفة أيضاً ويدخل في عموم اللفظ أيضاً الأنبياء وغير الأنبياء فدل على أن الأنبياء يورثون كغيرهم على ما ذهبنا إليه الفرقة المحقة

قوله تعالى (٨) وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا (آية)

﴿ المعنى ﴾

لما بين سبحانه فيما تقدم حال من يرث بين هنا حال من لا يرث واختلف الناس في هذه الآية على قولين ﴿احدهما﴾ انها محكمة غير منسوخة عن ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن وابراهيم ومجاهد والشعبي والزهري والسدي وهو المروي عن الباقر واختاره البلخي والجبائي والزجاج واكثر المفسرين والفقهاء (والآخر) انها منسوخة بآية الموارث عن سعيد بن المسيب والبي مالک والضحاك واختلف من قال انها محكمة على قولين ﴿احدهما﴾ ان الامر فيها على الوجوب واللزوم عن مجاهد وقال هو ما طابت به نفس الورثة وقال الآخرون ان الامر فيها على التدب وقوله (واذا حضر القسمة) معناه إذا شهد قسمة الميراث (اولوا القربى) اي فقراء قرابة الميت (واليتامى والمساكين) اي وبناتهم ومساكينهم يرجون ان تعودوا عليهم (فارزقوهم منه) اي اعطوهم من التركة قبل القسمة شيئاً واختلف في المخاطبين بقوله فارزقوهم على قولين ﴿احدهما﴾ ان المخاطب بذلك الورثة امروا بان يرزقوا المذكورين إذا كانوا لاسهم لهم في الميراث عن ابن عباس وابن الزبير والحسن وسعيد بن جبير واكثر المفسرين والآخر ان المخاطب بذلك من حضرته الوفاة وأراد الوصية فقد امر بان يوصي لمن لا يرثه من المذكورين بشئ من ماله عن ابن عباس وسعيد بن المسيب واختاره الطبري (وقولوا لهم قولاً معروفاً) اي حسناً غير خشن واختلف فيه ايضا فقال سعيد بن جبير امر الله الولي ان يقول للذي لا يرث من المذكورين قولاً معروفاً إذا كانت الورثة صفاراً يقول ان هذا ليتامى صفار وليس لكم فيه حق ولسنا نملك ان نطعكم منه وقيل المأمور بذلك الرجل الذي يوصي في ماله والقول المعروف ان يدعو لهم بالرزق والغنى وما أشبه ذلك وقيل الآية في الوصية على ان يوصوا للقرابة ويقولوا لغيرهم قولاً معروفاً عن ابن عباس وسعيد بن المسيب وقد دلت الآية على ان الإنسان قد يرزق غيره على معنى التمليك فهو حجة على المجبرة

قوله تعالى (٩) وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ نُرْكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (١٠) إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا (آيات)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن عامر وابو بكر عن عاصم سيصلون بضم الياء والباقون بفتحها

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي حجة من فتح الياء قوله اصلوها فاصبروا وجهنم يصلونها والأ من هو صال الجخيم وحجه من ضم الياء انه من اصلاه الله النار كقوله فسوف نصليه نارا

﴿ اللفظة ﴾

ضعاف جمع ضعيف وضعيفة والسديد السليم من خلل الفساد واصله من سد الخلل تقول سدده امده سدا والسداد الصواب وفيهم سداد من عَزَزْتُ بالكسر وسدد السهم إذا قَوَّمَهُ والسدُّ الردم وصلّى لرجل النار يصلها صلّى وصلّاه وصلّى اي لزمها واصلاه الله اصلاه وهو صال النار من قوم صلّى وصلّين ويقال صلّى الامر إذا قاسى

حره وشدته قال العجاج (وَصَالِيَاتٍ لِلصَّلَىٰ صِلَىٰ) وقال الفرزدق
 وَقَاتَلَ كَلْبُ الْحَيِّ عَنِ نَارِ أَهْلِهِ
 لِيَرِيضَ فِيهَا وَالصَّلَا مُنْكَفٍ (١)

وشاة مصليّة اي مشوية وسعير بمعنى مسعورة مثل كفت خضيب والسعر اشتعال النار واستعرت النار في
 الحطب ومنه سعر السوق لاستعارها به في النفاق

✽ الاعراب ✽

ظلما نصبه على المصدر لأن معنى قوله يأكلون اموال اليتامى بظلمونهم ويجوز ان يكون في موضع الحال
 كقولهم جاءني فلان ركضاً أي يركض

✽ المعنى ✽

لما أمر الله تعالى بالقول المعروف ونهاهم عن خلافه أمر بالأقوال السديدة والأفعال الحميدة فقال (وليخش
 الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً) فيه أقوال ✽ احدها ✽ انه كان الرجل إذا حضرته الوفاة قعد عنده
 اصحاب رسول الله (ص) فقالوا انظر لنفسك فإن ولدك لا يغنون عنك من الله شيئاً فيقدم جلّ ماله فقال وليخش
 الذين لو تركوا من بعدهم أولاداً صغاراً (خافوا عليهم) الفقر وهذا نهي عن الوصية بما يجحف بالورثة وأمر لمن
 حضر الميت عند الوصية ان يأمره بأن يبقى لورثته ولا يزيد وصيته على الثلث كما ان هذا القائل لو كان هو
 الموصي لأحب ان يموت من حضره على حفظ ماله لورثته ولا يدعهم عائلة أي كما تحبون ورثتكم فأحبوا ورثة
 غيركم وهذا معنى قول ابن عباس وسعيد بن جبیر والحسن وقتادة ومجاهد والضحاك (وثنائها) ان الأمر
 في الآية لولي مال اليتيم يأمره بآداء الأمانة فيه والقيام بحفظه كما لو خاف على مخلفيه إذا كانوا ضعافاً وأحب ان
 يفعل بهم عن ابن عباس أيضاً فيكون معناه من كان في حجره يتيم فليفعل به ما يجب ان يفعل بذريته من بعده
 وإلى هذا المعنى بوؤل ما روي عن موسى بن جعفر قال ان الله اوعد في مال اليتيم عقوبتين ثنتين اما احدهما
 فعقوبة الدنيا قوله وليخش الذين لو تركوا الآية قال يعني بذلك ليخش ان اخلفه في ذريته كما صنع بهؤلاء اليتامى
 (وثالثها) انها وردت في حرمان ذوي القربى ان يوصي لهم بأن يقول الحاضر لا توص لا قاربك ووقر على ورثتك
 وقوله خافوا عليهم معناه خافوا من جفاء يلحقهم او ظلم بصيبيهم أو غضاضة اوضعة (فليتقوا الله) أي فليتنق كل واحد
 من هؤلاء في يتامى غيره ان يجفوم ويظلمهم وليعاملهم بما يجب ان يعامل به بتاماه بعد موته وقيل فليتقوا الله في
 الاضرار بالمؤمنين (وليقولوا قولاً سديداً) أي مصيباً عدلاً موافقاً للشرع والحق وقيل انه يريد قولاً لا خلل
 فيه وقيل معناه فليخاطبوا اليتامى بخطاب حسن وقول جميل وفي معنى الآية ما روي عن النبي (ص) انه قال
 من سره ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فليأمره منيته وهو يشهد ان لا إله إلا الله وان محمداً رسول الله ويجب
 أن يأتي إلى الناس ما يحب أن يؤتي اليه ونهى رسول الله ان يوصي بأكثر من الثلث وقال الثلث كثير
 وقال لسعد لأن تدع ورثتك اغتياء أحب إلي من ان تدعهم عائلة ينكفون الناس ثم اوعد الله آكلي مال اليتيم
 نار جهنم وقال (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً) اي ينتفعون بأموال اليتامى وبأخذونها ظلماً بغير حق ولم يرد
 به قصر الحكم على الأكل الذي هو عبارة عن المضغ والابتلاع وفائدة تخصيص الأكل بالذكر انه معظم منافع
 المال المقصودة فذكره الله تنبيها على ما في معناه من وجوه الانتفاع وكذلك معنى قوله ولاتأكلوا أموالكم بينكم
 بالباطل ولاتأكلوا الربى وإنما علق الوعيد بكونه ظلماً لأنه قد يأكله الإنسان على وجه الاستحقاق بأن يأخذ
 منه اجرة المثل أو يأكل منه بالمعروف أو يأخذه قرضاً على نفسه على ما تقدم القول في ذلك فلا يكون ظلماً فإن
 قيل إذا اخذه قرضاً او اجرة المثل فلانما أكل مال نفسه ولم يأكل مال اليتيم فجوابه لا بل يكون آكل مال
 اليتيم لكن لا على وجه يكون ظلماً بأن الزم عوضه على نفسه او استحققه بالعمل ولو سلمنا ذلك لجاز ان يكون

إنما ذكر كونه ظلماً لضرب من التأكيد والبيان لأن أكل مال اليتيم لا يكون إلا ظلماً وسئل الرضا كم ادنى ما يدخل به أكل مال اليتيم تحت الوعيد في هذه الآية فقال قليله وكثيره واحد إذا كان من نيته ان لا يردده اليهم وقوله (إنما يأكلون في بطونهم ناراً) قيل فيه وجهان ﴿احدهما﴾ ان النار ستلتهب من افواههم واساعم وأنهم يوم القيامة ليعلم اهل الموقف انهم اكلت اموال اليتامى عن السدي وروي عن الباقر انه قال قال رسول الله (ص) يبعث ناس من قبورهم يوم القيامة تأجج افواههم ناراً فليل له يا رسول الله من هؤلاء فقراً هذه الآية ﴿والآخر﴾ أنه ذكر ذلك على وجه المثل من حيث ان من فعل ذلك يصير إلى جهنم فتمتلى بالنار

اجوافهم عقاباً على اكلهم مال اليتيم كما قال الشاعر

وَأَنَّ الَّذِي أَصْبَحْتَ تَحْلِبُونَهُ دَمٌ غَيْرَ أَنَّ اللَّوْنَ لَيْسَ بِأَحْمَرَ

يصف اقواما اخذوا الابل في الدبة يقول انما تحلبون دم القليل منها لا الالبان (وسيلون سعيراً) اي سيلزومون النار المسعرة للاحراق وإنما ذكر البطون تأكيداً كما يقال نظرت بعيني وقلت بلساني واخذت يدي ومثيت برجلي وروى الحلبي عن الصادق (ع) قال ان في كتاب علي بن ابي طالب ان من اكل مال اليتيم ظلماً سيدركه وبال ذلك في عقبه من بعده وبلحقه وبال ذلك في الآخرة أما في الدنيا فإن الله يقول وليخش الذين لو تركوا الآية وأما في الآخرة فإن الله يقول ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً الآية.

قوله تعالى (١١) يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين فإن كن نساءً فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وإن كانت واحدة فلها النصف ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث فإن كان له إخوة فلأمه السدس من بعد وصية يوصي بها أو دين أبأؤبكم وأبناؤكم لاتدرون أبهم أقرب لكم نفعا فريضة من الله إن الله كان عليماً حكيماً (آية)

﴿ القراءه ﴾

قرأ أهل المدينة وإن كانت واحدة بالرفع والباقون بالنصب وقرأ حمزة والكسائي فلأمه وفي إمها ونحوه بكسر الهمزة والميم وحمزة بطون إيهاتكم وبيوت إيهاتكم بكسرهما والكسائي بكسر الهمزة وفتح الميم والباقون بضم الهمزة في الجميع وقرأ ابن عامر وابن كثير وابو بكر عن عاصم يوصي بفتح الصاد في الموضعين وقرأ حفص الأولى بكسر الصاد والثانية بالفتح والباقون بكسرهما

﴿ الحجة ﴾

الاختيار في واحدة النصب لأن التي قبلها لها خبر منصوب وهو قوله فإن كن نساء أي وان كانت الورثة واحدة ووجه الرفع ان وقعت واحدة اوجدت واحدة اي ان حدث حكم واحدة لأن المراد حكما لا ذاتها ووجه قراءة حمزة والكسائي فلأمه بكسر الهمزة ان الهمزة حرف مستثقل بدلالة تخفيفهم لها فأتبعوها ما قبلها من الكسرة والياء ليكون العمل فيها من وجه واحد ويقوي ذلك انها تقارب الهاء وقد فعلوا ذلك بالهاء في نحو عليه وبه ومن قرأ يوصي فلأن ذكر الميت قد تقدم في قوله فإن كان له إخوة فلأمه السدس ومن قرأ يوصي فلأنما يحسنه انه ليس بميت معين وإنما هو شائع في الجميع فهو في المعنى يؤول إلى يوصي

﴿ الاعراب ﴾

للذكر مثل حظ الانثيين جملة من مبتدأ وخبر تفسير لقوله يوصيكم الله وإنما لم يقل للذكر مثل حظ الانثيين

بنصب لام مثل فيعدي قوله بوصيكم اليه لأنه في تقرير القول في حكاية الجملة بعده فكأنه قال قال الله في اولادكم
لذكر مثل حظ الاثنتين وقوله الثلث والسدس والرُبُع ونحوها يجوز فيها التخفيف لثقل الضم فيقال ثلث وشدس
ورُبُع وثمن قال الزجاج ومن زعم ان الاصل التخفيف فيها فنقل فَحَطَّأً لأن الكلام موضوع على الايجاز لاعلى
الثقل وإنما قيل للأب والأم ابوان تغليبا للفظ الأب ولا يلزم ان يقال في ابن وابنة ابنان لأنه يوم فإوت لم
يَوْمَ جاز ذلك ذكره الزجاج وفريضة منصوب على التأكيد والحال من قوله لأبويه ولهُؤَلاءِ الورثة
ما ذكرنا مفروضاً وفريضة مؤكدة لقوله بوصيكم الله ويجوز ان يكون نصبا على المصدر من بوصيكم الله
لأن معناه يفرض عليكم فريضة

✽ النزول ✽

روى محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله انه قال مرضت فعادني رسول الله وابو بكر ومعاوية فاعلمي
علي فدعا بماء فتوضأ ثم صبه علي فأفقت فقلت يا رسول الله كيف اصنع في مالي فسبكت رسول الله فنزلت آية
الموارث في وقيل نزلت في عبد الرحمن اخي حسان الشاعر وذلك انه مات وترك امرأة وخمسة اخوان فجاءت
الورثة فأخذوا ماله ولم يعطوا امرأته شيئا فشكت ذلك إلى رسول الله فأَنْزَلَ اللهُ آية الموارث عن السدي وقيل
كانت الموارث للأولاد وكانت الوصية للوالدين والاقربين فنسخ الله ذلك وانزل آية الموارث فقال رسول
الله ان الله لم يرض بملك مقرب ولا نبي مرسل حتى تولى قسم التركات واعطى كل ذي حق حقه عن ابن عباس

✽ المعنى ✽

ثم بين تعالى ما اجمله فيما قبل من قوله للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون الآية بما فصله في هذه الآية فقال
(بوصيكم الله) أي بأمركم ويفرض عليكم لأن الوصية منه تعالى أمر وفرض يدل على ذلك قوله ولا تقتلوا
النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به وهذا من القرض المحكم علينا (في اولادكم) أي في ميراث
اولادكم أو في توريث اولادكم وقيل في أمور اولادكم إذا متم ثم بين ما أوصى به فقال (لذكر مثل حظ الاثنتين)
أي للابن من الميراث مثل نصيب البنين ثم ذكر نصيب الإناث من الأولاد فقال (فإن كن نساء فوق اثنتين)
أي فإن كانت المتروكات أو الأولاد نساء فوق اثنتين (فلهن ثلثا ما ترك) من الميراث ظاهر هذا الكلام يقتضي ان
البتين لا يستحقان الثلثين لكن الأمة اجمعت على ان حكم البنتين حكم من زاد عليهما البنات وذكر في الظاهر
وجوه (احدها) ان في الآية بيان حكم البنتين فما فوقها لأن معناه فإن كن اثنتين فما فوقها فلهن
ثلثا ما ترك إلا انه قدم ذكر الفوق على الاثنتين كما روي عن النبي (ص) انه قال لا تسافر المرأة سفراً فوق ثلاثة
أيام إلا ومعها زوجها أو ذو محرم لها ومعناه لا تسافر سفراً ثلاثة أيام فما فوقها (وثانيها) ما قاله ابو العباس المبرد
ان في الآية دليلاً على ان للبتين الثلثين لأنه إذا قال للذكر مثل حظ الاثنتين وكان اول العدد ذكراً وانثى
وللذكر الثلثان وللأنثى الثلث علم من ذلك ان للبتين الثلثين ثم اعلم الله بأن ما فوق البنتين لهن الثلثان (وثالثها)
ان البنتين اعطيتا الثلثين بدليل لا يفرض لها مسمى والدليل قوله تعالى ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم في
الكلالة ان امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك فقد صار للأخت النصف كما ان للبت
النصف فإن كانتا اثنتين فلها الثلثان واعطيت الابنتان الثلثين كما اعطيت الاختان الثلثين واعطيت جملة الاخوات
الثلثين كما اعطيت البنات الثلثين وبديل عليه ايضاً الإجماع على ان حكم البنتين حكم البنات في استحقاق
الثلثين إلا ماروي عن ابن عباس ان للبتين النصف وان الثلثين فرض الثلث من البنات وحكى النظام في كتاب
النكت عن ابن عباس انه قال للبتين نصف وقيراط لأن للواحدة النصف وللثلاث الثلثين فينبغي ان يكون
للبتين ما بينهما (وان كانت واحدة) اي وان كانت المولودة او المتروكة واحدة (فلها النصف) أي نصف ما ترك

الميت ثم ذكر ميراث الوالدين فقال (ولأبويه) يعني بالأبوين الأب والأم والماء الذي اضيف اليه الأبوان كتابة عن غير مذكور تقديره ولأبوي الميت (لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد) فللأب السدس مع الولد وكذلك الأم لها السدس معه ذكراً كان او انثى واحداً كان او اكثر ثم ان كان الولد ذكراً كان الباقي له وان كانوا ذكوراً فالباقي لم بالسوية وان كانوا ذكوراً وانثى فللذكر مثل حظ الانثيين وان كانت بنتاً فلها النصف بالنسبة ولأحد الأبوين السدس او لها السدسان والباقي عند أئمتنا يرد على البنت وعلى احد الأبوين أو عليها على قدر سهامهم بدلالة قوله وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله وقد ثبت أن قرابة الوالدين وقرابة الولد متساوية لأن الولد يتقرب إلى الميت بنفسه كما ان الوالدين يتقربان اليه بأقربها وولد الولد يقوم مقام الولد للصلب مع الوالدين كل منهم يقوم مقام من يتقرب به وفي هذه المسائل خلاف بين الفقهاء (فإن لم يكن له) يعني للميت (ولد) أي ابن ولا بنت ولا اولادهما لأن اسم الولد يعم الجميع (ورثته ابواه فلأمه الثلث) وظاهر هذا يدل على ان الباقي للأب وفيه إجماع فإن كان في الفريضة زوج فإن له النصف وللأم الثلث والباقي للأب وهو مذهب ابن عباس وأئمتنا ومن قال في هذه المسألة ان للأم الثلث ما يبقى فقد ترك الظاهر وكذلك ان كان بدل الزوج الزوجة فلها الربع وللأم الثلث والباقي للأب وقوله (فإن كان له اخوة فلأمه السدس) قال اصحابنا انما يكون لما السدس إذا كان هناك اب وبطل عليه ما تقدمه من قوله وورثته ابواه فإن هذه الجملة معطوفة على قوله فإن لم يكن له ولد وورثته ابواه فلأمه الثلث وتقديره فإن كان له اخوة وورثته ابواه فلأمه الثلث وقال بعض اصحابنا ان لما السدس مع وجود الاخوة وان لم يكن هناك اب وبه قال جميع الفقهاء واتفقوا على ان الاخوين يجزيان الأم من الثلث إلى السدس وقد روي عن ابن عباس انه قال لا تجب الأم عن الثلث إلى السدس بأقل من ثلاثة من الاخوة والاخوات كما تقتضيه ظاهر الآية واصحابنا يقولون لا تجب الأم عن الثلث إلى السدس إلا بالاخوين أو أخ واختين أو أربع اخوات من قبل الأب والأم أو من قبل الأب خاصة دون الأم وفي ذلك خلاف بين الفقهاء قالوا والمرب تسمى الاثنين بلفظ الجمع في كثير من كلامهم حكى سيوطي انهم يقولون رضعاً رحماً يريدون رحلي راحلتيهما وقال تعالى وكنا لحكمهم شاهدين يعني حكم داود وسليمان وقال قتادة إنما تجب الاخوة للأم مع انهم لا يرثون من المال شيئاً معونة للأب لأن الأب يقوم بنفقتهم ونكاحهم دون الأم وهذا يدل على انه ذهب إلى ان الاخوة للأم لا يجزون على ما ذهب اليه اصحابنا لأن الأب لا يلزمه نفقتهم بلا خلاف (من يد وصية يوصي بها أو دين) أي تقسم التركة على ما ذكرنا بعد قضاء الديون واقرار الرسية ولا خلاف في ان الدين مقدم على الوصية والميراث وان احاماً بالمال فأما الرسية فقد قيل انها مقسمة على الميراث وقيل بل الموصى له شريك الوارث له الثلث ولم الثلثان وقد روي عن امير المؤمنين (ع) انه قال انكم تقرؤون في هذه الآية الوصية قبل الدين وان رسول الله (ص) قضى بالدين قبل الوصية والوجه في تقديم الدين على الوصية في الآية ان لفظ او إنما هو لأحد الشيتين أو الاشياء ولا يوجب الترتيب فكأنه قال من بعد احد هذين مفرداً أو مضموماً إلى الآخر وهذا كقولهم جالس الحسن او ابن سيرين أي جالس احدهما مفرداً أو مضموماً إلى الآخر (آبائكم وأبنائكم لا تدرون أيهم اقرب لكم قفاً) ذكر فيه وجوه (احدها) ان معناه لا تدرون أي هؤلاء أنفع لكم سيف الدنيا فتمطونه من الميراث ما يستحق ولكن الله قد فرض القرائض على ما هو عنده حكمة عن مجاهد (وثانيها) ان معناه لا تدرون بأيهم اتم اسعد في الدنيا والدين والله يعلمه فاقسموه على ما بينه من المصلحة فيه عن الحسن (وثالثها) ان معناه لا تدرون ان تعصم بربية آباءكم لكم اكثر أم تعصم آباءكم بخدمة آباءهم وانفاقكم عليهم عند كبرهم عن الجبائي (ورابعها) ان المعنى اطوعكم الله عز وجل من الآباء والأبناء أرفصكم درجة يوم القيامة لأن الله يشفع المؤمنين بعضهم في بعض فإن كان الوالد ارفع درجة في الجنة من ولده رفع الله اليه ولده في درجته لتقر بذلك

عينه وان كان الولد ارفع درجة من والديه رفع الله والدبه إلى درجته لتقر بذلك اعينهم عن ابن عباس (وخامسها) ان المراد لا تدرؤن اي الوارثين والموروثين اسرع موثا فيرثه صاحبه فلا تتمنوا موت الموروث ولا تستعجلوه عن اي مسلم (فريضة من الله) أي فرض الله ذلك فريضة او كما ذكرناه في الاعراب (ان الله كان عليا حكيمًا) اي لم يزل عليا بمصالحكم حكيمًا فيما يحكم به عليكم من هذه الأموال وغيرها قال الزجاج في كان هنا ثلاثة أقوال قال سيبويه كان القوم شاهدوا عليا وحكمة ومفطرة وتفضلا فقبل لهم ان الله كان كذلك على ما شاهدتم وقال الحسن كان عليًا بالأشياء قبل خلقها حكيمًا فيما يقدر تدبيره منها وقال بعضهم الخبير من الله في هذه الأشياء بالمضي كالخبير بالاستقبال والحال لأن الأشياء عند الله في حال واحدة ما مضى وما يكون وما هو كائن

قوله تعالى (١٢) وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوَصِّينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّلُثُ مِمَّا تَرَكَتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ (آية)

✽ القراءة ✽

روى في الشواذ قراءة الحسن يورث بكسر الراء كلاله وقراءة عيسى بن عمر الثقفي يورث وقرأ الحسن أيضًا غير مضارٍ وصية مضاف

✽ اللمحة ✽

كلاهما منقول من ورث فهذا من اورث وذاك من ورث وفي كلتا القراءتين المفعولان محذوفان فكأنه قال يورث وارثه ماله وقد جاء حذف المفعولين جميعًا قال البكيت

يَأْتِي كِتَابٌ أَمْ بِآيَةٍ سُنَّةٍ تَرَى حَبِيْبَهُمْ عَارًا عَلِيٍّ وَتَحَبُّبِ

فلم يعد تحسب وأما قوله غير مضار وصية فيعني به غير مضار من جهة الوصية أو عند الوصية كقول طرفة (بضة المتجرد) أي بضة عند تجردها وهذا كما يقال شجاع حرب وكرم مسألة أي شجاع عند الحرب وكرم عند المسألة

✽ اللمة ✽

أصل الكلاله الاحاطة ومنه الاكليل للاحاطته بالرأس ومنه الكل لاحاطته بالعدد فالكلالة تحيط بأصل النسب الذي هو الولد والوالد وقال ابو مسلم اصلها من كل اي اعني فكأن الكلاله تناول الميراث من بعد على كلال واعياء وقال الحسين بن علي المغربي اصله عندي ما تركه الانسان وراء ظهره مأخوذًا من الأكل وهو الظهر تقول العرب ولاني فلان اكله على وزن اطله أي ولاني ظهره والعرب نخبر بهذا الاسم عن جملة النسب والوراثة قال عامر بن الطفيل

وَأَيُّ وَإِنْ كُنْتُ ابْنَ فَارِسٍ عَامِرٍ وَفِي السِّرِّ مِنْهَا وَالصَّرِيحُ الْمَهْدَبُ

(١) بضه بضاضة كان رفيق الجلد ناعمه في سمن فهو بض وهو بضة . والشعر در حيب قطاب الجيب منها رفيقة بجس

الندامي بضه المتجرد

فَمَا سَوَّدَتْنِي عَامِرٌ عَنْ كَلَالَةٍ أَبِي اللَّهِ أَنْ أَسْمُو بِأُمِّ وَلَا أَبِ

ويروى عن ورائه وقال زيادة بن زيد العذري

وَلَمْ أَرِثِ الْمَجْدَ التَّلِيدَ كَلَالَةً وَلَمْ يَأْنِ مِنِّي فِتْرَةٌ لِعَقِيبِ (١)

ويقال رجل كلاله وقوم كلاله وامرأة كلاله لا تشني ولا تجمع لأنه مصدر

✽ الاعراب ✽

ينتصب كلاله على انه مصدر وضع موضع الحال ويكون كان التامة ويورث صفة رجل وتقديره ان وجد رجل موروث متكامل النسب والعامل في الحال يورث وذو الحال الضمير في يورث ويجوز ان ينتصب كلاله على انه خبر كان على ان يكون كان ناقصة قال الزجاج من قرأ يورث بكسر الراء فكلاله مفعول ومن قرأ يورث فكلاله منصوب على الحال غير مضار منصوب على الحال أيضاً وصية ينصب على المصدر أي بوصيكم الله بذلك وصية

✽ المعنى ✽

ثم خاطب الله الأزواج فقال (ولكم) أيها الأزواج (نصف ما ترك أزواجكم) أي زوجاتكم (ان لم يكن لمن ولد) لا ذكر ولا أنثى ولا ولد (فإن كان لمن ولد فلکم الربع مما تركن) أي من ميراثهن (من بعد وصية يوصين بها أو دين) قدس تفسيره (ولهن) أي ولزوجاتكم (الربع مما تركتم) من الميراث (ان لم يكن لكم ولد) واحدة كانت الزوجة أو اثنتين أو ثلاثاً أو أربعاً لم يكن لمن أكثر من ذلك (فإن كان لكم ولد) ذكر أو أنثى أو ولد ولد (فلهن الثلثين مما تركتم) من الميراث واحدة كانت الزوجة أو أكثر من ذلك (من بعد وصية توصون بها) أيها الأزواج (أودين) وقد مر في ما مضى بيان ميراث الأزواج ثم ذكر ميراث ولد الأم فقال (وان كان رجل يورث كلاله) اختلف في معنى الكلاله فقال جماعة من الصحابة والتابعين منهم ابو بكر وعمر وابن عباس في إحدى الروايتين عنه وقتادة والزهري وابن زيد هو من عدا الوالد والولد وفي الرواية الأخرى عن ابن عباس انه من عدا الوالد وقال الضحاك والسدي انه اسم للميت الذي يورث عنه والمروي عن أئمتنا ان الكلاله الاخوة والاخوات والمذكور في هذه الآيه من كان من قبل الأم منهم والمذكور في آخر السورة من كان منهم من قبل الأب والأم أو من قبل الآباء (أو امرأة) هو عطف على قوله وان كان رجل معناه وان كان رجل كلاله يورث ماله أو امرأة كلاله تورث ماله على قول من قال ان الميت نفسه يسمى كلاله ومن قال انه الحي الوارث فتقديره وان كان رجل يورث في حال تكلم نسبه به أو امرأة تورث كذلك وهو قول ابن عمر واهل الكوفة ويؤيده ما روي عن جابر انه قال أتاني رسول الله وأنا مريض فقلت وكيف الميراث وإنما يرثني كلاله ففزلت آية الفرائض فالكلاله في النسب من احاط بالميت وتكلمه من الاخوة والاخوات والولد والوالد ليسا بكلاله لأنها أصل النسب الذي ينتهي إلى الميت ومن سواهما خارج عنها وإنما يشتمل عليهما بالأنساب من غير جهة الولادة فعلى هذا تكون الكلاله كالأكليل يشتمل على الرأس ويحيط به وليس من أصله فإن الوالد والولد طرفان للرجل فإذ مات الرجل ولم يخلفهما فقد مات عن ذهاب طرفيه فسمي ذهاب طرفيه كلاله و قوله (وله أخ أو أخت) يعني الأخ أو الأخت من الأم (فلكل واحد منهما السدس فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث) جعل للذكر والأنثى هاهنا سواء ولا خلاف بين الأئمة ان الاخوة والاخوات من قبل الأم متساوون في الميراث (من بعد وصية يوصى بها أو دين) مرّ يانه (غير مضار وصية من الله) منع الله من الضرار في الوصية أي غير موص وصية تضر بالورثة وقيل أراد غير مضار في الميراث كره سبحانه الضرار في الحياة وبعد المات عن قتادة وتقديره لا يضر بعض الورثة بعضاً وقيل هو ان يوصي بدين ليس عليه يريد بذلك ضرر الورثة فالضرار في الوصية راجع إلى الميراث وهو ان يضر في وصيته

(١) لغريب نسخة اخرى والتلبيد القديم.. (٢) [بفتح الراء].

بماله او بعضه لأجنبي اويقر بدين لاحقيقة له دفعا للميراث عن وارثه أو بقر باستيفاء دين له في مرضه أو يبيع ماله في مرضه واستيفاء ثمنه لثلاث يصل إلى وارثه وجاء في الحديث ان الضرار في الوصية من الكبار (والله اعلم) بمضالغ عباده يحكم بما توجب الحكمة في قسمة الميراث والوصايا وغيرها (حليم) لا يعاين العصابة بالعقوبة ويمن عليهم بالانتظار والمهلة وفي هاتين الآيتين دلالة على تقدير سهام اصحاب الموارث ونحن نذكر من ذلك جملة موجزة منقولة عن اهل البيت دون غيرهم فإن الاختلاف في مسائل الموارث بين الفقهاء كثير يطول بذكره الكتاب فمن أراد موجدته في غنائه: اعلم ان الارث يستحق بأمرين نسب وسبب فالسبب الزوجية والولاء فالميراث بالزوجية يشترط مع كل نسب والميراث بالولاء لا يثبت إلا مع فقد كل نسب وأما النسب فمطلبي ضربين * أحدهما * ابو الميت ومن يتقرب به * والآخري * ولده وولد ولده وان سفل والمنع عن الارث بعد وجود سبب وجوبه ثلاثة الكفر والرق وقتل الموارث من كان يرثه لولا القتل ولا يمنع الابوين والولادة الزوجية والزوجات من اصل الارث مانع ثم ثم على ثلاثة اضرب (١) الاول * الولد يمنع من يتقرب به ومن يجري مجراه من ولد اخوته واخواته عن اصل الارث ويمنع من يتقرب بالابوين ويمنع الابوين عما زاد على السدس إلا على مسيل الرد مع البنت او البنات والابوان يمتنان من يتقرب بهما أو بأحدهما ولا يمتد منعها إلى غير ذلك والزوجة والزوجة لا حظ لها في المنع وولد الولد وان سفل يقوم مقام الولد الأدنى عند فقده في الارث والمنع ويترتبون الأقرب فالأقرب وهذه مسيل ولد الاخوة والاخوات وان سفل عند فقد الاخوة والاخوات مع الأجداد والجدات ثم ان الميراث بالنسب يستحق على وجهين بالفرض والقربة فالقرب ما ساء الله ولا يجتمع في ذلك إلا كانت قرابته متساوية إلى الميت مثل البنت والبنات مع الابوين أو أحدهما لأن كل واحد منهم يتقرب إلى الميت بنفسه فعنى اقردهم بالميراث اخذ المال كله بنفسه بالفرض والباقي بالقربة وعند الاجتماع يأخذ كل واحد منهم باسمي له والباقي يرد عليهم على قدر سهامهم فإن نقصت التركة عن سهامهم لمزاحمة الزوج والزوجة لهم كان النقص اختلا على البنت والبنات دون الابوين او أحدهما دون الزوج والزوجة ويصح اجتماع الكلالتين معاً لتساوي قرابتهما فإذا فضل التركة عن سهامهم يرد الفاضل على كلاله الاب والام او الاب دون كلاله الام وكذلك إذا نقصت عن سهامهم لمزاحمة الزوج أو الزوجة لهم كان النقص داخل عليهم دون كلاله الأم والزوج والزوجة لا يدخل عليهم النقصان على حال فعلي هذا إذا اجتمع كلاله الاب مع كلاله الام كان لكلاله الام للواحد السدس وللانثين فصاعدا الثلث لا ينقصون منه والباقي لكلاله الاب ولا يرث كلاله الاب مع كلاله الاب والام ذكوراً كانوا أو إناثاً فأما من يرث بالقربة دون الفرض فأقواهم الولد للصلب ثم ولد الولد يقوم مقام الولد ويأخذ نصيب من يتقرب به ذكراً كان أو انثى والبطن الاول يمنع من نزل عنه بدرجة ثم الأب يأخذ جميع المال إذا اقردهم من يتقرب به أما ولده او والده أو من يتقرب بهما من عم أو عمه فالجد اب الأب مع الاخ الذي هو ولده في درجة وكذلك الجدة مع الاخ فمهم يتقاسمون المال للذكر مثل حظ الانثيين ومن له سببان يمنع من له سبب واحد وولد الاخوة والاخوات يقومون مقام آبائهم وأمهاتهم في مقاسمة الجد والجدة كما يقوم ولد الولد مقام الولد للصلب مع الاب وكذلك الجد والجدة وان علياً يقاسمان الاخوة والاخوات واولادهم وإن نزلوا على حد واحد أو أمان يرث بالقربة من يتقرب بالأم فهم الجد والجدة أو من يتقرب بهما من الخال والخالة فإن أولاد الأم يرثون بالفرض أو بالفرائض دون القرابة فالجد والجدة من قبلها يقاسمان الاخوة والاخوات من قبلها ومتى اجتمع قرابة الأب مع قرابة الأم مع استوائهم في الدرجة كان لقرابة الأم الثلث بينهم بالسوية والباقي لقرابة الأب للذكر مثل حظ الانثيين ومتى بعد إحدى القرابتين بدرجة سقطت مع التي هي أقرب سواء كان الأقرب من قبل الأب أو من قبل الأم إلا في مسألة واحدة وهو ابن عم للأب لأن المال لابن العم هذه أصول مسائل الفرائض ولنفرهما شرح طويل دونه المشائخ في كتب الفقه

قوله تعالى (١٣) تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٤) وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ (آياتان)

القراءة

قرأ نافع وابن عامر ندخله بالنون في الموضعين والباقون بالياء

الحجة

من قرأ بالياء فلأن ذكر الله قد تقدم فحمل الكلام على الغيبة ومن قرأ بالنون عدل عن لفظ الغيبة إلى الاخبار عن الله بنون الكبرياء ويقوي ذلك قوله بل الله موليكم ثم قال سنلقي

الثمة

الحد الحاجر بين الشئين واصله المنع والفصل وحدود الدار تفصلها عن غيرها والفوز والفلاح نظائر

الاعراب

خالدین فيها نصب على الحال قال الزجاج والتقدير بدخلهم مقدرين الخلود فيها والحال يستقبل بها تقول مررت برجل معه باز صائداً به غدا اي مقدرًا الصيد به غداً وقوله خالدًا فيها منصوب على احد وجهين * احد هما * الحال من الماء في يدخله ناراً والتقدير على ما ذكرناه * والاخر * ان يكون صفة لقوله ناراً وهذا كما تقول زيد مررت بدار ساكن فيها فيكون على حذف الضمير من ساكن هو فيها لأن اسم الفاعل إذا جرى على غير من هو له لم يتضمن الضمير كما يتضمنه الفعل ولو قلت يسكن فيها يجب ايرازه فتقول زيد مررت بدار ساكن هو فيها

المعنى

لما فرض الله فرائض الموارث عقبها بذكر الوعد في الاثبات لها والوعيد على التعدي لحدودها فقال (تلك حدود الله) اي هذه التي بينت في امر الفرائض وامر اليتامى حدود الله اي الامكنة التي لا ينبغي ان تتجاوز عن الزجاج واختلف في معنى الحدود على اقوال * احدها * تلك شروط الله عن السدي * وثانيها * تلك طاعة الله عن ابن عباس * وثالثها * تلك تفصيلات الله لفرائضه وهو الأقوى فيكون المراد هذه القسمة التي قسمها الله لكم والفرائض التي فرضها الله لاجباتكم من امواتكم فصول بين طاعة الله ومعصيته فان معنى حدود الله حدود طاعة الله وإنما اختصر لوضوح معناه للمخاطبين (ومن يطع الله ورسوله) فيما امر به من الاحكام وقيل فيما فرض له من فرائض الموارث (بدخله جنات تجري من تحتها) أي من تحت أشجارها وأبنتها (الأناهار) أي ماء الأناهار حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه في الموضعين (خالدین فيها) أي دائمین فيها (وذلك الفوز العظيم) اي الفلاح العظيم وصفه بالعظيم ولم يبين بالاضافة إلى ماذا والمراد انه عظيم بالاضافة إلى منفعة الحيازة في التركة من حيث كان أمر الدنيا حقيراً بالاضافة إلى أمر الآخرة وإنما خص الله الطاعة في قسمة الميراث بالوعد مع انه واجب في كل طاعة إذا فعلت لوجوبها او لوجه وجوبها ليبين عن عظم موقع هذه الطاعة بالترغيب فيها والترهيب عن تجاوزها وتعديها (ومن يعص الله ورسوله) فيما ينه عن الفرائض وغيرها (ويتعد حدوده) اي ويتجاوز ما حد له من الطاعات (بدخله ناراً خالداً) أي دائماً (فيها وله عذاب مهين) ساء مهيناً لأن الله يفعله على وجه الإهانة كما انه يثيب المؤمن على وجه الكرامة ومن استدل بهذه الآية على ان

صاحب الكبيرة من اهل الصلاة مخلد في النار ومعاقب فيها لا محالة فقوله بصيد لأن قوله ويتعد حدوده يدل على ان المراد به من تعدى جميع حدود الله وهذه صفة الكفار ولأن صاحب الصغيرة بلا خلاف خارج عن عموم الآية وان كان فاعلاً للمعصية ومتعدياً حدّاً من حدود الله وإذا جاز اخراجه بدليل جاز لغيره ان يخرج من عمومها من يشفع له النبي او يتفضل الله عليه بالغو بدليل آخر وأيضاً فإن التائب لا بد من اخراجه من عموم الآية لقيام الدليل على وجوب قبول التوبة وكذلك يجب اخراج من يتفضل الله باسقاط عقابه منها لقيام الدلالة على جواز وقوع التفضل بالغو فإن جعلوا للآية دلالة على ان الله لا يختار الغو جاز لغيره ان يجعلها دلالة على ان العاصي لا يختار التوبة على ان في المفسرين من حمل الآية على من تعدى حدود الله وعصاه مستحلالاً لذلك ومن كان كذلك لا يكون إلا كافراً

قوله تعالى (١٥) وَاللّٰتِي يَأْتِيْنَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ اَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَاَنْ شَهِدُوا فَاَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتّٰى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ اَوْ يَجْعَلَ اللهُ لَهُنَّ سَبِيلاً (١٦) وَالَّذَانِ يَأْتِيَانِهٖا مِنْكُمْ فَاذُوهُمَا فَاِنْ تَابَا وَاَصْلَحَا فَاَعْرِضُو عَنْهُمَا اِنَّ اللهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيْمًا (آيتان)

القراءة

قرأ ابن كثير والذان يأتينها بتشديد النون وكذلك فذانك وهذان او هاتين وقرأ الباقون بتخفيف ذلك كله إلا أبا عمرو فإنه شدد فذانك وحدها

الحجة

قال ابو علي القول في تشديد نون التثنية انه عوض عن الحذف الذي لحق الكلمة الا ترى ان ذاق حذف لامها وقد حذف الياء من اللذان في التثنية واتفق اللذان وهذان في التعويض كما اتفقا في فتح الأوائل منهما في التحقير مع ضمها في غيرها وذلك في نحو اللذيا والمثنيا وذيا وتيا

اللمة

اللاتي جمع التي وكذلك اللواتي قال

مِنَ اللَّوَاتِي وَالَّتِي وَاللَّاتِي

وقد تحذف التاء من اللاتي فيقال اللاتي قال

مِنَ اللَّاتِي لَمْ يَجْحَجْنَ يَغِيْنِ حِسْبَةً

زَعَمَنَ اَنِّي كَبَرْتُ لِذَاتِي (١)

وَلَكِنْ لِيَقْتُلَنَّ الْبَرِيَّ الْمَغْفَلَا (٢)

المعنى

لما بين سبحانه حكم الرجال والنساء في باب النكاح والميراث بين حكم الحدود فيهن إذا ارتكبن الحرام فقال (واللاتي يأتين الفاحشة) اي يفعلن الزنا (من نسائكم) الحرائر فالمعنى اللاتي يزنين (فاستشهدوا عليهن اربعة منكم) اي من المسلمين بخطاب الحكام والأئمة وبأمرهم بطلب اربعة من الشهود في ذلك عند عدم الاقرار وقيل هو خطاب للازواج في نسائهم اي فاستشهدوا عليهن اربعة منكم وقال ابو مسلم المراد بالفاحشة في الآية هنا الزنا ان تغلوا المرأة بالمرأة في الفاحشة المذكورة عنهن وهذا القول مخالف للاجماع ولما عليه المفسرون فإنهم اجمعوا على ان المراد بالفاحشة هنا الزنا (فإن شهدوا) يعني الأربعة (فأمسكوهن) أي فاحبسوهن (في البيوت حتى يتوفاهن الموت) اي بدر كهن الموت فيمتن في البيوت وكان في مبدء الإسلام إذا فجرت المرأة وقام عليها اربعة شهود حبست في البيت أبداً حتى تموت ثم نسخ ذلك بالرجم في المحصنين والجلد في البكرين

(١) اللدة : التزب وهو الذي ولد معك او تربى معك. (٢) قوله « لم يعجن اه » اي لم يطلسن من العجج نواب الله . والمغفل . الذي لا فطنة له .

(او يجعل الله لمن سبيلا) قالوا لما نزل قوله الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة قال النبي (ص) خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لمن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة وتقريب عام والثيب بالثيب جلد مائة والرجم وقال بعض اصحابنا ان من وجب عليه الرجم يجلد او لا ثم يرجم وبه قال الحسن وقتادة وجماعة من الفقهاء وقال اكثر اصحابنا ان ذلك يختص بالشيخ والشيخة فأما غيرهما فليس عليه غير الرجم وحكم هذه الآية منسوخ عند جمهور المسردين وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله وقال بعضهم انه غير منسوخ لأن الحبس لم يكن موثقا بل كان مستندا إلى غيبة فلا يكون يان الغاية نسخا له كما لو قال اقلوا كذا إلى رأس الشهر وقد فرق بين الموضوعين فإن الحكم المعلق بمجيء رأس الشهر لا يحتاج الى بيان صاحب الشرع بخلاف ما في الآية وقوله (واللذان يأتيانها منكم) اي يأتيان الفاحشة وفيه ثلاثة اقوال * احدها * انهما الرجل والمرأة عن الحسن وعطا * وثانيها * انهما البكران من الرجال والنساء عن السدي وابن زيد * وثالثها * انهما الرجلان الزانيان عن مجاهد وهذا لا يصح لأنه لو كان كذلك لما كان للتثنية معنى لأن الوعد والوعيد إنما يأتي بلفظ الجمع فيكون لكل واحد منهم أو بلفظ الواحد لدلالته على الجنس فأما التثنية فلا فائدة فيها وقال ابو مسلم مما الرجلان يخلوان بالفاحشة بينهما والفاحشة في الآية الأولى عنده السحق وفي الآية الثانية اللواط فحكم الآيتين عنده ثابت غير منسوخ وإلى هذا التأويل ذهب اهل العراق فلا حدّ عندهم في اللواط والسحق وهذا بعيد لأن الذي عليه جمهور المسردين ان الفاحشة في آية الزنا وان الحكم في الآية منسوخ بالحدّ المفروض في سورة التور ذهب اليه الحسن ومجاهد وقتادة والسدي والضحاك وغيرهم واليه ذهب البلخي والجبائي والطبري وقال بعضهم نسخها الحدود بالرجم أو الجلد وقوله (فأذوهما) قيل في معناه قولان * احدهما * هو التعبير باللسان والضرب بالتمال عن ابن عباس * والآخر * انه التمييز والتبويب باللسان عن قتادة والسدي ومجاهد واختلف في الأذى والحبس [في التبيين] كيف كان فقال الحسن كان الأذى اولا والآية الاخيرة نزلت من قبل ثم امرت ان توضع في التلاوة من بعد فكان الاول الأذى ثم الحبس ثم الجلد او الرجم وقال السدي كان الحبس في التبيين والاذى في البكرين وقيل كان الحبس للنساء والاذى للرجال وقال الفراء ان الآية الاخيرة نسخت الآية الاولى وقوله (فإن تابا) اي رجعا عن الفاحشة (واصلحا) العمل فيما بعده (فأعرضوا عنهما) اي اصفحوا عنهما وكفوا عن اذاهما (ان الله كان توابا رحيمًا) يقبل التوبة عن عباده وبرحمهم قال الجبائي في الآية دلالة على نسخ القرآن بالسنة لأنها نسخت بالرجم او الجلد والرجم قد ثبت بالسنة ومن لم يتجاوز نسخ القرآن بالسنة يقول ان هذه الآية نسخت بالجلد في الزنا وأضيف الرجم اليه زيادة لا نسخا واما الأذى المذكور في الآية فغير منسوخ فإن الزاني يؤذى ويعتف على فعله ويذم به لكنه لم يقتصر عليه بل زيد فيه بأن اضيف الجلد والرجم اليه

قوله تعالى (١٧) إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (١٨) وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (آياتان)

✽ اللغة ✽

اصل التوبة الرجوع وحققتها الندم على القبيح مع العزم على ان لا يعود إلى مثله في القبح وقيل يكفي في حدّها الندم على القبيح والعزم على ان لا يعود إلى مثله اعتدنا قيل ان اصله أعدنا فالتاء بدل من الدال وقيل هو افعلنا من: المتأد وهو المدّة قال عدي بن الرقاع

تَأْتِيهِمْ آسَلَابُ الْأَعْرَظِ عَنَوَةً قَمَرًا وَيَجْمَعُ لِلْحُرُوبِ عَتَادَهَا^(١)
يقال للفرس المد للحرث عتد وعتد

الاعراب

موضع الذين يموتون جرّ بكونه عطفًا على قوله للذين يعملون السوء وتقديره ولا للذين يموتون

المعنى

لما وصف تعالى نفسه بالتواب الرحيم بين عقبيه شرائط التوبة فقال (إنما التوبة) ولفظة إنما يتضمن النفي والإثبات فمعناه لا توبة مقبولة (على الله) أي عند الله إلا (للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب) واختلف في معنى قوله بجهالة على وجوه * أحدها * أن كل معصية يفعلها العبد جهالة وإن كان على سبيل السد لأنه يدعو إليها الجهل ويؤثرها للعبد عن ابن عباس وعطاء ومجاهد وقتادة وهو المروي عن أبي عبد الله (ع) فإنه قال كل ذنب عمله العبد وإن كان عالما فهو جاهل حين خاطر بنفسه في معصية ربه فقد حكى الله تعالى قول يوسف لآخوته هل علمتم ما فعلتم يوسف وإخيه إذ اتم جاهلون فنسبهم إلى الجهل لمخاطرتهم بأقسامهم في معصية الله * وثانيها * أن معنى قوله بجهالة أنهم لا يعلمون كنه ما فيه من العقوبة كما يعلم الشيء ضرورة عن الفراء * وثالثها * أن معناه أنهم يجهلون أنها ذنوب ومعاص فيعملونها إما بتأويل يخطئون فيه وإما بأن يفرطوا في الاستدلال على قبحها عن الجبائي وضعف الرماني هذا القول لأنه بخلاف ما اجمع عليه المفسرون ولأنه يوجب أن لا يكون لمن علم أنها ذنوب توبة لأن قوله إنما التوبة تفيد أنها لهؤلاء دون غيرهم وقال أبو العالية وقتادة أجمعت الصحابة على أن كل ذنب أصابه العبد فهو جهالة وقال الزجاج إنما قال الجهالة لأنهم في اختيارهم اللذة الثانية على اللذة الباقية جهال فهو جهل في الاختيار ومعنى يتوبون من قريب أي يتوبون قبل الموت لأن ما بين الإنسان وبين الموت قريب فالتوبة مقبولة قبل اليقين بالموت وقال الحسن والضحاك وابن عمر القريب ما لم يعان الموت وقال السدي هو ما دلم في الصحة قبل المرض والموت وروي عن أمير المؤمنين (ع) أنه قيل له فإن عاد وتاب مرارًا قال يغفر الله له قيل إلى متى قال حتى يكون الشيطان هو المحصور وفي كتاب من لا يحضره الفقيه قال قال رسول الله (ص) في آخر خطبة خطبها من تاب قبل موته بسنة تاب الله عليه ثم قال وإن السنة لكثيرة من تاب قبل موته بشهر تاب الله عليه ثم قال وإن الشهر لكثير من تاب قبل موته بيوم تاب الله عليه ثم قال وإن اليوم لكثير من تاب قبل موته بساعة تاب الله عليه ثم قال وإن الساعة لكثيرة من تاب قبل موته وقد بلغت نفسه هذه وأهوى ييسره إلى خلقه تاب الله عليه وروي الثعلبي بإسناده عن عباد بن الصامت عن النبي هذا الخبر بعينه إلا أنه قال في آخره وإن الساعة لكثيرة من تاب قبل أن يفرغ بها تاب الله عليه وروي أيضا بإسناده عن الحسن قال قال رسول الله (ص) لما هبط إبليس قال وعزتك وجلالتك وعظمتك لا أفارق ابن آدم حتى تفارق روحه جسده فقال الله سبحانه وعزتي وعظمتي وجلالي لا احبب التوبة عن عبدي حتى يفرغ بها (فأولئك يتوب الله عليهم) أي يقبل توبتهم (وكان الله عليا) بمصالح العباد (حكيا) فيما يعاملهم به (وليست التوبة) التوبة المقبولة التي ينتفع بها صاحبها (للذين يعملون السيئات) أي المعاصي ويصرون عليها ويُسوفون التوبة (حتى إذا حضر أحدهم الموت) أي أسباب الموت من معاينة ملك الموت وانقطع الرجاء عن الحياة وهو حال اليأس التي لا يملؤها إحدغير المحتضر (قال) أي ثبت الآن) أي فليس عند ذلك اليأس التوبة واجمع أهل التأويل على أن هذه قد تناولت عصاة أهل الإسلام إلا ما روي عن الربيع أنه قال أنها في المناققين وهذا لا يصح لأن المناققين من جملة الكفار وقد بين الكفار بقوله (ولا الذين يموتون وهم كفار) ومعناه وليست التوبة أيضا للذين يموتون على الكفر ثم يندمون بعد الموت (أو تلك اعتدنا) أي هيأنا (لهم عذابا أليما) أي موجعا وإنما لم يقبل الله تعالى التوبة

(١) الاسلاب جمع السلب ما يسلب من القتل . العتاد كلما هيم . من سلاح ودواب وآلة حرب .

(٢) وفي نسختين من نسختنا < فيجهالة > بدل < فهو جهالة >

في حال البأس واليأس من الحياة لأنه يكون المبد هناك ملجأ إلى فعل الحسنات وترك القبائح فيكون خارجاً عن حد التكليف إذ لا يستحق على فعله المدح ولا الذم وإذا زال عنه التكليف لم تصح منه التوبة ولهذا لم يكن أهل الآخرة مكلفين ولا تقبل توبتهم ومن استدل بظاهر قوله تعالى اعتدنا لهم عذاباً اليسا على وجوب العقاب لمن مات من مرتكبي الكبائر من المؤمنين قبل التوبة فالانفصال عن استدلاله ان يقال ان معنى اعداد العذاب لهم إنما هو خلق النار التي هي مصيرهم فالظاهر يقتضي استيجابهم لدخولها وليس في الآية ان الله يفعل بهم ما يستحقونه لا معاملة ويحتل ايضا ان يكون أو تلك اشارة إلى الذين يموتون وهم كفار لأنه اقرب اليه من قوله للذين يعملون السيئات ويحتل ايضا ان يكون التقدير اعتدنا لهم العذاب ان عاملناهم بالعدل ولم نشأ العفو عنهم وتكون الفائدة فيه اعلامهم ما يستحقونه من العقاب وأن لا يأمنوا من ان يفعل بهم ذلك فلن قوله ويقتر ما دون ذلك لمن يشاء لا تتناول المشيئة فيه إلا المؤمنين من أهل الكبائر الذين يموتون قبل التوبة لأن المؤمن المطيع خارج عن هذه الجملة وكذلك التائب إذ لا خلاف في ان الله لا يعذب أهل الطاعات من المؤمنين ولا التائبين من العصية والكافر خارج ايضا عن المشيئة لاخبار الله تعالى انه لا يفر الكفر فلم يبق تحت المشيئة إلا من مات مؤمناً موحداً وقد ارتكب كبيرة لم يتب منها وقال الربيع ان الآية منسوخة بقوله ويفر ما دون ذلك لمن يشاء لأنه حكم من الله والنسخ جائز في الأحكام كما جاز في الأوامر والنواهي ولما يتنوع النسخ في الاخبار بأن يقول كان كذا وكذا ثم يقول لم يكن او يقول في المستقبل لا يكون كذا ثم يقول يكون كذا وهذا لا يصح لأن قوله اعتدنا وارد مورد الخبر فلا يجوز النسخ فيه كما لا يجوز في سائر الاخبار

قوله تعالى (١٩) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لَتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَمَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْمَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ حمزة والكسائي كرها بضم الكاف هنا وفي التوبة والأحقاف ووافقها عاصم وابن عامر ويقرب في الأحقاف وقرأ الباقون بفتح الكاف في جميع ذلك وقرأ بفاحشة مبينة بفتح الياء ابن كثير وابو بكر عن عاصم والباقون بكسر الياء وروي في الشواذ عن ابن عباس مبينة بكسر الياء خفيفة

﴿ الحجة ﴾

الكره والكره لفتان مثل الضعف والضعف والفقر والفقر والدَّف والدَّف وقال سيويه بين الشي وبينته وأبان الشي وابنته واستبان الشي واستبنته وتبين وتبينته ومن آيات الكتاب

سَلِ الْمُمُومَ بِكُلِّ مَعْطِي زَأْسِهِ
فِي مَنَكَبِ زَيْنِ الْمَطِيِّ عَرْنَدَسِ (١)

وفي نوادر أبي زيد
بَيْنَهُمْ ذُو اللَّبِّ حِينَ يَرَامُ
ومن كلامهم قد بين الصبح لذي عينين

﴿ اللفظة ﴾

العضل التضيق بالمنع من التزويج وأصله الامتناع يقال عضلت الدجاجة بيضتها إذا عسرت عليها وعضل الفضا

(١) سلا من هـ ومنه : كشفه وازاله عنه . اعطى البعير انقاد . وناج فاعل من نجا : اسرع وسبق . وصهب صهبة الشعر كان فيه حمرة او شقرة . وتيست الابل صارلونها بياضاً في سواد . ومفتال آجله اي مفسدها وآجل جمع جبل . والبطي جمع مطية . والعرندس من الابل : الشديدة (٢) وفي بعض النسخ « حتى يرام » . و « اضلما » بالضاد المعجبة

٢٤ (سورة النساء) اعراب وتزول ومعنى قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا يجعل لكم ان تروا النساء كرها ج

بالعيش الكثير إذا لم يمكن سلوكه لضيقه ومنه الداء العضال الذي لا يبرأ والفاحشة مصدر كالعاقبة والعافية قال ابو عبيدة الفاحشة الشنار والفحش القبيح والمعاشره المصاحبة وهو من الشره

﴿ الإعراب ﴾

أن تروا النساء في موضع رفع بأنه فاعل يجمل وكرها مصدر وضع موضع الحال من النساء والعامل في الحال تروا ولا تعضلون يجوز أن يكون أيضا نصبا بكونه معطوفا على تروا وتقديره لا يجمل لكم أن تروا ولا ان تعضلوا ويجوز ان يكون مجزوما على النهي

﴿ التزول ﴾

قيل ان ابا قيس بن الاسلت لامات عن زوجته كبيشة بنت معن القى ابنه محسن بن ابي قيس ثوبه عليها فورث نكاحها ثم تركها ولم يقربها ولم ينفق عليها فجاءت إلى النبي (ص) فقالت يا نبي الله لا أنا ورثت زوجي ولا أنا تركت فأنكح فزلت الآية عن مقاتل وهو المروي عن ابي جعفر وقيل كان أهل الجاهلية إذا مات الرجل جاء ابنه من غيرها أو وليه فورث امرأته كما يرث ماله والقى عليها ثوبا فإن شاء تزوجها بالصدوق الأول وإن شاء تزوجها غيره وأخذ صداقها فنهوا عن ذلك عن الحسن ومجاهد وروى ذلك ابو الجارود عن ابي جعفر (ع) وقيل زلت في الرجل تكون تحت امرأة يكره صحبتها ولها عليه مهر فيطول عليها ويضارها لتفتدي بالمهر فنهوا عن ذلك عن ابن عباس وقيل زلت في الرجل يجبس المرأة عنده لا حاجة له اليها وينتظر موتها حتى يرثها عن الزهري وروى ذلك عن ابي جعفر (ع) أيضا

﴿ المعنى ﴾

لأنه الله فيما تقدم عن عادات أهل الجاهلية في أمر اليتامى والأموال عقبه بالنهي عن الاستئثار بسنتهم في النساء فقال (يا أيها الذين آمنوا) أي يا أيها المؤمنون (لا يجعل لكم) أي لا يجعل لكم في دينكم (أن تروا النساء) أي نكاح النساء (كرها) أي على كره منهن وقيل ليس لكم أن تجسوهن على كره منهن طمعا في ميراثهن وقيل ليس لكم أن تسيروا صحبتهم ليهتدين بما لهن أو بما سقمت اليهن من مهورهن أو ليهتن قدرتهن (ولا تعضلوهن) أي وان لا تجسوهن وقيل ولا تمنعهن عن النكاح (لتذهبوا ببعض ما آتيتوهن) واختلف في المعنى بهذا النهي على أربعة أقوال ﴿ أحدها ﴾ انه الزوج امره الله بتخليه سبيلها إذا لم يكن له فيها حاجة وأن لا يسكها اضرازا بها حتى تفتدي ببعض مالها عن ابن عباس وقتادة والسدي ونصحت وهو المروي عن ابي عبد الله (ع) وثانيها ﴿ انه الوارث نهى عن منع المرأة من التزويج كما يقوله أهل الجاهلية على ما بيناه عن الحسن ﴿ وثالثها ﴾ انه المطلق أي لا يمنع المطلقة من التزويج كما كانت تفعله قريش في الجاهلية ينكح الرجل منهم المرأة الشريفة فإذا لم توافقها فارقها على أن لا تتزوج إلا بإذنه ويشهد عليها بذلك ويكتب كتابا فإذا خطبها خاطب فإن أرضته أذن لها وإن لم تعطه شيئا عضلها فنهى الله عن ذلك عن ابن زيد ﴿ ورابعها ﴾ انه الرئي خطب بان لا يمنعهما عن النكاح عن معاهد والقرول الأول أصح ﴿ إلا أن يأتين بفاحشة مبينة ﴾ أي ظاهرة وقيل فيه قولان ﴿ أحدهما ﴾ انه يعني إلا ان يزين عن الحسن وابي قلابه والسدي وقالوا إذا اطلع منها على زنية فله أخذ القدية (والآخر) ان الفاحشة النشوز عن ابن عباس والأولى حمل الآية على كل معصية وهو المروي عن ابي جعفر (ع) واختاره الطبري واختلف في هذا الاستثناء وهو قوله إلا أن يأتين من ماذا هو فقيل هو من أخذ المال وهو قول أهل التفسير وقيل كان هذا قبل الحدود وكان الأخذ منهن على وجه العقوبة لهن ثم نسخ عن الأصم وقيل هو من الحس والامساك على ما تقدم في قوله فامسكوهن في البيوت عن ابي علي الجبائي وأبي مسلم إلا ان اباعلي قال انها منسوخة وأبي ابي مسلم النسخ (وعاشروهن بالمعروف) أي خالطوهن من الشره التي هي المصاحبة بما أمركم الله به من اداء حقوقهن التي هي النصفه في القسم والنفقة والاجال في القول والقول وقيل المعروف ان لا يضربها ولا يسي القول فيها ويكون منبسط الوجه

بمها وقيل هو أن يتصنع لها كما تتصنع له (فإن كرهتموهن) أي كرهتم صحبتهن وامساكنهن (فمسي ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه) أي في ذلك الشيء وهو امساكنهن على كره منكم (خييرا كثيرا) مسن ولد يرزقكم او عطف لكم عليهم بعد الكراهة وبه قال ابن عباس ومجاهد فعلى هذا يكون المعنى ان كرهتموهن فلا تمجلوا طلاقهن لعل الله يجعل فيهن خيرا كثيرا وفي هذا حث للزواج على حسن الصبر فيما يكرهون من الأزواج وترغيبهم في امساكنهم مع كراهة صحبتهم إذا لم يخافوا في ذلك من ضرر على النفس أو الدين والمال ويعتدل ان يكون الها. عائدا إلى الذي تكرهونه أي عسى ان يجعل الله فيما تكرهونه خيرا كثيرا والمعنى مثل الأول وقيل المعنى ويجعل الله في فراقكم لهن خيرا عن الاصم قال ونظيره وان يتفرقا يفن الله كلاً من سعته قال القاضي وهذا بعيد لأن الله تعالى حث على الاستمرار على الصلابة فكيف يحث على المفارقة

قوله تعالى (٢٠) وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَسْبَدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَأَنْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قَنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَنَا خَذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِنَّمَا مِثْيَانًا (٢١) وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا (آياتان)

✽ اللفظة ✽

القنطار مأخوذ من القنطرة ومنه القنطر للداية لأنها كالقنطرة في عظم الصورة ويقال قنطر في الامر يقنطر إذا عظمه بتكثير الكلام فيه من غير حاجة اليه والبهتان الكذب الذي يواجه به صاحبه على وجه المكابرة له وأصله التحير من قوله فهت الذي كفر أي تحير لا تقطاع حجة فالبهتان كذب يحير صاحبه لعظمه والافضاء إلى شيء هو الوصول اليه باللامسة واصله من الفضاء وهو السمة فضا يفضو فضاء إذا اتسع

✽ الاعراب ✽

بهتاناً مصدر وضع موضع الحال وكذلك قوله وانما والمعنى أتأخذونه مباهتين وآتين

✽ المعنى ✽

لما حث الله على حسن مصاحبة النساء عند الامساك عقبه بيان حال الاستبدال فقال مخاطباً للزواج (وان اردتم) ايها الأزواج (استبدال زوج مكان زوج) اي اقامة امرأة مقام امرأة (وآتيتم احداهن) اي اعطيتم المطلقة التي تستبدلون بها غيرها (قنطاراً) أي مالا كثيرا على ما قيل فيه من انه ملاءمك ثور ذهاباً وانسه دية الإنسان أو غير ذلك من الأقوال التي ذكرناها في اول آل عمران (فلا تأخذوا منه) اي من الموثى أى المعطى (شيئاً) اي لا ترجعوا فيما اعطيتموهن من المهر إذا كرهتموهن وأردتم طلاقهن (أتأخذونه بهتاناً) هذا استفهام انكاري اي تأخذونه باطلا وظلماً كالظلم بالبهتان وقيل معناه أتأخذونه بانكار التملك وسهله بهتاناً لأن الزوج إذا انكر تملكه اياها بغير حق استوجب المعطى لها في ظاهر الحكم كان انكاره بهتاناً وكذباً (وإنما ميثاناً) أي ظاهراً لا شك فيه ومتى قيل في الآية لم خص حال الاستبدال بالنهي عن الاخذ مع ان الاخذ محرم مع عدم الاستبدال فجوابه ان مع الاستبدال قديتهم جواز الاسترجاع من حيث ان الثانية تقوم مقام الاولى فيكون لها ما اخذت الاولى فينبى تعالى ان ذلك لا يجوز وأزال هذا الاشكال والمعنى ان اردتم تخلية المرأة سواء استبدلتكم مكانها اخرى ام لم تستبدلوا فلا تأخذوا ما آتيتنوها شيئاً (وكيف تأخذونه) وهذا تعجب من الله تعالى وتعظيم اي عجا من فعلكم كيف تأخذون ذلك منهن (وقد افضى بعضكم الى بعض) وهو كناية عن الجماع عن ابن عباس ومجاهد والسدي وقيل المراد به الخلو الصحيحة وان لم يجامع فسمى الخلو افضاء لوصوله بها الى مكان الوط وكلا القولين قدرناه اصحابنا وفي تفسير الكلبي عن ابن عباس ان الافضاء حصوله معها في

خلف واحد جامعا او لم يجامعها فقد وجب المهر في الحالين (وأخذن منكم ميثاقا غليظا) قيل فيه قول
 ﴿ احدها ﴾ ان الميثاق الغليظ هو العهد المأخوذ على الزوج حالة العقد من امساك بمروف او تسريح باحسان عن
 الحسن وابن سيرين والضحاك وقتادة والسدي وهو المروي عن ابي جعفر (ع) ﴿ وثانيها ﴾ ان المراد به كلمة
 النكاح التي يستحل بها الفرج عن مجاهد وابن زيد ﴿ وثالثها ﴾ قول النبي (ص) اخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن
 بكلمة الله عن عكرمة والشعبي والربيع وقد قيل في هاتين الآيتين ثلاثة أقوال ﴿ احدها ﴾ انهما
 محكمتان غير منسوختين لكن للزوج ان يأخذ الفدية من المعتلة لأن النشوز حصل من جهتها فالزوج يكون في
 حكم المكره لا المختار للاستبدال ولا يتنافى حكم الآيتين وحكم آية الخلع فلا يحتاج الى نسخها بها وهو
 قول الاكثريين ﴿ وثانيها ﴾ انهما محكمتان وليس للزوج ان يأخذ من المعتلة شيئا ولا من غيرها لاجل ظاهر
 الآية عن بكير بن بكر بن عبد الله المزني ﴿ والثالث ﴾ ان حكمها منسوخ بقوله فإن خفتن ان لا يقيا
 حدود الله فلا جناح عليهما فيما اقتدت به عن الحسن

قوله تعالى (٢٢) وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ
 فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا (آية)

﴿ الفة ﴾

النكاح اسم يقع على العقد ومنه وانكحوا الايامى منكم ويقع على الوطء . ومنه الزاني لا ينكح الا زانية
 او مشرقة أي لا يبطأ بالحرام الا من يطاوعه ومنه ملعون من نكح يده وملعون من نكح بهيمة قال الشاعر
 كَبُرَ تَشَهُّيْ لَذِيذِ النِّكَاحِ وَتَفَرَّعَ مِنْ حَوَلَةِ النَّاكِحِ
 واصله الجمع ومنه انكحنا الفراء فسزى^(١) والمقت بغض عن امر قبيح يرتكبه صاحبه يقال مقت الرجل إلى
 الناس مقاته ومقته الناس يقته مقته فهو مقيت ومقوت ويقال ان ولد الرجل من امرأة أبيه كان يسمى المقتي
 ومنهم اشعث بن قيس وابو معيط جد الوليد بن عقبه

﴿ الاعراب ﴾

إلا ما قد سلف استثناء منقطع لأنه لا يجوز استثناء الماضي من المستقبل ونظيره لا تبع من مالي إلا ما بعته
 ولا تأكل إلا ما أكلت ومنه لا يذرفون فيها الموت إلا الموتة الاولى المعنى لكن ما قد سلف فلا جناح عليكم
 فيه وقال المبرد جاز ان يكون كان زائدة في قوله انه كان فاحشة فالمعنى انه فاحشة وانشد في ذلك قول الشاعر
 فَكَيْفَ إِذَا حَلَّتْ بِدَارِ قَوْمٍ وَجَبْرَانِ لَنَا كَانُوا كِرَامِ
 قال الزجاج هذا غلط منه لأنه لو كان زائدة لم يكن ينصب خبرها والدليل عليه البيت الذي انشده
 وجبران لنا كانوا كرام ولم يقل كراما قال علي بن عيسى إنما دخلت كان ليدل على ان ذلك قبل تلك الحال
 فاحشة ايضا كما دخلت في قوله وكان الله غفورا رحيا وقوله وساء سبيلا اي بشس طريقا ذلك الطريق فسبيلا
 منصوب على التمييز وفاعل ساء مضمرة يفسره الظاهر والمخصوص بالذم محذوف

﴿ النزول ﴾

قيل نزلت فيما كان يفضله اهل الجاهلية من نكاح امرأة الأب عن ابن عباس وقتادة وعكرمة وعطاء وقالوا
 تزوج صفوان بن امية امرأة ابيه فاختة بنت الاسود بن المطلب وتزوج حصين بن ابي قيس امرأة ابيه كيشة
 بنت معن وتزوج منظور بن ريان بن المطلب امرأة ابيه مليكة بنت خارجة قال اشعث بن سوار توفي ابو قيس وكان
 من صالحى الانتصار فخطب ابنه قيس امرأة ابيه فقالت اني اعدك ولدا وانت من صالحى قومك ولكني آتي

(١) مثل يضرب في التحذير من سوء العاقبة . والفراء : حمار الوحش .

رسول الله (ص) فاستأمره فأتته فأخبرته فقال لها رسول الله (ص) ارجعي إلى بيتك فأنزل الله هذه الآية

﴿ المنى ﴾

لما تقدم ذكر شرائط النكاح عقبه تعالى بذكر من تحل له من النساء ومن لا تحل فقال (ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء) أي لا تتزوجوا ما تزوج آباؤكم وقيل ما وطأ آباؤكم من النساء حرّم عليكم ما كان أهل الجاهلية يفظونه من نكاح امرأة الأب عن ابن عباس وقتادة وعطاء وعكرمة وقيل ان تقديره لا تنكحوا نكاح آباؤكم أي مثل نكاح آباؤكم فيكون ما نكح بنته المصدر وتكون ما حراً موصولاً فعلى هذا يكون النهي عن حلالة الآباء وكل نكاح كان لهم فاسد وهو اختيار الطبري وفي الوجه الأول يكون ما اسماً موصولاً يحتاج إلى عائد من صلته إليه قال الطبري ان الوجه الثاني أجود لأنه لو اراد حلالة الآباء قال لا تنكحوا من نكح آباؤكم وقد اجب عن ذلك بأنه يجوز ان يكون ذهب به مذهب الجنس كما يقول القائل لا تأخذ ما أخذ أبوك من الإماء فيذهب به مذهب الجنس ثم يفسره من (إلناقلسف) فإنكم لا تؤخذون به وقيل معناه إلا ما قد سلف فابره فهو جلتو لكم قال البلخي وهذا خلاف الاجماع وما علم من دين رسول الله (ص) وقيل معناه لكن ما سلف فاجتنبوه ودعوه عن قطرب وقيل إنما استثنى ما قد مضى ليعلم انه لم يكن مباحاً لهم (انه كان فاحشة) أي زنا (ومتناً) أي بنضاً يعني بوث بنض الله ويجوز ان يكون الهاء في انه عائد إلى النكاح بعد النهي فيكون معناه ان نكاح امرأة الأب فاحشة أي محرمة قبيحة ويجوز ان يكون عائداً إلى النكاح الذي كان عليه أهل الجاهلية أي انه كان فاحشة قبل هذا ولا يكون كذلك الا وقد قامت عليكم الحجة بتحريمه من قبل الرسول والاول اقوى وهذا اختيار الجبائي قال وتكون السلامة ما قد سلف في الاعتلاع منه بالتوبة والابانة قال البلخي وليس كل نكاح حرّمه الله يكون زناً لأن الزنا فعل مخصوص لا يجري على طريقة لازمة ولا سنة جارية ولذلك لا يقال للمشرّكين في الجاهلية اولاد زنا ولا لاولاد أهل الذمة والمعاهدين اولاد زنا إذ كان ذلك عقداً بينهم يتعارفونه وقوله (وساء سبيلاً) أي بش الطريق ذلك النكاح الفاسد وفي هذه الآية دلالة على ان كل من عقد عليها الأب من النساء تحرم على الابن دخول بها الأب أو لم يدخل وهذا اجماع فإن دخل بها الأب على وجه السفاح فهل تحرم على الابن ففيه خلاف وعوم الآية يقتضي انه يحرم عليه لأن النكاح قد يصبره من الرط وهو الأصل فيه كما يعبر به عن العقد فينبغي ان تحصل اللفظ في الآية على الأمرين وامرأة الأب وان علا تحرم على الابن وان سئل بلا خلاف

قوله تعالى (٢٣) حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم وأخواتكم وصمائكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة وأمّهات نسائكم وربائكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بين فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف إن الله كان غفوراً رحيماً (آية)

﴿ النمة ﴾

الربائب جمع ربيبة وهي بنت زوجة الرجل من غيره سميت بذلك لتدريته إياها فهي في معنى مربوبة نحو قتيلة في موضع مقولة ويجوز ان تسمى ربيبة سواء تولى تربيتها أو لم يتول وسواء كانت في حجره أو لم تكن لأنه إذا تزوج بأماهه وراثتها وهي ربيبة والعرب تسمى الناعلين والمتمولين بايتهم ثم يوقونهم يقولون هذا مقول وان لم

يقتل بعد وهذا ذبيح وان لم يذبح بعد إذا كان يراد ذبحه وقتله وكذلك يقولون هذا اضحية لما أعد للتضحية وهذه قنوبة وحلوبة اي هي ما تقب وتحلب وقد يقال لزوج المرأة ربيب ابن امرأته بمعنى انه ربه كما يقال شهيد وخير بمعنى شاهد وخبر والحلائل جمع الحليلة وهي بمعنى المحللة مشتقة من الحلال والذكر حليل وجمعه أحلة كعزيز وأغزة سميًا بذلك لأن كل واحد منها يحل له مباشرة صاحبه وقيل هو من الحلول لأن كل واحد منها يحال صاحبه اي يحل معه في الفراش

✽ المعنى ✽

ثم بين المحرمات من النساء فقال (حرمت عليكم امهاتكم) لا بد فيه من محذوف لأن التحريم لا يتعلق بالأعيان وإنما يتعلق بأفعال المكلف ثم يختلف باختلاف ما أضيف اليه فإذا أضيف إلى مأكول نحو قوله حرمت عليكم الميتة والدم فالمراد الأكل وإذا أضيف إلى النساء فالمراد العقد فالتقدير حرمت عليكم نكاح أمهاتكم فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه لدلالة مفهوم الكلام عليه وكل امرأة رجع نسبك اليها بالولادة من جهة ابيك أو من جهة أمك بإثبات رجعت اليها أو بذكور فهي أمك (وبناتكم) اي ونكاح بناتكم وكل امرأة رجع نسبها اليك بالولادة بدرجة أو درجات بإثبات رجوع نسبها اليك أو بذكور فهي بنتك (واخواتكم) هي جمع الأخت وكل أنثى ولدها شخص ولدك في الدرجة الأولى فهي أختك (وعماتكم) هي جمع العمة وكل ذكر رجع نسبك اليه فأخته عمك وقد تكون العمة من جهة الأم مثل أخت ابي امك وأخت جد امك فصاعدا (وخالاتكم) وهي جمع الخالة وكل أنثى رجع نسبك اليها بالولادة فأختها خالتك وقد تكون الخالة من جهة الأب مثل أخت ام ابيك أو أخت جدة ابيك فصاعداً وإذا خاطب تعالى المكلفين بلفظ الجمع كقوله حرمت عليكم ثم أضاف المحرمات بعده اليهم بلفظ الجمع فالأحاديث تقع بازاء الأحاد فكأنه قال حرمت على كل واحد منكم نكاح امه ومن يقع عليها اسم الأم ونكاح بنته ومن يقع عليها اسم البنت وكذلك الجميع (وبنات الأخ وبنات الأخت) فهذا ايضا على ما ذكرناه جمع بازاء جمع فيقع الأحاديث بازاء الأحاد والتحديد في هؤلاء كالتحديد في بنات الصلب وهو لا يسع من المحرمات بالنسب وقد صح عن ابن عباس انه قال حرمت الله من النساء سبعا بالسبب وتلا الآية ثم قال والسابعة ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء ثم ذكر سبحانه المحرمات بالسبب فقال (وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم) سمان امهات للمحرمات وكل أنثى انتسبت اليها باللبن فهي امك فالتى أرضعتك أو أرضعت امرأة أرضعتك أو رجلاً أرضعت بلبانه من زوجته أو أم ولد له فهي امك من الرضاعة وكذلك كل امرأة ولدت امرأة أرضعتك أو رجلاً أرضعتك فهي امك من الرضاعة (واخواتكم من الرضاعة) يعني بنات المرصعة وهن ثلاث الصغيرة الأجنبية التي أرضعتها امك بلبان ابيك سواء أرضعتها معك أو مع ولدها قبلك أو بعدك والثانية أختك لأنك دون ابيك وهي التي أرضعتها امك بلبان غير ابيك والثالثة أختك لأنك دون أمك وهي التي أرضعتها زوجة ابيك بلبان ابيك وأم الرضاعة وأخت الرضاعة لولا الرضاعة لم تحرما فإن الرضاعة سبب تحريمهما وكل من تحرم بالنسب من اللاتي مضى ذكرهن تحرم أمثالهن بالرضاع لقول النبي (ص) ان الله حرم من الرضاعة ما حرم من النسب فثبت بهذا الخبر أن السبع من المحرمات بالنسب على التفصيل الذي ذكره عمومات بالرضاع والكلام في الرضاعة يشتمل على ثلاثة فصول ✽ احدها ✽ مدة الرضاعة وقد اختلف فيها قال أكثر اهل العلم لا يحرم إلا ما كان في مدة الحولين وهو مذهب اصحابنا وبه قال الشافعي وابو يوسف ومحمد وقال ابو حنيفة مدة الرضاعة حولان ونصف وقال مالك حولان وشهر وانفقوا على ان رضاع الكبير لا يحرم ✽ وثانيها ✽ قدر الرضاعة وقد اختلف فيه ايضا فقال ابو حنيفة ان قليله وكثيره يحرم وروى ذلك عن ابن عمر وابن عباس

(١) القنوبة: الابل التي تجعل عليها القنب اي الرجل.

(٢) [بالنسب وسبعاً]

وهو مذهب مالك والاوزاعي وقال الشافعي إنما يحرم خمس رضعات وبه قالت عائشة وسعيد بن جبير وقال اصحابنا لا يحرم إلا ما انت اللحم وشد العظم وإنما يعتبر ذلك برضاع يوم وليلة لا يفصل بينه برضاع امرأة اخرى او بخمس عشرة رضة متواليات لا يفصل بينها برضاع امرأة اخرى وقال بعض اصحابنا المحرم عشر رضعات متواليات * وثالثها * كيفية الرضاع فند اصحابنا لا يحرم إلا ما وصل الى الجوف من الثدي في المجرى المعتاد الذي هو الفم فاما ما يوجر او يسمط او يحقن به فلا يحرم بحال ولبن الميتة لا حرمة له في التحريم وفي جميع ذلك خلاف وقوله (وامهات نسائكم) اي حرم عليكم نكاحهن وهذا ينضم تحريم نكاح امهات الزوجات وجداتهن قريبن او بعدن من امي وجه كمن سواه كمن النسب او من الرضاع وهن يحرم من بنفس العقد على البنت سواء دخل بالبنت او لم يدخل لأن الله تعالى اطلق التحريم ولم يقيد بالدخول (وربائكم) يعني بنات نسائكم من غيركم (اللاتي في حجوركم) وهو جمع حجر الانسان والمعنى في ضمانكم وتربيتكم ويقال فلان في حجر فلان اي في تربيته ولا خلاف بين العلماء ان كونهن في حجره ليس بشرط في التحريم وإنما ذكر ذلك لأن الغالب انها تكون كذلك وهذا يقتضي تحريم بنت المرأة من غير زوجها على زوجها وتحريم بنت ابنا وبنت بنتها قريت ام بعدت لوقوع اسم الريبة عليهن (من نسائكم اللاتي دخلتم بهن) وهذه نساء الرائب لا غير لحصول الاجماع على ان الريبة تحل اذا لم يدخل بأهراق المبرد واللاتي دخلتم بهن نمت للنساء اللواتي هن امهات الرائب لا غير والدليل على ذلك اجماع الناس على ان الريبة تحل اذا لم يدخل بأهراق ومن اجاز ان يكون قوله من نسائكم اللاتي دخلتم بهن هو لامهات نسائكم فيكون المعنى وامهات نسائكم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن ويخرج ان اللاتي دخلتم بهن لامهات الرائب قال الزجاج والدليل على صحة ذلك ان الخبرين اذا اختلفا لم يكن نتهما واحدا لا يميز النحويون مررت بنسائك وهربت من نساء زيد الظريقات على ان تكون الظريقات نساء لولا النساء وهو لولا النساء وروى العياشي في تفسيره باسناده عن اسحاق بن عمار عن جعفر بن محمد عن ابيه (ع) قال ان عليا كان يقول الرائب عليكم حرام من الامهات اللاتي قد دخلتم بهن كن في الحجور أو في غير الحجور والامهات مبهمات دخل بالبنات أو لم يدخل بهن فحرموا ما حرم الله واهموا بما بهما الله واختلف في معنى الدخول على قولين * واحدهما * ان المراد به الجماع عن ابن عباس * والآخر * انه الجماع وما يجري مجراه من المسيس والتجريد عن عطاء وهو مذهبنا وفي ذلك خلاف بين الفقهاء (فان لم تكونوا دخلتم بهن) يعني بأم الريبة (فلا جناح عليكم) اي لا اثم عليكم في نكاح بناتهن اذا طلقتموهن او متن (وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم) اي وحرمت عليكم نكاح ازواج ابنائكم ثم ازال الشبهة في امر زوجة المتبني به فقال الذين من اصلابكم لتلا يظن ان زوجة المتبني به تحرم على المتبني وروي عن عطاء ان هذه نزلت حين نكح النبي امرأة زيد بن حارثة قال المشركون في ذلك فنزل وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم وقوله وما جعل ادعياءكم ابنائكم وما كان محمد ابنا احد من رجالكم واما حلائل الأبناء من الرضاعة فحرمت ايضا بقوله ان الله حرم من الرضاعة ما حرم من النسب (وان تجمعوا بين الاختين) اي وحرمت عليكم الجمع بين الاختين لأن أن مع صلتها في حكم المصدر وهذا يقتضي تحريم الجمع بين الاختين في العقد على الحرائر وتحريم الجمع بينهما في الوطء بمالك لليمين فاذا وطئ احدهما فقد حرمت عليه الأخرى حتى تخرج تلك من ملكه وهو قول الحسن واكثر المفسرين والفقهاء (الا ما قد سلف) استثناء منقطع ومبناه لكن ما قد سلف لا يؤخذكم الله به وليس المراد به ان ما قد سلف حال النهي يجوز

استدامته بلا خلاف وقيل معناه إلا ما كانت من يعقوب اذ جمع بين الاختين ليام هوذا وراجل ام يوسف عن عطا والسدي ان الله كان غفورا رحيا لا يؤخذكم الله بحكم ماقد سلف من هذه الانكحة قبل نزول التحريم وكل ما حرم الله في هذه الآية فإنما هو على وجه التأييد سواء كن مجتمعات او متفرقات إلا الاختين فإنها يحرمان على وجه الجمع دون الانفراد ويمكن ان يستدل بهذه الآية على ان هؤلاء المحرمات من ذوات الأنساب لا يصح لمن تملك واحدة منهن لأن التحريم عام والمحرمات بالنسب او السبب على وجه التأييد يستون مبهمات لأنهن يحرم من جميع الجهات وهي مأخوذة من البيهيم الذي لا يطعم معظم لونه لون آخر يقال فرس بهيم لا شبة له (ان الله كان غفورا) يفر الزنوب (رحيا) يرحم العباد المؤمنين قوله تعالى (٢٤) وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (آية)

✽ القراءة ✽

قرأ الكسائي وحده والمحصنات ومحصنات في سائر القرآن بكسر الصاد إلا قوله والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيانكم فإنه فتح الصاد فيه وقرأ الباقون بفتح الصاد في كل القرآن وقرأ أهل الكوفة إلا ابا بكر و ابا جعفر واحل لكم بالضم وكسر الحاء وقرأ الباقون بفتح الهمزة والحاء

✽ الحجة ✽

وقع الاتفاق على فتح العين من قوله والمحصنات في هذه الآية ومعناها النساء اللاتي احصن بالازواج والاحصان يقع على الحرة يدل عليه قوله الذين يرمون المحصنات الآية يعني الحرائر لأن من قذف غير حرة لم يجلد ثمانين ويقع ايضا على العفة يدل عليه قوله ومريم ابنة عمران التي احصنت فرجها وقد فسر قوله ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات بالمعانف ويقع على التزويج كما في الآية ويقع على الاسلام كما فسر من قرأ فإذا احصن بفتح الهمزة بأسلمن واصل الجميع المنع لأن الحرية تمنع عن امتنان الرق والعة حظر النفس عما حظره الشرع والتزوج في المرأة يحظر خطبتها التي كانت مباحة قبل ويمنع تصديها للتزويج والاسلام يحظر الدم والمال اللذين كانا مباحين قبل الاسلام ومن قرأ واحل لكم ما وراء ذلكم قال بناء الفعل للفاعل اشبه بما قبله لأن معنى كتاب الله عليكم كتب كتابا والله احل لكم ومن قرأ واحل لكم قال انه في المعنى يوول إلى الأول وفيه مراعاة ما قبله وهو قوله حرمت عليكم

✽ اللغة ✽

قال الأزهرى يقال للرجل إذا تزوج احصن فهو محصن كقولهم الفجح فهو مفلج واسهب فهو مسهب إذا أكثر الكلام وكلام العرب كله على افعال فهو مفعيل وقال سيويه حصنت المرأة حصنا فهي حصيات مثل جبن جينا فهو جبان وقد قالوا حصنا كما قالوا اعلموا والحصان الفحل من الافراس واحصن الرجل امرأته واحصنت المرأة فرجها من الفجور والسافحة والسفاح الزنا اصله من السفح وهو صب الماء لأنه يصب الماء

(١) قالوا هذا احد ما جاء على افعال فهو مفعول كملفج من قولهم الفجح بمعنى افلس وقياسه مفلج بكسر الفاء .

باطلا وصفح الجبل اسفله لأنه يصب الماء منه وقال الزجاج المسافحة والسفاح الزانيان لا يمتنان من احد
فلذا كانت تزني بواحد فهي ذات خيّن

الاعراب

كتاب الله نصب على المصدر من فعل محذوف وأصله كتب الله كتابا عليكم ثم اضر الفعل لدلالة ما تقدم
من الكلام عليه وهو قوله حرمت عليكم فآونه يدل على ان ما هو مذكور مكتوب عليهم فبقي كتاب الله
عليكم ثم اضيف المصدر إلى الفاعل كما اضيف إلى المفعول في قولهم ضرب زيد ومثل ذلك قوله صنع الله الذي
وعلى ذلك قول الشاعر

مَا إِنْ يَمَسَّ الْأَرْضَ إِلَّا جَانِبٌ مِنْهُ وَحَرْفُ السَّاقِ طَيِّ الْمَحْمَلِ

لأن ما في البيت يدل على انه طيان فكان تقديره طوى طوى المحمل وقال الزجاج يجوز ان يكون منصوبا
على جهة الأمر ويكون المعنى الزموا كتاب الله ولا يجوز أن يكون منصوبا بعليكم لأن عليكم لا يجوز تقديم
منصوبه وقوله ما وراء ذلكم ما اسم موصول في موضع نصب بأنه مفعول على قراءة من قرأ وأحل لكم بفتح
الهمزة ومن قرأ وأحل بالضم فحل رفع ويجوز ان يكون محل ان تبتغوا نصبا على البدل من ما ان كان منصوب
لموضع او رفا ان كان محله رفا ويجوز ان يكون على حذف اللام من لأن تبتغوا على ما مر امثاله فيما مضى
فيكون مفعولا له محصنين نصب على الحال وذو الحال الواو من تبتغوا غير مسافحين صفة لمحصنين وفريضة نصب
على المصدر ويجوز ان يكون مصدرا في موضع الحال أي مفروضة

المعنى

ثم عطف سبحانه على ما تقدم ذكرهن من المحرمات فقال (والمحصنات) أي وحرمت عليكم اللاتي احسن
(من النساء) واختلف في معناه على اقوال (احدها) ان المراد به ذوات الأزواج (إذ ما ملكت أيمانكم)
من سبي مسن كان له زوج عن علي (ع) وابن مسعود وابن عباس ومكحول والزهري استدل بعضهم على ذلك
بجهد أبي سعيد الخدري ان الآية نزلت في سبي او طاس وان المسلمين اصابوا نساء المشركين وكان لهن أزواج في
دار الحرب فلما نزلت نادى متادي رسول الله (ص) ألا لا توطأ الحبال حتى يسنن ولا غير الحبالى حتى يستبرئن
بحيضة ومن خالف فيه ضعف هذا الخبر بأن سبي او طاس كانوا عبدة الأوثان لم يدخلوا في الإسلام ولا يحل
نكاح الرثنية وأجيب عن ذلك بأن الخبر معمول على ما بعد الإسلام وثالثها ان المراد به ذوات الأزواج
إلا ما ملكت أيمانكم ممن كان لها زوج لأن بينهما طهقها عن أبي بن كعب وطار بن عبد الله وأنس وابن المسيب
والحسن وقال ابن عباس طلاق الأمة يثبت بستة اشياء سبها وبيعها وعتقها وميراثها وطلاق زوجها وهو
الظاهر من روايات اصحابنا وقال عمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن عوف ليس يبيع الأمة طلاقها بل طلاقها كطلاق
الحرمة وإنما هو في النبي خاصة لأن النبي خير بريرة بعدما اعتقها عائشة ولو بانتهى بالعتق لم يصح تبيدها وقال
الأولون ان زوج بريرة كان عبداً ولو كان حراً لم يبيدها النبي (ص) وثالثها ان المراد بالمحصنات الغائف إلا
ما ملكت أيمانكم بالنكاح او بالثن ملك استمتاع بالمهر والنفقة او ملك استخدام بالثن عن أبي العالية وسعيد
ابن جبير وعطاء والسدي (كتاب الله عليكم) يعني كتب الله تعريم ما حرم وتحليل ما حلل عليكم كتابا فلا
تخالفوه وتسكوا به وقوله (وأحل لكم ما رآه ذلكم أن تبتغوا بأموالكم) قيل في معناه اريمة اقوال «احدها» أحل
لكم ما وراء ذات المحارم من اقاربكم عن عطاء «وثانيها» ان معناه أحل لكم ما دون الخمس وهي الاربع
فما دونها أن تبتغوا بأموالكم على وجه النكاح عن السدي «وثالثها» ما وراء ذلكم مما ملكت أيمانكم عن قتادة

(١) حالكونه يصف رجلا بالضم (٢) حرف كل شي : حده وطره . الطيان : الضامر وإصله من طوى بمعنى
الجوع . اليعتل واحد الصامل : علاقة السيف

«ورابها» أحل لكم ما وراء ذات المحارم والزيادة على الأربع أن تبتغوا بأموالكم نكاحا أو ملك يمين وهذا الوجه أحسن الوجوه ولاتنافي بين هذه الأقوال ومعنى أن تبتغوا أن تطلبوا أو تلتمسوا بأموالكم اما شراء بضعن أو نكاحا بصداف عن ابن عباس (محصنين غير مسافحين) أي متزوجين غير زانين وقيل معناه أعتقه غير زناة وقوله (فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن قريضة) قيل المراد بالاستمتاع هنا درك البنية والمباشرة وقضاء الوطر من اللذة عن الحسن ومجاهد وابن زيد والسدي فمعناه على هذا فاستمتعتم أو لذتتم من النساء بالنكاح فآتوهن مهورهن وقيل المراد به نكاح المتعة وهو النكاح المنعقد بغير معين إلى أجل معلوم عن ابن عباس والسدي وابن سعيد وجماعة من التابعين وهو مذهب اصحابنا الإمامية وهو الواضح لأن لفظ الاستمتاع والتمتع وإن كان في الأصل واقعا على الانتفاع والالتذاذ فقد صار يعرف الشرع مخصوصا بهذا العقد المعين لاسيما إذا أضيف إلى النساء فلي هذا يكون معناه فتمت عقدهم عليهن هذا العقد المسمى متعة فآتوهن أجورهن ويدل على ذلك ان الله علق وجوب اعطاء المهر بالاستمتاع وذلك يقتضي ان يكون معناه هذا العقد المخصوص دون الجماع والاستلذاذ لأن المهر لا يجب إلا به هذا وقد روي عن جماعة من الصحابة منهم أبي بن كعب وعبد الله بن عباس وعبد الله بن مسعود انهم قرأوا فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى فآتوهن أجورهن وفي ذلك تصريح بأن المراد به عقد المتعة وقد أورد الثعلبي في تفسيره عن حبيب بن ابي ثابت قال اعطاني ابن عباس مصحفا فقال هذا على قراءة ابي فرأيت في المصحف فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى وبإسناده عن ابي نضرة قال سألت ابن عباس عن المتعة قال اما قرأ سورة النساء فقلت بلى فقال فما قرأ فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى قلت لا اقرؤها هكذا قال ابن عباس والله هكذا انزلها الله تعالى ثلاث مرات وبإسناده عن سعيد بن جبير انه قرأ فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى وبإسناده عن شعبة عن الحكم بن الحكم بن عتيبة قال سألت عن هذه الآية فما استمتعتم به منهن أمسوخة هي قال الحكم قال علي بن ابي طالب لولا ان عمر نهى عن المتعة ما زنى إلا شقي وبإسناده عن عمران بن الحصين قال نزلت آية المتعة في كتاب الله ولم تنزل آية بعدها تنسخها فأمرنا رسول الله وتمتنا مع رسول الله (ص) ومات ولم ينهنا عنها فقال بعد رجل برأيه ما شاء وبما أورده مسلم بن حجاج في الصحيح قال حدثنا الحسن الحلواني قال حدثنا عبد الرزاق قال اخبرنا ابن جريج قال قال عطاء قدم جابر بن عبد الله معتمرا فبحثناه في منزله فسأله القوم عن اشياء ثم ذكروا المتعة فقال نعم استمتنا على عهد رسول الله وابي بكر وعمر وبما يدل ايضا على ان لفظ الاستمتاع في الآية لا يجوز ان يكون المراد به الانتفاع والجماع انه لو كان كذلك لوجب ان لا يلزم شيء من المهر من لا ينتفع من المرأة بشيء وقد علمنا انه لو طلقها قبل الدخول لزمه نصف المهر ولو كان المراد به النكاح الدائم لوجب للمرأة بحكم الآية جميع المهر بنفس العقد لأنه قال فآتوهن أجورهن أي مهورهن ولا خلاف في ان ذلك غير واجب وإنما تجب الأجرة بكمالها بنفس العقد في نكاح المتعة وبما يمكن التعلق به في هذه المسألة الرواية المشهورة عن عمر بن الخطاب انه قال متعتان كانتا على عهد رسول الله حلالا وأنا نهى عنهما وعاقب عليهما فأخبر بأن هذه المتعة كانت على عهد رسول الله اضاف النهي عنها إلى نفسه لضرب من الرأي فلو كان النبي (ص) نسخها أو نهى عنها أو اباحها في وقت مخصوص دون غيره لأضاف التحريم إليه دون نفسه وايضا فإنه قرن بين

تمتع الحج وتمتع النساء في النهي ولا خلاف ان تمتع الحج غير منسوخة ولا محرمة فوجب ان يكون حكم تمتع النساء حكما وقوله (ولا جناح عليكم فيما تراضيتن به من بعد الفريضة) من قال ان المراد بالاستمتاع الانتفاع والجماع قال المراد به لا حرج ولا إثم عليكم فيما تراضيتن به من زيادة مهر او نقصانه او حظا او ابرا او تأخير وقال السدي معناه لا جناح عليكم فيما تراضيتن به من استئناف عقد آخر بعد انقضاء مدة الاجل المضروب في عقد التمتع بزبدها الرجل في الأجر وتزبده في المدة وهذا قول الإمامية وتظاهرت به الروايات عن أئمتهم (ان الله كان عليا) بما يصلح امر الخلق (حكيا) فيما فرض لهم من عقد النكاح الذي يحفظ الاموال والانساب

قوله تعالى (٢٥) وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكَحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فِتْيَانِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَأَنْتُمْ أَجُورُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أَحْصَيْتُمْ فَإِنْ أُتِنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (آية)

✽ القراءة ✽

قرأ أهل الكوفة غير حفص فإذا أحصن مفتوحة الهزرة والباقون أحصن بضم الهزرة وكسر الصاد

✽ اللفظة ✽

الطول الغناء وهو مأخوذ من الطول خلاف القصر شبه الغني به لأنه ينال به معالي الأمور والتطول الإفضال بالمال والتطاول على الناس التفضل عليهم وكذلك الاستطالة وطال فلان فلانا كلفنا إذا فضله في القدرة يقال طاولته فطلته ولم يحل منه فلان بطائل اي بشي له من أي فضل وطالت طولك وطيلك أي طالت مدتك قال الشاعر

إِنَّا مَحْبُوكَ فَاسْلَمَ أَيُّهَا الطَّلَلُ (١)
وَإِنْ بَلَيْتَ وَإِنْ طَالَتْ بِكَ الطَّلِيلُ

والطول الجبل قال طرفة

لَعَمْرُكَ إِنَّ الْمَوْتَ مَا أَخْطَأَ الْفَتَى
لَكَ الطَّلُولُ الْمُرْخِي وَثِيَاءَهُ بِالْيَدِ (٢)

والفتى الشاب والفتاة الشابة والفتاة الأمة وإن كانت عجوزا إلا انها كالصغيرة في انها لا توقر توقير الحرمة والفتوة حالة الحدائث ومنه الفتيا تقول الفتى بفتي لأنه في مسألة حادثة والخدن الصديق وجمعه اخدان نحو ترزب وأتراب ويستوي فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع والخدين بمعنى العنت الجهد والشدة وائمة عنوت صعبة المرتقى قال المبرد العنت الهلاك

✽ المعنى ✽

ثم بين تعالى نكاح الإماء فقال (ومن لم يستطع منكم طولا) أي لم يجد منكم غنى عن ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة والسدي وهو المروي عن ابي جعفر (ع) (ان ينكح) أي يتزوج (المحصنات

(١) الطلل: الطرى من كل شى. (٢) ثنيا الجبل: طرفاه بمعنى الفتى لا بدله من الموت وان انسى في اجله كما ان الدابة وان طول له طول له وارضى له فيه حتى يرود في مرتبه ويجهى وينهب فانه غير منفك لا حراز طرف الطول اياه.

المؤمنات) أي الحرائر المؤمنات يعني لم يقدر على شيء مما يصلح لنكاح الحرائر من المهر والنفقة (فمن ما ملكت أيمانكم) أي فليتكح مما ملكت أيمانكم (من فتياتكم المؤمنات) أي إيمانكم فإن مهر الإماء أقل وموتهن أخف في المادة والمراد به إمام الذير لأنه لا يجوز أن يتزوج الرجل بأمة نفسه بالاجماع وقيل إن المعنى من الأمة فله أن يتزوجها وإن كان ذابسار عن جابر وعطاء وإبراهيم وربيعة والقول الأول هو الصحيح وعليه أكثر الفقهاء وفي الآية دلالة على أنه لا يجوز نكاح الأمة الكتابية لأنه قيد جواز العقد عليهن بالإيمان بقوله من فتياتكم المؤمنات وهذا مذهب مالك والشافعي (والله أعلم بإيمانكم) أراد بهذا بيان أنه لم يؤخذ علينا إلا بأن تأخذ بالظاهر في هذا الحكم إذ لا سبيل لنا إلى الوقوف على حقيقة الإيمان والله هو المنفرد بعلم ذلك ولا يطلع عليه غيره فإنه العالم بالسرائر المطلع على الضائر (بعضكم من بعض) قيل فيه قولان «أحدهما» إن المراد به كلكم ولد آدم فلا تستنكفوا من نكاح الإماء فإنهن من جنسكم كالحرائر «والآخر» إن معناه كلكم على الإيمان ودينكم واحد فلا ينبغي أن يبر بعضكم ببعضاً بالمهجنة نهي الله عن عادة أهل الجاهلية في الطعن والتعير بالإماء (فانكحوهن) يعني الفتيات المؤمنات أي تزوجوهن (بإذن أهلهن) أي بأمر سادتهن وهو اليمين وفي هذا دلالة على أنه لا يجوز نكاح الأمة بغير إذن مالكا (وأوروهن) أجورهن أي أعطوا مالكن مهرهن (بالمعروف) أي بما لا ينكر في الشرع وهو ما تراضى عليه الأهلون ووقع عليه العقد وقيل معناه من غير مغل وضرار (محصنات) أي عفائف يريد تزوجوهن عفائف (غير مسافحات) أي غير زوان وقيل معناه متزوجات غير زانيات وقد قرئ محصنات ومحصنات بفتح الصاد وكسرهما على ما مر ذكره في الآية الأولى (ولا متخذات اخدان) أي اخلاء في السر لأن الرجل مهم كان يتخذ صدقة فيزني بها والمرأة تتخذ صدقة فتزني به وروي عن ابن عباس أنه قال كان قوم في الجاهلية يجرمون ما ظهر من الزنا ويستحلون ما خفي منه فنهى الله عن الزنا سرّاً وجهاً فلي هذا يكون المراد بقوله غير مسافحات ولا متخذات اخدان غير زانيات لا سرّاً ولا جهاً (فإذا أحصن) من قرأ بقسم المهزلة معناه فإذا زوجن فأحصنهن أزواجهن وهو بمنى تزوجن عن ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وقادة ومن قرأ بالفتح فعناه أسلمن عن عمر بن الخطاب وابن مسعود وإبراهيم والشمي والسدي وقال الحسن يحصنها الزوج ويحصنها الإسلام (فإن أتين بفاحشة) أي زنين (فليهن نصف ما على المحصنات من العذاب) أي نصف ما على الحرائر من حد الزنا وهو خمسون جلدة نصف حد الحرّة (ذلك) إشارة إلى نكاح الأمة عند عدم الطول (لمن خشى العنت منكم) يعني الزنا وهو أن يخاف أن تحمله شدة الشبق على الزنا فيلقى الحد في الدنيا أو العذاب في الآخرة وعليه أكثر المفسرين وقيل معناه لمن يخاف أن يهواها فيزني بها وقيل معنى العنت الضرر الشديد في الدين أو الدنيا لغلبة الشهوة والأول أصح (وإن تصبروا خير لكم) معناه وصبركم عن نكاح الإماء وعن الزنا خير لكم وإن تصبروا مبتدأ وخبر خبره (والله غفور) لذنوب عباده (رحيم) بهم وفادته أن من لم يصبر عما أسر بالصبر عنه ثم تاب غفر الله له ورحمه واستدلت الجوارح بهذه الآية على إطلاق الرجم قالوا إن الرجم لا يمكن تبيضه وقد قال فليهن نصف ما على المحصنات من العذاب فلعننا إن الرجم لا أصل له والجواب عن ذلك إذا كان المراد بالمحصنات الحرائر سقط هذا القول وبذلك على ذلك قوله في أول الآية وعن لم يستطع منكم طويلاً إن ينكح المحصنات المؤمنات ولا شك أنه أراد بها الحرائر

والمغائف لأن اللاتي لمن ازواج لا يمكن العقد عليهن على ان في الناس من قال ان المحصنات هنا المراد بها الحرائر دون المغائف لأنه لو كان مختصا بالمغائف لما جاز العقد على غيرهن ومعلوم ان ذلك جائز هذا والرجم اجتمعت الأمة على انه من احكام الشرع وتواتر المسلمون بأن النبي (ص) رجم ملعون بن مالك الأسلمي ورجم يهودياً ويهودية ولم يختلف فيه الفقهاء من عهد الصحابة الى يومنا هذا فخلافاً للخوارج في ذلك شاذ عن الاجماع فلا يستدبه

قوله تعالى (٢٦) يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبينَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٢٧) وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ لَا يَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا (٢٨) يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا (ثلاث آيات)

✽ الإعراب ✽

ذكر في اللام من قوله ليبين لكم ثلاثة اقوال «احدها» ان معناه ان وان تأتي مع امرت و اردت لأنها تطلب الاستقبال فلا يجوز اردت ان قمت فلما كانت ان في سائر الافعال تطلب الاستقبال استوفوا لها باللام وربما جمعا بين اللام وكي لتأكيد الاستقبال قال الشاعر

أَرَادَتْ لِكَيْمًا لَا تَرَى لِي عَثْرَةً
وَمَنْ ذَا الَّذِي يَعْطَى الْكَمَالَ فَيَكْمَلُ

وهذا قول الكسائي والفراء وانكره الزجاج وانشد

أَرَدْتُ لِكَيْمًا يَعْلَمُ النَّاسُ أَنَّهَا
سَرَاوِيلٌ قَيْسٍ وَالْوَفُودُ شُهُودٌ

قال ولو كانت اللام بمعنى ان لم تدخل على كي كما لا تدخل ان على كي قال ومذهب سيبويه واصحابه ان اللام دخلت هنا على تقدير المصدر أي لارادة البيان نحو قوله تعالى ان كنتم للرويا تعبرون أي ان كانت عباراتكم للرويا وكذلك قوله والذين هم لربهم يرهبون أي رهبتم لربهم قال كثير

أُرِيدُ لِأَنْسِي ذِكْرَهَا فَكَأَنَّمَا
تَمَثَّلَ لِي لَيْلِي بِكُلِّ سَبِيلٍ

والقول الثالث ان بعض النحويين ضعف هذين الوجهين بأن جعل اللام بمعنى ان لم تقم به حجة قاطعة وحمله على المصدر يقتضي جواز ضربت لزيد بمعنى ضربت زيدا وهذا لا يجوز ولكن يجوز في التقديم دون التأخير نحو لزيد ضربت والرويا تعبرون ولأن عمل الفعل في التقديم يضعف كعمل المصدر في التأخير ولذلك لم يجوز إلا في المتصرف فلما ردف لكم فعل تأويل ردف ما ردف لكم وعلى ذلك يريد ما يريد لكم وكذلك قوله وأمرنا لنسلم أي أمرنا بما أمرنا لنسلم وهذه الأقوال كلها مضطربة والوجه الصحيح فيه ان مفعول يريد محذوف تقديره يريد الله تبصيركم ليبين لكم

✽ المعنى ✽

ثم بين تعالى بعد التحليل والتحريم انه يريد بذلك مصالحنا ومنافعنا فقال الله تعالى (يريد الله) ما يريد (ليبين لكم) احكام دينكم ودنياكم وأمور معاشكم ومعادكم (ويهديكم سنن الذين من قبلكم) فيه قولان ✽ احدهما ✽ يهديكم إلى طريق الذين كانوا من قبلكم من اهل الحق والباطل

لتكونوا مقتدين بهم متبعين آثارهم لا لكم فيه من المصلحة * والآخر * سنن الذين من قبلكم من اهل الحق والباطل لتكونوا على بصيرة فيما تفعلون وتجتنبون من طرائقهم (ويتوب عليكم) اي ويقبل توبتكم ويقال يريد التوبة عليكم بالدعاء اليها والحث عليها وتيسير السبيل اليها وفي هذا دلالة على بطلان مذهب المجبرة لانه بين تعالى انه لا يريد الا الخير والصلاح (والله عليم حكيم) مر تفسيره (والله يريد ان يتوب عليكم) اي يطف في توبتكم ان وقع منكم ذلك وقيل يريد ان يوفقكم لها ويقوي دواعيكم اليها (وبريد الذين يتبعون الشهوات) فيه اقوال - «احدها» - ان المعنى بذلك جميع المبطلين فان كل مبطل متبع شهوة نفسه في باطله عن ابن زيد - «وثانيها» - ان المراد بذلك الزناة عن مجاهد - «وثالثها» - انهم اليهود والنصارى عن السدي - «ورابعها» - انهم اليهود خاصة اذ قالوا ان الأخت من الأب حلال في التوراة والقول الأول اقرب (ان تملوا ميلا عظيما) اي تعدلوا عن الاستقامة عدولا يتبنا بالاستكثار من المعصية وذلك ان الاستقامة هي المؤدية إلى الثواب والفوز من العقاب والميل عنها يؤدي إلى الهلاك واستحقاق العذاب واذا قيل لم كرر قوله تعالى يتوب عليكم فجوابه انه للتأكيد وايضا فان في الاول بيان انه يريد الهداية والانبابة وفي الثاني بيان ان إرادته خلاف إرادة أصحاب الأهواء وايضا انه اتى في الثاني بأن ليزول الإيهام انه يريد ليتوب ولا يريد ان يتوب وإنما قال تعالى ميلا عظيما لأن العاصي يأنس بالعاصي كما يأنس المطيع بالمطيع ويسكن الشكل إلى الشكل ويألف به ولأن العاصي يريد مشاركة الناس اياه في المعصية ليسلم عن ذمهم وتوبيخهم ونظيره قوله تعالى ودوا لو تدهن فيدهنون ودوا لو تكفرون كما كفروا وفي المثل من احرق كدسه^(١) تمنى احراق كدس غيره وعلى هذا جبلت القلوب (يريد الله ان يخفف عنكم) يعني في التكليف في امر النساء والنكاح بإباحة نكاح الإماء عن مجاهد وطاوس ويجوز ان يريد التخفيف بقبول التوبة والتوفيق لها ويجوز ان يريد التخفيف في التكليف على العموم وذلك انه تعالى خفف عن هذه الامة ما لم يخفف عن غيرها من الامة الماضية (وخلق الانسان ضعيفا) في امر النساء وقلة الصبر عنهن وقيل خلق الانسان ضعيفا يستمبله هواء وشهوته ويستشيطه خوفه وحرته

قوله تعالى (٢٩) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (٣٠) وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصَلِّيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (آيَاتان)

﴿ القراة ﴾

قرأ أهل الكوفة تجارة نصباً والباقون بالرفع

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي من رفع فقديره الا ان تقع تجارة فالاستثناء منقطع لأن التجارة عن تراض ليس من اكل المال بالباطل ومن نصب تجارة احتيل ضربين «احدها» إلا ان تكون التجارة تجارة عن تراض ومثل ذلك قول الشاعر «إذا كان يوماً ذاكواكب أشنعاً» أي إذا كان اليوم يوماً «والآخر» إلا ان تكون الأموال أموال تجارة فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه فالاستثناء على هذا الوجه ايضاً منقطع

(١) الكدس بالضم : العيب المحصور المجموع ويقال له بالفارسية «خرمن» (٢) كنى الكواكب عن السيوف لبريقها .
يوم اشنع : قبيح .

المعنى

لما بين سبحانه تحريم النساء على غير الوجوه المشروعة عقبه بتحريم الاموال في الوجوه الباطلة فقال (يا ايها الذين آمنوا) اي صدقوا الله ورسوله (لا تأكلوا اموالكم بينكم) ذكر الأكل وأراد سائر التصرفات وإنما خص الأكل لأنه معظم المنافع وقيل لأنه يطلق على وجوه الانفاقات اسم الأكل يقال اكل ماله بالباطل وان انفق في غير الأكل ومعناه لا يأكل بضعكم أموال بعض وفي قوله (بالباطل) قولان «احدها» انه الربا والتمار والبخس والظلم عن السدي وهو المروي عن الباقر «والآخر» ان معناه بغير استحقاق من طريق الاعراض عن الحسن قال وكان الرجل منهم يتحرج عن ان يأكل عند أحد من الناس بعد ما نزلت هذه الآية الى ان نسخ ذلك بقوله في سورة النور وليس عليكم جناح ان تأكلوا من بيوتكم الى قوله ان تأكلوا جميعا او اشتاتا والأول هو الأقوى لأن ما اكل على وجه مكارم الأخلاق لا يكون اكلا باطلا «وثالثها» ان معناه اخذه من غير وجهه وصرفه فيما لا يحل له (الا ان تكون تجارة) اي مبايعة ثم وصف التجارة فقال (عن تراض منكم) اي يرضى كل واحد منكما بذلك وقيل في معنى التراضي في التجارة قولان «احدها» انه امضاء البيع بالتفرق او التخاير بعد العقد وهو قول شريح والشعبي وابن سيرين ومذهب الشافعي والامامية لقوله البيهقي بان خيار ما لم يتفرقا او يكون بيع خيار وربما قالوا ويقول احدها للآخر اختر «والثاني» انه البيع بالعقد فقط عن مالك وابي حنيفة (ولا تقتلوا انفسكم) فيه اربعة أقوال «احدها» ان معناه لا يقتل بضعكم بضا لأنكم اهل دين واحد وانتم كنفس واحدة كقوله سلموا على انفسكم عن الحسن وعطا والسدي والجبائي «وثانيها» انه نهى الانسان عن قتل نفسه في حال غضب او ضجر عن ابي القاسم البلخي «وثالثها» ان معناه لا تقتلوا انفسكم بأن تهلوها بارتكاب الآثام والعدوان في اكل المال بالباطل وغيره من المعاصي التي تستحقون بها العذاب «ورابعها» ما روي عن ابي عبد الله (ع) ان معناه لا تتخاطروا بنفوسكم في القتال فقاتلوا من لا تطيقونه (ان الله كان بكم رحيمًا) اي لم يزل بكم رحيمًا وكان من رحمته ان حرم عليكم قتل الانفس وافساد الأموال (ومن يفعل ذلك) قيل ان ذلك إشارة إلى اكل الأموال بالباطل وقتل النفس بغير حق وقيل إشارة إلى المحرمات في هذه السورة من قوله يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها وقيل إشارة إلى فعل كل ما نهى الله عز وجل عنه من أول السورة وقيل إلى قتل النفس المحرمة خاصة عن عطا (عدوانًا وظلمًا) قيل هما واحد واتي بها لاختلاف اللفظين كما قال الشاعر «والفئ قَوْلها كِذبا وَمِنا» وقيل العدوان تجاوز ما امر الله به والظلم ان يأخذه على غير وجه الاستحقاق وقيل إنما قيده بالعدوان والظلم لأنه أراد به المستحلين (فسوف نصليه نارًا) اي نجعله صلي نار ونحرقه بها (وكان ذلك) اي ادخاله النار وتعذيبه فيها (على الله) سبحانه (يسيرًا) هينًا لا يمنه منه مانع ولا يدفعه عنه دافع ولا يشفع عنده إلا باذنه شافع قوله تعالى (٣١) **إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نَكْفِرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا** (آية)

* القراءة *

قرأ ابو جعفر ونافع مدخلا كريمًا مفتوحة الميم وقرأ الباقر مدخلا بالضم

(١) وفي بعض النسخ «النجش» وهوان يمدح السلعة في البيع لينفقها او يزيد في قيمتها وهولا يريد شرائها ليقم غيره فيها .

* الحجة *

قال ابو علي من قرأ مدخلا يحتمل ان يكون مصدراً وان يكون مكاناً فإن حملته على المصدر اضمرت له فلا دل عليه الفعل المذكور وتقديره ندخلكم فتدخلون مدخلا وان حملته على المكان فتقديره ندخلكم مكاناً كريماً وهذا اشبه هنا لأن المكان قد وصف بالكريم في قوله تعالى ومقام كريم ومن قرأ مدخلا فيجوز فيه ايضاً ان يكون مكاناً وان يكون مصدراً

* اللفظة *

الاجتناب المباحة عن الشيء وتركه جانباً ومنه الاجنبى ويقال ما يأتينا فلان الا عن جنابة اي بعد قال علقمة بن عبيدة

فَلَا تَحْرِمْنِي نَائِلًا عَنْ جِنَابَةٍ
وَإِنِّي أَمْرٌ وَسَطُ الْقِبَابِ غَرِيبٌ

وقال الاعشى

أَبَيْتُ حَرِيثًا زَائِرًا عَنْ جِنَابَةٍ
فَكَانَ حَرِيثٌ عَنْ عَطَائِي جَامِدًا

والتكفير اصله الستر

* المعنى *

لما قدم ذكر السيئات عقبه بالترغيب في اجتنابها فقال (ان تجتنبوا) اي تركوا جانباً (كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم) اختلف في معنى الكبيرة فقيل كل ما اوعده الله تعالى عليه في الآخرة عقاباً وواجب عليه في الدنيا حداً فهو كبيرة وهو المروي عن سعيد بن جبير ومجاهد وقيل كل ما نهى الله عنه فهو كبيرة عن ابن عباس واى هذا ذهب اصحابنا فإنهم قالوا المعاصي كلها كبيرة من حيث كانت قبائح لكن بعضها اكبر من بعض وليس في الذنوب صغيرة وانما يكون صغيراً بالاضافة الى ما هو اكبر منه ويستحق العقاب عليه اكثر والقولان متقاربان وقالت المعتزلة الصغيرة ما نقص عقابه عن ثواب صاحبه ثم ان العقاب اللازم عليه ينحبط بالاتفاق بينهم وهل ينحبط مثله من ثواب صاحبه فنسب ابو هاشم ومن يقول بانوازنة ينحبط وعند ابي علي الجبائي لا ينحبط بل يسقط الأقل ويبقى الاكثر بحاله والكبيرة عندهم ما يكبر عقابه عن ثواب صاحبه قالوا ولا يعرف شيء من الصغائر ولا معصية الا ويجوز ان يكون كبيرة فإن في تعريف الصغائر اغراء بالمعصية لأنه اذا علم المكلف انه لا ضرر عليه في فعلها ودعت الشهوة اليها فعلها وقالوا عند اجتناب الكبائر يجب غفران الصغائر ولا يحسن معه المواخذة بها وليس في ظاهر الآية ما يدل عليه فان معناه على ما رواه الكلبي عن ابن عباس ان تجتنبوا الذنوب التي اوجب الله فيها الحد وسمى فيها النار نكفر عنكم ما سوى ذلك من الصلاة الى الصلاة ومن الجمعة الى الجمعة ومن شهر رمضان الى شهر رمضان وقيل معنى ذلك ان تجتنبوا كبائر ما نهيتهم عنه في هذه السورة من المناكح واكل الأموال بالباطل وغيره من المحرمات من اول العورة الى هذا الموضع وتركتموه في المستقبل كفرنا عنكم ما كان منكم من ارتكابها فيما سلف ولذا قال ابن مسعود كلما نهى الله عنه في اول السورة الى رأس الثلاثين فهو كبيرة وبعض هذا القول من التنزيل قوله قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وقوله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف (وندخلكم مدخلا كريماً) اي مكاناً طيباً حسناً لا ينغصه شيء وقد ذكرنا المعنى في القراءتين قبل فاما تفسير الكبائر الموقفة على ما وردت به

الروايات فسند ذكر منه جملة مقننة وروى عبد العظيم بن عبد الله الحسيني عن ابي جعفر محمد بن علي عن ابيه علي بن موسى الرضا عن موسى بن جعفر (ع) قال دخل عمرو بن عبيد البصري على ابي عبد الله جعفر ابن محمد الصادق (ع) فلما سلم وجلس تلا هذه الآية الذين يبتغون كباثر الاثم والفواحش ثم امسك فقال ابو عبد الله ما اسكتك قال احب ان اعرف الكباثر من كتاب الله قال نعم يا عمرو اكبر الكباثر الشرك بالله لقول الله عز وجل ان الله لا يغفر ان يشرك به وقال ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وبعده اليأس من روح الله لأن الله يقول ولا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون ثم الأمن من مكر الله لأن الله يقول ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ومنها عقوق الوالدين لأن الله تعالى جعل العاق جبارا شقيا في قوله وبرا بوالدي ولم يجعلني جبارا شقيا ومنها قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق لأنه يقول ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها الآية وقذف المحصنات لأن الله يقول ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم وأكل مال اليتيم ظلما قوله الذين يأكلون أموال اليتيم ظلما الآية والفرار من الزحف لأن الله يقول ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال او متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير واكل الربا لأن الله يقول الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ويقول فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله والسحر لأن الله يقول ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق والزنال لأن الله يقول ومن يفعل ذلك يلق اثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا واليهين الغموس لأن الله يقول ان الذين يشترون بعهد الله وایمانهم ثمنا قليلا اولئك لا خلاق لهم في الآخرة الآية والغلول قال الله ومن يظل يأت بما غل يوم القيامة ومنع الزكاة المفروضة لأن الله يقول يوم يحسب عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم الآية وشهادة الزور وكتبان الشهادة لأن الله يقول ومن يكتمها فانه آثم قلبه وشرب الخمر لان الله تعالى عدل بها عبادة الاوثان وترك الصلاة متعمدا وشيئا مما فرض الله تعالى لأن رسول الله (ص) يقول من ترك الصلاة منعمدا فقد برى من ذمة الله وذمة رسوله ونقض المهد وقطعة الرحم لأن الله يقول اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار قال فخرج عمر ووله صراخ من بكائه وهو يقول هلك من قال برأيه ونازعكم في الفضل والعلم وروى عن النبي (ص) انه قال الكباثر سبع اعظمهن الاشرار بالله وقتل النفس المؤمنة واكل الربا واكل مال اليتيم وقذف المحصنة وعقوق الوالدين والفرار من الزحف فمن لقي الله تعالى وهو بري منهن كان معي في بحبوحة جنة مصاريعها من ذهب وروى سعيد بن جبير ان رجلا قال لابن عباس كم الكباثر سبع هي قال هي الى سبعمائة اقرب منها الى سبع غير انه لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع اصرار رواها الواحدي في تفسيره بالاسناد مرفوعا

قوله تعالى (٣٢) وَلَا تَمْنُوا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرَّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّا اللَّهُ كَانَ يَكُلُ شَيْءًا عَلَيْهِمَا (آية)

✽ القراءة ✽

قرأ ابن كثير والكسائي وسلاوا الله بغير همز وكذلك كل ما كان امرا للمواجه في كل القرآن والباقون بالهمز ولم يختلفوا في وليسألوا ما انفقوا انه مهموز

(١) [لان الله عز وجل يقول الذين يتقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض الآية وايضا قال الله تعالى شأنه يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود اي بالعهود]

✽ الحجة ✽

قال ابو علي الهمز وترك الهمز حسنان فلو خفف الهمزة في قوله وليسألوا لكان ايضا حسنا

✽ اللفظة ✽

التمني هو قول القائل لما لم يكن لبيته كان كذا ولبيته لم يكن كذا لما كان وقال ابو هاشم في بعض كلامه التمني معنى في القلب ومن قال بذلك قال ليس هو من قبيل الشهوة ولا من قبيل الإرادة لأن الإرادة لا تتعلق إلا بما يصح حدوثه والشهوة لا تتعلق بما مضى كالإرادة والتمني فله يتعلق بما مضى واهل اللفظة ذكروا التمني في اقسام الكلام

✽ النزول ✽

قبل جاءت وافدة النساء إلى رسول الله (ص) فقالت يا رسول الله أليس الله رب الرجال والنساء وانت رسول الله اليهم جميعاً فما بالنا يذكر الله الرجال ولا يذكرنا نخشى ان لا يكون فينا خير ولا لله فينا حاجة فنزلت هذه الآية وقيل ان ام سلمة قالت يا رسول الله يغزو الرجال ولا تغزو النساء وإنما لنا نصف الميراث فليتنا رجال فنغزو ونبلغ ما يبلغ الرجال فنزلت الآية عن مجاهد وقيل لما نزلت آية الميراث قال الرجال نرجو ان نفضل على النساء بحسناتنا في الآخرة كما فضلنا عليهن في الميراث فيكون اجرنا على الضعف من اجر النساء وقالت النساء انا نرجو أن يكون الوزر علينا نصف ما على الرجال في الآخرة كالنا الميراث على النصف من نصيبهم في الدنيا فنزلت الآية عن قتادة والسدي

✽ المعنى ✽

لما بين سبحانه حكم الميراث وفضل بعضهم على بعض في ذلك ذكر تحريم التمني الذي هو سبب التباغض فقال (ولا تمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض) أي لا يقل احدكم ليت ما أعطي فلان من المال والنعمة والمرأة الحسنة كان لي فإن ذلك يكون حسداً ولكن يجوز أن يقول اللهم اعطني مثله عن ابن عباس وهو المروي عن ابي عبد الله (ع) وقيل ان المعنى لا يجوز للرجل ان يتمنى ان لو كان امرأة ولا للمرأة ان تتمنى ان لو كانت رجلاً لأن الله لا يفعل إلا ما هو الأفضل فيكون قد تمى ما نيس بأصنع أو ما يكون مفسدة من التبذخي ويمكن ان يقال في ذلك انه يجوز ذلك بشرط ان لا يكون مفسدة كما يقوله في حسن السؤال سواء (للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن) قيل فيه وجوه ✽ احدها ✽ ان المعنى لكل حظ من الثواب على حسب ما كلفه الله من الطاعات بحسن تدييره فلا تمنوا خلاف هذا التديير لما فيه من حرمان الحظ الجزيل عن قتادة ✽ وثانيها ✽ ان لكل فريق من الرجال والنساء نصيباً مما اكتسب من نعيم الدنيا بالتجارات والزراعات وغير ذلك من انواع المكاسب فيبغى ان يقنع كل منهم ويرضى بما قسم الله له ✽ وثالثها ✽ ان لكل منها نصيباً من الميراث على ما قسمه الله عن ابن عباس فالأكتساب على هذا القول بمعنى الإصابة والإحراز (واستلوا الله من فضله) معناه ان احتجتم الى ما لغيركم واعجبكم ان يكون لكم مثل ما له فاستلوا الله ان يعطيكم مثل ذلك من فضله بشرط أن لا يكون فيه مفسدة لكم ولا لغيركم لأن المسألة لا تحسن إلا كذلك وجاء في الحديث عن ابن مسعود عن النبي قال سلوا الله من فضله فإنه يجب ان يسأل وافضل العباد انتظار الفرج وقال سفيان بن عيينة لم يأمرنا بالمسئلة إلا ليعطي (ان الله كان بكل شيء عليماً) معناه ان الله علم بكل شيء ولم يزل كذلك فيعلم ما تظفرونه وما تضمرونه من الحسد ويقسم الارزاق بين العباد على ما يعلم فيه من الصلاح والرشاد فلا يتمنى احدكم ما قسم لغيره فإنه لا يحصل من تمنيه إلا الغم والارم

قوله تعالى (٣٣) **وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوْلَىٰ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ**
أَيْمَانَكُمْ فَأَتَوْهُم نَصِيْبُهُمْ إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا (آية)

﴿ القراءه ﴾

قرأ أهل الكوفة عقدت بغير الف والباقون عاقدت بألف

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي الذكر الذي يعود من الصلة إلى الموصول ينبغي ان يكون ضميرا منصوبا بالتقدير والذين عاقدتهم ايمانكم فجعل الايمان في اللفظ هي المأقده والمعنى على الحالفين الذين هم اصحاب الايمان والمعنى والذين عاقدت حلقهم ايمانكم فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه فعاقدت أشبه بهذا المعنى لأن لكل نفر من المعاقدين ميمًا على المحالفة ومن قال عقدت ايمانكم كان المعنى عقدت حلقهم ايمانكم فحذف الحلف واقام المضاف إليه مقامه والذين قالوا عاقدت حملوا الكلام على لفظ الايمان لأن الفعل لم يسند إلى اصحاب الايمان في اللفظ وإنما اسند إلى الايمان

﴿ اللفه ﴾

أصل المولى من ولي الشيء بـليه ولا بـة وهو اتصال الشيء بالشيء من غير فاصل والمولى يقع على وجوه المعتق والمعتق وابن العم والورثة والحليف والولي والسيد المطاع والأولى بالشيء والأحق وهو الأصل في الجميع فسمي المعتق مولى لأنه أولى بمراث المعتق والمعتق أولى بنصرة المعتق من غيره وابن العم أولى بنصرة ابن عمه لقراجه والورثة أولى بمراث الميت من غيرهم والحليف أولى بأمر محالفه للمخالفة التي جرت بينها والولي أولى بنصرة من يواليه والسيد أولى بتدبير من يسوده من غيره ومنه الخبر ايما امرأة نكحت بغير إذن مولاهما أي من هو أولى بالمقد عليها وقال ابو عبيدة في قوله تعالى «النار مولاكم» معناه أي هي أولى بكم وانشد بيت لبيد

فَقَدَّتْ كِلَا الْفَرَجَيْنِ تَحْسَبُ أَنَّهُ مَوْلَى الْمُخَافَةِ خَلْفَهَا وَأَمَامَهَا (٢)

والأيمان جمع اليمين وهو اسم يقع على القسم والجارحة والقوة والأصل فيه الجارحة وذلك انهم كانوا يضربون الصفة للبيع والبيعة بأيمانهم فيأخذ بعضهم يد بعض على الوفاء والتمسك بالمهد ثم يتحالفون عليه فسمي القسم يمينا وقال

إِذَا مَا رَأَيْتَ رُفِعَتْ لِمَجْدٍ تَلَقَّاهَا عِرَابَةٌ بِالْيَمِينِ (٣)

أي بالقوة

﴿ الإعراب ﴾

قوله مما ترك الوالدان الجار والمجرور وقع موقع الصفة لقوله موالى أي موالى كائنين مما ترك أي خلف الوالدان والأقربون والذين عقدت ايمانكم معطوف على قوله الوالدان والأقربون فيكون مرفوع الموضع ويحتمل ان يكون مما ترك الوالدان والأقربون متعلقا بفعل محذوف وتقديره موالى يعطون مما ترك الوالدان والأقربون ويكون والذين عقدت ايمانكم مبتدأ وقوله فأتوهم نصيبهم خبره

﴿ المعنى ﴾

ثم عاد سبحانه إلى ذكر الموارث فقال (ولكل) واحد من الرجال والنساء (جعلنا موالى) أي ورثة ثم أولى بمراته عن السدي وقيل عصبه عن ابن عباس والحسن والأول أصح لقوله سبحانه فهب لي من لدنك وليا يرثني

(١) [المنى اذ كان من كل واحد من الفريقين يمين والذين قالوا عقدت حملوا الكلام على] (٢) الفرج : النفر المخوف وهو موضع المخافة، فيريد انه اولى موضع ان تكون فيه الحرب ، وقوله : فقدت ؛ تم الكلام ، كانه قال : فقدت هذه البقرة ، وقطع الكلام ثم ابتداء كانه قال : تعسب ان كلا الفرجين مولى المخافة . ←

فجعل مولى لما يرث ووليا له لما كان أولى به من غيره ومالكاً له كما يقال لمالك العبد مولا (كما ترك الوالدان أي يرثون أو يعطون مما ترك الوالدان (والأقربون) الموروثون) والذين عقدت إيمانكم أي و يرثون مما ترك الذين عقدت إيمانكم لأن لهم ورثة أولى بميراثهم فيكون قوله والذين عقدت إيمانكم عطفاً على قوله الوالدان والأقربون (فأتوهم نصيبهم) أي فأتوا كلا نصيبه من الميراث وهذا اختيار الجبائي وقال الحليف لم يؤسر له بشيء أصلاً وقال أكثر المفسرين ان قوله والذين عاقدت إيمانكم مقطوع من الأول فكأنه قال والذين عاقدت إيمانكم أيضاً فأتوهم نصيبهم ثم اختلفوا فيه على أقوال **أحدها** ان المراد بهم الحلفاء عن قتادة وسعيد بن جبير والضحاك وقالوا ان الرجل في الجاهلية كان يعاقد الرجل فيقول دمي دمك وحربي حريك وسلمي سلمك وتراثي وأرثك وتعقل عني واعقل عنك فيكون للحليف السدس من ميراث الحليف وعاقد أبو بكر مولى فورثه فذلك قوله فأتوهم نصيبهم أي اعطوهم حظهم من الميراث ثم نسخ ذلك بقوله وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض وقال مجاهد معناه فأتوهم نصيبهم من النصر والعقل والرشد ولا ميراث فعلى هذا تكون الآية غير منسوخة وبؤيده قوله تعالى أوفوا بالعقود وقول النبي (ص) في خطبة يوم فتح مكة ما كان من حلف في الجاهلية فتمسكوا به فإنه لم يزد الإسلام إلا شدة ولا تحدثوا حلفاً في الإسلام وروى عبد الرحمن بن عوف ان رسول الله قال شهدت حلف المطيبين وأنا غلام مع عمومي فما أحب ان لي حمر النعم وأني انكته **وثانيها** ان المراد بهم قوم آخى بينهم رسول الله من المهاجرين والأنصار حين قدموا المدينة وكانوا يتوارثون بتلك المؤاخاة ثم نسخ الله ذلك بالفرائض عن ابن عباس وابن زيد **وثالثها** انهم الذين كانوا يبنون ابناء غيرهم في الجاهلية ومنهم زيد مولى رسول الله فأسروا في الإسلام ان يوصوا لهم عند الموت بوصية فذلك قوله فأتوهم نصيبهم عن سعيد ابن المسيب (ان الله كان على كل شيء شهيداً) أي لم يزل عالماً بجميع الأشياء مطلعاً عليها جلّياً وخفياً

قوله تعالى (٣٤) الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي أَلْسِنَةٍ خَفِيَّةٍ وَأَضْرِبُوهُنَّ فَإِن أَطَعْنَ كُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً كَبِيراً (آية)

القراءة *

قرأ أبو جعفر وحده بما حفظ الله بالنصب والياقون بالرفع وقرئ في الشواذ فالصالح قوانت قرأه طلحة بن مصرف

الحجة -

قوله حفظ الله يكون على حذف المضاف كأنه قال حفظ عهد الله او دين الله كقوله تعالى وإن تنصروا الله أي تنصروا دين الله وحذف المضاف كثير في الكلام والوجه في قراءة من قرأ فالصالح قوانت ان جمع التكسير يدل على الكثرة والألف والتاء موضوعتان للقلة فهما على حد التثنية بمنزلة الزيدين من الواحد فيكون من الثلاث إلى العشرة والكثرة اليق بهذا الموضع غير ان الألف والتاء قد جاء أيضاً على معنى الكثرة كقوله المسلمين والمسلمات إلى قوله والذاكرين الله كثيراً والذاكرات والغرض في الجميع الكثرة لا ما هو لا بين الثلاثة إلى العشرة وقال ابن جني كان أبو علي الفارسي ينكر الحكاية المروية عن النابغة وقد عرض عليه حسان شعره وأنه لما صار إلى قوله

لَنَا الْجَفَنَاتُ الْفَرِيضَاتُ بِالضَّمِّ (١) وَأَسْيَافُنَا يَقَطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَمًا

(١) الجفنت جمع الجفنة : القصعة الكبيرة .

→ (٣) عرابة اسم رجل من الانصار

قال له التابعة لقد قلتِ حَفَانِكِ وسيوفك وهذا خبر مجهول لا أصل له لأن الله تعالى يقول وهم في الغرفات آمنون ولا يجوز أن يكون الغرف التي في الجنة من الثلاث إلى العشرة

✽ اللغة ✽

يقال رجل قيم وقيام وقوام وهذا البناء للمبالغة والتكثير وأصل القنوت دوام الطاعة ومنه القنوت في الوتر لطول القيام فيه وأصل النشوز الترفع على الزوج بخلافه مأخوذ من قولهم فلان على نشز من الأرض أي ارتفاع يقال نشزت المرأة تنشز وتنشيز والهجر الترك عن قلى يقال هجرت الرجل إذا تركت كلامه عن قلى والهجرة نصف النهار لأنه وقت يهجر فيه السدل وهجر الرجل البعير إذا ربطه بالمحار وأصل الضجوع الاستلقاء يقال ضجع ضجوعاً واضطجع اضطجاعاً إذا استلقى للنوم واضجمته أنه وكل شيء أمته فقد اضجمته والبقية الطلب يقال بنيت الضالة إذا طلبتها وقال الشاعر يصف الموت

بِقَالِكَ وَمَا تَبَيْهٍ حَتَّى وَجَدْتَهُ
كَأَنَّكَ قَدْ وَاَعَدْتَهُ أَمْسٍ مَوْعِدًا

✽ الاعراب ✽

الباء في قوله يا فضل الله وبها انفقوا بتعلق بقوله قوامون وما في الموضعين مصدرية لا تحتاج إلى عائذ اليها من صلتها لأنها حرف وقوله يا حفظ الله أيضاً يكون ما فيه مصدرية فيكون تقديره بأن يحفظهن الله ومن قرأ بما حفظ الله نصيباً يكون ما اسما موصولاً فيكون التقدير بالشئ الذي يحفظ الله أي يحفظ امرأته

- التزول -

قال مقاتل نزلت الآية في سعد بن الربيع بن عمرو وكان من النقباء وفي امرأته حبيبة بنت زيد بن أبي زهير وهما من الانصار وذلك انها نشزت عليه فلطمها فانطلق ابوها معها إلى النبي فقال افروشته كرميقي فلطمها فقال النبي لتقتص من زوجها فانصرفت مع أبيها لتقتص منه فقال للنبي ارجعوا فهذا جبرائيل أتاني واتزل الله هذه الآية فقال النبي (ص) أردنا أمراً وأراد الله أمراً والذي أراد الله خير ورفع القصاص وقال الكلبي نزلت في سعد ابن الربيع وامرأته خولة بنت محمد بن مسلمة وذكر القصة فحوها وقال ابو روق نزلت في جميلة بنت عبد الله بن أبي وفي زوجها ثابت بن قيس بن شماس وذكر قريباً منه

✽ المنى ✽

لما بين تعالى فضل الرجال على النساء ذكر عقبيه فضلم في القيام بأمر النساء فقال (الرجال قوامون على النساء) أي قيمون على النساء مسلطون عليهن في التدبير والتأديب والرياضة والتعليم (بما فضل الله بعضهم على بعض) هذا بيان سبب تربية الرجال عليهن أي إنما ولأهم الله امرهن لما لم من زيادة الفضل عليهن بالعلم والعقل وحسن الرأي والعزم (وبما ألقوا من أموالهم) عليهن من المهر والنفقة كل ذلك بيان علة تقويمهم عليهن وتوليتهم امرهن (فالمصالحات قانتات) أي مطيعات لله ولأزواجهن عن قتادة والثوري وعطاء ويقال حافظات ويدل عليه قوله يا مريم اتقي لربك أي اتقي على طاعته (حافظات للنيب) يعني لأنفسهن وفروجهن في حال غيبة أزواجهن عن قتادة وعطاء والثوري ويقال الحافظات لأموال أزواجهن في حال غيبتهم راعيات بحقوقهم وحرمتهم والأولى ان يجعل على الامرين لانه لا تنافي بينهما (يا حفظ الله) اسيم بما حفظهن الله في مهورهن والزام أزواجهن النفقة عليهن عن الزجاج وقيل يحفظ الله لمن وعصمته ولو لا ان حفظهن الله وعصمته لما حفظن أزواجهن بالغيب (واللاتي يخافون نشوزهن) معناه فإلنساء اللاتي يخافون نشوزهن بظهور ابائهن وإماراتهن ونشوز المرأة عصيانها لزوجها واستيلاؤها عليه ومخالفتها إياه وقال الفراء معناه تعلمون نشوزهن قال وقد يكون الخوف بمعنى العلم لأن خوف النشز العلم

بموقعه (مفظون واهجروهن في المضاجع) معناه فمظونون اولا بالقول والنصيحة فإن لم يتبع الوعد ولم يؤثر النصح بالقول فاهجروهن في المضاجع عن سعيد بن جبير قال وعنى به الجماع إلا انه ذكر المضاجع لاختصاص الجماع بها وقيل معناه فاهجروهن في الفراش والمبيت وذلك انه يظهر بذلك حبها للزوج وبغضها له فإن كانت مائلة اليه لم تصبر على فراقه في المضجع وإن كانت بخلاف ذلك صبرت عنه عن الحسن وقتادة وعطاء وإلى هذا المعنى يؤول ما روي عن ابي جعفر قال يحول ظهره اليها وفي تفسير الكلبي عن ابن عباس فمظونون بكتاب الله اولا وذلك ان يقول اتقي الله وارجمي إلى طاعتي فإن رجعت وإلا اغلظ لها القول فإن رجعت وإلا ضربها ضربا غير مبرح وقيل في معنى غير المبرح أن لا يقطع لحما ولا يكسر عظما وروي عن ابي جعفر انه الضرب بالسواك (فإن أظعنكم) أي رجمت إلى طاعتكم في الاثثار لأمركم (فلا تبغوا عليهن سيلا) أي لا تطلبوا عليهن عللا بالباطل وقيل سيلا للضرب والمجران بما أبيع لكم فعله عند الشوز عن ابي مسلم وإبي علي الجبائي وقيل معناه لا تكفوهن الحب عن سفيان بن عيينة يكون المعنى إذا استقام لكم ظاهرهن فلا تعملوا عليهن بما في باطنهن (إن الله كان عليا كبيرا) أي متعاليا عن ان يكلف الاالحق مقدار الطاعة والعلو والكبرياء من صفات الله وفائدة ذكرهما هنا بيان انتصاره لمن وقوته على الانتصار إن من ضمن عنه وقيل المراد به انه تعالى مع علوه وكبريائه لم يكفكم إلا ما تطيقون فكذلك لا تكفوهن إلا ما يطقن

قوله تعالى (٣٥) وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْشُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا (آية)

= اللغة =

الشقاق الخلاف والعداوة واشتقاقه من الشق وهو الجزء البائن فالتشاقان كل واحد منهما في شق غير شق صاحبه بالعداوة أي في ناحية واصل التوفيق الموافقة وهي المساواة في امر من الأمور والتوفيق هو اللطف الذي يتفق عنده فعل الطاعات لمساواته في الوقت والتوفيق بين قسرين هو الاصلاح بينهما والاتفاق في الجنس والمذهب المساواة بينهما والاتفاق في الوقوع كرمية بن غير رام لمساواتهما نادرا

✽ الإعراب ✽

اصل بين ان يكون ظرفا ثم استعمل اسما هنا بإضافة شقاق اليه كما قال هذا فراق بيني وبينك وقال ومن يتنا وينك حجاب وكان في الأصل فإن خفتم أي خشيتم شقاقا بينهما

= المعنى =

لما قدم الله الحكم عند مخالفة أحد الزوجين صاحبه عقبه بذكر الحكم عند التباس الأمر في المخالفة فقال (وإن خفتم) أي خشيتم وقيل علمتم والاول أصح لأنه لو علم الشقاق بقينا لما احتجج إلى الحكيم (شقاق بينهما) أي مخالفة وعداوة بين الزوجين (فأبشوا حكما من أهله وحكما من أهلها) أي وجهوا حكما من قوم الزوج وحكما من قوم الزوجة لينظروا فيما بينهما والحكم القيم بما يسند اليه واختلف في المخاطب بانقاد الحكيم من هو فقيل هو السلطان الذي يترافع الزوجان اليه عن سعيد بن جبير والضحاك وأكثر الفقهاء وهو الظاهر في الاخبار عن الصادقين وقيل انه الزوجان واهل الزوجين عن السدي واختلفوا في ان الحكيم هل لها أن يفترقا بالطلاق إن رأياه أم لا فالذي رواه اصحابنا عنهم انه ليس لها ذلك إلا بعد أن يستأمر امها وورضا بذلك وقيل ان لها ذلك عن سعيد بن جبير والشبي والسدي والبراهيم ورووه عن علي (ع) ومن ذهب إلى هذا القول قال ان الحكيم وكيلان (ان يريدوا إصلاحا) يعني الحكيمين (يوفق الله بينهما) حتى يحكما بما فيه الصلاح والضمير في بينهما عائدا إلى الحكيمين عن

ابن عباس وسعيد بن جبير والسدي وقيل إن يرد الحكمان إصلاحاً بين الزوجين يوفق الله بين الزوجين أي يؤلف بينهما ويرفع ما بينهما من المداوة والشقاق (إن الله كان عليماً) بما يريد الحكمان من الإصلاح والإفساد (خييراً) بما فيه مصالحكم ومنافعكم

قوله تعالى (٣٦) وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَيَالِ الَّذِينَ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ
وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا
مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا (آية)

= اللغة =

الجار أصله من العدول يقال جاوره يجاوره مجاورة وجواراً فهو مجاور له وجار له بعد وله إلى ناحيته في مسكنه من قولهم جار عن الطريق وجار السهم إذا عدل عن القصد واستجار بالله لأنه يسأله العدول به عن النار والجار ذي القربى القريب والجار الجنب الغريب قال أبو علي الجنب صفة على فعل مثل ناقة أجدو مشي سَجَّح فالجنب المتباعد عن أهله بذلك على ذلك مقابلته بقوله والجار ذي القربى والقربى من القرب كاليسرى من اليسر وأصل المختال من التخيل وهو التصور لأنه يتخيل بماله مرح البطر والمختال الصلِّف النياه ومنه الخيل لأنها تختال في مشيتها أي تتبختر والتخول الحشم والفخور الذي يعد مناقبه كبراً أو تطاولاً وأما الذي يعددها اعترافاً بالنعمة فيها فهو شكور غير فخور

= الإعراب =

احساناً نصب على المصدر كما تقول ضرباً لزيد وتقديره احسنوا بالوالدين احساناً او يكون نصباً على تقدير استوصوا بالوالدين احساناً فيكون مفعولاً به

= المعنى =

لما أمر سبحانه بمكارم الاخلاق في امر اليتامى والازواج والميال عطف على ذلك بهذه الخلال المشتملة على معاني الامور ومحاسن الافعال فبدأ بالامر بمبادته فقال (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً) اي وحيده وعظموه ولا تشركوا في عبادته غيره فإن العبادة لا تجوز لغيره لانها لا تستحق الا بفعل اصول النعم ولا يقدر عليها سواه تعالى (وبالوالدين احساناً) اي فاستوصوا بهما برأ واناماً واحساناً واکراماً وقيل ان فيه اضمار فعل اي واوصاكم الله بالوالدين احساناً (وبذي القربى واليتامى والمساكين) معناه احسنوا بالوالدين خاصة وبالقرابات عامة يقال احسنت اليه واحسنت به واحسنوا إلى اليتامى بحفظ اموالهم والقيام عليها وغيرها من وجوه الإحسان واحسنوا إلى المساكين فلا تضيئهم واعطوهم ما يحتاجون اليه من الطعام والكسوة وسائر ما لا بد منه لهم (والجار ذي القربى والجار الجنب) قيل معناه الجار القريب في النسب والجار الأجنبي الذي ليس بينك وبينه قرابة عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وابن زيد وقيل المراد به الجار ذي القربى منك بالإسلام والجار الجنب المشرك البعيد في الدين وروى عن النبي (ص) انه قال الجيران ثلاثة جار له ثلاثة حقوق حتى الجوار وحق القرابة وحق الإسلام وجار له حقان حق الجوار وحق الإسلام وجار له حق الجوار المشرك من أهل الكتاب وقال الزجاج والجار ذي القربى الذي يقاربك وتقاربه ويعرفك وتعرفه والجار الجنب البعيد وروى ان حد الجوار إلى اربعين داراً وروى إلى اربعين ذراعاً قال ولا يجوز ان يكون المراد بذى القربى القريب من القرابة لأنه قد سبق ذكر القرابة والأمر بالإحسان اليهم بقوله وبذي القربى ويمكن أن يجاب عنه بأن يقال هذا جائز

(١) ناقة اجد : قوية موقفة الغلق . مشي سَجَّح : لين سهل . (٢) صلف صلفاً : تمدح باليس فيه او عنده وادعى فوق ذلك اعجاباً وتكبراً فهو صلف .

وإن كان قد سبق ذكر القراية لأن الجار إذا كان قريبا فله حق القراية والجوار والقريب الذي ليس يجار له حق القراية حسب فحسن افراد الجار القريب بالذكر (والصاحب بالجنب) في معناه اربعة اقوال * احدها * انه الرفيق في السفر عن ابن عباس وسعيد بن جبير وجماعة والاحسان اليه بالمواساة وحسن العشرة * وثانيها * انه الزوجة عن عبد الله بن مسعود وابن ابي ليلى والنخعي * وثالثها * انه المنقطع اليك يرجو تفعلك عن ابن عباس في إحدى الروايتين وابن زيد * ورابعها * انه الخادم الذي يخدمك والأولى حملة على الجميع (وابن السبيل) معناه صاحب الطريق وفيه قولان * احدهما * انه المسافر عن مجاهد والريعي وقيل هو الضيف عن ابن عباس قال والضيافة ثلاثة ايام وما فوقها فهو معروف وكل معروف صدقة وروى جابر عن النبي كل معروف صدقة وان من المعروف ان تلقى أخاك بوجه طلق وان تفرغ من دلوك في إناه أخيك (وما ملكت أيمانكم) يعني به المالك من العبيد والإماء وذكر اليمين تأكيذا كما يقال مثلت رجلك وبطشت يدك فموضع ما من قوله وما ملكت أيمانكم جر بالعطف على ما تقدم أي وأحسنوا إلى عبيدكم وأمائكم بالنفقة والسكنى ولا تحملوهم من الأعمال ما لا يطيقونه امر الله عباده بالإحسان إلى هؤلاء اجمع (إن الله لا يحب) أي لا يرتضي (من كان محتالا) في مشيئته (فخورا) على الناس بكثرة المال تكبرا عن ابن عباس وإنما ذكرهما لأنها بأقان من اقرارهم وجبرانهم إذا كانوا فقراء لا يحسنان عشرتهم وهذه آية جامعة تضمنت بيان اركان الإسلام والتنبيه على مكارم الاخلاق ومن تدبرها حق التدبر وتذكرها حق التذكر أغنته عن كثير من مواظب البلاء وهدته إلى جم غفير من علوم العلماء

قوله تعالى (٣٧) الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا (آية)

القراءة

قرأ اهل الكوفة غير عاصم بالبخل بفتح الباء واخاء وكذلك في سورة الحديد والباقون بالبخل بالضم

الحجة

قال سيبويه هما لعتان

اللفظة

البخل أصله مشقة الاعطاء وقيل في معناه انه منع الواجب لأنه اسم ذم لا يطلق إلا على مرتكب الكبيرة وقيل هو منع ما لا ينفع منه ولا يضر بذله ومثله الشح وضده الجود والأول اليق بالآية لأنه تعالى نهي محبته عن كان بهذه الصفة وقال علي بن عيسى معناه منع الإحسان لمشقة الطباع وتقيضه الجود ومعناه بذل الإحسان لانتفاء مشقة الطباع

الاعراب

الذين يحتمل ان يكون موضعه نصبا من وجهين وان يكون رفعا من وجهين فأما النصب فعلى ان يكون بدلا من من في قوله لا يحب من كان وعلى الذم ايضا واما الرفع فعلى الاستئناف بالذم على الابتداء وتكون الآية الثانية عطفًا عليها ويكون الخبر إن الله لا ينظم وعلى البدل من الضمير في فخور

المعنى

(الذين يبخلون) أي يمتنعون ما اوجب الله عليهم من الزكوات وغيرها واختاره الجبائي وابو مسلم وقيل معناه الذين يبخلون باظهار ما علموه من صفة النبي (ص) عن ابن عباس ومجاهد والسدي وابن زيد (ويأمرون)

الناس بالبخل) وبأمرون غيرهم بذلك وقيل بأمرن الأنصار بترك الاتفاق على رسول الله وعلى اصحابه عن ابن عباس وقيل بأمرن بكتان الحق (وبكتمون ما آتاهم الله من فضله) أي يحجبون ما آتاهم الله من اليسار والثروة اعتذاراً لم في البخل وقيل معناه يكتمون ما عندهم من العلم بعث النبي ومبشئه والأولى ان تكون الآية عامة في كل من يبخل بأداء ما يجب عليه أداءه وبأمرون الناس به وعامة في كل من كتم فضلاً آتاه الله تعالى من العلم وغيره من انواع النعم التي يجب اظهارها ونجزم كتابتها وقد ورد في الحديث إذا انعم الله تعالى على عبد نعمة احب ان يرى أثرها عليه (وأعدنا للكافرين عذاباً مهيناً) اعدنا للجاحدين ما انعم الله عليهم عذاباً باهوناً فيه ويدلون فأضاف الإهانة إلى العذاب إذ كان يحصل به

قوله تعالى (٣٨) وَالَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانَ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا (٣٩) وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا (آياتان)

﴿ اللغة ﴾

القرين اصله من الاقتران ومنه القرن لأهل العصر لاقرانهم والقرن المقاوم في الحرب والقرين صاحب المألوف وقال عدي بن زيد

عَنِ الْمَرْءِ لَا تَسْأَلُ وَأَبْصِرَ قَرِينَهُ
فَإِنَّ الْقَرِينَ بِالْمَقَارِنِ يَقْتَدِي

﴿ الاعراب ﴾

اعراب الذين يحتمل ان يكون ما قلناه في الآية المتقدمة ويحتمل ان يكون عطفاً على الكافرين فكأنه قال وأعدنا للكافرين وللذين ينفقون أموالهم رثاء الناس مصدر وضع موضع الحال فكأنه قال ينفقون مرثين الناس وقربنا نصب على التفسير وموضع ذا من ماذا عليهم يحتمل وجهين ﴿ احدهما ﴾ ان يكون مرفوعاً لأنه في موضع الذي وتقديره وما الذي عليهم لو آمنوا ﴿ والثاني ﴾ ان يكون لاموضع له لأنهم ما بمنزلة اسم واحد وتقديره وأي شيء عليهم لو آمنوا

﴿ المعنى ﴾

ثم عطف على ما تقدم بذكر المتأقين فقال (الذين ينفقون أموالهم رثاء الناس) أي مرثاء الناس (ولا يؤمنون) أي ولا يصدقون (بالله ولا باليوم الآخر) الذي فيه الثواب والعقاب جمع الله سبحانه في الذم والوعيد بين من ينفق ماله بالرياء والسمة ومن لم ينفق أصلاً (ومن يكن الشيطان له قريناً) أي صاحباً وخليلاً في الدنيا يتبع أمره ويوافق على الكفر وقيل يعني في القيامة وفي النار (فساء قريناً) أي بشس القرين الشيطان لأنه يدعو إلى المعصية المؤدية إلى النار وقيل بشس القرين الشيطان حيث يتلاعنان ويتباغضان في النار (وماذا عليهم) أي أي شيء عليهم (لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأتقوا ما رزقهم الله) قطع الله سبحانه بهذا عذر الكفار في العدول عن الإيمان وأبطل به قول من قال انهم لا يقدرن على الإيمان لأنه لا يحسن أن يقال للمعجز عن الشيء ماذا عليك لو فعلت كذا فلا يقال للقصير ماذا عليك لو كنت طويلاً وللأعمى ماذا عليك لو كنت بصيراً وقيل معناه ماذا عليهم لو جمعوا إلى اتفاقهم الإيمان بالله لينفهم الاتفاق (وكان الله بهم عليماً) يجازيهم بما يسرون ان خيراً فخيئاً وإن شراً فشرراً فلا ينفهم ما ينفقون على جهة الرياء وفي الآية دلالة أيضاً على ان الحرام لا يكون رزقاً من حيث انه سبحانه حثهم على الاتفاق بما رزقهم وأجمت الأمة على ان الاتفاق من الحرام محظور

قوله تعالى (٤٠) **إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَبْضُاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا** (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن كثير ونافع وإن تك حسنة بالرفع والباقون بالنصب وقرأ ابن كثير وابن عامر بضعفها بالتشديد والباقون بضعفها بالألف

﴿ الحجة ﴾

من نصب حسنة فمعناه وإن تك زنة الذرة حسنة أو إن تك فعلته حسنة ومن رفعها فمعناه وإن يقع حسنة أو إن يحدث حسنة فيكون كأن تامة لا تحتاج إلى خبر ويضعف بمعنى واحد قال سيويه يجيء فاعلت ولا يراد به عمل اثنين وكذلك قولهم ناولته وعاقبه وعافاه الله قال ونحو ذلك ضاعفت وضمت وناعت ونعمت وهذا يدل على انها لفتان

﴿ الفنة ﴾

الظلم هو الألم الذي لا تقع فيه يوفي عليه ولا دفع مضرة اعظم منه عاجلا ولا آجلا ولا يكون مستحقا ولا واقعا على وجه المدافعة وأصله وضع الشيء في غير موضعه وقيل أصله الانتقاص من قوله ولم تظلم منه شيئا فالظلم على هذا انتقاص الحق والظلمة انتقاص النور بذهابه وسقاء مظلوم إذا شرب منه قبل أن يدرك والظلم ذكر النعام لأنه يضع الشيء في غير موضعه من حيث يحضن غير يرضه وأصل المثقال الثقل فالمثقال مقدار الشيء في الثقل والثقل ما ثقل من مشاع السفر

﴿ الاجراب ﴾

أصل تك تكون فحذفت الضمة للجزم والواو لسكونها وسكون النون فأما سقوط النون فكثرة الاستعمال فكأنهم أرادوا أن يعجزوا الكلمة مرة أخرى فلم يجدوا حركتها يسقطونها فأسقطوا الحرف وقدر القرآن بالحذف والاثبات قال سبحانه أن يكن غنياً أو فقيراً ومثل تك قولهم لا ادر ولم ابل والأصل لا ادري ولم ابال ولدن في موضع جر وفيه لغات لد ولدن ولدى ولدأ والمعنى واحد ومعناه من قبله ولدن لما يليك وعند تكون لما يليك ولما بعد منك تقول عندي مال وإن كان بينك وبينه بعد وإذا أضفته إلى نفسك زدت فيه نوناً أخرى ليسلم سكون النون تقول لدني ولدنا وكذلك مني ومنا

﴿ المضي ﴾

(إن الله لا يظلم) أحداً قط (مثقال ذرة) أي زنة ذرة وهي النملة الحمراء الصغيرة التي لا تكاد ترى عن ابن عباس وابن زيد وهي أصغر النمل وقيل هي جزء من أجزاء العباء في الكوة من أثر الشمس وإنما لا يختار الله تعالى الظلم ولا يجوز عليه الظلم لأنه عالم بقبحة مستغن عنه وعالم بفضاه عنه وإنما يختار القبيح من يختاره لجهله بقبحة أو لحاجته إليه لدفع ضرر أو لجرّ تقع أو لجهله باستغنائها عنه والله سبحانه منزّه عن جميع ذلك وعن سائر صفات النقص والمجز ولم يذكر سبحانه الذرة ليقتصر الحكم عليها بل إنما خصّها بالذكر لأنها أقل شيء مما يدخل في وهم البشر (وإن تك حسنة بضعفها) ومعناه وإن تك زنة الذرة حسنة يقبلها ويجعلها ضعفاً كثيرة وقيل يجعلها ضعفين عن أبي عبيدة وقيل معناه بديها ولا يقطعها ومثله قوله ومن يعمل مثقال ذرة خيراً يره وكتنا الآيتين غاية في الحث على الطاعة والتعمي عن المصيبة وقوله (ويؤت من لدنه) أي يعطه من عنده (أجراً عظيماً) أي جزاء عظيماً وهو ثواب الجنة وفي هذه الآية دلالة على أن منع الثواب والنقصان منه ظلم لأنه لو لم يكن

(الجزء الخامس) قوله تعالى فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد إلى قوله ولا يكتمون الله حديثاً ٤٩ ج ٣

كذلك لما كان لهذا الترغيب في الآية معنى وفيها أيضاً دلالة على انه سبحانه قادر على الظلم لأنه نزهة عنه عن فعل الظلم وتمدح بذلك فلو لم يكن قادراً عليه لم يكن فيه مدحة

قوله تعالى (٤١) فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا
(٤٢) يَوْمَئِذٍ يَوْمَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوْا الرَّسُولَ لَوْ تَسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ
اللَّهُ حَدِيثًا (آياتان)

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل الكوفة غير عاصم تسوي مفتوحة التاء خفيفة السين وقرأ يزيد ونافع وابن عامر بفتح التاء وتشديد السين وقرأ الباقون تسوي بضم التاء وتخفيف السين

﴿ الهمزة ﴾

قال أبو علي قراءة نافع وابن عامر لو تسوي معناه لو تسوي فادغم التاء في السين لقربها منها وفي قراءة حمزة والكسائي حذف التاء فالتاء اعتلت بالحذف كما اعتلت بالادغام وأما تسوي فهي تفعل من التسوية

﴿ الإعراب ﴾

كيف لفظها لفظ الاستفهام ومعناه التوبيخ وتقديره كيف حال هؤلاء يوم القيامة وحذف لدلالة الكلام عليه والعامل في كيف المبتدأ المحذوف فهو في موضع الرفع بأنه خبر المبتدأ ولا يجوز أن يكون العامل في كيف جئنا لأنه في موضع جر بإضافة إذا إليه والمضاف إليه لا يعمل فيما قبل المضاف كما لا تعمل الصلة فيما قبل الموصول لأنه من تمام الاسم ومن كل أمة في موضع نصب على الحال لأنه صفة شهيد فلما تقدمه انتصب على الحال والعامل في إذا جوابه المحذوف لدلالة ما تقدمه عليه وشهيدا منصوب على الحال والعامل في يومئذ يَوْمَئِذٍ عمل في يومئذ يَوْمَئِذٍ ولم يجز ذلك في إذا جئنا لأنه لما أضيف يوم إلى إذ بطلت إضافته إلى الجملة ونون إذ ليدل على تمام الاسم

﴿ المعنى ﴾

لما ذكر اليوم الآخر وصف حال المنكرين له فقال (فكيف) أي فكيف حال الأمم وكيف يصنعون (إذا جئنا من كل أمة) من الأمم (بشهادتنا بك) يا محمد (على هؤلاء) يعني قومه (شهادتنا) وهذا كما تقول العرب للرجل في الأمر المائل يتوقمه كيف بك إذا كان كذا يريد بذلك تعظيم الأمر وتهويله وتحذيره وتحذير الرجل عنه واندازه به وحثه على الاستعداد له ومعنى الآية أن الله يستشهد يوم القيامة كل نبي على أمته فيشهد لهم وعليهم ويستشهد نبينا على أمته وفي الآية مبالغة في الحث على الطاعة واجتناب المعصية والزجر عن كل ما يستحق منه على رؤوس الأشهاد لأنه يشهد للإنسان وعليه يوم القيامة شهود عدول لا يتوقف في الحكم بشهادتهم ولا يتوقع القدرح فيهم وهم الأنبياء والمعصومون والكرام الكاتبون والجوارح والمكان والزمان كما قال تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس وقال ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد وقال إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً ويوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون وفي بعض الأخبار المكان والزمان يشهدان على الرجل بأعماله فليتذكر العاقل هذه الشهادة ليستعد بهذه الحالة فكان قد وقعت وكان الشهادة قد أقيمت وروي أن عبد الله بن مسعود قرأ هذه الآية على النبي (ص) ففاضت عيناه فإذا كان الشاهد تفيض عيناه لهول هذه المقالة وعظم هذه الحالة فماذا لعمرى

ينبغي أن يصنع للشهود عليه (يومئذ يودّ الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض) معناه لو تجعلون والأرض سواء كما قال تعالى ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا ومن التسوية قوله لي قادرين على أن نسوي بنانه أي نجعلها صفيحة واحدة لا يفصل بعضها عن بعض فيكون كالكتف فيعجز لذلك عما يستعان عليه من الاعمال بالبنان وروي عن ابن عباس ان معناه يودّون أن يمسي عليهم اهل الجمع يطأونهم بأقدامهم كما يطأون الأرض وعلى القول الأول فالمراد به ان الكفار يوم القيامة يودّون انهم لم يمضوا وانهم كانوا والأرض سواء لعلمهم بما يصيرون اليه من العذاب والخلود في النار وروي ايضا ان البهائم يوم القيامة تصير ترابا فيتمنى عند ذلك الكفار أنهم صاروا كذلك ترابا وهذا لا يميزه إلا من قال ان العوض منقطع وهو الصحيح ومن قال ان العوض دائم لم يصحح هذا الخبر وقوله (ولا يكتمون الله حديثا) قيل فيه اقوال **أحدها** أنه عطف على قوله لو تسوى أي ويودّون ان لو لم يكتموا الله حديثا لأنهم إذا سئلوا قالوا والله ربنا ما كنا مشركين فنشهد عليهم جوارحهم بما عملوا فيقولون يا ليتنا كنا ترابا ويا ليتنا لم نكتم الله شيئا وليس ذلك بحقيقة الكتمان فإنه لا يكتم شيء عن الله لكنه في صورة الكتمان وهذا قول ابن عباس **وثانيها** أنه كلام مستأنف والمراد به انهم لا يكتمون الله شيئا من أمور دينهم وكفرهم بل يعترفون به فيدخلون النار باعترافهم وإنما لا يكتمون لعلمهم بأنه لا ينفعهم الكتمان وإنما يقولون والله ربنا ما كنا مشركين في بعض الأحوال فإن للقيامه مواطن واحوالا ففي موطن لا يسمع كلامهم إلا همسا كما اخبر تعالى عنهم وفي موطن ينكرون ما فعلوه من الكفر والمصاحي ظنا منهم ان ذلك ينفعهم وفي موطن يعترفون بما فعلوه عن الحسن **وثالثها** ان المراد انهم لا يقدرون على كتمان شيء من الله لأن جوارحهم تشهد عليهم بما فعلوه فالتقدير لا تكتمه جوارحهم وإن كتموه **رابعها** ان المراد ودوا لو تسوى بهم الأرض وانهم لم يكونوا كتموا امر محمد وبشء عن عطا **خامسها** ان الآية على ظاهرها فالمراد لا يكتمون الله شيئا لأنهم ملجأون إلى ترك القبائح والكذب وقولهم والله ربنا ما كنا مشركين أي ما كنا مشركين عند انفسنا لأنهم كانوا يظنون في الدنيا ان ذلك ليس بشرك من حيث تقرّبهم إلى الله عن ابي القاسم البلخي

قوله تعالى (٤٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا غَفُورًا (آية)

القراءة

قرأ أهل الكوفة غير غاصم أو لمستم بغير الف وهنا وفي المائدة وقرأ الباقون لامستم بألف

الحجة

حجة من قرأ لمستم ان هذا المعنى جاء في التنزيل على فلتستم في غير موضع قال تعالى لم يطمئنن إنس ولم يمسني بشر وحجة من قرأ لامستم ان فاعل قد جاء في معنى فعل نحو عاقبت اللص وطارت النعل

اللفظة

يقال قَرِبَ يَقْرُبُ مَعْدَّ وَقَرَّبَ يَقْرُبُ لازم وَقَرَّبَ يَقْرُبُ إذا ورده واصل السكر من السكر وهو سكر مجرى الماء واسم الموضع السكر فبالسكر يفسد طريق المعرفة وسكرة الموت غشيته ورجل سكران من

قوم سكارى وسكارى والمرأة سكارى ايضا ويقال رجل جنب إذا اجنب ويستوي فيه الذكر والمؤنث والواحد والجمع يقال رجل جنب وقوم جنب وامرأة جنب والعاير من العبور يقال عبرت النهر والطريق عبورا إذا قطعته من هذا الجانب إلى الجانب الآخر والغائط أصله المطنن من الارض يقال غائط وغيطان وكانوا يتبرزون هناك ليفيوا عن عيون الناس ثم كثر ذلك حتى قالوا للحدث غائط وكنوا بالتغوط عن الحدث في الغائط وقيل انهم كانوا يلقون النجس في هذا المكان فسمي باسمه على سبيل المجاز والتغوط موضع كثير الماء والشجر بدمشق وقال مؤرج الغائط قرارة من الارض تحفها آكام تسترها والقمل منه غاط يتغوط مثل عاد يعود واللمس يكون باليد ثم اتسع فيه فأوقع على غيره وقالوا الشمس وهو افعل من اللمس فأوقع على ما لا يقع عليه اللمس قال

الْعَبْدُ وَالْمُهْجِنُ وَالْفَلَنْقَسُ ثَلَاثَةٌ فَأَيُّهُمْ تَلَسَّسُ (١)

اراد أيهم تطلب وملتبس المعروف طالبه وليس هنا ماسة ولا مباشرة والتبسم القصد ومثله التأمم قال الاعشى

تَيَمَّمْتُ قَيْسًا وَكَمْ دُونَهُ مِنْ الْأَرْضِ مِنْ مَهْمَةٍ ذِي شَرَنِ (٢)

وقال آخر * تَيَمَّمْتُ دَارًا وَيَمِّنَنَّ دَارًا * وقد صار في الشرع اسما لقصد مخصوص وهو ان يقصد الصعيد

ويستعمل التراب في اعضاء مخصوصة والصعيد وجه الارض من غير نبات ولا شجر وقال ذو الرمة

كَأَنَّهُ بِالضُّحَى تَرْمِي الصَّعِيدَ بِهِ ذُبَابَةٌ فِي عِظَامِ الرَّأْسِ خُرْطُومٌ (٣)

وقال الزجاج الصعيد ليس هو التراب وإنما هو وجه الارض ترابا كان او غيره وإنما سمي صعيدا لأنه نهاية

ما يصعد اليه من باطن الارض

الاعراب

وانتم سكارى جملة منصوبة الموضع على الحال والعامل فيه تقربوا وذو الحال الواو من تقربوا وقوله جنبا وإنما اتصب لكونه عطفًا عليه والمراد به الجمع وعابري سبيل منصوب على الاستثناء وتعلموا منصوب بأوصافهم وعلامة التصب سقوط النون ثم انه مع ان المضمر في موضع الجر يحق والجار والمجرور في موضع التصب بكونه مفعول تقربوا وكذلك قوله حتى تغتسلوا وقوله على سفر في موضع نصب عطفًا على قوله مرضى وتقديره او مسافرين

المعنى

لما امر سبحانه في الآية المتقدمة بالعبادة ذكر عقبيها ما هو من اكبر العبادات وهو الصلاة فقال (يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة) اي لا تصلوا وانتم سكارى عن ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وابن زيد وقيل معناه لا تقربوا اما كن الصلاة اي المساجد للصلاة وغيرها كقوله وصلوات اي مواضع الصلوات عن عبد الله وسعيد بن المسيب والضحاك وعكرمة والحسن ويؤيد هذا قوله الا عابري سبيل فان العبور إنما يكون في الموضع دون الصلاة وقوله (وانتم سكارى) اي نشاوى واختلف فيه على قولين (احدهما) ان المراد به سكر الشراب عن ابن عباس ومجاهد وقتادة قالوا ثم نسخها تحريم الخمر وروي ذلك عن موسى بن جعفر (ع) وقد بسأل عن هذا فيقال كيف يجوز نهي السكران في حال السكر مع زوال العقل واجيب عنه بجوابين (احدهما) انه قد يكون سكران من غير ان يخرج من نقصان العقل الى ما لا يعمل الامر والنهي (والآخر) ان النهي إنما ورد عن التعرض للسكر في حالة وجوب اداء الصلاة عليهم واجاب ابو علي الجبائي بجواب ثالث وهو ان النهي إنما دل على اعادة الصلاة واجبة عليهم ان أدوها في حال السكر وقد مثل ايضا فقيل اذا كان السكران مكلفا فكيف يجزى ان ينهي عن الصلاة في حال سكره مع ان عمل المسلمين على خلافه واجيب عن ذلك بجوابين (احدهما) انه منسوخ (والآخر) انهم لم يؤثروا بتركها لكن امروا بأن يصلوها في بيوتهم ونهوا عن الصلاة مع

(١) الهجين: الذي ابوه عتيق وامه مولاة. والفلقس: الذي ابوه مولى وامه عربية وقيل غير ذلك.

(٢) المهمة: المغارة البعيدة. البلد المقفر. الشزن: الغلظ من الارض. (٣) الخرطوم: الغمر الشديدة الاسكار.

النبي (ص) في جماعته تعظيماً له وتوقيراً (القول الثاني) ان المراد بقوله وانتم سكارى سكر النوم خاصة عن الضحاك وروي ذلك عن ابي جعفر (ع) وبعض ذلك ما روته عائشة عن النبي (ص) انه قال اذا نسي احدكم وهو يصلي فلينصرف لعله يدعوى قسه وهو لا يدري (حتى تعلموا ما تقولون) اي حتى تميزوا ما تقولون من الكلام وقيل معناه حتى تحفظوا ماتلون من القرآن وقوله (ولا جنباً الا عابري سبيل حتى تغتسلوا) في معناه قولان (احدهما) ان المراد به لا تقربوا الصلاة وانتم جنب الا ان تكونوا مسافرين فيجوز لكم ادائها بالتييمم وان كان لا يرفع حكم الجنابة فإن التيمم وان كان يبيح الصلاة فإنه لا يرفع الحدث عن علي (ع) وابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد والآخر ان معناه لا تقربوا مواضع الصلاة من المساجد وانتم جنب الا مجتازين عن جابر والحسن وعطاء والزهري وابراهيم وهو المروي عن ابي جعفر (ع) وعابري سبيل اي مارين سبيل حتى تغتسلوا من الجنابة وهذا القول الأخير أقوى لأنه سبحانه بين حكم الجنب في آخر الآية اذا عدم الماء فلو حملناه على ذلك لكان تكراراً وانما اراد سبحانه ان يبين حكم الجنب في دخول المساجد في اول الآية ويبين حكمه في الصلاة عند عدم الماء في آخر الآية (وان كنتم مرضى) قيل نزلت في رجل من الانصار كان مريضاً ولم يستطع ان يقوم فيتوضأ فالمرض الذي يجوز معه التيمم مرض الجراح والكسر والقروح اذا خاف اصحابها من مس الماء عن ابن عباس وابن مسعود والسدي والضحاك ومجاهد وقتادة وقيل هو المرض الذي لا يستطيع معه تناول الماء ولا يكون هناك من يتناوله عن الحسن وابن زيد وكان الحسن لا يرخص للجريح التيمم والمروي عن السيدين الباقر والصادق (ع) جواز التيمم في جميع ذلك (او على سفر) معناه او كنتم مسافرين (اوجاء احد منكم من الغائط) وهو كتابة عن قضاء الحاجة قيل ان او هنا بمعنى الواو كقوله سبحانه وارسلناه الى مائة الف او يزيدون بمعنى وجاء احد منكم من الغائط وذلك لأن المجيء من الغائط ليس من جنس المرض والسفر حتى يصح عطفه عليهما فإنه سبب لا لإباحة التيمم والرخصة والمجيء من الغائط سبب لإيجاب الطهارة (او لا مستم النساء) المراد به الجماع عن علي (ع) وابن عباس ومجاهد والسدي وقتادة واختاره ابو حنيفة والجبائي وقيل المراد به اللمس باليد وغيرها عن عمر بن الخطاب وابن مسعود والشعبي وعطاء واختاره الشافعي والصحيح الاول لأن الله سبحانه بين حكم الجنب في حال وجود الماء بقوله ولا جنباً الا عابري سبيل حتى تغتسلوا ثم بين عند عدم الماء حكم المحدث بقوله او جاء احد منكم من الغائط فلا يجوز ان يدع بيان حكم الجنب عند عدم الماء مع انه جرى له ذكر في الآية وبين فيه حكم المحدث ولم يجز له ذكر فعلمنا ان المراد بقوله او لا مستم الجماع ليكون بياناً لحكم الجنب عند عدم الماء واللمس والملازمة معناها واحد لانه لا يلمسها الا وهي تلمسه ويروى ان العرب والموالي اختلفوا فيه فقالت الموالي المراد به الجماع وقالت العرب المراد به مس المرأة فارتفعت اصواتهم الى ابن عباس فقال غلب الموالي المراد به الجماع وسمي الجماع لما لأن به يتوصل الى الجماع كما يسمى المطر ساء وقوله (فلم تجدوا ماء) راجع الى المرضى والمسافرين جميعاً اي مسافر لا يجد الماء ومريض لا يجد من يوضؤه أو يخاف الضرر من استعمال الماء لأن الاصل ان حال المرض يغلب فيها خوف الضرر من استعمال الماء وحال السفر يغلب فيها عدم الماء (فتيمموا) اي تعمدوا وتحروا واقصدوا (صعيداً) قال الزجاج لا اعلم خلافاً بين اهل اللغة في ان الصعيد وجه الارض وهذا يوافق مذهب اصحابنا في ان التيمم يجوز بالحجر سواء كان عليه تراب او لم يكن (طيباً) اي طاهراً وقيل حلالاً عن سفيان وقيل منبتاً دون السبخة التي لا تثبت كقوله والبلد الطيب يخرج نباته يؤذن ربه (فامسحوا بوجوهكم وايديكم) هذا هو التيمم بالصعيد الطيب واختلف في كيفية التيمم على اقوال * احدها * انه ضربة للوجه وضربة لليدين الى المرفقين وهو قول اكثر الفقهاء وابي حنيفة والشافعي وغيرها وبه قال قوم من اصحابنا * وثانيها * انه ضربة للوجه وضربة لليدين من الزندين واليه ذهب عمار بن ياسر ومكحول واختاره الطبري وهو مذهبنا في التيمم اذا

(الجزء الخامس) قوله تعالى ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب إلى قوله وكفى بالله نصيرا ٥٣ ج ٣

كان بدلا من الجنابة فإذا كان بدلا من الوضوء كفاه ضربة واحدة يمسح بها وجهه من قصاص شعره إلى طرف أذنه ويديه من زنديبه إلى أطراف أصابعهما وهو المروي عن سعيد بن المسيب * وثالثها * أنه إلى الأبطين عن الزهري (إن الله كان عفوا) يقبل منكم العفو لأن في قبوله التيمم بدلا من الوضوء تسهيل الأمر علينا وقيل عفوا كثير الصفح والتجاوز (غفورا) كثير السر لذنوب عباده وفي الآية دلالة على أن السكران لا تصح صلاته وقد حصل الإجماع على أنه يلزمه القضاء ولا يصح من السكران شيء من العقود كالنكاح والبيع والشراء وغير ذلك ولا رخصها كالطلاق والعتاق وفي الطلاق خلاف بين الفريقين فعند أبي حنيفة يقع طلاقه وعند الشافعي لا يقع في أحد القولين فأما ما يلزم به الحدود والقصاص فعندنا أنه يلزمه جميع ذلك فيقطع بالسرقة ويحد بالقذف والزنا المعموم الآيات المتناولة لذلك ولإجماع الطائفة عليه

قوله تعالى (٤٤) ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون أن تضلوا السبيل (٤٥) والله أعلم بأعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا (آيتان) في الكوفي عدوا أن تضلوا السبيل آية وآية واحدة في غيرهم

﴿ اللغة ﴾

العداوة الإبعاد من حال النصره وضدها الولاية وهي التقريب من حال النصره وأما البغض فهو ارادة الاستخفاف والإهانة وضدها المحبة وهي ارادة الاعظام والكرامة والكفاية بلوغ الغاية في مقدار الحاجة كفى يكفي كفاية فهو كاف والاكتفاء الاجتزاء بالشيء دون الشيء ومثله الاستغناء والنصرة الزيادة في القوة للغلبة ومثلها المعونة وضدها الخذلان ولا يكون ذلك الا عقوبة لأن منع المعونة من يحتاج إليها عقوبة

﴿ الإعراب ﴾

في دخول الباء في قوله بالله قولان * أحدهما * أنه لتأكيد الاتصال * والثاني * أنه دخله معنى اكتفوا بالله ذكره الزجاج وموضع رفع بالاتفاق

﴿ النزول ﴾

نزلت في زفاعة بن زيد بن السائب ومالك بن دحشم كانوا إذا تكلم رسول الله (ص) لوبا لسانهما وعاباه عن ابن عباس

﴿ المعنى ﴾

لما ذكر سبحانه الأحكام التي أوجب العمل بها وصلها بالتحذير مما دعا إلى خلافها فقال (ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب) أي الم يتتبع علمك إلى الذين أعطوا حظا من علم الكتاب يعني التوراة وهم اليهود عن ابن عباس (يشترون الضلالة) أي يستبدلون الضلالة بالهدى ويكذبون النبي (ص) بدلا من التصديق وقيل كانت اليهود تعطي أجبارة كثيرا من أموالهم على ما كانوا يضعونه لهم فجعل ذلك اشتراء منهم عن أبي علي الجبائي وقيل كانوا يأخذون الرشي عن الزجاج (ويريدون أن تضلوا السبيل) أي يريدون لاه اليهود أن تزلوا أيها المؤمنون عن طريق الحق وهو الدين والإسلام فتكذبوا بمحمد فتكونوا ضللا وفي ذلك تحذير للمؤمنين أن يستنصحووا أحدا من أعداء الدين في شيء من أمورهم الدينية والدنيوية ثم أخبر سبحانه بأنه أعلم بعداوة اليهود فقال (والله أعلم بأعدائكم) أيها المؤمنون فاتتوها إلى اطاعتي فيما نهيتكم عنه من استنصاحهم في دينكم فأني أعلم بباطنهم منكم وما هم عليه من النش والحسد والعداوة لكم (وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا) معناه أن ولاية الله لكم ونصرته أياكم تغنيكم

عن نصرة هؤلاء اليهود ومن جرى مجراهم ممن تطعمون في نصرته

قوله تعالى (٤٦) مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا
وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعَيْنَا لَبًّا بِالْسُنَنِهِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمَعُ
وَأَنْظُرْنَا لَكُنْ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا (آية)

﴿ اللغة ﴾

أصل اللّي القتل يقال لويت العود الرويه ليا ولويت الغريم إذا مطلته واللوبية ما تتحف به المرأة ضيفها لتلوي
بقلبه اليها وألوى بهم الدهر إذا افناهم ولوى البقل إذا اصفر ولم يستحکم بيبه والألسنة جمع اللسان وهو
آلة الكلام واللسان اللغة ومنه قوله وما ارسلنا من رسول إلا بلسان قومه وتقول لسنته السنه إذا اخذته بلسانك
قال طرفه

وَإِذَا تَلَسَّنِي السُّنُّهُ
إِنِّي لَسْتُ بِمُوهُونَ قَبِيرٍ

وأصل الطمن بالرمح ونحوه الطمن باللسان

﴿ الإعراب ﴾

قيل في من هادوا واتصاله وجهان ﴿ احدهما ﴾ انه تبيين للذين أوتوا نصيبا من الكتاب فيكون العامل
فيه أوتوا وهو في صلة الذين ويجوز ان لا يكون في الصلة كما تقول انظر إلى نفر من قومك ما صنعوا ﴿ الثاني ﴾
ان يكون على الاستئناف والتقدير من الذين هادوا فربق يجرّفون الكلم فالقبي الموصوف لدلالة الهمزة عليه كما
قال ذو الرمة

فَظَلُّوا وَمِنْهُمْ دَمْعُهُ سَابِقٌ لَهُ
وَأَخْرَيْتَنِي دَمْعَةَ الْعَيْنِ بِالْمَهْلِ

وأنشد سيويه

وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا نَارَتَانِ فَمِنْهُمَا
أَمُوتُ وَأُخْرَى ابْتَغِي العَبْشَ أَكْدَحَ

وقال الفراء المحذوف من الموصولة والتقدير من الذين هادوا من يجرّفون الكلم كما يقوارن ما يقول
ذلك وما لا يقوله قال والعرب تضر من في مبتدأ الكلام بمن لأن من بعض لما هي منه كما قال تعالى وما منا
إلا له مقام معلوم وان منكم إلا واردها وانكر المبرد والزجاج هذا القول قال لأن من يحتاج إلى صلة اوصفة
تقوم مقام الصلة فلا يحسن حذف الموصول مع بقاء الصلة كما لا يحسن حذف بعض الكلمة وغير مسمع نصب
على الحال وراعنا من نوتها جعلها كلمة الأمر كقولك رويدا وهنينا ومن لم يُنَوِّنْ جعلها من المراجعة كما تقول
قاضيًا ليامصدر وضع موضع الحال وكذلك قوله وطعنا وتقديره يلوون ألسنتهم ليا ويطنون في الدين طعنا إلا
قليلا تقديره يؤمنون وهم قليل فيكون قليلا منتصبا على الحال ويجوز ان يكون صفة لمصدر محذوف تقديره
إيمانًا قليلا كما قال الشاعر

فَأَلْفَيْتُهُ غَيْرَ مُسْتَعْتَبٍ
وَلَا ذَاكَرَ اللَّهِ إِلَّا قَلِيلًا

يريد إلا ذكرًا قليلا وسقط التنوين من ذاكر لاجتماع الساكنين

﴿ المعنى ﴾

ثم بين صفة من تقدّم ذكرهم فقال (من الذين هادوا) أي ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب من

- (١) الموهون : الضعيف . الفقر ككتف : الذي اشتكى فقر ظهره من مرض أو كسر . (٢) المهل بالتحريك والسكون :
الرفق . وفي بعض النسخ « المهل » بتقديم الهاء على الميم من قولهم هملت عينه إذا فاضت دموعا .
(٣) كدح في العمل : جهده فيه وكدحتي يؤثر فيها .

اليهود فيكون قوله يعرفون الكلم في موضع الحال وان جعلته كلاما مستأنفا فمعناه من اليهود فريق (يعرفون الكلم عن مواضعه) أي يبدلون كلمات الله واحكامه عن مواضعها وقال مجاهد يعني بالكلم التوراة وذلك انهم كتبوا ما في التوراة من صفة النبي (ويقولون سمعنا وعصينا) معناه يقولون مكانه بألسنتهم سمعنا وفي قلوبهم عصينا وقيل وعناه سمعنا قولك وعصينا امرك (واسمع غير مسمع) أي ويقول هو لا . اليهود للنبي اسمع منا غير مسمع كما يقول القائل لغيره إذا سبَّه بالقيح اسمع لا اسمعك الله عن ابن عباس وابن زيد وقيل بل تأويله اسمع غير محاب لك ولا مقبول منك عن الحسن ومجاهد وهذا كله اخبار من الله عن اليهود الذين كانوا خوالي المدينة في عصر النبي لأنهم كانوا يسبون ويؤذونه بالسبي من القول (وراعنا) قد ذكرنا معناه في سورة البقرة وقيل انه كان سبا للنبي تواضعا عليه ويقال كانوا يقولون استهزاء وسخرية ويقال انهم كانوا يقولونه على وجه التجدير كما يقول القائل لغيره انصت لكلامنا وتفهم عنا وإنما يكون هو من المراعاة التي هي المراقبة (ليا بألسنتهم) أي تحريكها منهم لأنسنتهم بتعريف منهم لمعناه إلى المكروه (وطعنا في الدين) أي وقيعة فيه (ولو انهم قالوا سمعنا) قولك (وأطعنا) امرك (وقبلنا ما جئتنا به) (واسمع) منا (وانظرنا) أي انتظرنا نفهم عنك ما تقول لنا (لكان خيرا لهم) يعني أنفع لهم عاجلا وأجلا (واقوم) أي اعدل واصوب في الكلام من الطعن والكفر في الدين (ولكن لعنهم الله بكفرهم) أي طردهم عن ثوابه ورحمته لسبب كفرهم ثم اخبر الله عنهم فقال (فلا يؤمنون) في المستقبل (إلا قليلا) منهم فخرج مخبره على وفق خبره فلم يؤمن منهم إلا عبد الله بن سلام واصحابه وهم نقر قليل ويقال معناه لا يؤمنون إلا إيمانا قليلا أي ضعيفا لا اخلاص فيه ولكنهم عصوا دماهم واموالهم به ويجوز ان يكون المعنى فلا يؤمنون إلا بقليل مما يجب الايمان به

قوله تعالى (٤٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا نَزَّلْنَا مُصَدَقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطَّيْسَ وَجُوهًا فَتَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعْنَا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا (آية)

﴿ اللغة ﴾

الطمس هو عفو الأثر والطمس والداثر والدارس بمعنى والأدبار جمع دبر واصله من الدبر يقال دبره يدبره دبرا فهو دابر اذا صار خلفه والدابر التابع وقوله والليل اذا ادبر معناه تبع النهار والتدبير احكام أدبار الامور وهي مراقبها

﴿ المعنى ﴾

ثم خاطب الله اهل الكتاب بالتحذير فقال (يا أيها الذين آمنوا) اي اعطوا علم الكتاب (آمنوا) اي صدقوا (بما نزلنا) يعني بما نزلناه على محمد (ص) من القرآن وغيره من احكام الدين (مصدقا لما معكم) من التوراة والانجيل الذين تضمنتا صفة نبينا (ص) وصحة ما جاء به (من قبل ان نطمس وجوها فنرددها على ادبارها) واختلف في معناه على اقوال ﴿ احدها ﴾ ان معناه من قبل ان نطمس وجوها فنرددها على ادبارها ﴿ ثانيها ﴾ ان المعنى ان نطمسها عن الهدى فنرددها على ادبارها في ضلالها ذمًا لها بانها لا تفلح ابدا عن الحسن ومجاهد والضحاك والسدي ورواه ابو الجارود عن ابي جعفر (ع) ﴿ وثالثها ﴾ ان معناه نجعل في وجوههم الشر كوجوه القروود عن الفراء وابي القاسم البلخي والحسين بن علي المغربي ﴿ ورابعها ﴾ ان المراد حق نحو آثارهم من وجوههم اي نواحيهم التي

هم بها وهي الحجاز الذي همسكنهم ونردّها على اديارها حتى يعودوا الى حيث جاءوا وهو الشام وحمله على اجلاء بني النضير الى اريحا واذرعات من الشام عن ابن زيد وهذا اضعف الوجوه لانه ترك للظاهر فإن قيل على القول الاول كيف اوجد سبحانه ولم يفعل فجوابه على وجوه احدها ان هذا الوعيد كان متوجها اليهم لولم يؤمن واحد منهم فلما آمن جماعة منهم كعبده بن سلام وثلعة بن شعبة واسد بن ربيعة واسعد بن عبيدة ومخربق وغيرهم واسلم كعب في ايام عمر رفع العذاب عن الباقيين ويفعل بهم ذلك في الآخرة على انه سبحانه قال او نلعنهم كما لعنا والمعنى انه يفعل احدهما وقد لعنهم الله بذلك وثانيها ان الوعيد يقع بهم في الآخرة لانه لم يذكر انه يفعل بهم ذلك في الدنيا تعجيلا للعقوبة ذكره البلخي والبيهقي وثالثها ان هذا الوعيد باق منتظرا ولا بد من ان يطس الله وجوه اليهود قبل قيام الساعة بأن يمسحها عن المبرد (او نلعنهم) اي نخزيهم ونمذبهم عاجلا عن ابي مسلم وقيل معناه نمسخهم قرده (كما لعنا اصحاب السبت) يعني الذين اعتدوا في السبت عن السدي وقتادة والحسن واما قال سبحانه نلعنهم بلفظ النبوة وقد تقدم خطابهم لاحد امرين اما للتصرف في الكلام كقوله حتى اذا كنتم في الفلك فخطب ثم قال وجريتم بهم بريح طيبة فكنتي عنهم واما لأن الضمير عائد الى اصحاب الوجوه لانهم في حكم المذكورين (وكان امر الله مفعولا) فيه قولان - (احدهما) - ان كل امر من امور الله سبحانه من وعد او وعيد او خبر فإنه يكون على ما خبر به عن الجبائي - (والآخر) - ان معناه ان الذي يأمر به بقوله كن كائن لا محالة وفي قوله سبحانه من قبل ان تطس وجوها دلالة على ان لفظة قبل تستعمل في الشيء انه قبل غيره ولم يوجد ذلك لتيره ولا خلاف في ان استعماله يصح ولذلك يقال كان الله سبحانه قبل خلقه

قوله تعالى (٤٨) **إِنَّ اللَّهَ لَا يَفْرِئُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا** (آية)

❖ اللفظة ❖

افتري اختلق وكذب واصله من خلق الادمي يقال فريت الادمي افريه فريا إذا قطعت على وجه الإصلاح وافريته إذا قطعت على وجه الإفساد

❖ الاعراب ❖

اثما عظيما منصوب على المصدر لأن افتري بمعنى اثم وهذا كما تقول حمدته شكرا

❖ النزول ❖

قال الكلبي نزلت في المشركين وحشي واصحابه وذلك أنه لما قتل حمزة وكان قد جعل له على قتله ان يقتل فلم يؤف له بذلك فلما قدم مكة ندم على صنيعه هو واصحابه فكاتبوا إلى رسول الله (ص) إنا قد نلعنا على الذي صنعناه وليس يمتنا عن الإسلام الا إنا سمعناك تقول وانت بمكة والذين لا يدعون مع الله آلهما آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون الآياتان وقد دعونا مع الله إلهها آخر وقتلنا النفس التي حرم الله وزيننا فلولا هذه لاتبناك فزلت الآية الامن تاب وعمل عملا صالحا الآيتين فبعث بها رسول الله إلى وحشي واصحابه فلما قرأهما كتبوا اليه ان هذا شرط شديد تخاف ان لا تعمل عملا صالحا فلا نكون من اهل هذه الآية فزلت ان الله لا يفر الآية فبعث بها إليهم فقرأوها فبشروا إليه انا نخاف ان لا نكون من اهل مشيئة فزلت يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا فبعث بها إليهم فلما قرأوها دخل هو واصحابه في الإسلام ورجعوا إلى رسول الله (ص) فقبل منهم ثم قال لوحشي اخبرني كيف قتلت حمزة فلما اخبره قال ومحك فبب شخصك مني قلمح وحشي بعد ذلك بالشام وكان بها الى ان مات وقال ابو مجلز عن ابن عمر قال نزلت في

المؤمنين وذلك انه لما نزلت قل يا عبادي الذين اسرفوا الآية قام النبي (ص) على المنبر فتلاها على الناس فقام اليه رجل فقال والشرك بالله فسكت ثم قام اليه مرتين او ثلاثا فنزلت ان الله لا ينفق ان يشرك به الآية اثبت هذه في الزمرو وهذه في النساء. وروى مطرف بن الشخير عن عمر بن الخطاب قال كنا على عهد رسول الله (ص) اذا مات الرجل منا على كبيرة شهدنا بأنه من اهل النار حتى نزلت الآية فامسكنا عن الشهادات

﴿ المعنى ﴾

ثم انه تعالى آيس الكفار من رحمة فقال (ان الله لا ينفق ان يشرك به ويفقر ما دون ذلك لمن يشاء)
 معناه ان الله لا ينفق ان يشرك به أحد ولا ينفق ذنب الشرك لأحد ويفقر ما دونه من الذنوب لمن يريد قال
 المحققون هذه الآية ارجى آية في القرآن لأن فيها ادخال ما دون الشرك من جميع المعاصي في مشيئة الغفران وقف الله
 المؤمنين الموحدين بهذه الآية بين الحروف والرجاء وبين العدل والفضل وذلك صفة المؤمن ولذلك قال الصادق (ع) لو وزن
 رجاء المؤمن وخوفه لا اعتدلا ويؤيداه قوله سبحانه ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون ولا يأمن مكر الله
 إلا القوم الخاسرون وروى عن ابن عباس انه قال ثمانى آيات نزلت في سورة النساء خير لهذه الأمة مما طلعت عليه
 الشمس وغربت قوله سبحانه يريد الله ليبين لكم ويريد الله ان يخفف عنكم ان تعجبوا كبار ما تنهون عنه ان
 الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه يؤجز به ان الله لا ينفق ان يشرك به في الموضعين ما يفعل الله
 بعدابكم وبيان وجه الاستدلال بهذه الآية على ان الله تعالى ينفق الذنوب من غير توبة انه نفى غفران الشرك ولم
 ينف غفرانه على كل حال بل نفى ان ينفق من غير توبة لأن الأمة اجمعت على ان الله ينفق بالتوبة وان كان الغفران
 مع التوبة عند المعتزلة على وجه الوجوب وعندنا على وجه التفضل فعلى هذا يجب ان يكون المراد بقوله (ويفقر
 ما دون ذلك لمن يشاء) انه يفقر ما دون الشرك من الذنوب بغير توبة لمن يشاء من المذنبين غير الكافرين وإنما
 قلنا ذلك لأن موضوع الكلام الذي يدخله النفي والايجاب وينضم اليه الأعلى والادون ان يخالف الثاني الاول
 الا ترى انه لا يحسن ان يقول الرجل انا لا ادخل على الامير الا اذا دعاني وادخل على من دونه اذا دعاني وانما
 يكون الكلام مفيدا اذا قال وادخل على من دونه وان لم يدعني ولا معنى لقول من يقول من المعتزلة ان في
 حمل الآية على ظاهرها وادخال ما دون الشرك في المشيئة اغراء على المعصية لأن الاغراء انما يحصل بالقطع على
 الغفران فأما اذا كان الغفران متعلقا بالمشيئة فلا اغراء فيه بل يكون المبد به واقفا بين الحروف والرجاء على الصفة
 التي وصف الله بها عباده المرتضين في قوله تعالى يدعون ربهم خوفا وطمعا ويمجدون الآخرة ويرجو رحمة ربه وبهذا
 وردت الاخبار الكثيرة من طريق الخاص والعالم وانقد عليه اجماع سلف اهل الاسلام ومن قال ان في غفران
 ذنوب البعض دون البعض ميلا ومحابة ولا يجوز الميل والمحابة على الله وجوابه ان الله متفضل بالغفران وللمتفضل
 ان يتفضل على قوم دون قوم وإنسان دون إنسان وهو عادل في تعذيب من يعذبه وليس يمنع العقل ولا الشرع
 من الفضل والعدل ومن قال منهم ان لفظة ما دون ذلك وان كانت عامة في الذنوب التي هي دون الشرك فإنما
 نخصها ونحملها على الصفات او ما يقع منه التوبة لأجل عموم ظاهر آيات الوعيد فجوابه انا نعكس عليكم
 ذلك فنقول بل قد خصوا ظاهر تلك الآيات لعموم ظاهر هذه الآية وهذا اول ما روي عن بعض السلف انه قال
 ان هذه الآية استثنا على جميع القرآن يريد به والله اعلم جميع آيات الوعيد وايضا فإن الصفات تقع عندهم
 محبطة ولا تجوز المواخذة بها وما هذا حكمه فكيف يطلق بالمشيئة فإن احدا لا يقول اني افعل الواجب ان
 شئت وارد الوديمة ان شئت وقوله (ومن يشرك بالله فقد افترى) اي فقد كذب بقوله ان العبادة يستحقها
 غير الله واثم (اثما عظيما) اي غير مغفور وجاءت الرواية عن امير المؤمنين (ع) انه قال ما في القرآن آية ارجى عندي
 من هذه الآية

قوله تعالى (٤٩) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنْفُسَهُمْ بَلَى اللَّهُ يُزَكِّيهِمْ مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا (٥٠) أَنْظِرْ كَيْفَ يَقْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُبِينًا (آيتان)

✽ الثمة ✽

التزكية التطهير والتنزيه وقد يكون الرصف بالتطهير تزكية واصله من الزكا وهو النمو يقال زكا الزرع يزكو زكواً وزكا الشيء اذا نما في اصلاح واصل القليل ما يقتل وهو لي الشيء والقتيلا معروفة وناقاة قتلاء

اذا كان في ذراعيها قتل عن الجنب والقتيل بمعنى المقتول وهو عبارة من الشيء الحقيق قال النابغة
يَجْمَعُ الْجَيْشَ ذَا الْأَلُوفِ وَيَغْزُو
ثُمَّ لَا يَزُورُ الْمَدُونَ فَتِيلًا

والنظر هو الاقبال على الشيء بالبصر ومنه النظر بالقلب لانه اقبال على الشيء بالقلب وكذلك النظر بالرحمة والنظر الى الشيء التأميل له والانتظار الاقبال على الشيء بالتوقع والمناظرة اقبال كل واحد على الآخر بالمعاجة والنظير مثل الشيء لاقباله على نظيره بالمماثلة والفرق بين النظر والرؤية ان الرؤية هي ادراك المرئي والنظر الاقبال بالبصر نحو المرئي ولذلك قد ينظر ولا يراه ولذلك يجوز ان يقال لله تعالى انه راء ولا يجوز ان يقال انه ناظر

✽ الاعراب ✽

فتيلا منصوب على انه مفعول ثان كقولك ظلمته حقه قال علي بن عيسى ويحتمل ان يكون نصباً على التمييز كقولك تصببت عرقاً

✽ النزول ✽

قيل نزلت في رجال من اليهود اتوا باطفالهم الى النبي فقالوا هل على هؤلاء من ذنب فقال لا فقالوا والله ما نحن الا كهيتهم ما عملناه بالنهار كفر عنا بالليل وما عملناه بالليل كفر عنا بالنهار فكذبهم الله عن الكلبي وقيل نزلت في اليهود والنصارى حين قالوا نحن ابناؤ الله واحباؤه قالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا او نصارى عن الضحاك والحسن وقتادة والسدي وهو المروي عن ابي جعفر (ع)

✽ المعنى ✽

ثم ذكر تعالى تزكية هؤلاء انفسهم مع كفرهم وتعريفهم الكتاب فقال (الم تر) معناه ألم تعلم وقيل ألم تخبر وهو سؤال على وجه الإيلاء وتأييله اعلم قصتهم المبنية عليك (الى) هؤلاء (الذين يزكون انفسهم) اي يمدحونها ويصفونها بالزكاة والطهارة بأن يقولوا نحن اذكيا وقيل هو تزكية بعضهم بعضاً عن ابن مسعود واتما قال انفسهم لانهم على دين واحد وهم كنفس واحدة (بل الله يزكي من يشاء) رد الله ذلك عليهم وبين ان التزكية اليه يزكي من يشاء اي يطهر من الذنب من يشاء وقيل معناه يقبل عمله فيصير ذكياً ولا يزكي اليهود بل يعذبهم (ولا يظلمون فتيلاً) معناه لا يظلمون في تمديبهم وترك تزكيتهم فتيلاً اي مقدار قليل وذكر القليل مثلاً واختلف في معناه قليل هو ما يكون في شق النواة عن ابن عباس ومجاهد وعطاء وقتادة وقيل القليل ما في بطن النواة والنقير ما على ظهرها والقطير قشرها عن الحسن وقيل القليل ما قلته بين اصبعيك من الوسخ عن ابن عباس والي مالك والسدي وفي هذه الآية دلالة على تنزيه الله عن الظلم واتما ذكر القليل ليعلم انه لا يظلم قليلاً ولا كثيراً (انظر) يا محمد (كيف يقترنون على الله الكذب) في تعريفهم كتابه وقيل في تزكيتهم انفسهم وقولهم نحن ابناؤ الله واحباؤه ولن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى عن ابن جريج (وكفى به) اي كفى هو (اثماً مبيناً) اي وزراً مبيناً واتما قال كفى به في العظم على جهة المدح او الذم يقال كفى المؤمن نيلاً وكفى بكافر خزياً فكأنه قال ليس يحتاج الى حال اعظم منه ويحتمل ان يكون

(١) رذا الرجل ماله : اصاب منه شيئاً مهما كان اي نقضه .

معناه كفى هذا اتما اي ليس يقصر عن منزلة الإثم
قوله تعالى (٥١) ألم تر إلى الذين أتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت
ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً (٥٢) أولئك الذين لعنهم
الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيراً (آيتان)

✽ اللغة ✽

الجبت لا تصريف له في اللغة العربية وروي عن سعيد بن جبير انه قال هو السحر بلغة اهل الجبشة وهذا
يحصل على موافقة اللتين أو على ان العرب أدخلوها في لغتهم فصارت لغة لهم واللغة الأوباد من رحمة الله عقاباً
على معصيته فلذلك لا يجوز لمن البهائم ولا من ليس يعاقل من المجانين والاطفال لأنه سأل العقوبة لمن لا يستحقها
فمن لمن بهيمة أو حشرة أو نحو ذلك فقد اخطأ لأنه سأل الله تعالى ما لا يجوز في حكمته فإن قصد بذلك
الأوباد لا على وجه العقوبة جاز

✽ الاعراب ✽

سبيلاً منصوب على التمييز كما تقول هذا احسن منك وجهاً أو تلك لفظة جمع واحد ذافي المعنى كما يقال
سرة في جمع امرأة وغلب على أولاءها التي للتببيه وليس ذلك في أو تلك لأن في حرف الخطاب تنبيهاً للمخاطب
وصار الكاف معاقباً للهاء التي للتببيه في أكثر الاستعمال

✽ النزول ✽

قيل كان ابو برزة كاهناً في الجاهلية فتنافس اليه ناس ممن اسلم فنزلت الآية عن عكرمة وقيل وهو قول
أكثر المفسرين ان كعب بن الأشرف خرج في سبعين راكباً من اليهود الى مكة بعد وقعة احد ليحالفوا قريشاً
على رسول الله (ص) وينقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله فنزل كعب على ابي سفيان فاحسن مشواه ونزلت
اليهود في دور قريش فقال اهل مكة انكم اهل كتاب ومحمد صاحب كتاب فلا تأمن ان يكون هذا مكرماً
منكم فإن اردت ان نخرج معك فاسجد لهذين الصنمين وامن بهما ففعل ذلك قوله يؤمنون بالجبت والطاغوت
ثم قال كعب يا اهل مكة ليحبي منكم ثلاثون ومنا ثلاثون فلنلقوا كبادنا بالكعبة فنماهد رب البيت لنجهدن
على قتال محمد ففعلوا ذلك فلما فرغوا قال ابو سفيان لكعب انك امرؤ تقرأ الكتاب وتعلم ونحن اميون لانعلم
فأتينا اهدى طريقاً واقرب الى الحق نحن ام محمد قال كعب عرضوا علي دينكم فقال ابو سفيان نحن ننحرف للحجيج
الكوماً ونسقيهم الماء ونقري الضيف ونفك العاني ونصل الرحم ونعمر بيت ربنا ونظوف به ونحن اهل الحرم
ومحمد فارق دين ابائه وقطع الرحم وفارق الحرم وديننا القديم ودين محمد الحديث فقال انتم والله اهدى
سبيلاً مما عليه محمد (ص) فانزل الله الم تر الى الذين اتوا نصيباً من الكتاب

✽ المعنى ✽

فالمعنى بذلك كعب بن الأشرف وجماعة من اليهود الذين كانوا معه بين الله افعالهم القبيحة وضمها الى
ماعدته فيما تقدم فقال (يؤمنون بالجبت والطاغوت) يعني بها الصنمين اللذين كانا لقريش وسجد لهما كعب بن الأشرف
(ويقولون للذين كفروا) اي سفيان واصحابه (هؤلاء اهدى من الذين آمنوا) محمد واصحابه (سبيلاً) اي ديناً عن عكرمة
وجماعة من المفسرين وقيل ان المعنى بالآية حيي بن اخطب وكعب بن الأشرف وسلام بن ابي الحقيق وابورافع في
جماعة من علماء اليهود واجبت الأصنام والطاغوت تراجمه الأصنام الذين كانوا يتكلمون بالكذب عنها عن
ابن عباس وقيل الجبت الساحر والطاغوت الشيطان عن ابن زيد وقيل الجبت البحر عن مجاهد والشعي وقيل

الجبوت الساحر والطاغوت الكاهن عن ابي العالية وسعيد بن جبير وقيل الجبوت ابليس والطاغوت اولياؤه وقيل هما كل من عبد من دون الله من حجر او صورة او شيطان عن ابي عبيدة وقيل الجبوت هنا حي بن اخطب والطاغوت كعب بن الاشرف عن الضحاك وبعض الروايات عن ابن عباس والمراد بالسبيل في الآية الدين واناسي سبيلا لأنه كالطريق في الاستمرار عليه ليؤدي إلى المقصود (او تلك) إشارة إلى الذين تقدم ذكرهم (الذين لنعم الله) أي بملئهم من رحمة واخزاهم وخذلهم واقصاهم (ومن يلعن الله) أي ومن يلعنه الله (فلن تجده نصيراً) أي معنا يدفع عنه عقاب الله تعالى الذي أعد له وقيل فلن تجده نصيراً في الدنيا والآخرة لأنه لا يعتد بنصرة من ينصره مع خذلان الله إياه

قوله تعالى (٥٣) **أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمَلِكِ فَإِذَا لَا يُوْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا**

(٥٤) **أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ**

وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا (٥٥) فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكُفِيَ

بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا (ثلاث آيات)

❖ الفة ❖

النقير من النقر وهو النكت ومنه المنقار لأنه ينقر به والنقور الصرد لأنه ينقر فيه بالنفخ المصوت والنقير خشبة ينقر وينبذ فيها وانتقر اختص كما تختص بالنقر واحداً واحداً قال طرفة

**فَمَنْ فِي الْمَشْتَاةِ نَدَعُو الْجَفْلَى
لَا تَرَى الْآدِبَ فِيهَا يَنْتَقِرُ (١)**

والحد تمني زوال النعمة عن صاحبها لما يلحق من المشقة في نيله لها وهو خلاف النبطة لأن النبطة تمني مثل تلك النعمة لأجل السرور بها لصاحبها ولهذا صار الحد مذموماً والنبطة غير مذمومة وقيل إن الحد من افراط البخل لأن البخل يمنع النعمة لمشقة بذلها والحد تمني زوالها لمشقة نيل صاحبها فالعمل فيها على المشقة بنيل النعمة واصل السعير من السمر وهو ايقاد النار واستعرت النار أو الحرب أو الشر وسعرتها أو اسعرتها والسمر سعر المتاع وسعره سعيراً وذلك لاستعارة السوق بحماها في البيع والساعور كالسنور

❖ الإعراب ❖

أم هذه هي المنقطعة وليست المعادلة لهزمة الاستفهام التي تسمى المتصلة وتقديره بل ألهم نصيب من الملك وقال بعضهم إن هزمة الاستفهام محذوفة من الكلام لأن أم لا تجيب مبتدأة بها وتقديره ألهم أولى بالنبوة أم لهم نصيب من الملك فيلزم الناس طاعتهم وهذا ضعيف لأن حذف الهزمة إنما يجوز في ضرورة الشعر ولا ضرورة في القرآن واذن لم يعمل في يوتون لأنها إذا وقعت بين الفاء والفعل أو بين الواو والفعل جاز أن تقدر متوسطة فتلغى كما يلغى ظننت واخواتها إذا توسطت أو تأخرت لأن النية به التأخير فالتقدير فلا يوتون الناس نقيراً اذ لا يلبثون خلافاً الا قليلاً اذن، ويجوز أن تقدر متأنقة فتعمل مع حرف العطف ولو قرأ فإذا لا يوتون الناس لجاز. لكن القراءة سنة متبعة وإذا لا تعمل في الفعل النصب الا بشرط أربعة ان تكون جواباً لكلام وان تكون مبتدأة في اللفظ وان لا يكون ما بعدها متعلقاً بما قبلها ويكون الفعل بعدها مستقبلاً

❖ المعنى ❖

لما بين حكم اليهود بأن المشركين اهدى من النبي (ص) واصحابه بين الله سبحانه ان الحكم ليس اليهم إذ الملك ليس لهم فقال (أم لهم نصيب من الملك) وهذا استفهام معناه الإنكار أي ليس لهم ذلك وقيل المراد بالملك ههنا النبوة عن الجبائي أي ألهم نصيب من النبوة فيلزم الناس اتباعهم وطاعتهم وقيل المراد بالملك ما كانت

(١) وفي بعض النسخ كالصحيح «فينا ينتقر». الشناة: زمان الشتاء او موضع الشتاء او موضع الإقامة في الشتاء. الجفلى هي ان تدعو الناس الى طعامك دعوة عامة من غير اختصاص. والادب: الداعي الى مادة الانتشار: الدعوة الخاصة وهوان تدعو بعضاً دون بعض (٢) وسعرتها.

اليهود تدعيه من ان الملك يعود اليهم في آخر الزمان وانه يخرج منهم من يجدد ملتهم ويدعو إلى دينهم فكذبهم الله تعالى (فإذا لا يوتون الناس تقيرا) أي لو اعطوا الدنيا وملكها لما اعطوا الناس من الحقوق قليلا ولا كثيرا وفي تفسير ابن عباس لو كان لهم نصيب من الملك لما اعطوا محمداً وأصحابه شيئا وقيل انهم كانوا اصحاب بساتين وأموال وكانوا لا يعطون الفقراء شيئا (أم يحسدون الناس) معناه بل يحسدون الناس واختلف في معنى الناس هنا على أقوال قتل أراد به النبي (ص) حسدوه (على ما آتاهم الله من فضله) من النبوة وإباحة تسع نسوة وميله اليهن وقالوا لو كان نبياً لشغلته النبوة عن ذلك فبين الله سبحانه ان النبوة ليست بدع في آل ابراهيم (ع) (فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة) يعني النبوة وقد آتينا داود وسليمان المملكة وكان لداود تسع وتسعون امرأة وسليمان مائة امرأة وقال بعضهم كانت لسليمان الف امرأة سبعمائة سرية وثلاثمائة امرأة وكان لداود مائة امرأة فلامعني لحسدم محمداً على هذا وهو من اولاد ابراهيم (ع) وما أكثر تزويجا ووسع مملكة منه عن ابن عباس والضحاك والسدي وقيل لما كان قوام السدين به صار حسدم له كحسدم لجميع الناس (وثانيها) ان المراد بالناس النبي (ص) وآله عن ابي جعفر (ع) والمراد بالفضل فيه النبوة وفي آله الإمامة وفي تفسير العياشي بأسناده عن ابي الصباح الكناني قال قال ابو عبد الله (ع) يا ابا الصباح نحن قوم فرض الله طاعتنا لانفال ولنا صفو المال ونحن الراسخون في العلم ونحن المحسودون الذين قال الله في كتابه ام يحسدون الناس الآية قال والمراد بالكتاب النبوة وبالْحكمة الفهم والقضاء وبالملك العظيم اقتراض الطاعة * وثالثها * ان المراد بالناس محمد واصحابه لأنه قد جرى ذكرهم في قوله هو لاء. أهدى من الذين آمنوا سيلا ومن فضله من نعمته عن ابي علي الجبائي * ورابعها * ان المراد بالناس العرب اي يحسدون العرب لما صارت النبوة فيهم عن الحسن وقتادة وابن جريج وقيل المراد بالكتاب التوراة والانجيل والزبور والحكمة ما اوتوا من العلم وقوله (وآتيناهم ملكا عظيما) المراد بالملك العظيم النبوة عن مجاهد والحسن وقيل المراد بالملك العظيم ملك سليمان عن ابن عباس وقيل ما حل لداود وسليمان من النساء عن السدي وقيل الجمع بين سياسة الدنيا وشرع الدين (فمنهم من آمن به) فيه قولان * احدهما * ان المراد فن اهل الكتاب من آمن بمحمد. (ص) (ومنهم من صد عنه) أي أعرض عنه ولم يؤمن به عن مجاهد والزجاج والجبائي ووجه اتصال هذا المعنى بالآية انهم مع هذا الحسد وغيره من أفعالهم القبيحة قد آمن بعضهم به * والآخر * ان المراد به فن امة ابراهيم من آمن بابراهيم ومنهم من أعرض عنه كما انكم في امر محمد كذلك وليس ذلك بموهن امره كما لم يكن اعراضهم عن ابراهيم موهنا أمر ابراهيم (وكفى بجهنم سعيراً) أي كفى هو لاء. المرضين عنه في العذاب النازل بهم عذاب جهنم ناراً موقدة ايقاداً شديداً يريد بذلك انه ان صرف عنهم بعض العذاب في الدنيا فقد أعد لهم عذاب جهنم في العقبى

قوله تعالى (٥٤) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا كَلَّمًا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ
بَدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا (٥٧) وَالَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سُدَّخِلْهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ
مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا (آيات)

﴿ اللفظة ﴾

يقال اصلية النار إذا القيته فيها وصلبته صلبا إذا شويته وشاة مصلية مشوية والصلاء الشواء وصلب فلان بشر فلان والتبديل التفسير يقال ابدلت الشيء بالشيء إذا أزلت غيبنا بعين كما قال الشاعر «عزل الأمير بالأمير المبدل» وبدلت بالتشديد إذا غيرت هيئته والعين واحدة يقولون بدلت جيتي قميصا أي جعلتها قميصاً ذكره المغربي وقد يكون التبديل بأن يوضع غيره موضعه قال الله يوم تبدل الأرض غير الأرض والظل اصله الستر لأنه يستر من الشمس قال رؤبة كل موضع تكون فيه الشمس وتزول عنه فهو ظل وفيه وما سوى ذلك فظل ولا يقال فيه وفيه والظل الليل كأنه كالستر من الشمس والظلة السترة والظليل الكمين

﴿ المعنى ﴾

لما تقدم ذكر المؤمن والكافر عقبه بذكر الوعد والوعيد على الإيمان والكفر قال (ان الذين كفروا بآياتنا) أي جحدوا حججنا وكذبوا انبيائنا ودفعوا الآيات الدالة على توحيدنا وصدق نبينا (سوف نصليهم نارا) أي نلزمهم نارا نحرقهم فيها ونعذبهم بها ودخلت سوف لتدل على انه يفعل ذلك بهم في المستقبل (كما نضجت جلودهم بدلانهم جلوداً غيرها) قيل فيه اقوال « احدها » ان الله تعالى يجدد لهم جلوداً غير الجلود التي احترقت على ظاهر القرآن في انها غيرها عن قنادة وسجاعة من أهل التفسير واختاره علي بن عيسى ومن قال على هذا ان هذا الجلد المجدد لم يذنب فكيف يعذب من لا يستحق العذاب فجوابه ان المذب الحي ولا اعتبار بالأطراف والجلود وقال علي بن عيسى ان ما يزداد لا يؤلم ولا هو بعض لما يؤلم وإنما هو شيء يصل به الألم إلى المستحق له « وثانيها » ان الله يجدها بأن يردّها إلى الحالة التي كانت عليها غير محترقة كما يقال جتني بغير ذلك الوجه إذا كان قد تغير وجهه من الحالة الأولى كما إذا انكسر خاتم فاتخذ منه خاتماً آخر يقال هذا غير الخاتم الأول وإن كان اصلها واحداً فلي هذا يكون الجلد واحداً وإنما تتغير الأحوال عليه وهو اختيار الزجاج والبلخي وابي علي الجبائي « وثالثها » ان التبديل إنما هو للسرايل التي ذكرها الله تعالى سرايلهم من قطران وسميت السرايل الجلود على سبيل المجاورة للزومها بالجلود وهذا ترك للظاهر بغير دليل وعلى القولين الأخيرين لا يلزم سؤال التعذيب لغير العاصي فأما من قال ان الإنسان غير هذه الجملة المشاهدة وانه المذب في الحقيقة فقد تخلص من هذا السؤال وقوله (ليذوقوا العذاب) معناه ليجدوا ألم العذاب وإنما قال ذلك ليبين انهم كالمبتدأ عليهم العذاب في كل حالة فيحسون في كل حالة أما لكن لا كمن يستمر به الشيء فإنه يصير أخف عليه (ان الله كان عزيزاً) أي لم يزل منيعاً لا يدافع ولا يمانع وقبل معناه انه قادر لا يمتنع عليه انجاز ما توعد به او وعده (حكياً) في تدبيره وتقديره وفيه تعذيب من يعذبه وروى الكلبي عن الحسن قال بلغنا ان جلودهم تنضج كل يوم سبعين الف مرة (والذين آمنوا) بكل ما يجب الإيمان به (وعملوا الصالحات) أي الطاعات الصالحة الخالصة (سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار) أي من تحت اشجارها وقصورها الأنهار أي ما الأنهار (خالدين فيها) أي دائمين فيها (أبدا لهم فيها أزواج مطهرة) طهرون من الحبض والنفاس ومن جميع المعائب والادناس والاخلاق الدنية والطبائع الرذيلة لا يفعلن ما يوحش أزواجهن ولا يوجد فيهن ما ينفر عنهن (وندخلهم) في ذلك (ظلاً ظليلاً) أي كئيباً ليس فيه حر ولا برد بخلاف ظل الدنيا وقبل خلالها دائماً لا تنسخه الشمس كما في الدنيا

وقيل ظللنا قويا كما يقال يوم ايوم وليل أليل وداهية دهياء يصفون الشيء بمثل لفظه إذا أرادوا المبالغة
قوله تعالى (٥١) إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ
النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا (آية)
* القراءة *

قد ذكرنا الاختلاف بين القراء في نعماً ووجوه قراءتهم وحججها في سورة البقرة

* اللفظة *

يقال ادبت الشيء تأدية وقد يوضع الاداء موضع التأدية فيقام الاسم مقام المصدر والسميع هو من
كان على صفة يجب لأجلها ان يسمع المسموعات إذا وجدت والبصير من كان على صفة يجب لأجلها ان
يبصر المبصرات اذا وجدت والسامع هو المدرك للمسموعات والمبصر هو المدرك للمبصرات ولهذا يوصف
القديم فيما لم يزل بأنه سميع بصير ولا يوصف في القدم بأنه سامع مبصر

* الأعراب *

قوله نعماً يعظكم به تقديره نعم شيئاً شيء يعظكم به فيكون شيئاً تبيننا لاسم الجنس المضمر الذي هو فاعل
نعم والمخصوص بالمدح قد حذف واقبت صفته مقامه وقوله نعماً يعظكم به جملة في موضع رفع بأنه خبر إن

* المعنى *

ثم امر سبحانه باداء الأمانة فقال (ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها) قيل في المعنى بهذه
الآية أقوال «أحدها» انها في كل من المؤمن أمانة من الأمانات وأمانات الله وأمره ونواهيه وأمانات عباده
فما يأتمن بعضهم بعضاً من المال وغيره عن ابن عباس وابي بن كعب وابن مسعود والحسن وقتادة وهو
المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله (ع) «وثانيها» ان المراد به ولاة الأمر أمرهم الله ان يقوموا برعاية
الرعية وحملهم على موجب الدين والشريعة عن زيد بن اسلم ومكحول وشهر بن حوشب وهو اختيار الجبائي
ورواه أصحابنا عن ابي جعفر الباقر وابي عبد الله الصادق قالوا أمر الله تعالى كل واحد من الأئمة ان يسلم
الأمر إلى من بعده، وبعضه انه سبحانه أمر الرعية بعهدها بطاعة ولاة الأمر وروي عنهم انهم قالوا آياتنا أحدها
لنا والأخرى لكم قال الله ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها الآية ثم قال بأنها الذهن آمنوا اطيعوا
الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم الآية وهذا القول داخل في القول الأول لأنه من جملة ما أثنى الله
عليه الأئمة الصادقين ولذلك قال ابو جعفر (ع) ان أداء الصلاة والزكاة والصوم والحج من الأمانة ويكون من
جملتها الأمر لولاية الأمر بقسم الصدقات والفتنم وغير ذلك مما يتعلق به حق الرعية وقد عظم الله سبحانه امر
الأمانة بقوله يعلم خائنة الأعين وقوله ولا تخونوا الله والرسول وقوله ومن اهل الكتاب من ان تأمنه بظنظار
يوذره اليك الآية «وثالثها» انه خطاب للنبي (ص) برّد مفتاح الكعبة إلى عثمان بن طلحة حين قبض منه المفتاح
يوم فتح مكة وأراد ان يدفعه الى العباس لتكون له الحجابة والسقاية عن ابن جريبن والمول على ما تقدم وان
صح القول الأخير والرواية فيه فقد دلّ الدليل على ان الأمر اذا ورد على سبب لا يجب قصره عليه بل
يكون على عمومته (واذا حكمت بين الناس ان تحكموا بالعدل) أمر الله الولاة والحكام ان يحكموا بالعدل
والنصفه ونظيره قوله يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق وروي ان النبي (ص)

قال لعليّ سَوَّ بَيْنَ الْخَصْمَيْنِ فِي لِحْظِكَ وَلِفْظِكَ وَوَرَدَ فِي الْآثَارِ أَنَّ الصَّبِيَّ ارْتَفَعَا إِلَى الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ فِي خُطِّ كِتَابِهِ وَحِكْمَاهُ فِي ذَلِكَ لِيُحْكَمَ أَيُّ الْخَطِيئِ أَجْوَدُ فَبَصُرَ بِهِ عَلِيٌّ فَقَالَ يَا بَنِي أَنْظِرْ كَيْفَ تَحْكُمُ فَإِنَّ هَذَا حُكْمُ اللَّهِ سَأَلْتُكَ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (أَنَّ اللَّهَ نَمَّا يَعْظُمُكُمْ بِهِ) أَي نَعْمُ الشَّيْءُ مَا يَعْظُمُكُمْ بِهِ مِنَ الْأَمْرِ بِرَدِّ الْأَمَانَةِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْخِيَانَةِ وَالْحُكْمِ بِالْعَدْلِ وَمَعْنَى الْوَعْظِ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَقِيلَ هُوَ الْأَمْرُ بِالْخَيْرِ وَالنَّهْيُ عَنِ الشَّرِّ (أَنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيحًا) بِجَمِيعِ الْمَسْمُوعَاتِ وَ(بَصِيرًا) بِجَمِيعِ الْمُبْصَرَاتِ وَقِيلَ مَعْنَاهُ عَالِمٌ بِأَقْوَالِكُمْ وَأَفْعَالِكُمْ وَأَدْخَلَ كَانَتْ تَنْبِيهَا عَلَى أَنَّ هَذِهِ الصِّفَةَ وَاجِبَةٌ لَهُ فِيمَا لَمْ يَزَلْ

قوله تعالى (٥٩) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (آية)

المعنى

لما بدأ في الآية المتقدمة بحث الولاية على تأدية حقوق الرعية والنصفة والتسوية بين البرية ثناه في هذه الآية بحث الرعية على طاعتهم والاقتران بهم والرد إليهم فقال (يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله) أي الزموا طاعة الله سبحانه فيما أمركم به ونهاكم عنه (واطيعوا الرسول) أي والزموا طاعة رسوله (ص) ايضاً وإنما افرد الأمر بطاعة الرسول وإن كانت طاعته مقترنة بطاعة الله مبالغة في البهتان وقطعا لتوهم من توهم انه لا يجب لزوم ما ليس في القرآن من الأوامر ونظيره قوله من يطع الرسول فقد اطاع الله وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وما ينطق عن الهوى وقيل معناه اطيعوا الله في الفرائض واطيعوا الرسول في السنن عن الكافي والاول أصح لأن طاعة الرسول هي طاعة الله وامثال اوامره امتثال أوامر الله وأما المعرفة بأنه رسول الله فهي معرفة برسالته ولا يتم ذلك إلا بعد معرفة الله وليست احدهما هي الأخرى وطاعة الرسول واجبة في حياته وبعد وفاته لأن أتباع شريعته لازم بعد وفاته لجميع المكلفين ومعلوم ضرورة انه دعا إليها جميع العالمين إلى يوم القيامة كما علم انه رسول الله اليهم أجمعين وقوله (وأولي الأمر منكم) للمفسرين فيه قولان * احدهما * انهم الأمراء عن ابي هريرة وابن عباس في احدي الروايتين وميمون ابن مهران والسدي واختاره الجبائي والبلخي والطبري «والآخر» انهم العلماء عن جابر بن عبد الله وابن عباس في الرواية الأخرى ومجاهد والحسن وعطاء وجماعة وقال بعضهم لأنهم الذين يرجع اليهم في الاحكام ويجب الرجوع اليهم عند التنازع دون الولاية واما اصحابنا فانهم رَوَوْا عن الباقر والصادق (ع) ان اولي الأمر هم الأئمة من آل محمد وأوجب الله طاعتهم بالاطلاق كما اوجب طاعته وطاعة رسوله ولا يجوز ان يوجب الله طاعة احد على الاطلاق إلا من ثبتت عصمته وعلم ان باطنه كظاهره وأمن منه الغلط والأمر بالتبجح وليس ذلك بحاصل في الأمراء ولا العلماء سواءم جلَّ اللهُ أن يأمر بطاعة من يعصيه أو بالانقياد للمختلفين في القول والفعل لأنه محال ان يطاع المختلفون كما انه محال ان يجتمع ما اختلفوا فيه وبما يدل على ذلك ايضاً ان الله تعالى لم يقرن طاعة اولي الأمر بطاعة رسوله كما قرن طاعة رسوله بطاعته الا واولوا الأمر فوق الخلق جميعاً كما ان الرسول فوق اولي الأمر وفوق سائر الخلق وهذه صفة ائمة الهدى من آل محمد (ص) الذين ثبتت امامتهم وعصمتهم وانفقت الامة على علو رتبهم وعدالتهم (فإن تنازعتم في شئ فردوه

إلى الله والرسول) معناه فإن اختلفتم في شيء من أمور دينكم فردوا التنازع فيه إلى كتاب الله وسنة الرسول وهذا قول مجاهد وقتادة والسدي ونحن نقول الرد إلى الأئمة القائمين مقام الرسول بعد وفاته هو مثل الرد إلى الرسول في حياته لأنهم المحافظون لشريعته وخلفاؤه في امته فجزوا مجراه فيه ثم أكد سبحانه ذلك وعظمه بقوله (ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) فما بين هذا وأوضحه (ذلك) إشارة إلى طاعة الله وطاعة رسوله واولي الأمر والرد إلى الله والرسول (خير لكم واحسن تأويلاً) أي احمد عاقبة عن قتادة والسدي وابن زيد قالوا لأن التأويل من آل يؤول إذا رحع والمأل المرجع والعاقبة سمي تأويلاً لأنه مأل الأمر وقيل معناه احسن جزاء عن مجاهد وقيل خير لكم في الدنيا واحسن عاقبة في الآخرة وقيل معناه احسن من تأويلكم انتم اياه من غير رد إلى اصل من كتاب الله وسنة نبيه عن الزجاج وهو الأقوى لأن الرد إلى الله ورسوله ومن يقوم مقامه من المعصومين احسن لا محالة من تأويل بغير حجة واستدل بعضهم بقوله فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول على ان اجماع الأمة حجة بأن قالوا إنما اوجب الله الرد إلى الكتاب والسنة بشرط وجود التنازع فدل على انه إذا لم يوجد التنازع لا يجب الرد ولا يكون كذلك إلا والاجماع حجة وهذا الاستدلال إنما يصح لو فرض ان في الأمة معصوماً حافظاً للشرع فأما إذا لم يفرض ذلك فلا يصح لأن تعليق الحكم بشرط أو صفة لا يدل على ان ما عداه بخلافه عند اكثر العلماء فكيف اعتمدوا عليه ههنا على ان الأمة لا تجمع على شيء إلا عن كتاب او سنة وكيف يقال انها إذا اجتمعت على شيء لا يجب عليها الرد إلى الكتاب والسنة وقدرت اليها

قوله تعالى (٦٠) ألم تر إلى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا (٦١) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا (آيتان)

✽ اللفظة ✽

الطاغوت ذو الطغيان على جهة المبالغة في الصفة فكل من يُبَدَّ من دون الله فهو طاغوت وقد يسمى به الاوثان كما يسمى بأنه رجس من عمل الشيطان ويوصف به ايضا كل من طغى بأن حكم بخلاف حكم الله واصل الضلال الهلاك بالمدول عن الطريق المؤدِّي الى البغية لأنه ضد الهدى الذي هو الدلالة على الطريق المؤدِّي إلى البغية وله تصرف كثير يرجع جميعه الى هذه النكته ذكرناها في سورة البقرة عند قوله وما يضل به الا الفاسقين وتعالوا اصله من العلو فاذا قلت لنفرك تمال فمعناه ارتفع اليه وصددت الاصل فيه ان لا يتعدى تقول صددت عن فلان اصدا بمعنى أعرضت عنه وبجوز صددت فلانا عن فلان بالتعدي لأنه دخله معنى منعه عنه ومثله رجعت انا ورجعت غيري لأنه دخله معنى رددته

✽ الاعراب ✽

صدوداً نصب على المصدر على وجه التأكيد للفعل كقوله وكلم الله موسى تكليماً والمعنى انه لبس ذلك على بيان مثل الكلام بل حكمه في الحقيقة وقيل في معنى تكليماً انه كلمه تكليماً شريفاً عظيماً فيمكن تقدير مثل

ذلك في الآية أي يصدون عنك صدوداً عظيماً

﴿ النزول ﴾

كان بين رجل من اليهود ورجل من المنافقين خصومة فقال اليهودي احاكم الى محمد لأنه علم انه لا يقبل الرشوة ولا يجور في الحكم فقال المنافق لا بل بيني وبينك كعب بن الأشرف لأنه علم انه يأخذ الرشوة فنزلت الآية عن أكثر المفسرين

﴿ المعنى ﴾

لما أمر الله أولي الأمر بالحكم والعدل وأمر المسلمين بطاعتهم وصل ذلك بذكر المنافقين الذين لا يرضون بحكم الله ورسوله فقال (ألم تر) أي ألم تعلم وقيل انه تعجب منه أي ألم تعجب من صنيع هؤلاء وقيل ألم ينته علمك إلى هؤلاء (الذين يزعمون انهم آمنوا بما أنزل اليك) من القرآن (وما أنزل من قبلك من التوراة والانجيل) يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت يعني كعب بن الأشرف عن ابن عباس ومجاهد والريبع والضحاك وقيل انه كاهن من جهينة أراد المنافق ان يتحاكم اليه عن الشعبي وقتادة وقيل اراد به ما كانوا يتحاكمون فيه إلى الأوثان بضرب القداح عن الحسن وروى اصحابنا عن السيدين الباقر (ع) والصادق (ع) ان المعنى به كل من يتحاكم اليه ممن يحكم بغير الحق (وقد امروا ان يكفروا به) يعني به قوله تعالى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها (ويريد الشيطان) بازين لهم (ان يضلهم ضلالاً بعيداً) عن الحق نسب اضلالهم الى الشيطان فلو كان الله قد اضلهم بخلق الضلالة فيهم على ما يقوله الجبرة لنسب اضلالهم الى نفسه دون الشيطان تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً (واذا قيل لهم أي المنافقين (تعالوا الى ما أنزل الله) في القرآن من الأحكام (والى الرسول) في حكمه (رأيت) يا محمد (المنافقين يصدون عنك صدوداً) أي يعرضون عنك أي عن المصير اليك الى غيرك اعراضاً

قوله تعالى (٦٢) فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا (٦٣) أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا (آيتان)

﴿ اللفظة ﴾

الحلف القسم ومنه الحليف لتحالفهم فيه على الأمر واصل البلاغة البلوغ يقال بلغ الرجل بالقول يبلغ بلاغة فهو بليغ اذا صار يبلغ بمارته كثيرا من ما في قلبه ويقال احق ببلغ وبلغ اذا كان مع حماقة يبلغ حيث يريد وقيل معناه قد بلغ في حماقة

﴿ الاعراب ﴾

موضع كيف رفع بانه خبر مبتدأ محذوف والتقدير فكيف صنعهم اذا اصابتهم مصيبة فكانه قال الإساءة صنعهم بالجرأة على كذبهم ام الإحسان صنعهم بالتوبة من جرمهم ويجوز ان يكون موضع كيف نصباً وتقديره كيف يكونون امصرون ام ثابتين يكونون ولو قلت انه رفع على معنى كيف بك كأنه قال اصلاح بك ام فساد بك فيكون مبتدأ محذوف الخبر ويحذفون في موضع نصب على الحال وان اردنا الا احسانا

جواب القسم واحسانا مفعول به اي اردنا احسانا

✽ المعنى ✽

ثم عطف تعالى على ما تقدم بقوله (فكيف) صنع هو لا (اذا اصابته مصيبة) اي نالتهم من الله عقوبة (بما قدمت ايديهم) بما كسبت ايديهم من النفاق و اظهار السخط لحكم النبي (ثم جاءوك) يا محمد (يحلفون) يسمون بالله ان اردنا الا احسانا) اي ما اردنا بالتحاكم الي غيرك الا التخفيف عنك فاننا نختشمك برفع الصوت في مجلسك وتقتصر على من يتوسط لنا برضاء الخصمين دون الحكم المورث للضغائن قوله الا احسانا اي احسانا الى الخصوم (وتوفيقا) بينهم بالنماس التوسعة دون الحمل على صر الحكم و اراد بالتوفيق الجمع والتأليف وقيل توفيقا اي طلبا لما يوافق الحق وقيل ان المعنى بالآية عبد الله بن ابي المصيبة ما اصابه من الذل برجمتهم من غزوة بني المصطلق وهي غزوة الربيع حين نزلت سورة المنافقين فاضطر الى الخشوع والاعتذار وسند ذلك ان شاء الله في سورة المنافقين او مصيبة الموت لما تضرع الى رسول الله في الإقالة والاستغفار واستوجه ثوبه ليتقي به النار يقولون ما اردنا بالكلام بين الفريقين المتنازعين بني المصطلق ذكره الحسين بن علي المغربي وفي الآية دلالة على انه قد نصيب المصيبة بما يكتسه العبد من الذنوب ثم اختلف في ذلك فقال ابو علي الجبائي لا يكون ذلك الا معقوبة الا في التائب وقال ابو هاشم يكون ذلك لطفًا وقال القاضي عبد الجبار قد يكون ذلك لطفًا وقد يكون جزاء وهو موقوف على الدليل (او لك الذين يعلم الله ما في قلوبهم) من الشرك والنفاق والخبائث (فأعرض عنهم) اي لا تعاقبهم (وعظهم) بلسانك (وقل لهم في انفسهم قولاً بليغاً) اي قل لهم ان اظهرتم ما في قلوبكم من النفاق قتلتم فهذا هو القول البليغ لانه يبلغ من نفوسهم كل مبلغ عن الحسن وقيل معناه فأعرض عن قبول الاعتذار منهم وعظهم مع ذلك وخوفهم بمكاريه تنزل بهم في انفسهم ان عادوا لمثل ما فعلوه عن ابي علي الجبائي وفي قوله وقل لهم في انفسهم قولاً بليغاً دلالة على فضل البلاغة وحث على اعتمادها باوضح بيان لكونها احد اقسام الحكمة لما فيها من بلوغ المعنى الذي يحتاج الى التفسير باللفظ الوجيز مع حسن الترتيب

قوله تعالى (٦٤) وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا (آية)

✽ الاعراب ✽

ما في قوله وما ارسلنا نافية فلذلك قال من رسول لأن من لا تزاد في الايجاب وزيادتها تؤذن باستفراق الكلام كقولك ما جاءني من احد ولو موضوعة للفعل لما فيها من معنى الجزاء تقول لو كان كذا لكان كذا ولا تأتي بعدها إلا أن خاصة وانما اجيز في أن خاصة ان تقع بعدها لأنها كالفعل في افادة التأكيد فموضع أن بعد لو مع اسمها وخبرها رفع بكونه فاعل الفعل المضمر بعد لو وتقديره لو وقع انهم جاءوك وقت ظلمهم انفسهم اي لو وقع مجيبتهم

✽ المعنى ✽

ثم لامهم سبحانه هل ردهم امره وذكر ان غرضه من البعثة الطاعة قال (وما ارسلنا من رسول) اي لم نرسل

رسولا من رسلنا (الا ليطاع) عني به ان الغرض من الارسال ان يطاع الرسول ويمثل بما يأمر به وإنما اقتضى ذكر طاعة الرسول هنا ان هؤلاء المنافقين الذين يتحاكمون الى الطاغوت زعموا انهم يؤمنون به واعرصوا عن طاعته فبين الله انه لم يرسل رسولا إلا ليطاع وقوله (باذن الله) اي بأمر الله الذي دل به على وجوب طاعتهم والاذن على وجوه * احدها * يكون بمعنى اللطف كقوله وما كان لنفس أن تؤمن الا باذن الله - «وثانيها» - بمعنى التخلية كقوله تعالى وما هم بضارين به من احد الا باذن الله - «وثالثها» - بمعنى الأمر كافي الآية (ولو أنهم اذ ظلموا انفسهم) اي بخسوها حقها بادخال الضرر عليها بفعل المعصية من استحقاق العقاب ونفويت الثواب بفعل الطاعة وقيل ظلموا انفسهم بالكفر والنفاق (جاؤك) تائبين مقبلين عليك مؤمنين بك (فاستغفروا الله) لذنوبهم ونزعوا عما هم عليه (واستغفر لهم الرسول) رجع من لفظ الخطاب في قوله جاءوك الى لفظ التوبة جريا على عادة العرب المألوفة واستغفرت لهم يا محمد ذنوبهم اي سألت الله ان يغفر لهم ذنوبهم (لوجدوا الله) هذا يحتمل معنيين - «احدها» - لوجدوا مغفرة الله لذنوبهم ورحمته اياهم - «والثاني» - لعلوا الله توابا رحيمًا والوجدان يكون بمعنى العلم وبمعنى الادراك فلا يجوز ان يكون على ظاهره هنا بمعنى الادراك لأنه سبحانه غير مدرك في نفسه (توابا) اي قابلا لتوبتهم (رحيمًا) بهم في التجاوز عما قد سلف منهم وفي قوله وما ارسلنا من رسول إلا ليطاع او كد دلالة على بطلان مذهب المجبرة والقائلين بأن الله يريد ان يعصي انبياءه قومًا ويطيعهم آخرون وذكر الحسن في هذه الآية ان اثني عشر رجلا من المنافقين ائتمروا فيما بينهم واجتمعوا على امر مكيدة لرسول الله فاتاه جبرائيل فاخبره بها فقال (ع) ان قوما دخلوا يريدون امرا لا ينالونه فليقوموا وليستغفروا الله وليعترفوا بذلك حتى اشفع لهم فلم يقوموا فقال رسول الله (ص) مرارا لا تقومون فلم يقم احد منهم فقال (ص) قم يا فلان قم يا فلان حتى عد اثني عشر رجلا فقاموا وقالوا كنا نعز مناعا على ما قلت ونحن نتوب الى الله من ظلمنا فاشفع لنا فقال الا ان اخرجوا عني انا كنت في اول امركم اطيب نفسا بالشفاعة وكان الله اسرع الى الاجابة فخرجوا عنه حتى لم يرم وفي الآية دلالة على ان مرتكب الكبيرة يجب عليه الاستغفار فان الله سيتوب عليه بأن يقبل توبته ويدل ايضا على ان مجرد الاستغفار لا يكفي مع كونه مصرا على المعصية لأنه لم يكن يستغفر لهم الرسول ما لم يتوبوا بل ينبغي ان يتوب ويندم على ما فعله ويعزم في القلب على ان لا يعود ابدا الى مثله ثم يستغفر الله باللسان ليتوب الله عليه

قوله تعالى (٦٥) فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحْكُمُوا لَكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي

أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (آية)

* اللفظة *

شجر الأمر شجراً وشجوراً اذ اختلط وشاجرته في الأمر إذا نازعه وتشاجروا فيه وكل ذلك لتداخل كلام بعضهم في بعض كتداخل الشجر بالتفافه واصل الحرج الضيق وفي الحديث حدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج اي لا ضيق وقيل لا اثم

* الاعراب *

لادخلت في اول الكلام لانها رد لكلام فكانه قيل فليس الامر كما يزعمون انهم آمنوا وهم يخالفون حكيمك ثم استأنف القسم فقال وربك لا يؤمنون وقيل إن لا هنا توطئة للنفي الذي يأتي فيما بعد لأن

ذكر النفي في اول الكلام وآخره او كد فان النفي يقتضي ان يكون له صدر الكلام وقد اقتضى القسم ان يكون النفي في الجواب وتسليما مصدر مؤكّد والمصادر المؤكّدة بمنزلة ذكر ك للفعل ثانياً ومن حق التوكيد ان يكون محققاً لما تذكره في صدر كلامك فاذا قلت ضربت ضرباً فمعناه احدثت ضرباً بحقه حقاً

—* النزل *

قبل نزلت في الزبير ورجل من الانصار خاصمه الى النبي (ص) في شراج من الحرة كانا يستقيان بها النخل كلاهما فقال النبي للزبير اسق ثم ارسل الى جارك فغضب الانصاري وقال يا رسول الله لئن كان ابن عمك فنلّون ووجه رسول الله (ص) ثم قال للزبير اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجد ر واستوف حقه ثم ارسل الى جارك وكان رسول الله (ص) أشار الى الزبير برأي فيه السعة وتخصمه فلما احفظ رسول الله استوعب للزبير حقه في صريح الحكمه ويقال ان الرجل كان حاطب ابن ابي بلتعة قال الراوي ثم خرجا فمرا على المقداد فقال لمن كان القضاء يا ابا بلتعة قال قضى لابن عمته ولو شدة ففطن لذلك يهودي كان مع المقداد فقال قاتل الله هؤلاء يزعمون انه رسول الله ثم يتهمونه في قضاء يقضي بينهم واهم الله لقد اذنبنا مرة واحدة في حياة موسى فدعانا موسى الى التوبة فقال اقتلوا انفسكم ففعلنا فبلغ قتلنا سبعين الفا في طاعة ربنا حتى رضي عنا فقال ثابت بن قيس بن شماس اما والله ان الله يعلم مني الصدق ولو امرني محمد ان اقتل نفسي لفعلت فانزل الله في شأن حاطب بن ابي بلتعة ولله شدة هذه الآية وقال الشعبي نزلت في قصة بشر المنافق واليهودي اللذين اختصما الى عمرو وقد مضى ذكرها

* المعنى *

ثم بين الله ان الايمان إنما هو بالتزام حكم رسول الله والرضا به فقال (فلا) اي ليس كما تزعمون انهم يؤمنون مع محاسنتهم الى الطاغوت (وربك لا يؤمنون) أقسم الله ان هؤلاء المنافقين لا يكونون مؤمنين ولا يدخلون في الايمان (حتى يحكموك) اي حتى يحملوك حكماً او حاكماً (فيما شجر بينهم) اي فيما وقع بينهم من الخصومة والتبس عليهم من احكام الشريعة (ثم لا يجدوا في انفسهم) اي في قلوبهم (حرجاً) اي شكاً في ان ما قلته حق عن مجاهد وقيل إنما اي لا يأثمون بإنكار ذلك عن الضحاك وقيل ضيقاً بشك أو اثم عن ابي علي الجبائي وهو الوجه (ما قضيت) اي حكمت (ويسلموا تسليماً) اي ينقادوا لحكمك اذعانا لك وخضوعاً لا مرك وروي عن الصادق (ع) انه قال لو ان قوما عبدوا الله واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وصاموا شهر رمضان وحجوا البيت ثم قالوا لشيء صنعه رسول الله الآ صنع خلاف ما صنع او وجدوا من ذلك حرجاً في انفسهم لكانوا مشركين ثم تلا هذه الآية

قوله تعالى (٦٦) وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثِيئًا (٦٧) وَإِذَا لَاتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا (٦٨) وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ثلاث آيات

* القراءة *

قرأ ابن كثير. ونافع وابن عامر والكسائي أن اقتلوا بضم النون أو اخرجوا بضم الواو وقرأ عاصم وحمزة

(١) الشراج جمع الشرجة وهي مسيل الماء من الحرة الى السهل . الحرة : ارض ذات حجارة تنيرة سود كانها

بكرها وقرأ ابو عمرو بكسر النون وضم الواو وقرأ ابن عامر وحده الا قليلا بالنصب وهو كذلك في مصاحف أهل الشام وقرأ الباقون بالرفع

✽ الحجة ✽

قال ابو علي أما فصل ابي عمرو بين الواو والنون فلأن الضم بالواو احسن لأنها تشبه واو الضمير والجمهور في واو الضمير على الضم نحو لا تنسوا الفضل بينكم وقال وإنما ضمت النون لأنها مكان الهمزة التي ضمت لضم الحرف الثالث فجملت بمنزلتها وان كانت منفصلة وفي الواو هذا المعنى والمعنى الذي اشرنا اليه من مشابهته واو الضمير والضم في سائر هذه احسن لأنها في موضع الهمزة قال ابو الحسن وهي لغة حسنة وهي اكثر في الكلام واقيس ووجه قول من كسر أن هذه الحروف منفصلة من الفعل المضموم الثالث والهمزة متصلة بها فلم يجرى المنصل مجرى المنصل قال والوجه في قوله الا قبل الرفع على البدل فكأنه قال ما فعله الا قليل فإن معنى ما اتاني احد الآ زيد وما اتاني الا زيد واحد ومن نصبه فإنه جعل النفي بمنزلة اليجاب فإن قولك ما اتاني احد كلام تام كما ان جاءني القوم كذلك فنصب مع النفي كما نصب مع ال ب

= الإعراب =

لو يمتنع بها الشيء لا يمتنع غيره تقول لو اتاني زيد لا كرمته فالمعنى ان اكرامي امتنع لا يمتنع ان زيد فتحقق ان يليها الفعل فالتقدير هنا لو وقع كتبنا عليهم ويجوز ان يكون ان الشديدة كما نابت عن الم والخبر في قولك حسبت ان زيداً عالم نابت هنا عن الفعل والاسم فيكون المعنى في قوله ولو انا كتبنا عليهم كنى في لو كتبنا عليهم فاذن دخلت هنا لتدل على معنى الجزاء ومعنى اذن جواب وجزاء وهي متقدمة ومتوسطة ومتأخرة وإنما تعمل متقدمة خاصة الا ان يكون الفعل بعدها للحال نحو اذن اغتلك - جا واللام في قوله لا تيناهم ولهديناهم اللام التي تقع في جواب لو كما تقع في جواب القسم في قول امرؤ القيس

حَلَفْتُ لَهَا بِاللَّهِ حَلْفَةً فَاجْرٍ
لَنَأْمُوا فَمَا إِنْ مِنْ حَدِيثٍ وَلَا صَالٍ

والفرق بين لام الجواب ولام الابتداء ان لام الابتداء لا تدخل الا على الاسم المبتدأ الا في باب إن خاصة فإنها تدخل على فعل لمضارعتة الاسم وتقول علمت إن زيداً ليقوم وعلمت ان زيداً ليقوم فتكسر إن الاولى لأن علمت صارت متعلقة باللام في ليقوم فإنها لام الابتداء أخرت الى الخبر لتلاييم جمع حرفان متفقان في المعنى وتفتح أن الثانية لأنها لام الجواب فاعرفه فإنه من دقائق النحو واسراره صراطاً مفعول ثان لهديناهم

= المعنى =

ثم اخبر سبحانه عن سرائر القوم فقال (ولو انا كتبنا) اي اوجبنا (عليهم) اي على هؤلاء الذين تقدم ذكرهم (ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم) كما اوجبنا على قوم موسى والزمناهم ذلك فقتلوا انفسهم وخرجوا الى التيه (ما فعلوه) اي ما فعله هؤلاء المشقة التي لا يتحملها الا المخلصون (الاقليل منهم) قيل ان القليل الذي استثنى الله هو ثابت بن قيس بن شماس وقيل هو جماعة من أصحاب رسول الله قالوا والله لو أمرنا لفلنا فالحمد لله الذي عافانا منهم عبد الله بن مسعود وعامر بن باسر فقال النبي ان من امتي لرجالا الايمان في قلوبهم اثبت من الجبال الرواسي (ولو انهم فعلوا ما يوعظون به) اي ما يؤمرون به (لكان) ذلك (خيراً لهم واشدّ ثبوتاً)

اي بصيرة في امر الدين كُنِّي عن البصيرة بهذا اللفظ لأن من كان على بصيرة من امر دينه كان ذلك ادعى له الى الثبات عليه وكان هو اقوى في اعتقاد الحق وادوم عليه ممن لم يكن على بصيرة منه وقيل معناه ان قبولهم وعظ الله ووعظ رسوله في امور الدين والدنيا اشد تشبها لهم على الحق والصواب وامنع لهم من الضلال وابتعد من الشبهات كما قال والذين اهدوا زادهم هدى وقيل ان معناه واكثر انتفاعا بالحق لأن الانتفاع بالحق يدوم ولا يبطل لأنه يتصل بثواب الآخرة والانتفاع بالباطل يبطل ويضمحل ويتصل بمقاب الآخرة قال البلخي معنى الآية لو فرض عليهم القتل او الخروج من الديار لم يفعلوا فإذا لم يفرض عليهم فليفعلوا ما امروا به ما هو اسهل عليهم منه فإن ذلك خبر لهم واشد تشبها لهم على الايمان وفي الدعاء اللهم ثبتنا على دينك ومعناه الطف لنا ما ثبت معه عليه (واذا لا تبناهم) هذا متصل بما قبله اي ولوانهم فعلوا ذلك لا تبناهم اي لا اعطيناهم (من لدنا) اي من عندنا (اجراً عظيماً) لا يبلغ احد كنهه ولا يعرف متناه ولا يدرك قصواه وإنما ذكر من لدنا تأكيذاً بأنه لا يقدر عليه غيره ولابد على الاختصاص فإن الاجر يجوز ان يصل الى المثاب على يد بعض العباد فإذا وصل الثواب اليه بنفسه كان اشرف للعبد وابلغ في النعمة (ولهديناهم صراطاً مستقيماً) اي ولثبتناهم مع ذلك على الطريق المستقيم وقيل معناه بما نفعله من اللطاف التي يشبتون معها على الطاعة ويلزمون الاستقامة وتقديره ووقفناهم للثبات على الصراط المستقيم وقيل معناه ولهديناهم في الآخرة الى طريق الجنة عن ابي علي الجبائي قال ولا يجوز ان تكون الهداية هنا الارشاد الى الدين لأنه سبحانه وعد بها المؤمن المطيع ولا يكون كذلك الا وقد اهتدى

قوله تعالى (٦٩) وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا (٧٠) ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا (آيات)

اللغة

الصديق المداوم على التصديق بما يوجب الحق وقيل الصديق الذي عاذه الصدق وهذا البناء يكون لمن غلب على عادته فعل يقال للملازم السكر مسكير وللملازم الشرب شريب والشهداء جمع شهيد وهو المقتول في سبيل الله وليست الشهادة في القتل الذي هو معصية لكنها حال المقتول في اخلاص القيام بالحق لله مقراً وداعياً اليه وهي من اساء المدح ويجوز للمرء ان يتمناها ولا يجوز ان يتمنى قتل الكافر إياه لأنه معصية وقيل الشهادة هي الصبر على ما امر الله به من قتال عدوه فأما الصبر على الألم بترك الأنيب فليس بواجب وليس الأنيب بممنوع عنه بل هو مباح إذا لم يقل ما يكرهه الله تعالى والصالح من استقامت نفسه بحسن عمله والرفيق صاحب وهو مشتق من الرفق في العمل وهو الارتفاق فيه ومنه المرافقة والرفق من اليد بكسر الميم لأنه يرتفق به وقوله ويعيى لكم من أمركم صرفاً أي رفقا يصلح به أمركم والفضل في أصل اللغة هو الزيادة على المقدار وقد استعمل في النفع أيضاً وأفعال الله تعالى كلها فضل وتفضل وافضل لأنه لا يقتصر بالعبد على مقدار ما يستحق بمثل عمله فيما بين الناس بل هو يزيد عليه زيادات كثيرة ولا يجري ذلك على طريق المساواة

الاعراب

رفيقاً نصب على التمييز ولذلك لم يجمع فكأنه قال حسن أو لك رفقاً وقيل انه لم يجمع لأن المعنى

(١) [والرفق بفتح الميم من مرافق الدار والرفقة : الجماعة في السفر لارتفاق بعضهم ببعض].

حسن كل أحد منهم رفيقاً كقوله سبحانه ثم نخرجكم طفلاً وقال الشاعر
 نَصَبَنَ الْهُوَى ثُمَّ أَرْتَمِينَ قُلُوبَنَا بِأَعْيُنِ أَعْدَائِهِ وَهَنَّ صَدِيقَهُ (١)

وقيل انه نصب على الحال فإنه قد بدخل من في مثله فإذا اسقطت من الحال هو الاختيار لأنه من الصفات الداخلة في اسماء الأجناس ويكون للتوحيد لما دخله من معنى حسن كل واحد منهم مرافقاً ونظيره لله دره فارساً أي في حال الفروسية

- النزول -

قيل نزلت في ثوبان مولى رسول الله (ص) وكان شديد الحب لرسول الله (ص) قليل الصبر عنه فأتاه ذات يوم وقد تغير لونه ونخل جسمه فقال (ص) يا ثوبان ما غير لونك فقال يا رسول الله ما بي من مرض ولا وجع غير أنني إذا لم أرك اشتقت إليك حتى القاك ثم ذكرت الآخرة فأخاف أنني لا أراك هناك لأنني عرفت أنك ترفع مع النبيين وإنني إن ادخلت الجنة كنت في منزلة أدنى من منزلتك وإن لم ادخل الجنة فذاك حتى لا أراك أبداً فنزلت الآية ثم قال (ص) والذي قسي يده لا يؤمنني عبد حتى أكون أحب إليه من نفسه وأبويه وأهله وولده والناس أجمعين وقيل إن اصحاب رسول الله (ص) قالوا ما ينبغي لنا إن قارقت لنا لا نراك إلا في الدنيا وأما في الآخرة فإنك ترفع فوقنا بفضلك فلا نراك فنزلت الآية عن قتادة ومسروق الأجدع

= المعنى =

ثم بين سبحانه حال المطيعين فقال (ومن يطع الله) بالانقياد لأمره ونهيه (والرسول) باتباع شريعته والرضا بحكمه (فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم) في الجنة ثم بين المنعم عليهم فقال (من النبيين والصدّيقين) يريد أنه يستمتع برؤية النبيين والصدّيقين وزيارتهم والحضور معهم فلا ينبغي أن يتوهم من أجل أنهم في أعلى عليين أنه لا يراهم وقيل في معنى الصدّيق أنه المصدق بكل ما أمر الله به وبأنبيائه لا بدخله في ذلك شك وبوأيده قوله والذين آمنوا بالله ورسوله أولئك هم الصدّيقون (والشهداء) يعني المقتولين في الجهاد وإنما سمي الشهيد شهيداً لقيامه بشهادة الحق على جهة الإخلاص وقراره به ودعائه إليه حتى قتل وقيل وإنما سمي شهيداً لأنه من شهداء الآخرة على الناس وإنما يشهدهم الله بفضلهم وشرفهم فهم عدول الآخرة عن الجيائي وقال الشيخ أبو جعفر (رض) هذا لا يصح على مذهبه فعنده لا يجوز أن يدخل الجنة إلا من هو عدل والله سبحانه وتقدس وعد من يطيعه بأنه يحشره مع هؤلاء وينبغي أن يكون الموعود له غير الموعود بالكون معه وإلا فيصير التقدير أنهم مع نفوسهم (والصالحين) معناه صلحاء المؤمنين الذين لم تبلغ درجاتهم درجة النبيين والصدّيقين والشهداء والصالح الفاعل للصلاح الملازم له المتمسك به ويقال هو الذي صلحت حاله واستقامت طريقته والمصلح الفاعل لما فيه الصلاح ولذلك يجوز المصلح في صفات الله تعالى ولا يجوز الصالح وإنما يقال رجل صالح أو مصلح لأنه يصلح نفسه وعمله (وحسن أولئك رفيقاً) معناه من يكون هؤلاء رفقاء له فأحسن بهم من رفيق أو فما أحسنهم من رفيق وقد مر معناه وأعرابه وروى أبو بصير عن أبي عبد الله (ع) أنه قال يا أبا محمد لقد ذكركم الله في كتابه ثم تلا هذه الآية وقال فإني رسول الله (ص) ونحن الصدّيقون والشهداء وأنتم الصالحون فتمسوا بالصلاح كما سأم الله تعالى (ذلك) إشارة إلى أن الكون مع النبيين والصدّيقين (الفضل من الله) تفضل به على من أطاعه (وكفى بالله علماً) بالمعصاة والمطيعين والمنافقين والمخلصين ومن يصلح لمرافقة هؤلاء ومن لا يصلح لأنه يعلم خائنة الأعين وقيل معناه حسبك به علماً بكيفية جزاء المطيعين على حقه وتوفير الحظ فيه

قوله تعالى (٧١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ انفِرُوا جَمِيعاً (آية)

(١) ارتسى الصيد : رماه . وفي التبيان : «باسمهم» بدل «بأعين»

﴿ اللغة ﴾

الحذر والحذر لفتان مثل الإذن والأذن والمثل والمثل والفر الخروج إلى الغزو وأصله الفرع قرينفر قورأفرع
وقر اليه فرع من امر اليه والفر جماعة تفرع إلى مثلها والمتفرقة المحاكمة للفرع اليها فيما تختلف فيه وقيل إنما
سميت بذلك لأنهم يسألون الحاكم عند التنافر أبتأ أعز نقرأ والثبات جماعات في تفرقة واحدها ثبة قال ابو ذؤيب
فَلَمَّا اجْتَلَاهَا بِالْإِيَّامِ تَحَيَّرَتْ ثَبَاتٍ عَلَيْهَا ذَهَابًا وَكِتَابًا (١)

والإيَّامُ الدخان يصف العاسل وتدخينه على النحل وقد يجمع الثبة ثبون وإنما يجمع على الواو وإن كان
هذا الجمع مختصا بما يعقل للتعويض عن النقص الذي لحقه لأن أصله ثبوه ومثله عضون وسنون وعزون فإن
صغرت قلت ثبيات وسميات لأن النقص قد زال

﴿ الاعراب ﴾

ثبات منصوبة على الحال من اتقروا وذو الحال الواو وجميعا ايضا منصوب على الحال

﴿ المعنى ﴾

ثم امر الله سبحانه المؤمنين بمجاهدة الكفار والتأهب لقتالهم فقال (يا ايها الذين آمنوا خذوا حذركم)
قيل فيه قولان ﴿ احدها ﴾ ان معناه احذروا عدوكم بأخذ السلاح كما يقال للانسان خذ حذرک اي احذر
﴿ والثاني ﴾ ان معناه خذوا اسلحتكم سعى الاسلحة حذرا لأنها الآلة التي بها يتقى الحذر وهو المروي عن ابي جعفر
وغيره واقول ان هذا القول اصح لأنه اوفق بمقاييس كلام العرب ويكون من باب حذف المضاف وتقديره خذوا
آلات حذرکم وأهب حذرکم فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فصار خذوا حذرکم (فاتقروا) الى
قتال عدوكم اي اخرجوا الى الجهاد (ثبات) اي جماعات في تفرقة ومعناه اخرجوا فرقة بعد فرقة في
جهة وفرقة اخرى في جهة اخرى (او اتقروا جميعا) اي مجتمعين في جهة واحدة اذا اوجب الرأي ذلك وروي
عن ابي جعفر (ع) ان المراد بالثبات سرايا وبالجميع السکر

قوله تعالى (٧٢) وَإِنْ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَكُمْ مِصْيَبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ
إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا (٧٣) وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنْ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ يَنْبَغْكُمْ
وَيِنَّهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا (آياتان)

﴿ القراءة ﴾

قرأ اهل الكوفة غير حفص ونافع وابو عمرو وابن عامر غير هشام كأن لم يكن بالياء والباقون كأن لم تكن
بالتاء وروي في الشواذ بالياء عن الحسن ليقولن بضم اللام وروي عن يزيد النحوي والحسن فافوز بالرفع

﴿ الهجعة ﴾

من قرأ بالياء فلأن التانيث غير حقيقي وحسن التذكير للفصل الواقع بين الفاعل والفعل ومثل التذكير واخذ
الذين ظلموا الصيحة فن جاءه موعظة من ربه وفي موضع آخر قد جاء تكلم موعظة من ربكم فكلا الأمرين
قد جاء التنزيل به ومن قرأ ليقولن بالضم فإنه اعاد الضمير الى معنى من مثل قوله ومنهم من يستمعون اليك
فإن قوله لمن ليبطئن لا يعنى به رجل واحد وإنما معناه ان هناك جماعة هذه صفتهم واما من قرأ فافوز فإنه على ان
يتبنى الفوز فكأنه قال يا ليتني افوز ولو جملة جوابا لنصبه اي ان اكن معهم افز

(١) اجتلى النحل : دخن عليها ليشثار العمل . اکتاب : كان في غم وسوء حال وانكسار من حزن . (٢) [وحالة واحدة].

= اللغة =

التبطئة التأخر عن الأمر يقال ما بطأ بك عنا أي ما أخرك عنا ومثله الابطاء وهو اطالة مدة العمل
قلقة الابعاش وضده الاسراع وهو قصر مدة العمل للتدبير فيه ويقال بطأ في مشيه يبطأ ببطأ اذا ثقل

* الاعراب *

اللام الاولى التي في قوله لمن لام إن التي هي لام الابتداء بدلالة دخولها على الاسم والثانية التي في ليبطئن
لام القسم بدلالة دخولها على الفعل مع نون التأكيد ومن موصولة بالجالب للقسم وتقديره وان منكم لمن حلف
بالله ليبطئن وانما جاز صلة من بالقسم ولم يجز بالأمر والهي لأن القسم خبر بوضع الموصول كما يوضح الموصوف
في قولك مررت برجل لتكريمته لأنك خصصته بوقوع الأكرام في المستقبل من كل رجل غيره وليس كذلك
في قولك مررت برجل إضربته لأنه لا يتخصص بالضرب في الأمر كما يتخصص بالخبر كأن مخفت النون
لأنك اردت كأنه فحذفت الهاء وصارت همزة عوضا مما حذفت منه وقوله كأن لم يكن بينكم وبينه مودة جملة
اعترضت بين المفعول وفعله فإن قوله يا ليتني كنت معهم في موضع نصب بكونه مفعول بقولن كما ان قوله
قد انعم الله عليّ اذ لم اكن معهم شهيدا في موضع نصب بكونه مفعول قال وقوله فأفوز منصور على جواب
التمني بالفاء واتصابه باضمار أن فيكون عطف اسم على اسم وتقديره يا ليتني كان لي حضور معهم ففوز ولو
كان العطف على ظاهره لكان يا ليتني كنت معهم ففوز

* النزول *

قيل انها نزلت في المؤمنين لأنه خاطبهم بقوله وان منكم وقد فرق بين المؤمنين والمنافقين بقوله ما هم منكم
ولا منهم وقال اكثر المفسرين نزلت في المنافقين وانما جمع بينهم في الخطاب من جهة الجنس والنسب لا من
جهة الايمان وهو اختيار الجبائي

* المعنى *

لما حث الله على الجهاد بين حال المتخلفين عنه فقال (وان منكم) خاطب المؤمنين ثم اضاف المنافقين اليهم
فقال (لمن ليبطئن) اي هم منكم في الحال الظاهرة اوفي حكم الشريعة من حقن الدم والمناكحة والموارثة وقيل
منكم اي من عدادكم ودخلائكم يبيطى بالتشديد والتخفيف معناهما واحداي من يتأخر عن الخروج
مع النبي (ص) (فان اصابكم مصيبة) فيه من قتل او هزيمة قال عز وجل انزلنا من السماء ماء فاصابكم
عليّ اذ لم اكن معكم شهيدا اي شاهدا حاضرا في القتال فكان يصيبني ما اصابهم وقال الصادق لو ان اهل السماء
والارض قالوا قد انعم الله علينا اذ لم نكون مع رسول الله لكانوا بذلك مشركين (ولئن اصابكم فضل من الله)
اي فتح او غنيمة (ليقولن) يتحسرو ويقولن يا ليتني كنت معكم وقوله (كأن لم تكن بينكم وبينه مودة) اعتراض
يثصل بما تقدمه من قوله وقال قد انعم الله عليّ اذ لم اكن معكم شهيدا كأن لم تكن بينكم وبينه مودة اي
لا يعاضدكم على قتال عدوكم ولا يراعي الذمام الذي بينكم عن ابي علي الفارسي وقيل انه اعتراض بين القول والتمني
وتقديره ليقولن (يا ليتني كنت معكم فافوز) من الغنيمة (فوزا عظيما) كأنه ليس بينكم وبينه مودة اي يتمنى
الحضور لانتصرتكم وانما يتمنى النفع لنفسه وقيل ان الكلام في موضعه من غير تقديم وتأخير ومعناه ولئن
اصابكم فضل من الله ليقولن هذا المبطل قول من لا تكون بينه وبين المسلمين مودة اي كأنه لم يعاقدكم على
الايمان ولم يظهر لكم مودة على حال يا ليتني كنت معكم اي يتمنى الغنيمة دون شهود الحرب وليس هذا من
قول المخلصين فقد عدوا المتخلف في احدي الحالتين تقمة من الله وتمنوا الخروج معهم في احدي الحالتين لأجل
الغنيمة وليس ذلك من امارات المودة وعلى هذا فيكون قوله كأن لم تكن بينكم وبينه مودة في موضع نصب

ج ٣ (الجزء الخامس) قوله تعالى فليقاتل في سبيل الله إلى قوله واجمل لنا من لدنك نصيراً ٧٥

على الحال وقال ابو علي الجبائي انه حكاية عن المنافقين قالوا للذين اقدموا عن الجهاد كأن لم تكن بينكم وبينه مودة اي بين محمد مودة فتخرجوا معه لتأخذوا معه من الغنيمة وانما قالوا ذلك ليغضوا اليهم رسول الله باليتي كنت معهم وهذا التعمي من قول المبطلين القاعدين تمنوا ان يكونوا معهم في تلك الغزوة فأفوز فوزاً عظيماً اي اصيب غنيمة عظيمة وأخذ حظاً وافراً منها

قوله تعالى (٧٤) فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيماً (آية)

اللغة

يقال شربت بمعنى بعث واشتريت بمعنى ابتعت ويشرون يبيعون وقال يزيد بن مفرغ
وَشَرَيْتُ بُرْدًا لَيْتَنِي
مِنْ بَعْدِ بُرْدِ كُنْتُ هَامَهُ (١)

وبرد اسم غلامه

الإعراب

فيقتل او يغلب عطف على يقاتل وجواب الشرط فسوف نؤتيه

المعنى

لما اخبر الله سبحانه في الآية الاولى ان قوما يتأخرون عن القتال او يبطئون المؤمنين عنه حث في هذه الآية على القتال فقال (فليقاتل في سبيل الله) هذا امر من الله وظاهر امره يقتضي الوجوب اي فليجاهد في سبيل الله اي في طريق دين الله (الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة) اي الذين يبيعون الحياة الفانية بالحياة الباقية ويجوز يبيعون الحياة الدنيا بعم الآخرة اي يبذلون انفسهم واموالهم في سبيل الله بتوطين انفسهم على الجهاد في طاعة الله ويمعهم اياها بالآخرة هو استبدالهم اياها بالآخرة (ومن يقاتل في سبيل الله) اي يجاهد في طريق دين الله وقيل في طاعته به بأن يبذل ماله وقسه ابتغاء مرضاته (فيقتل) اي يستشهد (او يغلب) اي يظفر بالعدو وفيه حث على الجهاد فكأنه قال هو فائز باحدى الحسينين ان غلب أو غلب (فسوف نؤتيه اجرا عظيماً) اي نعطيه اعلى اثمان العمل وقيل ثوابا دائما لا تنقضي فيه

قوله تعالى (٧٥) وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا (آية)

اللغة

الولدان جمع ولد وولد وولدان مثل حرب وخربان وبرق وبرقان وورل وورلان والاعراب على بابها فعال نحو جبال وجمال وقد ذكرنا القرية في سورة البقرة

الإعراب

ما للاستفهام في موضع رفع بالابتداء ولانقائلون في موضع نصب على الحال وتقديره اي شي لكم تاركين للقتال والمستضعفين جر بالمعطف على ما عملت في اي وفي المستضعفين وقال المبرد هو عطف على اسم الله وانما جازان يجري الظالم صفة القرية وهو في المعنى للاهل لانها قوية على العمل لقربها من الفعل وتمكنها في الوصفية بانها تؤنث وتذكر وتثنى وتجمع بخلاف باب افعل منك فلذلك جاز مررت برجل الظالم ابوه ولم يجز مررت برجل

خير منه ابوه بل يقال مرت برجل خير منه ابوه لتكون الجملة في موضع الجر

✽ المعنى ✽

ثم حَسَّبَ سبحانه على تخليص المستضعفين فقال (وما لكم) ايها المؤمنون (لا تقاتلون) اي اي عذر لكم في ترك القتال مع اجتماع الاسباب الموجبة للقتال (في سبيل الله) اي في طاعة الله ويقال في دين الله ويقال في نصرته دين الله ويقال في اعزاز دين الله واعلاء كلمته (والمستضعفين) اي وفي المبضعين او في سبيل المستضعفين اي نصرته المستضعفين وقيل في اعزاز المستضعفين وفي الذب عن المستضعفين (من الرجال والنساء والولدان) قيل يريد بذلك قوما من المسلمين بقوا بمكة ولم يستطيعوا الهجرة منهم سلمة بن هشام والوليد بن الوليد وعيَّاش بن ابي ربيعة وابو جندل بن سهيل جماعة كانوا يدعون الله ان يخلصهم من ايدي المشركين ويخرجهم من مكة وهم (الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهله) اي يقولون في دعائهم ربنا سهل لنا الخروج من هذه القرية يعني مكة عن ابن عباس والحسن والسدي وغيرهم الظالم اهله اي التي ظلم اهله بافتتان المؤمنين عن دينهم ومنعم عن الهجرة (واجعل لنا) بالطافك وتأييدك (من لدنك) اي من عندك (ايا) يلي امرنا بالكفاية حتى ينقذنا من ايدي الظلمة (واصل لنا من لدنك نصيرا) بنصرنا على من ظلمنا فاستجاب الله تعالى دعاءهم فلما فتح رسول الله مكة (ص) جعل الله نبيه لهم وليا فاستعمل على مكة عتاب بن اسيد فجعله الله لهم نصيرا فكان ينصف الضعيف من الشديد فاغاثهم الله فكانوا اعز بها من الظلمة قبل ذلك وفي هذه الآية دلالة على عظم موقع الدعاء من الله وابطال قول من يزعم ان العبد لا يستفيد بالدعاء شيئا لان الله حكى عنهم انهم دعوا واجابهم الله واتاهم سؤلهم ولولا انه استجاب دعاءهم لما كان لذكر دعائهم معنى

قوله تعالى (٧٦) الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ
الطَّاغُوتِ فَقاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا (آية)

✽ اللفظة ✽

الطاغوت قد مر ذكره والكيد السمي في فساد الحال على وجه الاحتيال تقول كاد بكيد كيدا فهو كائد اذا عمل في ايقاع الضرر به على وجه الحيلة فيه ✽ المعنى ✽

ثم شجّع المجاهدين ورجبهم في الجهاد بقوله (الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله) اي في طاعة الله وفي نصرته دينه واعلاء كلمته وابتغاء مرضاته بلا عجب ولا صلف ولا طمع في غنيمة (والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت) وطاعته (فقاتلوا اولياء الشيطان) يعني جميع الكفار وهذا يقوي قول من قال ان الطاغوت الشيطان (ان كيد الشيطان كان ضعيفا) دخلت كان هاهنا مؤكدة لتدل على ان الضعف لكيد الشيطان لازم في جميع الأحوال والاقوات ما مضى منها وما يستقبل وليس هو عارضا في حال دون حال وإنما وصف سبحانه كيد الشيطان بالضعف بالاضافة إلى نصرته الله المؤمنين عن الجبائي وقيل لانه اخبر بانه سيظهر عليهم المؤمنين عن الحسن وقيل لضعف دعوي اولياء الشيطان إلى القتال إذ لا بصيرة لهم وإنما يقاتلون بما تدعو اليه الشبهة والمؤمنون يقاتلون بما تدعو اليه الحقبة قوله تعالى (٧٧) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كُتِبَ عَلَيْنَا الْقِتَالُ لَوْ لَأَخْرَجْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تظَلْمُونَ فَتِيلًا (آية)

* القراءة *

لا يظلمون بالياء مكى كوفي غير عاصم والباقون بالتاء

* الحجة *

من قرأ بالياء فلما تقدم من ذكر الغيبة من قوله ألم تر إلى الذين قيل لهم ومن قرأ بالتاء فلا أنه ضم اليهم في الخطاب المسلمين فقلب الخطاب على الغيبة

* الإعراب *

إذا فريق منهم إذا هذه ظرف مكان وهي بمنزلة الفاء في تعليقه الجملة بالشرط وتسمى ظرف المكان كما في قول الشاعر

وَ كُنْتُ أَرَى زَيْدًا كَمَا قَبِيلَ سَيْدًا إِذَا إِنَّهُ عَبْدٌ قَفَاً وَاللَّهَازِمُ

فهي في محل نصب يخشون والكاف في خشية الله في محل نصب للمصدر واشد معطوف عليه وخشية منصوب على التمييز وهو مما اتصبت به تمام الاسم للمصدر ولولا معناها التحضيض ولا تدخل إلا على الفعل

* النزول *

قال الكلبى نزلت في عبد الرحمن بن عوف الزهري والمقداد بن الاسود الكندي وقدامة بن مظعون الجمحي وسعد بن ابي وقاص كانوا يلقون من المشركين اذى شديدا وهم بمكة قبل أن يهاجروا إلى المدينة فيشكون إلى رسول الله (ص) ويقولون يا رسول الله ائذن لنا في قتال هؤلاء فإنهم قد آذونا فلما أمر بالقتال وبالمسير إلى بدر شق على بعضهم فنزلت هذه الآية

* المعنى *

ثم عاد سبحانه إلى ذكر القتال ومن كرهه فقال (ألم تر إلى الذين قيل لهم) وهم بمكة (كفوا ايديكم) اي امسكوا عن قتال الكفار فإن لم تؤمر بقتالهم (وأقيموا الصلاة واتوا الزكاة فلما كتب) اي فرض (عليهم القتال) وهم بالمدينة (إذا فريق منهم) اي جماعة منهم (يخشون الناس كخشية الله) اي يخافون القتل من الناس كما يخافون الموت من الله وقيل يخافون الناس ان يقتلهم كما يخافون الله ان يتوفاهم وقيل يخافون عقوبة الناس بالقتل كما يخافون عقوبة الله (او اشد خشية) قيل إن او هنا بمعنى الواو اي واشد خشية وقيل إن او هنا لاوبهام الامر على المخاطب وقد ذكرنا الوجوه في مثل هذا عند ذكر قوله سبحانه او اشد قسوة في سورة البقرة (وقالوا ربنا لم كتب علينا القتال) قال الحسن لم يقولوا ذلك كراهية لأمر الله ولكن لدخول الخوف عليهم بذلك على ما يكون من طبع البشر ويحتمل ان يكونوا قالوا ذلك استغما لانكارا وقال إنما قالوا ذلك لانهم ركنوا إلى الدنيا وآثروا نعيمها وعلى الاقوال كلها فلولم يقولوا ذلك لكان خيرا لهم (لولا اخرتنا) اي هلا اخرتنا (إلى اجل قريب) وهو إلى ان نموت بأجلنا ثم اعلم الله تعالى أن الدنيا بما فيها من وجوه المنافع قليل فقال (قل) يا محمد هؤلاء (متاع الدنيا) اي ما يستمتع به من منافع الدنيا (قليل) لا يبقى (والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتىلا) اي ولا تبخسون هذا القدر فكيف ما زاد عليه والقتيل ما تقتله يبدك من الوسخ ثم تلقه عن ابن عباس وقيل ما في شق النواة لأنه كالخيط المقول

قوله تعالى (٧٨) أَيَمَّا تَكُونُوا يَدْرِكِكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ وَإِنْ تُصِيبِهِمْ حَسَنَةٌ يَّقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِيبِهِمْ سَيِّئَةٌ يَّقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا (آية)

(١) اللهازم جمع للهزيمة : عظم نأتى فى اللحن تحت الاذن . اى فاذا علمت انه ذليل يضرب على قفاه لهزمته

﴿ القراءة ﴾

روى في الشواذ ان طلحة بن سليمان قرأ يدرككم الموت برفع الكاف

— الحجة —

هذه القراءة ضعيفة على ان لها وجهها وهو ان يكون على حذف الفاء كما أنه قال يهدركم الموت ومثله بيت الكعاب
 مَنْ يَفْعَلِ الْحَسَنَاتِ اللَّهُ بِشُكْرِهَا وَالشَّرَّ بِالشَّرِّ عِنْدَ اللَّهِ مِثْلَانِ اي فاعله بشكرها

﴿ الفنة ﴾

البروج جمع بروج واصله من الظهور يقال لبرجت المرأة إذا اظهرت محاسنها والبرج اتساع في العين لظهور العين بالاتساع والمشيئة المزينة بالثوب وهو الجص والثيد رفع البناء يقال شاد بناءه بشيده إذا رفعه وإنما قيل للجص شيد لانه ما يرتفع به البناء ويجوز أشاد الرجل بناءه إذا رفعه فأما في الذكر فإنه يقال اشاد بذكره لا غير والفحة الفهم يقال فحه الرجل يفقه فحها والاسم الفقيه وصار يهرف الاستعمال علما على علم الفقهاء من علوم الدين وفحه الرجل يفقه فحاه إذا صار فقيها وتفقه تعلم الفقه

﴿ الاعراب ﴾

اين من الظروف التي يمازى بها بتضمنها معنى إن ولا يلزمه ما تقول اين تكن اكن واينما تكن اكن وهي تستغرق الأمكنة كما ان متى تستغرق الازمنة وكتبت ايأنا هنا موصولة وسيفي قوله اين ما كنتم توعدون مفصولة لأن ما هاهنا مزيدة وهنالك بمعنى الذي فوصلت هذه كما توصل الحروف وفصلت تيك كما تفصل الاسماء وما هو لولاه كثرت في الكلام حتى توهموا ان اللام متصلة بها وانها حرف واحد ففصلوا اللام عما بعده في بعض المواضع ووصلوها في بعضها ولا يجوز الوقف على اللام لأنها اللام الجارة

﴿ المعنى ﴾

ثم خاطبهم تعالى فقال (ايأنا تكونوا يدرككم الموت) اي ايأنا كنتم من المواضع والاما كمن ينزل بكم الموت ويلحقكم (ولو كنتم في بروج مشيدة) قيل بمعنى بالبروج القصور عن مجاهد وقناة وابن جريج وقيل تصور في الساء بايأنا عن السدي والريبع وقيل المراد به بروج الساء وقيل البيوت التي فوق الحصون عن الجبائي وقيل الحصون والقلاع عن ابن عباس فهذه خمسة احوال والمشيئة المخصصة عن حكيم وقيل المزينة عن ابي عبيدة وقيل المطولة في ارتفاع عن الزجاج وغيره (وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله) اختلف في من حكى عنهم هذه المقالة فقيل هم اليهود قالوا ما زلنا نعرف النقص في اثمارنا ومزارعنا منذ قدم علينا هذا الرجل عن الزجاج والقراء فعلى هذا يكون معناه وان اصابهم خصب ومطر قالوا هذا من عند الله وان اصابهم قحط وجذب قالوا هذا من شؤم محمد كما حكى عن قوم موسى وان تصبهم سيئة بطيروا موسى ومن معه ذكره البلخي والجبائي وهو المروي عن الحسن وابن زيد وقيل هم المنافقون عبد الله بن ابي واصحابه الذين تخلفوا عن القتال يوم احد وقالوا للذين قتلوا في الجهاد لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا فعلى هذا يكون معناه ان يصبهم ظفر وغنيمة قالوا هذا من عند الله وان يصبهم مكروه وهزيمة قالوا هذه من عندك يا محمد بسوء تذكيرك وهو المروي عن ابن عباس وقناة وقيل هو عام في اليهود والمنافقين وهو الاصح وقيل هو حكاية عن سبق ذكره قبل الآية وهم الذين يقولون ربنا لم كتب علينا القتال وتقديره وان تصب هؤلاء حسنة يقولوا هذه من عند الله (وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك) قال ابن عباس وقناة الحسنة والسيئة السراء والفسراء واليؤس والرخاء والنعم والمصيبة والخصب والجذب وقال الحسن وابن زيد هو القتل والهزيمة والظفر والظنمة (لئلا) يا محمد (كل من عند الله) اي جميع ما مضى ذكره من الموت والحياة والخصب والجذب من عند الله ويقضاه ولقدرة لا يقدر احد على رده ودفنه

ابتلى بذلك عباده ليعرضهم لثوابه بالشكر عند العطية والصبر على البلية (فما لولا القوم) اي ما شأن هؤلاء المنافقين (لا يكادون يفقهون حديثنا) اي لا يقربون فقه معنى الحديث الذي هو القرآن لأنهم يبعدونهم بإعراضهم عنه وكفرهم به وقيل معناه لا يفقهون حديثنا اي لا يعلمون حقيقة ما يخبرهم به انه من عند الله من السراء والضراء على ما وصفناه

قوله تعالى (٧٩) مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا (آية)

﴿ الإعراب ﴾

رسولا منصوب بارسلناك وإنما ذكره تأكيداً لأن ارسلناك دل على انه رسول وشهدا نصب على التمييز ومعنى من في قوله من حسنة و من سيئة التبيين ولو قال ان اصابك من حسنة كانت من زائدة لا معنى لها

﴿ المعنى ﴾

(ما اصابك من حسنة فمن الله) قيل هذا خطاب للنبي والمراد به الأمة عن الزجاج وقيل خطاب للإنسان اي ما اصابك ايها الإنسان عن قتادة والجبائي قال وعنى بقوله من حسنة من نعمة في الدين والدنيا فإنها من الله (وما اصابك من سيئة) أي من المعاصي (فمن نفسك) وقيل عنى بالحسنة ما اصابهم يوم بدر من الغنيمة وبالسيئة ما اصابهم يوم احد من الهزيمة عن ابن عباس قال ابو مسلم معناه لما جدوا في القتال يوم بدر واطاعوا الله آتاهم النصر ولما خالفوا يوم احد خلى بينهم فمزموه وقيل الحسنة الطاعة والسيئة القحط والمرض والبلاء والمكاره والأواء والشدائد التي تصيبهم في الدنيا بسبب المعاصي التي يفعلونها وربما يكون لطفاً وربما يكون على سبيل العقوبة وإنما سماها سيئة مجازاً لأن الطبع ينفر عنها وإن كانت افعالاً حسنة غير قبيحة فيكون المعنى على هذا ما اصابك من الصحة والسلامة وسعة الرزق وجميع نعم الدين والدنيا فمن الله وما اصابك من المحن والشدائد والآلام والمصائب فيسبب ما تكسبه من الذنوب كما قال وما اصابكم من مصيبة فيما كسبت ايديكم وقوله فمن نفسك معناه فبذنبك عن الحسن وجماعة من المفسرين وفسره ابو القسم البلخي فقال ما اصاب المكلف من مصيبة فهي كفارة ذنب صغير او عقوبة ذنب كبير او تأديب وقع لأجل تقربط وقد قال النبي (ص) ما من خدش بعود ولا اختلاج عرق ولا عثرة قدم إلا بذنب وما يغفر الله عنه اكثر وقيل فمن نفسك اي من فعلك وقال علي بن عيسى وفي الآية دلالة على ان الله لا يفعل الأثم إلا على وجه اللطف او العقاب دون مجرد العوض لأن المصائب إذا كانت كلها من قبل ذنب العبد فهي إما أن تكون عقوبة وإما ان تكون من قبل تأديب للمصلحة وقوله (وارسلناك للناس رسولا) معناه ومن الحسنة ارسلناك يا محمد ومن السيئة خلافتك يا محمد وكفى بالله شهيداً لك وعليك وقيل في معنى اتصاله بما قبلها ان ما اصابهم فبشؤم ذنوبهم وإنما انت رسول طاعتك طاعة الله ومعصيتك معصية الله لا يطير بك بل الخير كله فيك (وكفى بالله شهيداً) اي كفى الله ومعناه حسبك الله شاهداً لك على رسالتك وقيل معناه كفى بالله شهيداً على عباده بما يعملون من خير وشر فلي هذا يكون متضمناً للترغيب في الخير والتحذير عن الشر

قوله تعالى (٨٠) مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا

(٨١) وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبْتَغُونَ فَاغْرُضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (آيتان)

﴿ القراءة ﴾

قرأ أبو عمرو بادغام التاء في الطاء من يَت طائفة وبه قرأ حمزة والباقون بالاعتماد

﴿ الحجة ﴾

إنما حسن ادغام التاء في الطاء للتقارب الذي ينهما بأنهما من حيز واحد ولم يحسن ادغام الطاء في التاء لأن الطاء تزيد على التاء بالأطباق فحسُن ادغام الاقتص صوتاً من الحروف في الأزيد صوتاً بحسب قبح ادغام الأزيد في الاقتص ومن بين ولم يدغم فلا اتصال الحرفين واختلاف المخرجين

﴿ اللفظة ﴾

قال المسبرد التبييت كل شيء دبر ليلاً قال عبيدة بن هشام

أَتَوْنِي فَلَمْ أَرْضَ مَا يَتَّوْنَ
وَكَانُوا أَتَوْنِي لِأَرْضِي نَكْرًا

والتبوت الامر ببيت عليه صاحبه مهتابه والبيات والتبويتان بأقي العدو ليلاً فاصل التبييت إحكام الامرا واصل الوكيل القائم بما فوض اليه من التدبير

﴿ الإعراب ﴾

جواب الجزاء في قوله فما ارسلناك عليهم حفيظاً تقديره. ومن تولى فليس عليك بأس لأنك لم ترس حفيظاً عليهم وطاعة مبتدأ اي عندنا طاعة او خبر مبتدأ محذوف اي امرنا طاعة ولو نصب على تطيع طاعة جاز

﴿ المعنى ﴾

ثم رغب تعالى في طاعة الرسول فقال (من يطع الرسول فقد اطاع الله) بين ان طاعته طاعة الله وإنما كانت كذلك لأنها وإن كانت طاعة للنبي من حيث وافقت ارادته المستدعية للفضل فإنها طاعة الله ايضاً على الحقيقة إذ كانت بأمره وإرادته فأما الأمر الواحد فلا يكون على الحقيقة من أمرين كما ان الفعل الواحد لا يكون من فاعلين (ومن تولى) اي ومن اعرض ولم يطع (فما ارسلناك عليهم حفيظاً) اي حافظاً لهم من التولي حتى يسلموا عن ابن زيد قال فكان هذا اول ما بعث كما قال في موضع آخر إن عليك إلا البلاغ ثم امر فيما بعد بالجهاد وقيل معناه ما ارسلناك حافظاً لأعمال النبي يقع الجزاء امر عليها فتخاف ان لا تقوم بها لأننا نحن نجازيهم عليها وقيل حافظاً لهم من المعاصي حتى لا تقع عن الجبائي وفي هذه الآية تسلية للنبي في تولى الناس عنه مع ما فيه من تعظيم شأنه بكون طاعته طاعة الله ثم بين ان المتأقنين أظهر واطاعته واضمر واخلافه بقوله (ويقولون طاعة) يعني به المتأقنين عن الحسن والسدي والضحاك وقيل المراد به المسلمون الذين حكى عنهم انهم يخشون الناس كخشية الله او اشد خشية يقولون امرك طاعة كأنهم قالوا قبلنا امرك بالطاعة (فإذا برزوا) اي خرجوا (من عندك يت طائفة منهم) اي قدر جماعة منهم ليلاً (غير الذي تقول) اي غير ما تقولون على جهة التكذيب عن الحسن وقادة وقيل معناه غيروا بالليل وبدلوا ما قالوه بأن اضمروا الخلاف عليك فيما امرتهم به ونهيتهم عنه عن ابن عباس وقادة والسدي وقيل دبروا ليلاً غير ما اعطوك نهاراً عن ابي عبيدة والقتبي (والله يكتب ما يبينون) في اللوح المحفوظ ليجازيهم به وقيل يكتبه بأن ينزله اليك في الكتاب عن الزجاج (فاعرض عنهم) أمر الله نبيه بالاعراض عنهم وان لا يسميهم بأعيانهم ابقاء عليهم وستر الامورم إلى ان يستقر امر الاسلام (وتوكل على الله) اي فوض امرك اليه وثق به (وكفى بالله وكيلاً) اي حفيظاً لما فوضه اليه من التدبير

قوله تعالى (٨٢) أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً

(٨٣) وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا (آياتان)

❖ اللغة ❖

التدبير النظر في عواقب الامور والتدابير التقاطع لأن كل واحد يوحي الآخر دبره بمداوته له ودبر القوم يدبرون دبارا هلكوا لأنهم يذهبون في جهة الادبار عن الغرض والفرق بين التدبير والتفكير ان التدبير تصرف القلب بالنظر في العواقب والتفكير تصرف القلب بالنظر في الدلائل والاختلاف هو امتناع احد الشئيين ان يسد مسد الآخر فيما يرجع إلى ذاته كالسواد الذي لا يسد مسد البياض وكذلك الذهاب في الجهات المختلفة واصل الاذاعة التفريق قال تبع لما ورد المدبحة

وَلَقَدْ شَرِبْتُ عَلَى بَرَاجِمَ شَرْبَةً
كَلَدَتْ بِبَاقِبَةِ الْحَيَاةِ تَذْبِيعُ

اي تفرق وبراجم ماء بالمدينة كان يشرب منه فنشبت بحلقه علقه وذاع الخبر ذبعا ورجل مذباع لا يستطيع كتمان خبره وأذاع الناس بما في الحوض إذا شربوه وأذاعوا بالمتاع ذهبوا به والاذاعة والاشاعة والافشاء والاعلان والاطهار نظائر وضده الكتمان والاسرار والاختفاء واصل الاستنباط الاستخراج يقال لكل ما استخرج حتى يقع عليه رؤية العين او معرفة القلب قد استنبط والتبسط الماء الذي يخرج من البئر اول ما تحفر وانبط فلان اي استنبط الماء من طين حر ومنه اشتقاق التبسط لاستنباطهم الميون

❖ المعنى ❖

(أفلا يتديرون القرآن) اي أفلا يتفكر اليهود والمنافقون في القرآن إذ ليس فيه خلل ولا تناقض ليعلموا انه حجة وقيل ليعلموا انهم لا يقدرون على مثله فيعرفوا انه ليس بكلام احد من الخلق وقيل ليعرفوا اتساق معانيه وإتلاف احكامه وشهادة بعضه لبعض وحسن عباراته وقيل ليعلموا كيف اشتمل على انواع الحكم من امر يحسن ونهي عن قبيح وخبر عن مخبر صدق ودعاء إلى مكارم الأخلاق وحث على الخير والزهد مع فصاحة اللفظ وجودة النظم وصحة المعنى فيعرفوا انه خلاف كلام البشر والاولى ان تحمل على الجميع لأن من تدبر فيه علم جميع ذلك (ولو كان من عند غير الله) اي كلام غير الله اي لو كان من عند النبي أو كان بطلمه بشر كما زعموا (لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) قيل فيه اقوال ❖ احدها ❖ ان معناه لوجدوا فيه اختلاف تناقض من جهة حق وباطل عن قتادة وابن عباس ❖ والثاني ❖ اختلافا في الإخبار عما يسرون عن الزجاج ❖ والثالث ❖ من جهة بليغ ومرذول عن ابي علي ❖ والرابع ❖ تناقضا كثيرا عن ابن عباس وذلك أن كلام البشر إذا طال وتضمن من المعاني ما تضمنه القرآن لم يحل من التناقض في المعاني والاختلاف في اللفظ وكل هذه المعاني منفي عن كلام الله كما قال لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وهذه الآية تضمنت الدلالة على معان كثيرة منها بطلان التقليد وصحة الاستدلال في اصول الدين لانه دعا إلى التفكير والتدبر وحث على ذلك ومنها فساد قول من زعم ان القرآن لا يفهم معناه إلا بتفسير الرسول من الحشوية وغيرهم لأنه حث على تدبره ليعرفوه ويتبينوه ومنها انه لو كان من عند غيره لكان على وزان كلام عبادته ولوجدوا الاختلاف فيه ومنها ان المتناقض من الكلام لا يكون من فعل الله لأنه لو كان من فعله لكان من عنده لا من عند غيره والاختلاف في الكلام يكون على ثلاثة أصرب اختلاف تناقض واختلاف تفاوت واختلاف تلاوة واختلاف تفاوت يكون في الحسن والقبح والخطأ والصواب ونحو ذلك ما تدعو إليه الحكمة وتصرف عنه وهذا الجنس من الاختلاف لا يوجد في القرآن البتة كما

لا يوجد اختلاف التناقض وأما اختلاف التلاوة فهو ما يتلاوم في الجنس كاختلاف وجوه القرآن واختلاف مقادير الآيات والسور واختلاف الاحكام في النسخ والمنسوخ فذلك موجود في القرآن وكله حتى وكله صواب واستدل بعضهم بانتفاء التناقض عن القرآن على انه من فعل الله بأن قال لو لم يكن ذلك دلالة لما اخبرنا الله به ولو لم يخبر بذلك لكان لقائل ان يقول انه يمكن ان يتحفظ في الكلام ويهذب تهذيبا لا يوجد لذلك فيه شيء من التناقض وعلى هذا فلا يمكن ان يجعل انتفاء التناقض جهة اعجاز القرآن إلا بعد معرفة صحة السمع وصدق النبي ثم عاد تعالى إلى ذكر حالتهم فقال (وإذا جاءهم) يعني هؤلاء الذين سبق ذكرهم من المنافقين وقيل هم الذين ذكرهم من ضعة المسلمين (امر من الأمن او الخوف) يريد ما كان يرجف به من الاخبار في المدينة اما من قبل عدو يقصدهم وهو الخوف او من ظهور المؤمنين على عدوهم وهو الأمن (اذاعوا به) اي تحدثوا به وافشوه من غير ان يعلموا صحته كره الله ذلك لأن من فعل هذا فلا يخلو كلامه من كذب ولما يدخل على المؤمنين به من الخوف ثم قال (ولوردوه إلى الرسول) المعنى ولو سكتوا إلى ان يظهره الرسول (وإلى) الامر منهم) قال ابو جعفر (ع) هم الائمة المعصومون وقال السدي وابن زيد وابو علي والجبائي هم امراء السرايا و قولوا الحسن وقتادة وغيرهم انهم أهل العلم والفقهاء الملازمون للنبي لأنهم لو سألوه عن حقيقة ما ارجفوا به لعل اختاره الزجاج وانكر ابو علي الجبائي هذا الوجه وقال إنما يطلق اولو الامر على من له الامر على الناس (ل) الذين يستنبطونه) اي لعلم ذلك الخبر الذين يستخرجونه عن الزجاج وقيل بتحسونه عن ابن عباس وابي اية وقيل يتتونه ويطلبون علم ذلك عن الضحاك وقيل يسألون عنه عن عكرمة قال استنباطهم سؤلهم الرسول عنه وجميع هذه الأقوال متقاربة المعنى (منهم) قيل ان الضمير في منوم يعود إلى اولي الامر وهو الاظهر قيل يعود إلى الفرقة المذكورة من المنافقين او الضعة (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) اي ولولا اتصال موا لالطاف من جهة الله وقيل فضل الله الاسلام ورحمته القرآن عن ابن عباس وقيل فضل الله النبي ورحمته القرآن عن الضحاك والسدي وهو اختيار الجبائي وروي عن ابي جعفر وابي عبد الله (ع) فضل الله ورحمته النبي وعلي لا تبعتم الشيطان الا قليلا) قيل فيه اقوال * احدها * ان في الكلام تقدما وتأخيرا والاستثناء من قوله اذاعوا به عن ابن عباس فيكون معناه اذاعوا به الا قليلا وهو اختيار المبرد والكسائي والقراء والبلخي والطبري قالوا وهذا اولي لأن الاذاعة اكثر من الاستنباط وثانيتها ان الاستثناء من قوله لعلمه الذين يستنبطونه منهم الا قليلا ويكون تقديره ولو رددوه إلى الرسول وإلى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه الا قليلا عن اكثر اهل اللغة * وثالثها * ان المراد ولولا فضل الله عليكم ورحمته لا تبعتم الشيطان الا قليلا منكم على الظاهر من غير تقديم ولا تأخير وهذا كما اتبع الشيطان من كان قبل بعثة النبي الا قليلا منهم لم يتبعوه واهتدوا بعقولهم لترك عبادة الاوثان بغير رسول ولا كتاب وآمنوا بالله ووحدوه مثل قس بن ساعدة وزيد بن عمرو بن قنيل وورقة بن نوفل والبراء (١) الشفي وابي ذر الغفاري وطلاب الدين وبه قال الانباري * ورابعها * ان معناه ولولا فضل الله عليكم ورحمته بالنصرة والفتح مرة بعد اخرى لا تبعتم الشيطان فيما يلقي اليكم من الوسوس والخواطر الفاسدة المؤدية إلى الجبن والفشل الموجبة لضعف النية والبصيرة الا قليلا من افاضل اصحاب رسول الله الذين هم اهل البصائر النافذة والمعزائم الناجية والنيات الخالصة لا يأسون من رحمة الله ولا يشكون في نصرته وانجاز وعده وان ابطأ بعض الابطاء والله اعلم

النظم

اختلف في وجه اتصال قوله افلا يتدبرون القرآن بما قبله فقيل انه يتصل بقوله ويقولون طاعة الآية فإن الله اطلع على سرائر المنافقين ثم بين هنا انه من جهة علام الغيوب ولو كان من جهة غيره لكان المخبر بخلاف

(١) له رثاب فقد جاء في المعارف لابن قتيبة انه من عبد العيس من شن (مصححه)

(الجزء الخامس) قوله تعالى فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك إلى قوله وكان الله على كل شيء مقبلاً ٨٣

الخبر وقيل انه يتصل بقوله وارسلناك لما بين اوسالته امر بتدبر معجزه

قوله تعالى (٨٤) فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرّض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأساً وأشد تنكيلاً (آية)

﴿ اللغة ﴾

نكّل به وندّد به وشرّد به نظائر واصله النكول وهو الامتناع للخوف يقال نكل عن اليمين وغيرها والنكال ما يمتنع به من الفساد خوفاً من مثله من العذاب والنكل القيد

- المعنى -

ثم عاد تعالى إلى الامر بالقتال فقال (فقاتل في سبيل الله) قيل في الفاء قولان ﴿ احدهما ﴾ انه جواب لقوله ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيماً فقاتل في سبيل الله فيكون المعنى ان اردت الاجر العظيم فقاتل في سبيل الله (والآخر) ان يكون متصلاً بقوله وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله فقاتل في سبيل الله عن الزجاج ووجهه انه لاحظ لك في ترك القتال فتتركه والخطاب للنبي (ص) خاصة امره الله ان يقاتل في سبيل الله وحده بنفسه وقوله (لا تكلف إلا نفسك) معناه لا تكلف إلا فعل نفسك فإنه لا يضر عليك في فعل غيرك فلا تهتم بتخلف المنافقين عن الجهاد فإن ضرر ذلك عليهم (وحرّض المؤمنين) على القتال اي حثهم عليه (عسى الله ان يكف بأس الذين كفروا) اي يمنع شدة الكفار قال الحسن عسى من الله واجب ووجه ذلك ان اطاع الكريم إنجاز وإنما الاطاع تقوية احد الأمرين على الآخر دون قيام الدليل على التكافؤ في الجواز وخروج عسى في هذا من معنى الشك كخروجها في قول القائل اطع ربك في كل ما امرك به ونهاك عنه عسى ان تطلع بطاعتك (والله أشد بأساً) اي اشد نكابة في الاعداء منكم (واشد تنكيلاً) اي عقوبة عن الحسن وقتادة وقيل التنكيل الشهرة بالأمر القاضية عن ابي علي الجبائي وقيل هو ما يتألم على ايدي المسلمين من الإذلال والسبي والقتل وتخريب الديار وقيل هو الانتقام والإهلاك

﴿ القصة ﴾

قال الكلبي إن ابا سفيان لما رجع إلى مكة يوم احد واعد رسول الله موسم بدر الصغرى وهو سوق تقوم في ذي القعدة فلما بلغ النبي الميعاد قال للناس اخرجوا إلى الميعاد فتأفلوا وكرهوا ذلك كراهة شديدة او بعضهم فانزل الله هذه الآية فحرّض النبي المؤمنين فتأفلوا عنه ولم يخرجوا فخرج رسول الله في سبعين راكباً حتى اتى موسم بدر فكفاهم الله بأس العدو ولم يوافهم ابو سفيان ولم يكن قتال يومئذ وانصرف رسول الله عن معسالمين قوله تعالى (٨٥) مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْبِتًا (آية)

﴿ اللغة ﴾

اصل الشفاعة من الشفع الذي هو ضد الوتر فإن الرجل إذا شفع بصاحبه فقد شفعه اي صار ثانيه ومنه الشفع في الملك لأنه يضم ملك غيره إلى ملكه واختلقت الامة في كيفية شفاعة النبي يوم القيامة فقالت المعزلة ومن تابهم يشفع لأهل الجنة ليزيد الله درجاتهم وقال غيرهم من فرق الامة بل يشفع لمذنبى الامة ممن ارضى الله دينهم ليسقط عقابهم بشفاعته والكفل في اللغة النصيب واخذ من قولهم اكنفت البعير اذا ادردت على سنامه كساء وركبت عليه وإنما يقال ذلك لانه لم يستعمل الظهر كله وإنما استعمل نصيب من الظهر وقال الازهري الكفل

الذي لا يحسن ركوب الفرس واصله الكفّل وهو ردف العجز ومنه الكفالة بالنفس والمال والكفّل المثل والمقيت
 امله من القوت فإنه بقوته قوتا اذا اعطاه ما يمك به رفقته والمقيت المقتدر لاقتداره على ذلك واوقات يقيت اقامة
 وينشد للزبير بن عبد المطلب

وَذِي ضِفْنٍ كَفَفْتُ النَّفْسَ عَنْهُ وَكُنْتُ عَلَى مَسَاتِرِهِ مُقِيْتًا

فهذه لغة قريش

❖ المعنى ❖

(من يشفع شفاعه حسنة) قيل فيه اقوال ❖ احدها ❖ ان معناه من يصلح بين اثنين لم يكن له نصيب منها) أي يكن له اجر منها (ومن يشفع شفاعه سيئة) أي يمشي بالنميمة (يكن له كفل منها) أي اثم منها عن الكلبي عن ابن عباس ❖ وثانيها ❖ ان الشفاعة الحسنة والشفاعة السيئة شفاعه الناس بعضهم لبعض عن مجاهد والحسن قال ما يجوز في الدين ان يشفع فيه فهو شفاعه حسنة وما لا يجوز ان يشفع فيه فهو شفاعه سيئة قال ومن يشفع شفاعه حسنة كان له فيها اجر وثواب وان لم يشفع لأن الله قال ومن يشفع ولم يقبل ومن يشفع ويؤيد هذا قوله اشفعوا تو جروا وقوله من حالت شفاعته دون حد من حدود الله فقد ضاد الله في ملكه ومن اعان على خصومة بغير علم كان في سخط الله حتى ينزع ❖ وثالثها ❖ ان المراد بالشفاعة الحسنة الدعاء للمؤمنين وبالشفاعة السيئة الدعاء عليهم عن ابي علي الجبائي قال لأن اليهود كانت تفعل ذلك فنوعدهم الله عليه ❖ ورابعها ❖ ما قاله بعضهم ان المراد بالشفاعة هنا ان يصير الانسان شفيع صاحبه في جهاد عدوه فيحصل له من هذه الشفاعة نصيب في العاجل من النسيمة والظفر وفي الآجل من الثولب المنتظر وان صار شفعا له في ممصية او شر حصل له نصيب من المذمة في العاجل والعقوبة في الآجل والكفل الوزر عن الحسن وقتادة وهو النصيب والحظ عن السدي والربيع وجميع اهل اللغة فكأنه النصيب من الشر (وكان الله على كل شيء مقيتا) قيل في معنى المقيت اقوال ❖ احدها ❖ انه المقتدر عن السدي وابن زيد ❖ وثانيها ❖ الحفيظ الذي يعطي الشيء قدر الحاجة من الحفظ عن ابن عباس ❖ وثالثها ❖ الشهيد عن مجاهد ❖ ورابعها ❖ الحسيب عنه ايضا ❖ وخامسها ❖ المجازي عن ابي علي الجبائي أي يجازيه على كل شيء من الحسنات والسيئات

❖ النظم ❖

وجه اتصال هذه الآية بما قبلها انه سبحانه لما قال لا تكلف الا نفسك عقب ذلك بأن لك مع هذا في دعاء المؤمنين إلى الحق ما لا للإنسان في شفاعه صاحبه غير يصل إلى المشفوع له لئلا يتوهم ان العبد من اجل انه لا يؤخذ بعمل غيره لا يتزيد فعمل غيره عن علي بن عيسى وقيل الوجه فيه ان كل من طلب لغيره خيرا فوصل اليه حصل له نصيب منه وانت قد طلبت لهم الخير حيث دعوتهم إلى الجهاد وحرصتهم عليه قال القاضي هذا احسن ما قيل فيه قوله تعالى (٨٦) وَإِذَا حِيَّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا (آية)

❖ اللغة ❖

التحية السلام يقال حيي يحيي تحية إذا سلم قال الشاعر

إِنَّا مَحْيُوكَ يَا سَلْمَى فَحَيِّنَا وَإِنْ سَقَيْتَ كِرَامَ النَّاسِ فَاسْقِنَا

والتحية البقا قال

مِنْ كُلِّ مَا نَالَ الْفَتَى قَدْ نَلَتْهُ إِلَّا التَّحِيَّةَ

وفي قبوركم (لا ريب فيه) اي لاشك في هذا القول وانما سمي يوم القيامة لأن الناس يقومون فيه من قبورهم وفي التنزيل يوم يقوم الناس لرب العالمين (ومن اصدق من الله حديثا) اي موعداً لاخلف لوعده وقيل معناه لا احد اصدق من الله في الخبر الذي يخبر به

﴿ النظم ﴾

لما امر تعالى ونهى فيما قبل بين بعهده انه الآله الذي لا يستحق العبادة سواء اي فاعملوا على حسب ما اوجه عليكم فإنه يجازيكم به ثم بين وقت الجزاء وقيل انما اتصل بقوله حسيباً اي انما الحسيب هو الله قوله تعالى (٨٨١) فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنِينَ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا (آية)

﴿ اللفظة ﴾

الاركايس الرد ومنه قول امية بن ابي الصلت
فَارْكَسُوا فِي حَمِيمِ النَّارِ اِنَّهُمْ
كَانُوا عَصَاةً وَقَالُوا الْاِفْكَ وَالزُّورَا
قال الفراء يقال اركسهم وركسهم وقد ذكر ان عبد الله وابي بن كعب قرءا ركسهم بشيرالف

﴿ الاعراب ﴾

فتين نصب على الحال كما تقول مالك قائماً والعامل في الحال معنى الفعل الذي في الظرف اعني قوله لك

﴿ النزول ﴾

اختلفوا فبين نزلت هذه الآية فيه قبيل نزلت في قوم قدموا المدينة من مكة فاظهروا للمسلمين الاسلام ثم رجعوا الى مكة لأنهم استوخموا المدينة فاظهروا الشرك ثم سافروا ببيضائع المشركين الى اليمامة فاراد المسلمون ان يفزوم فاختلفوا فقال بعضهم لا نفعل فإنهم مؤمنون وقال آخرون انهم مشركون فانزل الله فيهم الآية عن مجاهد والحسن وهو المروي عن ابي جعفر (ع) وقيل نزلت في الذين تظفوا عن احد وقالوا لو نعلم قتالا لا تبصناكم الآية فاختلف اصحاب رسول الله فقال فريق منهم تقتلهم وقال آخرون لا تقتلهم فنزلت الآية عن زيد بن ثابت

﴿ المعنى ﴾

ثم عاد الكلام الى ذكر المناقين قال تعالى (فما لكم) ايها المؤمنون صرتم (في) امر هو لاء المناقين فتين) اي فرقتين مختلفتين فمنكم من يكفرهم ومنكم من لا يكفرهم (والله اركسهم بما كسبوا) اي ردمهم الى حكم الكفار بما اظهروا من الكفر عن ابن عباس وقيل معناه اهلكهم بكفرهم عن قتادة وقيل خذلهم فأقاموا على كفرهم وترددوا فيه فأخبر عن خذلانه اياهم بأنه اركسهم عن ابي مسلم (اتريدون ان تهدوا) اي تحكموا بهداية (من أضل الله) اي حكم الله بضلاله وسأه ضالاً وقيل معنى اضله الله خذله ولم يوفقه كما وفق المؤمنين لانهم لما عصوا وخالفوا استحقوا هذا الخذلان عقوبة لهم على معصيتهم اي اتريدون الدفاع عن قتالهم مع ان الله حكم بضلالهم وخذلهم ووكلمهم الى انفسهم وقال ابو علي الجبائي معناه اتريدون ان تهدوا الي طريق الجنة من اضله تعالى عن طريق الجنة والثواب وطمن على القول الاول بأنه لو اراد التسمية والحكم لقال من ضلل الله وهذا لا يصح لأن العرب تقول اكفرته وكفرته قال الكمي

وَمَا ظَنَنْتُمْ قَدْ أَكْفَرْتُمْ بِيحْمِكُمْ وَطَائِفَةً قَالُوا مَسِيءٌ وَمَذْنِبٌ

وايضا فإنه تعالى انا وصف المؤمنين بهدايتهم بأن ساءهم مهتدين لأنهم كانوا يقولون انهم مؤمنون فقال تعالى لا تختلفوا فيهم وقولوا باجمكم انهم مناقضون (ومن يضل الله فلن تجد له سبيلا) معناه ومن نسبة الله الى الضلالة فلن ينفعه أن يحكم غيره بهدايته كما يقال من جرحه الحاكم فلا ينفعه تعديل غيره وقيل معناه من يجعله الله في حكمه ضالاً فلن تجد له في ضلالتة حجة عن جعفر بن حرث قال وبدل على انهم هم الذين اكنسوا ما صاروا اليه من الكفر دون ان يكون الله تعالى اضطرهم اليه قوله على اثر ذلك ودوا لو تكفروا كما كفروا فاضاف الكفر اليهم

قوله تعالى (٨٩) وَدَّوَالُو تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وِلِيَاءَ وَلَا نَصِيرًا (آية)

= المعنى =

ثم بين تعالى احوال هؤلاء المناقضين فقال (ودوا) اي ودّ هؤلاء المناقضون الذين اختلفتم في امرهم يعني تمّنوا (لو تكفروا) انتم بالله ورسوله (كما كفروا) هم (فتكونون سواء) اي فتستون انتم وهم وتكونون مثلهم كفار انهم نهى تعالى المؤمنين ان يوادهم فقال (فلا تتخذوا منهم اولياء) اي فلا تستصروم ولا تستصحم ولا تستعينوا بهم في الأمور (حتى يهاجروا) اي حتى يخرجوا من دار الشرك ويفارقوا اهلهما المشركين بالله (في سبيل الله) اي في اثناء دينه وهو سبيله فيصبروا عند ذلك مثلكم لهم ما لكم وعليهم ما عليكم وهذا قول ابن عباس وإنما سمي الدين سبيلا وطريقاً لأن من يسلكه أداء الى النعمة وساقه الى الجنة (فإن تولوا) أي اعرضوا عن الهجرة في سبيل الله عن ابن عباس (فخذوهم) ايها المؤمنون (واقتلوهم حيث وجدتموهم) أي اين أصبتموهم من ارض الله من الحل والحرم (ولا تتخذوا منهم ولياً) أي خليلاً (ولا نصيراً) أي ناصرًا ينصركم على اعدائكم

قوله تعالى (٩٠) إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاؤُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يَقَاتِلُوكُمْ أَوْ يِقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتِلُوكُمْ فَإِنْ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يِقَاتِلُوكُمْ وَالْقُوا إِلَيْكُمْ أَسْلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا (آية)

✽ اللفظة ✽

الحصر الضيق: وكل من ضاقت نفسه عن شيء من فعل او كلام يقال قد حصر ومنه الحصر في القراءة والحصر اعتقال البطن والاعتزال أن ينحى الرجل عن الشيء يقال اعتزلت البيت وتمزلته قال الاحوص
يَا بَيْتَ عَاتِكَةَ الَّذِي ائْتَمَزَلُ حَذَرَ الْعِدَى وَبِهِ الْفُؤَادُ مَوْكَلٌ (١)
وسميت المعتزلة معتزلة لاعتزالهم مجلس الحسن البصري بعد ان كانوا من أهله وذلك ان واصل بن عطاء لما اظهر القول بالمعتزلة بين المعتزلين وتابته عمرو بن عبيد على التدين به وواقفهم جماعة على هذا المذهب

قَالَ الْأَمْرُ بِهِمِ إِلَى الْأَعْتِزَالِ لِلْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ وَأَصْحَابِهِ فَسَأَمَ النَّاسَ مَعْتَزِلَةً وَجَرَى عَلَيْهِمْ ذَلِكَ الْأَسْمَ

= الإعراب =

حصرت صدورهم في موضع نصب على الحال وقد مضرة معه لأن الفعل الماضي لا يكون حالا حتى يكون معه قد أما مضرة أو مظهرة فإن قد تقرب الماضي من الحال فتقديره جاؤكم قد حصرت صدورهم كما قالوا جاء فلان ذهب عقله أي قد ذهب عقله ويجوز أن يكون حصرت صدورهم منصوب الموضع بأنه صفة لموصوف هو حال على تقدير جاؤكم قوم حصرت صدورهم فحذف الموصوف المنصوب على الحال واقيم صفة مقامه وإنما جاز أن يكون هذا حالا لأنه بمنزلة قولك أو جاؤكم موصوفين بمحصر الصدور أو معروفين بذلك

✽ المعنى ✽

لما أمر تعالى المؤمنين بقتال الذين لا يهاجرون عن بلاد الشرك وان لم يوالوهم استثنى من جملتهم فقال (إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق) معناه إلا من وصل من هؤلاء إلى قوم بينكم وبينهم موادعة وعهد فدخلوا فيهم بالحلف أو الجوار فحكمهم حكم أولئك في حقن دمائهم واختلف في هؤلاء فالروى عن أبي جعفر (ع) أنه قال المراد بقوله تعالى قوم بينكم وبينهم ميثاق هو هلال بن عويمر السلمي وأثنى عن قومه رسول الله فقال في موادعته على أن لا تحيف يا محمد من أتانا ولا نحيف من أتاك فنعى الله أن يتعرض لأحد عهد اليهم وبه قال السدي وابن زيد وقيل هم بنو مدلج وكان سراقبة بن مالك بن جشم المدلجي جاء إلى النبي بمداخذ فقال انشدك الله والنعمة وأخذ منه ميثاقا أن لا يفزوا قومه فإن أسلم قريش أسلموا لأنهم كانوا في عقد قريش فحكم الله فيهم ما حكم في قريش ففهم نزل هذا ذكره عمر بن شبة ثم استثنى لهم حالة أخرى فقال (أو جاؤكم حصرت صدورهم) أي ضاقت قلوبهم من أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم) يعني من قتالكم وقاتل قومهم فلا عليكم ولا عليهم وإنما عني به اشجع فإنهم قدموا المدينة في سبعمائة يقودهم مسعود بن دخيلة فأخرج اليهم النبي أحمال التمريض وقال نعم الشيء الهدية أمام الحاجة وقال لهم ما جاء بكم قالوا لقرب دارنا منك وكرهنا حربك وحرب قومنا يمنون بني ضمرة الذين بينهم وبينهم عهد لقاتلنا فيهم فجبثنا لنوادعك فتقبل النبي ذلك منهم ووادعهم فرجعوا إلى بلادهم ذكره علي بن إبراهيم في تفسيره فأمر الله تعالى المسلمين أن لا يتعرضوا لهؤلاء (ولو شاء الله لسقطهم عليكم) بتقوية قلوبهم فيجترون على قتالكم وقيل هذا إخبار عما في القدر وليس فيه أنه يفعل ذلك بأن يأمرهم به أو يأذن لهم فيه ومعناه أنه يقدر على ذلك لو شاء لكنه لا يشاء ذلك بل يلقي في قلوبهم الرعب حتى يفزعوا ويطلبوا الموادعة ويدخل بعضهم في حلف من بينكم وبينهم ميثاق (فلقاتلوكم) أي لو فعل ذلك لقاتلوكم (فإن اعتزلوكم) يعني هؤلاء الذين أمر بالكف عن قتالهم بدخولهم في عهدكم أو بصيرهم إليكم حصرت صدورهم أن يقاتلوكم (فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم) يعني صالحوكم واستسلموا لكم كما يقول القائل القيت إليك قيادي والقيت إليك زمامي إذا استسلم له وانقاد لأمره والسلم الصلح (فما جعل الله لكم عليهم سبيلا) يعني إذا سلموكم فلا سبيل لكم إلى نفوسهم وأموالهم قال الحسن وعكرمة نسخت هذه الآية والتي بعدها والآيتان في سورة المتحنة لا ينهيكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين إلى قوله الظالمون الآيات الأربع بقوله فإذا انسلف

الأشهر الحرم فاقبلوا المشركين حيث وجدتموهم الآية

قوله تعالى (٩١) ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم كلها ردوا إلى الفتنة أركسوا فيها فإن لم يعتزلوكم ويلقوا إليكم السلم ويكفوا أيديهم فخذوهم وأقتلوهم حيث تفتنهم وأولئك جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا (آية)

✽ النزول ✽

اختلف في من عنى بهذه الآية فقبل نزلت في اناس كانوا يأتون النبي فيسلمون رثاء ثم يرجعون الى قريش فيرتكسون في الأوثان يبتغون بذلك ان يأمنوا قومهم ويأمنوا نبي الله فأبى الله ذلك عليهم عن ابن عباس ومجاهد وقيل نزلت في نعيم بن مسعود الأشجعي كان ينقل الحديث بين النبي وبين المشركين عن السدي وقيل نزلت في اسد وغطفان عن مقاتل وقيل نزلت في عينة بن حصن الفرزاعي وذلك انه اجذب بلادهم فجاء الى رسول الله ووادعه على ان يقيم بطن نخل ولا يتعرض له وكان منافقا ملعونا وهو الذي ساء رسول الله الأحمق المطاع في قومه وهو المروي عن الصادق

✽ المعنى ✽

ثم بين تعالى طائفة اخرى منهم فقال (ستجدون آخرين) يعني قوما آخرين غير الذين وصفتم قبل (يريدون ان يأمنوكم) فيظفرون الاسلام (ويأمنوا قومهم) فيظفرون لهم الموافقة في دينهم (كلما ردوا الى الفتنة اركسوا فيها) المراد بالفتنة هنا الشرك اي كلما دعوا الى الكفر اجابوا ورجعوا اليه والفتنة في اللغة الاختبار والاركاس الرد قال الزجاج اركسوا فيها انتكسوا في عقدم فالمعنى كلما ردوا الى الاختبار ليرجعوا الى الكفر رجعوا اليه (فإن لم يعتزلوكم) ايها المؤمنون اي فإن لم يعتزل قتالكم هؤلاء الذين يريدون ان يأمنوكم ويأمنوا قومهم (ويلقوا اليكم السلم) يعني ولم يستسلموا لكم فيعطوكم المقادة ويصالحوكم (ولم يكفوا ايديهم) عن قتالكم (فخذوهم) اي فأسروهم (واقتلوهم حيث تفتنهم) اي وجدتموهم وأصبتوهم (وأولئك جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا) اي حجة ظاهرة وقيل عذرا بينا في القتال وسببت الحجة سلطانا لانه يتسلط بها على الخصم كما يتسلط بالسلطان

قوله تعالى (٩٢) وما كان للمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطأ ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقية مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله إلا أن يصدقوا فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقية مؤمنة وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله وتحرير رقية مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان الله عليا حكيما (آية)

✽ اللفظ ✽

الخطأ خلاف الصواب والفعل منه خطأ وأخطأ في الأمر اي لم يصب الصواب والخطأ والخطاء بالفتح فيها والخطأ والخطاة بالتسكين فيها والخطاة الذنب والفعل منه خطأ يخطأ اذا اذنب والتحرير تفعيل من الحرية

وهو اخراج العبد من الرق الى الحرية

❖ الاعراب ❖

اجمع المحققون من النحويين على أن قوله إلا خطأ استثناء منقطع من الاول على معنى ما كان لمؤمن ان يقتل مؤمناً البتة الا ان يخطأ المؤمن ومثله قول الشاعر:

مِنَ الْبَيْضِ لَمْ تَنْظَنِّ بَيْدًا وَلَمْ تَطَّأْ عَلَى الْأَرْضِ الْإِرِيطَ بَرْدٍ مَرَجَلٌ

والمعنى ولم تطأ على الارض الا ان تطأ ريط البرد اذ ليس ريط البرد من الارض وقد مر ذكر ما قيل في مثله في سورة البقرة عند قوله الا الذين ظلموا منهم وقال بعضهم إن الاستثناء متصل بالمعنى لم يكن لمؤمن ان يقتل مؤمناً منعداً ومتى قتله متعمداً لم يكن مؤمناً فإن ذلك يخرج من الايمان ثم قال إلا خطأ أي فإن قتله خطأ لا يخرج من الايمان فتحري رقيقة مبتدأ محذوف الخبر لدلالة الكلام عليه وموضع أن في قوله الا ان يصدقوا نصب لأن المعنى فليبه ذلك الا ان يصدقوا اي الا على ان يصدقوا ثم تسقط على ويعمل به ما قبله على معنى الحال فهو مصدر وقع موقع الحال وأصل يصدقوا يتصدقوا فأدغمت التاء في الصاد لتقرب مخرجهما وقيل ان في قراءة ابي الا ان يتصدقوا توبة من الله كقولهم فلت ذلك حذر الشر عن الزجاج فيكون مفعولاً له وقيل انه بمعنى تاب الله بذلك عليكم توبة فيكون مصدر أمثل كتاب الله عليكم وقد مر ذكره

❖ النزول ❖

نزلت في عياش بن ابي ربيعة المخزومي أخي ابي جهل لأنه كان اسلم وقتل بعد اسلامه رجلاً مسلماً وهو لا يعلم اسلامه والمقتول الحارث بن يزيد بن ابي العاصي عن مجاهد وعكرمة والسدي قال قتله بالحرّة بعد الهجرة وكان من أحد من رده عن الهجرة وكان يذب عياشاً مع ابي جهل وهو المروي عن ابي جعفر وقيل نزلت في رجل قتله ابو الدرداء كان في سرية فعدل ابو الدرداء الى شعب يريد حاجة فوجد رجلاً من القوم في غم له فحمل عليه بالسيف فقال لا آله الا الله فبدر فضربه ثم جاء بمنه الى القوم ثم وجد في نفسه شيئاً فأتى رسول الله فذكر ذلك له فقال رسول الله ألا شققت عن قلبه وقد اخبرك بلسانه فلم تصدقه قال كيف بي يا رسول الله فقال فكيف بلا آله الا الله قال ابو الدرداء فمئيت ان ذلك اليوم مبتدأ إيماني فنزلت الآية عن ابن زيد

❖ المعنى ❖

(وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمناً الا خطأ) معناه ما اذن الله ولا اباح لمؤمن فيما عهد اليه ان يقتل مؤمناً الا ان يقتله خطأ عن قتادة وغيره وقيل معناه ما كان له كما ليس له الآن قتل مؤمن الا ان يقع القتل خطأ وقيل تقديره وما كان مؤمن ليقول مؤمناً الا خطأ كقوله ما كان لله ان يتخذ من ولد معناه ما كان الله ليتخذ ولداً وقوله ما كان لكم ان تنبتوا شجرها أي ما كنتم لتنبتوا شجرها وانما قلنا ان معناه ما ذكرنا لأن الله لا يلحقه الأمر والنهي وانبات الشجر لا يدخل تحت قدزة العبد فلا يصح النهي عنه فمعنى الآية على ما وصفناه ليس من صفة المؤمن ان يقتل مؤمناً الا خطأ وعلى هذا يكون الاستثناء متصلاً ومن قال ان الاستثناء منقطع قال قد تم الكلام عند قوله ان يقتل مؤمناً ثم قال فإن كان القتل خطأ فحكمه كذا وانما لم يحمل قوله الا خطأ على حقيقة الاستثناء لأن ذلك يؤدي الى الامر بقتل الخطأ او اباحتها ولا يجوز

(١) البيض جمع البيضاء . ظمن : سارورحل . الريط : كل ثوب رقيق يشبه الملحفة . المرجل : الشوب المعلم

واحد منها والخطأ هو ان يريد شيئاً فيصيب غيره مثل ان يرمي الى غرض او الى صيد فيصيب انساناً فيقتله وكذلك لو قتل رجلاً ظنّه كافراً كما ظن عياش بن ابي ربيعة وابو الدرداء على ما قلناه قبل (ومن قتل مؤمناً خطأ فتحريرو رقة مؤمنة) اي فعليه اعتناق رقة مؤمنة في ماله خاصة على وجه الكفارة حقا لله والرقبة المؤمنة هي البالغة التي آمنت وصلّت وصامت فلا يجزي في كفارة القتل الطفل ولا الكافر عن ابن عباس والشعبي وابراهيم والحسن وقتادة وقيل تجزي كل رقة ولدت على الاسلام عن عطا والاول اقوى لأن لفظ المؤمن لا يطلق إلا على البالغ الملتزم للفرائض الا أن من ولد بين مؤمنين فلا خلاف انه يحكم له بالايان (ودية) اي وعليه وعلى عاقلة دية (مسلمة الى اهله) اي الى اهل القتل والمسلمة هي المدفوعة اليهم موفرة غير منقصة حقوق اهلهما منها تدفع الى اهل القتل والمسلمة هي المدفوعة اليهم فتقسم بينهم على حسب حساب الميراث (الا ان يصدقوا) يعني الا ان يصدق اولياء القتل بالدية على عاقلة القاتل ويتركوها عليهم (فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن) معناه فان كان القتل من جملة قوم هم اعداء لكم يناصبونكم الحرب وهو في نفسه مؤمن ولم يعلم قاتله انه مؤمن قتلته وهو يظنّه مشركاً (فتحريرو رقة) اي فليقاتله تحريرو رقة (مؤمنة) كفارة وليس فيه دية عن ابن عباس وقيل ان معناه اذا كان القتل في عداد قوم اعداء وهو مؤمن بين اظهريهم ولم يهاجر فن قتلته فلا دية له وعليه تحريرو رقة مؤمنة فقط لأن الدية ميراث واهله كفار لا يرثونه عن ابن عباس في رواية اخرى وابراهيم والسدي وقتادة وابن زيد (وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق) اي عهد وذمة وليسوا اهل حرب لكم (فدية مسلمة الى اهله) تلزم عاقلة قاتله (وتحريرو رقة مؤمنة) اي يلزم قاتله كفارة لقتله وهو المروي عن الصادق عليه السلام واختلف في صفة هذا القتل فهو مؤمن ام كافر قيل انه كافر الا انه يلزم قاتله دية بسبب العهد عن ابن عباس والزهري والشعبي وابراهيم النخعي وقتادة وابن زيد وقيل بل هو مؤمن يلزم قاتله الدية يردّها الى قومه المشركين لانهم اهل ذمة عن الحسن وابراهيم ورواه اصحابنا ايضا الا انه قالوا تعطى دية ورثته المسلمين دون الكفار ولفظ الميثاق يقع على النعمة والمهدجما (فن لم يجد) اي لم يقدر على عتق الرقة بأن لا يجد العبد ولا ثمنه (فصيام شهرين) اي فعليه صيام شهرين (متتابعين توبة من الله) اي ليتوب الله به عليكم فتكون التوبة من فعل الله وقيل ان المراد بالتوبة هنا التخفيف من الله لأن الله انما جوز للقاتل العدول الى الصيام تخفيفاً عليه ويكون كقوله تعالى علم ان لن تحصوه فتاب عليكم (وكان الله علياً) اي لم يزل علياً بكل شيء (حكياً) فيما يأمر به وينهى عنه واما الدية الواجبة في قتل الخطأ فانه من الإبل ان كانت العاقلة من أهل الإبل بلا خلاف وان اختلفوا في استئناسها قيل هي ارباع عشرون بنت مخاض وعشرون ابن لبون ذكر وثلاثون بنت لبون وثلاثون حقة وروي ذلك عن عثمان وزيد بن ثابت ورواه اصحابنا ايضا وقد روي ايضا في اخبارنا خمس وعشرون بنت مخاض وخمس وعشرون بنت لبون وخمس وعشرون حقة وخمس وعشرون جذعة وبه قال الحسن والشعبي وقيل انها اخماس عشرون حقة وعشرون جذعة وعشرون بنت لبون وعشرون ابن لبون وعشرون بنت مخاض وهذا قول ابن مسعود وابن عباس والزهري والثوري واليه ذهب الشافعي وقال ابو حنيفة هي اخماس ايضا الا انه جعل مكان ابن لبون ابن مخاض وبه قال النخعي ورواه ايضا عن ابن مسعود قال الطبري هذه الروايات متكيفة والاولى التخيير فاما الدية من الذهب فالف دينار ومن الورق عشرة آلاف درهم وهو الاصح وقيل اثنا عشر الفاً

ودية الخطأ تأدى في ثلاث سنين ولو خلتنا وظاهر الآية لقلنا ان دية الخطأ على القاتل لكن علمنا بسنة الرسول والاجماع ان الدية في الخطأ على المأقلة وهم الأخوة وبنو الأخوة والاعمام وبنو الاعمام واعمام الأب وابنائهم والموالي وبه قال الشافعي وقال ابو حنيفة يدخل الوالد والولد فيها ويعقل القاتل وقد روى ابن مسعود عن النبي انه قال لا يؤخذ الرجل بجريرة ابنه ولا الابن بجريرة ابيه وليس الزام الدية للمأقلة على سبيل مؤاخذه البري بالقيم لأن ذلك ليس بمقوبة بل هو حكم شرعي تابع للمصلحة وقد قيل ان ذلك على سبيل المواساة والمعاونة

﴿ النظم ﴾

انه تعالى ذكر الكفار وامر بقتلهم ثم ذكر من كان بينهم وبين المسلمين عهد ومنع من قتلهم ثم ذكر من نافق وحكم قتلهم ثم ذكر قتل المؤمن ووصل به ذكر احكامه من دية وغيرها
قوله تعالى (٩٣) وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا (آية)

- النزول -

نزلت في مقيس بن صباة الكناني وجد اخاه هشام قتيلا في بني النجار فذكر ذلك لرسول الله (ص) فارسل معه قيس بن هلال الفهري وقال له قل لبني النجار ان علمتم قاتل هشام فادفعوه الى اخيه ليقتص منه وان لم تعلموا فادفعوا اليه دية فبلغ الفهري الرسالة فاعطوه الدية فلما انصرف ومعه الفهري وسوس اليه الشيطان فقال ما صنعت شيئاخذت دية اخيك فيكون سبب عليك اقتل الذي معك لتكون نفس بنفس والدية فضل فرماه بصخرة فقتله وركب بعيرا ورجع الى مكة كافرا وانشد يقول

قَتَلْتُ بِهِ فَهْرًا وَحَمَلْتُ عَقْلَهُ
سَرَاةَ بَنِي النَّجَارِ اَرِيَابَ فَارِعِ (٢)
فَادْرَكْتُ نَارِي وَأَضْمَمْتُ مَوْسِدًا
وَكَنتُ إِلَى الْأَوْثَانِ اَوَّلَ رَاجِعِ

قال النبي لا اؤمنه في حل ولا حرم فقتل يوم الفتح رواه الضحاك وجماعة من المفسرين

﴿ المعنى ﴾

لما بين تعالى قتل الخطأ وحكمه عقبة بيان قتل المد وحكمه فقال (ومن يقتل مؤمنا متعمدا) اي قاصدا الى قتله عالما بايمانه وحرمة قتله وعصمة دمه وقيل معناه مستحلا لقتله عن عكرمة وابن جريج وجماعة وقيل معنى التعمد ان يقتله على دينه رواه المياشي باسناده عن الصادق (ع) (فجزاؤه جهنم خالدا) مقبلا (فيها وغضب الله عليه ولعنه) ابده من الخير وطرده عنه على وجه العقوبة (واعده له عذابا عظيما) ظاهر المعنى وصفة قتل المد ان يقصد قتل غيره بما جرت المادة بأن يقتل مثله سواء ^{بكن} بحديدة حادة كالسلاح او بخنق او سم او احراق او قريق او موالة ضرب بالمصا او بالحجارة حتى يموت فان جميع ذلك عمد يوجب القود وبه قال ابراهيم والشافعي واصحابه وقال قوم لا يكون قتل المد الا بالحديد وبه قال سعيد ابن المسيب وطاووس وابو حنيفة واصحابه واما القتل شبه المد فهو ان يضرب بمصا او غيرها مما لم تجر المادة بحصول الموت عنده فهيموت ففيه الدية مغلظة تلزم القاتل خاصة في ماله دون المأقلة وفي هذه الآية

(١) السبة بالضم : العار : (٢) العقل : الدية . السراة بالفتح جمع السرى : السادات و الاشراف و فارغ : اسم حصن اى كلفت اشراف بنى النجادية اخى وهم ارباب حصن فارغ

لهم إذا فعلوا كذا ان يطعهم كذا ومن اولى بالوفاء من الله والوعيد حقه على العباد قال لا تفعلوا كذا فاعذبكم ففعلوا فإن شاء عفا وان شاء عاقب لأنه حقه واو لاها برينا العفو والكرم انه غفور رحيم وروى اسحاق بن ابراهيم قال سمعت قيس بن انس يقول كنت عند عمرو بن عبد في بيته فأنشأ يقول يوتى بي يوم القيامة فاقام بين يدي الله فيقول قلت ان القاتل في النار فاقول انت قلت ومن يقتل مؤمنا الآية فقلت له وما في البيت اصغر سناً مني ارايت ان لو قال لك فاني قلت فان الله لا يغفر ان يشرك به ويفرما دون ذلك لمن يشاء من اين علمت اني لا اشاء ان اغفر لهذا قال فما استطاع ان يرد علي شيئا

قوله تعالى (٩٤) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ آتَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامُ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ آتَىٰكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ اهل الكوفة غير عاصم فتشبتوا هنا في الموضعين بالتاء والتاء وفي المجرات وقرأ الباقون فتبينوا بالتاء والنون في الجميع وقرأ اهل المدينة والشام وحمزة وخلف السلم بغير الفوقري في بعض الروايات عن عاصم السلم بكسر السين وسكون اللام وقرأ الباقون السلام بالالف وروي عن ابي جعفر القاري من بعض الطرق لست مؤمنا بفتح الميم الثانية وحكى ابو القاسم البلخي أنه قراءة محمد بن علي الباقر

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي من قرأ فتشبتوا فحجته ان التثبت خلاف الإقدام والمراد به التأني وهو اشد اختصاصا بهذا الموضع وبين ذلك قوله واشد تشبينا اي اشد وقفا لهم عما وعظوا بأن لا يقدموا عليه ومن قرأ فتبينوا فحجته ان التبين قد يكون اشد من التثبت فقد جاء التبين من الله والمجلة من الشيطان فمقابلة التبين بالمجلة دلالة على تقارب التثبت والتبين قال الشاعر في موضع الوقف والرجوع

أزید مناة توعید یا ابن تیمیم
تبین این تاه بک الوعد (١)

قال ومن قرأ السلم احتمل ضربين ﴿ احدهما ﴾ ان يكون بمعنى التحية اي لا تقولوا لمن حياكم بتحية المسلمين انما قالها تعوداً ولكن ارضوا السيف عنه ﴿ والاخر ﴾ ان يكون المعنى لا تقولوا لمن لا يقا تلکم لست مؤمنا قال ابو الحسن يقال فلان سلام اذا كان لا يخالف احداً ومن قرأ السلم اراد الاتقياد والاستسلام الى المسلمين ومنه قوله والقوا الى الله يومئذ السلم اي اسئسوا لامره ولما يراد منهم ومن قرأ السلم بكسر السين فمعناه الإسلام مصدر سلم اي صار مسلماً وخرج عن ان يكون حرباً ومن قرأ مؤمناً فإنه من الأمان ومعناه لا تقولوا لمن استسلم لكم لساناً مؤمناً

﴿ اللفظة ﴾

جميع متاع الدنيا عرض يقال ان الدنيا عرض حاضر ويقال لكل شيء يقل لبثه عرض ومنه العرض الذي هو خلاف الجوهر عند المتكلمين لأنه ما لا يجب له من البث ما يجب للجسام والعرض ما يمرض الإنسان من مرض او غيره

✽ الاعراب ✽

تبتغون في موضع نصب على الحال من الواو في تقولوا والكاف من كذلك في موضع نصب بكونه خبر كان من كنتم

✽ النزول ✽

قيل نزلت في اسامة بن زيد واصحابه بعثهم النبي في سرية فلقوا رجلا قد انحاز بغنم له الى جبل وكان قد اسلم فقال لهم السلام عليكم لا إله الا الله محمد رسول الله فبدر اليه اسامة فقتله واستاقوا غنمه عن السدي وروي عن ابن عباس وقادة انه لما نزلت الآية حلف اسامة ان لا يقتل رجلا قال لا إله الا الله وبهذا اعتذر الى علي لما تخلف عنه وان كان عذره غير مقبول لانه قد دل الدليل على وجوب طاعة الإمام في محاربة من حاربه من البغاة لا سيما وقد سمع النبي يقول حربك يا علي حربي وسلمك سلمي وقيل نزلت في معلم بن جثامة الليثي وكان بعث النبي (ص) في سرية فلقبه عامر بن الاضبط الأشجعي فحياه بتحية الاسلام وكان بينهما إحنة^(١) فرماه بسهم فقتله فلما جاء الى النبي جلس بين يديه وسأله ان يستغفر له فقال (ص) لا يغفر الله لك فانصرف با كيفما مضت عليه سبعة ايام حتى هلك فدفن فلفظته الارض فقال (ص) لما اخبر به ان الارض تقبل من هو شر من معلم صاحبكم ولكن الله اراد ان يعظم من حرمتمكم ثم طرحوه بين صدي جبل والقوا عليه الحجر فزلت الآية عن الواقدي ومحمد بن اسحق بن يسار رواية عن ابن عمر وابن مسعود وابي حدرود وقيل كان صاحب السرية المقداد عن سعيد بن جبير وقيل ابو الدرداء عن ابن زيد

✽ المعنى ✽

لما بين تعالى احكام القتل وانواعه عقب ذلك بالامر بالتثبت والتأني حتى لا يفعل ما يعقب الندامة فقال (يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم اي ضربتم وسانفتم (في سبيل الله) للغزو والجهاد (فتبينوا) اي ميزوا بين الكافر والمؤمن وبالثناء والتاء توقفوا وتأثروا حتى تعلموا من يستحق القتل والمسيان متقاربان والمراد بهما لا تعجلوا في القتل لمن اظهر السلام ظنا منكم بأنه لا حقيقة لذلك (ولا تقولوا لمن اتى اليكم السلم) اي حياكم بتحية اهل الاسلام او من استسلم لكم فلم يقاتلكم مظهر أنه من اهل ملتكم (لست مؤمنا) اي ليس لايمانك حقيقة وانما اسلمت خوفا من القتل اولست بأمن (تبتغون) اي تطلبون (عرض الحياة الدنيا) يعني الغنيمة والمال ومتاع الحياة الدنيا الذي لا بقاء له (فعند الله مغنم كثيرة) اي في مقدوره فواضل ونعم ورزق ان اطعموه فيما امركم به وقيل بمعناه ثواب كثير لمن ترك قتل المؤمن (كذلك كنتم من قبل) اختلف في معناه قيل كما كان هذا الذي قتلتموه مستخفيا في قومه بدينه خوفا على نفسه ثم كنتم انتم مستخفين بادبانكم من قومكم حذرا على انفسكم عن سعيد بن جبير وقيل كما كان هذا المقتول كافرا فهداه الله كذلك كنتم كفارا فهداكم الله عن ابن زيد والجبائي وقيل كذلك كنتم اذلاء واحادا اذا سار الرجل منكم وحده خاف ان يختطف عن المغربي (فمن الله عليكم) فيه قولان ✽ احدهما ✽ فمن الله عليكم باظهار دينه واعزاز اهله حتى اظهرتم الاسلام بعد ما كنتم تكتمونه من اهل الشرك عن سعيد بن جبير وقيل معناه فتاب الله عليكم (فتبينوا) اعاد هذا اللفظ للتأكيد بعدما طال الكلام وقيل الاول معناه تبينوا حاله والثاني معناه تبينوا هذه الفوائد بضمائركم واعرفوها وابتغوها (ان الله كان) اي لم يزل (بما تعملون) اي بما تعملونه (خبير) عليا قبل ان تعملوه

قوله تعالى (٩٥) لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (٩٦) دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (آيتان)

✽ القراءة ✽

قرأ اهل المدينة والشام والكسائي وخلف غير أولي الضرر بنصب الراء والباقون بالرفع

✽ الحجة ✽

فالرفع على ان يجعل غير صفة للقاعدین عند سيويه وكذلك قال في غير المغضوب عليهم انه صفة للذين انعمت عليهم ومنه قول لبيد

وَإِذَا جُوزِيَتْ قَرْضًا فَاجْزِهِ إِنَّمَا يَجْزِي الْفَتَىٰ غَيْرُ الْجَمَلِ (١)

فغير صفة للفتى فعل هذا يكون التقدير لا يستوي القاعدون الاصحاء والمجاهدون والنصب على الامتناء من القاعدین ويستوي فعل يقتضي فاعلين فصاعداً فالتقدير لا يستوي القاعدون الا اولي الضرر والمجاهدون قال الزجاج ويجوز ان يكون منصوبا على الحال فيكون المعنى لا يستوي القاعدون في حال صحتهم والمجاهدون كما تقول جاءني زيد غير مريض اي صحيحا ويجوز في غير الجر على ان يكون صفة للمؤمنين في غير القراءة

✽ اللفظ ✽

الضرر النقصان وهو كلما يضرُّك وينقصك من عمى ومرض وعلّة والدرجة المنزلة ودرجته الحد كذا اي رقبته اليه منزلة بعد منزلة وادرجت الكتاب طويته منزلة بعد منزلة ودرج الرجل مضى لسبيله لأنه صار الى منزلة الآخرة ومنه فلان أكذب من دَبِّ ودرج اي اكذب الاحياء والاموات

= (الاعراب) =

درجة منصوب على انه اسم وضع موضع المصدر اي تفضيلا بدرجة وكلاماً مفعول وَعَدَّ والحسن مفعول ثان ودرجات في موضع نصب بدلا من قوله اجراً عظيماً وهو مفسر للاجر المعنى فضل الله المجاهدين درجات ومغفرة ورحمة ويجوز ان يكون منصوباً على التأكيد لاجراً عظيماً لأن الاجر العظيم هو رفع الدرجات من الله والمغفرة والرحمة كما تقول لك علي الف درهم عرفاً^(٢) مؤكّد لقولك لك علي الف درهم لأن قولك لك علي الف درهم هو اعتراف فكأنك قلت اعرفها عرفاً وكأنه قيل غفر الله لهم مغفرة وأجرهم اجراً عظيماً لأن قوله اجراً عظيماً فيه معنى غفر ورحم وفضل

﴿ النزول ﴾

نزلت الآية في كعب بن مالك من بني سلمة ومرارة بن ربيع من بني عمرو بن عوف وهلال بن امية من بني واقف تخلّفوا عن رسول الله يوم تبوك وعذر الله اولي الضرر وهو عبد الله بن ام مكتوم رواه أبو حمزة الثمالي في تفسيره وقال زيد بن ثابت كنت عند النبي حين نزلت عليه لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله ولم يذكر اولي الضرر فقال ابن ام مكتوم فكيف وانا اعمى لا ابصر

(١) القرض : ما يعطيه الرجل او يفتله ليجازي عليه . مناه اذا اسدى اليك معروف فكافره عليه

(٢) [قولك عرفاً]

فتمشى النبي الوحي ثم سريه عنه فقال اكتب لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولى الضرر فكتبها

﴿ المعنى ﴾

لما حث سبحانه على الجهاد عقبه بما فيه من الفضل والثواب فقال (لا يستوي القاعدون من المؤمنين) اي لا يعتدل المتخلفون عن الجهاد في سبيل الله من اهل الايمان بالله وبرسوله والمؤمنون الدعوة والرفاهية على مقاساة الحرب والمشقة بقاء العدو (غير اولى الضرر) اي الا اهل الضرر منهم بذهاب ابصارهم وغير ذلك من العلل التي لا سبيل لا هلكا الى الجهاد للضرر الذي بهم (والمجاهدون في سبيل الله) ومنهاج دينه لتكون كلمة الله هي العليا والمستفرغون جهدهم ووسمهم في قتال اعداء الله واغراز دينه (باموالهم) انفاقاً لها فيما يوهن كيد الاعداء (وانفسهم) حلالها على الكفاح في اللقاء (فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدین درجة) معناه فضيلة ومنزلة (وكلاً وعد الله الحسنی) معناه وكلا الفريقين من المجاهدين والقاعدین عن الجهاد وعده الله الجنة عن قتادة وغيره من المفسرين وفي هذه دلالة على ان الجهاد فرض على الكفاية لانه لو كان فرضاً على الاعيان لما استحق القاعدون بغير عذر اجراً وقيل لان المراد بالكل هنا المجاهد والقاعد من اولى الضرر المذكور عن مقاتل (وفضل الله المجاهدين على القاعدین) من غير اولى الضرر (اجراً عظيماً . درجات منه) اي منازل بعضها اعلى من بعض من منازل الكرامة وقيل هي درجات الاعمال كما يقال الاسلام درجة والفقہ درجة والهجرة درجة والجهاد في الهجرة درجة والقتل في الجهاد درجة عن قتادة وقيل معنى الدرجات هي الدرجات التسع التي درجها في سورة براءة في قوله ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطؤون موطئاً يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلاً الا كتب لهم ليجزيهم الله احسن ما كانوا يعملون فهذه الدرجات التسع عن عبد الله بن زيد (ومنفرة ورحمة) هذا بيان خلوص النعم بأنه لا يشوبه غم بما كان منه من الذنوب بل غفر له ذلك ثم رحمه باعطائه النعم والكرامات (وكان الله غفوراً) لم يزل الله غفوراً للذنوب صفوحاً لسيده من العقوبة عليها (رحمياً) بهم متفضلاً عليهم وقد يسأل فيقال كيف قال في اول الآية فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدین درجة ثم قال في آخرها وفضل الله المجاهدين على القاعدین اجراً عظيماً درجات وهذا من ناقض الظاهر وأجيب عنه بجوابين ﴿ احدهما ﴾

ان في اول الآية فضل الله المجاهدين على القاعدین من اولى الضرر درجة وفي آخرها فضلهم على القاعدین غير اولى الضرر درجات فلا تناقض لان قوله وكلاً وعد الله الحسنی يدل على ان القاعدین لم يكونوا عاصين وان كانوا تاركين للفضل ﴿ والثاني ﴾ ما قاله ابو علي الجبائي وهو انه اراد بالدرجة الاولى علو المنزلة وارتفاع القدر على وجه المدح لهم كما يقال فلان اعلى درجة عند الخليفة من فلان يريدون بذلك انه اعظم منزلة وبالتالي الدرجات في الجنة التي يتفاضل بها المؤمنون بعضهم على بعض على قدر استحقاقهم وقال المغربي انما كرر لفظ التفضيل لان الاول اراد به تفضيلها في الدنيا واراد بالثاني تفضيلهم في الآخرة وجاء في الحديث ان الله فضل المجاهدين على القاعدین سبعين درجة بين كل درجتين مسيرة سبعين خريفاً للفرس الجواد المضمّر

قوله تعالى (٩٧) **إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا**

مُسْتَضْعِفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَا أُوْهُمْ جَهَنَّمَ

ج ٣

وَسَاءَتْ مَصِيرًا (٩٨) إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً
وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا (٩٩) فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَغْفُرَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا (ثلاث آيات)

* القراءة *

روى في الشواذ عن ابراهيم انه قرأ ان الذين تُوفاهم الملائكة بضم التاء

* الحجة *

قال ابن جنى معنى هذا كقولك ان الذين يُعَدُّون على الملائكة يُردون اليهم يُحْتَسِبُونَ عليهم فهو نحو من
قولك ان المال الذي تُوفاه أمة الله أي يدفع اليها ويحْتَسِب عليها كان كل ملك جعل اليه قبض نفس بعض
الناس ثم تمكن من ذلك وتوفيه

* اللفظة *

التوفي القبض وتوفيت الشيء واستوفيته قبضته والوفاة الموت لأن الميت قبض روحه والتوفي الاحصاء
قال الشاعر

إِنَّ بَنِي أَدْرَمٍ لَيَسُوا مِنْ أَحَدٍ لَيَسُوا إِلَى قَيْسٍ وَلَيَسُوا مِنْ أَسَدٍ
وَلَا تَوَقَّاهُمْ قَرِيشٌ فِي الْمَدَدِ

المعنى أحصاهم والمأوى المرجع من أوى إلى منزله يَأْوِي أَوْيًّا إذا رجع إلى منزله والاستضعاف وجدان
الشيء ضعيفا كالأستطراف ونحوه

* الإعراب *

توفاهم إن شئت كان لفظه ماضيا فيكون مفتوحا لأن الماضي مبني على الفتح ويجوز ان يكون مستقبلا
فيكون مرفوعا على معنى توفاهم حذف التاء الثانية لاجتماع تائين وقد ذكرناه مشروحا فيما تقدم لظالي
أنفسهم نصب على الحال وأصله ظالمين انفسهم إلا ان النون حذفت استخفافا وهي ثابتة في التقدير كما
قال سبحانه هديا بالغ الكعبة أي بالغ الكعبة، فيم حذفت الألف من ما الاستفهام وهو في موضع جر بفي
والجارم المجرور في موضع نصب لأنه خبر كان، وخبر إن قوله قالوا فيم كنتم قالوا لهم فعذف لهم لدلالة
الكلام عليه ويقال خبر إن قوله فأولئك مأوام جهنم ويكون قالوا لهم في موضع نصب بكونه صفة لظالي أنفسهم
لأنه نكرة المستضعفين نصب على الاستثناء من قوله مأوام جهنم إلا المستضعفين لا يستطيعون حيلة في
موضع نصب على الحال من المستضعفين

* النزول *

قال ابو حمزة الثمالي بلغنا ان المشركين يوم بدر لم يخلفوا إذ خرجوا أحببا إلا صبيا او شيخا كبيرا أو
مريضا فخرج معهم ناس ممن تكلم بالإسلام فلما التقى المشركون ورسول الله نظر الذين كانوا قد تكلموا
بالإسلام الى قلة المسلمين فارتابوا وأصيبوا فيمن أصيب من المشركين فنزلت فيهم الآية وهو المروزي عن
ابن عباس والسدي وقادة وقيل انهم قيس بن العاكة بن المغيرة والحارث بن زمة بن الاسود وقيس بن
الوليد بن المغيرة وابو العاص بن منبه بن الحجاج وعلي بن أمية بن خلف عن عكرمة ورواه ابو الجارود عن

أبي جعفر (ع) قال ابن عباس كنت أنا من المستضعفين و كنت غلاماً صغيراً و ذكر عنه أيضاً انه قال كان أبي من المستضعفين من الرجال و أمي كانت من المستضعفات من النساء و كنت أنا من المستضعفين من الولدان

✽ المعنى ✽

ثم اخبر تعالى عن حال من قعد عن نصرته النبي (ص) بعد الوفاة فقال (إن الذين توفاهم) أي قبض أرواحهم أو قبض ارواحهم (الملائكة) الملائكة ملك الموت أو هو وغيره فإن الملائكة تتوفى و ملك الموت يتوفى و الله يتوفى و ما يفعله ملك الموت أو الملائكة يجوز أن يضاف الى الله إذ فعلوه بأمره و ما تفعله الملائكة جاز أن يضاف الى ملك الموت إذ فعلوه بأمره (ظالمى أنفسهم) أي في حالهم فيها ظالمو أنفسهم إذ بنحسوها حقاً من الثواب و أدخلوا عليها العقاب بفعل الكفر (قالوا فيم كنتم) أي قالت لهم الملائكة فيم كنتم أي في أي شيء كنتم من دينكم على وجه التقرير لهم أو التوبيخ لفعالهم (قالوا كنا مستضعفين في الأرض) يستضعفنا أهل الشرك بالله في أرضنا و بلادنا بكثرة عددهم و قوتهم و يمنعوننا من الإيمان بالله و اتباع رسوله على جهة الاعتذار (قالوا) أي قالت الملائكة لهم (ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها) أي فتخرجوا من أرضكم و دوركم و تفارقوا من يمنكم من الإيمان بالله و رسوله الى أرض يمنكم أهلها من أهل الشرك فتوحده و تصدوه و تبصوه و روي عن سعيد بن جبير انه قال في معناه اذا عمل بالمعاصي في أرض فخرج منها ثم قال تعالى (فأولئك مأواهم جهنم) أي مسكنهم جهنم (وساءت) هي أي جهنم (مصيراً) لأهلها الذين صاروا اليها ثم استثنى من ذلك فقال (إلا المستضعفين) الذين استضعفهم المشركون (من الرجال و النساء و الولدان) و هم الذين يعجزون عن الهجرة لا بأسهم و قلة حيلتهم و هو قوله (لا يستطيعون حيلة و لا يبتدون سبيلاً) في الخلاص من مكة و قيل معناه لا يتدون لسوء معرفتهم بالطريق طريق الخروج منها أي لا يعرفون طريقاً الى المدينة عن مجاهد و قتادة و جماعة من المفسرين (فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم) معناه لعل الله أن يعفو عنهم لما هم عليه من الفقر و يتفضل عليهم بالصفح عنهم في تركهم الهجرة من حيث لم يتركوها اختياراً (وكان الله عفواً) أي لم يزل الله ذا صفح بفضله عن ذنوب عباده بترك عقوبتهم على معاصيهم (غفورا) أي ساتراً عليهم ذنوبهم بعفوه لهم عنها قال عكرمة و كان النبي يدعو عقيب صلاة الظهر اللهم خلص الوليد و سلمة بن هشام و عياض بن ابي ربيعة و ضمعة المسلمين من أيدي المشركين

قوله تعالى (١٠٠) وَمَنْ يَهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (آية)

✽ اللفظ ✽

المهاجرة المقارنة واصله من الهجر الذي هو ضد الوصل و المراعغ المضطرب في البلاد و المذهب واصله من الرغام و هو التراب و معنى راغمت فلانا هاجرته و لم ابال رغم انه اي و إن لصق بالتراب انه و ارغم الله اقه الصقه بالتراب و قيل امله الذل و الشدة و المراعغ المعادي الذي يروم اذلال صاحبه و منه الحديث اذا صلى احدكم فليزم جبينه

واقفه الأرض حتى يخرج منه الرِّغْمَ أي حتى يذلل ويخضع لله تعالى وفضلته على رغبته أي على ذلّه بما يكرهه وارعهم الله إقاهه اذله والمرَّاعِمُ الموضع والمصدر من المراعمة قال

إِلَى بَلَدٍ غَيْرِ ذَانِيِ الْهَلَلِ
بَعِيدِ الْمُرَاعِمِ وَالْمُضْطَرَبِ
* النزول *

قيل لما نزلت آيات الهجرة سمعها رجل من المسلمين وهو جندب أو جندب بن ضمرة وكان بمكة فقال والله ما أنا مما استثنى الله إني لأجد قوة وإني لعالم بالطريق وكان مريضاً شديداً بالمرض فقال لبيته والله لأبيت بمكة حتى أخرج منها فإنني أخاف أن أموت فيها فخرجوا يحملونه على سريره حتى إذا بلغ التنعيم مات فنزلت الآية عن أبي حمزة الثمالي وعن قتادة وعن سعيد بن جبيرة وقال عكرمة وخرج جماعة من مكة مهاجرين فلحقهم المشركون وفتنواهم عن دينهم فافتتنوا فانزل الله فيهم ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا وذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله فكذب بها المسلمون اليهم ثم نزلت فيهم ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها لغفور رحيم

* المعنى *

ثم قال سبحانه (ومن يهاجر) يعني يفارق أهل الشرك ويهرب بدينه من وطنه إلى أرض الإسلام (في سبيل الله) أي في متهاج دين الله وطريقه الذي شرعه خلقه (يوجد في الأرض مراغماً كثيراً وسعة) أي متحولاً من الأرض وسعة في الرزق عن ابن عباس والضحاك والريعي وقيل مزحزحاً عما يكره وسعة من الضلالة إلى الهدى عن مجاهد وقاتدة وقيل مهاجراً فسيحاً متسماً كما كان فيه من تضييق المشركين عليه (ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله) أخبر سبحانه من خرج من بلده مهاجراً من أرض الشرك فأراد بدينه إلى الله ورسوله (ثم يدركه الموت) قبل بلوغه دار الهجرة وأرض الإسلام (فقد وقع أجره على الله) أي ثواب عمله وجزاء هجرته على الله تعالى (وكان الله غفوراً) أي سائر على عبادته ذنوبهم بالمغفوتهم (رحيماً) بهم رفيقاً وما جاء في معنى الآية من الحديث ما رواه الحسن عن النبي (ص) أنه قال من فرّ بدينه من أرض إلى أرض وإن كان شيراً من الأرض استوجب الجنة وكان رفيقاً إبراهيم ومحمد عليهما السلام وروى العياشي بإسناده عن محمد بن أبي عمير حدثني محمد بن سليم قال وجّه زيارته ابن عيينة عبيداً إلى المدينة ليستخير له خير أبي الحسن موسى بن جعفر (ع) وعبد الله فمات قبل أن يرجع إليه عبيداً قال محمد بن أبي عمير حدثني محمد بن حكيم قال ذكرت لأبي الحسن (ع) زيارته وتوجهه عبيداً ابنه إلى المدينة فقال أفي لا رجوا أن يكون زيارته ممن قال الله فيهم ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله الآية

قوله تعالى (١٠١) وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ
إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا (آية)

* اللفظة *

في قصر الصلاة ثلاث لغات قصرت الصلوات أقصرها وهي لفظة القرآن وقصرتها تقصيرا وأقصرتها أقصارا وفتنت الرجل افتنته فهو مفتون لفظة أهل الحجاز وبني تميم وريمية وأهل نجد كلهم وأسد يقولون أفتنت الرجل فهو فاتن وقد فتنت فتونا إذا دخل في الفتنة وإنما قال في الكافر من أنهم عدولاً لفظة فعول تقع على الواحد والجماعات

* المعنى *

(وإذا ضربتم في الأرض) معناه سرتتم فيها أي سافرتم (فليس عليكم جناح) أي حرج واثم (أن تقصروا من الصلاة) فيه أقوال أحدها (ع) أن معناه أن تقصروا من عدد الصلاة فتصلوا الرباعيات ركعتين عن مجاهد وجماعة من

المفسرين وهو قول أكثر الفقهاء وهو مذهب أهل البيت (ع) وقيل تقصر صلاة الخائف من صلاة المسافر وهما قصران قصر الأمان من أربع إلى ركعتين وقصر الخوف من ركعتين إلى ركعة واحدة عن جابر ومجاهد وقد رواه أيضا أصحابنا **▶** وثانيها **▶** أن معناه القصر من حدود الصلاة عن ابن عباس وطاوس وهو الذي رواه أصحابنا في صلاة شدة الخوف وأنها تصلى إيماء والسجود أخفض من الركوع فإن لم يقدر على ذلك فالتسبيح المخصوص كاف عن كل ركعة **▶** وثالثها **▶** أن المراد بالقصر الجمع بين الصلاتين والصحيح الأول (إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا) يعني خفتم فتنة الذين كفروا في أنفسكم أو دينكم وقيل معناه إن خفتم أن يقتلكم الذين كفروا في الصلاة عن ابن عباس ومثله قوله تعالى على خوف من فرعون وملائته أن يفتنهم أي يقتلهم وقيل معناه أن يعذبكم الذين كفروا بنوع من أنواع العذاب (إن الكافرين كانوا لكم عدواً مبيناً) أي ظاهري العداوة وفي قراءة أبي بن كعب فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة أن يفتنكم الذين كفروا من غير أن يقرأ إن خفتم وقيل إن معنى هذه القراءة أن لا يفتنكم أو كراهة أن يفتنكم كما في قوله بين الله لكم أن تفلحوا وظاهر الآية يقتضي أن القصر لا يجوز إلا عند الخوف لكننا قد علمنا جواز القصر عند الأمان ببيان النبي وبيحتمل أن يكون ذكر الخوف في الآية قد خرج مخرج الأعم والأغلب عليهم في أسفارهم فإنهم كانوا يخافون الأعداء في عامتها ومثله في القرآن كثير واختلف الفقهاء في قصر الصلاة في السفر فقال الشافعي هي رخصة واختاره الجبائي وقال أبو حنيفة هو عزيمة وفرض وهذا مذهب أهل البيت قال زرارة ومحمد بن مسلم قلنا لأبي جعفر ما تقول في الصلاة في السفر كيف هي وكم هي قال إن الله يقول وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة فصار التقصير واجبا في السفر كوجوب التمام في الحضر قالنا انه قال لا جناح عليكم ان تقصروا من الصلاة ولم يقل اقل فكيف أوجب ذلك كما أوجب التمام قال أوليس قال تعالى في الصفا والمروة فن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بها ألا ترى أن الطواف واجب مفروض لأن الله تعالى ذكرهما في كتابه وصنعها نبيه وكذا التقصير في السفر شي صنعه رسول الله وذكره الله في الكتاب قال قلت فمن صلى في السفر أربعا أبعد أم لا قال إن كان قرئت عليه آية التقصير وفسرت له فصلى أربعا أعاد وإن لم يكن قرئت عليه ولم يعلمها فلا إعادة عليه والصلاة في السفر كل فريضة ركعتان إلا المغرب فإنها ثلاث ليس فيها تقصير تركها رسول الله في السفر والحضر ثلاث ركعات وفي هذا الخبر دلالة على أن فرض المسافر مخالف لفرض المقيم وقد أجمعت الطائفة على ذلك وعلى أنه ليس بقصر وقد روي عن النبي أنه قال فرض المسافر ركعتان غير قصر وعندهم أن الخوف باقراده موجب للقصر وفيه خلاف بين الفقهاء وذهب جماعة من الصحابة والتابعين إلى أن الله عفى بالقصر عن الآية قصر صلاة الخوف من صلاة السفر لا من صلاة الإقامة لأن صلاة السفر عند ركعتان تمام غير قصر فمنهم جابر بن عبد الله وحذيفة البليان وزيد بن ثابت وابن عباس وأبو هريرة وكعب وكان من الصحابة قطعت يده يوم البجعة وابن عمر وسعيد بن جبير والسدي وأما حد السفر الذي يجب عنده القصر فنحننا ثمانية فراسخ وقيل مسيرة ثلاثة أيام لباليها وهو مذهب أبي حنيفة وأصحابه وقيل ستة عشر فرسخا ثمانية وأربعين ميلا وهو مذهب الشافعي

✽ النظم ✽

وجه اتصال الآية بما قبلها انه لما أمر بالجهاد والهجرة بين صلاة السفر والخوف رحمة منه وتخفيفا لعباده

قوله تعالى (١٠٢) وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَفَلَّلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمِينَتِكُمْ

فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذَى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا (آية)

✽ اللغة ✽

أسلحة جمع سلاح مثل حمار واحمرة والسلاح اسم لجملة ما يدفع به الناس عن أنفسهم في الحروب مما يقاتل به خاصة لا يقال للدواب وما أشبهها سلاح والجناح الاسم من جنحت عن المكان إذا عدلت عنه وأخذت جانباً عن القصد وأذى مقصور يقال أذى فلان بأذى أذى مثل فزع يفزع فزعاً

✽ الاعراب ✽

وليأخذوا القراءة على سكون اللام والأصل وليأخذوا بالكسر إلا ان الكسر يستثقل فيحذف استخفافاً وكذلك فلتقم ولتأت وموضع أن تضعوا نصب أي لا إثم عليكم في أن تضعوا فلما سقطت في عمل ما قبل أن فيها وعلى المذهب الآخر يكون موضعها جرّاً بإظهار حرف الجر وإنما قال طائفة أخرى ولم يقل آخرون وقال لم يصلوا فليصلوا ولم يقل لم تصل فلتصل حملاً للكلام تارة على اللفظ وأخرى على المعنى كما قال وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا ولم يقل اقتتلا. ومثله كثير

✽ المعنى ✽

ثم ابتدأ تعالى ببيان صلاة الخوف في جماعة فقال (فاذا كنت) يا محمد (فيهم) يعني في اصحابك الضارين في الارض الخائفين عدوهم ان يغزوم (فأقم لهم الصلاة) بحدودها وركوعها وسجودها عن الحسن وقيل معناه اقم لهم الصلاة بأن تؤمهم (فلتقم طائفة منهم) اي من اصحابك الذين انت فيهم (معك) في صلاتك وليكن سائرهم في وجه العدو وتقديره ولتقم طائفة منهم تجاه العدو ولم يذكر ما ينبغي ان تفعله الطائفة غير المصلية لدلالة الكلام عليه (وليأخذوا أسلحتهم) اختلف في هذا فقيل المأمور بأخذ السلاح الطائفة المصلية مع رسول الله يأخذون من السلاح مثل السيف يتقلدون به والخنجر يشدون به الى دروعهم وكذلك السكين ونحو ذلك وهو الصحيح وقيل هم الطائفة التي بإزاء العدو دون المصلية عن ابن عباس (فاذا سجدوا) يعني الطائفة التي تصلي معه وفرغوا من سجودهم (فليكونوا من ورائكم) يعني فليصبروا بعد فراغهم من سجودهم مصافين للعدو واختلف في الطائفة الاولى اذا رفعت رؤسهم من السجود وفرغت من الركعة كيف يصنعون فعندنا انهم يصلون ركعة اخرى ويتشهدون ويسلمون والامام قائم في الثانية ثم ينصرفون الى مواقف اصحابهم ويحيي الآخرون فيستفتحون الصلاة ويصلي بهم الامام الركعة الثانية حسب ويطيل شهادته حتى يقوموا فيصلوا بقية صلاتهم ثم يسلم بهم الامام فيكون للطائفة الاولى تكبيرة الافتتاح وللثانية التسليم وهو مذهب الشافعي ايضاً وقيل ان الطائفة الاولى اذا فرغت من ركعة يسلمون ويمضون الى وجه العدو وتأتي الطائفة الاخرى ويصلي بهم ركعة وهو مذهب مجاهد وجامر ومن يرى ان صلاة الخوف ركعة واحدة وقيل ان الامام يصلي بكل طائفة ركعتين فيصلي بهم مرتين بكل طائفة مرة عن الحسن وقيل انه اذا صلى بالطائفة الاولى ركعة مضوا الى وجه العدو وتأتي الطائفة الاخرى فيكبرون ويصلي بهم الركعة الثانية ويسلم الامام ويعودون الى وجه العدو وتأتي الطائفة الاولى فيقضون ركعة بغير قراءة لأنهم لاحقون ويسلمون ويرجعون الى وجه العدو وتأتي الطائفة الثانية فيقضون ركعة بغير قراءة لانهم مسبقون عن عبد الله بن مسعود وهو مذهب ابي حنيفة (ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا) وهم الذين كانوا بإزاء العدو (فليصلوا معك) وليأخذوا حذرهم واسلحتهم (يعني وليكونوا حذرين من عدوهم متأهين لقتالهم بأخذ الاسلحة اي آلات الحرب وهذا يدل على ان الفرقة المأمورة بأخذ السلاح في الاول هم المصلون دون غيرهم (ود الذين كفروا) معناه تمنى الذين كفروا (لو تغفلون) لو تغفلون (عن اسلحتكم) وتشتغلون عن أخذها

تأهباً للقتال (وامتنعكم) اي وعن امتنعكم التي بها بلاغكم في اسفاركم فتسهون عنها (فيميلون عليكم ميلة واحدة) اي يحملون عليكم حملة واحدة وانتم متشاغلون بصلاتكم فيصيبون منكم غزوة فيقتلونكم ويستبيحون عسكركم واممعكم المعنى لا تشاغلوا بأجمعكم بالصلاة عند مواقفة العدو فيتمكن عدوكم من انفسكم واسلحتكم ولكن اقيموها على ما امرتم به ومن عادة العرب ان يقولوا ملنا عليهم بمعنى حملنا قال العباس بن عباد بن فضالة الانصاري لرسول الله ليلة العقبة الثانية والذي بعثك بالحق ان شئت لنميلن غداً على اهل منى بأسياتنا فقال رسول الله لم نؤمر بذلك يعني في ذلك الوقت (ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر) معناه لا حرج عليكم ولا اثم ولا ضيق ان نالكم اذى من مطر وانتم مواقفو عدوكم (او كنتم مرضى) يعني أعلاء او جرحى (ان تضعوا اسلحتكم) اذا ضعفتم عن حملها لكن اذا وضعتموها فاحترسوا منهم (وخذوا حذرکم) لئلا يميلوا عليكم وانتم غافلون (ان الله اعد للكافرين عذاباً مهيناً) مذلاً يبقون فيها ابداً وفي الآية دلالة على صدق النبي وصحة نبوته وذلك انها نزلت والنبي بسفان والمشركون بضجتان فتواقفوا فصلى النبي واصحابه صلاة الظهر بتمام الركوع والسجود فهم المشركون بأن يغيروا عليهم فقال بعضهم ان لهم صلاة أخرى أحب اليهم من هذه يعنون صلاة العصر فانزل الله عليه هذه الآية فصلى بهم العصر صلاة الخوف وكان ذلك سبب اسلام خالد بن الوليد القصص وفيها دلالة اخرى ذكر ابو حمزة في تفسيره ان النبي غزا محارباً وبني اثمار فهزمهم الله وحرزوا الذراري والمال فنزل رسول الله والمسلمون ولا يرون من العدو واحداً فوضعوا اسلحتهم وخرج رسول الله ليقضي حاجته وقد وضع سلاحه فجعل بينه وبين اصحابه الوادي فيألى أن يفرغ من حاجته وقد درم الوادي والسماء ترس فقال الوادي بين رسول الله وبين اصحابه وجلس في ظل شجرة فبصره غورث بن الحارث المحاربي فقال له اصحابه يا غورث هذا محمد قد اقلع من اصحابه فقال قتلي الله ان لم اقله وانحدر من الجبل ومعه السيف ولم يشعر به رسول الله الا وهو قائم على رأسه ومعه السيف قد سله من غمده وقال يا محمد من يعصمك مني الآن فقال الرسول الله فانكبت عدو الله لوجهه فقام رسول الله فأخذ سيفه وقال يا غورث من يمنعك مني الآن قال لا أحد قال أتشهد ان لا إله الا الله واني عبد الله ورسوله قال لا ولكني اعهد ان لا اقاتلك ابداً ولا أعين عليك عدواً فأعطاه رسول الله سيفه فقال له غورث والله لأنت خير مني قال (ع) اني احق بذلك وخرج غورث الى اصحابه فقالوا يا غورث لقد رأيناك قائماً على رأسه بالسيف فمانعك منه قال الله اهويت له بالسيف لا ضربه فأدري من زلجني بين كفتي فخررت لوجهي وخرت سيفي وسبقني اليه محمد وأخذه ولم يلبث الوادي ان سكن فقطع رسول الله الى اصحابه فاخبرهم الخبر وقرأ عليهم ان كان بكم اذى من مطر الآية كلها

(قوله تعالى) (١٠٣) فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقَعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا (آية)

اللغة

اطمان الشيء اي سكن وطمأنه وطمأًفه سکنه وقد قيل اطبان بالباء بمعنى اطمان

المعنى

(فإذا قضيت الصلاة) معناه فإذا فرغتم من صلاتكم ايها المؤمنون وانتم مواقفو اعدوكم (فاذكروا الله قياماً وقعوداً) اي في حال قيامكم وقعودكم (وعلى جنوبكم) اي مضطجعين فقوله وعلى جنوبكم في موضع نصب عطفاً على ما قبله من الحال اي ادعوا الله في هذه الاحوال لعله ينصركم على عدوكم ويظفركم بهم مثل قوله يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً الملكة تفلحون عن ابن عباس واكثر المفسرين وقيل معناه فاذا اردتم الصلاة فصلوا قياماً اذا كنتم اصحاء وقعوداً اذا كنتم مرضى لا تقدرن على القيام وعلى جنوبكم اذا لم تقدرن على القعود

(١) كذا في النسخ وذكره الجزري في مادة زلج وقال رمى الله فلاناً بالزلجة (مثل القبرة) وهو زجج يأخذ في الظهر لا يتحرك الانسان من شدته قال الخطابي رواه بعضهم فزلج بين كفتيه يعني بالجيم وهو غلط انتهى .

عن ابن مسعود وروي انه قال عقيب تفسير الآية لم يعذر الله احدا في ترك ذكره الا المغلوب على عقله (فاذا اطعتم فاقموا الصلاة) اختلف في تأويله فقيل معناه فاذا استقررتم في اوطانكم واقمتم في امصاركم فاقموا الصلاة التي اذن لكم في قصرها عن مجاهد وقتادة وقيل معناه اذا استقررتم بزوال خوفكم فاقموا حدود الصلاة عن السدي وابن زيد ومجاهد في رواية اخرى (ان الصلاة كانت على المؤمنين كشأبا موقوتا) اختلف في تأويله فقيل معناه ان الصلاة كانت على المؤمنين واجبة مفروضة عن ابن عباس وعطية العوفي والسدي ومجاهد وهو المروي عن الباقر والصادق (ع) وقيل معناه فرضا موقوتا اي منجما توذونها في انجها عن ابن مسعود وقتادة والقولان متقاربان

قوله تعالى (١٠٤) وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (آية)

✽ القراءة ✽

روي في الشواذ عن عبدالرحمن الاعرج ان تكونوا تألمون بفتح الالف

✽ اللمعة ✽

قال ابن جنى ان محمولة على قوله ولا تهنوا في ابتغاء القوم لا تكلم تألمون فمن اعتقد نصب أن بعد حذف الجر عنها فإن هتاء منصوبة الموضع وهي على مذهب الخليل مجردة الموضع باللام المرادة وصارت أن لكونها حرفا كالعوض في اللفظ من اللام

✽ اللمعة ✽

الوهن الضعف وهن فلان في الاسم بهن وهنًا وهو ناهو وهن واللم الوجع واللم جنس من الاعراض يكون من فعل الله ابتداء وبسبب وقد يكون من فعل العباد بسبب والرجاء قد يستعمل بمعنى الخوف نحو قول الشاعر لا ترتجبي حين تلاقى الزائداً
أسبغة لاقت معاً أو واحداً

وقال ابو ذؤيب (٢)

إِذَا لَسَمْتَهُ النَّحْلُ أَنْ يَرْجَ لَسَمَهَا وَخَالَفَهَا فِي بَيْتِ نَوْبٍ عَوَاصِلِ (٣)

قال الفراء نوب ونوب وهي النحل وقال تامل ما لك لا ترتجبن الله وقادراً والى لا تتأفرن الله عظمة وانما استعمل على معنى الخوف لأن الرجاء امل وقد يخاف ان لا يتم

✽ النزول ✽

قيل نزلت في الذهاب الى بدر الصغرى لموعده ابي سفيان يوم أحد وقيل نزلت يوم أحد في الذهاب خلف ابي سفيان وعسكره الى حمراء الأسد عن عكرمة

✽ المضي ✽

عاد الكلام الى الحث على الجهاد فقال تعالى (ولا تهنوا) اي ولا تضعفوا (في ابتغاء القوم) اي في طلب القوم الذين هم اعداء الله واعداء المؤمنين من اهل الشرك (إن تكونوا) اي تألمون (مما ينالكم من الجراح منكم) (فإنهم) يعني المشركون (يألمون) ايضا مما ينالهم منكم من الجراح والأذى (كما تألمون) اي مثل ما تألمون انتم من جراحهم واذاهم (وترجون) انتم ايها المؤمنون (من الله) الظفر عاجلا والثواب عاجلا على ما ينالكم منهم (ما لا يرجون) هم على ما ينالهم منكم أي وأنتم ان كنتم موقنين من ثواب الله لكم على ما يصيبكم منهم بما هم مكذبون به اولى واحرى ان تصبروا على حربهم وقتالهم منهم على حربكم وقتالكم عن ابن عباس وقتادة ومجاهد والسدي (وكان الله عليما) بمصالح خلقه (حكيم) في تدبيره اياهم وتقديره احوالهم قال ابن عباس وعكرمة

(١) [حرف] (٢) انشده لامرأة قالت لزو جها (٣) خالفه : ضدواقفه معناه دخل عليها واخذ قملها وهي ترعى فكانه خالف هواها بذلك وفي بعض النسخ : خالفها بالحاء المهملة ومعناه لزمها . وفي بعض النسخ «عواصل» بدل «عواصل»

﴿ القصة ﴾

قال ابن عباس وعكرمة لما اصاب المسلمين ما اصابهم يوم أحد وصعد النبي الجبل قال ابو سفيان يا محمد لنا يوم ولكم يوم فقال اجيبوه فقال المسلمون لا سواه^(١) قتلتنا في الجنة وقتلناكم في النار فقال ابو سفيان لنا عزي ولا عزي لكم فقال النبي قولوا الله مولانا ولا مولى لكم فقال ابو سفيان اهل هبل فقال النبي قولوا الله اعلى واجل فقال ابو سفيان موعدا وموعداكم يوم بدر الصغرى ونام المسلمون وبهم الكلوم^(٢) وفيهم نزلت ان يممسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله الآية وفيهم نزلت ان تكونوا تألمون الآية لأن الله امرهم على ما بهم من الجراح ان يتبعوهم واراد بذلك ارباب المشركين وخرجوا الى حمراء الأسد وبلغ المشركين ذلك فاسرعوا حتى دخلوا مكة

قوله تعالى (١٠٥) **إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلْغَائِبِينَ خَصِيماً (١٠٦) وَأَسْتَغْفِرِ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً (آياتان)**

* النزول *

نزلت في بني أيرق وكانوا ثلاثة اخوة بشر وبشير ومبشر وكان بشير يكنى ابا طعمة وكان يقول الشعر بهجو به اصحاب رسول الله (ص) ثم يقول قاله فلان وكانوا اهل حاجة في الجاهلية والاسلام فنقب ابو طعمة على عليّة رفاعة بن زيد^(٣) واخذ له طعاما وسيفاً ودرعا فشكا ذلك الى ابن اخيه قتادة بن النعمان وكان قتادة بدرية فحسبوا في الدار وسألا اهل الدار في ذلك فقال بنو أيرق والله ما صاحبكم الا لبيد بن سهل رجل ذو حسب ونسب فأصلت عليهم لبيد بن سهل سيفه وخرج اليهم وقال يا بني ايرق اثموني بالسرقة وانتم اولى به مني وانتم متافقون تهجون رسول الله وتنسبون ذلك الى قريش لتبينن ذلك او لا ضمن سيغي فيكم فداروه واتى قتادة رسول الله فقال يا رسول الله ان اهل بيت منا اهل بيت سوء عدوا على عمي فخرقوا عليّة له من ظهرها واصابوا له طعاما وسلاحاً فقال رسول الله انظروا في شأنكم فلما سمع بذلك رجل من بطنهم الذي هم منه يقال له اسير بن عروة جمع رجلا من اهل الدار ثم انطلق الى رسول الله فقال ان قتادة بن النعمان وعمه عمدا الى اهل بيت منالمهم حسب ونسب وصلاح وابنهم بالقبيح وقالوا لهم ما لا ينبغي وانصرف فلما اتى قتادة رسول الله بعد ذلك ليكلمه جبهه رسول الله جبهه شديداً وقال عمدت الى اهل بيت حسب ونسب تأتيهم بالقبيح وتقول لهم ما لا ينبغي قال فقام قتادة من عند رسول الله ورجع الى عمه وقال يا ليتني مت ولم اكن كلمت رسول الله فقد قال لي ما كرهت فقال عمه رفاعة الله المستعان فنزلت الآيات انا انزلنا اليك الكتاب الى قوله ان الله لا يغفر ان يشرك به فبلغ بشيرا ما نزل فيه من القرآن فهرب الى مكة وارتمد كافرا فنزل على سلافة بنت سعد بن شهيد وكانت امرأة من الاوس من بني عمرو بن عوف نكحت في بني عبد الدار فهجاها حسان فقال:

فَقَدْ أَنْزَلَتْهُ بِنْتُ سَعْدٍ وَأَصْبَحَتْ
يُنَازِعُهَا جِلْدُ اسْعِيهَا وَتُنَازِعُهُ
ظَنَنْتُمْ بِأَنْ يَخْفَى الَّذِي قَدْ صَنَعْتُمُوا
وَفِينَا نَبِيٌّ عِنْدَهُ الْوَحْيِ وَأَضْمُهُ

فحملت رحله على رأسها فالقته بالابطح وقالت ما كنت تأتيني بخير اهديت الى شمر حسان هذا قول مجاهد وقاتادة بن النعمان وعكرمة وابن جريج الا ان عكرمة قال ان بني أيرق طرحو ذلك على يهودي يقال له زيد بن السهين فجاء اليهودي الى رسول الله وجاء بنو أيرق اليه وكلموه ان يجادل عنهم فهم رسول الله ان يفعل وان يعاقب اليهودي فنزلت الآية وبه قال ابن عباس وقال الضحاك نزلت في رجل من الانصار استودع درعا فوجد صاحبها فخنونه رجل من اصحاب النبي فغضب له قومه فقالوا يا بني الله خون صاحبنا وهو مسلم امين فعذره النبي وكذب عنه وهو يرى انه بريء مكذوب عليه فانزل الله فيه الآيات واختار الطبري هذا الوجه قال لأن الخيانة انما تكون في الوديعه لافي السرقة

(١) [لا سواه] (٢) الكلوم: الجروح . (٣) العلية: بيت منفصل عن الارض بيت ونحوه . (٤) ابته بتقديم الواحدة: عابه وعييره . (٥) جبه الرجل: ضربه على جبهته . رده عن حاجته . (٦) وفي نسخة مقطوعة «الان قتادة وعكرمة قالا» .

* المعنى *

ثم خاطب الله نبيه فقال (انا انزلنا اليك) يا محمد (الكتاب) يعني القرآن (بالحق) الذي يجب لله على عباده وقيل معناه انك به احق (لتحكم) يا محمد (بين الناس بما اريك الله) ابي اعلمك الله في كتابه (ولا تكن للخائنين خصيما) نهاء ان يكون لمن خان مسلما او معاهدا في نفسه او ماله خصيما يدافع من طالبه عنه بحقه الذي خانه فيه ويخاصم ثم قال (واستقر الله) امره بان يستقر الله في مخاصمته عن الخائنين (ان الله كان غفورا رحيمًا) يصفح عن ذنوب عباده المسلمين ويترك مواخذتهم بها والخطاب وإن توجه الى النبي من حيث خاصم عن رآه على ظاهر الايمان والعدالة وكان في الباطن بخلافه فالمراد بذلك أمته وانما ذكر ذلك على وجه التاديب له في ان لا يبادر بالخصام والدفاع عن خصم إلا بعد ان يتبين وجه الحق فيه جل نبي الله عن جميع المعاصي والقبائح وقيل انه لم يخاصم عن الخصم وانما هم بذلك فعاتبه الله عليه

* النظم *

وجه اتصال الآية بما قبلها انه لما تقدم ذكر المنافقين والكافرين والأمر بمجانبتهم عقب ذلك بذكر الخائنين والأمر باجتنب الدفوع عنهم وقيل انه تعالى لما بين الاحكام والشرائع في السورة عقبها بأن جميع ذلك انزل بالحق قوله تعالى (١٠٧) وَلَا تَجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا (١٠٨) يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُونَ مَالًا بَرِئَ مِنْ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا (١٠٩) هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكَيْلًا (ثلاث آيات)

* اللفظة *

المخاصمة والمجادلة والمناظرة والمحااجة نظائر وان كان بينها فرق فإن المجادلة هي المنازعة فيما وقع فيه خلاف بين اثنين والمخاصمة المنازعة بأخائنة بين اثنين على وجه الغلظة والمناظرة فيما يقع بين النظرين والمحااجة في محاولة اظهار الحق واصل المجادلة من الجدل وهو شدة القتال ورجل محمول كأنه قد جدل اي قتل والاجدل الصقر لأنه من اشد الطيور قوة والتبييت التدبير للشيء بالليل لأن ذلك يكون في وقت رواح الناس الى بيوتهم

* الاعراب *

ها للتبيين واعيدت في اولاء والمعنى ها اتم الذين جادلتهم عنهم لأن هؤلاء وهذا يكونان في الإشارة للمخاطبين الى انفسهم بمنزلة الذين وقد يكونان لغير المخاطبين بمنزلة الذين نحو قول الشاعر

عَدَسٌ مَا لِعَبَادٍ عَلَيْكَ إِمَارَةٌ أَمِنْتُ وَهَذَا تَحْمِلِينَ طَلِيقٌ (١)

اي والذي تحملين طليق

* النزول *

نزلت الآيات في قصة التي ذكرناها قبل

* المعنى *

ثم نهى تعالى عن المجادلة والدفوع عن اهل الحياة هو كذا لما تقدم فقال (ولا تجادل) قيل الخطاب للنبي (ص) حين هم ان يبرى ابا طعمة لما اتاه قوم بنفون عنه السرقة وقيل الخطاب له والمراد قومه وقيل تقديره ولا تجادل ابها الانسان (عن الذين يختانون انفسهم) اي يخونون انفسهم ويظلمونها اراد من مرق الدرع ومن

(١) الشعر في جامع الشواهد وقد مر في الكتاب غير مرة .

شاركه في السرقة والخيانة وقيل انه اراد به قومه الذين مشوا معه الى النبي وشهدوا له بالبراءة عما نسب اليه من السرقة وقيل اراد به السارق وقومه ومن هو في معناهم وانما قال يختانون اقسامهم وان كانوا غيرهم لان ضرر خيانتهم كما نه راجع اليهم لاحق بهم كما تقول لمن ظلم غيره ما ظلمت الا نفسك وكقوله تعالى ان احسنتم احسنتم لا تسكم (ان الله لا يحب من كان خوانا اثيما) هو فعال من الخيانة اي من كان كثير الخيانة وقد اتقها واعتادها وقد يطلق الخوان على الخائن في شيء واحد اذا عظمت تلك الخيانة والاثم فاعل الاثم وقيل معناه لا يجب من كافي خوانا اذا سرق الدرع واثيما اذا رمى به اليهودي وقال ابن عباس في معنى الآية لا تجادل عن الذين يظلمون انفسهم بالخيانة ويرمون بالخيانة غيرهم يريد به سارق الدرع سرق الدرع ورمى بالسرقة اليهودي فصار خائنا بالسرقة اثيما في رمية غيره بها (يستخفون من الناس) اي يكتمون عن الناس (ولا يستخفون من الله وهو معهم) يعني الذين مشوا في الدفع عن ابن ابيرق ومعناه يستترون عن الناس بما صيهم في اخذ الاموال لئلا يقتضحوا في الناس ولا يستترون من الله وهو مطلع عليهم وقيل معناه يستحيون من الناس ولا يستحيون من الله وعلمه معهم فيكون معناه يخفون الخيانة عن الناس ويطلبون اخفاءها حياء منهم ولا يتركونها حياء من الله وهو عالم بافعالهم (اذيبتون ما لا يرضى من القول) اي يدبرون بالليل قول لا يرضاه الله وقيل يغيرون القول من جهته وبكذب فيه وقيل انه قول ابن ابيرق في قسه بالليل ارمي بهذا الدرع في دار اليهودي ثم احلف اني يرمي منه فيصدقني المسلمون لاني على دينهم ولا يصدقون اليهودي لانه ليس على دينهم وقيل انه رمى بالدرع الى دار لبيد بن سهل (وكان الله بما يعملون محيطا) قال الحسن حفيظا لا عملهم وقال غيره علما باعمالهم لا يخفى عليه شيء منها وفي هذه الآية تقريب بليغ لمن يمنعه حياء الناس وحشمتهم عن ارتكاب القبائح ولا يمنعه خشية الله عن ارتكابها وهو سبحانه احق ان يراقب واجدر ان يحذر وفيها ايضا توبيخ لمن يعمل قبيحا ثم يقرف غيره به سواء كان ذلك الغير مسلما او كافرا (ها اتمم) خطاب للذابين عن السارق (هؤلاء) يعني الذين (جادلتم) اي خاصتم ودافعتم (عنهم) عن الخائنين (في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة) استفهام يراد به النفي لانه في معنى التبريع والتوبيخ اي لا يجادل عنهم ولا شاهد على براءتهم بين يدي الله يوم القيامة وفي هذه الآية النهي عن الدفع عن الظالم والمجادلة عنه (امن يكون عليهم وكيلا) اي من يحفظهم ويتولى معونتهم يعني لا يكون يوم القيامة عليهم وكيلا يقوم بأمرهم ويخاصم عنهم وأصل الوكيل من جعل اليه القيام بالأمر والله بسمي وكيلا بمعنى انه القائم بالأمر ويقال انه بسمي وكيلا بمعنى الحافظ ولا يقال انه وكيلا لنا وإنما يقال انه وكيلا علينا

قوله تعالى (١١٠) وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا
(١١١) وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (١١٢) وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيثًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا (ثلاث آيات)

= اللغة =

السوء القبيح الذي يواجه به صاحبه من سوءه او اذا واجهه بقبيح يكرهه ورجل سوء من شأنه ان يواجه الناس بالكاره فأما السيئة فهي نقيض الحسنة ويوجد أصله من الوجدان وهو الادراك يقال وجدت الضالة وجدانا إذا أدركتها بعد ذهابك عنها ووجدت وجوداً علمت والوجود ضد العدم لأنه يظهر بالوجود كظهوره بالادراك والكسب فعل يجر به تقع او يدفع به ضرر ولذلك لا يوصف سبحانه به

المعنى

ثم بين تعالى طريق التلافي والتوبة مما سبق منهم من المعصية فقال (ومن يعمل سوءا) أي معصية او امرا قبيحا (أو يظلم نفسه) بارتكاب جريمة وقيل بعمل سوءاً بأن يسرق الدرع او يظلم نفسه بأن يرمي بها بريئا وقيل المراد بالسوء الشرك وبالظلم ما دون الشرك (ثم يستقر الله) أي يتوب اليه ويطلب منه المغفرة (بجد الله غمورا رحيا) ثم بين الله تعالى ان جريمتهم وان عظمت فإنها غير مانعة من المغفرة وقبول التوبة إذا استغفروا وتابوا (ومن يكسب إثما فإنما يكسبه على نفسه) ظاهر المعنى ونظيره لا تكسب كل نفس إلا عليها من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها (وكان الله عليا) بكسبه (حكيا) في عقابه وقيل عليا في قضائه فيهم وقيل عليا بالسارق حكيميا في إيجاب القطع عليه ثم بين ان من ارتكب إثما ثم قذف به غيره كيف يعظم عقابه فقال (ومن يكسب خطيئة) أي يعمل ذنبا على عمد او غير عمد (أو إثما) أي ذنبا تعمده وقيل الخطيئة الشرك والاثم ما دون الشرك (ثم يرم به بريئا) ثم ينسب ذنبه إلى بريء وقيل البري هو اليهودي الذي طرح عليه الدرع عن الحسن وغيره وقيل هو لبيد بن سهل وقد مضى ذكرهما قبل وقوله ثم يرم به بريئا اختلف في الضمير الذي هو الهاء في به فقيل يعود إلى الاثم أي بالاثم وقيل إلى واحد منها وقيل يعني بكسبه (فقد احتمل بيتانا) كذبا عظيما يتحير من عظمه (وإثما ميثا) أي ذنبا ظاهرا يتأوى في هذه الآيات دلالة على انه تعالى لا يجوز ان يخلق افعال خلقه ثم يعذبهم عليها لأنه إذا كان الخالق لها فهم براء منها فلو قيل ان الكسب مضاف إلى العبد فجوابه ان الكسب لو كان مفهوما وله معنى لم يخرج العبد بذلك من ان يكون بريئا لأنه إذا قيل ان الله تعالى أوجد الفعل واحده ووجد الاختيار في القلب والفعل لا يتجزى فقد انتهى عن العبد من جميع جهاته

قوله تعالى (١١٣) وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا (١١٤) لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مِنْ أَمْرٍ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (آيتان)

القراءة

قرأ فسوف بضمه بالياء ابو عمرو وحمزة وقتيبة والكسائي وسهل وخلف والباقون بالنون

الحجة

من قرأ بالياء فلما تقدمه من قوله ولولا فضل الله عليك وأنزل عليك الكتاب ومن قرأ بالنون فلا أنه أشبه بها بعده من قوله نوله ما تولى ونصله جهنم

اللفظة

الم ما هممت به ومنه الهمة والهام الملك العظيم الهمة قال علي بن عيسى النجوى هو الاسرار عند أهل اللغة وقال الزجاج النجوى في الكلام ما ينفرد به الجماعة او الاثنان مرثا كان او ظاهرا ومعنى نجوت الشيء في اللغة خلصته والقيته يقال نجوت الجلد إذا القيته عن البعير او غيره قال الشاعر (٢)
فَقَلَّتْ النُّجُومُ مِنْهَا نَجَا الْجِلْدُ إِنَّهُ سَيْرٌ ضِيكُمَا مِنْهَا سَنَامٌ وَغَارِبَةٌ (٣)
ونجوت فلانا إذا استنكته قال

(١) [بافعال عباده حكيميا] (٢) يعاطب ضيفين طريقاه . (٣) النجا : الجلد قال الفراء : اضاف النجا الى الجلد لان العرب تضيف الشيء الى نفسه اذا اختلف للفظان كقوله تعالى حق اليقين ولدار الاخرة والغارب ما بين السنام والمنق . يقول اسلضا الناقة فان سنامها وغاربها يكفيكما .

نَجْوَتْ مُجَالِدًا فَشَمَمَتْ مِنْهُ كَرِيحَ الْكَلْبِ مَا تَ حَدِيثَ عَهْدِ
وأصله من النجوة وهو ما ارتفع من الأرض فالمراد بنجواهم ما يدبرونه بينهم من الكلام وفلان نجوي فلان
أي مناجيه والقوم النجوية

✽ الإعراب ✽

إلا من أمر يجوز ان يكون من في موضع جر، المعنى إلا في نجوى من أمر ويجوز ان يكون استثناء
ليس من الأول ويكون موضعها نصبا ويكون معناه لكن من أمر بصدقة او معروف ففي نجواه خير ونصب ابتداء
مرضاة الله لأنه مفعول له ويجوز ان يكون من أمر مجرور الموضع ايضا على اتباع لكثير بمعنى لا خير في
كثير إلا فيمن أمر بصدقة كما يقال لا خير في القوم إلا تقر منهم ويكون النجوى هنا بمعنى المناجاة نحو قوله
وإذ هم نجوى ويجوز ايضا ان يكون استثناء حقيقيا على تقدير لا خير في نجوى الناس إلا نجوى من أمر وهذا
أولى مما تقدم من الاستثناء المنقطع لأن حمل الكلام على الاتصال أولى إذا لم يغل بالمعنى

✽ النزول ✽

قيل نزلت في بني ابيرق وقد مضت قصتهم عن ابي صالح عن ابن عباس وقيل نزلت في وفد من ثقيف قدموا
على رسول الله (ص) وقالوا يا محمد جيثناك نبايعك على ان لا تكسر اصنامنا بأيدينا وعلى ان نتمتع بالعزى سنة فلم
يجبهم إلى ذلك وعصمه الله منه عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس

✽ المعنى ✽

ثم بين سبحانه لطفه برسوله وفضله عليه إذ صرف كيدهم عنه وعصمه من الميل اليهم فقال (ولولا فضل الله
عليك ورحمته) قيل فضل الله النبوة ورحمته نصرته إياه بالوحي وقيل فضله تأييده بالطافه ورحمته نعمته عن الجبائي
وقيل فضله النبوة ورحمته العصمة (لمت طائفة منهم) لقصدت واضمرت جماعة من هؤلاء الذين تقدم ذكرهم
(ان يضلوك) فيه اقوال ▶ احدها ▶ ان المعنى بهم الذين شهدوا للخائنين من بني ابيرق بالبراءة عن ابن
عباس والحسن والجبائي فيكون المعنى هم طائفة منهم ان يضلوك عن الحق بشهادتهم للخائنين حتى اطلعك الله
على اسرارهم ▶ وثانيها ▶ انهم وفد ثقيف الذين التمسوا من رسول الله ما لا يجوز وقد مضى ذكرهم عن
ابن عباس ايضا ▶ وثالثها ▶ انهم المنافقون الذين هموا باهلاك النبي والمراد بالاضلال القتل والاهلاك كما
في قوله تعالى إذا ضللتنا في الأرض فيكون المعنى لولا حفظ الله تعالى لك وحراسته إياك لمت طائفة من المنافقين
ان يقتلوك ويهلكوك ومثله وهموا بما لم ينالوا عن ابي مسلم (وما يضلون إلا أنفسهم) أي وما يضلون عن الحق
إلا أنفسهم وقيل ما يهلكون إلا أنفسهم ومعناه ان وبال ما هموا به من الاهلاك والاضلال يعود عليهم حتى استحقوا
العذاب الدائم (وما يضرؤنك من شيء) أي لا يضرؤنك بكيدهم ومكرهم شيئا فإن الله حافظك وناصرك
ومسدّدك ومؤيدك (وانزل الله عليك الكتاب والحكمة) أي القرآن والسنة واتصاله بما قبله ان المعنى كيف يضلونك
وهو ينزل عليك الكتاب ويوحى اليك بالأحكام (وعلمك ما لم تكن تعلم) أي ما لم تعلمه من الشرائع وانباء
الرسول الأولين وغير ذلك من العلوم (وكان فضل الله عليك عظيما) قيل فضله عليك منذ خلقك إلى ان يميتك
عظيم إذ جعلك خاتم النبيين وسيد المرسلين واعطاك الشفاعة وغيرها ثم قال (لا خير في كثير من نجواهم)
أي اسرارهم ومعنى النجوى لا يتم إلا بين اثنين فصاعدا كالدعوى (إلا من أمر بصدقة) فإن في نجواه خيرا
(أو معروف) يعني بالمعروف ابواب البر لا اعتراف العقول بها وقيل لأن أهل الخير يعرفونها (أو إصلاح بين
الناس) أي تأليف بينهم بالوادة وقال علي بن ابراهيم في تفسيره حدثني ابي عن ابن ابي عمير عن حماد عن ابي
عبد الله قال ان الله فرض التجمل في القرآن فقال قلت وما التجمل في القرآن جعلت فداك قال ان يكون وجهك

(١) كذا في الاصل وفي بعض النسخ «التجمل» بالحاء المهملة وفي المصدر التجمل بتقديم الهم على العاء وكذا
في الصافي. وقال في هامشه: التجمل: الاحتيال والمراد هنا ان تصرف وجهك عن وجه اخيك بما بينك وبينه من الكدرة
وضيق خلقك عنه ثم تذكرت امر الله ووصيته فصرفت وجهك اليه ببشرو فرح وبهجة وتحية ابتغاء لرضائه تعالى اه.

اعرض من وجه أخيك فتجمل له وهو قوله لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة او معروف الآية قال وحدثنني ابي رفعه إلى امير المؤمنين انه قال ان الله فرض عليكم زكاة جاهكم كما فرض عليكم زكاة ما ملكت ايديكم (ومن يفعل ذلك) يعني ما تقدم ذكره (ابتغاء مرضات الله) أي لطلب رضا الله (فسوف نؤتيه) أي نعطيه (اجراً عظيماً) أي مثوبة عظيمة في الكثرة والمنزلة والصفة اما الكثرة فلا أنه دائم واما المنزلة فلا أنه مقارن للتمظيم والاجلال واما الصفة فلا أنه غير مشوب بما ينقصه وفي الآية دلالة على ان فاعل المعصية هو الذي يضر بنفسه لما يعود عليه من وبال فعله وفيها دلالة ايضا على ان الذي يدعو إلى الضلال هو المضل وعلى ان فاعل الضلال مضل لنفسه وعلى ان الدعاء إلى الضلال يسمى اضلالاً

قوله تعالى (١١٥) وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُضَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (آية)

✽ اللفظة ✽

الشقاق الخلاف مع العداوة وشق العصا اي فارق الجماعة والشق النصف واصله من الشق وهو القطع طولا وسببت العداوة مشاققة لأن احد المتمادين يصير في شق غير شق الآخر من اجل العداوة التي بينهما ومنه الاشتقاق فانه قطع الفرع عن الاصل نوله من الولي وهو القرب يقال ولي الشيء يليه اذا قرب منه وكل ما يليك اي ما يقاربك والولي المطر الذي يلي الوسي

✽ النزول ✽

قيل نزلت في شأن ابن ابي ايرق سارق الدرع ولما انزل الله في تفريره وتفرير قومه الآيات كهروارتد ولحق بالمشركين من اهل مكة ثم نهب حائطا للسرقة فوقع عليه الحائط فقتله عن الحسن وقيل انه خرج من مكة نحو الشام فنزل منزلا وسرق بعض المتاع وهرب فاخذورمي بالحجارة حتى قتل عن الكلبي

✽ المعنى ✽

لما تبين سبحانه التوبة عقبه بذكر حال الاصرار فقال (ومن يشاقق الرسول) اي من يخالف محمداً ويعاده (من بعد ما تبين له الهدى) اي ظهر له الحق والاسلام وقامت له الحجة وصحت الأدلة بثبوت نبوته ورسالته (ويتبع) طريقاً (غير سبيل المؤمنين) اي غير طريقهم الذي هو دينهم (نوله ماتولى) اي نكله الى من انتصر به واتكل عليه من الاوثان وحقيقته نجمله يلي ما اعتمده من دون الله اي يقرب منه وقبل معناه نخلي بينه وبين ما اختاره لنفسه (ونصله) اي نلزمه دخول (جهنم) عقوبة له على ما اختاره من الضلالة بعد الهدى (وساءت مصيراً) قد مر معنا وقد استدلل بهذه الآية على ان اجماع الأمة حجة لانه توعد على مخالفة سبيل المؤمنين كما توعد على مشاققة الرسول والصحيح انه لا يدل على ذلك لأن ظاهر الآية يقتضي ايجاب متابعة من هو مؤمن على الحقيقة ظاهراً وباطناً لأن من اظهر الايمان لا يوصف بأنه مؤمن إلا بمازاً فكيف يحمل ذلك على ايجاب متابعة من اظهر الايمان وليس كل من اظهر الايمان مؤمناً ومتى حملوا الآية على بعض الأمة حملها غيرهم على من هو مقطوع على عصيته عنده من المؤمنين وهم الائمة من آل محمد (ص) على ان ظاهر الآية يقتضي ان الوعيد انما يتناول من جمع بين مشاققة الرسول واتباع غير سبيل المؤمنين فمن اين لهم ان من فعل احدهما يتناوله الوعيد ونحن انما علمنا يقيناً ان الوعيد انما يتناول بمشاققة الرسول بانفرادها بدليل

غير الآية فوجب ان يسندوا تناول الوعد باتباع غير سبيل المؤمنين الى دليل آخر

قوله تعالى (١١٦) **إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ**
وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا (آية)

قد مر تفسيره فيما تقدم وقوله قد ضلّ ضلالا بعيدا اي ذهب عن طريق الحق والغرض المطلوب وهو النعيم المقيم في الجنة ذهابا بعيدا لأن الذهاب عن نعيم الجنة يكون على مراتب ابعدها الشرك بالله

قوله تعالى (١١٧) **إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَانَا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا**
(١١٨) **لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَا يُخِذُنْ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا (١١٩) وَلَا ضَلِئْتُمْ وَلَا مَنِئْتُمْ**
وَلَا مَرُنْتُمْ فَلَئِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ فَلْيَغْفِرْ لَنْ خَلَقَ اللَّهُ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا
مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا (١٢٠) يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا
(١٢١) **أُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا (خمس آيات)**

القراءة

القراءة المشهورة إلا إنا وروي في الشواذ عن النبي إلا إنا بالثاء قبل النون والآن بالنون قبل الراء
روتها عائشة وروي عن ابن عباس إلا ونا وإنا بضمين والياء قبل النون وعن عطاء بن ابي رباح إلا إنا
الاء قبل النون وهي ساكنة

الحجة

أما اثنان فجمع وثن واصله وثن قلبت الواو همزة نحو أجوه في وجوه وأعدني وُعد فاما اثنان بسكون
الاء فهو كأسد بسكون السين وأما انا بتقديم النون على الاء فيمكن ان يكون جمع أنهت كقولهم سيف
أنيث الحديد ويمكن ان يكون جمع اناث

اللفظة

المرد والمارد والمترد بمعنى وهو العاتي والخارج عن الطاعة والمتملس منها يقال حائط بمرد اي مملس
وشجرة مرداء تناثر ورقها ومنه سمي من لم تثبت له اللحية امرد اي مملس موضع اللحية ومرد الرجل
يمرد مردا اذا عتا وخرج عن الطاعة واصل اللعن البعد ومنه قيل للطريد العين واصل الفرض القطع والفريضة
الثلمة تكون في النهر والفرض الحز الذي يكون في السواك وغيره يشد فيه الخيط والفرض في القوس الحز
الذي يكون فيه الوتر والفريضة ما امر الله به العباد فجعله حتما عليهم قاطما واما قول الشاعر:

إِذَا أَكَلْتَ سَمَكًا وَفَرَضًا
ذَهَبَتْ طُولًا وَذَهَبَتْ عَرَضًا

فالفرض هنا السمر وانما سمي السمر فرضا لانه يؤخذ في فرائض الصدقة، التبتك، التفتيق والبتك
القطع بكتته أبنته تبتكا والتكة مثل القطة والبتك القطع قال زهير:

حَتَّى إِذَا مَا هَوَتْ كَفَّ النَّوَامُ لَهُ
طَارَتْ وَفِي كَفِّهِ مِنْ رِيْشِهَا بَتَكٌ

والمحيص المعدل يقال حصت عنه أحيص حيصا وحصت أبيض حيصا بمعنى قال

وَلَمْ نَذَرَ أَنْ جِئْنَا عَنِ الْمَوْتِ جَيْبَةً كَمِ الْمَرِّ بَاقٍ وَالْمَدَى مَطَاوِيلٌ^(١)

روي بالفتين

✽ الاعراب ✽

إن على اربعة اوجه ✽ احدها ✽ ان النافية كما في الآية ان يدعون أي ما يدعون ✽ والثاني ✽ ان المخففة من الثقيلة كما في قوله وان كانت لكبيرة ويلزمها لام التأكيد ✽ والثالث ✽ ان الجازمة كما في قوله وإن تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا إذا بدأ ✽ والرابع ✽ ان المزيدة نحو ما ان جاءني زيد وما إن طبتنا جبن ولكن مناياانا ودولة آخربنا^(٢) لعنه الله جملة في موضع النصب بأنها صفة لقوله شيطانا واللام في لا تتخذن وما بعده لام اليمين وإنما يدخل على جواب القسم لأنه المقسم عليه فلي هذا يكون القسم هنا مضمر في الجميع

✽ المعنى ✽

لما ذكر في الآية المتقدمة أهل الشرك وضلالهم ذكر في هذه الآية حالهم وفصلهم فقال (ان يدعون) أي ما يدعون هؤلاء المشركون وما يعبدون (من دونه) أي من دون الله (الإناثا) فيه اقوال «احدها» إلا أوثانا وكانوا يستمون الأوثان باسم الإناث اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى وأساف ونائلة عن ابي مالك والسدي ومجاهد وابن زيد وذكر ابو حمزة الثمالي في تفسيره قال كان في كل واحدة منهن شيطانة اثني تترأى للسنة وتكلمهم وذلك من صنع ابليس وهو الشيطان الذي ذكره الله فقال لعنه الله قالوا واللوات كان اسما لصخرة والعزى كان اسما لشجرة إلا أنهم نقلوها الى الوثن وجعلوها علما عليها وقيل العزى تأنث الأعرز واللوات تأنث لفظ الله وقال الحسن كان لكل حي من العرب وثن يسمونه باسم الأثني «وثانها» ان المعنى الإمواتا عن ابن عباس والحسن وقتادة فلي هذا يكون تقديره ما يعبدون من دون الله إلا جادا ومواتا لا تعقل ولا تنطق ولا تضر ولا تنفع فذل ذلك على غاية جهلهم وضلالهم وسأها إناثا لاعتقاد مشركي العرب الأوثان في كل ما اتضعت منزلته ولأن الإناث من كل جنس اردله وقال الزجاج لأن الموات يخبر عنها بلفظ التأنث تقول الاحجار تعجبني ولا تقول يعجبونني ويجوز ان يكون اناثا سأها لضمفها وقلة خيرها وعدم نصرها «وثانها» ان المعنى إلا ملائكة لأنهم كانوا يزعمون ان الملائكة بنات الله وكانوا يعبدون الملائكة عن الضحاك (وإن يدعون إلا شيطانا مريدا) أي ماردا شديدا في كفره وعصيانه متاديا في شره وطغيانه يسأل عن هذا فيقال كيف نفى في أول الكلام عبادتهم لغير الأوثان ثم اثبت في آخره عبادتهم الشيطان فاثبت في الآخر ما نفاه في الأول أجاب الحسن عن هذا فقال انهم لم يبدوا الا الشيطان في الحقيقة لأن الأوثان كانت مواتا ما دعت احداً الى عبادتها بل الداعي الى عبادتها الشيطان فاضيفت العبادة الى الشيطان بحكم الدعاء والى الأوثان لاجل انهم كانوا يعبدها وبذل عليه قوله تعالى ويوم نحشرهم جميعا ثم تقول للملائكة هؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن اضافت الملائكة عبادتهم الى الجن من قبل ان الجن دعتهم الى عبادة الملائكة وقال ابن عباس كان في كل واحد من اصنامهم التي كانوا يعبدها شيطان مرديد يدعو المشركين الى عبادتها فلذلك حسن اضافة العبادة الى الاصنام والى الشيطان وقيل ليس في الآية اثبات المنفي بل ما

(١) المدى : الغاية والنتهى . (٢) الطين بكسر الطاء وتشديد الباء : الشأن والعادة . (٣) جمع سادن : خادم الكعبة

١ ما يصدون الا الاوثان والالوهة والالوهة هو ابليس (لمنه الله) ابعد الله عن الخير بايجاب الخلود في نار جهنم (وقال) يعني الشيطان لما لعنه الله (لا تتخذن من عبادك نصيبا) اي حظاً (مفروضاً) اي معلوماً عن الضحك وقيل مقدراً محدوداً واصل الاتخاذ اخذ الشيء على وجه الاختصاص فكل من أطاعه فانه من نصيبه وحزبه كما قال سبحانه كتب عليه انه من تولاه فانه يضلّه. وروي ان النبي قال في هذه الآية من بني آدم تسعة وتسعون في النار وواحد في الجنة وفي رواية اخرى من كل الف واحد لله وسائرهم للنار ولا بليس اوردهما ابو حمزة الثمالي في تفسيره ويقال كيف علم ابليس ان له اتباعاً يتابعونه والجواب علم ذلك من قوله لا ملان جهنم منك ومن تبعك وقيل انه لما نال من آدم ما نال طمع في ولده وانما قال ذلك ظناً ويؤيده قوله تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنّه (ولا أضلنهم) هذا من مقالة ابليس يعني لا ضلنهم عن الحق والصواب واضلاله دعاؤه الى الضلال وتسييبه له بمجائله وغروره ووساوسه (ولا منينهم) يعني امنينهم طول البقاء في الدنيا فيؤثرون بذلك الدنيا ونصيبها على الآخرة وقيل معناه اقول لهم ليس وراءكم بئس ولا نشر ولا جنة ولا نار ولا ثواب ولا عقاب فافضلوا ما شئتم عن الكلبي وقيل معناه امنينهم بالاهواء الباطلة الداعية الى المعصية وازين لهم شهوات الدنيا وزهراتها وادعوهم كلاً منهم الى نوع يميل طبعه اليه فاصدّه بذلك عن الطاعة والقيه في المعصية (ولا مرتهم فليبتكن آذان الانعام) تقديره ولا مرتهم بتبتك آذان الانعام فليبتكن أي يشققن آذانهم عن الزجاج وقيل ليقطن الآذان من اصلها وهو المروي عن ابي عبد الله عليه السلام وهذا شيء قد كان مشركو العرب يفعلونه يجذعون آذان الانعام ويقال كانوا يفعلونه بالبحيرة والسائبة وسند ذلك في سورة المائدة ان شاء الله (ولا مرتهم فليغيرن خلق الله) اي لا مرتهم بتغيير خلق الله فليغيرنه واختلف في معناه فقيل يريد دين الله وامره عن ابن عباس وابراهيم ومجاهد والحسن وقتادة وجماعة وهو المروي عن ابي عبد الله عليه السلام ويؤيده قوله سبحانه وتعالى فطره الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله واراد بذلك تحريم الحلال وتحليل الحرام وقيل اراد معنى الخصاص عن عكرمة وشهر بن حوشب وابي صالح عن ابن عباس وكرهوا الاخصاء في البهائم وقيل انه الوشم عن ابن مسعود وقيل انه اراد الشمس والقمر والحجارة عدلوا عن الانتفاع بها الى عبادتها عن الزجاج (ومن يتخذ الشيطان ولياً) اي ناصرراً وقيل رباً يطبعه (من دون الله فقد خسر خسرانا مبيناً) اي ظاهراً وائياً خسران اعظم من استبدال الجنة بالنار وائياً صفة اخسر من استبدال رضا الشيطان برضا الرحمن (يعدم) الشيطان ان يكون لهم ناصرراً (ويمينهم) الأكاذيب والأباطيل وقيل معناه يعدم الفقر ان انفقوا مالهم في ابواب البر ويمينهم طول البقاء في الدنيا ودوام النعيم فيها ليوثروها على الآخرة (وما يعدم الشيطان الا غروراً) اي لا يكون لما يعدم ويمينهم اصل وحقبة والغرور ايهام النفع فيما فيه ضرر (او تلك) اشارة الى الذين اتخذوا الشيطان ولياً من دون الله فاعثروا بفروره وتابعوه فيما دعاهم اليه (ماؤام) مستقرهم جميعاً (جهنم ولا يجدون عنها محيصاً) اي مخلصاً ولا مهرباً ولا معدلاً

قوله تعالى (١٢٢) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا (آية)

قد مر تفسير صدر الآية في هذه السورة وقوله ومن اصدق من الله قبلاً ومن اصدق من الله حديثاً ونحوه بإشمام الزاي كوفي غير عاصم ورويس والباقون بالصاد وقد ذكرنا الوجه عند ذكر الصراط في الفاتحة وقوله وعد الله نصب على المصدر وتقديره وعد الله ذلك وعدا فهو مصدر دل معنى الكلام الذي تقدم على فعله الناصب له وحققاً ايضاً مصدر مؤكداً لما قبله كأنه قال احق حقا وقبلاً منصوب على التمييز كما يقال هو اكرم منك فعلاً ومعناه وعد الله ذلك وعدا حقا لا خلف فيه (ومن اصدق) استفهام فيه معنى النفي اي لا احد اصدق من الله قولاً فيما اخبره ووعداً فيما وعده

قوله تعالى (١٢٣) لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَى بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (١٢٤) وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظَلَّمُونَ نَقِيرًا (آياتان)

✽ القراءة ✽

يدخلون الجنة بضم الياء هناك وفي مريم وحم مكى بصري وابوجعفر وابوبكر والباقون يدخلون بفتح الياء وضم الخاء

✽ الحجة ✽

حجة من قرأ يدخلون قوله ادخلوا الجنة ادخلوها بسلام آمنين ومن قرأ يدخلون فلائهم لا يدخلونها حتى يدخلوها

✽ اللفظة ✽

الأماني جمع امنية وهي تقدير الأمن في النفس على جهة الاستمتاع به ووزن امنية افعولة من المنية واصله التقدير يقال مئى له الماني اي قدر له المقدر ومنه سميت المنية وهي فعيلة اي مقدرة والتقدير النكته في ظهر النواة كأن ذلك نقر فيه

✽ الاعراب ✽

اسم ليس مضمير لدلالة الكلام عليه والتقدير ليس الامر بأمانيتكم اي ليس الثواب بأمانيتكم ولا يجزم مجزوم عطفاً على الجزاء لا على الشرط وهو قوله يجوز والوقف عند قوله اهل الكتاب وقف تام ثم استئناف الخبر بعدها بمن يعمل ومن موضعه رفع بالابتداء على ما تقدم ذكر امثاله ومن في قوله من الصالحات مزيدة وقيل هو للتبعيض لأن العبد لا يطبق جميعها وقيل انه لتبيين الجنس وقال وهو مؤمن فوحد ثم قال فأولئك يدخلون الجنة فجمع لأن من اسم مبهم موحد اللفظ مجموع المعنى فيعود الضمير اليه مرة على اللفظ ومرة على المعنى

✽ النزول ✽

قيل تفاخر المسلمون واهل الكتاب فقال اهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم ونحن اولى بالله منكم فقال المسلمون نبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضي على الكذب وديننا الاسلام فنزلت الآية فقال اهل الكتاب نحن وانتم سواء فأنزل الله الآية التي بعدها ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى وهو مؤمن ففعلح المسلمون عن قتادة والضحاك وقيل لما قالت اليهود نحن ابناء الله واجباؤه وقال اهل الكتاب لن يدخل الجنة الا من كان هوداً او نصارى نزلت الآية عن مجاهد

﴿ المعنى ﴾

لما ذكر سبحانه الوعد والوعيد قال عقيب ذلك (ليس بأمانتكم) معناه ليس الثواب والعقاب بأمانتكم ايها المسلمون عن مسروق والسدي وقيل الخطاب لاهل الشرك من قريش لانهم قالوا لا نبث ولا نعذب عن مجاهد وابن زيد (ولا امانى اهل الكتاب) اي ولا بأمانى اهل الكتاب في انه لا يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وهذا يقوي القول الاخير على انه لم يجر للمسلمين ذكر في الأمانى وذكر امانى الكفار قد جرى في قوله ولا منينهم هذا وقد وعد الله المؤمنين فيما بعد بما هو غاية الأمانى (من يعمل سوءاً يجزيه) اختلف في تأويله على اقوال **﴿احدها﴾** انه يريد بذلك جميع المعاصي صفاتها وكبائرها وان من ارتكب شيئاً منها فإن الله سبحانه يجازيه عليها إماماً في الدنيا وإماماً في الآخرة عن عائشة وقادة ومجاهد وروى عن ابي هريرة انه قال لما نزلت هذه الآية بكينا وحرنا وقلنا يا رسول الله ما أبقت هذه الآية من شيء فقال اما والذي نفسي بيده انها لكما انزلت ولكن ابشروا وقاربوا وسددوا انه لا نصيب احداً منكم مصيبة الا كفر الله بها خطيئته حتى الشوكة يشاكها احدكم في قدمه رواه الواحدى في تفسيره مرفوعاً وقال القاضي ابو عاصم القارى العامري في "هذا قطع لتوهم من توهم ان المعصية لا تضر مع الإيمان كما ان الطاعة لا تنفع مع الكفر **﴿وثانيها﴾** ان المراد به مشركو قريش واهل الكتاب عن الحسن والضحاك وابن زيد قالوا وهو ككوله وهل يجازى الا الكفور «وثالثها» ان المراد بالسوء هنا الشرك عن ابن عباس وسعيد بن جبير (ولا يجذله من دون الله ولياً ولا نصيراً) معناه ولا يجد هذا الذي يعمل سوءاً من معاصي الله وخلاف امره ولياً يلى امره ينصره ويحامي عنه ويدفع عنه ما ينزل به من عقوبة الله ولا نصيراً أي ناصرراً ينصره وينجبه من عذاب الله ومن استدل بهذه الآية على المنع من جواز العفو عن المعاصي فإننا نقول له ان من ذهب الى ان العموم لا ينفرد في اللغة بصيغة مختصة به لا يسلم انها تستغرق جميع من فعل السوء بل يجوز ان يكون المراد بها بعضهم على ما ذكره اهل التأويل كابن عباس وغيره على انهم قد اتفقوا على ان الآية مخصوصة فإن النائب ومن كانت معصيته صغيرة لا يشاؤله العموم فاذا جاز لهم ان يخصصوا العموم في الآية بالفرقين جاز لنا ان نخصها بمن يفضل الله عليه بالمعفو وهذا بين والحمد لله وقوله سبحانه (ومن يعمل من الصالحات من ذكرا وانثى وهو مؤمن) وانما قال وهو مؤمن ليبين ان الطاعة لا تنفع من دون الإيمان (فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون تقيراً) وعد الله تعالى بهذه الآية جميع المكلفين من الرجال والنساء اذا عملوا الاعمال الصالحة اي الطاعات الخالصة وهم مؤمنون موحدون مصدقون نبيته بأن يدخلهم الجنة ويثبتهم فيها ولا يبخلهم شيئاً مما يستحقونه من الثواب وان كان مقدار تقير في الصغر وقد قابل سبحانه الوعيد العام في الآية التي قبل هذه الآية بالوعد العام في هذه الآية ليقف المؤمن بين الخوف والرجاء

(قوله تعالى) (١٢٥) وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ
وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَأَتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا (١٢٦) وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا (آيَاتان)

* اللغة *

الخليل مشتق من الخلة بضم الخاء التي هي المحبة او من الخلة بفتح الخاء التي هي الحاجة وانما استعمل بمعنى الصداقة لأن كل واحد من المتصادقين يدخل صاحبه وقيل لأن كل واحد منهما يطلع صاحبه على اسراره فكانه في خلل قلبه وانما استعمل في الحاجة للاختلال الذي يلحق الفقير فيما يحتاج اليه ومنه قول زهير

وَإِنْ أَنَا خَلِيلٌ يَوْمَ مَسْغَبَةٍ يَقُولُ لَا غَائِبٌ مَالِي وَلَا حَرَمٌ (١)

وقال الازهري الخليل الذي خصص بالمحبة يقال دعا فلان فخلل اي خصص

* الاعراب *

دينا منصوب على التمييز وهو ما انتصب بعد تمام الاسم وقوله وهو محسن جملة في موضع النصب على الحال وكذلك قوله وهو مؤمن في الآية التي قبل وحنيفا منصوب على الحال وذو الحال الضمير في اتبع والمضمر هو النبي (ص) ويجوز ان يكون حنيفا حالا من ملة ابراهيم وكان حقه ان يكون فيه الهاء لأن فيلا اذا كان بمعنى فاعل للمؤنث تثبت فيه الهاء الا انه قد جاء مجيء ناقة سديس وريح حريق ويجوز ان يكون حالا من ابراهيم والحال من المضاف اليه عزيز وقد جاء ذلك في الشعر قال النابغة

قَالَتْ بَنُو عَامِرٍ خَالُوا بَنِي أَسَدٍ يَا بُوْسَ لِلْجَهْلِ ضَرَارٌ أَلَا قَوَامٌ

اي يا بوس الجهل ضرار أو اللام مقمحة لتوكيد الاضافة وخليلا مفعول ثان لاتخذ

* المعنى *

ثم بين سبحانه من يستحق الوعد الذي ذكره قبل فقال (ومن احسن دينا) وهو في صورة الاستفهام والمراد به التقرير ومعناه من اصوب طريقا واهدى سبيلا اي لا احد احسن اعتقادا (ممن اسلم وجهه لله) اي استسلم وجهه والمراد بقوله وجهه هنا ذاته ونفسه كما قال تعالى كل شيء هالك الا وجهه والمعنى اتقاد لله سبحانه بالطاعة ولنتيجه (ص) بالتصديق وقيل معنى اسلم وجهه لله قصدته بالمباداة وحده كما اخبر عن ابراهيم (ع) انه قال وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَقِيلَ مَعْنَاهُ اِخْلَصَ اَعْمَالَهُ لِلَّهِ اَيِ اتَى بِهَا مَخْلَصًا لِلَّهِ فِيهَا (وهو محسن) اية فاعل للفعل الحسن الذي امره الله تعالى وقيل معناه وهو محسن في جميع اقواله وافعاله وقيل ان المحسن هنا الموحد وروي ان النبي (ص) سئل عن الاحسان فقال ان تصد الله تعالى كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك (واتبع ملة ابراهيم) اي اقتدى بدينه وسيرته وطريقته يعني ما كان عليه ابراهيم وأمر به بنيه من بعده واوصاهم به من الاقارب بتوحيده وعدله وتنزيهه عما لا يليق به ومن ذلك الصلاة الى الكعبة والطواف حولها وسائر المناسك (حنيفا) اية مستقيما على منهاجه وطريقه وقد مر معنى الحنيف في سورة البقرة (واتخذ الله ابراهيم خليلا) اي محبا لا خلل في مودته لجمال خلقه والمراد بخلته الله انه كان موابيا لا وليا لله ومعاديا لاعداء الله والمراد بخلته الله تعالى له نصرته على من اراده بسوء كما انقذه من نار نمرود وجعلها عليه بردا وسلاما وكما فعله بملك مصر حين راوده عن اهله وجعله اماما للناس وقدوة لهم قال الزجاج جازان يكون سمي خليل الله بانه الذي احبه الله بان اصطفاه محبة تامة كاملة واحب الله هو محبة تامة كاملة وقيل سمي خليلا لانه افتقر الى الله وتوكل عليه وانقطع بموآبجه اليه وهو اختيار الفراء وابي القاسم البلخي وانما خصه الله بهذا الاسم وان كان الخلق كلهم فقراء الى رحمته تشرهفاله بالنسبة اليه من حيث انه فقير اليه لا يرجو لسد

(١) المسغبة : المجاعة . والحرم ككتف : الياس والقنوط اي ليس عندي حرمان او بمعنى محروم وهو عطف على غائب

خلته سواء كما خصَّ موسى بانه كليم الله وعيسى بانه روح الله ومحمد بانه حبيب الله وقيل إنما سمي خليلاً لأنه سبحانه خصَّه بما لم يخصَّ به غيره من انزال الوحي عليه وغير ذلك من خصائصه وإنما خصَّه من بين سائر الأنبياء بهذا الاسم على المعنيين اللذين ذكرناهما وان كان كل واحد من الأنبياء خليل الله في زمانه لانه سبحانه خصَّهم بالنبوة وقد روي عن النبي (ص) انه قال قد اتخذ الله صاحبكم خليلاً يعني نفسه وهذا الوجه اختيار أبي علي الجبائي قال وكل ما تبدل الله به ابراهيم فقد تبدَّ به نبينا (ص) وزاده أشياء لم يتمد بها ابراهيم (ص) ومما قيل في وجه خلة ابراهيم ما روي في التفسير ان ابراهيم كان يضيف الضيفان ويطعم المساكين وان الناس اصابهم جُذب فارتحل ابراهيم الى خليل له بمصر يلتبس منه طعاماً لأهله فلم يصب ذلك عنده فلما قرب من اهله بمغارة ذات رمل لينة فلأ غرائره من ذلك الرمل لثلاثا لئتم اهله برجوعه من غير مبرة فعوَّل الله ما في غرائره دقيقتاً فلما وصل الى اهله دخل البيت ونام استحياء منهم ففتحوا النرائر وعجنوا من الدقيق وخبزوا وقدموا اليه طعاماً طيباً فسألهم من اين خبزوا قالوا من الدقيق الذي جئت به من عند خليلك المصري فقال أما انه خليلي وليس بمصري فسأه الله سبحانه خليلاً رواه علي بن ابراهيم عن ابيه عن هارون بن مسلم عن مسعدة بن صدقة عن ابي عبد الله (ع) ثم بيَّن سبحانه أنه إنما اتخذ ابراهيم خليلاً لطاعته ومساعدته الى رضاه لا حاجة منه سبحانه الى خلته فقال (ولله ما في السموات وما في الأرض) ملكاً ومليكا فهو مستغن عن جميع خلقه والخلق محتاجون اليه (وكان الله بكل شيء محيطاً) يعني لم يزل سبحانه عالماً بجميع ما يفعله عباده ومعنى المحيط بالشيء انه العالم به من جميع وجوهه

قوله تعالى (١٢٧) وَهَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يَفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يَتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي بَيِّنَاتٍ لِيُنزِلَ فِيهَا لِلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ نُهْنًا مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَرَغْبُونَ أَنْ تَكْفُرُوا بِهِنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْيَوْلَدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا (آية)

✽ اللفظة ✽

الاستفتاء والاستفتاء بمعنى واحد يقال فاتتته وقاضيته قال الشاعر

تَعَالَوْا نَفَاتِيكُمْ أَغْنِيَا وَفَقَّعَسْ إِلَى الْمَجْدِ أَدْنَى أُمَّ عَشِيرَةَ حَاتِمِ (٣)

هكذا انشده الحسن بن علي المغربي وهو استعمال من الفتيا وهو الفتوى وافتي في المسألة بين حكمها

﴿ الإعراب ﴾

وما يتلى عليكم موضعه رفع بالابتداء تقديره الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب ايضاً يفتيكم فيهن وقال الفراء يجوز ان يكون موضعه محطفاً على المضمر المجرور في فيهن وهذا بعيد لأن الظاهر لا يحسن عطفه على الضمير المجرور وقيل يجوز ان يكون عطفاً على النساء في قوله ويستفتونك في النساء أي ويستفتونك فيما يتلى عليكم وفي المستضعفين قال الواحدي قوله في يتامى النساء قيل ان تقديره في النساء يتامى فأضيفت الصفة الى الموصوف نحو قولك كتاب الكامل ومسجد الجامع ويوم الجمعة وهذا قول الكوفيين وعند المحققين لا يجوز اضافة الصفة الى الموصوف بل النساء هنا مهات يتامى أضيف اليهن اولادهن واقول يجوز ايضاً ان يضاف يتامى الى النساء اذا كنَّ من جملتهن فيكون الاضافة بمعنى من كما يقال خيار النساء

(١) العزائم جمع العزارة : الجوالق . (٢) البيرة : الطعام الذي يدخره الانسان (٣) اعباء و فقه ابن طريف بن عمرو : اسنان علمان . (٤) وفي الصحاح : قال حريث بن عتاب التيهاني « تعالوا فاشركم اأهيا اه » .

وشرار النساء وصغار النساء وهذا اشبه بما ينساق اليه معنى الآية والمستضعفين جر عطفًا على يتامى النساء وان تقوموا لليتامى بالقسط في موضع جر ابيض والتقدير وما يتلى عليكم من الآيات في يتامى النساء وفي المستضعفين وفي ان تقوموا لليتامى بالقسط يفتيكم الله فيهن

المعنى

ثم عاد كلام الله تعالى الى ذكر النساء والايام وقد جرى ذكرهم في اول السورة فقال (ويستفتونك) أي يسألونك الفتوى وهو تبين المشكل من الاحكام (في النساء) ويستخبرونك يا محمد عن الحكم فهن وعما يجب لهن وعليهن وانما حذف ذلك لاجابة العلم بأن السؤال في امر الدين انما يقع عما يجوز وعما لا يجوز وعما يجب وعما لا يجب (قل الله يفتيكم فيهن) معناه قل يا محمد يبين لكم ما سألتهم في شأنهن (وما يتلى عليكم في الكتاب) أي ويفتيكم ايضا ما يقرأ عليكم في الكتاب أي القرآن وتقديره وكتابه يفتيكم أي يبين لكم الفرائض المذكورة (في يتامى النساء) أي الصغار (اللاتي) لم يلفظن وقوله اللاتي (لا توتونهن) أي لا تعطونهن (ما كتب لهن) واختلف في تأويله على اقوال **اولها** ان المعنى وما يتلى عليكم في توريث صغار النساء وهو آيات الفرائض التي في اول السورة وكان أهل الجاهلية لا يورثون المولود حتى يكبر ولا يورثون المرأة وكانوا يقولون لا نورث الا من قاتل ودفع عن الحرم فأنزل الله آية الموارث في اول السورة وهو معنى قوله لا توتونهن ما كتب لهن أي من الميراث من ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وهو المروي عن ابي جعفر (ع) **وثانيها** ان المعنى اللاتي لا توتونهن ما وجب لهن من الصداق وكانوا لا يوتون ليتامى اللاتي يكون لهن من الصداق فعنى الله عن ذلك بقوله فإن خفتم الا تقسطوا في اليتامى فانكحوا من غيرهن ما طاب لكم وقوله وما يتلى عليكم هو ما ذكره في اول السورة من قوله وان خفتم الا تقسطوا الآية عن عايشة وهو اختيار ابي علي الجبائي واختار الطبري القول الأول واعترض على هذا القول بأن قال ليس الصداق مما كتب الله للنساء الا بالنكاح فمن لم تنكح فلا صداق لها عند احد **وثالثها** ان المراد بقوله لا توتونهن ما كتب لهن النكاح الذي كتب الله لهن في قوله وانكحوا الأيامى الآية فكان الولي يمنهن من التزويج عن الحسن وقتادة والسدي وابي مالك وابراهيم قالوا كان الرجل يكون في حجره البتية بها دمامة^(١) ولها مال وكان يرغب عن ان يتزوجها ويحبسها طمع ان تموت فيرثها قال السدي وكان جابر بن عبد الله الانصاري له بنت عم عمياء دميمة وقد ورثت عن أبيها ما لافكان جابر يرغب عن نكاحها ولا ينكحها مخافة ان يذهب الزوج بما لها فسأل النبي عن ذلك فنزلت الآية وقوله (وترغبون ان تنكحوهن) معناه على القول الاول والثالث وترغبون عن ان تنكحوهن أي عن نكاحهن ولا توتونهن نصيهن من الميراث فيرغب فيهن غيركم فقد ظلموهن من وجهين وفي قول عائشة معناه وترغبون في ان تنكحوهن أي في نكاحهن لجمالهن او لملهن (والمستضعفين من الولدان) معناه ويفتيكم في المستضعفين من الصبيان الصغار ان تعطوهم حقوقهم وكانوا لا يورثون صغيرا من الصلمان ولا من الجهاديين لأن ما يتلى عليكم في باب اليتامى من قوله وآتوا اليتامى اموالهم يدل على الفتيا في اعطاء حقوق الصغار من الميراث (وان تقوموا لليتامى بالقسط) أي ويفتيكم في ان تقوموا لليتامى بالقسط في انفسهم وفي موارثهم واموالهم وتصرفاتهم واعطاء كل ذي حق منهن حقه صغيرا كان او كبيرا ذكرا كان او انثى وفيه إشارة الى قوله سبحانه وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى

الآية (وماتفعلوا من خير) أي معهما فعلتم من خير أيها المؤمنون من عدل وبر في أمر النساء واليتامى واتهيتهم في ذلك الى امر الله وطاعته (فإن الله كان به عليا) أي لم يزل به عالما ولا يزال كذلك يجازيكم به ولا يضيع عنده شيء منه

قوله تعالى (١٢٨) وَإِنْ أُمَّرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهَا أَنْ يُصَلِّحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (آية)

✽ القراءة ✽

قرأ أهل الكوفة ان يُصَلِّحَا بضم الياء وكسر اللام وسكون الصاد والباقون يَصَالِحَا بتشديد الصاد وفتح الياء واللام

✽ الحجة ✽

الاعرف في الاستعمال يَصَالِحًا وزعم سيبويه ان بعضهم قرأ يَصَلِّحًا فَيَصَلِّحًا وافتعل وتفاعل بمعنى ولذلك صحت الواو في اجْتَوَرُوا وَاِعْتَوَرُوا لما كان بمعنى تجاوروا وتماوروا فهذا حجة لمن قرأ ان يَصَالِحًا ومن قرأ يَصَلِّحًا فإن الاصلاح عند التنازع قد استعمل كما في قوله سبحانه فاصلح بينهم وقوله صلحا يكون مفعولا على قراءة من قرأ يَصَلِّحًا كما تقول اصلحت ثوبا ومن قرأ يَصَالِحًا فيجوز ان يكون صلحا مفعولا ايضا لان تفاعل قد جاء متعديا ويجوز ان يكون مصدرا حذفت زوائده كما قال ✽ فَإِنَّ تَهْلِكَ فَذَلِكَ كَانَ قَدْرِي ✽ اي تقديري ويجوز ان يكون قد وضع المصدر موضع الاسم كما وضع الاسم موضع المصدر في نحو قوله (بَاكَرَتْ حَاجَتَهَا الدَّجَاجُ بِسِحْرَةٍ) وقوله (وَبَعْدَ عَطَاكَ الْمِائَةَ الرِّتَاعَا) ✽

✽ اللفظ ✽

النشوز مر ذكره في هذه السورة والشح افراط في الحرص على الشيء ويكون بالمال وبغيره من الاعراض يقال هو شحيح بمودتك اي حريص على دوامها ولا يقال في ذلك بخيل والبخل يكون بالمال خاصة قال الشاعر

لَقَدْ كُنْتُ فِي قَوْمٍ عَلَيْكَ أَشْحَةٌ يَفْقِدُكَ إِلَّا أَنَّ مَنْ طَاحَ طَائِحٌ^(١)
يُودُونَ لَوْ خَاطُوا عَلَيْكَ جُلُودَهُمْ وَهَلْ يَدْفَعُ الْمَوْتَ النَّفُوسَ الشَّحَائِحُ

✽ الاعراب ✽

وان امرأة خافت امرأة ارتفعت بفعل مضمر يفسره الفعل الظاهر بعدها وهو اضمار قبل الذكر على شريطة التفسير وتقديره وان خافت لو قلت ان امرأة تحف ففرقت بين ان الجزاء والفعل المستقبل فذلك قبيح لان ان لا يفصل بينها وبين ما تجزم ذلك في الشر جاز في ان غيرها قال الشاعر

فَتَى وَأَغْلَى يَنْبَهُمْ يُحْيَوُ هُ وَتُعْطَفُ عَلَيْهِ كَأْسُ السَّاقِي^(٢)

فأما الماضي فإن غير عاملة في لفظه وان لم تكن من حروف الجزاء فجاز ان يفرق بينها وبين الفعل فأما غير ان فالفصل يقبح فيه مع الماضي والمستقبل جميعا

✽ النزول ✽

كانت بنت محمد بن سلمة عند رافع بن خديج وكانت قد دخلت في السن وكانت عنده امرأة شابة سواها

(١) اي يكورد الدجاج . (٢) الرتاع ككتاب جمع راتع من الرتع وهو الاكل والشرب على قدر ما يشاء في سعة وخصب وهو صفة المائة والشاهد في العطاء فانه اسم مصدر وضع موضع المصدر وهو الاعطاء . (٣) طاح : هلك (٤) امرأة خافت (٥) الواغل : الذي يدخل على القوم في طامهم وشرابهم من غير ان يدعو اليه اي فتى ينزلهم واغل يجوه اهـ

فطلقتها تطليقة حتى اذا بقي من اجلها يسير قال ان شئت راجعتك وصبرت على الاثرة وان شئت تركتك
قالت بل راجعتني واصبر على الاثرة فراجعتها فذلك الصلح الذي بلغنا ان الله تعالى انزل فيه هذه الآية عن ابي
جعفر وسعيد بن المسيب وقيل خشيت سودة بنت زمعة ان يطلقها رسول الله فقالت لا تطلقني واجلسني مع
نساءك ولا تقسم لي واجعل يومي لعائشة فنزلت الآية عن ابن عباس

﴿ المعنى ﴾

لما تقدم حكم نشوز المرأة بين سبحانه تعالى نشوز الرجل فقال (وان امرأة خافت) أي علمت وقيل
ظنت (من بعلها) أي من زوجها (نشوزا) أي استعلاء وارتفاعا بنفسه عنها الى غيرها إما بغضه واما لكرهته
منها شيئا إما مدامتها واما علو سننها او غير ذلك (او اعراضا) يعني انصرافا بوجهه او ببعض منافعه التي كانت لها
منه وقيل يعني باعراضه عنها هجرانه اياها وجفائها وميله الى غيرها (فلا جناح عليهما) أي لا حرج ولا اثم على كل
واحد منهما من الزوج والزوجة (ان يصلحا بينهما صلحا) بان تترك المرأة له يومها او تضع عنه بعض ما يجب
لهامن نفقة او كسوة او غير ذلك لتستعطفه بذلك وتستديم المقام في جلاله والصلح خير معناه (والصلح) بترك
بعض الحق (خير) من طلب الفرقة بعد الألفة هذا اذا كان بطيية من نفسها فإن لم يكن كذلك فلا يجوز
له إلا ما يسوغ في الشرع من القيام بالكسوة والنفقة والقسمة والا طلقها وبهذه الجملة قالت الصحابة
والتابعون منهم علي وابن عباس وعائشة وسعيد بن جبير وقتادة ومجاهد وغيرهم (واحضرت الانفس الشح)
اختلف في تأويله فقيل معناه واحضرت انفس النساء الشح على انصباهن من انفس ازواجهن واموالهن واهلهم
منهم عن ابن عباس وسعيد بن جبير وعطاء والسدي وقيل معناه واحضرت انفس كل واحد من الرجل
والمرأة الشح بحقه قبل صاحبه فشح المرأة يكون بترك حقها من النفقة والكسوة والقسمة وغيرها وشح الرجل
بانفاقه على التي لا يريد ها وهذا انتم وبه قال ابن وهب وابن زيد (وان تحسنا) خطاب للرجال أي إن
تفعلوا الجميل بالصبر على ما تكره من النساء (وتتقوا) من الجور عليهن في النفقة والكسوة والعشرة
بالمعروف وقيل ان تحسنا في اقوالكم وافعالكم وتتقوا معاصي الله (فإن الله كان بآعمالكم خبيرا) أي هو
سبحانه خبير بما يكون منكم في أمرهن بحفظه لكم وعليكم حتى يجازيكم بأعمالكم

قوله تعالى (١٢٩) وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ
الْمِيلِ فَتَدْرُوهَا كَالْمُلْقَةِ وَإِنْ نُصَلِحُوا وَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (١٣٠) وَإِنْ
يَتَفَرَّقَا مِنْ أَلْفٍ مِنْ سَعَةٍ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا (آبتان)

﴿ اللفظة ﴾

الاستطاعة والقوة والقدرة نظائر والسعة خلاف الضيق والواسع في صفات القديم اختلف في معناه وقيل
انه واسع المعطاء أي المكرمة وقيل هو واسع الرحمة ويؤيده قوله تعالى ورحمتي وسعت كل شيء وقيل انه واسع المقذور

﴿ المعنى ﴾

لما تقدم ذكر النشوز والصلح بين الزوجين عقبه سبحانه بأنه لا يكلف من ذلك ما لا استطاع فقال (ولن

→ (٦) وفي نسخة مخطوطة «وان ام حروف الجزاء» بدل «وان لم تكن من حروف الجزاء» .
(١) الاثرة : الاختيار اي اختياري للمرأة الشابة و قد يبي اياها عليك . (٢) وفي المخطوطة «الكثرت منه» بدل
«الكريمة» وهو الظاهر .

تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم) أي لن تقدروا أن تسوّوا بين النساء في المحبة والمودة بالقلب ولو حرصتم على ذلك كل الحرص فإن ذلك ليس اليكم ولا تملكونه فلا تكلفونه ولا تؤاخذون به عن ابن عباس والحسن وقتادة وقبل معناه لم تقدروا ان تعدلوا بالتسوية بين النساء في كل الأمور من جميع الوجوه من النفقة والكسوة والمطية والمسكن والصحبة والبرّ والشر وغير ذلك والمراد به أن ذلك لا يخفف عليكم بل ينقل ويشق لمهلككم الى بعضهن (فلا تملوا كل الميل) أي فلا تعدلوا بأهوائكم عن من لم تملكوا محبة منهن كل المدول حتى يحملكم ذلكم على ان تجوروا على صواحبه في ترك اداء الواجب لهن عليكم من حق القسمة والنفقة والكسوة والعشرة بالمعروف (فتذروها كالمعلقة) أي تذرّوا التي لا تملون اليها كالتي هي لا ذات زوج ولا أيتّم عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وغيرهم وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله وذكر علي بن ابراهيم في تفسيره انه سأل رجل من الزنادقة ابا جعفر الاحول عن قوله سبحانه فان خفتن الا تعدلوا فواحدة ثم قال ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم وبين القولين فرق قال فلم يكن عندي جواب في ذلك حتى قدمت المدينة قد دخلت على ابي عبد الله (ع) فسألته عن ذلك فقال اما قوله فإن خفتن الا تعدلوا فإنه عنى في النفقة وأما قوله ولن تستطيعوا ان تعدلوا فإنه عنى في المودة فإنه لا يقدر احد ان يعدل بين امرأتين في المودة قال فرجعت الى الرجل فاخبرته فقال هذا ما حملته من الحجاز وروى ابو قلابة عن النبي (ص) انه كان يقسم بين نسائه ويقول اللهم هذه قسمتي فيما املك فلا تلمني فيما تملك ولا املك قوله (وان تصلحوا) يعني في القسمة بين الأزواج والتسوية بينهن في النفقة وغير ذلك (وتتقوا) الله في امرهن وتتركوا الميل الذي نهاكم الله عنه في تفضيل واحدة على الأخرى (فان الله كان غفوراً رحيماً) يستر عليكم ما مضى منكم من الحيف في ذلك اذا تبتم ورجعتم الى الاستقامة والتسوية بينهن ويرحمكم بترك المؤاخذة على ذلك وكذلك كان يفعل فيما مضى مع غيركم وروى عن جعفر الصادق (ع) عن آبائه ان النبي (ص) كان يقسم بين نسائه في مرضه فيطاف به بينهن وروى ان علياً كان له امرأتان فكان اذا كان يوم واحدة لا يتوضأ في بيت الأخرى وكان معاذ بن جبل له امرأتان مائتا في الطاعون فافرح بينهما ابهما تدفن قبل الأخرى وقوله (وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته) يعني اذا ابي كل واحد من الزوجين مصلحة الآخر بان تطالب المرأة بصيبتها من القسمة والنفقة والكسوة وحسن العشرة ويمتنع الرجل من اجابتها الى ذلك ويتفرقا حينئذ بالطلاق فإنه سبحانه يقضي كل واحد منهما من سعته أي من سعة فضله ورزقه (وكان الله واسعاً حكيماً) أي لم يزل واسع الفضل على العباد حكيماً فيما يدبرهم به وفي هذه الآية دلالة على ان الارزاق كلها بيد الله وهو الذي يتولاها بحكمته وان كان ربما اجراها على يدي من يشاء من برئته

قوله تعالى (١٣١) **وَلِلّٰهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِيْنَ اٰتٰنَا الْكِتٰبَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَاٰبَاكُمْ اَنْ اَتَّقُوا اللّٰهَ وَاِنْ تَكْفُرُوْا فَاِنَّ اللّٰهَ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ وَكَانَ اللّٰهُ غَنِيًّا حَمِيْدًا (١٣٢)** **وَلِلّٰهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ وَكَفِيَ بِاللّٰهِ وَكَيْلًا (اٰبَانَ)**

✽ المعنى ✽

ثم ذكر سبحانه بعد اخباره باغناء كل واحد من الزوجين بعد الافتراق من سعة فضله ما يوجب الرغبة اليه في ابتغاء الخير منه فقال (والله ما في السموات وما في الارض) اخباراً عن كمال قدرته وسعة ملكه اي فإن من يملك ما في السموات وما في الارض لا يتعذر عليه الاغناء بعد الفرقة والابتناس بعد الوحشة ثم ذكر الوصية بالتقوى فان بها ينال خير الدنيا والآخرة فقال (ولقد وصينا الذين اتوا الكتاب من قبلكم) من اليهود والنصارى

وغيرهم (واياكم) أي واوصيناكم ايها المسلمون في كتابكم (ان اتقوا الله) وتقديره بان اتقوا الله اي اتقوا عقابه باتقاء معاصيه ولا تخالفوا امره ونهيه (وان تكفروا) اي تجحدوا وصيته اياكم وتخالفوها (فان الله ما في السماوات وما في الارض) لا يضره كفرانكم وعصيانكم وهذه اشارة الى ان امره جميع الامم بطاعته ونهيه اياهم عن معصيته ليس استكثاراً بهم عن قلة ولا استنصاراً بهم عن ذلة ولا استغناء بهم عن حاجة فلان له ما في السماوات وما في الارض ملكاً وملكاً وخلقاً لا يلحقه العجز ولا يعتربه الضعف ولا تجوز عليه الحاجة وانما أمرنا ونهانا نعمة منه علينا ورحمة بنا (وكان الله غنياً) اي لم يزل سبحانه غير محتاج الى خلقه بل الخلائق كلهم محتاجون اليه (حميداً) اي مستوجباً للحمد عليكم بصنائه الحميدة اليكم والآله الجميلة لديكم فاستدبوا ذلك باتقاء معاصيه والمساورة الى طاعته فيما يأمركم به ثم قال (ولله ما في السماوات وما في الارض وكفى بالله وكفياً) أي حافظاً لجميعه لا يعزب عنه علم شيء منه ولا يؤوده حفظه وتدييره ولا يحتاج مع سعة ملكه الى غيره واما وجه التكرار لقوله والله ما في السماوات وما في الارض في الآيتين ثلاث مرات فقد قيل انه للتأكيد والتذكير وقيل انه للابانة عن علل ثلاث (احدها) بيان إيجاب طاعته فيما قضى به لان له ملك السماوات والارض (والثاني) بيان غناه عن خلقه وحاجتهم اليه واستحقاقه الحمد على النعم لأن له ما في السماوات وما في الارض (والثالث) بيان حفظه اياهم وتدييره لهم لأن له ملك السماوات والارض

قوله تعالى (١٣٣) **إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ قَدِيرًا**
(١٣٤) **مَنْ كَانَ يُرِيدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا** (آياتان)

المعنى *

لما ذكر سبحانه غناه عن الخلق بأن له ملك السماوات والأرض عقب ذلك بذكر كمال قدرته على خلقه وان له الاهلاك والانباء والاستبدال بعد الافناء فقال (ان يشأ يذهبكم) يعني ان يشأ الله يهلككم (أيها الناس) ويُفنيكم وقيل فيه محذوف أي ان يشأ ان يذهبكم بذهبكم ايها الناس (ويأت بآخرين) أي يقوم آخريين غيركم ينصرون نبيهم ويوازرهم روى انه لما نزلت هذه الآية ضرب النبي يده على ظهر سلمان وقال هم قوم هذا يعني عجم الفرس (وكان الله على ذلك قديرًا) أي يزل ما يشاء من السماوات والارض والانس والامم عادة ثم ذكر سبحانه عظم ملكه وقدرته بأن جزاء الدارين عنده فقال (من كان يريد ثواب الدنيا) اي الغنيمة والمنافع الدنيوية اخبر سبحانه عن اظهر الايمان بمحمد (ص) من أهل الميثاق يريد عرض الحياة الدنيا باظهار ما اظهره من الايمان بلسانه (فصداً الله ثواب الدنيا والآخرة) اي يملك سبحانه الدنيا والآخرة فيطلب المجاهد الثوابين عند الله عن ابي علي الجبائي وقيل انه وعيد للمنافقين وثوابهم في الدنيا ما يخذونه من الفيء والغنيمة اذا شهدوا الحرب مع المسلمين وامنهم على نفوسهم واموالهم وذراريهم وثوابهم في الآخرة النار (وكان الله سميعاً بصيراً) اي لم يزل على صفة يجب لاجلها ان يسمع المسموعات ويبصر المبصرات عند الوجود وهذه الصفة هي كونه حياً لا آفة به وقيل انما ذكر هذا ليبين انه يسمع ما يقول المنافقون اذا خلوا الى شياطينهم ويعلم ما يسرونه من نقابهم

قوله تعالى (١٣٥) **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوُّوا أَوْ نَعَرْتُمْ أَوْ عَرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا** (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن عباس وحجزة ان تَلَوْا بضم اللام وواو واحدة ساكنة والباقون تلووا يواو ين الاولى مضمومة والثانية ساكنة

﴿ الحجة ﴾

من قرأ يواو واحدة فحجته ان يقول انه من الولاية وولاية النبي اقبال عليه وخلاف الاعراض عنه فيكون المعنى ان تقبلوا او تعرضوا فان الله خبير باعمالكم بجازي المحسن المقبل باحسانه والمسيء المعرض باعراضه وتركه الاقبال على ما يلزمه ان يقبل عليه قال واذا قرأت تلووا فهمي من التي والتي مثل الاعراض فيكون كالتكرير الا قرئ ان قوله لووا رؤوسهم ورأيتهم يصدون معناه الاعراض وترك الاتقياد للحق ومن قرأ تلووا من لوى فحجته ان يقول لا ينكر ان يتكرر اللفظان بمعنى واحد نحو قوله فسجد الملائكة كلهم اجمعون وقول الشاعر (وَهِنْدَاتِي مِنْ دُونِهَا النَّأْيُ وَالْبَعْدُ) وقول آخر (وَالَّتِي قَوْلُهَا كِذْبًا وَمِينًا) وقيل ان تلووا يجوز ان يكون تلووا وان الواو التي هي عين همزت لانضمامها كما همزت في ادور ثم طرحت الهمزة والقيت حركتها على اللام التي هي فاء فصارت تلووا كما طرح الهمزة في ادور وتلقى حركتها على الدال فتصير آدر

﴿ اللمة ﴾

القسط والإقسط العدل يقال اقسط الرجل اقسطا اذا عدل واتى بالقسط وقسط الرجل يقسط قسوطا اذا جار ويقال قسط البعير يقسط قسطا اذا يبست يده ويدقسطاء اي يابسة فكأن معنى اقسط اقام الشيء على حقيقته في التمديل وكان قسط اي جار معناه يبس الشيء وافسد جهته المستقيمة والقوام فعال من القيام وهو ان يكون عادته القيام والتي الدفع يقال لوبت فلانا حقه اذا دفعته ومطلته ومنه الحديث لي الواجد ظلم اي مطل الغني جور

﴿ الاعراب ﴾

شهداء نصب على الحال من الضمير في قوله قوامين وهو ضمير الذين آمنوا ويجوز ان يكون خبر كان على ان لها خبرين نحو هذا حلوه حامض ويجوز ان يكون صفة لقوامين ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما لم يقل به لانه اراد فالله اولى ببناء النبي وفقير الفقير لان ذلك منه سبحانه وقيل انما نبي الضمير لان اوفي هذا الموضع بمعنى الواو وقيل انه لم يقصد غنياً بعينه ولا فقيرا بعينه فهو مجهول وما ذلك حكمه يجوز ان يعود اليه الضمير بالتوحيد والثنية وقد ذكر ان في قراءة ابي فالله اولى بهم وقيل انما قال بها لانها قد ذكرا كما قال وله أخ واأخت فلكل واحد منهما وقيل انما جاز ذلك لانه اضمر فيه من خاصم على ما تذكره في المعنى مشروحا وان تعدلوا يجوز ان يكون في موضع نصب بانه مفعول له اي هرر بأمن ان تعدلوا او كراهة ان تعدلوا ويجوز ان يكون في موضع جر على معنى فلا تتبعوا الهوى لتعدلوا

﴿ المعنى ﴾

لما ذكر سبحانه ان عنده ثواب الدنيا والآخرة عقبه بالامر بالقسط والقيام بالحق وترك الميل والجور فقال يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط اي دائمين على القيام بالعدل ومعناه وتكن عادتكم القيام بالعدل في القول والقول (شهداء لله وهو جمع شهيد امر الله تعالى عباده بالثبات والدوام على قول الحق والشهادة بالصديق تقربا اليه وطلباً لمرضاته وعن ابن عباس كونوا قوامين بالحق في الشهادة على من كانت ولن كانت من قريب او بعيد (ولو على انفسكم) اي ولو كانت شهادتكم على انفسكم (او الوالدين والاقربين) اي على والديكم وعلى اقرب الناس اليكم فقوموا فيها بالقسط والعدل وأقيموا على الصحة والحق ولا تميلوا فيها لعني غني او لفقير فقير فان الله قد سوى بين النبي والفقير فيما الزمكم من إقامة الشهادة لكل واحد منها بالعدل وفي هذا دلالة على

جواز شهادة الولد للوالده والوالد للولد وعليه وشهادة كل ذي قرابة لقر يبه وعليه واليه ذهب ابن عباس في قوله امر الله سبحانه المؤمنين ان يقولوا الحق ولو على انفسهم او آباءهم او ابنائهم ولا يجابوا غنياً لغناه ولا مسكيناً لمسكنته وقال ابن شهاب الزهري كان سلف المسلمين على ذلك حتى دخل الناس فيما بعدهم وظهرت منهم امور حملت الولاية على اتهامهم فترك شهادة من ينهم وامام شهادة الانسان على نفسه فيكون بالقرار للخصم فاقراره له شهادة منه على نفسه وشهادته ل نفسه لا تقبل (ان يكن غنياً او فقيراً) معناه ان يكن المشهود عليه غنياً او فقيراً او المشهود له غنياً او فقيراً فلا يمنعكم ذلك عن قول الحق والشهادة بالصدق وفائدة ذلك ان الشاهد ربما امتنع عن إقامة الشهادة للغني على الفقير لاستغناء المشهود له وفقر المشهود عليه فلا يقم الشهادة شفقة على الفقير وربما امتنع عن إقامة الشهادة للفقير على الغني تهاوياً للفقير وتوقيراً للغني او خشية منه او حشمة له فبين سبحانه بقوله (فالتقوى اولى بهما) انه اولى بالغني والفقير وأنظر لهما من ساير الناس اية فلا تمتنعوا من إقامة الشهادة على الفقير شفقة عليه ونظراً له ولا من إقامة الشهادة للغني لاستغناؤه عن المشهود به فإن الله تعالى امركم بذلك مع علمه ببناء الغني وفقر الفقير فراعوا امره فيما امركم به فانه اعلم بمصالح العباد منكم (فلا تتبعوا الهوى) يعني هوى الاتمس في إقامة الشهادة فتشهدوا على انسان لإحسانه بينكم وبينه او وحشة او عصبية وتمنعوا الشهادة له لاحدهما المعاني وتشهدوا للانسان بغير حق لميلكم اليه بحكم صداقة او قرابة (ان تعدلوا) اي لأن تعدلوا يعني لأجل ان تعدلوا في الشهادة قال الفراء هذا كقولهم لا تتبع هواك لترضي ربك اي كبريا ترضي ربك وقيل انه من العدول الذي هو الميل والجور ومعناه ولا تتبعوا الهوى في ان تعدلوا عن الحق او لأن تعدلوا عن الحق (وان تلووا) اي تملوا في اداء الشهادة (او تعرضوا) عن ادائها عن ابن عباس ومجاهد وقيل ان الخطاب للحكام اي وان تلووا ايها الحكام في الحكم لاحد الخصمين على ملا خراً وتعرضوا عن احدهما الى الآخر عن ابن عباس والسدي وقيل معناه ان تلووا اي تبدلوا الشهادة او تعرضوا اي تكتموها عن ابن زيد والضحاك وهو المروي عن ابي جعفر (فان الله كان بما تعملون خبيراً) معناه انه كان عالماً بما يكون منكم من إقامة الشهادة او تحريفها والاعراض عنها وفي هذه الآية دلالة على وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وسلوك طريقة العدل في النفس والغير وقد روي عن ابن عباس في معنى قوله وان تلووا او تعرضوا انها الرجلان يجلسان بين يدي القاضي فيكون لي القاضي واعراضه لأحدهما عن الآخر

قوله تعالى (١٣٦) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا (آية)

❖ القراءة ❖

قرأ ابن كثير وابن عامر وابو عمرو أنزل بالضم وكسر الزاي والباقون نزل وأنزل بفتحها

❖ الهمزة ❖

من قرأ بالضم فحجته قوله سبحانه ليبيّن للناس ما نزل اليهم ويعلمون انه منزل من ربك بالحق ومن قرأ نزل وأنزل فحجته انا نحن نزلنا الذكر واننا له لحافظون وأنزلنا اليك الذكر

❖ المعنى ❖

(يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله) قيل فيه ثلاثة اقوال (احدها) وهو الصحيح المعتمد عليه ان معناه يا ايها الذين آمنوا في الظاهر بالاقرار بالله ورسوله آمنوا في الباطن ليوافق باطنكم ظاهركم ويكون الخطاب للمنافقين الذين كانوا يظهرون خلاف ما يبطنون (والكتاب الذي نزل على رسوله) وهو القرآن (والكتاب الذي

انزل من قبل) هو التوراة والانجيل عن الزجاج وغيره (وثانيها) ان يكون الخطاب للمؤمنين على الحقيقة ظاهرا وباطنا فيكون معناه اثبتوا على هذا الايمان في المستقبل وداوموا عليه ولا تنتقلوا عنه عن الحسن واختاره الجبائي قال لأن الايمان الذي هو التصديق لا يبقى وانما يستمر بان يجدده الانسان حالا بعد حال (وثالثها) ان الخطاب لاهل الكتاب أمروا بان يؤمنوا بالنبي والكتاب الذي انزل عليه كما آمنوا بما معهم من الكتب ويكون قوله والكتاب الذي انزل من قبل اشارة الى ما معهم من التوراة والانجيل ويكون وجه امرهم بالتصديق بهما وان كانوا مصدقين بهما احد امرين اما ان يكون لان التوراة والانجيل فيهما صفات نيتنا وتصديقه وتصحيح نبوته فمن لم يصدق ولم يصدق القرآن لا يكون مصدقا بهما لأن في تكذيبه تكذيب التوراة والانجيل واما ان يكون الله تعالى امرهم بالاقرار بمحمد (ص) وبالقرآن وبالكتاب الذي انزل من قبله وهو الانجيل وذلك لا يصح الا بالاقرار بعيسى ايضا وهو نبي مرسل وبعض هذا الوجه ما روي عن عبد الله بن عباس انه قال ان الآية نزلت في مؤمنين في اهل الكتاب عبد الله بن سلام واسيد ابني كعب وثعلبة بن قيس وابن اخت عبد الله بن سلام ويامين بن يامين وهو لاء من كبار اهل الكتاب قالوا نؤمن بك وبكتابك وبموسى وبالتوراة وعزير ونكفر بما سواه من الكتب وبين سواهم من الرسل ف قيل لهم بل آمنوا بالله ورسوله الآية فآمنوا كما أمرهم الله (ومن يكفر بالله) اي بجده او بشبهه بخلقه او يرد أمره ونهيه (وملائكته) اي ينفيهم او ينزلهم منزلة لا يليق بهم كما قالوا انهم بنات الله (وكتبه) اي فجحدها (ورسله) اي فينكروهم (واليوم الآخر) اي يوم القيامة (فقد ضل ضللا بعيدا) اي ذهب عن الحق وبعد قصد السبيل ذهابا بعيدا وقال الحسن الضلال البعيد هو مالا أمتلاف له والمعنى ان من كفر بمحمد وجحد نبوته فكأنه جحد جميع ذلك لانه لا يصح إيمان احد من اخلق بشي مما أمر الله به الا بالايمان به وبما انزل الله عليه وفي هذا تهديد لأهل الكتاب واعلام لهم ان اقوامهم بالله ووحدايته وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر لا ينضمهم مع جحدهم نبوة محمد (ص) ويكون وجوده وعدمه سواء

النظم

وجه اتصال هذه الآية بما قبلها ان الله سبحانه لما بين الاسلام عقبه بالدعاء الى الايمان وشرائطه وقيل انها تتصل بقوله كونوا قوامين بالقسط والقيام بالقسط هو الايمان على الوجه المذكور

قوله تعالى (١٣٧) **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ أَرَادُوا كُفْرًا**
لَمْ يَكُنْ اللَّهُ لِيُغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا (١٣٨) **بَشِيرِ الْمُنَافِقِينَ بَأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا**
(١٣٩) الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَبْتَفُونَ عِنْدَهُمْ الْعِزَّةَ فَإِنَّ
الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا (ثلاث آيات)

الفتنة

اصل البشارة الخبر السار الذي يظهره السرور في بشرة الوجه ثم يستعمل في الخبر الذي يتم ايضا وضع اخبارهم بالعذاب موضع البشارة لهم والعرب تقول تحببتك الضرب وعنايتك السيف أي تضع الضرب موضع التحية والسيف موضع العتاب قال الشاعر

وَخَيْلٌ قَدْ دَلَفَتْ لَهُمْ مَخِيلٌ
 حِيَّةٌ بَيْنَهُمْ ضَرْبٌ وَجَمِيعٌ

واصل العزة الشدة ومنه قيل للارض الصلبة الشديدة عزاز ومنه قيل عز علي ان يكون كذا اي شديدا وعز الشيء اذا صعب وجوده واشتد حصوله واعتز فلان فلان اذا اشتد ظهره به والعز القوي المنيع بخلاف الذليل

(١) دلفت الكتيبة الى الكتيبة في الحرب : تقدمت

* المعنى *

ثم قال تعالى (ان الذين آمنوا ثم كفروا) قيل في معناه اقوال (احدها) انه عني به الذين آمنوا بموسى ثم كفروا بعبادة المعجل وغير ذلك (ثم آمنوا) يعني النصارى ببيسى (ثم كفروا) به (ثم ازدادوا كفرا) بمحمد (ص) عن قتادة (وثانيها) انه عني به الذين آمنوا بموسى ثم كفروا بعد موسى ثم آمنوا بعزير ثم كفروا ببيسى ثم ازدادوا كفرا بمحمد (ص) عن الزجاج والفراء (وثالثها) انه عني به طائفة من اهل الكتاب ارادوا تشكيكك نقر من اصحاب رسول الله فكانوا يظهرن الايمان بحضرتهم ثم يقولون قد عرضت لنا شبهة اخرى فيكفرون ثم ازدادوا كفرا بالثبات عليه الى الموت عن الحسن وذلك معنى قوله تعالى وقالت طائفة من اهل الكتاب آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا وجه النهاروا كفروا آخره لعلمهم يرجعون (ورابعها) ان المراد به المنافقون آمنوا ثم ارتدوا ثم آمنوا ثم ارتدوا ثم ماتوا على كفرهم عن مجاهد وابن زيد وقال ابن عباس دخل في هذه الآية كل منافق كان في عهد النبي في البحر والبر (لم يكن الله ليغفر لهم) باظهارهم الايمان فلو كانت بوأطنهم كظواهرهم في الايمان لما كفروا فيما بعد (ولا يهديهم سيلا) معناه ولا يهديهم الى سبيل الجنة كما قال فيما بعد ولا يهديهم طريقا الا طريق جهنم ويجوز ان يكون المعنى انه بخذلهم ولا يبلطف بهم عقوبة لهم على كفرهم المتقدم ثم قال (بشر المنافقين) أي اخبرهم يا محمد (بان لهم) في الآخرة (عذاباً أليماً) أي وجباً ان ماتوا على كفرهم ونفاقهم وفي هذه الآية دلالة على ان الآية المتقدمة نزلت في شأن المنافقين وانه الاصح من الاقوال المذكورة ثم وصف هؤلاء المنافقين فقال (الذين يتخذون الكافرين) اي مشركي العرب وقيل اليهود (اولياء) اي ناصرين ومعينين واخلاء (من دون المؤمنين) اي من غيرهم (ايبنون عندهم العزة) اي ابطلبون عندهم القوة والمنعة باتخاذهم هؤلاء اولياء من دون الايمان بالله تعالى ثم اخبر سبحانه ان العزة والمنعة له فقال (فان العزة لله جميعاً) يريد سبحانه انهم لو آمنوا مخلصين له وطلبوا الاعتزاز بالله تعالى وبدينه ورسوله والمؤمنين لكان اولى بهم من الاعتزاز بالمشركين فان العزة جميعاً لله سبحانه ومن عنده يعز من يشاء وبذل من يشاء

قوله تعالى (١٤٠) وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا (آية)

* القراءة *

قرأ عاصم وبمعقوب نَزَلَ بالفتح والباقون نَزَلَ بضم النون وكسر الزاي

* الحجة *

والوجه في القراءتين ما ذكرناه قبل

* الاعراب *

اذا قرأت نَزَلَ بالفتح فأن في موضع نصب لأن تقديره نزل الله ذلك واذا قرأت نَزَلَ فأن في موضع الرفع وأن هذه هي المخففة من الثقيلة

* النزول *

كان المنافقون يجلسون الى احبار اليهود فيسخرون من القرآن فتهاهم الله تعالى عن ذلك عن ابن عباس

* المعنى *

لما تقدم ذكر المنافقين وموالاتهم الكفار عقب ذلك بالنهي عن مجالستهم ومخالطتهم فقال (وقد نزل عليكم

في الكتاب (اي في القرآن) ان اذا سمعتم آيات الله بكفر بها ويستزأ بها (اي بكفر بها المشركون والمنافقون ويستزئون بها) فلا تقعدوا معهم (اي مع هؤلاء المستهزئين الكافرين) حتى يخوضوا في حديث غيره (اي حتى ياخذوا في حديث غير الاستهزاء بالدين وقيل حتى يرجعوا الى الايمان ويتركوا الكفر والاستهزاء والمنزل في الكتاب هو قوله سبحانه في سورة الانعام واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وفي هذا دلالة على تحريم مجالسة الكفار عند كفرهم بآيات الله واستهزائهم بها وعلى اباحة مجالستهم عند خوضهم في حديث غيره وروي عن الحسن ان اباحة القعود مع الكفار عند خوضهم في حديث آخر غير كفرهم واستهزائهم بالقرآن منسوخ بقوله تعالى فلا تقعد بعد الذكري مع القوم الظالمين (انكم اذا مثلهم) يعني انكم اذا جالستمهم على الخوض في كتاب الله والهزء به فاتم مثلهم وانما حكم بأنهم مثلهم لأنهم لم ينكروا عليهم مع قدرتهم على الانكار ولم يظهروا الكراهة لذلك ومتى كانوا راضين بالكفر كانوا كفارا لان الرضا بالكفر كفر وفي الآية دلالة على وجوب انكار المنكر مع القدرة وزوال العذر وان من ترك ذلك مع القدرة عليه فهو مخطئ آثم وفيها ايضا دلالة على تحريم مجالسة الفساق والمتدعين من أي جنس كانوا وبه قال جماعة من اهل التفسير وذهب اليه عبد الله بن مسعود وابراهيم وايبو وايل قال ابراهيم ومن ذلك اذا تكلم الرجل في مجلس يكذب فيضحك منه جلساؤه فيسخط الله عليهم وبه قال عمر بن عبد العزيز وروي انه ضرب رجلا صائما كان قاعدا مع قوم بشريون الخمر وروى العياشي باسناده عن علي بن موسى الرضا (ع) في تفسير هذه الآية قال اذا سمعت الرجل يجحد الحق ويكذب به ويقع في اهله فقم من عنده ولا تقاعده وروي عن ابن عباس انه قال امر الله تعالى في هذه الآية بالاتفاق ونهى عن الاختلاف والفرقة والمراء والخصومة وبه قال الطبري والبلخي والجبائي وجماعة من المفسرين وقال الجبائي واما الكون بالقرب منهم بحيث يسمع صوتهم ولا يقدر على انكارهم فليس بمحظور وانما المحظور مجالستهم من غير اظهار كراهية لما يسمعه او يراه قال وفي الآية دلالة على بطلان قول قفاة الأعراض وقولهم ليس هاهنا شيء غير الاجسام لأنه قال حتى يخوضوا في حديث غيره فائت غير الما كانوا فيه وذلك هو العرض (ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا) اي ان الله يجمع الفريقين من اهل الكفر والفساق في القيامة في النار والعقوبة فيها كما اتفقوا في الدنيا على عداوة المؤمنين والمظاهرة عليهم

قوله تعالى (١٤١) الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فِتْحٌ مِنْ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعِكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا (آية)

✽ اللفظة ✽

التربص الانتظار والاستحواذ الغلبة والاستيلاء يقال حاذ الحمار اثنه اذا استولى عليها وجمعها وكذلك حازها قال العجاج يصف نورا وكلايا ✽ يجوذهن وله حوذى ✽ وروى (يجوزهن وله حوزي) واستحوذ مما خرج عن اصله فمن قال أحاذ يحيد لم يقل الاستحاذ يستحيد ومن قال احوذ كما قيل احوذت واطيبت بمعنى احذت وأطبت فأخرجه على الأصل قال استحوذ والأحوذى الحاذ المنكش الخفيف في اموره

✽ المعنى ✽

قد وصف الله سبحانه المنافقين والكافرين فقال (الذين يتربصون بكم) اي ينتظرون لكم ايها المؤمنون لانهم كانوا يقولون سيهلك محمد (ص) واصحابه فنستريح منهم ويظهر قومنا وديننا (فان كان لكم فتح من الله) اي فان اتفق لكم فتح وظفر على الاعداء (قالوا ألم نكن معكم) نجاهد عدوكم ونزورهم معكم فاعطونا

(١) العوذى بالضم : الطارد المستحث على السير من العوذ وهو السير الشديد و اما الحوذ بالزاي فهو السير برفق

نصينا من الضيعة فقد شهدنا القتال (وان كان للكافرين نصيب) اي حظ باصابتهم من المؤمنين (قالوا) يعني المنافقين اي قال المنافقون للكافرين (الم نستحوذ عليكم) اي الم نغلب عليكم عن السدي ومعناه ألم نغلبكم على رأيكم بالموالاته لكم (وفتحكم من) الدخول في جملة (المؤمنين) وقيل معناه ألم نبين لكم انا على ما انتم عليه اي ألم نضكم الى انفسنا ونظلمكم على اسرار محمد (ص) واصحابه ونكتب اليكم باخبارهم حتى غلبتم عليهم فاعرفوا لنا هذا الحق عليكم عن الحسن وابن جريج وفتحكم من المؤمنين اي ندفع عنكم صولة المؤمنين بتعديثنا اياهم عنكم وكوننا عيوننا لكم حتى انصرفوا عنكم وغلبتوهم (فانه يحكم بينكم يوم القيامة) هذا اخبار منه سبحانه عن نفسه بانه الذي يحكم بين الخلائق يوم القيامة ويفصل بينهم بالحق (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا) قيل فيه اقوال (احدها) ان المراد لن يجعل الله لليهود على المؤمنين نصرا ولا ظهورا عن ابن عباس وقيل لن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا بالحجة وان جاز ان يغلبوهم بالقوة لكن المؤمنين منصورون بالدلالة والحجة عن السدي والزجاج والبلخي قال الجبائي ولو حملناه على الغلبة لكان ذلك صحيحا لان غلبة الكفار للمؤمنين ليس بما فعله الله فانه لا يفعل القبيح وليس كذلك غلبة المؤمنين للكفار فانه يجوز ان ينسب اليه سبحانه وقيل لن يجعل لهم في الآخرة عليهم سبيلا لانه مذكور عقب قوله فانه يحكم بينكم يوم القيامة بين الله سبحانه انه ان يثبت لهم سبيل على المؤمنين في الدنيا بالقتل والقهر والنهب والاسر وغير ذلك من وجوه الغلبة فلن يجعل لهم يوم القيامة عليهم سبيلا بحال

قوله تعالى (١٤٢) **إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا** (١٤٣) **مُذَبِّذِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هُوَ وَلَا إِلَى هُوَ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا** (آياتان)

﴿ القراءة ﴾

في الشواذ قراءة عبد الله بن ابي اسحاق يراون مثل يراعون والقراءة المشهورة يراون مثل يراعون وقراءة ابن عباس مذبيذين بكسر الذال الثانية

﴿ الحجة ﴾

قال ابن جني يراون يفعلون من رأيت ومعناه يبصرون الناس ويحملونهم على ان يروهم يفعلون ما يتعاطون وهو اقوى من يراعون بالمد على يفاعلون لان معناه يتعرضون لان يروهم ويروون معناه يحملونهم على ان يروهم قال الشاعر

تَرَى وَقَرَأْتِي عِنْدَ مَعْقِدِ عَرَزِهَا تَهَاوَيْلَ مِنْ أَجْلَادِ هِرِّ مَأْوَمٍ (٢)
وقوله مذبيذين مثل قول الشاعر (مسرة شهر لبريد المذبذب) اي المهتر القلق الذي لا يثبت في مكان فكذلك هو لا .

﴿ اللفظة ﴾

يقال ذبذبه فتذبذب اي حركته فتحرك فهو كتحريك شبي معلق قال النابغة
ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب

﴿ الاعراب ﴾

كسالى منصوب على الحال من الراو في قاموا مذبيذين نصب على الحال من المنافقين

(١) وفي المخطوطتين « بتغذيلنا » بدل « بتعديثنا » (٢) الفرز : ركاب الرجل من جلد والضمير للناقة . الشهاويل الالوان المختلفة من الاحمر والاصفر والاخضر . زينة التصاوير والنقوش والحلي . و الاجلاد جمع جلد و الهر : السنور . المأوم كمعظم : العظيم المعلق والرأس . يصف ناقتها وكثرة أوبارها عند مقدم الركاب

المعنى

ثم بين سبحانه افعالهم القبيحة فقال (ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم) قد ذكرنا معناه في اول البقرة وعلى الجملة خداع المنافقين قد اظهروه الايمان الذي حقنوا به دماؤهم واموالهم وقيل معناه يخادعون النبي كما قال انما يبايعون الله فسمى مبايعة النبي مبايعة الله للاختصاص ولأن ذلك بامر من الحسن والزهري ومعنى خداع الله ايهم ان يجازيهم على خداعهم كما قلناه في قوله الله يستهزئ بهم وقيل هو حكمه بحقن دماؤهم مع علمه بباطلهم وقيل هو ان يعطيهم الله نورا يوم القيامة يمضون به مع المسلمين ثم يسلبهم ذلك النور ويضرب بينهم بسور عن الحسن والسدي وجماعة من المفسرين (واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى) اي متثقلين (يراون الناس) يعني انهم لا يعملون شيئا من اعمال العبادات على وجه القرية الى الله وانما يفعلون ذلك ابقاء على انفسهم وحذرا من القتل وسلب الاموال واذا رآهم المسلمون صلوا ليروهم انهم يدينون بدينهم وان لم يرهم احد لم يصلوا وبه قال قتادة وابن زيد وروى العياشي بإسناده عن مسعدة ابن زياد عن ابي عبد الله عن ابيه ان رسول الله سئل فيم النجاة غدا قال النجاة ان لا تخادعوا الله فيخدعكم فإنه من يخادع الله يخدعه ونفسه يخدع لو شعر فقيل له فكيف يخادع الله قال يعمل بما امره الله ثم يريد به غيره فاتقوا الربا فإنه شرك بالله ان المرابي يدعى يوم القيامة باربعة اسماء يا كافر يا فاجر يا غادر يا خاسر حبط عملك وبطل اجرک ولا خلاق لك اليوم فالتمس اجرک من كنت تعمله (ولا يذكر الله الا قليلا) اي ذكره قليلا ومعناه لا يذكر الله عن نية خالصة ولو ذكره مخلصين لكان كثيرا وانما وصف بالقله لانه لغير الله عن الحسن وابن عباس وقيل لا يذكر الله الا ذكر ايسر نحو التكبير والاذكار التي يجهر بها ويتركون التسبيح وما يخافت به من القراءة وغيرها عن ابي علي الجبائي وقيل انما وصف الذكر بالقله لانه سبحانه لم يقبله وكل ما رده الله فهو قليل (مذنبين بين ذلك) اي مرددين بين الكفر والايمان يريد كأنه فعل بهم ذلك وان كان الفعل لهم على الحقيقة وقيل معنى مذنبين مطرودين من هولاء ومن هولاء من الذنب الذي هو الطرد وصفهم سبحانه بالحيرة في دينهم وانهم لا يرجعون الى صحة نية لا مع المؤمنين على بصيرة ولا مع الكافرين على جهالة وقال رسول الله ان مثلهم مثل الشاة العائرة بين الغنمين تتحير فتنظر الى هذه وهذه لا تدري أيها تتبع (لا الى هولاء ولا الى هولاء) اي لا مع هولاء في الحقيقة ولا مع هولاء يظهر ان الايمان كما يظهره المؤمنون ويضربون الكفر كما يضربه المشركون فلم يكونوا مع احد الفريقين في الحقيقة فان المؤمنين يضربون الايمان كما يظهرونه والمشركون يظهرون الكفر كما يضربونه (ومن يضل الله فلن تجد له سبيلا) اي طريقا ومذهبا وقد مضى ذكر معنى الاضلال مشروحا في سورة البقرة عند قوله وما يضل به الا الفاسقين فلما معنى لإعادته قوله تعالى (١٤٤) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَمْرٌ يَدُونَ أَنْ يَجْعَلُوا اللَّهُ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا (١٤٥) إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجْعَلَ لَهُمْ نَصِيرًا (١٤٦) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (ثلاث آيات)

القرأة

قرأ اهل الكوفة الا ابا بكر الدرك بسكون الراء والباقرن بفتحها

الحجة

ها لفتان كالنهر والنهر والشع والشع والقص والقص

* اللغة *

السلطان الحجة قال الزجاج وهو يذكر ويوثق قالوا قضت عليك السلطان وامرك به السلطان ولم يأت في القرآن الا مذكرا وقيل للامير سلطان ومعناه ذوالحجة واصل الدرك الحبل الذي يوصل به الرشا ويطلق به الدلو ثم لما كان في النار سفال من جهة الصورة والمعنى قيل له دَرَكٌ ودرَكٌ وجمع الدَرَكِ ادراك ودروك وجمع الدَرَكِ ادْرَكٌ

* المعنى *

ثم نهى سبحانه عن موالة المنافقين فقال (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء) أي انصارا (من دون المؤمنين) فتكونوا مثلهم (أتريدون ان تجعلوا الله عليكم سلطانا مبينا) أي حجة ظاهرة وهو استفهام يراد به التقرير وفيه دلالة على ان الله لا يعاقب احداً الا بعد قيام الحجة عليه والاستحقاق وانه لا يعاقب الاطفال بذنوب الآباء وانه كان لا حجة له على الخلق لولا معاصيهم قال الحسن معناه تريدون ان تجعلوا الله سبيلاً الى عذابكم بكفركم وتكذيبكم (ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار) أي في الطبقة الاسفل من النار فان النار طبقات ودرجات كما ان الجنة درجات فيكون المنافق على اسفل طبقة منها لقبح عمله عن ابن كثير واني عبدة وجماعة وقيل ان المنافقين في توابيت من حديد مغلقة عليهم في النار عن عبد الله بن مسعود وابن عباس وقيل ان الأدراك يجوز ان تكون منازل بعضها اسفل من بعض بالمسافة ويجوز ان يكون ذلك اخباراً عن بلوغ الناية في العقاب كما يقال ان السلطان بلغ فلانا الحضيض وبلغ فلانا العرش يريدون بذلك انحطاط المنزلة وعلوها لا المسافة من ابي القاسم البلخي (ولن تجد لهم نصيراً) ولا تجد يا محمد لهؤلاء المنافقين ناصرًا ينصرهم فينقذهم من عذاب الله اذ جعلهم في اسفل طبقة من النار ثم استثنى تعالى فقال (الا الذين تابوا) من نفاقهم (واصلحوا) نياتهم وقيل تبوا على التوبة في المستقبل (واعتصموا بالله) أي تسكروا بكتاب الله وصدقوا رسوله وقيل وتقوا بالله (واخلصوا دينهم لله) أي تبرأوا من الآلهة والانداد وقيل طلبوا بإيمانهم رحمة الله ورضاه مخلصين عن الحسن (فأولئك مع المؤمنين) أي فإنهم اذا فعلوا ذلك يكونون في الجنة مع المؤمنين ومحل الكرامة (وسوف يوثقي الله المؤمنين اجرا عظيماً) سوف كلمة ترجئة وعدة واطماع وهي من الله الجباب لانه اكرم الاكرمين ورمع الكرمين انجاز ولم يشترط على غير المنافقين في التوبة من الاصلاح والاعتصام ما شرطه عليهم ثم شرط عليهم بعد ذلك الاخلاص لان النفاق ذنب القلب والاخلاص توبة القلب ثم قال فأولئك مع المؤمنين ولم يقل فأولئك المؤمنون او من المؤمنين غيظاً عليهم ثم أتى بلفظ سوف في اجر المؤمنين لانضمام المنافقين اليهم هذا اذا عني به جميع المؤمنين من تقدم منه الكفر ومن لم يتقدم ويحتمل ان يكون المراد به زيادة الثواب لمن لم يسبق منه كفر ولا نفاق

قوله تعالى (١٤٧) مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا (آية)

* المعنى *

خاطب سبحانه بهذه الآية المنافقين الذين تابوا وآمنوا واصلحوا اعمالهم فقال (ما يفعل الله بعذابكم) أي ما يصنع الله بعذابكم والمعنى لا حاجة لله الى عذابكم وجطكم في الدرك الاسفل من جهنم لانه لا يجتلب بعذابكم نفاً ولا يدفع به عن نفسه ضرراً اذها يستحيلان عليه (ان شكرتم) أي أدبتم الحق الواجب لله عليكم وشكرتموه على نعمه (وآمنتم) به ورسوله واقدمتم بما جاء به من عنده (وكان الله شاكراً) يعني لم ينزل سبحانه مجازياً لكم على الشكر فسمى الجزاء باسم المجزى عليه (علياً) بما يستحقونه من الثواب على الطاعات فلا يضيع عنده شيء منها عن قتادة وغيره وقيل معناه انه يشكر القليل من اعمالكم ويعلم ما ظهر وما بطن من انطالكم واقوالكم ويمجزيكم عليها وقال الحسن معناه انه يشكر خلقه على طاعتهم مع غناه عنهم فيعلم باعمالهم

قوله تعالى (١٤٨) لَا يُجِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلِمَ وَكَانَ اللَّهُ
سَمِيعًا عَلِيمًا (١٤٩) إِنْ تَبَدُّوا خَيْرًا أَوْ نَخَفُوا أَوْ تَعَفَوْا عَنْ سُوءِ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوًا
قَدِيرًا (آيات)

﴿ القراءة ﴾

القراءة على ضمّ الظاء من ظلم وروي عن ابن عباس وسعيد بن جبير والضحاك وعطاء بن السائب وغيرهم
الا من ظلم بفتح الظاء واللام

﴿ الحجة ﴾

قال ابن جنى وظلم جميعا على الاستثناء المنقطع اي لكن من ظلم فإن الله لا يخفى عليه امره ودل عليه
قوله وكان الله سميعا عليا وموضع من نصب في الوجهين جميعا قال الزجاج فيكون المعنى لكن المظلوم يجهر بظلامته
تشكيًا ولكن الظالم يجهر بذلك ظلما قال ويجوز ان يكون موضع من رفعا على معنى لا يجب الله ان يجهر
بالسوء من القول الا من ظلم فيكون من بدلا من معنى احد المعنى لا يجب الله ان يجهر احد بالسوء من القول الا المظلوم
قال وفيها وجه آخر لا اعلم احدا من النحويين ذكره وهو ان يكون على معنى لكن الظالم اجهر والسوء من القول

﴿ المعنى ﴾

(لا يجب الله الجهر بالسوء من القول) قيل في معناه اقوال ﴿ احدها ﴾ لا يجب الله الشتم في الانتصار
(الا من ظلم) فلا بأس له ان ينتصر ممن ظلمه بما يجوز الانتصار به في الدين عن الحسن والسدي وهو المروي
عن ابي جعفر (ع) ونظيره وانتصروا من بعد ما ظلموا قال الحسن ولا يجوز للرجل اذا قيل له يا زاني ان يقابل له
بمثل ذلك من انواع الشتم ﴿ وثانيها ﴾ ان معناه لا يجب الله الجهر بالدعاء على احد الا ان يظلم انسان
فيدعو على من ظلمه فلا يكره ذلك عن ابن عباس وقريب منه قول قتادة ويكره رفع الصوت بما يسوء الغير
الا المظلوم يدعو على من ظلمه ﴿ وثالثها ﴾ ان المراد لا يجب ان يذم احدا اجد او يشكوه او يذكره
بالسوء الا ان يظلم فيجوز له ان يشكو من ظلمه ويظهر امره ويذكره بسوء ما قد صنعه ليحذره الناس عن مجاهد
وروي عن ابي عبد الله (ع) انه الضيف ينزل بالرجل فلا يحسن ضيافته فلا جناح عليه في ان يذكره بسوء ما فعله
(وكان الله سميعا) لما يجهر به من سوء القول (عليما) بصدق الصادق وكذب الكاذب فيجازي كلاً بعمله وفي
هذه الآية دلالة على ان الرجل اذا هتك ستره واطهر فسقه جاز اظهار ما فيه وقد جاء في الحديث قولوا في الفاسق
ما فيه يعرفه الناس ولا غيبة لفاسق وفيها ترغيب في مكارم الاخلاق ونهي عن كشف عيوب الخلق وانجار بتزيه
ذاته تعالى عن ارادة القبايح فإن المحبة اذا تعلقت بالفعل فمعناها الارادة ثم خاطب سبحانه جميع المكلفين
فقال (ان تبدوا) اي تظهروا (خيرا) اي حسنا جميلا من القول لمن احسن اليكم شكرا على انعامه عليكم
(او تخفوه) اي تتركوا اظهاره وقيل معناه ان تفعلوا خيرا او تعزموا عليه وقيل يريد بالحير المال اي تظهروا
صدقة او تخفوها (او تعفوا عن سوء) معناه او تصفحوا عن اساء اليكم مع القدرة على الانتقام منه فلا تجهروا
له بالسوء من القول الذي اذنت لكم في ان تجهروا به (فان الله كان عفواً) اي صفوحا عن خلقه يصفح لهم عن معاصيهم
(قديرا) اي قادر اعلى الانتقام منهم وهذا حث منه سبحانه منه لخلق على العفو عن المسيء مع القدرة على الانتقام
والمكافاة فانه تعالى مع كمال قدرته يعفو عنهم ذنوبا اكثر من ذنب من يسيء اليهم وقد تضمنت الآية التي
قبلها اباحة الانتصاف من الظلم بشرط ان يقف فيه على حد الظلم وموجب الشرع

— النظم —

الوجه في اتصال هذه الآية بما قبلها انه لما سبق ذكر اهل النفاق وهو الاظهار خلاف الابطان بين سبحانه انه ليس كلما يقع في النفس يجوز اظهاره فانه ربما يكون ظنا فاذا تحقق ذلك جاز اظهاره عن علي بن عيسى
قوله تعالى (١٥٠) **إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا**
(١٥١) **أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا** (١٥٢) **وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا** (ثلاث آيات)

— اللغة —

قرأ حفص يوتيههم بالياء. والباقرن نوتيههم بالنون

— اللمحة —

حجة حفص قوله سوف يوتي الله المؤمنين وحجة من قرأ نوتيههم قوله وآتينا اجرا عظيما وثلث سنوتيههم اجرا

المعنى

لما تقدم سبحانه ذكر المناقين عقبه بذكر اهل الكتاب والمؤمنين فقال (الذين يكفرون بالله ورسله) من اليهود والنصارى (ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله) اي يكذبوا رسل الله الذين ارسلهم الى خلقه واوحى اليهم وذلك معنى ارادتهم التفريق بين الله ورسله (ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض) اي يقولون نصدق بهذا ونكذب بذلك كما فعل اليهود صدقوا بموسى ومن تقدمه من الانبياء وكذبوا بعيسى ومحمد وكما فعلت النصارى صدقوا عيسى ومن تقدمه من الانبياء وكذبوا بمحمد (ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا) اي طريقا الى الضلاله التي احدثوها والبدعة التي ابتدعوها يدعون جهال الناس اليه (اولئك هم الكافرون حقا) اي هؤلاء الذين اخبرنا عنهم بانهم يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض الكافرون حقيقة فاستيقنوا ذلك ولا ترتبوا بدعتهم انهم يقولون بما زعموا انهم مقررون به من الكتب والرسل فانهم لو كانوا صادقين في ذلك لصدقوا جميع رسل الله وانما قال تعالى اولئك هم الكافرون حقا على وجه التأكيد لئلا يتوهم متوهم ان قولهم نؤمن ببعض يخرجهم من جنس الكفار ويلحقهم بالمؤمنين (واعتدنا) اي اعدنا وهايتنا (للكافرين عذابا مهينا) يهينهم ويذلهم (والذين آمنوا بالله ورسله) اي صدقوا الله ورحمته وأقروا بنبوة رسله (ولم يفرقوا بين احد منهم) بل آمنوا بجميعهم (اولئك سوف نوتيههم) اي سنطيعهم أجورهم وسمى الله الثواب اجرا دلالة على انه مستحق اي نطيعهم ثوابهم الذي استحقوه على إيمانهم بالله ورسله (وكان الله غفورا رحيا) اي لم يزل كان غفورا لمن هذه صفته ما سلف لهم من المعاصي والاثام رحيا متفضلا عليهم بانواع الانعام هاديا لهم الى دارالسلام

قوله تعالى (١٥٣) **يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرَنَا اللَّهُ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا**

(١٥٤) وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا (آيتان)

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل المدينة لا تعدوا بتسكين العين وتشديد الدال وروى ورش عن نافع لا تعدوا بفتح العين وتشديد الدال وقرأ الباقون لا تعدوا خفيفة

﴿ الحجة ﴾

من قرأ لا تعدوا فأصله لا تعدوا فأدغم التاء في الدال لتقاربها ولأن الدال تزيد على التاء في الجهر قال أبو علي وكثير من النحويين ينكرون الجمع بين الساكنين إذا كان الثاني منها مدغما ولا يكون الأول حرف مد ولين نحو دابة وأصم وتمود الثوب ويقولون إن المد يصير عوضا من الحركة وقد قالوا ثوب بكر وجيب بكر فادغموا المد الذي فيها أقل من المد الذي يكون فيهما إذا كان حركة ما قبلهما منها فإذا جاز ذلك مع نقصان المد الذي فيه لم يمتنع أن يجمع بين الساكنين في نحو لا تعدوا ويقوي ذلك جواز نحو أصم ودوية ومديق ومن قرأ لا تعدوا فإن الأصل فيه لا تعدوا فسكن التاء ليدغمها في الدال وتقل حركتها إلى العين الساكنة قبلها فصار لا تعدوا ومن قرأ لا تعدوا فهولا تفعلوا مثل قوله تعالى إذ يعدون في السبت وحجة الأولين قوله اعتدوا منكم في السبت

= اللغة =

قال أبو زيد يقول عدا علي اللص أشد العدو والعدوان والعدا والعدو إذا سرقك وظلمك وعدا الرجل يعدو عدوا في الحضرة وقد عدت عينه عن ذلك أشد العدو تعدو وعدا يعدو إذا جاوز يقال ما عدوت إن زرتك أي ما جاوزت ذلك

- (الاعراب) -

قوله جهزة يجوز أن يكون صفة لقولهم أي قالوا جهرة أي مجاهرة إرنا الله ويجوز أن يكون على إرنا الله روية ظاهرة

- التزول -

روي أن كعب بن الأشرف وجماعة من اليهود قالوا يا محمد إن كنت نبيا فأتنا بكتاب من السماء جملة أي كما أتى موسى بالثوراة جملة فنزلت الآية عن النبي

= المعنى =

لما انكر سبحانه على اليهود التفريق بين الرسل في الإيمان عقيب الانكار عليهم في طلبهم المحالات مع ظهور الآيات والمعجزات فقال (يسئلك) يا محمد (أهل الكتاب) يعني اليهود (إن تنزل عليهم كتابا من السماء) واختلف في معناه على أقوال **﴿ أحدها ﴾** أنهم سألو أن ينزل عليهم كتابا من السماء مكتوبا كما كانت التوراة مكتوبة من عند الله في الألواح عن محمد بن كعب والسدي **﴿ وثانيها ﴾** أنهم سألوه أن ينزل على رجال منهم بأعيانهم كتابا يأمرهم الله تعالى فيها بتصديقه واتباعه عن ابن جريج واختاره الطبري **﴿ وثالثها ﴾** أنهم سألو أن ينزل عليهم كتابا خاصا لهم عن قتادة وقال الحسن إنما سألو ذلك للفتن والتحكيم في طلب المعجزات لا لظهور الحق ولو سألوه ذلك استرشادا لا عنادا لأعطاهم الله ذلك (فقد سألو موسى أكبر من ذلك) أي لا يعظمن عليك يا محمد مسألتهم إياك أنزال الكتب عليهم من السماء فإنهم سألو موسى يعني اليهود أعظم

(١) وهذه قراءة ضعيفة لأنه جمع بين الساكنين وليس الثاني حرف مد

من ذلك بعد ما اتاهم بالآيات الظاهرة والمعجزات القاهرة التي يكفي الواحد منها في معرفة صدقه وصحة نبوته فلم يقنعهم ذلك (فقالوا ارنا الله جهرة) اي معاينة (فاخذتهم الصاعقة بظلمهم) انفسهم بهذا القول وقد ذكرنا قصة هؤلاء وتفسير اكثر ما في الآية في سورة البقرة عند قوله لن نؤمن لك حتى زى الله جهرة الآية قوله واذ أخذنا ميثاقكم ورفضنا فوقكم الطور الآية (ثم اتخذوا العجل) اي عبده واتخذوه إلها (من بعد ما جاءتهم البينات) اي الحجج الباهرات قد دل الله بهذا على جهل القوم وعنادهم (فغفونا عن ذلك) مع عظم جرمهم وخيانتهم وقد اخبر الله بهذا عن سمة رحمته ومغفرته وقام نعمته وانه لا جرعة تضيق عنهارحمته ولا تحيانه تقصر عنها مغفرته (واتينا موسى) اي اعطيناه (سلطانا مينا) اي حجة ظاهرة تبين عن صدقه وصحة نبوته (ورفضنا فوقهم الطور) اي الجبل لما امتنعوا من العمل بما في التوراة وقبول ما جاءهم به موسى (بميثاقهم) اي بما اعطوا الله سبحانه من العهد ليعملن بما في التوراة وقيل معناه ورفضنا الجبل فوقهم بنقضهم ميثاقهم الذي أخذ عليهم بأن يعملوا بما في التوراة وانما نقضوه بعبادة العجل وغيرها عن ابي علي الجبائي وقال ابو مسلم انما رفع الله الجبل فوقهم اظلالا لهم من الشمس بميثاقهم اي بعهدهم جزاء لهم على ذلك وهذا القول يخالف اقوال المفسرين (وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا) يعني باب حطة وقد مر بيانه هناك (وقلنا لهم لا تمدوا في السبت) اي لا تتجاوزوا في يوم السبت ما ابيح لكم الى ما حرم عليكم عن قتادة قال أمرهم الله ان لا يأكلوا الحيتان يوم السبت واجاز لهم ما عده (وأخذنا منهم ميثاقا غليظا) اي عهدا وثيقا وكيدا بأن يأتمروا بأوامره وينتهوا عن مناهيه وزولجره

قوله تعالى (١٥٥) فَبِمَا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ وَكَفَرْتُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتَلْتُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا (١٥٦) وَيَكْفُرُونَ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا (١٥٧) وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٨) بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (أربع آيات)

❖ اللفظة ❖

البهتان الكذب الذي يتعمد فيه من شدته وعظمته وقد مر معنى المسيح في سورة آل عمران يقال قتلت الشيء خبرا وعلما اي علمته علماتا وما وذلك لأن القتل هو التذليل ويكون كالدرس انه من التذليل ومنه الرسم الدارس لذته فقولك درست العلم بمعنى ذلته ويقال في المثل قتل ارضا عالما وقتلت ارض جاهلها قال الاصمعي معناه ضبط الامر من يعلمه واقول معناه ان العالم يطلب اهل ارضه والجاهل مغلوب مقهور كما ان الجاهل بالطريق لا يهتدي فيتردد فيه

❖ الاعراب ❖

ما في قوله فبما نقضهم لغواي فبنقضهم ومعناه التوكيد اي فبنقضهم ميثاقهم حقوا والجالب للبا في فبنقضهم والعامل فيه قيل انه محذوف اي لغناهم وقيل العامل فيه قوله حرمتنا عليهم طيبات احلت لهم وقوله فيظلم من الذين بدل من قوله فبنقضهم عن الزجاج وعلى هذا قوله بل طبع الله عليها بكفرهم الى آخر الآية اعتراض وكذلك قوله وما قتلوه وما صلبوه الى قوله شهيد او قوله عيسى بن مريم عطف بيان ركب مع ابن وجعل كاسم واحد لوقوع ابن بين علمين مع كونه

صفة والصفقر بما رُكبت مع الموصوف فجعلنا كاسم واحد نحو لا رجل ظريف في الدار ورسول الله صفة للمسيح اوبدل منه واتباع الظن منصوب على الاستثناء وهو استثناء منقطع وليس من الاول فالمنى ما لهم به من علم اكنهم يتبعون الظن

✽ المعنى ✽

ثم ذكر سبحانه افعالهم القبيحة ومجازاته اياهم بها فقال (فبما نقضهم) اي فبنقض هؤلاء الذين تقدم ذكرهم ووصفهم (ميثاقهم) اي عهودهم التي عاهدوا الله عليها ان يعملوا بها في التوراة (وكفرهم بايات الله) اي جحودهم باعلام الله وحججه وادلته التي احتج بها عليهم في صدق انبيائه ورسوله (وقتلهم الانبياء) بعد قيام الحججة عليهم بصدقهم (بغير حق) اي بغير استحقاق منهم لذلك بكبيرة اتواها او خطيئة استوجروا بها القتل وقد قدمنا القول في امثال هذا وانه انما يذكر على سبيل التوكيد فلن قتل الانبياء لا يمكن الا ان يكون بغير حق وهو مثل قوله ومن يدع مع الله الاها آخر لا برهان له به والمعنى ان ذلك لا يكون البتة عليه برهان (وقولهم قلوبنا غلف) مضى تفسيره في سورة البقرة (بل طبع الله عليها بكفرهم) قد شرحنا معنى الختم والطبع عند قوله ختم الله على قلوبهم (فلا يؤمنون الا قليلا) اي لا يصدقون قوله الا تصديقا قليلا وانما وصفه بالقلعة لانهم لم يصدقوا بجميع ما كان يجب عليهم التصديق ويجوز ان يكون الاستثناء من الذين نفى عنهم الايمان فيكون المعنى الا جمعا قليلا فكأنه سبحانه علم انه يوم من جملة جماعة قليلة فبما بعد فاستثناهم من جملة من اخبر عنهم انهم لا يؤمنون وبه قال جماعة من المفسرين مثل قتادة وغيره وذكر بعضهم ان الباء في قوله فيما نقضهم يتصل بما قبله والمعنى فاخذتهم الساعة بظلمهم وبنقضهم ميثاقهم وبكفرهم وبكذبهم وبكذب الكلام بعضه بعضا وقال الطبري ان معناه منفصل عما قبله يعني فهذه الاشياء لمنأهم وغضبنا عليهم فتذكر ذلك لدلالة قوله بل طبع الله عليها بكفرهم على معنى ذلك لان من طبع على قلبه فقد لمن وسخط عليه قال وانما قلنا ذلك لان الذين اخذتهم الساعة كانوا على عهد موسى والذين قتلوا الانبياء والذين رموا مريم بالبهتان العظيم وقالوا قتلنا عيسى كانوا بعد موسى بزمان طويل ومعلوم ان الذين اخذتهم الساعة لم يكن ذلك عقوبة على رميمهم مريم بالبهتان ولا على قولهم انا قتلنا المسيح فبان بذلك ان الذين قالوا هذه المقالة غير الذين عوقبوا بالساعة وهذا الكلام انما يتجه على قول من قال انه يتصل بما قبله ولا يتجه على قول الزجاج وهذا اقوى لانه اذا امكن اجراء الكلام على ظاهره من غير تقدير حذف فالاولى ان يحمل عليه وقوله (وبكفرهم) اي بجحود هؤلاء لعيسى (وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً) اي اعظم كذب واشنع وهو رميمهم اياها بالفاحشة عن ابن عباس والسدي قال الكلبي مرعىسى يرهط فقال بعضهم بعض قد جاءكم الساحر ابن الساحرة والفاعل ابن الفاعلة فقد فوه بأمه فسمع ذلك عيسى فقال اللهم انت ربي خلقتني ولم آتهم من تلقاء نفسي اللهم المن من سبني وسبب والدي فاستجاب الله دعوته فسخم خنازير (وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله) يعني قول اليهود انا قتلنا عيسى بن مريم رسول الله حكاه الله تعالى عنهم اي رسول الله في زعمه وقيل انه من قول الله سبحانه لا على وجه الحكاية عنهم وتقديره الذي هو رسولي (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم) واختلفوا في كيفية التشبيه فروي عن ابن عباس انه قال لما مسح الله تعالى الذين سبوا عيسى وامة بدعائه بلغ ذلك يهوذا وهو رأس اليهود فخاف ان يدعوا عليه فجمع اليهود فاتفقوا على قتله فبعث الله تعالى جبرائيل يمنه منهم ويعينه عليهم وذلك معنى قوله وأيدناه بروح القدس فاجتمع اليهود حول عيسى فجعلوا يسألونه فيقول لهم يا معشر اليهود ان الله تعالى يبغضكم فساروا اليه ليقتلوه فادخله جبرائيل في خوخة البيت الداخل لها روزنة في سقمها فرغمه جبرائيل الى السماء فبعث يهوذا رأس اليهود رجلا من اصحابه اسمه طيطانوس ليدخل عليه الخوخة فيقتله فدخل فلم يره فأبطأ عليهم فظنوا انه يقاتله في الخوخة فالتقى الله عليه شبه عيسى فلما خرج على اصحابه قتلوه وصلبوه وقيل القى عليه شبه وجه عيسى ولم يلق عليه شبه جسده فقال بعض القوم ان الوجه وجه

عيسى والجسد طيطانوس وقال بعضهم ان كان هذا طيطانوس فإين عيسى وان كان هذا عيسى فإين طيطانوس فاشتباه الامر عليهم وقال رهب بن منبه اتى عيسى ومعه سبعة من الحواريين في بيت فاحاطوا بهم فلما دخلوا عليهم صبرهم الله كلهم على صورة عيسى فقالوا لهم سحرتونا ليبرزن لنا عيسى او لنقتلنكم جميعا فقال عيسى لاصحابه من يشري نفسه منكم اليوم بالجنة فقال رجل منهم اسمه مرجس انا فخرج اليهم فقال انا عيسى فاخذوه وقتلوه وصلبوه ورفع الله عيسى من يومه ذلك وبه قال قتادة ومجاهد وابن اسحاق وان اختلفوا في عدد الحواريين ولم يذكر أحد غير وهب ان شبهه التي على جميعهم بل قالوا التي شبهه على واحد ورفع عيسى من بينهم قال الطبري وقول وهب اقوى لأنه لو التي شبهه على واحد منهم مع قول عيسى ابيكم بلقي شبيهي فله الجنة ثم رأوا عيسى رفع من بينهم قتل للطبري لما اشتبه عليهم ولما اختلفوا فيه وان يشبهه على اعدائهم من اليهود الذين ما عرفوه لكن التي شبهه على جميعهم وكانوا يرون كل واحد منهم بصورة عيسى فلما قتل احد منهم اشتبه الحال عليهم وقال ابو علي الجبائي ان رؤساء اليهود اخذوا انسا فقتلوه وصلبوه على موضع عال ولم يكتفوا احد من الدنيا اليه فتغيرت حليته وقالوا قد قتلنا عيسى ليوهموا بذلك على عوامهم لأنهم كانوا احاطوا بالبيت الذي فيه عيسى فلما دخلوه كان عيسى قد رفع من بينهم فخافوا ان يكون ذلك سببا لايمان اليهود به فعلوا ذلك والذين اختلفوا فيه هم غير الذين وصلبوه وانما باقي اليهود وقيل ان الذي دهم عليه وقال هذا عيسى احد الحواريين اخذ على ذلك ثلاثين درهما وكان منافقا ثم انه ندم على ذلك واخنت حتى قتل نفسه وكان اسمه يودس زكريا يوطا وهو ملعون في النصارى وبعض النصارى يقول ان يودس زكريا يوطا هو الذي شبه لهم فصلبوه وهو يقول لست بصاحبكم انا الذي دلتكم عليه وقيل انهم حبسوا المسيح مع عشرة من اصحابه في بيت فدخل رجل من اليهود فالتقى الله تعالى عليه شبه عيسى ورفع عيسى فقتلوا الرجل عن السدي (وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه) قيل يعني بذلك عامتهم لأن علماءهم علموا انه غير مقتول عن الجبائي وقيل اراد بذلك جماعة اختلفوا فقال بعضهم قتلناه وقال بعضهم لم يقتله (ما لهم به علم الا اتباع الظن) أي لم يكن لهم عين قتلوه علم لكنهم اتبعوا ظنهم فقتلوه ظنا منهم انه عيسى ولم يكن به وانما شكوا في ذلك لأنهم عرفوا عدة من في البيت فلما دخلوا عليهم وفتقدوا واحدا منهم التبس عليهم امر عيسى وقتلوا من قتلوه على شك منهم في امر عيسى هذا على قول من قال لم يفرق اصحابه حتى دخل عليهم اليهود وما من قال تفرق اصحابه عنه فإنه يقول كان اختلفوا في ان عيسى هل كان فيمن بقي او كان فيمن خرج اشتبه الامر عليهم وقال الحسن معناه فاختلوا في عيسى فقالوا مرة هو عبدالله ومرة هو ابن الله ومرة هو الله وقال الزجاج معنى اختلاف النصارى فيه ان منهم من ادعى انه آله لم يقتل ومنهم من قال قتل (وما قتلوه يقينا) اختلف في الهاء في قتلوه فقيل انه يعود الى الظن اي ما قتلوا ظنهم يقينا كما يقال ما قتله علما عن ابن عباس وجويرو معناه ما قتلوا ظنهم الذي اتبعوه في المقتول الذي قتلوه وهم يحسبونه عيسى يقينا انه عيسى ولا انه غيره لكنهم كانوا منه على شبهة وقيل ان الهاء عائد الى عيسى يعني ما قتلوه يقينا اي حقا فهو من باب تأكيد الخبر عن الحسن اراد ان الله تعالى تقي عن عيسى القتل على وجه التحقيق واليقين (بل رفعه الله اليه) يعني بل رفع الله عيسى اليه ولم يصلبوه ولم يقتلوه وقد مر تفسيره في سورة آل عمران عند قوله إذ قال الله يا عيسى اني متوفيك ورافعتك إلي (وكان الله عزيزا حكما) معناه لم يزل الله سبحانه منتقما من اعدائه حكما في افعاله وتقديراته فاحذروا ايها السائلون محمدا ان ينزل عليكم كتابا من السماء حلول عقوبة بكم كما حل باوائلكم في تكذيبهم رسله عن ابن عباس وما مر في تفسير هذه الآية من ان الله التي شبه عيسى على غيره فإن ذلك من مقدور الله بلا خلاف بين المسلمين فيه ويجوز ان يفعله الله سبحانه على وجه التعليل للمحنة والتشديد في التكليف وان كان ذلك خارقا للعادة فإنه يكون معجزا للمسيح كما روي ان جبرائيل كان يأتي نبينا في صورة دحية الكلبي ومما يسأل عن هذه الآية ان يقال قد تواترت اليهود والنصارى مع كثرتهم واجمعت على ان المسيح قد قتل وصلب فكيف يجوز عليهم ان يخبروا عن النبي بخلاف ما هو به ولو جاز ذلك

فكيف يوثق بشيء من الاخبار والجواب ان هؤلاء دخلت عليهم الشبهة كما اخبر الله سبحانه عنهم بذلك فلم يكن اليهود يعرفون عيسى بعينه وانما اخبروا انهم قتلوا رجلا قيل لهم انه عيسى فهم في خبرهم صادقون وان لم يكن المقتول عيسى وانما اشتبه الامر على النصارى لأن شبه عيسى القبي على غيره فأروا من هو على صورته مقتولا مصلوبا فلم يخبر أحد من الفريقين الا عما رآه وظن ان الامر على ما اخبر به فلا يؤدي ذلك الى بطلان الاخبار بحال

قوله تعالى (١٥٩) وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنُوا بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا (آية)

✽ الأعراب ✽

إن في قوله وان من أهل الكتاب نافية وأكثر ما تأتي مع الا وقد تأتي مع غير الانحو قوله ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه اي في الذي ما مكناكم فيه قال الزجاج المعنى وما عنهم احد الا ليؤمنن به وكذلك قوله وان منكم الا واردها معناه وما منكم احد الا واردها وكذلك وما منا الا له مقام معلوم اي وما منا احد الا له مقام ومثله قول الشاعر

لَوْ قَلَّتْ مَا فِي قَوْمِهَا لَمْ تَيْشَمِ (١)
بِفَضْلِهَا فِي حَسَبٍ وَمِيسَمِ (٢)

اي ما في قومها احد بفضلها وذهب الكوفيون الى ان المعنى وما من أهل الكتاب الا ليؤمنن به وما منكم الا من هو واردها وما منا الا من له مقام وأهل البصرة لا يميزون حذف الموصول وتبقيته الصلة

✽ المعنى ✽

ثم اخبر تعالى انه لا يبقى احد منهم الا ويؤمن به فقال (وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته) اختلف فيه على اقوال ✽ احدها ✽ ان كلا الضميرين يعودان الى المسيح اي ليس يبقى احد من أهل الكتاب من اليهود والنصارى الا ويؤمنن بالمسيح قبل موت المسيح اذا أنزله الله الى الأرض وقت خروج المهدي في آخر الزمان لقتل الدجال فتصير الملل كلها ملة واحدة وهي ملة الاسلام الحنيفة دين ابراهيم عن ابن عباس وأبي مالك والحسن وفتادة وابن زيد وذلك حين لا ينفعهم الايمان واختاره الطبري قال والآية خاصة لمن يكون منهم في ذلك الزمان وذكر علي بن ابراهيم في تفسيره ان اياه حدثه عن سليمان بن داود المقرئ عن ابي حمزة الثمالي عن شهر بن حوشب قال قال الحجاج بن يوسف آية من كتاب الله قد اعيتني قوله وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته الآية والله اني لأمر باليهودي والنصراني فيضرب عنقه ثم ارمقه بعيني فما اراه يجرؤك شفتيه حتى يحمل فقلت اصاح الله الأمير ليس على ما أولت قال فكيف هو قلت ان عيسى بن مريم ينزل قبل يوم القيامة الى الدنيا ولا يبقى أهل ملة يهودي او نصراني او غيره الا وآمن به قبل موت عيسى ويصلي خلف المهدي قال ويحك اني لك هذا ومن أين جئت به قال قلت حدثني به الباقر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب قال جئت والله بها من عين صافية فقبل لشهر ما أردت بذلك قال اردت ان اغيظه وذكر ابو القاسم البلخي مثل ذلك وضعف الزجاج هذا الوجه قال ان الذين يبقون الى زمن عيسى من أهل الكتاب قليل والآية تقتضي عموم ايمان أهل الكتاب الا ان جميعهم يقولون ان عيسى الذي ينزل في آخر الزمان نحن نوؤمنن به ✽ وثانيها ✽ ان الضمير في يعود الى المسيح والضمير في موته يعود الى الكتابي ومعناه لا يكون احد من أهل الكتاب يخرج من دار الدنيا الا ويؤمنن بعيسى قبل موته اذا زال تكليفه وتحقق الموت ولكن لا ينفعه الايمان حينئذ وانما ذكر اليهود والنصارى لأن جميعهم مبطلون . اليهود بالكفر به والنصارى بالغلو في أسنءه وذهب اليه ابن عباس في رواية أخرى وبجاهد والضحاك وابن سيرين وجوبير قالوا لو ضربت رقبتهم لم تخرج نفسه حتى يؤمنن ✽ وثالثها ✽ ان يكون المعنى ليؤمنن

(١) تيشم مضارع انهم واما كسر التاء فهي لغة لبعض العرب وذلك انهم يكسرون حرف المضارعة في نحو تعلم وتعلم فلما كسروا التاء في تاتم انقلب الهمزة ياء . (٢) اليميم : الحسن و الجمال . (٣) العمل ان ٢

بمحمد (ص) قبل موت الكثناني عن عكرمة ورواه أيضا اصحابنا وضعف الطبري هذا الوجه بأن قال لو كان ذلك صحيحا لما جاز اجراء احكام الكفار عليهم اذا ماتوا وهذا لا يصح لأن إيمانهم بمحمد (ص) انما يكون في حال زوال التكليف فلا يعند به وانما ضعف هذا القول من حيث لم يجر ذكر لئينا (ص) هاهنا ولا ضرورة توجب رد الكتابة اليه وقد جرى ذكر عيسى فالاولى ان يصرف ذلك اليه (ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا) يعني عيسى يشهد عليهم بأنه قد بلغ رسالات ربه وأقر على نفسه بالعبودية وانه لم يدعهم الى ان يتخذوه إلها عن قتادة وابن جريج وقيل يشهد عليهم بتصديق من صدقه وتكذيب من كذبه عن ابي علي الجبائي وفي هذه الآية دلالة على ان كل كافر بوئمن عند المعابنة وعلى ان إيمانه ذلك غير مقبول كما لم يقبل إيمان فرعون في حال اليأس عند زوال التكليف ويقرب من هذا ما رواه الامامية أن المحتضرين من جميع الأديان يرون رسول الله وخلفاءه عند الموت ويروون في ذلك عن علي أنه قال للحارث الهمداني

يَأْحَارِ هَمْدَانٌ مَنْ يَمِتَّ يَرَنِي مِنْ مُؤْمِنٍ أَوْ مُنَافِقٍ قَبِيلاً
يَعْرِفُنِي طَرَفَهُ وَأَعْرِفُهُ بِعَيْنِهِ وَأَسْمِهِ وَمَا فَعَلَا

فإن صحت هذه الرواية فالمراد برويتهم في تلك الجبال العلم بشجرة ولايتهم وعداوتهم على اليقين بعلامات يجدونها من قوسهم ومشاهدة أحوال يدر كونها كما قد روي ان الإنسان اذا عاين الموت أرى في تلك الحالة ما يدل على انه من أهل الجنة او من أهل النار

قوله تعالى (١٦٠) فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّت لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا (١٦١) وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (آياتان)

المعنى *

ثم عطف سبحانه على ما تقدم بقوله (فبظلم من الذين هادوا) اي من اليهود معناه فبما ظلموا افسهم يارتكاب المعاصي التي تقدم ذكرها وقد مضى فيما تقدم عن الزجاج انه قال فبظلم من الذين هادوا بدل من قوله فبنقضهم ميثاقهم وما بعده والعامل في الباء قوله (حرّمنا عليهم طيبات) ولكنه لما طال الكلام اجمل في قوله فبظلم ما ذكره قبل واخبر انه حرّم على اليهود الذين تقضوا ميثاقهم الذي واثقوا الله عليه و كفروا بآياته وقتلوا انبياءه وقالوا على سرّ بهتاناً عظيماً وفعلوا ما وصفه الله طيبات من المأكّل وغيرها (أحلت لهم) اي كانت حلالا لهم قبل ذلك فلما فعلوا ما فعلوا اقتضت المصلحة تحريم هذه الاشياء عليهم عن مجاهد واكثر المفسرين وقال ابو علي الجبائي حرّم الله سبحانه هذه الطيبات على الظالمين منهم عقوبة لهم على ظلمهم وهي ما بيّن في قوله تعالى وعلى الذين هادوا حرّمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم الآية (وبصدمهم عن سبيل الله كثيرا) اي وبمنعهم عباد الله عن دينه وسبيله التي شرعها لعباده صدأ كثيرا وكان صدمهم عن سبيل الله تقوّلهم على الله الباطل وادعائهم ان ذلك عن الله وتبديلهم كتاب الله وتحريفهم معانيه عن وجوهه واعظم من ذلك كله جحدهم نبوة محمد (ص) وتركهم بيان ما علموه من امره لمن جهله من الناس عن مجاهد وغيره (واخذهم الربوا) اي ما فضل على رؤوس اموالهم بتأخيرهم له عن محله الى اجل آخر (وقد نهوا عنه) اي عن الربا (واكلمهم اموال الناس بالباطل) اي بغير استحقاق ولا استيجاب وهو ما كانوا يأخذونه من الرشى في الاحكام كقوله وأكلمهم السحت وما كانوا يأخذونه من اثمان الكتب التي كانوا يكتبونها بايديهم ويقولون هذا من عند الله وما اشبه ذلك من المأكّل الخبيثة عاقبهم الله تعالى على جميع ذلك بتحريم ما حرّم عليهم من الطيبات (واعتدنا للكافرين منهم) اي هيئنا يوم القيامة لمن جحد الله او الرسل

من هؤلاء اليهود (عذاباً أليماً) أي مؤلماً موجعاً واختلف في ان التحريم هل كان على وجه العقوبة ام لا فقال جماعة من المفسرين ان ذلك كان عقوبة واذا جاز التحريم ابتداء على جهة المصلحة جاز ايضاً عند ارتكاب المعصية على جهة العقوبة وقال ابو علي كان تحريمه عقوبة فيمن تعاطى ذلك الظلم ومصلحة في غيرهم وقال ابو هاشم ان التحريم لا يكون الا للمصلحة ولما صار التحريم مصلحة عند اقدمهم على هذا الظلم جاز ان يقال حرم عليهم بظلمهم قال لأن التحريم تكليف يستحق الثواب فعليه ويجب الصبر على ادائه فهو معدود في النعم بخلاف العقوبات

قوله تعالى (١٦٢) لَكِنَّ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا (آية)

✽ القراءة ✽

قرأ حمزة وحده سيوتيهم بالياء والباقون بالنون

✽ الحجة ✽

ذكرنا الوجه في ما قيل عند قوله أو لك سوف نؤتيهم أجورهم

✽ الإعراب ✽

اختلف في نصب المقيمين فذهب سيبويه والبصريون الى انه نصب على المدح على تقدير اعني المقيمين الصلاة قالوا اذا قلت مرت يزيد الكرم وانت تريد ان تعرف زيدا الكرم من زيد غير الكرم فالوجه الجرو إذا اردت المدح والثناء فإن شئت نصبت وقلت مرت يزيد الكرم كأنك قلت اذكر الكرم وان شئت رفعت فقلت الكرم على تقدير هو الكرم وقال الكسائي موضع المقيمين جرّ وهو معطوف على ما من قوله بما انزل اليك اي وبالمقيمين الصلاة وقال قوم انه معطوف على الماء والميم من قوله منهم على معنى لكن الراسخون في العلم منهم ومن المقيمين الصلاة وقال آخرون انه معطوف على الكاف من قبلك أي بما انزل من قبلك ومن قبل المقيمين الصلاة وقيل انه معطوف على الكاف في إليك او الكاف في قبلك وهذه الأقوال الأخيرة لا تجوز عند البصريين لانه لا يعطف بالظاهر على الضمير المجرور من غير إعادة الجار وقد شرحنا هذا في مبتدأ السورة عند قوله والارحام واما ما روي عن عروة عن عائشة قال سألتها عن قوله والمقيمين الصلاة وعن قوله والصابثون وعن قوله إن هذان فقالت يا ابن أخي هذا عمل الكتاب أخطأوا في الكتاب وما روي عن بعضهم ان في كتاب الله اشياء سئلتها العرب بالسنتها قالوا في مصحف ابن مسعود والمقيمين الصلاة فما لا يلتفت اليه لانه لو كان كذلك لم يكن لتعلمه الصحابة الناس على الفلظ وهم القدوة والذين اخذوه عن النبي (ص)

✽ المعنى ✽

ثم ذكر سبحانه مؤمنى اهل التوراة فقال (لكن الراسخون في العلم) والدين وذلك ان عبد الله بن سلام واصحابه قالوا للنبي (ص) ان اليهود لتعلم ان الذي جئت به حق وانك لعندهم مكتوب في التوراة فقالت اليهود ليس كما يقولون انهم لا يعلمون شيئا وانهم يفترونك ويمجدونك بالباطل فقال الله تعالى لكن الراسخون الثابتون المبالغون في العلم المدارسون بالتوراة (منهم) اي من اليهود يعني ابن سلام واصحابه من علماء اليهود (والمؤمنون) يعني اصحاب النبي من غير اهل الكتاب (يؤمنون بما انزل اليك) يا محمد من القرآن والشرائع انه حق (وما انزل من قبلك) من الكتب على الانبياء والرسل وقيل انما استثنى الله تعالى من وصفهم من هداه الله لدينه ووقفه لرشده من اليهود الذين ذكروهم فيما مضى من قوله يسألك اهل الكتاب الى هاهنا فقال لكنهم

لا يسألونك ما يسأل هو لاء الجهال من ازال الكتاب من السماء لا نهم قد علموا مصداق قولك بما قرأوا في الكتب المنزلة على الانبياء ووجوب اتباعك عليهم فلا حاجة لهم الى ان يسألوك معجزة اخرى ولا دلالة غير ما علموا من امرك بالعلم الراسخ في قلوبهم عن فتادة وغيره (والمقيمين الصلاة) اذا كان نصبا على الثناء والمدح على تقدير واذكر المقيمين الصلاة وهم المؤمنون الزكاة وبكون على هذا عطفاً على قوله والراسخون في العلم منهم والمؤمنون والمعنى والذين يؤدون الصلاة بشرائطها واذا كان جراً عطفاً على ما انزل اي يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك والمقيمين الصلاة لقبيل ان المراد بهم الانبياء اي يؤمنون بالانبياء المقيمين للصلاة وقيل المراد بهم الملائكة واقامتهم للصلاة تسيحهم ربهم واستغفارهم لمن في الارض اي وبالملائكة واختاره الطبري قال لانه في قرآءة ابي كذلك وكذلك هو في مصحفه وقيل المراد بهم الائمة المعصومون (والمؤمنون الزكاة) اي والمعطون زكاة اموالهم (والمؤمنون بالله) بانه واحد لا شريك له (واليوم الآخر) وبالبعث الذي فيه جزاء الاعمال (اولئك) اي هؤلاء الذين وصفهم الله (سنوتهم) اي سنعتهم (اجرا) اي ثوابا وجزاء على ما كان منهم من طاعة الله واتباع امره (عظيماً) اي جزيلاً وهو الخلود في الجنة

قوله تعالى (١٦٣) اِنَّا اَوْحَيْنَا اِلَيْكَ كَمَا اَوْحَيْنَا اِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَاَوْحَيْنَا اِلَى اِبْرَاهِيمَ وَاِسْمَاعِيلَ وَاِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَاَلْاَسْبَاطِ وَعِيسَى وَاَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَاَتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا (آية)

✽ القراءة ✽

قرأ حمزة وخلف زبوراً بضم الزاي حيث وقعت والباقون زبوراً بفتحها

✽ الحجة ✽

زبوراً يجوز ان يكون جمع زبور مجذوف الزيادة ومثله تخوم وتخوم وعذوب وعذوب ولا نظير لهذه الثلاثة ويجوز ان يكون جمع زبر بمعنى المزبور كقولهم ضرب الأمير وفسخ البيعت

✽ اللفظة ✽

والزبر احكام العمل في البر خاصة يقال بئر مزبور اي مطوية بالحجارة ويقال ما لفلان زبر اي عقل وزبرة من الحديد قطعة منه وجمعه زبر وزبرت الكتاب ازره زبراً وزبرته ازره زبراً اي كتبه

✽ المعنى ✽

ثم خاطب سبحانه نبيه بقوله (انا اوحينا اليك) يا محمد قدّمه في الذكر وان تأخرت نبوته لتقدمه في الفضل (كما اوحينا الى نوح) وقدّم نوحاً لانه أبو البشر كما قال وجعلنا ذريته هم الباقين وقيل لانه كان اطول الانبياء عمراً وكانت معجزته في نفسه لبث في قومه الف سنة الا خمسين عاماً لم يسقط له سن ولم تنقص قوته ولم يثب شعره وقيل لانه لم يبلغ احد منهم في الدعوة مثل ما بالغ فيها ولم يقاس احد من قومه ما قاساه وهو اول من عذبت أمته بسبب ان ردت دعوته (والنبيين من بعده) اي واوحينا الى النبيين من بعد نوح (واوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب) اعاد ذكر هؤلاء بعد ذكر النبيين تعظيماً لامرهم وتفخيماً لشأنهم (والاسباط) وهم اولاد يعقوب وقيل ان الاسباط في ولد اسحاق كلقبائل في ولد اسماعيل وقد بعث منهم عدة رسل كيوسف وداود وسليمان وموسى وعيسى فيجوز ان يكون اراد بالوحي

ج ٣

اليهم الوحي إلى الأنبياء منهم كما تقول أرسلت إلى بني تميم إذا أرسلت إلى وجوههم ولم يصبح إن الأسباب الذين هم أخوة يوسف كانوا أنبياء (وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان) وقدم عيسى على أنبياء كانوا قبله لشدة العناية بأمره لعل اليهود في الطعن فيه والواو لا يوجب الترتيب (وآتينا داود زبوراً) أي كتابا يسمى زبوراً واشتهر به كما اشتهر كتاب موسى بالتوراة وكتاب عيسى بالإنجيل

﴿ النظم ﴾

هذه الآية تتصل بما قبلها من قوله يستلك أهل الكتاب إن تنزل عليهم كتابا من السماء وهذا يدل على أنهم قد سألوه ما يدل على نبوته فأخبر سبحانه أنه أرسله كما أرسل من تقدمه من الأنبياء وأظهر عليه المبررات التي هي على أيديهم وقيل إن اليهود لما تلا النبي عليهم تلك الآيات قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء بعد موسى فكذبهم الله بهذه الآيات إذ أخبر أنه قد أنزل على من بعد موسى من الذين سأمهم ومن لم يسمهم عن ابن عباس

قوله تعالى (١٦٤) وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ تَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا (١٦٥) رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (آياتان)

﴿ الاعراب ﴾

ورسلا منصوب من وجهين (أحدهما) أن يكون منصوبا بفعل مضمير بفسره الذي ظهر أي وقصصنا رسلا قد قصصناهم عليك كما تقول رأيت زيدا وعمرا أكرمتهم أي وكرمت عمرا أكرمته ويجوز أن ينصب رسلا على معنى أوحينا لأن معنى أوحينا إليك أنا أرسلناك موحيين إليك وأرسلنا رسلا قد قصصناهم عليك هذا قول الزجاج وقال الفراء أنه على تقدير أنا أوحينا إليك وإلى رسل قد قصصناهم عليك ورسلا لم تقصصهم فلما حذف إلى نصب الفعل رسلا مبشرين منصوب على الحال ويجوز أن يكون منصوبا على المدح على تقدير أعني رسلا مبشرين

﴿ المعنى ﴾

ثم أجل ذكر الرسل بعد تسمية بعضهم فقال (ورسلا) أي ورسلا آخرين (قد قصصناهم عليك) أي ما حكينا لك أخبارهم وعرفناك شأنهم وأمورهم من قبل قال بعضهم قصصهم عليه بالوحي في غير القرآن (من قبل) ثم قصصهم عليه من بعد في القرآن وقال بعضهم قصصهم عليه من قبل هو لا، بكفة في سورة الانعام وفي غيرها لأن هذه السورة مدنية (ورسلا لم تقصصهم عليك) هذا يدل على أن الله سبحانه أرسل رسلا كثيرة لم يذكرهم في القرآن وإنما قصص بعضهم على النبي لفضيلتهم على من لم يقصصهم عليه (وكلم الله موسى تكليما) فإثباته أنه سبحانه كلم موسى بلا واسطة إبانة له بذلك من سائر الأنبياء لأن جميعهم كلمهم الله سبحانه بواسطة الوحي وقيل إنما قال تكليما ليعلم أن كلام الله عز ذكره من جنس هذا المقول الذي يشق من التكليم بخلاف ما قاله المبطلون وروي أن رسول الله (ص) لما قرأ الآية التي قبل هذه على الناس قالت اليهود فيا بينهم ذكر محمد (ص) النبيين ولم يبين لنا أمر موسى فلما نزلت هذه الآية وقرأها عليهم قالوا إن محمداً قد ذكره وفضله بالكلام عليهم (رسلا مبشرين) بالجنة والثواب لمن آمن وأطاع (ومنذرين) بالنار

والعقاب لمن كفر وعصى (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) فيقولوا لم ترسلنا رسولا ولو ارسلت لا منا بك كما اخبر سبحانه في آية اخرى بقوله لقالوا ربنا لولا ارسلت بنا رسولا وفي هذه الآية دلالة على فساد قول من زعم ان عند الله تعالى من اللطف ما لوفقه بالكافر لا من لانه لو كان كذلك لكان للكفار الحجة بذلك على الله تعالى قائمة فأما من لم يعلم من حاله ان له في انفاذ الرسل اليه لطفا فالحجة قائمة عليه بالعقل وادائه الدالة على توحيد وعده ولو لم يقم الحجة الا بانفاذ الرسل لفسد ذلك من وجهين * أحدهما * ان صدق الرسول لا يمكن العلم به الا بعد تقدم العلم بالتوحيد والعدل فإن كانت الحجة عليه غير قائمة فلا طريق له الى معرفة النبي (ص) وصدقه * والثاني * انه لو كانت الحجة لا تقوم الا بالرسل لاحتاج الرسول ايضا الى رسول آخر حتى تكون الحجة عليه قائمة والكلام في رسوله كالكلام فيه حتى يسلسل وذلك فاسد فمن استدل بهذه الآية على ان التكليف لا يصح بحال الا بعد انفاذ الرسل فقد ابعد لما قلناه (وكان الله عزيزا) اي مقتدرا على الانتقام ممن يعصيه ويكفر به (حكيم) فيما امر به عباده وفي جميع افعاله قوله تعالى (١٦٦) لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَكُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا (آية)

﴿ النزول ﴾

قيل ان جماعة من اليهود دخلوا على رسول الله (ص) فقال النبي لهم اني اعلم انكم تعلمون اني رسول الله فقالوا لا نعلم ذلك ولا تشهد به فانزل الله تعالى هذه الآية

﴿ المعنى ﴾

ثم قال سبحانه بعد انكارهم وجحودهم (لكن الله يشهد بما انزل اليك) معناه ان لم يشهد لك هو لاه بالنبوة فالله يشهد لك بذلك قال الزجاج والشاهد هو المبين لما يشهد به والله سبحانه يبين ما انزل على رسوله (ص) بنصب المعجزات له ويبين صدقه بما يفني عن بيان أهل الكتاب (انزله بعلمه) معناه انزل القرآن وهو عالم بانك موضع لانزاله عليك لقيامك فيه بالحق ودعائك الناس اليه وقبل معناه انزل القرآن الذي فيه علمه عن الزجاج (والملائكة يشهدون) بأنك رسول الله وان القرآن نزل من عند الله (وكفى بالله شهيدا) معناه ان شهادة الله تكفي في تثبيت المشهود ولا يحتاج معها الى شهادة وفي هذه الآية تسليمة النبي على تكذيب من كذبه ولا يصح قول من استدل على ان الله سبحانه عالم بعلم بما في هذه الآية من قوله انزله بعلمه لانه لو اراد بالعلم ما ذهبوا اليه من كونه ذاتا سواء لوجب ان يكون آله في الانزال كما يقال كتبت بالقلم وعمل النجار بالقدوم ولا خلاف ان العلم ليس بالآله في الانزال

قوله تعالى (١٦٧) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا

(١٦٨) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنْ اللَّهُ لِيُغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا

(١٦٩) إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (ثلاث آيات)

﴿ المعنى ﴾

(ان الذين كفروا) بانفسهم (وصدوا) غيرهم (عن سبيل الله) عن الدين الذي بعثك الله به الى خلقه

(قد ضلوا ضلالاً بعيداً) يعني جاوزوا عن قصد الطريق جوازا شديداً وزالوا عن المحجة التي هي دين الله الذي ارتضاه لعباده وبعثك به إلى خلقه زوالاً بعيداً عن الرشاد (ان الذين كفروا) جحدوا رسالة محمد (وظلموا) محمداً بتكذيبهم إياه ومقامهم على الكفر على علم منهم بظلمهم أولياء الله حسداً لهم وبغياً عليهم (لم يكن الله ليغفر لهم) أي لم يكن الله ليغفر لهم عن ذنوبهم بترك عقابهم عليها (ولا يهديهم طريقاً) أي لا يهديهم إلى طريق الجنة لأن الهداية إلى طريق الإيمان قد سبقت وعم الله بها جميع المكلفين (الاطريق جهنم) معناه لكن يهديهم طريق جهنم جزاء لهم على ما فعلوه من الكفر والظلم والخذل فيهما أي مقيمين فيها أبداً وكان ذلك) أي تخليد هؤلاء الذين وصفهم في جهنم (على الله يسيراً) لأنه إذا اراد ذلك لم يقدر على الامتناع منه أحداً

✽ النظم ✽

واتصال هذه الآيات بما قبلها اتصال التقبض على جهة المقابلة لأن ما قبلها يتضمن الشهادة له بالنبوة تسلياً له عما لحقه من تكذيب الكفار وهذه الآيات تتضمن تخيير الكفار بذهابهم من الرشد

قوله تعالى (١٧٠) يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (آية)

✽ الإعراب ✽

الباء في قوله بالحق للتعدي كهمزة أفعل تقول جئت إلى عمرو وأجاءني زيد وجاءني إلى عمرو وقوله خيراً لكم قال الزجاج اختلفوا في نصب خيراً فقال الكسائي انصب بخروجه عن الكلام كقولهم لتقومن خيراً لك وائته خيراً لك فإذا كان الكلام ناقصاً رفضوا فقالوا ان تته خيراً لك قال الفراء انصب هذا وقوله انتهوا خيراً لكم لأنه منصل بالأصرو لم يقل هو ولا الكسائي من أي المنصوبات هو ولا شرّحاه وقال الخليل وجميع البصريين ان هذا محمول على معناه لأنك إذا قلت انته خيراً لك فأنت تدفعه عن أمر وتدخله في غيره كأنك قلت انته وائت خيراً لك وادخل فيما هو خير لك وانشد سيبويه قول عمر بن أبي ربيعة

فَوَاعَدْتُهُ سَرَحَتِي مَالِكٍ أَوِ الرَّبِّيِّ بَيْنَهُمَا أَسْهَلًا (٢)

كانه قال اتى مكانا سهل

✽ المعنى ✽

ثم عاد سبحانه إلى العظة وعم الخلق بذلك فقال (يا أيها الناس) خطاب لجميع المكلفين وقبل خطاب للكفار (قد جاءكم الرسول) يعني محمداً (ص) (بالحق) أي بالدين الذي ارتضاه الله لعباده وقبل بولاية من أمر الله تعالى بولايته عن أبي جعفر (ع) (من ربكم) أي من عند ربكم (فآمنوا) أي صدقوه وصدقوا ما جاءكم به من عند ربكم (خير لكم) أي اتوا خيراً لكم مما أنتم عليه من الجحود والتكذيب (وان تكفروا) أي تكذبوه فيما جاءكم به من عند الله (فإن لله ما في السموات والأرض) أي فإن ضرر ذلك يعود عليكم دون الله فإنه يملك ما في السموات والأرض لا ينقص كفركم فيما كذبتم به نبيه شيئاً من ملكه وسلطانه (وكان الله عليماً) بما أنتم صائرون إليه من طاعته أو معصيته (حكياً) في أمره ونهيه إياكم وتديره فيكم وفي غيركم

قوله تعالى (١٧١) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ
 إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقِيهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَأَمِينُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ
 وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي
 السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (آية)

✽ اللفظة ✽

اصل الغلو مجاوزة الحد يقال غلوا في الدين يغلو غلوا او غلا بالجارية لحمها وعظمها اذا سرعت الشباب
 وتجاوزت لدايتها تغلو غلوا وغلأ قال الحرث بن خالد المعزومي

خُصَّانَةٌ قَلِقٌ مَوْشَعًا رُوِّدَ الشَّبَابِ غَلَابًا عَظْمًا (١)

وغلا بسهمه غلوا اذا رمى به اقصى الغاية وتعالى الرجلان تفاعلا من ذلك واصل المسيح المسوح سماه
 الله بذلك لتطهيره اياه من الذنوب والادناس التي تكون في الآدميين وقبل انه سر باني واصله مشيحا فمرت كما
 عربت اسما الا نبياء وقيل انه ليس مثل ذلك فان اسحاق ويعقوب واسماعيل وغيرها اسما لا صفات والمسيح
 صفة ولا يجوز ان يخاطب الله خلقه في صفة شيء الا بما يفهم واما الدجال فإنه سمي المسيح لانه ممسوح العين
 البنى او اليسرى وعيسى ممسوح البدن من الادناس والآثام كما روي عن النبي (ص)

✽ الاعراب ✽

ثلاثة خبر مبتدأ محذوف دل عليه ظاهر الكلام وتقديره لا تقولوا ثم ثلاثة وكذلك كل ما ورد من
 مرفوع بعد القول لا رافع معه ففيه اضمار اسم رافع لذلك الاسم وانما جاز ذلك لأن القول حكاية
 والحكاية تكون للكلام تام انتهوا خيرا لكم قد ذكرنا وجه النصب في خيرا فيما قبل وان يكون في موضع نصب
 اي سبحانه من ان يكون فلما حذف حرف الجر وصل اليه الفعل فنصبه وقيل في موضع جر وقد مر نظائره

✽ المعنى ✽

ثم عاد سبحانه الى حجاج اهل الكتاب فقال (يا اهل الكتاب) قيل انه خطاب لليهود والنصارى
 عن الحسن قال لأن النصارى غلت في المسيح فقالت هو ابن الله وبعضهم قال هو الله وبعضهم قال هو ثالث
 ثلاثة الاله والابن وروح القدس واليهود غلت فيه حتى قالوا ولد لتبر رشدة فالغلو لازم للفريقين وقيل
 للنصارى خاصة عن ابي علي وابي مسلم وجماعة من المفسرين (لا تغلوا في دينكم) اي لا تفرطوا في دينكم
 ولا تتجاوزوا الحق فيه (ولا تقولوا على الله الا الحق) اي قولوا انه جل جلاله واحد لا شريك له ولا صاحبة
 ولا ولد ولا تقولوا في عيسى انه ابن الله او شبهه فإنه قول بغير الحق (انما المسيح) وقد ذكرنا معناه وقيل
 سمي بذلك لانه كان يمسح الأرض مشيا (عيسى بن مريم) هذا بيان لقوله المسيح يعني انه ابن مريم
 لابن الله كما يزعمه النصارى ولا ابن أب كما تزعمه اليهود (رسول الله) ارسله الله الى الخلق لا كما زعمه الفرقتان
 المبتلغان (وكلمته) يعني انه حصل بكلمته التي هي قوله كُنْ عن الحسن وقتادة وقيل معناه انه يهتدي به
 الخلق كما اهتدوا بكلام الله ووجهه عن ابي علي الجبائي وقيل معناه بشارة الله التي بشر بها مريم على لسان
 الملائكة كما قال واذا قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة وهو المراد بقوله (الفاها الى مريم) كما

(١) خصمانه مؤنث الغيبين : ضمير البطن . قلق : اضطرب فهو قلق . وثوب موشع : منقش . ورؤد الشباب :
 اي انها في ريعان الشباب . (٢) الرشدة : ضد الزنية .

يقال التبت اليك كلمة حسنة اي قلت وقيل معنى القاها الى مريم خلقها في رحمها عن الجبائي (وروح منه)
فيه اقوال * أحدها * انه انما سماه روحاً لانه حدث عن نفخة جبرائيل في درع مريم بأمر الله تعالى وانما نسيه
اليه لانه كان بأمره وقيل انما اضافه إلى نفسه تفخياً لشأنه كما قال الصوم لي وانا اجزي به وقد يسمى النفخ
روحاً واستشهد على ذلك بيت ذي الرمة يصف ناراً

فَقَلَّتْ لَهُ ارْقَمًا إِلَيْكَ وَأَحْيَاهَا
وَوَظَاهِرُهَا مِنْ يَابِسِ الشُّخْتِ وَأَسْتَمِعْنَ (١)

بِرُوحِكَ وَأَقْتَتَهُ لَهَا قِتَّةً قَدْرًا
عَلَيْهِ الصَّبَا وَأَجَمَلَ يَدَيْكَ لَهَا سَتْرًا

ومعنى احياها بروحك اي بنفخك ويقال اقلت النار اذا اطمتها حطبا * والثاني * ان المراد به يحيى به الناس في دينهم
كما يحيون بالارواح عن الجبائي فيكون المعنى انه جعله نبياً يقتدى به ويستن بسنته ويهتدى بهداه * والثالث *
ان معناه انسان احياه الله بتكوينه بلا واسطة من جماع او نطفة كما جرت العادة بذلك عن ابي عبيدة * والرابع *
ان معناه ورحمة منه كما قال في موضع آخر وأيدم بروح منه اي برحمة منه فجعل الله عيسى رحمة على
من آمن به واتبعة لانه هداهم الى سبيل الرشاد * والخامس * ان معناه روح من الله خلقها فصورها ثم أرسلها
إلى مريم فدخلت في فيها فصيرها الله تعالى عيسى عن ابي العالية عن ابي بن كعب * والسادس * ان معنى الروح
ها هنا جبرائيل (ع) فيكون عطفا على ما في القاها من ضمير ذكر الله وتقديره القاها الله الى مريم وروح منه أي من
الله اي جبرائيل القاها ايضاً اليها (فأموا بالله ورسله) امرهم الله بتصديقه والاقرار بوحديته وتصديق رسله فياجاؤا
به من عنده وفيما اخبرهم به من ان الله سبحانه لا شريك له ولا صاحبة ولا ولد (ولا تقولوا ثلاثة) هذا
خطاب للنصارى اي لا تقولوا إلهنا ثلاثة عن الزجاج وقيل هذا لا يصح لأن النصارى لم يقولوا بثلاثة
آلهة ولكنهم يقولون إله واحد ثلاثة أقانيم أب وابن وروح القدس ومعناه لا تقولوا الله ثلاثة أب وابن وروح
القدس وقد شبهوا قولهم جوهر واحد ثلاثة أقانيم بقولنا سراج واحد ثم تقول ثلاثة اشياء دهن وقطن ونار
وشمس واحدة وانما هي جسم وضوء وشماع وهذا غلط بعيد لا نالا نضي بقولنا سراج واحد انه شيء واحد
بل هو اشياء على الحقيقة وكذلك الشمس كما تقول عشرة واحدة وانسان واحد ودار واحدة وانما هي اشياء
متفايرة فإن قالوا ان الله شيء واحد وإله واحد حقيقة قولهم ثلاثة متناقضة وان قالوا انه في الحقيقة اشياء
مثل ما ذكرناه في الإنسان والسراج وغيرها فقد تركوا القول بالتوحيد والتحقوا بالمشبهة والافلا واسطة بين
الأميرين (انتهوا) عن هذه المقالة الشنيعة اي امتنعوا عنها خيراً لكم اي انشوا بالانتهاء عن قولكم خيراً لكم مما
تقولون (إنما الله إله واحد) اي ليس كما تقولون انه ثالث ثلاثة لأن من كان له ولد او صاحبة لا يجوز أن
يكون إلهاً معبوداً ولكن الله الذي له الإلهية وتحقق له المباداة إله واحد لا ولد له ولا شبه له ولا
صاحبة له ولا شريك له ثم نزه سبحانه نفسه عما يقوله المبطلون فقال (سبحانه أن يكون له ولد) ولفظة
سبحانه تفيد التنزيه عما لا يليق به اي هو منزّه عن ان يكون له ولد (له ما في السموات وما في الأرض)
ملكاً ومليكا وخالقاً وهو يملكها وله التصرف فيها وفيما بينها ومن جملة ذلك عيسى وامه فكيف يكون الملوك
والمخلوق ابنا للمالك والخالق (وكفى بالله وكيلاً) اي حسب ما في السموات وما في الأرض بالله قيساً
ومدبراً ورازقاً وقيل معناه وكفى بالله حافظاً لأعمال العباد حتى يجازيهم عليها فهو تنبيه للرسول ووعيد
للقائلين فيه سبحانه بما لا يليق به

قوله تعالى (١٧٢) لَنْ يَسْتَكْفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ
يَسْتَكْفَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا (١٧٣) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ
عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ثلاث آيات شامي وآبان في غيرهم

= اللغة =

الاستنكاف الأنفة من الشيء واصله في اللغة من نكفت الدمع اذا نحتته باصبعك من خديك قال الشاعر
فَبَانُوا قَلُولًا مَا تَذَكَّرَ مِنْهُمْ
مِنْ الْخَلْفِ لَمْ يَنْكَفْ لِعَيْنِكَ مَدَمَعٌ (١)
ودرم منكوف مبرج ردي لأنه يمتنع من أخذه لردائه ونكفت من الأمر بكسر الكاف بمعنى استنكفت
ايضا حكاها أبو عمرو فتأويل لن يستكف لن يمتنع والاستكبار طلب الكبر من غير استحقاق
والتكبر قد يكون باستحقاق فلذلك جاز في صفة الله تعالى التكبر ولا يجوز المنكبر

✽ النزول ✽

روي أن وفد نجران قالوا لنبينا يا محمد لم تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا عيسى (ع) قال واتي
شيء اقول فيه قالوا تقول انه عبد الله ورسوله فنزلت الآية

✽ المعنى ✽

لما تقدم ذكر النصارى والحكاية عنهم في أمر المسيح عقبه سبحانه بالرد عليهم فقال (لن يستكف) اي
لن يأنف ولم يمتنع (المسيح) يعني عيسى (ع) من (ان يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون) اي ولا الملائكة
المقربون بأنفون ويستكبرون عن الإقرار بعبوديته والاذعان له بذلك والمقربون الذين قربهم تعالى ورفع
منازلهم على غيرهم من خلقه (ومن يستكف عن عبادته) اي من يأنف عن عبادته (ويستكبر) اي يمتعظ
بترك الأذعان لطاعته (فسيحشرهم) اي فسيجمعهم (اليه) يوم القيامة (جسماً) يجمعهم لموعدم عنده ومعنى قوله
اليه اي الى الموضع الذي لا يملك التصرف فيه سواه كما يقال صار امر فلان الى الأمير اي لا يملكه
غير الأمير ولا يواد بذلك المكان الذي فيه الأمير واستدل بهذه الآية من قال بأن الملائكة افضل من
الأنبياء قالوا إن تأخير ذكر الملائكة في مثل هذا الخطاب يقتضي تفضيلهم لأن المادة لم تجر بأن يقال لن
يستكف الأمير ان يفعل كذا ولا الحارس بل يقدم الأذن ويؤخر الأعمام فيقال لن يستكف الوزير ان
يفعل كذا ولا السلطان وهذا يقتضي فضل الملائكة على الأنبياء واجاب اصحابنا عن ذلك بأن قالوا إنما
آخر ذكر الملائكة عن ذكر المسيح لأن جميع الملائكة افضل واكثر ثواباً من المسيح وهذا لا يقتضي ان
يكون كل واحد منهم افضل من المسيح وانما الخلاف في ذلك وايضا فإننا وان ذهبنا الى أن الأنبياء افضل
من الملائكة فإننا نقول مع قولنا بالتفاوت انه لا تفاوت في الفضل بين الأنبياء والملائكة ومع التقارب والتداني
يحسن ان يقدم ذكر الأفضل الا ترى انه يحسن ان يقال ما يستكف الأمير فلان من كذا ولا الأمير
فلان اذا كانا متساويين في المنزلة او متقاربين وانما لا يحسن ان يقال ما يستكف الأمير فلان من كذا ولا الحارس
لأنجل التفاوت (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فبوفيههم أجورهم) ويوتيههم جزاء اعمالهم وعد الله الذين

(الجزء السادس) قوله تعالى يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم إلى قوله ويهديهم إليه صراطا مستقيما ١٤٧

يقرون بوحدانيته ويعملون بطاعته انه يوفيه أجورهم ويؤتيهم جزاء أعمالهم الصالحة واقيا تاما (ويزيدهم من فضله) اي يزيدهم على ما كان وعدم به من الجزاء على أعمالهم الحسنة والثواب عليها من الفضل والزيادة ما لم يعرفه مبلغه لانه وعد على الحسنة عشر امثالها من الثواب الى سبعين ضعفا والى سبعمائة والى الاضعاف الكثيرة والزيادة على المثل تفضل من الله تعالى عليهم (واما الذين استنكفوا) اي انفوا عن الاقرار بوحدانيته (واستكبروا) اي تعظفوا عن الاذعان له بالطاعة والعبودية (فيعذبهم عذابا أليما) اي مؤلما موجعا (ولا يجيدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا) اي ولا يجيد المستنكفون المستكبرون لانفسهم وليا ينجيهم من عذابه وتناصرهم بتقديم من عقابه

قوله تعالى (١٧٤) يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا (١٧٥) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَأَعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (آياتان)

❖ الفقرة ❖

البرهان الشاهد بالحق وقيل البرهان البيان يقال برهن قوله اي بينه بحجة والاعتصام الامتناع واعتصم فلان بالله اي امتنع من الشرية والعصمة من الله دفع الشر عن عبده واعتصم فلانا هيت له ما يعتصم به والعصمة من الله تعالى على وجهين ❖ احدهما ❖ بمعنى الحفظ وهو ان يمنع عبده كيد الكائدين كما قال سبحانه لنبيه (ص) والله بعصك من الناس ❖ والاخر ❖ ان يلفظ بعبده بشي يمتنع عنده من المعاصي

❖ الإعراب ❖

صراطا انتصب على انه مفعول ثان ليهديهم فهو على معنى يعرفهم صراطا ويميز ان يكون حالا من الهاء في اليه بمعنى ويهديهم الى الحق صراطا

❖ المعنى ❖

لما فصل الله ذكر الأحكام التي يجب العمل بها ذكر البرهان بعد ذلك ليكون الإنسان على ثقة وبقين فقال (يا أيها الناس) وهو خطاب للمكلفين من ساير الملل الذين قص قصصهم في هذه السورة (قد جاءكم برهان من ربكم) اي أتاكم حجة من الله يبرهن لكم عن صحة ما امركم به وهو محمد لما معه من المعجزات القاهرة الشاهدة بصدقه وقيل هو القرآن (وانزلنا اليكم) معه (نورا مبينا) يبين لكم الحجة الواضحة ويهديكم الى الحق ما فيه النجاة لكم من عذابه وأليم عقابه وذلك النور هو القرآن عن مجاهد وقادة والسدي وقيل النور ولاية علي (ع) عن أبي عبد الله (ع) (فاما الذين آمنوا بالله) اي صدقوا بوحدانية الله واعترفوا ببعث محمد (ص) (واعتصموا به) اي تمسكوا بالنور الذي انزله على نبيه (فسيدخلهم في رحمة منه) اي نعمة منه هي الجنة عن ابن عباس (وفضل) يعني ما ييسر لهم من الكرامة وتضخيف الحسنات وما يزداد لهم من النعم على ما يستحقونه (ويهديهم اليه صراطا مستقيما) اي يوفقههم لإصابة فضله الذي يتفضل به على أوليائه ويسددهم لسلوك منهج من انعم عليه من أهل طاعته واقتفاء آثارهم والاهتداء بهديهم والاستئنان بستمهم واتباع دينهم وهو

الصراط المستقيم الذي ارتضاه الله منبجاً لعباده

قوله تعالى (١٧٦) يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنَّ أَمْرًا هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَكَلْدٌ
وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِيئُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَكَلْدٌ فَإِنْ كَانَتَا أَنْثَىٰ فَلِلَّذَاتَيْنِ
مِثْلُ مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلَّذَكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَىٰ بَيْنَ اللَّهِ لَكُمْ أَنْ
تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (آية)

✽ اللفظة ✽

قد ذكرنا معنى الكلالة في اول السورة والاستفتاء السؤال عن الحكم وهو استعمال من الفتيا ويقال افتى
في المسئلة اذا بين حكمها فتوى وفتيا

✽ الاعراب ✽

يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة يسأل عن آي الفاعلين اعلم في الكلالة والجواب ان المعمل الثاني
وهو يفتيكم والتقدير يستفتونك في الكلالة قل الله يفتيكم في الكلالة واعمال الفعل الثاني هو الأجود
وجاء عليه القرآن نحو قوله واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله فاعمل يستغفر ولو اعلم تعالوا لقال
تعالوا يستغفر لكم الى رسول الله (ص) ومنه قول طفيل

وَكَتَبْنَا مَدْمَاءً كَانَتْ مَتُونَهَا جَرَى قَوْعَهَا وَاسْتَشْرَحَتْ لَوْنٌ مَذْهَبٌ (٢)

فاعمل استشعرت ولو اعلم جرى لقال واستشعرت لون مذهب ومثل ذلك قول كثير

قَضَى كُلُّ ذِي دِينٍ قَوْعِي غَرِيمَةً وَعِزَّةٌ تَمْطُولُ مَعْنَى غَرِيمًا (٣)

فاعمل وقى ولو اعلم قضى لقال قضى كل ذي دين فوفاه غريمه وهو كثير في القرآن والشعر وقوله
ان امرؤ هلك ارتفع امرؤ باضمار فعل يفسره ما بمدته وتقديره ان هلك امرؤ هلك ولا يجوز اظهاره لان
الثاني يصرعه وقوله فان كانتا اثنتين انما ذكرت اثنتين وان دلت الالف عليهما لأحد امرين اما ان يكون
تأكيده الضمير كما تقول انا فاضلت انا واما ان يبين ان المطلوب في ذلك العدد دون غيره من الصفات من صغر
او كبر او عقل او عدمه بل متى حصل العدد ثبت الميراث وهذا قول ابي علي الفارسي وهو الصحيح وقوله
رجالاً ونساءً بدل من قوله اخوة وهو خبر كان وقوله يبين الله لكم ان تضلوا في ان ثلاثة اقوال ✽ احدها ✽
ان المعنى ان لا تضلوا اضمر حرف النفي وتلخيصه لثلاث تضلوا عن الكسائي وانشد القطامي

رَأَيْنَا مَا يَرَى الْبَصَرَاءُ فِيهَا قَالَيْنَا عَلَيْهَا أَنْ تَبَاعَا

يريد ان لا تباع ✽ وثانيها ✽ ما قاله البصريون ان المعنى كراهة ان تضلوا فهو على هذا في موضع نصب
بأنه مفعول له ومثله قول عمرو بن كلثوم (فجبلنا القرى ان تشموننا) اي كراهة ان تشموننا قالوا ولا يجوز
ان يضمر لا لانه حرف جاء لمعنى فلا يجوز حذفه ولكن يجوز ان تدخل لافي الكلام مؤكدة وهي لتو
كقوله لأن لا يعلم اهل الكتاب ان لا يقدرين والمعنى لأن يعلم وكقول الشاعر

وَمَا لَوَّمِ الْبَيْضَ أَنْ لَا تَسْخَرَا إِذَا رَأَيْنَ الشَّمْطَ الْقَفَنَدْرَا (٤)

والمعنى ان تسخرا ✽ وثالثا ✽ ما قاله الاخفش وهو ان مع الفعل بتأويل المصدر وموضع ان نصب

(١) [ضغفد الاول لدلالة الثاني عليه و لو اعلم الاول لقال يستفتونك قل الله يفتيكم فيها في الكلالة]

(٢) الكسيت من الضبل : ما كان لونه بين الاسود والاحمر وهو تصغير ا كمت على غير القياس والجمع : كمت . البدمى :

الشديد الحرمة من الضبل وغيرها . المتون جمع متن : الظهر . واستشعرت اي لبست الشمار . ومذهب : السوء بالذهب
(٣) حزة : اسم امرأة . مطلقه حة : سوف يوجه الوفاء مرة بعد الاخرى وضم . حمة الرجل : آذنه (٤) الشَّمْطُ :

بَيِّنْ وَتَقْدِيرَهُ بَيْنَ اللَّهِ لَكُمْ الصَّلَاةَ اتَّجْتَنِبُوهُ

﴿ النزول ﴾

اختلف في سبب نزول الآية فروي عن جابر بن عبد الله انه قال اشتكيت وعندى تسع أخوات لي او سبع فدخل علي النبي فنفخ في وجهي فاقتقت فقلت يا رسول الله (ص) الا اوصي بالثلثين قال احسن قلت الشطر قال احسن ثم خرج وتركني ورجع الي فقال يا جابر اني لا اراك ميتا من وجهك هذا وان الله تعالى قد أنزل في الذي لأخواتك فجعلهن الثلثين قالوا وكان جابر يقول أنزلت هذه الآية في سورة نزلت كاملة براءة وأخر آية نزلت خاتمة سورة النساء يستفتونك الآية اورده البخاري ومسلم في صحيحهما وقال جابر نزلت بالمدينة وقال ابن سيرين نزلت في مسير كان فيه رسول الله (ص) واصحابه وتسمى هذه الآية آية الصيف وذلك ان الله تعالى أنزل في الكلالة آيتين احدها في الشتاء وهي التي في اول هذه السورة وأخرى في الصيف وهي هذه الآية وروي عن عمر بن الخطاب انه قال سألت رسول الله (ص) عن الكلالة فقال يكفيك او يجزيك آية الصيف

﴿ المعنى ﴾

لما بين سبحانه في أول السورة بعض سهام الفرائض ختم السورة ببيان ما بقي من ذلك فقال (ستفتونك) يا محمد اي يطلبون منك الفتيا في ميراث الكلالة (قل الله يفتيكم) اي يبين لكم الحكم (في الكلالة) هو اسم للاخوة والاخوات عن الحسن وهو المروي عن أنثى (ع) وقيل هي ما سوى الوالد والولد عن ابي بكر وجماعة من المفسرين (ان أمروا هلك ليس له ولد) قال السدي يعني ليس له ولد ذكر وانثى وهو موافق لمذهب الإمامية فمعناه ان مات رجل ليس له ولد ولا والد وانما اضمرنا فيه الوالد للاجماع ولأن لفظة الكلالة ينسب عنه فإن الكلالة أسم للنسب المحيط بالميت دون اللصيق والوالد لصيق الولد كما ان الولد لصيق الوالد والاخوة والاخوات المحيطون بالميت (وله أخت) يعني وللميت أخت لا بيه وأمه او لأبيه لأن ذكر اولاد الأم قد سبق في اول السورة (فلها نصف ما ترك وهو يرثها ان لم يكن لها ولد) عنى به ان الأخت اذا كانت الميتة ولها أخ من أب وام او من أب فالل كل له بلا خلاف اذا لم يكن هناك ولد ولا والد (فإن كانتا اثنتين) يعني ان كانت الاختان اثنتين (فلها الثلثان مما ترك) الأخ والأخت من التركة (وان كانوا أخوة رجالا ونساء) اي اخوة وأخوات مجتمعين لأب وأم او لأب فللذكر مثل حظ الأنثيين) وفي قوله سبحانه ان أمروا هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها ان لم يكن لها ولد دلالة على ان الأخ او الأخت لا يرثان مع البنت لانه سبحانه شرط في ميراث الأخ والأخت عدم الولد والولد يقع على الابن والبنت بلا خلاف فيه بين اهل اللغة وما روي من الخبر في ان الاخوات مع البنات عصبة خبر واحد يخالف نص القرآن والى هذا الذي ذكرناه ذهب ابن عباس وهو المروي عن سادة اهل البيت (ع) (يبين الله لكم) أمور مواربكم (ان تضلوا) معناه كراهة ان تضلوا او لثلاثا تضلوا اي لثلاثا تضلوا في الحكم فيها وقيل معناه يبين الله لكم جميع الأحكام لتتهدوا في دينكم عن ابي مسلم (والله بكل شيء عليم) فآفته هنا بيان كونه سبحانه عالما بجميع ما يحتاج اليه عباده من امر معاشهم ومعادهم على ما توجه

الحكمة وقد تضمنت الآية التي انزلها الله في اول هذه السورة بيان ميراث الولد والوالد والآب التي بعدها بيان ميراث الأزواج والزوجات والأخوة والأخوات من قبل الأم وتضمنت هذه الآية التي ختم بها السورة بيان ميراث الأخوة والأخوات من الأب والأم والأخوة والأخوات من قبل الأب عند عدم الأخوة والأخوات من الأب والأم وتضمن قوله سبحانه وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله ان تداني القربى سبب في استحقاق الميراث فمن كان اقرب رحما وادنى قرابة كان اولى بالميراث من الابعد والخلاف بين الفقهاء في هذه المسائل وفروعها مذكور في كتب الفقه

سورة المائدة

هي مدنية في قول ابن عباس ومجاهد وقال جعفر بن مبشر والشعبي هي مدنية كلها الا قوله اليوم اكلت لكم دينكم فإنه نزل والنبي (ص) واقف على راحلته في حجة الوداع * عدد آياتها * هي مئة وعشرون آية كوفي ثلاث وعشرون آية بصري واثنان وعشرون في الباقي (اختلافها) ثلث بالعقود ويفقو عن كثير غير الكوفي فإنكم غالبون بصري

* فضلها *

ابي بن كعب عن النبي (ص) قال من قرأ سورة المائدة اعطى من الأجر بمدد كل يهودي ونصراني يتنفس في دار الدنيا عشر حسنات وعي عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات وروى العياشي بإسناده عن عيسى بن عبد الله عن أبيه عن جده عن علي (ع) قال كان القرآن ينسخ بعضه بعضا وإنما يؤخذ من امر رسول الله (ص) بأخذه وكان من آخر ما نزل عليه سورة المائدة نسخت ما قبلها ولم ينسخها شي ولقد نزلت عليه وهو على بئلة شهاب وثقل عليه الوحي حتى وقفت وتدل بطنها حتى رأيت سرتها تكاد تمس الأرض واغمي على رسول الله (ص) حتى وضع يده على رأس شيبه بن وهب الجمحي ثم رفع ذلك عن رسول الله (ص) فقرأ علينا سورة المائدة فعمل رسول الله (ص) وعملنا وبإسناده عن ابي الجارود عن ابي جعفر محمد بن علي (ع) قال من قرأ سورة المائدة في كل يوم خميس لم يلبس ايمانه بظلم ولا يشرك ابداً وبإسناده عن ابي حمزة الثمالي قال سمعت ابا عبد الله الصادق (ع) يقول نزلت المائدة كلاً ونزل معها سبعون الف ملك

* تفسيرها *

لما ختم الله سورة النساء بذكر احكام الشريعة افتتح سورة المائدة ايضا ببيان الاحكام واجمل ذلك لقوله اوفوا بالعقود ثم اتبعه بذكر التفصيل فقال

(قوله تعالى) بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُبْتَلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ (آية)

* القراءة *

المشهور في القراءة حرم بضمين وفي الشواذ عن الحسن ويحيى بن وثاب حرم ساكنة الراء

﴿ الحجة ﴾

وهذا كما يقال في رُسُلٍ و كُتُبٍ رُسُلٍ و كُتُبٍ قال ابن جنبي في اسكان حُرْمٍ مزية وذلك ان الراء فيه تكرر فكادت الراء الساكنة لما فيها من التكرير تكون في حكم المتحرك كزيادة الصوت بالتكرير نحو من زيادته بالحركة

﴿ اللنة ﴾

يقال وفي بعده وفاء واوفي ايفاء بمعنى واوفي لنة أهل الحجاز وهي لغة القرآن والمعقود جمع عقد بمعنى معقود وهو اوكد اليهود والفرق بين العقد والمهد ان العقد فيه معنى الاستيثاق والشدة ولا يكون الا بين متعاقدين والمهد قد ينفرد به الواحد فكل عهد عقد ولا يكون كل عقد عهداً واصله عقد الشيء بغيره وهو وصله به كما يهد الحبل ويقال اعقدت المسل فهو مسقد وعقد قال عنتره

وَكَلَّانَ رَبًّا أَوْ كَجَبَلًا مَعْقَدًا حَسَّ الْوَقُودُ بِهِ جَوَانِبَ قُمُومٍ

والبهيمة اسم لكل ذي اربع من دواب البر والبحر وقال الزجاج كل حي لا يميز فهو بهيمة وانما سببت بهيمة لأنها ابهمت عن ان يميز والحرم جمع حرام يقال رجل حرام وقوم حرم قال الشاعر

فَقَلَّتْ لَهَا فَيْئِي إِلَيْكَ فَأَنْتِي حَرَامٌ وَإِنِّي بَعْدَ ذَلِكَ لَيْبٌ

أَي مَلَبٍ

﴿ الاعراب ﴾

موضع ما يتلى عليكم نصب بالاستثناء وغير محلي الصيد اختلف فيه قيل انه منصوب على الحال مما في قوله اوفوا بالعقود من ضمير الذين آمنوا عن الاخفش وقيل انه حال من الكاف والميم في قوله احلت لكم بهيمة الانعام عن الكسائي وقيل انه حال من الكاف والميم في قوله لا ما يتلى عليكم عن الربيع وانتم حرم جملة في موضع الحال من محلي الصيد والصيد مجرور في اللفظ منصوب في المعنى وقال القراء يجوز ان يكون ما يتلى عليكم في موضع رفع كما يقال جاء اخوتك الا زيد وقال الزجاج وهذا عند البصريين باطل لأن المعنى على هذا التأويل جاء اخوتك وزيد كأنه يعطف بالآ كذا يعطف بلا ويجوز عند البصريين جاء الرجل الا زيد على معنى جاء الرجل غير زيد فيكون الا زيد صفة للنكرة او ما قارب النكرة من الاجناس

﴿ المعنى ﴾

خاطب الله سبحانه المؤمنين فقال (يا أيها الذين آمنوا) وتقديره يا أيها المؤمنون وهو اسم تكريم وتعظيم (اوفوا بالعقود) اي بالعهود عن ابن عباس وجماعة من المفسرين ثم اختلف في هذه العهود على اقوال ﴿ احدها ﴾ ان المراد بها العهود التي كان اهل الجاهلية عاهد بعضهم بعضا فيها على النصر والموازرة والمظاهرة على من حاول ظلمهم او بغاهم سوءاً وذلك هو معنى الحلف عن ابن عباس ومجاهد والربيع بن انس والضحاك وقاتدة والسدي ﴿ وثانيها ﴾ انها العهود التي اخذ الله سبحانه على عباده بالايمان به وطاعته فيما احل لهم او حرم عليهم عن ابن عباس ايضا وفي رواية أخرى قال هو ما احل وحرم وما فرض وما حد في القرآن كلمة اي فلا تتعدوا فيه ولا تنكثوا ويؤيده قوله والذين يتقون عهد الله من بعد ميثاقه الى قوله سوء الدار ﴿ وثالثها ﴾ ان المراد بها العقود التي يتعاقدها الناس بينهم ويعقدها المرء على نفسه كعقد الايمان وعقد النكاح وعقد العهد وعقد البيع وعقد الحلف عن ابن زيد وزيد بن اسلم ﴿ ورابعها ﴾ ان ذلك امر من الله لأهل الكتاب بالوفاء

(١) في الكلام احتمال التقديم والتأخير ولعل العبارة كانت في الاصل « فكل عقد عهد ولا يكون كل عهد عقداً »
(٢) اعقد المسل ونحوه : اغلاه حتى فلفظ . (٣) الرب : ما يطبخ من التمرو سواء الكعيل : الذي تطلى به الابل
المجرب . حش النار : اوقدها وفي اللسان « حش القيان » وهو جمع القين بمعنى العبد . القمقم : وعاء من نحاس .
قبل يصف عرقه . نافته

بما اخذ به ميثاقهم من العمل بما في التوراة والانجيل في تصديق نبينا وما جاء به من عند الله عن ابن جريج والبي صالح واقوى هذه الأقوال قول ابن عباس ان المراد بها عقود الله التي اوجبها الله على العباد في الحلال والحرام والقرائض والحدود ويدخل في ذلك جميع الأقوال الأخر فيجب الوفاء بجميع ذلك الا ما كان عقدا في المعاونة على امر قبيح فان ذلك محظور بلا خلاف ثم ابتداء سبحانه كلاما آخر فقال (احلت لكم بهيمة الانعام) واختلف في تأويله على اقوال **﴿ احدها ﴾** ان المراد به الانعام وانما ذكر البهيمة للتأكيد كما يقال نفس الانسان فمعناه احلت لكم الانعام الابل والبقرة والغنم عن الحسن وقتادة والسدي والريبع والضحاك - وثانيها - ان المراد بذلك اجنة الانعام التي توجد في بطون امهاتها اذ اشعرت وقد ذكيت الامهات وهي ميتة فذكاتها ذكاة امهاتها عن ابن عباس وابن عمر وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله (ع) - وثالثها - ان بهيمة الانعام وحشيها كالظباء وبقرة الوحش وحمر الوحش عن الكلبي والقراء والاولى حمل الآية على الجميع (الاما يتلى عليكم) معناه الاما يقرأ عليكم تحريمه في القرآن وهو قوله حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير الآية عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة والسدي (غير محلي الصيد وانتم حرم) من قال انه حال من اوفوا فمعناه اوفوا بالعقود غير محلي الصيد وانتم محرمون اي في حال الاحرام ومن قال انه حال من احلت لكم فمعناه احلت لكم بهيمة الانعام اي الوحشية من الظباء والبقرة والحمر غير مستحلين اصطيادها في حال الاحرام ومن قال انه حال من يتلى عليكم فمعناه احلت لكم بهيمة الانعام كلها الا ما يتلى عليكم من الصيد في آخر السورة غير مستحلين اصطيادها في حال احرامكم (ان الله يحكم ما يريد) معناه ان الله يقضي في خلقه ما يشاء من تحليل ما يريد وتحليله وتحريم ما يريد وتحريمه وايجاب ما يريد وايجابه وغير ذلك من احكامه وقضايه فافعلوا ما امركم به وانتهوا عما نهاكم عنه وفي قوله احلت لكم بهيمة الانعام دلالة على تحليل اكلها وذبحها والاتفاع بها

قوله تعالى (٢) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَتَتَفَعُونَ فِضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوا عَنْ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن عامر وابو بكر عن عاصم واسماعيل عن نافع شَنَّان بسكون النون الاولى في موضعين والباقون شَنَّان بفتحها وقرأ ابن كثير وابو عمرو ان صدوكم بكسر الهمزة والباقون بفتحها

﴿ الهمزة ﴾

من قرأ شَنَّان بالفتح فحجته انه مصدر والمصدر بكسر على فعلان نحو الضربان والغليان ومن قرأ شَنَّان بفتحته ان المصدر يجيء على فعلان ايضا نحو اللبان كقول الشاعر

وَمَا الْمَيْشُ إِلَّا مَا تَلَدَّ وَتَشْتَهِي وَإِنْ لَأَمْ فِيهِ ذُو الشَّنَانِ وَفَنَدَا

بدل على ان الشَنَّان بالسكون ايضا ففتح الهمزة والقى حركتها على الساكن قبلها على القياس فيكون المعنى في القراءتين واحدا وقوله ان صدوكم وان كان ماضيا فان الراضى قد يقع في الجزاء وليس المراد على ان الجزاء يكون بالماضي ولكن المراد ان ما كان مثل هذا الفعل فيكون اللفظ على الماضي والمعنى على مثله كأنه يقول ان وقع مثل هذا الفعل يقع منكم كذا وعلى هذا حمل الخليل وسيبويه قول الفرزدق

(١) وهو الاحوص . (٢) فنده : لامة . (٣) [من كسر ان جعل للجزاء وقوله صدوكم]

أَتَفْضِبُ أَنْ أَدْنَا قُتَيْبَةَ حُرَّتَا
جِهَاراً وَلَمْ تَفْضِبْ لِقَتْلِ ابْنِ حَازِمٍ

وعلى ذلك قول الشاعر

إِذَا مَا انْتَسَبْنَا لَمْ تَلِدْنِي لَبِيْمَةً
وَلَمْ تَجِدِي مِنْ أَنْ تُقَرِّي بِهِ بَدَأً

فاتقاء الولادة امر ماض وقد جعله جزاء والجزاء انما يكون بالمتقبل فيكون المعنى ان ننسب لا تجدني مولود لبيمة وجواب ان قد اغنى عنه ما تقدم من قوله ولا يجرمنكم المعنى ان صدوكم عن المسجد الحرام فلا تكتسبوا عدوانا ومن فتح ان صدوكم فقولته بين لأن مفعول له والتقدير ولا يجرمنكم شأن قوم لأن صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا فان الثانية في موضع نصب بأنه المفعول الثاني وأن الأولى منصوبة لأنه مفعول له

✽ اللغة ✽

الشعائر جمع شعيرة وهي أعلام الحج واعماله واشتقاقها من قولهم شعر فلان بهذا الامر اذا علم به والمشارع المعالم من ذلك الاشارة الاعلام من جهة الحس وقيل الشعيرة والعلامة والآية واحدة والحلال والحل المباح وهو ما لازمة لفعله على تركه والحرام والحرم ضده وحريم البئر ما حولها لانها تحرم على غير حافرها والحرم الاحرام واحرم الرجل صار محرما واحرم دخل في الشهر الحرام ورجل حرمي منسوب الى الحرم والمهدي ما يهدي الى الحرم من التسمم وقلائد جمع قلادة وهي ما يقلد به الهدي والتقليد في البدن ان يعلق في عنقها شي ليعلم انها هدي والقلد السوار لأنها كالقلادة لليد والام القصد يقال اتمت كذا اذا قصده ويمت بمعناه قال الشاعر

إِنِّي كَذَلِكَ إِذَا مَا سَأَنِي بَلَدًا
يَمَّتْ صَدْرَ بَعِيرِي غَيْرَهُ بَلَدًا

ومنه الامام الذي يقتدى به والامة الدين لأنه بقصد والامة بالكسر التهمة لأنها تقصد ويقال حلت من الاحرام تحل والرجل حلال وقالوا آحرم الرجل فهو حرام وقيس وتيمم يقولون آحل من احرامه فهو محل واحرم فهو محرم والجرم القطع والكسب ولا يجرمنكم اي لا يكسبنكم وهو فعل يتعدى الى مفعولين وقيل معناه لا يحملنكم عن الكسائي قال بعضهم يقال جرمني فلان على ان صنعت كذا اي حملني عليه واستشهدوا بقول الشاعر

وَلَقَدْ طَعَنْتُ أَبَا عَيْيَنَةَ طَعْنَةً
جَرَمْتُ فَرَاةً بَعْدَهَا أَنْ يَفْضُبُوا

اي حملت وقيل معناه احقت الطعنة لفراة الغضب وقيل معناه كسبت فراة الغضب وشئت الرجل أشباه شأنا وشئنا وشئانا وشئنا أبغضته وذهب سبويه الى ان ما كان من المصادر على فعلان بالفتح لم يتعد فعله الا ان يشد شي نحو شئته شئانا قال سبويه وقالوا لويته حقه ليانا على فعلان فعلى هذا يجوز ان يكون الشئان مصدرا مثله وقال ابو زيد رجل شئان وامرأة شئانة مصر وفان ويقال ايضا رجل شئان غير منصرف وامرأة شئانة فقد جاء الشئان مصدرا ووصفا وهما جميعا قبلان

✽ النزول ✽

قال ابو جعفر الباقر (ع) نزلت هذه الآية في رجل من بني ربيعة يقال له الحطيم وقال السدي اقبل الحطيم بن هند البكري حتى اتى النبي (ص) وحده وخلف خيله خارج المدينة فقال الى ما تدعو وقد كان النبي (ص) قال لأصحابه بدخل عليكم اليوم رجل من بني ربيعة يتكلم بلسان شيطان فلما اجابه النبي (ص) قال انظرن لي لعمري أسلم ولي من اشاوره فخرج من عنده فقال رسول الله (ص) لقد دخل بوجه كافر وخرج بمقب غادر فعرسرح من مروح المدينة فساقه وانطلق به وهو يرتجز ويقول

قَدْ لَفَّهَا اللَّيْلُ بِسَوَاقِي حُطْمٍ
لَيْسَ بِرَاعِيِ اِبْلِ وَلَا غَنَمٍ
وَلَا يَجْزَارِ عَلَيَّ ظَهْرٍ وَضَمٍ
بَاتُوا نِيَامًا وَابْنُ هِنْدٍ لَمْ يَنْمِ (٣)

(١) اذنا: اصله اذنان سقطت نونه بالاضافة، العز: القطع. (٢) السرح: المشاية. (٣) الحطيم: الراعي الظنوم للماشية. الوضم: خشية الجزار التي يقطع عليها اللحم.

بَاتَ يُقَاسِمُهَا غُلَامٌ كَأَنَّ لَمْ خَدَجُ السَّاقِينَ مَمْسُوحُ الْقَدَمِ (١)

ثم اقبل من عام قابل حاجبا قد قلد هديا فأراد رسول الله ان يبعث اليه فنزلت هذه الآية ولا أمين البيت الحرام وهو قول عكرمة وابن جريج وقال ابن زيد نزلت يوم الفتح في ناس يأتون البيت من المشركين يهلون بمعمة فقال المسلمون يا رسول الله ان هؤلاء مشركون مثل هؤلاء دعنا نغير عليهم فانزل الله تعالى الآية

﴿ المعنى ﴾

ثم ابتداء سبحانه بتفصيل الاحكام فقال (يا أيها الذين آمنوا) اي صدقوا الله ورسوله فيما اوجب عليهم (لا تحلوا شعائر الله) اختلف في معنى شعائر الله على اقوال * احدها * ان معناه لا تحلوا حرمت الله ولا تعدوا حدود الله وحلوا الشعائر على العالم اي معالم حدود الله وامره ونهيه وفرائضه عن عطاء وغيره * وثانيها * ان معناه لا تحلوا حرم الله وحلوا الشعائر على العالم اي معالم حرم الله من البلاد عن السدي * وثالثها * ان معنى شعائر الله مناسك الحج اي لا تحلوا مناسك الحج ففضيعوها عن ابن جريج وابن عباس * ورابعها * ما روي عن ابن عباس ان المشركين كانوا يحجون البيت ويهدون الهدايا ويعظمون حرمة المشاعر وينحرون في حجهم فأراد المسلمون ان يغيروا عليهم فنهام الله عن ذلك * وخامسها * ان شعائر الله هي الصفا والمروة والهدي من البدن وغيرها عن مجاهد وقال القراء كانت عامة العرب لا ترى الصفا والمروة من شعائر الله ولا يطوفون بينها فنهام الله عن ذلك وهو المروي عن ابي جعفر (ع) * وسادسها * ان المراد لا تحلوا ما حرم الله عليكم في احرامكم عن ابن عباس في رواية اخرى * وسابعها * ان الشعائر هي العلامات المنتصبة للفرق بين الحل والحرم نهام الله سبحانه ان يتجاوزوها الى مكة بغير احرام عن ابي علي الجبائي * وثامنها * ان المعنى لا تحلوا الهدايا المشفرة اي الملمة لتهدى الى بيت الله الحرام عن الزجاج والحسين بن علي المغربي واختاره البلخي واقوى الاقوال هو القول الاول لأنه يدخل فيه جميع الاقوال من مناسك الحج وغيرها وحمل الآية على ما هو الأعم اولى (ولا الشهر الحرام) معناه ولا تستحلوا الشهر الحرام بأن تقاتلوا فيه اعداءكم من المشركين كما قال تعالى يستلونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير عن ابن عباس وفتادة واختلف في معنى الشهر الحرام هنا فقل هو رجب وكانت مضر تحرم فيه القتال وقيل هو ذو القعدة عن عكرمة وقيل هي الأشهر الحرم كلها نهام الله عن القتال فيها عن الجبائي والبلخي وهذا اتيقن بالعموم وقيل أراد به اتنسي كقوله انما اتنسي زيادة في الكفر عن القتيبي (ولا الهدي) اي ولا تستحلوا الهدي وهو ما يهديه الانسان من بعير او بقرة او شاة الى بيت الله تقريبا اليه وطلباً لثوابه فيكون المعنى ولا تستحلوا ذلك فتغصبوه اهله ولا تحلوا بينهم وبين ان تبلغوه محله من الحرم ولكن حللهم حتى يبلغوا به المحل الذي جعله الله له وقوله (ولا القلائد) معناه ولا تحلوا القلائد وفيه اقوال * احدها * انه عنى بالقلائد الهدي المقلد وانما كثر لأنه اراد المنع من جل الهدي الذي لم يقلد والهدي الذي قلد عن ابن عباس واختاره الجبائي * وثانيها * ان المراد بذلك القلائد التي كان المشركون يتقلدونها اذا أرادوا الحج مقبلين الى مكة من لحاء السمرة فاذا خرجوا منها الى منازلهم منصرفين منها الى المشركين فتادة قال كان في الجاهلية اذا خرج الرجل من اهله يريد الحج يقلد من السمرة فلا يتعرض له احد واذا رجع يقلد قلادة شعر فلا يتعرض له احد وقال عطاء انهم كانوا يتقلدون من لحاء شجر الحرم يأتون به اذا خرجوا من الحرم وقال القراء اهل الحرم كانوا يتقلدون بلحاء الشجر واهل غير الحرم كانوا يتقلدون بالصوف والشعر وغيرهما * وثالثها * انه عنى به المؤمنون نهام ان يتزعموا شيئا من شجر الحرم يتقلدون به كما كان المشركون يفعلونه في جاهليتهم عن عطاء في رواية اخرى والربيع بن أنس * ورابعها * ان القلائد ما يقلد به الهدي نهام عن حلها لأنه كان يجب ان يتصدق بها عن ابي علي الجبائي قال هو صوف يفتل ويعلق به على عنق الهدي وقال الحسن هو نعل يقلد به الاوبل والبقر

(١) قاسى الالم : كابدته وعالج شدته . الزلم : السهم لا ريش عليه . الخدلج : اليملى السائين سمينهما .
(٢) اللحاء : قشر الشجرة . السر : شجر معروف واحدتها سمرة .

ويجب التصديق بها ان كانت لها قيمة والاولى ان يكون نهيها عن استحلال القلائد فيدخل فيه الايمان والبهيمة او يكون نهيها عن استحلال حرمة المقلد هديا كان ذلك او انسانا (ولا آمين البيت) اي ولا تحلوا قاصدين البيت (الحرام) اي لا تقتلوه لانه من قاتل في الاشهر الحرم فقد احل فقال لا تحلوا قتال الامين البيت الحرام اي القاصدين والبيت الحرام بيت الله بمكة وهو الكعبة سمي حراما لحرمة وقيل لانه يحرم فيه ما يحل في غيره واختلف في المعنى بذلك فمنهم من حمله على الكفار واستدل بقوله فيما بعد ولا يجزئكم شأن قوم الآبى ومنهم من حمله على من اسلم فكأنه نهي ان يؤخذ بعد الاسلام بذحل الجاهلية لأن الاسلام يجب ما قبله (يبتغون) اي يطلبون يعني الذين يأمنون البيت (فضلا من ربهم ورضوانا) اي أرباحا في تجارتهم من الله وان يرضى عنهم ينسكهم على زعمهم فلا يرضى الله عنهم ومشركون وقيل يلتمسون رضوان الله عنهم بان لا يحل بهم ما حل بغيرهم من الامم من العقوبة في عاجل دنياهم عن قتادة ومجاهد وقيل فضلا من الله في الآخرة ورضوانا منه فيها وقيل فضلا في الدنيا ورضوانا في الآخرة وقال ابن عباس ان ذلك في كل من توجه حاجا وبه قال الضحاك والريعي واختلف في هذا فقيل هو منسوخ بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم عن اكثر المفسرين وقيل لم ينسخ من هذه السورة شيء ولا من هذه الآية لانه لا يجوز ان يبتدأ المشركون في الاشهر الحرم بالقتال الا اذا قاتلوا عن ابن جريج وهو المروي عن ابي جعفر (ع) وروى نحوه عن الحسن وذكر ابو مسلم أن المراد به الكفار الذين كانوا في عهد النبي (ص) فلما زال العهد بسورة براءة زال ذلك الحظر ودخلوا في حكم قوله تعالى فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وقيل لم ينسخ من المائدة غير هذه الآية لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهبدي ولا القلائد عن الشعبي ومجاهد وقتادة والضحاك وابن زيد وقيل انما نسخ منها قوله ولا الشهر الحرام إلى امين البيت الحرام ذكر ذلك ابن ابي عروبة عن قتادة قال نسخها قوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقوله ما كان للمشركين ان يعمرؤا مساجد الله وقوله انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا في السنة التي نادى فيها علي بالاذان وهو قول ابن عباس وقيل لم ينسخ من هذه الآية الا القلائد عن ابن ابي نجيع عن مجاهد (واذا حلتم فاصطادوا) معناه اذا حلتم من احرامكم فاصطادوا فيها الصيد الذي نهى عن تحلوا فاصطادوه ان شتم حينئذ لأن السب المحرم قد زال عند جميع المفسرين (ولا يجزئكم) اي ولا يحملنكم وقيل لا يكسبنكم (شأن قوم) اي يفضاء قوم (ان صدوكم) اي لان صدوكم كأي لأجل انهم صدوكم (عن المسجد الحرام) يعني النبي واصحابه لما صدوكم عام الحديبية (ان تعدوا) ومعناه لا يكسبنكم بفضلكم قوما الاعتداء عليهم بصددهم لماكم عن المسجد الحرام قال ابو علي التماري معناه لا تكسبوا بفض قوم عدوانا ولا تقترفوه هذا فيمن فتح أن وبوقع النهي في اللفظ على الشأن والمعنى بالنهي المخاطبون كما قالوا لا أربيتك ههنا ولا تموتن الا واتم مسلمون ومن جعل شأن صفة فقد اقام الصفة الموصوف ويكون تقديره ولا يحملنكم بفض قوم والمعنى على الأول ومن قرأ ان صدوكم بكسر الألف فقد مر ذكر معناه وان تعدوا معناه ان تتجاوزوا حكم الله فيهم الى ما نهاكم عنه نهي الله المسلمين عن الطلب بذحول الجاهلية عن مجاهد وقال هذا غير منسوخ وهو الاولى وقال ابن زيد وهو منسوخ (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) وهو استئناف كلام وليس يعطف على تعدوا فيكون في موضع نصب امر الله عباده بأن يعين بعضهم بعضا على البر والتقوى وهو العمل بما امرهم الله تعالى به واتقاء ما نهاهم عنه ونهاهم ان يعين بعضهم بعضا على الاثم وهو ترك ما امرهم به وارتكاب ما نهاهم عنه من العدوان وهو مجاوزة ما حذر الله لعباده في دينهم فرض لهم في اتسهم عن ابن عباس وابي العالية وغيرهما من المفسرين (واتقوا الله ان الله شديد العقاب) هذا امر منه تعالى بالتقوى ووعيد وتهديد لمن تعدى حدوده وتجاوز امره يقول احذروا معصية الله فيما امركم الله به ونهاكم عنه فتسوجبوا عقابه وتستحقوا عذابه ثم وصف تعالى عقابه بالشدة لأنه نار لا يطفأ حرها ولا يخمد جمرها فعوذ بالله منها

قوله تعالى (٣) حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ
وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّبَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذُكِّرْتُمْ وَمَا ذُيِّعَ عَلَى النَّسْبِ وَأَنْ
تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكَ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَشْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ
وَأَخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ
دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (آية)

✽ القراءة ✽

روي في الشواذ قراءة ابن عباس وأكيل السبع وعن الحسن وما أكل السبع بسكون الباء وقراءة يحيى
ابن وثاب وإبراهيم غير متجنف لإثم

﴿ الحجة ﴾

قال ابن جنسي الأكلة اسم للمأكول كالنطيحة والأكيل للجنس والعموم يصلح للمذكور والمؤنث تقول
مررت بشاة أكيل أي قد أكلها الأسد ونحوه وتقول وما لنا طعام إلا الأكلة أي الشاة والجزور المعدة للأكل
وان كانت قد أكلت فهي بلا هاء فأكيل السبع ما أكل بعضه السبع والسبع تخفيف للسبع قال حسان في
عنية بن أبي لهب

مَنْ يَرْجِعَ الْعَامَ إِلَى أَهْلِهِ فَمَا أَكِيلُ السَّبْعِ بِالرَّاجِعِ

وقوله متجانف ومتجنف بمعنى وتفعل ابلغ من تفاعل فمتجنف بمعنى متميل ومتأود ومتجانف مثل متمايل ومتأود

= اللفظة =

اصل الإهلال رفع الصوت بالشيء ومنه استهلال الصبي وهو صياحه إذا سقط من بطن أمه ومنه اهلال المحرم
بالحج أو العمرة إذا لبى به قال ابن جرير

يُهَلُّ بِالْفَرَقْدِ رُكْبَانَنَا كَمَا يُهَلُّ الرَّائِبُ الْمُعْتَمِرُ

وسمي الهلال هلالاً لأنه يرفع الصوت عنده ويقال خنقه خنقا إذا ضعفه ومنه المخنقة للقلادة والوقد شدة الضرب
يقال وقذتها أقدتها وقذاً وأوقذتها إيقاداً إذا اشختها ضرباً قال الفرزدق

شَعَارَةٌ تَقْدُ الْفَصِيلَ بِرَجْلِهَا فَطَارَةٌ لِقَوَادِمِ الْأَبْكَارِ (١)

الردى الملاك والتردي التهور والنطيحة المنطوحة تقل عن مفعول إلى فاعل وإنما يثبت فيها الهاء وان كان فاعل بمعنى المفعول
لا تثبت فيه الهاء مثل لحية دهن وعين كحيل وكف خضيب لأنها دخلت في حيز الاسماء وقال بعض الكوفيين
إنما تحذف الهاء من فعيلة بمعنى مفعولة إذا كانت صفة لاسم قد تقدمها مثل كف خضيب وعين كحيل فاما إذا
حذفت الكف والعين وما يكون فعيلة نعمت له واجتزوا بفعال أثبتوا فيه هاء التانيث ليعلم بثبوتها فيه أنها صفة لمؤنث
فيقال رأينا كحيله وخضيبه والتذكيرة فري الأوداج والحلقوم لما كانت فيه حياة ولا يكون بحكم الميت واصل
الذكاء في اللفظة تمام الشيء فمن ذلك الذكاء في السن والقم قال الخليل الذكاء ان يأتي في السن على القروحة وهي
في ذات الحافر وهي البرولة في ذات الخف وهي الصلوة في ذات الظلف وذلك تمام استكمال القوة فقال زهير

بِفَضْلِهِ إِذَا اجْتَهَدَا عَلَيْهَا (٢) تَمَامُ السِّنِّ مِنْهُ وَالذَّكَاءُ

وفي المثل جري المذكيات غلاب أي جري المسان التي قد أسنت مغالبةً يريد ان المسان يحتمل

(١) شغرت الناقة : رفعت رجلها فضربت الفصيل . فطره : شته . (٢) وفي اللسان « إذا اجتهدوا عليه » .
(٣) يضرب لمن يوصف بالتبريز على أقرانه .

ان تؤخذ بالغبلة لفضل قوتها والصار لا تحمل على ذلك وتداري ويروي غلاء وهي جمع غلوة اي هي تمتد امتداداً كما تريد وليست كالجدع الذي لا علم له فيخرج في اول شوط اقصى ما عنده من الحضر ثم هو مسبوق ومعنى تمام السن النهاية في الشباب فاذا نقص عن ذلك او زاد فلا يقال له الذكاه والذكاه في الفهم ان يكون تاماً سريع القبول وذكيت النار من هذا اي اتممت اشغالها والنصب الحجارة التي كانوا يعبدون لها واحدا نصاب وجائزان يكون واحدا وجمعه انصاب والازلام جمع زلم وزلم وهو القدح والاستقسام طلب القسمة والقسمة المصدر والقسيم بالكسر النصب والمخضمة شدة ضمور البطن وهو مفضلة مثل المجينة والمبخله من خمص البطن وهو طية واضطاره من الجوع وشدة السب دون ان يكون مخلوقاً كذلك قال النابغة

وَالْبَطْنُ ذُو عَكْنٍ خَمِصٌ لَيْلِيٌّ وَالنَّحْرُ تَنْفَجُهُ بِشَدِيٍّ مَقْعَلِيٍّ^(١)

لم يصفها بالجوع وانما وصفها بلطافة طي البطن واما قول الاعشى

تَبَيَّتُونَ فِي الْمَشْتَى مَلَأَهُ بَطُونِكُمْ وَجَارَاتِكُمْ غَرَّتِي بِبَيْتِنِ خَائِصًا^(٢)

فمن الاضطرار من الجوع والمتجاف المتمايل للارث المنحرف اليه من جنف القوم اذا مالوا وكل اعرج فهو اجنف

المعنى *

ثم بين سبحانه ما استثناء في الآية المتقدمة بقوله الا ما يتلى عليكم فقال غاطبا للمكلفين (حرمت عليكم الميتة) اي حرم عليكم اكل الميتة والاتفاح بها وهو كل ماله قس سائلة من دواب البر وطيوره مما اباح الله اكله اهلها ووحشها فارقه روحه من غير تذكية وقيل الميتة كل ما فارقه الحياة من دواب البر وطيوره بغير تذكية فقد روي عن النبي (ص) انه سمي الجراد والسملك ميتاً فقال ميتتان الجراد والسملك (والدم) اي وحرم عليكم الدم وكانوا يجعلونه في المباعر ويشرونه ويأكلونه فاعلم الله سبحانه ان الدم المسفوح اي المصبوب حرام فاما المتلطح بالحجم فانه كاللحم وما كان كاللحم مثل الكبد فهو مباح واما الطحال فقد رووا الكراهية فيه عن علي (ع) وابن مسعود واصحابها واجمعت الإمامية على انه حرام وذهب سائر الفقهاء الى انه مباح (ولحم الخنزير) ولو نما ذكركم الخنزير ليبين انه حرام بعينه لا لكونه ميتة حتى انه لا يحل تناوله ولن حصل فيه ما يكون ذكاه لغيره وفائدة تخصيصه بالتحريم مع مشاركة الكلب اياه في التحريم حالة وجود الحياة وعدمها وكذلك السباع والموسخ وما لا يحل اكله من الحيوانات ان كثيرا من الكفار اعتادوا اكله والفقهاء اكثر ما اعتادوا في غيره (وما اهل لغير الله به) موضع ما رفع وتقديره وحرم عليكم ما اهل لغير الله به وقد ذكرنا معناه في سورة البقرة وفيه دلالة على ان ذبايح من خالف الاسلام لا يجوز اكله لانهم يذكرون عليه اسم غير الله لانهم يعنون به من ابد شرع موسى او اتخذ بعيسى او اتخذه ابنا وذلك غير الله فاما من اظهر الاسلام ودان بالتجسيم والتشبيه والجبهر وخالف الحق فعندنا لا يجوز اكل ذبيحته وفيه خلاف بين الفقهاء (والمنخنقة) وهي التي يدخل رأسها بين شعبتين من شجرة فتخنق وتموت عن السدي وقيل هي التي تخنق بجبل الصائد فتتموت عن الضحاك وفتادة وقال ابن عباس كان اهل الجاهلية يخنقونها فاكلوها (والموقوذة) وهي التي تضرب حتى تموت عن ابن عباس وفتادة والسدي (والتردية) وهي التي تقع من جبل او مكان عال او تقع في بئر فتتموت عن ابن عباس وفتادة والسدي ومعنى وقع في بئر ولا يقدر على تذكيته جازان بطعن ويضرب بالسكين في غير المذبح حتى يبرد ثم يؤكل (والنطيحة) وهي التي ينطحها غيرها فتموت (وما اكل السبع) اي وحرم عليكم ما اكله السبع بمعنى قتله السبع وهي فريسة السبع عن ابن عباس وفتادة والضحاك (الا ما ذكيتهم) يعني الا ما ادركتم ذكاه فذكيتهموه من هذه الاشياء وموضع ما نصب بالاستثناء وروي عن السيدين الباقر والصادق عليهما السلام ان ادنى ما يدرك به الذكاه ان تدركه يتحرك اذنه او ذنبه او تطرف عينه وبه قال الحسن وفتادة وابراهيم وطاوس والضحاك وابن زيد واختلف في

(١) عكن جمع عكنة : ما انطوى وتشى من لحم البطن . تنفجه : تراهه . ندى مقعد : ناتي على النحر اذا كان ناهدا لم يشن

بعد . (٢) المشى : زمان الشاة او موضع الشاة او موضع الاقامة في الشتاء . والفرنى جمع الفرتان : الجامع .

(٣) المباعر جمع البعر : مكان البعر من كل ذى اربع .

الاستثناء الى ما ذابرجع فقبل الى جميع ما تقدم ذكره من المحرمات سوى ما لا يقبل الذكاة من الخنزير والدم عن علي (ع) وابن عباس وقيل هو استثناء من التحريم لا من المحرمات لأن الميتة لا ذكاة لها ولا الخنزير فمعناه حرمت عليكم سائر ما ذكر الا ما ذكيتم مما أحله الله لكم بالتذكية فإنه حلال لكم عن مالك وجماعة من اهل المدينة واختاره الجبائي ومتى قيل ما وجه التكرار في قوله والمنخقة والموقوذة الى آخر ما عدد تحريمه مع انه افتتح الآية بقوله حرمت عليكم الميتة والميتة تعم جميع ذلك وان اختلفت اسباب الموت من خنق او تردي او نطح او اهللال لغير الله به او كل سبب فالجواب ان الفائدة في ذلك انهم كانوا لا يعدون الميتة الامامات حتف اقمه من دون شيء من هذه الاسباب فأعلمهم الله سبحانه ان حكم الجميع واحد وان وجه الاستباحة هو التذكية المشروعة فقط قال السدي ان ناسا من العرب كانوا يأكلون جميع ذلك ولا يعدونه ميتا انما يعدون الميت الذي يموت من الوجع (وما ذبح على النصب) يعني الحجارة التي كانوا يعبدها وهي الأوثان عن مجاهد وقتادة وابن جريج يعني وحرم عليكم ما ذبح على النصب اي على اسم الأوثان وقيل معناه وما ذبح للأوثان تقربا اليها واللام وهي متعاقبان الا ترى الى قوله تعالى فسلام لك من اصحاب اليمين بمعنى عليك وكانوا يقرّبون ويلطخون اوثانهم بدمائها قال ابن جريج ليست النصب اصناما وإنما الاصنام ما تصور وتنقش بل كانت اجارا منصوبة حول الكعبة وكانت ثلاثمائة وستين حجرا وقيل كانت ثلاثمائة منها لحزاعة فكانوا اذا ذبحوا نضروا الدم على ما اقبل من البيت وشرحوا اللحم وجعلوه على الحجارة فقال المسلمون يا رسول الله كان اهل الجاهلية يظلمون البيت بالدم فنحن احق بتعظيمه فانزل الله سبحانه لن ينال الله لحومها ولا دماؤها الآية (وان تستقسموا بالازلام) مرضه رفع اي وحرم عليكم الاستقسام بالازلام ومعناه طلب قسم الارزاق بالقداح التي كانوا يتفاهلون بها في اسقارهم وابتداء امرهم وهي سهام كانت للجاهلية مكتوب على بعضها امرني ربي وعلى بعضها نهاني ربي وبعضها غفل لم يكتب عليه شيء فاذا ارادوا سفرا او امرا يهتمون به ضربوا على تلك القداح فاون خرج السهم الذي عليه امرني ربي مضى الرجل في حاجته وان خرج الذي عليه نهاني ربي لم يمض وان خرج الذي ليس عليه شيء اعادها فيبين الله تعالى ان الصل بذلك حرام عن الحسن وجماعة من المفسرين وروى علي بن ابراهيم في تفسيره عن الصادق (ع) ان الازلام عشرة سبعة لها انصبا وثلاثة لا انصبا لها فالتى لها انصبا الفذ والتوأم والمسبل والنافس والحلس والرقيب والملى فالفذ له سهم والتوأم له سهمان والمسبل له ثلاثة اسهم والنافس له اربعة اسهم والحلس له خمسة اسهم والرقيب له ستة اسهم والملى له سبعة اسهم والتي لا انصبا لها السفيح والمنيح والوغد وكانوا يعدون الى الجزور فيجزوونه اجزاء ثم يجتمعون عليه فيخرجون السهام ويدفعونها الى رجل وتسن الجزور على من تخرج له التي لا انصبا لها وهو القمار فحرمه الله تعالى وقيل هي كتاب فارس والروم التي كانوا يتقارمون بها عن مجاهد وقيل هو الشطرنج عن ابي سفيان بن وكيع (ذلكم فسق) معناه ان جميع ما سبق ذكره فسق اي ذنب عظيم وخروج من طاعة الله الى معصيته عن ابن عباس وقيل ان ذلكم اشارة الى الاستقسام بالازلام اي ان ذلك الاستقسام فسق وهو الأظهر (اليوم ينس الذين كفروا من دينكم) ليس يريد يوما بعينه بل معناه الان ينس الكافرون من دينكم كما يقول القائل اليوم قد كبرت يريد ان الله تعالى حوّل الحرف الذي كان يلحقهم من الكافرين اليوم اليهم ويشوا من بطلان الاسلام وجاءكم ما كنتم توعدون به في قوله ليظهره على الدين كله والدين اسم لجميع ما تعبد الله به خلقه وامرهم بالقيام به ومعنى ينسوا انقطع طمعهم من دينكم ان تركوه وترجعوا منه الى الشرك عن ابن عباس والسدي وعطا وقيل ان المراد باليوم يوم عرفة من حجة الوداع بعد دخول العرب كلها في الاسلام عن مجاهد وابن جريج وابن زيد وكان يوم الجمعة ونظر النبي (ص) فلم ير الا مسلما موحدا ولم ير مشركا (فلا تخشروهم) خطاب للمؤمنين نهامهم الله ان يخشوا ويخافوا من الكفار ان يظهروا على دين

الإسلام ويقهر والمسلمين ويردوهم عن دينهم (واخشون) أي ولكن اخشوني أي خافوني ان خالفتم امري وارتكبتهم معصيتي ان لعل بكم عقابي عن ابن جريج وغيره (اليوم اكملت لكم دينكم) قيل فيه اقوال **احدها** ان معناه اكملت لكم فرائضي وحدودي وحلالي وحرامي بتزليلي ما انزلت وبياني ما بينت لكم فلا زيادة في ذلك ولا نقصان منه بالنسخ بعد هذا اليوم وكان ذلك يوم عرفة عام حجة الوداع عن ابن عباس والسدي واختاره الجبائي والبلخي قالوا ولم يتدل بعد هذا على النبي (ص) شي من الفرائض في تحليل ولا تحريم وانه مضى بعد ذلك باحدى وثمانين ليلة فان اعترض مقرض فقال اكان دين الله ناقصا وقتنا من الاوقات حتى اتمه في ذلك اليوم فجوابه ان دين الله لم يكن الا في كماله كاملا في كل حال ولكن لما كان معرضا للنسخ والزيادة فيه ونزول الوحي بتحليل شي او تحريمه لم يستنع ان يوصف بالكمال اذا أمن من جميع ذلك فيه كما توصف العشرة بأنها كاملة ولا يلزم ان توصف بالنقصان لما كانت المائة اكثر منها واكمل **وثانيها** ان معناه اليوم اكملت لكم حجكم وافردتكم بالبلد الحرام تحجونه دون المشركين ولا يخالفكم مشرك عن سعيد بن جبير وقتادة واختاره الطبري قال لان الله سبحانه انزل بعده يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلاله قال الفراء وهي آخر آية نزلت وهذا الذي ذكره لو صح لكان لهذا القول ترجيح لكن فيه خلاف **وثالثها** ان معناه اليوم كفيتمكم الأعداء واظهرتكم عليهم كما تقول الان كمل لنا الملك وكمل لنا ما تريد بان كفيتمنا ما كنا نخافه عن الزجاج والمروي عن الامامين ابي جعفر وابي عبد الله (ع) انه انما انزل بعد ان نصب النبي (ص) عليا (ع) علما لأنام يوم غدير خم منصرفه عن حجة الوداع قالوا وهو آخر فريضة انزلها الله تعالى ثم لم ينزل بعدها فريضة وقد حدثنا السيد العالم ابو الحمد مهدي بن نزار الجسيني قال حدثنا ابو القاسم عبيد الله بن عبد الله الحكاني قال اخبرنا ابو عبد الله الشيرازي قال اخبرنا ابو بكر الجرجاني قال حدثنا ابو احمد البصري قال حدثنا احمد بن عمار بن خالد قال حدثنا يحيى بن عبد الحميد الحلي قال حدثنا قيس بن الربيع عن ابي هارون الصدي عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله (ص) لما نزلت هذه الآية قال الله اكبر على اقال الدين واقام النعمة ورضا الرب برسالي وولاية علي بن ابي طالب من بعدي وقال من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله وقال علي بن ابراهيم في تفسيره حدثني ابي عن صفوان عن الملا ومحمد بن مسلم عن ابي جعفر (ع) قال كان نزولها بكرع النسيم فأقامها رسول الله (ص) بالبحفة وقال الربيع بن انس نزلت في المسير في حجة الوداع (واقمت عليكم نعمتي) خاطب سبحانه المؤمنين بأنه اتم النعمة عليهم باظهارهم على المشركين ونفيهم عن بلادهم عن ابن عباس وقتادة وقيل معناه اتمت عليكم نعمتي بأن اعطيتكم من العلم والحكمة ما لم يعط قبلكم نبي ولا امة وقيل ان تمام النعمة دخول الجنة (ورضيت لكم الاسلام ديناً) اي رضيت لكم الاسلام لأمري والانقياد لطاعتي على ما شرعت لكم من حدوده وفرائضه ومعاله ديناً اي طاعة منكم لي والفائدة في هذا ان الله سبحانه لم يزل يصرف نبيه محمداً واصحابه في درجات الإسلام ومراتبه درجة بعد درجة ومنزلة بعد منزلة حتى اكمل لهم شرائعه وبلغ بهم اقصى درجاته ومراتبه ثم قال رضيت لكم الحال التي اتمت عليها البؤم فالزموها ولا تفارقوها ثم عاد الكلام الى القضية المتقدمة في التحريم والتحليل وانما ذكر قوله اليوم يش الذين كفروا الى قوله ورضيت لكم الاسلام ديناً اعتراضاً (فمن اضطر في مخصصة) معناه فمن دعت الضرورة في مجاعة حتى لا يمكنه الامتناع من أكله عن ابن عباس وقتادة والسدي (غير متجانف لائتم) اي غير مائل الى ائتم وهو نصب على الحال يضي فمن اضطر الى اكل الميتة وما عدد الله تحريمه عند المجاعة الشديدة غير متعمد لذلك ولا مختار له ولا مستحل له فان الله سبحانه اباح تناوله ذلك قدر ما يملك به رمقه بلا زيادة عليه عن ابن عباس وقتادة ومجاهد وبه قال اهل العراق وقال اهل المدينة يجوز ان يشبع منه عند الضرورة وقيل ان معنى قوله غير متجانف لائتم غير عاص بأن يكون باغياً أو عادياً او خارجاً في معصية عن قتادة

(فإن الله غفور رحيم) في الكلام محذوف دل عليه ما ذكر والمعنى فمن اضطرالى ما حرمت عليه غير متجانف لاؤثم فأكله فإن الله غفور لذنوبه ساترا عليه اكله لا يؤاخذ به وليس يريد انه يغفر له عقاب ذلك الأكل لأنه اباحه له ولا يستحق العقاب على فعل المباح وهو رحيم اي رفيق بعباده ومن رحته اباح لهم ما حرّم عليهم في حال الخوف على النفس

قوله تعالى (٤) يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه وآتقوا الله إن الله سريع الحساب (آية)

﴿ القراءه ﴾

المشهور في القراءه مكلبين بالشديد وروي عن ابن مسعود والحسن مكلبين بالتخفيف

﴿ الهجعة ﴾

اكلاب الكلب هو اغراؤه بالصيد وايساده يقال كلب واكلبه كما يقال اسد وأسدته ويحتمل ان يكون من اكلب الرجل اذا كثرت كلابه كما يقال امشى اذا كثرت ماشيته والمكلب بالشديد صاحب الكلاب يقال رجل مكلب وكلاب اذا كان صاحب صيد بالكلاب وقيل هو الذي يطعم الكلاب اخذ الصيد

= اللفه =

الطيب هو الحلال وقيل هو المستلذ والجوارح الكواصب من الطير والسباع الواحدة جارحة وسميت جوارح لأنها تكتسب اربابها الطعام بصيدها يقال جرح فلان اهله خيرا اذا كسبهم خيرا وفلان جارحة اهله اي كاسبهم ولا جارحة لفلانة اي لا كاسبه لها قال اعشى بنى ثعلبة

ذات خدي منصح مبسمها (١)

اي اكتسب

- (الاعراب) -

ماذا أحل لهم يحتمل ان يكون ما وحدها اسما وخبرها قوله ذا واحل من صلة ذا وتقديره اي الذي أحل لهم ويحتمل ان تكون ماذا اسما واحدا مرفوعا بالابتداء واحل خبره وتقديره اي شيء أحل لهم ومكلبين نصب على الحال اي وما علمتم من الجوارح في حال مصيركم اصحاب كلاب تعلمونهن في موضع نصب ايضا بانه حال من مكلبين وقوله مما أمسكن عليكم قيل ان من هنا زائدة لأن جميع ما يمسه مباح كقوله وينزل من السماء من جبال فيها من برد وتقديره وينزل من السماء جبالا فيها برد وذكر في هذه الآية غير ذلك من الوجوه سند كرها اذا انتهينا الى موضعها من الكتاب إن شاء الله تعالى وقيل ان من للتبويض لأنه لا يجوز ان يؤكل جميع ما يمسه الكلب فإذن في جملة ما هو حرام من الدم والفرث والتدد وغير ذلك مما لا يجوز اكله فمعناه فكلوا ما اباح الله لكم اكله مما أمسكن عليكم

﴿ النزول ﴾

عن ابي رافع قال جاء جبرائيل الى النبي (ص) يستأذن عليه فأذن له وقال قد اذنالك يا رسول الله قال اجل ولكننا لا ندخل بيتا فيه كلب قال ابو رافع فأمرني رسول الله ان اقتل كل كلب بالمدينة فقتلت حتى انتهيت الى امرأة عندها كلب يبيع عليها فتركته رحمة لها وجئت الى رسول الله (ص) فأخبرته فأمرني فرجعت وقتلت الكلب فجاءوا فقالوا يا رسول الله (ص) ماذا جعل لنا من هذه الامة التي أمرت بقتل كلبها فسكت رسول

(١) وفي بعض النسخ «منصح مبسمها».

الله فأنزل الآية فأذن رسول الله في اقتناء الكلاب التي ينتفع بها ونهى عن امساك ما لانفع فيها وأمر بقتل العقور وما يضر ويؤذي وعن أبي حمزة الثمالي والحكم بن ظهيرة أن زيد الحيل وعدي بن حاتم الطائيفيين أتيا رسول الله (ص) فقالا إن فينا رجلين لهما ستة كلب تأخذ بقرة الوحش والظبا. فمنها ما يدرك ذكاته ومنها ما يسوت وقد حرم الله الميتة فماذا يحمل لنا من هذا فأنزل الله فكلوا مما أمسكن عليكم وسأه رسول الله (ص) زيد الخير

المعنى

لما قدم سبحانه ذكر المحرمات عقبه بذكر ما أحل فقال (يسألونك) يا محمد (ماذا أحل لهم) معناه أي شيء أحل لهم أي يستخبرك المؤمنون ما الذي أحل لهم من المطاعم والمأكول وقيل من الصيد والذبائح (قل) يا محمد (أحل لكم الطيبات) منها وهي الحلال الذي أذن لكم ربكم في أكله من المأكولات والذبائح والصيد عن أبي علي الجبائي وأبي مسلم وقيل مما لم يرد بتحريمه كتاب ولا سنة وهذا أولى لما ورد أن الأشياء كلها على الإطلاق والإباحة حتى يراد الشرع بالتحريم وقال البلخي الطيبات ما يستلذ (وما علمتم من الجوارح) أي وأحل لكم أيضا مع ذلك صيد ما علمتم من الجوارح أي الكواكب من سباع الطير والبهائم فحذف المضاف لدلالة قوله بما أمسكن عليكم عليه ولأنه جواب عن سؤال السائل عن الصيد وقيل الجوارح هي الكلاب فقط عن ابن عمر والضحاك والسدي وهو المروي عن أئمتنا (ع) فإنهم قالوا هي الكلاب المعلقة خاصة أحله الله إذا أدركه صاحبه وقد قتله لقوله فكلوا مما أمسكن عليكم وروى علي بن إبراهيم في تفسيره بسناده عن أبي بكر الحضرمي عن أبي عبد الله (ع) قال سألت عن صيد البزاة والصقور والفهود والكلاب فقال لا تأكل إلا ما ذكيت إلا الكلاب فقلت فلون قتله قال كل فإن الله يقول وما علمتم من الجوارح مكبلين تعلمونهن ما علمكم الله فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه ثم قال (ع) كل شيء من السباع تمسك الصيد على نفسها إلا الكلاب المعلقة فإنها تمسك على صاحبها وقال إذا أرسلت الكلب المعلم فاذا ذكر اسم الله عليه فهو ذكاته وهو أن تقول بسم الله والله أكبر ويؤتى هذا المذهب ما يأتي بعد من قوله (مكبلين) أي أصحاب الصيد بالكلاب وقيل أصحاب التعليم للكلاب (تعلمونهن ما علمكم الله) أي لأن توذبنهن حتى يصرن معلمة ما همكم الله بقولكم حتى ميزتم بين المعلم وغير المعلم وفي هذا دلالة أيضا على أن صيد الكلب غير المعلم حرام إذا لم يدرك ذكاته وقيل معناه تعلمونهن كما علمكم الله عن السدي وهذا بعيد لأن من معنى الكاف لا يعرف في اللغة ولا تقارب بينهما لأن الكاف للتشبيه ومن للتبعض واختلف في صفة الكلب المعلم فقيل هو أن يستشلى^{١٣} لطلب الصيد إذا أرسله صاحبه ويمسك عليه إذا أخذه ويستجيب له إذا دعاه ولا يفتر منه فإذا تولى منه ذلك كان معلما عن سعد بن أبي وقاص وسلمان وابن عمر وقيل هو ما ذكرناه كله وإن لا يأكل منه عن ابن عباس وعدي بن حاتم وعطاء والشعبي وطاوس والسدي فروى عدي بن حاتم عن النبي (ص) أنه قال إذا أكل الكلب من الصيد فلا تأكل منه فإنما أمسك على نفسه وقيل حد التعليم أن يفعل ذلك ثلاث مرات عن أبي يوسف ومحمد وقيل لا حد لتعليم الكلاب وإذا فعل ما قلناه فهو معلم ويدل على ذلك ما رواه أصحابنا أنه إذا أخذ كلب المجوسي فعله في الحال فاصطاد به جاز أكل ما يقتله وقد تقدم أن عند أهل البيت لا يحمل أكل صيد غير الكلب إلا ما أدرك ذكاته ومن أجاز ذلك قال إن تعلم البازي هو أن يرجع إلى صاحبه وتعلم كل جارحة من البهائم والطير هو أن يشلى على الصيد فيستشلى ويأخذ الصيد ويدعوه صاحبه فيجيب فإذا كان كذلك كان معلما أكل منه أو لم يأكل روي ذلك عن سلمان وسعد بن أبي وقاص وابن عمر وقال آخرون ما أكل منه فلا يؤكل روي عن علي (ع) والشعبي وعكرمة وقوله (فكلوا مما أمسكن عليكم) أي ما أمسك الجوارح عليكم وهذا يقوي قول من قال ما أكل منه الكلب لا يجوز أكله لأنه أمسك على نفسه ومن شرط في استباحة ما يقتله الكلب أن يكون صاحبه قد نسى عند إرساله فإذا لم يسم لم يجوز له أكله إلا إذا

ادرك ذكاته وادنى ما يدرك به ذكاته ان يجده تتحرك عينه او اذنه او ذنبه فتذكيته حينئذ بفري الحلقوم والاوراج (واذكروا اسم الله عليه) اي قبل الارسال عن ابن عباس والحسن والسدي وقيل معناه اذكروا اسم الله على ذبح ما تذبحونه وهذا صريح في وجوب التسمية والقول الأول اصح (واتقوا الله) اي اجتنبوا ما نهاكم الله عنه فلا تقربوه واحذروا معاصيه التي منها أكل صيد الكلب غير المعلم او مالم يسكه عليكم او ما لم يذكر اسم الله عليه من الصيد والذبايح (ان الله سريع الحساب) قد مرّ تفسيره

قوله تعالى (٥) الْيَوْمَ أَحَلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتِ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلْلٌ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حَلْلٌ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (آية)

المعنى

ثمَّ يَبَيِّنُ سَبْحَانَهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ مَا يَحِلُّ مِنَ الْأَطْعِمَةِ وَالْإِنْسِكَةِ أَتَمًّا لِمَا تَقَدَّمَ فَقَالَ (اليوم احل لكم الطيبات) وقد مرّ معناه وهذا يقتضي تحليل كل مستطاب من الأطعمة الا ما قام الدليل على تحريمه (وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم) اختلف في الطعام المذكور في الآية فقيل المراد به ذبايح أهل الكتاب عن اكثر المفسرين واكثر الفقهاء. وبه قال جماعة من اصحابنا ثم اختلفوا فمنهم من قال اراد به ذبايح كل كتابي ممن انزل عليه التوراة والإنجيل ومن دخل في ملتهم ودان بدينهم عن ابن عباس والحسن وعكرمة وسعيد بن المسيب والشعبي وعطاء وقتادة وأجازوا ذبايح نصارى بني تغلب ومنهم من قال عنى به من أنزلت التوراة والإنجيل عليهم او كان من ابنائهم فأما من كان دخيلا فيهم من سائر الأمم ودان بدينهم فلا تحل ذبايحهم حكى ذلك الربيع عن الشافعي وحرم ذبايح بني تغلب من النصارى ورووا ذلك عن علي (ع) وسعيد بن جبير وقيل المراد بطعام الذين أوتوا الكتاب ذبايحهم وغيرها من الأطعمة عن ابي الدرداء وعن ابن عباس و ابراهيم وقتادة والسدي والضحاك ومجاهد وبه قال الطبري والجبائي والبلخي وغيرهم وقيل انه مختص بالحبوب وما لا يحتاج فيه الى التذكية وهو المروي عن ابي عبد الله (ع) وبه قال جماعة من الزيدية فأما ذبايحهم فلا تحل (وطعامكم حل لهم) معناه وطعامكم يحل لكم ان تطعموهم (والمحصنات من المؤمنات) معناه واحل لكم المقدم على المحصنات اي الغايف من المؤمنات عن الحسن والشعبي و ابراهيم وقيل اراد الحرائر عن مجاهد وانتاره ابو علي فعلى هذا القول لا تدخل الاماء في الاباحة مع القدرة على طول الحرة (والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) وهم اليهود والنصارى واختلف في معناه فقيل هن الغايف حرائر كنن او ايماء. حريات كنن او ذميات عن مجاهد والحسن والشعبي وغيرهم وقيل هن الحرائر ذميات كنن او حريات وقال اصحابنا لا يجوز عقد نكاح الدوام على الكتابية لقوله تعالى ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمنن ولقوله ولا تمسكوا بمعصم الكوافر وأولوا هذه الآية بأن المراد بالمحصنات من الذين أوتوا الكتاب اللاتي اسلمن منهن والمراد بالمحصنات من المؤمنات اللاتي كنن في الأصل مؤمنات بأن ولدن على الإسلام وذلك ان قوما كانوا يتعرجون من المقدم على من اسلمت عن كفر فبين سبحانه انه لا حرج في ذلك فلهذا افردهن بالذكر حكى ذلك ابو القاسم البلخي قالوا ويجوز ان يكون مخصوصا ايضا بنكاح المتعة وملك اليمين فان عندنا يجوز وطوهم بكلا الوجهين على انه قد روى ابو الجارود عن ابي جعفر (ع) انه منسوخ بقوله ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمنن وبقوله ولا تمسكوا بمعصم الكوافر وقوله (اذا آتيتموهن اجورهن) اي مهورهن وهو عوض الاستمتاع بهن عن ابن عباس وغيره (محصنين غير مسافحين) يعني اعفاه. غير زانين بكل فاجرة وهو منصوب على الحال (ولا متخذى اخدان) اي ولا متفردين

ببغية واحدة خادنها وخادنته اتخذها لنفسه صديقة يفجر بها وقد مرّ معنى الإحصان والسفاح والاختدان في سورة النساء (ومن يكفر بالإيمان) أي ومن يجحد ما أمر الله بالأقرار به والتصديق له من توحيد الله وعدله ونبوة نبيه (ص) (فقد حبط عمله) الذي عمله واعتقده قربة إلى الله تعالى وإنما تحبط الأعمال بأن لا يستحق عليها ثواب (وهو في الآخرة من الخاسرين) أي الهالكين وقيل المعنى بقوله ومن يكفر بالإيمان أهل الكتاب ويكون معناه ومن يمنع عن الإيمان ولم يؤمن وفي قوله فقد حبط عمله هنا دلالة على أن حبوط الأعمال لا يترتب على ثبوت الثواب فإن الكافر لا يكون له عمل قد ثبت عليه ثواب وإنما يكون له عمل في الظاهر لولا كفره لكان يستحق الثواب عليه فعبّر سبحانه عن هذا العمل بأنه حبط فهو حقيقة معناه

قوله تعالى (٦) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ نافع وابن عامر ويعقوب والكسائي وحفص والاعشى عن أبي بكر عن عاصم وارجلكم بالنصب والباقرن وارجلكم بالجر وقد ذكرنا اختلافهم في لامستم في سورة النساء وسنذكر ما قيل في ارجلكم على القراءتين في المعنى لأن الكلام فيه يتعلق بما اختلفت فيه الأمة من القول بوجوب غسل الرجلين أو مسحها أو التخيير بين الغسل والمسح أو وجوب الأمرين كليهما على ما سنبينه ان شاء تعالى

﴿ اللفظة ﴾

الجنب يقع على الوحدة والجمع والمذكر والمؤنث كما يقال رجل عدل وقوم عدل ورجل زور وقوم زور يقال رجل جنب وقوم جنب ورجلان جنب وامرأة جنب وإنما هو على تأويل ذو جنب لأنه مصدر والمصدر يقوم مقام ما اضيف اليه ومن العرب من يثني ويجمع ويحمل المصدر بمتلة اسم الفاعل واجنب الرجل وجنب واجتنب وأصل الجنباء البعد قال علقمة

فَلَا تَحْرِمْنِي نَائِلًا عَنْ جِنَابَةٍ فَإِنِّي أَمْرٌ وَسَطَ الْقُبَابِ غَرِيبٌ

فاطهروا معناه فطهروا الا ان التاء ادغم في الطاء فسكن اول الكلمة فزيد فيها الف الرّصل فقيل اطهروا

﴿ المعنى ﴾

لما تقدّم الأمر بالرفاء بالعقود ومن جعلتها إقامة الصلاة ومن شرائطها الطهارة بين سبحانه ذلك بقوله (يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة) معناه إذا اردتم القيام إلى الصلاة وانتم على غير طهر وحذف الإرادة لأن في الكلام دلالة على ذلك ومثله قوله فلماذا قرأت القرآن فاستعذ بالله وإذا كنت فيهم فأقم لهم الصلاة والمعنى إذا اردت قراءة القرآن وإذا كنت فيهم فأردت ان تقيم لهم الصلاة وهو قول ابن عباس واكثر المفسرين وقيل معناه إذا اردتم القيام إلى الصلاة فطهروا عن عكرمة واليه ذهب داود قال وكان علي (ع) يتوضأ لكل صلاة ويقرأ هذه الآية وكان الخلفاء يتوضون لكل صلاة والقول الأول هو الصحيح واليه ذهب الفقهاء كلهم وما رووه من تجديد الوضوء فمحمول على الندب والاستحباب وقيل ان القرض كان في بدء الإسلام التوضؤ عند

كل صلاة ثم نسخ بالتخفيف وبه قال ابن عمر قال حدثني أسماء بنت زيد بن الخطاب ان عبد الله بن حنظلة بن ابي عامر الغسيل حدثها ان النبي (ص) امر بالوضوء عند كل صلاة فشق ذلك عليه فأمر بالسواك ورفع عنه الوضوء الا من حدث فكان عبد الله يرى ان فرضه على ما كان عليه فكان يتوضأ وروى سليمان بن بريدة عن ابيه قال كان رسول الله (ص) يتوضأ لكل صلاة فلما كان عام الفتح صلى الصلاة كلها بوضوء واحد فقال عمر بن الخطاب يا رسول الله صنعت شيئا ما كنت تصنعه قال أعمداً فعلته يا عمر؟ وقيل ان هذا اعلام بأن الوضوء لا يجب الا للصلاة لأنه روي أن النبي (ص) كان اذا حدث امتنع من الأهل كلها حتى انه لا يرد جواب السلام حتى يتطهر للصلاة ثم يجيب حتى نزلت هذه الآية (فاغسلوا وجوهكم) هذا امر منه سبحانه بنسل الوجه والغسل هو امرار الماء على المحل حتى يسيل والمسح ان يبيل المحل بالماء من غير ان يسيل واختلف في حد الوجه فالمروي عن أئمتنا عليهم السلام انه من قصاص شعر الرأس الى محادر شعر الذقن طولاً وما دخل بين الإبهام والوسطى عرضاً وقيل حده ما ظهر من بشرة الإنسان من قصاص شعر رأسه منحدرًا الى منقطع ذقنه طولاً وما بين الأذنين عرضاً دون ما غطاه الشعر من الذقن وغيره او كان داخل الفم والانف والعين فإن الوجه عندهم ما ظهر لعين الناظر ويواجهه دون غيره كما قلناه وهو المروي عن ابن عباس وابن عمر والحسن وقتادة والزهري والشعبي وغيرهم واليه ذهب ابو حنيفة واصحابه وقيل الوجه كل ما دون منابت الشعر من الرأس الى منقطع الذقن طولاً ومن الأذن الى الأذن عرضاً ما ظهر من ذلك لعين الناظر من منابت شعر اللحية والعارض وما بطن وما كان منه داخل الفم والانف وما اقبل من الأذنين على الوجه عن انس بن مالك وام سلمة وعمار ومجاهد وسعيد بن جبير وجماعة واليه ذهب الشافعي (وايديكم الى المرافق) اي واغسلوا ذلك ايضاً والمرافق جمع مرفق وهو المكان الذي يرتفق به اي يتكأ عليه من اليد قال الواحدي كثير من النحويين يجعلون الى هنا بمعنى مع ويوجبون غسل المرفق وهو مذهب اكثر الفقهاء وقال الزجاج لو كان مضاه مع المرافق لم يكن في المرافق فائدة وكانت اليد كلها يجب ان تغسل لكنه لما قيل الى المرافق اقتطعت في الغسل من حد المرفق فالمرافق حد ما ينتهي اليه في الغسل منها والظاهر على ما ذكره لكن الأمة اجتمعت على ان من بدأ من المرفقين في غسل اليدين صح وضوؤه واختلفوا في صحة وضوء من بدأ من الأصابع الى المرفق واجتمعت الأمة ايضاً على ان من غسل المرفقين صح وضوؤه واختلفوا في من لم يغسلها هل يصح وضوؤه وقال الشافعي لا اعلم خلافاً في ان المرافق يجب غسلها وبما جاء في القرآن الى بمعنى مع قوله تعالى من انتصاري الى الله اي مع الله وقوله ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم أي مع اموالكم ونحوه قول امرئ القيس

لَهُ كَفَلٌ كَالدِّعْصِ بَلَلَهُ النَّدَى إِلَى حَارِكٍ مِثْلَ الرَّجَاحِ الْمُضَيَّبِ (١)

وفي امثال ذلك كثرة (وامسحوا بروجكم) وهذا امر بمسح الرأس والمسح ان تمسح شيئاً بيديك كتمسح العرق عن جبينك والظاهر لا يجب التعميم في مسح الرأس لأن من مسح البعض يسمى ماسحاً الى هذا ذهب اصحابنا قالوا يجب ان يسح منه ما يقع عليه اسم المسح وبه قال ابن عمر وابراهيم والشعبي وهو مذهب الشافعي وقيل يجب مسح جميع الرأس وهو مذهب مالك وقيل يجب مسح ربع الرأس فإن رسول الله كان يمسح على ناصيته وهي قريب من ربع الرأس عن ابي حنيفة ورويت عنه روايات في ذلك لان طول بذكرها (وارجلكم الى الكعبين) اختلف في ذلك فقال جمهور الفقهاء ان فرضها الغسل وقالت الامامية فرضها المسح دون غيره وبه قال عكرمة وقد روي القول بالمسح عن جماعة من الصحابة والتابعين كابن عباس وانس وابي العالية والشعبي وقال الحسن البصري بالتخيير بين المسح والغسل واليه ذهب الطبري والجبائي الا انها قالوا يجب مسح جميع القدمين ولا يجوز الاقتصار على مسح ظاهر القدم قال ناصر الحق من جملة أئمة الزيدية يجب الجمع بين المسح والغسل وروي عن ابن عباس انه وصف وضوء رسول الله (ص) فمسح على رجليه وروي عنه انه قال ان في كتاب الله المسح ويايى الناس الا الغسل وقال الوضوء غسلتان ومسحتان

(١) وفي بعض النسخ «لبده الثرى» الدعص: كثيب الرمل شبه به كفل فرسه والحارك: رأس الكنف والرجاح: الباب العظيم. وضيب الباب جعل فيه ضبة، وهي حديدة او خشبة يضيب بها الباب.

وقال قتادة فرض الله غسلتين ومسحتين وروى ابن عليه عن حميد عن موسى بن انس انه قال لأنس ونحن عنده ان الحجاج خطبنا بالأهواز فذكر الطهر فقال اغسلوا وجوهكم وايديكم وامسحوا برؤوسكم وانه ليس شي من بني آدم اقرب من خبثه من قدميه فاغسلوا بطونها وظهورها وعراقيبها فقال انس صدق الله وكذب الحجاج قال الله تعالى وامسحوا برؤوسكم وارجلكم الى الكعبين قال فكان انس اذا مسح قدميه بلهما وقال الشعبي نزل جبرائيل (ع) بالمسح ثم قال ان في التيمم يمسح ما كان غسلا ويلقى ما كان مسحا وقال يونس حدثني من صحب عكرمة الى واسط قال فما رأيت غسل رجله انما كان يمسح عليهما واما ما روي عن سادة اهل البيت (ع) في ذلك فأكثر من ان يحصى فمن ذلك ما روى الحسين بن سعيد الاهوازي عن فضالة عن حماد بن عثمان عن غالب بن هذيل قال سألت ابا جعفر (ع) عن المسح على الرجلين فقال هو الذي نزل به جبرائيل وعنه عن احمد بن محمد قال سألت ابا الحسن موسى بن جعفر (ع) عن المسح على القدمين كيف هو فوضع بكفه على الأصابع ثم مسحها الى الكعبين فقلت له لو ان رجلا قال باصبعين من اصابعه هكذا الى الكعبين قال لا إلا بكفه كلها وأما وجه القراءتين في ارجلكم فمن قال بالغسل حمل الجر فيه على انه عطف على رؤوسكم وقال المراد بالمسح هو الغسل وروى عن ابي زيد انه قال المسح خفيف الغسل فقد قالوا تمسحت للصلاة وقوى ذلك بأن التعديد والتوقيت انما جاء في المنسول ولم يجز في المسوخ فلما وقع التعديد في المسح علم انه في حكم الغسل لموافقته الغسل في التعديد وهذا قول ابي علي الفارسي وقال بعضهم هو خفض على الجوار كما قالوا جحر ضب خرب وخرب من صفات الجحر لا الضب وكما قال امرؤ القيس

كَانَ ثَبْرًا فِي عَرَابَيْنِ وَبَلْبٍ كَبِيرٍ أَنَا فِي بَجَادٍ مَزْمَلٍ (١)

وقال الزجاج اذا قرأ بالجر يكون عطفا على الرؤوس فيقتضي كونه ممسوحا وذكر عن بعض السلف انه قال نزل جبرائيل بالمسح والسنة الغسل قال والخفض على الجوار لا يجوز في كتاب الله تعالى ولكن المسح على هذا التعديد في القرآن كالغسل وقال الاخفش هو معطوف على الرؤوس في اللفظ مقطوع عنه في المعنى كقول الشاعر * عَقْنَهَا تَبْنًا وَمَاءَ بَارِدًا * المعنى وسقيتها ماء بارداً وأما القراءة بالنصب فقالوا فيه انه معطوف على ايديكم لا نا رأيتا فقهاء الامصار عملوا على الغسل دون المسح ولما روي ان النبي (ص) رأى قوما توشأوا واعقابهم تلوح فقال ويل للعراقيب من النار ذكره ابو علي الفارسي واما من قال بوجوب مسح الرجلين حمل الجر والنصب في وارجلكم على ظاهره من غير تعسف فالجر للمطف على الرؤوس والنصب للمطف على موضع الجار والمجرور وامثال ذلك في كلام العرب اكثر من ان تحصى قالوا ليس فلان بقائم ولا ذاهبا وانشد

مُعَاوِيَ إِنَّا بَشَرٌ فَاسْتَجِبْ فَلَسْنَا بِالْجِبَالِ وَلَا الْحَدِيدِ (٢)

وقال تأبط شرا

هَلْ أَنْتَ بَاعِثٌ دِينَارٍ لِحَاجَتِنَا أَوْ عَبْدَ رَبِّ أَخَا عَوْنِ بْنِ مَخْرَاقٍ

فمطف عبد على موضع دينار فإنه منصوب على المعنى وابعده من ذلك قول الشاعر

جِئْتَنِي بِمِثْلِ بَنِي بَدْرِ لِقَوْمِهِمْ أَوْ مِثْلَ إِخْوَةِ مَنْظُورِ بْنِ سَيَّارٍ

فإنه لما كان معنى جئتي هات أو احضر لي مثلهم عطف بالنصب على المعنى واجابوا الأولين عما ذكروه في وجه الجر والنصب باجوبة نوردها على وجه الإيجاز قالوا ما ذكروه اولاً من ان المراد بالمسح الغسل فباطل من وجوه * احدها * أن فائدة اللفظين في اللغة والشرع مختلفة في المعنى وقد فرق الله سبحانه بين الاعضاء المنسولة وبين الاعضاء الممسوحة فكيف يكون معنى المسح والغسل واحداً * وثانيها * ان الأرجل اذا كانت معطوفة على الرؤوس وكان الفرض في الرؤوس المسح الذي ليس

(١) بشير : اعظم جبال مكة بينها وبين عرفة . الوبل : المطر الشديد وعرابينه : اوائله . البجاد كساء مخطط من اكسية العرب . والشاهد في وقوع «مزمل» صفة الكبير لا البجاد (٢) قوله معاوي مناد مرخم اي يامعاوية . الاسجاح : حسن العفو .

بفعل بلا خلاف فيجب ان يكون حكم الارجل كذلك لأن حقيقة العطف تقتضي ذلك * وثالثها * ان المسح لو كان بمعنى الغسل لسقط استدلالهم بما رووه عن النبي (ص) انه توضأ وغسل رجله لأن على هذا لا ينكر ان يكون مسحهما فمسحوا المسح غسلًا وفي هذا ما فيه فأما استشهاد ابي زيد بقولهم تمسحت للصلاة فالمعنى فيه انهم لما ارادوا ان يخبروا عن الطهور بلفظ موجز ولم يجوز ان يقولوا تغسلت للصلاة لأن ذلك تشبيه بالغسل قالوا بدلا من ذلك تمسحت لأن المفسول من الاعضاء مسموح ايضا فتجاوزوا لذلك تعويلا على ان المراد مفهوم وهذا لا يقتضي ان يكونوا جعلوا المسح من اسماء الغسل واما ما قالوه في تحديد طهارة الرجلين فقد ذكر المرتضى (ره) في الجواب عنه ان ذلك لا يدل على الغسل وذلك لأن المسح فعل قد اوجبه الشريعة كالفعل فلا ينكر تحديده كتحديد الغسل ولو صرح سبحانه فقال وامسحوا ارجلكم واتموا بالمسح الى الكعبين لم يكن منكرا فإن قالوا ان تحديد اليدين لما اقتضى الغسل فكذلك تحديد الرجلين يقتضي الغسل قلنا انا لم نوجب الغسل في اليدين للتحديد بل للتصريح بغسلهما وليس كذلك في الرجلين وان قالوا عطف المحدود على المحدود اولى واشبه بترتيب الكلام قلنا هذا لا يصح لأن الأيدي محدودة وهي معطوفة على الوجوه التي ليست في الآية محدودة فإنما جاز عطف الارجل وهي محدودة على الرؤوس التي ليست محدودة وهذا اشبهما ذكرتموه لأن الآية تضمنت ذكر عضو مفسول غير محدود وهو الوجه وعطف عضو محدود مفسول عليه ثم استوفى ذكر عضو مسموح غير محدود فيجب ان يكون الأرجل مسموحة وهي محدودة معطوفة على الرؤوس دون غيره ليتقابل الجملتان في عطف مفسول محدود على مفسول غير محدود وعطف مسموح محدود على مسموح غير محدود واما من قال انه عطف على الجوار فقد ذكرنا عن الزجاج أنه لم يجوز ذلك في القرآن ومن اجاز ذلك في الكلام فإنما يجوز مع فقد حرف العطف وكل ما استشهد به على الاعراب بالمجاورة فلا حرف فيه حائل بين هذا وذاك وايضا فإن المجاورة إنما وردت في كلامهم عند ارتفاع اللبس والأمن من الاشتباه فإن احدا لا يشبهه عليه ان خربا لا يكون من صفة الضب ولفظة مزمل لا يكون من صفة الجراد وليس كذلك الارجل فإنها تجاوزت ان تكون مسموحة كالرؤوس وايضا فإن المحققين من النحويين قوا ان يكون الاعراب بالمجاورة جائزا في كلام العرب وقالوا في جرح ضرب خرب انهم ارادوا خرب جرحه فحذف المضاف الذي هو جرح واقيم المضاف اليه وهو الضمير المجرور مقامه واذا ارتفع الضمير استكن في خرب وكذلك القول في كبير اناس في بجاد مزمل فتقديره مزمل كبيره فبطل الاعراب بالمجاورة جملة وهذا واضح لمن تدبره وامان جمله مثل قول الشاعر * علفتها تبتا وماعا باردا * كأنه قدر في الآية واغسلوا ارجلكم فقوله ابعده من الجميع لأن مثل ذلك لو جاز في كتاب الله تعالى على ضعفه وبعده في سائر الكلام فإنما يجوز اذا استحال حمله على ظاهره واما اذا كان الكلام مستقيما ومعناه ظاهرا فكيف يجوز مثل هذا التقدير الشاذ البعيد واما ما قاله ابو علي في القراءة بالنصب على انه معطوف على الأيدي فقد اجاب عنه المرتضى (ره) بأن قال جعل التأثير في الكلام للقريب اولى من جمله للبعيد فنصب الأرجل عطفا على الموضع اولى من عطفها على الأيدي والوجه على ان الجملة الأولى المأمور فيها بالغسل قد تقضت وبطل حكمها باستئناف الجملة الثانية ولا يجوز بعد انقطاع حكم الجملة الأولى ان تعطف على ما فيها فإن ذلك يجري مجرى قولهم ضربت زيدا وعمرا واكرمت خالدًا وبكرًا فإن رد بكر الى خالد في الاكرام هو الوجه في الكلام الذي لا يسوغ سواه ولا يجوز رده الى الضرب الذي قد انقطع حكمه ولو جاز ذلك ايضا لرجع ما ذكرناه لتطابق معنى القراءتين ولا يتنافيان فأما ما روي في الحديث انه (ص) قال ويل للعراقيين من النار وغير ذلك من الاخبار التي رووها عن النبي (ص) انه توضأ وغسل رجله فالكلام في ذلك انه لا يجوز ان يرجع عن ظاهر القرآن المعلوم بظاهر الاخبار الذي لا يوجب علما وانما يقتضي الظن على ان هذه الاخبار معارضة باخبار كثيرة وردت من طرقهم ووجدت في كتبهم وقلت عن شيوخهم مثل ما روي عن اوس بن

(١) اوس أنه قال رأيت النبي صلى الله عليه وآله توضأ ومسح على نعليه ثم قام فصلى وعن حذيفة قال اتى رسول الله (ص) سباطة قوم فبال عليها ثم دعا بماء فتوضأ ومسح على قدميه وذكره ابو عبيدة في غريب الحديث الى غير ذلك مما يطول ذكره وقوله وبيل للمراقب من النار فقد روي فيه ان قوماً من اجلاف الاعراب كانوا يبولون وهم قيام فيتشرشر البول على اعقابهم وارجلهم فلا يفسلون ويدخلون المسجد للصلاة وكان ذلك سبباً لهذا الوعيد وأما الكعبان فقد اختلف في معناها فعند الامامية هما العظمان الناتئان في ظهر القدم عند معقد الشراك ووافقهم في ذلك محمد بن الحسن صاحب ابى حنيفة وان كان يوجب غسل الرجلين الى هذا الموضع وقال جمهور المفسرين والفقهاء الكعبان هما عظما الساقين قالوا ولو كان كما قالوه لقال سبحانه وارجلكم الى الكعاب ولم يقل الى الكعبين لأن على ذلك القول يكون في كل رجل كعبان (وان كنتم جنباً فاطهروا) معناه ان كنتم جنباً عند القيام الى الصلاة فتطهروا بالاغتسال وهو ان تغسلوا جميع البدن والجنابة إنما تكون بانزال الماء الدافق على كل حال او بالتقاء الختانين وحده غيبوبة الحشفة في الفرج سواء كان معه انزال او لم يكن (وان كنتم مرضي او علي سفر أو جاء احد منكم من الغائط أو لمستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً فامسحوا بوجوهكم وابدانكم منه) قد مر تفسيره في سورة النساء فلا معنى لإعادته (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج) معناه ما يريد الله بما فرض عليكم من الوضوء اذا قمتم الى الصلاة والغسل من الجنابة والتيمم عند عدم الماء او تعذر استعماله ليلزمكم في دينكم من ضيق ولا يعتكم فيه عن مجاهد وجميع المفسرين (ولكن يريد ليظهركم) بما فرض عليكم من الوضوء والغسل من الاحداث والجنابة اي ينظف اجسادكم بذلك من الذنوب واللام دخلت فيه لتبيين الارادة اي يريد ذلك لتطهيركم كما قال الشاعر

أُرِيدُ لِأَنْسَى ذِكْرَهَا فَكَأَنَّمَا تَمَثَّلَ لِي لَيْلَى بِكُلِّ سَبِيلٍ

ويؤيد ما قلناه ما روي عن قتادة عن شهر بن حوشب عن ابى امامة ان النبي (ص) قال ان الوضوء بكفر ما قبله (وليتم نعمته عليكم) اي ويريد الله تعالى مع تطهيركم من ذنوبكم بطاعتكم اياه فيما فرض عليكم من الوضوء والغسل اذا قمتم الى الصلاة مع وجود الماء او التيمم عند عدمه ان يتم نعمته باباحته لكم التيمم وتصويره لكم الصعيد الطيب طهوراً رخصة لكم منه من سواغ نعمه التي انعم بها عليكم (لعلكم تشكرون) اي لتشكروا الله على نعمته بطاعتكم اياه فيما امركم به ونهاكم عنه وقضت هذه الآية احكام الوضوء وحفته واحكام الغسل والتيمم ومسائلها المتفرعة منها كثيرة موضعها الكتب الموافقة في الفقه

قوله تعالى (٧) وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (آية)

﴿ اللغة ﴾

إنما قال ذات الصدور على لفظ التأنيث لأن المراد بذلك المعاني التي تحل القلوب ولم يقل ذوات ليني عن التفصيل في كل ذات

﴿ المعنى ﴾

لما قدم سبحانه ذكر بيان الشرائع عقبه بتذكير نعمه فقال (واذكروا نعمة الله عليكم) ولم يقل نعم الله للأشعار بعظم النعمة لا من جهة الضعيف إذ كل نعمة لله فإنه يستحق عليها اعظم الشكر لكونها اصل النعم إذ هي مثل الخلق والحياة والعقل والحواس والقدرة والآلات وقيل بل لأنه ذهب مذهب الجنس في ذلك وجملة النعم تسمى نعمة كما ان قطاعاً من الارض تسمى ارضاً (وميثاقه الذي واثقكم به) قيل فيه اقوال ﴿ احدها ﴾ ان

(١) وفي بعض النسخ اوس بن أمي اوس وكلاهما محتمل . (٢) البساطة : الموضع الذي تطرح فيه الاوساخ .

معناه ما اخذ عليهم رسول الله (ص) عند اسلامهم ويمتثلهم بأن يطيعوا الله في كل ما يفرضه عليهم ما ساءهم او سرهم عن ابن عباس والسدي ﴿ وثانيها ﴾ ان المراد بالمشاق ما بين لهم في حجة الوداع من تحريم المحرمات وكيفية الطهارة وفرض الولاية وغير ذلك عن ابي الجارود عن ابي جعفر (ع) وهذا داخل في القول الأول اذ هو بعض ما فرض الله تعالى ﴿ وثالثها ﴾ ان المراد به متابعتهم للنبي (ص) يوم بيعة العقبة وبيعة الرضوان عن ابي علي الجبائي ﴿ ورابعها ﴾ ان معناه ما اخذه عليهم حين اخرجهم من صلب آدم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى عن مجاهد وهذا اضعف الاقوال (اذ قلتم سمعنا وأطعنا) يعني سمعنا ما تقول وأطعناك فيما سمعنا (واتقوا الله) مضى يانه (ان الله علم بذات الصدور) اي بما تضمنونه في صدوركم من المعاني والمراد بالصدور هاهنا القلوب وإنما جاز ذلك لأن موضع القلب الصدر

قوله تعالى (٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا إِعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (٩) وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (١٠) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (ثلاث آيات)

✽ اللفظة ✽

جرمت واجرمت بمعنى وقبل معنى لا يجرمنكم لا يدخلنكم في الجرم كما يقال اثمته اي ادخلته في الاثم وتقول وعدت الرجل تريد الخير واوعدت الرجل تريد الشرف اذا ذكرت الموعد قلت فيها جميعا وعدهته واوعدته فقوله سبحانه وعد الله الذين آمنوا يدل على الخير ثم بين ذلك الخير فقال لهم مغفرة

✽ الاعراب ✽

قوامين نصب بأنه خبر كان شهداً نصب على الحال وقوله لهم مغفرة جملة وقعت موقع المفرد كقول الشاعر
وَجَدْنَا الصَّالِحِينَ لَهُمْ جَزَاءٌ
وَجَنَاتٍ وَعَيْنًا سَلْسَبِيلاً
وتكون الجملة التي هي لهم مغفرة في موضع نصب ولذلك عطف في البيت وعينا نصب على الموضع ويحتمل ان يكون موضع لهم مغفرة رفعا ويكون الموعد به محذوفا

✽ المعنى ✽

لما ذكر سبحانه الوفاء بالمهود بين سبحانه ان ما يلزم الوفاء به ما ذكر في الآيات فقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين) اي قائمين (لله) اي ليكن من عادتكم القيام لله بالحق في انفسكم بالعمل الصالح وفي غيركم بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر وبمعنى بقوله الله افعلوا ذلك ابتغاء مرضاة الله (شهداء بالقسط) اي بالعدل وقيل معناه كونوا دعاة لله مبينين عن دين الله بالعدل والحق والحجج لأن الشاهدين ما يشهد عليه وقيل معناه كونوا من أهل العدالة الذين حكم الله تعالى بأن مثلهم يكونون شهداء على الناس يوم القيامة (ولا يجرمنكم شنان قوم) قد ذكرنا معناه في اول السورة قال الزجاج من حرك النون من شنان اراد بغض قوم ومن سكن اراد بغيض قوم ذهب الى ان الشنان مصدر والشنان بالسكون صفة (على الا تعدلوا) اي لا يحملنكم بفضهم اي بفضكم ايامهم وعلى القول الآخر فتقديره لا يحملنكم بغيض قوم وعدو قوم على الا تعدلوا

في حكمكم فيهم وسيرنكم بينهم فتجوروا عليهم (اعدلوا) أي اعملوا بالعدل أي المؤمنون في أولياتكم واعدائكم (هو اقرب للتقوى) أي العدل اقرب إلى التقوى (واتقوا الله) أي خافوا عقابه بفعل الطاعات واجتناب السيئات (ان الله خير) أي عالم (بما تعملون) أي بأعمالكم يجازيكم عليها (وعد الله الذين آمنوا) أي صدقوا بوحدانية الله تعالى وأقرؤا نبوة محمد (ص) (وعملوا الصالحات) أي الحسنات من الواجبات والمندوبات (لهم مغفرة) أي مغفرة لذنوبهم وتكفير لسيئاتهم والمراد به النغطية والستر (وأجر عظيم) يريد ثوابا عظيما والفرق بين الثواب والأجر ان الثواب يكون جزاء على الطاعات والأجر قد يكون على سبيل المعاوضة بمعنى الاجرة والوعد هو الخبر الذي يتضمن النفع من المخبر والوعد هو الخبر الذي يتضمن الضرر من المخبر (والذين كفروا) أي جحدوا توحيد الله وصفاته وانكروا نبوة نبيه (ص) (وكذبوا بآيات الله) أي بدلائله وبراهينه (أولئك اصحاب الجحيم) معناه انهم يخلدون في النار لأن المصاحبة تقتضي الملازمة

قوله تعالى (١١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَسْطُورُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَتَقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (آية)

﴿ اللفظة ﴾

الذكر هو حضور المعنى للنفس وقد يستعمل الذكر بمعنى القول لأن من شأنه ان يذكر به المعنى والتذكر طلب المعنى لا طلب القول والهمم بالأمر هو حديث النفس بفعله يقال هم بالأمر بهم هم وأمنه الهم وهو الفكر الذي يغمم وجهه هموم وأهمه الأمر اذا عني به فحدث نفسه به والفرق بين الهمم بالشئ والقصد اليه انه قديهم بالشئ قبل ان يريدوه ويقصده بأن يحدث نفسه به وهو مع ذلك مقبل على فعله

﴿ المعنى ﴾

ثم خاطب الله سبحانه المؤمنين وذكروا نعمته عليهم بما دفع عنهم كيد الأعداء فقال (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمه الله عليكم اذ هم قوم) أي قصدوا (ان يبسطوا اليكم أيديهم) واختلف فيمن بسط اليهم الأيدي على اقوال ﴿ أحدها ﴾ انهم اليهود هموا بأن يفتكوا بالنبي (ص) وهم بنو النضير دخل رسول الله (ص) مع جماعة من اصحابه عليهم وكانوا قد عاهدوه على ترك القتال وعلى ان يعينوه في الديارات فقال (ص) رجل من اصحابي اصاب رجلين معهما امان مني فلزمني دينها فأريد ان تعينوني فقالوا نعم اجلس حتى نطعمك ونعطيك الذي تسألنا وهموا بالقتل بهم فأذن الله به رسوله فأطلع النبي (ص) اصحابه على ذلك وانصرفوا وكان ذلك احدى معجزاته عن مجاهد وقتادة واكثر المفسرين ﴿ وثانيها ﴾ ان قريشا بسطوا رجلا ليقول النبي (ص) فدخل عليه وفي يده سيف مسلول فقال له ارنيه فأعطاه فلما حصل في يده قال ما الذي يمنني من قتلك قال الله يمنك فرمى السيف واسلم واسم الرجل عمرو بن وهب الجمحي بعثه صفوان بن أمية ليقتله بعد بدر وكان ذلك سبب اسلام عمرو بن وهب عن الحسن ﴿ وثالثها ﴾ ان المعنى بذلك ما لطف الله للمسلمين من كفا أعدائهم عنهم حين هموا باستئصالهم باشياء شغلهم بهامن الامراض والقحط وموت الأكاره وهلاك المواشي وغير ذلك من الاسباب التي انصرفوا عن قتل المؤمنين عن ابي علي الجبائي ﴿ ورابعها ﴾ ما قاله الواقدي ان رسول الله (ص) غزا جمعا من بني ذبيان ومحارب بندي امر فتحصنوا برووس الجبال ونزل رسول الله (ص) بحيث يراهم فذهب لحاجته فأصابه مطر فبل ثوبه فنشره

على شجرة واضطجع تحته والاعراب ينظرون اليه فجاء سيدهم دعثور بن الحرث حتى وقف على رأسه بالسيف مشهوراً فقال يا محمد من يمنعك مني اليوم فقال الله ودفع جبرائيل في صدره ووقع السيف من يده واخذه رسول الله (ص) وقام على رأسه وقال من يمنعك اليوم مني قال لا احد وانا اشهد ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله فنزلت الآية وعلى هذا فيكون تخلص النبي (ص) مما هموا به نعمة على المؤمنين من حيث ان مقامه بينهم نعمة عليهم فلذلك اعتد به عليهم وقوله (فكف ايديهم عنكم) اي منعهم عن الفتن بكم (واتقوا الله) ظاهر المعنى (وعلى الله فليتوكل) اي فليثق (المؤمنون) بنصر الله وليتوكلوا عليه فان الله تعالى كافهم وناصرهم

قوله تعالى (١٢) وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (آية)

✽ اللغة ✽

الميثاق اليمين المؤكدة لأنها يستوثق بها من الأمور أصل النقيب في اللغة من النقب وهو النقب الواسع ونقب القوم كالكفيل والضمين ينقب عن الاسرار ومكنون الاضمار ومنه نقاب المرأة ومنه المناقب الفضائل لأنها تظهر بالنقيب عليها والنقب الطريق في الجبل ويقال نقب الرجل على القوم ينقب اذا صار نقيباً وصناعته النقابة ولقد نقب وكذلك عرف عليهم اذا صار عريقاً ونكب عليهم ينكب نكابة اذا صار منكباً وهو عون العريف والنقاب الرجل العالم بالاشياء الذي القلب الكثير البحث عن الأمور والنقب اول الجرب وجمعها النقب والنقب قال (١)

مَتَبَدَّلًا تَبُّوْا مَحَاسِنَهُ يَضَعُ الْهِنَاءَ مَوَاضِعَ النَّقَبِ (٢)

واصل الباب كله معناه التأثير الذي له عتق ودخول من ذلك تبت المائدة اي بقت في النقب آخره ومن ذلك النقبة في الجرب لأنه داء شديد الدخول والنقبة السراويل التي لارجلين لها قد بولغ في فتحها وانما قيل نقيب لأنه يعلم دخيلة أمور القوم ويعرف مناقبهم وهو الطريق الى معرفة أمورهم قال ابو عبيدة التعزير التوقير وانشد
وَكَمْ مِنْ مَاجِدٍ لَهُمْ كَرِيمٌ
وَمِنْ لَيْتٍ يُعَزَّرُ فِي النَّدَى (٣)

اي يعظم والعز الرد والمنع في قول الفراء تقول عزرت فلانا اذا ادبته وفعلت به ما يردعه عن القبيح ومنه التعزير في النصره والتنظيم لأن ذلك يمنع صاحبه ممن اراده بسوء والضلال الركوب على غير هدى وسواء كل شيء وسطه

✽ الإعراب ✽

انما قال قرضاً ولم يقل اقراضاً لأنه رده الى قرض قرضاً فان في اقراضتم معنى القرض وهذا كقوله والله انبتكم من الارض نباتاً ولم يقل انبانا وقال امرؤ القيس ﴿وَرَضْتِ فَذَلَّتْ صَبَّةً أَيِ إِذْ لَالٍ﴾ لأن في رضت معنى اذلت

(١) والقائل دريد بن الصمة . (٢) التبذل : ترك التعزير والتوبيخ بالهيئة العسنة على جهة التواضع والهناء : القطران يداوى به الجرب (٣) الندى : النادي بمعنى المجلس . (٤) وقبله «و صرنا السى الحسنى ورق كلامنا» وقوله رضت من راض الدابة يرضها روضاً : وطأها وذللها .

* المعنى *

لما بين سبحانه خيانة اليهود وهمهم بقتله وأنه دفع عنه شرم عقبه بذكر احوال اليهود وخبث سرانهم وقبح عاداتهم في خيانة الرسل تسلية لنبية فيما هموا به فقال (ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل) اية عهدهم الموكد باليمين باخلاص العبادة له والايان برسله وما يأتون به من الشرائع (وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا) اي امرنا موسى بأن يبعث من الاسباط الاثني عشر اثني عشر رجلا كالطلائع يتجسسون ويأتون بني اسرائيل بأخبار ارض الشام واهلها الجبارين فاخار من كل سبط رجلا يكون لهم نقيبا اي امينا كفيلا فرجعوا يهنون قومهم عن قتالهم لما رأوا من شدة بأسهم وعظم خلقهم الا رجلين منهم كالب بن يوفنا ويوشع بن نون عن مجاهد والسدي وقيل معناه أخذنا من كل سبط منهم ضميما بما عقدنا عليهم من الميثاق في امر دينهم عن الحسن والجبائي وقيل معناه اثني عشر رئيسا وقيل شهيدا على قومه عن قتادة وقال البلخي يجوز ان يكونوا رسلا ويجوز ان يكونوا قادة وقال ابو مسلم بعثوا انبياء ليقوموا الدين ويعلموا الاسباط التوراة ويأمرهم بما فرض الله عليهم وأمرهم به (وقال الله اني معكم) قيل انه خطاب للنقباء عن الربيع وقيل خطاب لبني اسرائيل الذين أخذ منهم الميثاق ويجوز ان يدخل فيهم النقباء عن اكثر المفسرين اي قال الله لهم فحذف لدلالة الكلام عليه اني معكم بالنص والحفظ انصر كم على عدوي وعدوكم الذين أمرتكم بقتلهم ان قاتلتوهم ووفيتهم بمهدي وميثاق الذي اخذته عليكم ثم اجدا سبحانه فقال (لئن اقمتم الصلاة) بامعشر بني اسرائيل (وآتيتم الزكاة) اي اعطيتموها (وآمتم برسلي) اي صدقتم بما اتاكم به رسلي من شرائع ديني وقيل انه خطاب للنقباء (وعزتموهم) اي نصرتموهم عن الحسن ومجاهد والزجاج وقيل عظمتوهم ووقرتوهم واطعتوهم عن ابن زيد وابي عبيدة (وأقرضتم الله قرضا حسنا) اي انفقتم في سبيل الله واعمال البر نفقة حسنة يجازيكم بها فكانه قرض من هذا الوجه وقيل معنى قوله حسنا عفوا عن طيبة نفس وان لا يتبعه من ولا اذى وقيل يعني حلالا (لا تكفرون عنكم سيئاتكم) اي لا تعطين على ما مضى من اجرامكم بعفوي واسقاطي عنكم وبال ذلك (ولا دخلتكم جنات تجري من تحتها الأنهار) ظاهر المعنى (فمن كفر بعد ذلك منكم) اي بعد بعث النقباء واخذ الميثاق (فقد ضل سوا السبيل) اي اخطأ قصد الطريق الواضح وزال عن منهاج الحق وفي هذا دلالة واشارة الى ان الحق بين القلو والتفرط كما روي عن أمير المؤمنين (ع) اليمين والشمال مضلة والطريق الوسطى هي الجادة الى آخر كلامه

قوله تعالى (١٣) **فِيمَا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَانَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** (آية)

* القراءة *

قرأ حمزة والكسائي قَسِيَةً بغير الف وقرأ الباقون قاسية بالالف

* الحجة *

حجة من قرأ قَسِيَةً ان فعلا قديمي بمعنى فاعل مثل شاهد وشهيد وعالم وعلیم وعارف وعريف ومن

قرأ قاسية فلأنه الاعرف والاكثر في مجرى العادة

✽ اللغة ✽

القسوة خلاف اللين والرفق وانشد ابو عبيدة (وقد قسوت وقسا لداتي) اي فارقتي لبن الشباب ولدونته فالقاسي الشديد الصلابة قال ابو العباس الدرهم انما يسمى قسيًا اذا كان فاسدًا زانفالشدة صوته بالقسو الذي فيه قال ابو زبيد يصف وقع المساحي في الحجارة

لَهَا صَوَاهِلُ فِي ضَمِّ السَّلَامِ كَمَا صَاحَ الْقَسِيَّاتُ فِي أَيْدِي الصَّيَارِيفِ

قال ابو علي احسب قسيًا في الدراهم مُرَبًّا واذا كان مُرَبًّا لم يكن من القسي العربي في شيء الا ترى قابوس وابليس وجالوت وطالوت ونحو ذلك من الاسماء الاعجمية التي من الفاظها عربي لا يكون مشتقة من باب القبس والابلاس بذلك على ذلك منهم الصرف فيها والخائنة الخيانة وفاعلة في اسماء المصادر كثير نحو عافاه الله عافية واهلكوا بالطاغية وليس لوقعتها كاذبة ويقال سمعت ثاغية الغنم وراغية الابل وقد يقال رجل خائنة على المبالغة قال الشاعر

حَدَّثْتَ نَفْسَكَ بِالْوَفَاءِ وَلَمْ تَكْزُ لِلغَدْرِ خَائِنَةٌ مِغْلٌ الْاِصْبَعِ

قوله مغل الاصبع بدل من خائنة

✽ الاعراب ✽

ما في قولهم فيما نقضهم زائدة مؤكدة اي فبنقضهم ميثاقهم ومثله قول الشاعر ✽ لشي ما يسود من يسود ✽ يحرفون في موضع نصب على الحال من قوله فيما نقضهم ميثاقهم اي محرفين الكلم ويجوز ان يكون كلاما مستأنفا ويكون التام عند قوله قاسية و قليلا منهم نصب على الاستثناء من الهاء والميم في قوله على خائنة منهم

✽ المعنى ✽

ثم عطف سبحانه على ما تقدم فقال (فيما نقضهم ميثاقهم لئلا) فيه تسلية للنبي (ص) يقول لا تعجبين يا محمد من هؤلاء اليهود الذين هموا ان يسطرو ايديهم اليك والى اصحابك وينكثوا العهد الذي بينك وبينهم ويفدروا بك فان ذلك دأبهم وعادة اسلافهم الذين اخذت ميثاقهم على طاعتي في زمن موسى وبعثت منهم اثني عشر نقيبا فنقضوا ميثاقهم وعهدي فلمنتهم بنقضهم ذلك العهد والميثاق وفي الكلام محذوف اكتفي بدلالة الظاهر عليه وتقديره فنقضوا ميثاقهم فلغناهم بنقضهم ذلك الميثاق والعهد المؤكد اي طردناهم وابعدناهم من رحمتنا على وجه العقوبة عن عطا وجماعة وقيل معناه مسخناهم قرده وخنازير عن الحسن ومقاتل وقيل عذبناهم بالجزية عن ابن عباس وكان نقضهم الميثاق من وجوه فمنها انهم كذبوا الرسل وقتلوا الانبياء ونذوا الكتاب وضيعوا حدوده وفرائضه عن قتادة ومنها انهم كتموا صفة النبي (ص) عن ابن عباس (وجعلنا قلوبهم قاسية) اي يابسة غليظة تنبو عن قبول الحق ولا تلين عن ابن عباس ومعناه سلبناهم التوفيق والالطف الذي تنشرح به صدورهم حتى راب على قلوبهم ما كانوا يركبون وهذا كما يقول الانسان لغيره افسدت سيفك اذا ترك تماهده حتى صدى وجعلت اظافيرك سلاحك اذا لم يقصها وقيل معناه بينا عن حال قلوبهم وماهي عليها من القساوة وحكمنا بانهم لا يؤمنون ولا تنجع فيهم موعظة عن الجبائي وقيل معنى قاسية رديئة فاسدة مثل الدراهم القسية اذا كانت زائفة وهذا راجع الى معنى اليبس ايضا لانها تكون يابسة الصوت لما فيها

(١) جمع السحاة ويقال لها بالفارسية «بيل» (٢) الصوامل جمع الصاملة مصدر على فاعلة بمعنى الصهيل وهو الصوت اللام جمع السلية : الحجارة . الصم جمع الصماء مؤنث الاصح : الصليب المتين . (٣) مغل الاصبع : من يدخل يده في المتاع للخيانة .

من العش والفساد ويقال للرحيم لبن القلب ولغير الرحيم يابس القلب (يحرفون الكلم عن مواضعه) اي يفسرونه على غير ما انزل ويفسر: بن صفة النبي (ص) فيكون التحريف بأمرين * أحدهما * سوء التأويل * والآخر * التغيير والتبديل كقوله تعالى ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله (ونسوا حظا مما ذكروا به) وتركون نصيبا مما وعظوا به وتأمروا به في كتابهم من اتباع النبي فصار كالمسي عندم ولو آمنوا به واتبعوه لكان ذلك لهم حظا وقيل معناه ضبعوا ما ذكرهم الله به في كتابه بما فيه رشدهم وتركوا تلاوته فسوه على مر الأيام (ولا تزال تطلع على خائنة منهم) يعني على خيانة اي معصية عن ابن عباس وقيل كذب ووزور ونقض عهد ومظاهرة للمشركين على رسول الله (ص) وغير ذلك مما كان يظهر من اليهود من انواع الخيانات وقيل ان معناه تطلع على فرقة خائنة اي جماعة خائنة منهم اذا قالوا قولا خالفوه واذا عاهدوا عهدا تقضوه (الا قليلا منهم) لم يخونوا (فاعف عنهم واصفح) ما داموا على عهدك ولم يخونوك عنى بهم القليل الذي استثناهم عن ابي مسلم وقيل معناه فاعف عنهم اذا تابوا وبذلوا الجزية عن الحسن وجمفر بن مبشر واختاره الطبري وقيل انه منسوخ بقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله الآية عن قتادة وقيل منسوخ بقوله واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سوا من الجبائي (ان الله يحب المحسنين) ظاهر المعنى

قوله تعالى (١٤) وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (آية)

✽ اللغته ✽

معنى الاغراء تسليط بعضهم على بعض وقيل معناه التحريش واصله اللصوق ويقال غربت بالرجل غرى اذا لصقت به عن الاصمعي وقال غيره غربت به غراء ممدود واغربت زيدا بكذا حتى غري به ومنه الغراء الذي تلصق به الاشياء

✽ المعنى ✽

ثم بين سبحانه حال النصارى في تقضيم ميثاق عيسى (ع) كما بين حال اليهود في تقضيم ميثاق موسى (ع) فقال (ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم) اي ومن الذين ذكروا انهم نصارى اخذنا الميثاق بالتوحيد والاقراب بنبوته المسيح وجميع انبياء الله وانهم كانوا عبيد الله فتقضوا هذا الميثاق واعرضوا عنه وهذا اشارة الى انهم ابتدعوا النصرانية التي هم عليها اليوم وتسموا بها ولهذا لم يقل من النصارى الا انه سبحانه أطلق هذا الاسم في مواضع عليهم لانه صار سنة لهم وعلامة عن الحسن (فنسوا حظا مما ذكروا به) مرثيانه (فاغرينا بينهم العداوة والبغضاء) اختلف فيه قيل المراد بين اليهود والنصارى عن الحسن وجماعة من المفسرين وقيل المراد بين اصناف النصارى خاصة من اليقوية والملكانية والنسطورية من الخلاف والعداوة عن الربيع واختاره الزجاج والطبري واما اغرى بينهم العداوة بالاوهاء المختلفة في الدين وذلك ان النسطورية قالت ان عيسى ابن الله واليقوية قالت ان الله هو المسيح ابن صريم والملكانية وهم الروم قالوا ان الله ثالث ثلاثة الله وعيسى ومريم وقيل يأمر بعضهم ان يعاديه بعضا عن الجبائي فكأنه يذهب الى الامر بمادة الكفار وان هؤلاء يكفرون بعضهم بعضا وقوله الى يوم القيامة عنى به ان المعادة تبقى بينهم الى يوم القيامة اما بين اليهود والنصارى واما بين فرق النصارى وقيل الوجه في قوله تعالى فاغرينا بينهم العداوة والبغضاء انه اخبر انهم اختلفوا فيما بينهم وكلهم على

خطا وضلال وقد جعل الله سبحانه على كل مقالة من مقالاتهم التي اخطأوا فيها دلائل عرف بها بعضهم خطأ بعض فعادوا على ذلك وتباغضوا ولم تعرف كل فرقة منهم خطأ انفسهم فلما لم يصل كل منهم الى المعرفة بخطأ صاحبه الا من جهة كتاب الله ودلائله والتعادي بينهم كان من اجل ذلك جاز ان يقول فاغرينا بينهم على هذا الوجه عن جعفر بن حرث وقيل الوجه في ذلك انا اخطرتا على بال كل منهم ما يوجب الوحشة والنفرة عن صاحبه وما يهيج العصبية والعداوة عقوبة لهم على تركهم الميثاق (وسوف ينبئهم الله) عند المحاسبة (بما كانوا يصنعون) في الدنيا من نقض الميثاق ويعاقبهم على ذلك بحسب استحقاقهم فكأنه لما قال سبحانه فاعف

عنهم واصفح بين بعد ذلك انه من وراء الانتقام منهم وانه سيجازيهم على صنيعهم وقبيح فعلهم
قوله تعالى (١٥) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ
(١٦) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (آياتان كوفي وثلاث عند غيرهم)

= اللغة =

الرضوان والرضا من الله ضد السخط وهو ارادة الثواب بمستحقه وقال قوم هو المدح على الطاعة والثناء وقال علي بن عيسى هو جنس من الفعل يقتضي وقوع الطاعة الخالصة بما يطلها ويضاد الغضب قال لأن الرضا بما مضى يصح وارادة ما مضى لا يصح اذ قد يصح ان يرضى بما كان ولا يصح ان يريد ما كان وهذا الذي ذكره غير صحيح لأن الرضا عبارة عن ارادة حدوث الشيء من الغير غير انها لا تسمى بذلك الا اذا وقع مرادها ولم يتخللها كراهية فقف تسميتها بالرضا على وقوع المراد إلا ان بعد وقوع المراد بفعل ارادة بسمى رضاء بما كان فقط ما قاله

✽ المعنى ✽

لما ذكر سبحانه ان اليهود والنصارى نقضوا العهد وتركوا ما امروا به عقب ذلك بدعائهم الى الايمان بمحمد (ص) وذكرهم ما اتاهم به من اسرار كتبهم حجة عليهم فقال (يا اهل الكتاب) يخاطب اليهود والنصارى (قد جاءكم رسولنا) محمد (يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب) يعني ما بينه (ص) من رجم الزانين واشياء كانوا يحرفونها من كتابهم بسوء التأويل وانما لم يقل يا اهل الكتابين لأن الكتاب اسم جنس وفيه معنى العهد فسلك طريقة الايجاز في اللفظ من حيث كانوا كانوا اهل كتاب واحد (ويعفوا عن كثير) معناه بترك كثيرا لا يذكروه ولا يؤخذكم به لأنه لم يأمر به عن ابي علي الجبائي وقيل معناه يصفح عن كثير منهم بالتوبة عن الحسن والوجه في تبين بعضه وترك بعضه انه يبين ما فيه دلالة على نبوته من صفاته ونعمته والبشارة به وما يحتاج الى علمه من غير ذلك مما يتفق له الاسباب التي يحتاج معها الى استعلامه كما اتفق ذلك في الرجم وما عدا هذين مما ليس في تفصيله فائدة كفى ذكره في الجملة (قد جاءكم من الله نور) يعني بالنور محمد (ص) لأنه يهتدي به الخلق كما يهتدون بالنور عن قتادة واختاره الزجاج وقيل عنى به القرآن لأنه يبين الحق من الباطل عن ابي علي الجبائي والأول اولي لقوله (وكتاب مبين) فيكون اختلاف اللفظين

لاخلاف المعنيين (يهدي به الله) أي الكتاب المبين وهو القرآن وقيل بالنبي (ص) (من اتبع رضوانه) أي من اتبع رضا الله في قبول القرآن والإيمان وتصديق النبي (ص) واتباع الشرائع (سبل السلام) قيل السلام هو الله تعالى عن الحسن والسدي ومعناه سبل الله وهو شرائع التي شرعها لعباده وهو الإسلام وقيل انه السلامة من كل مخافة ومضرة إلا ما لا يعتد به لأنه يؤول إلى النفع في العاقبة عن الزجاج أي يهدي إلى طرق السلامة من اتبع ما فيه رضا الله فالسلام والسلامة كالضلال والضلالة والمراد بقوله يتوكله يهدي انه يفعل اللطف المؤدي إلى سلوك طريق الحق (ويخرجهم من الظلمات إلى النور) لأن الكفر يتحير فيه صاحبه كما يتحير في الظلام ويهتدي بالإيمان إلى النجاة كما يهتدي بالنور (بأذنه) أي بلطفه (ويهديهم إلى صراط مستقيم) أي ويرشدهم إلى طريق الحق وهو دين الإسلام عن الحسن وقيل إلى طريق الجنة عن أبي علي الجبائي قوله تعالى (١٧) لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا اللَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٨) وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاؤُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَفْقَهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (آبتان)

❖ اللغة ❖

الأحباء جمع الحبيب والحب المحبة وقد يكون بمعنى الإرادة وقد يكون بمعنى الشهوة وقد يستعمل في كل واحد منها يقال أحب استقامة أمورك وأحب جاريتي

❖ الاعراب ❖

اللام في قوله لقد كفر جواب القسم وتقديره اقسام لقد كفر الذين قالوا وإنما قال وما بينهما ولم يقل وما بينهما مع انه ذكر السماوات على الجمع لأنه أراد به النوعين أو الصنفين كما قال الشاعر
طَرَفًا فِتْلِكَ هَاهُمِي أَقْرِبِيهَا
قَلْبًا لَوَاقِحَ كَالْقِسِي وَحَوْلًا (١)
فقال طرفًا قال فتلك هاهمي

❖ المعنى ❖

ثم حكى سبحانه عن النصارى ما قالوا في المسيح (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم) كفرهم الله سبحانه بهذا القول لأنهم قالوه على وجه التدين به والاعتقاد لا على وجه اللانكار وإنما كفروا بذلك لوجهين ❖ احدهما ❖ انهم كفروا بالنعمة من حيث اضافوا إلى غير الله ممن ادعوا إلى هيبته ❖ والآخر ❖ انهم كفروا بانهم وصفوا المسيح وهو محدث بصفات الله سبحانه فقالوا بالله وكل جاهل بالله كافر لأنه لما ضيع نعمة الله تعالى كان بمنزلة من اضافها إلى غيره (قل) يا محمد (قل) فمن يملك من الله شيئاً) أي من يقدر ان يدفع من أمر الله شيئاً من قولهم ملكت على فلان امره إذا اقتدرت عليه حتى لا يمكنه انفاذ شيء من امره إلا بك وتقديره من يملك من أمر الله شيئاً ان اراد ان يهلك المسيح بن مريم وأمه ومن في الأرض جميعاً) عنى بذلك انه لو كان المسيح إلهاً لتقدر على دفع امر الله تعالى اذا اراد اهلاكه واهلاك غيره وليس

(١) [منه من الكفر إلى الإيمان] (٢) طرق القوم: اتاهم ليلاً. والهامهم هنا بمعنى الهوم. قرى الضمف: اضافته. القلم جمع القلوص وهي من الابل الشابة منها؛ اللواقح: الحوامل، والقسي جمع القوس. (٣) [الحكاية]

بقادر عليه لاستحالة القدرة على مغالبة القديم اي فكيف يجوز اعتقاد الربوبية فيه مع انه مسخر مرربوب مقهور وقيل معناه ان من قدر على هذا لم يميز ان يكون معه إله ولا ان يشبهه شي (والله ملك السماوات والأرض وما بينهما) ومن كان بهذه الصفة فلثاني له وذلك بذلك على ان المسيح ملك له واذا كان ملكا له لم يكن إلهاً ولا ابناً له لأن المملوك لا يجوز ان يكون مالكا فكيف يكون إلهاً وقوله (يخلق ما يشاء) اي يخلق ما يشاء ان يخلقه فإن شاء خلق من ذكر وأنثى وان شاء خلق من أنثى غير ذكر فدل بها على انه ليس في كون المسيح من أنثى بغير ذكر دلالة على كونه إلهاً وقوله (والله على كل شي قدير) اي يقدر على كل شي يريد ان يخلقه وفي هذه الآية رد على النصارى القائلين بأن الله جل جلاله اتحد بالمسيح فصار الناسوت لاهوتا يجب ان يعبد وينخذل لها فاحتج عليهم بأن من جاز عليه الهلاك لا يجوز ان يكون إلهاً وكذلك من كان مولوداً مربوباً لا يكون رباً ثم حكى عن الفرقيين من اهل الكتاب فقال (وقالت اليهود والنصارى نحن ابناؤه واحباؤه) قبل ان اليهود قالوا نحن في القرب من الله بمنزلة الابن من أبيه والنصارى لما قالوا للمسيح ابن الله جعلوا نفوسهم ابناً لله واحباؤه لأنهم تأولوا ما في الانجيل من قول المسيح اذهب الى ابي وأبيكم عن الحسن وقيل ان جماعة من اليهود منهم كعب بن الأشرف وكعب بن اسيد وزيد بن النابوه وغيرهم قالوا لنبي الله حين حذرهم بنعمات الله وعقوباته لا تخوفنا فإننا ابناؤه واحباؤه فإن غضب علينا فإنما يغضب كغضب الرجل على ولده يعني انه يزول عن قريب عن ابن عباس وقيل انه لما قال قوم ان المسيح ابن الله اجري ذلك على جميعهم كما تقول العرب هذيل شعراً ابي فيهم شعراً وكما قالوا في زهط مسيلة قالوا نحن انبياء اي قال قائلهم وكما قال جرير **ندسنا ابا مندوسة القين بالقينا** فقال ندسنا وانما كان النادس رجل من قوم جرير ثم قال تعالى لنبيه محمد (ص) (قل) هو لاه المقتربين على ربهم فلم يعذبكم بذنوبكم) اي فلا شيء يعذبكم بذنوبكم ان كان الأمر على ما زعمتم فإن الأب يشفق على ولده والحبيب على حبيبه فلا يعذبه وهم يقرّون بأنهم يعذبون لأنهم لو لم يقولوا به كذبوا بكتابتهم وقد أقرت اليهود بأنهم يعذبون اربعين يوماً عدداً أيام التي عبدوا فيها العجل وقيل ان معناه الماضي وان كان لفظه المستقبل اي فلم يعذبكم الله وقد اقرتم بأنه عذبكم عند عبادتكم العجل وعذبكم بأن جعل منكم القرود والخنازير وخلق بينكم وبين بخت نصر حتى فعل بكم ما فعل والحبيب لا يعذب حبيبه فلو كنتم احباؤه لما عذبكم (بل انتم بشر من خلق) اي ليس الأمر على ما قلتم انكم ابناؤه واحباؤه بل انتم خلق من نبي آدم ان احستم جوزيتهم على احسانكم وان اسأتم جوزيتهم على اساءتكم كما يجازى غيركم وليس لكم عند الله الا ما لعبركم من خلقه (يفقر لمن يشاء ويمدب من يشاء) وانما علق العذاب بالمشيئة مع انه سبحانه لا يشاء العقوبة الا لمن كان عاصياً لما في ذلك من البلاغة والا يجاز برد الأمور الى العالم الحكيم الذي يجربها على وجه الحكمة (والله ملك السماوات والأرض) يملك ذلك وحده لا شريك له يعارضه (وما بينهما) اي ما بين الصغين ودل بذلك على انه لا ولد له لأن الولد يكون من جنس الوالد فلا يكون مملوكاً له (واليه المصير) معناه ويؤول اليه امر العباد فلا يملك ضرهم ونفعهم غيره لأنه يبطل تملكه لغيره ذلك اليوم كما يقال صار امرنا الى القاضي وانما يراد بذلك انه المتصرف فينا والأمر لنا لا على معنى قرب المكان

قوله تعالى (١٩) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (آية)

(١) وبعده « وماردم من جاربيبة ناعم » ، الندس : الطمن ، القين العبد . العداد ويطلق ايضاً على كل صانع .

* اللفظة *

١١ ر الفترة فلة من فتر عن عمله يفتر فتوراً إذا سكن فيه وفترته عنه والفترة انقطاع ما بين النبيين عند جميع المفسرين والأصل فيها الانقطاع عما كان الأمر عليه من الجحد في العمل وقتر الماء إذا انقطع عما كان عليه من البرد إلى السخونة وامرأة فاترة الطرف أي منقطعة عن حدة النظر

* الإعراب *

موضع ان تقولوا نصب عند البصريين وتقديره كراهة ان تقولوا فحذف المضاف الذي هو مفعول له وأقيم المضاف إليه مقامه وقال الكسائي والفراء تقديره لثلاثا تقولوا ومن في قوله من بشر مزهدة وفائدتها نفي الجنس وموضع الجار والمجرور رفع تقديره ما جاءنا بشير ولا نذير

* المعنى *

ثم عاد سبحانه إلى خطاب أهل الكتاب وحجاجهم واستطافهم والزامهم الحجة برسول الله (ص) فقال (يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا) يعني محمداً (ص) (يبين لكم) أي بوضح لكم أعلام الدين وفيه دلالة على أنه سبحانه اختصه من العلم بما ليس مع غيره (على فترة من الرسل) أي على انقطاع من الرسل ودروس من الدين والكتب وفيه دلالة على أن زمان الفترة لم يكن فيه نبي وكان الفترة بين عيسى ومحمد (ص) وكانت النبوة متصلة قبل ذلك في بني إسرائيل وروي عن ابن عباس أنه لم يكن بينها إلا أربعة من الرسل واختلفوا في مدة الفترة بينهما فقبل ستائة سنة عن الحسن وقناة وقيل خمسمائة سنة وستون عن قتادة في رواية أخرى وقيل أربعائة وبضع وستون سنة عن الضحاك وقيل خمسمائة وشي عن ابن عباس وقيل كان بين ميلاد عيسى ومحمد (ص) تسعمائة وتسع وستون سنة وكان بعد عيسى أربعة من الرسل وهو قوله تعالى إذ أرسلنا إليهم اثنتين فكذبوهم فرزنا بثالث ولا أدري من الرابع فكان من تلك المدة مائة وأربع وثلاثون سنة نبوة وسائرها فترة عن الكلبي (ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير) معناه قد جاءكم رسولنا كراهة ان تقولوا أو لأن لا تقولوا محتجين يوم القيامة ما جاءنا بشير بالثواب على الطاعة ولا نذير بالعقاب على المعصية ثم بين سبحانه أنه قد قطع عنهم عذرهم وازاح عنهم بإرسال رسوله فقال (قد جاءكم بشير ونذير) وهو محمد (ص) يشرك كل مطيع بالثواب ويخوف كل عاص بالعقاب (والله على كل شيء قدير) ظاهر المعنى وفي هذه الآية دلالة على بطلان مذهب المجبرة لأن الحجة بمنع القدرة أو كد من الحجة بمنع اللطف وتكون الحجة في ذلك لمن يعلم الله تعالى أن بشة الأنبياء مصلحة لهم فإذا لم تبث تكون لهم الحجة فأما من لا يعلم ذلك منهم فلا حجة لهم وإن لم تبث إليهم الرسل قوله تعالى (٢٠) وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ أَدْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلْ فِيمَكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَأَنَا كُفُّمٌ مَا لَمْ يَأْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ (٢١) يَا قَوْمِ أَدْخَلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتُدُّوا عَلَىٰ آذَانِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ (آيَات)

* اللفظة *

١٢ اصل التقديس التطهير ومنه قيل للسطل الذي يتطهر به القدس ومنه تسبيح الله وتقديسه وهو تنزيهه عما لا يجوز عليه من الصاحبة والولد وفعل الظلم والكذب

* الإعراب *

انبياء لا ينصرف معرفة ولا نكرة لعلامة التانيث ولزومها بخلاف علامة التانيث في بحرة وقائمة فإنها لا تلزم فلذلك انصرف في النكرة وقوله خاسرين منصوب على الحال من الواو في فتقلبوا

* المعنى *

ثم ذكر سبحانه صنع اليهود في المخالفة لنبينهم تسلياً لنبينا (ص) ومخالفتهم اياه فقال (واذ قال موسى لقومه) اي واذ كر يا محمد اذ قال موسى لهم (يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم) وأياديه لديكم والآه فيكم (اذ جعل فيكم انبياء) يخبرونكم بأبناء الغيب وتنصرون بهم على الأعداء ويبينون لكم الشرائع وقيل هم الأنبياء الذين كانوا بعد موسى مقيمين فيهم الى زمن عيسى يبينون لهم امر دينهم (وحصلكم ملوكاً) بأن سخر لكم من غيركم خدماً يخدمونكم عن قتادة وقيل انما خاطبهم موسى بذلك لأنهم كانوا يملكون الدور والخدم ولهم نساء وازواج وكل من ملك ذلك ولا يدخل عليه الا بأمره فهو ملك كائناً من كان عن عبد الله بن عمر وابن العاص وزيد بن اسلم والحسن وهويد ذلك ماروي عن النبي (ص) انه قال من اصبح آمناً في سره معافى في بدنه وعنده قوت يومه فكأنما حظرت له الدنيا بمخايفها وقيل الملك هو الذي له ما يستغني به عن تكلف الاعمال وتحمل المشاق والتسكع في المعاش عن ابي علي الجبائي وقيل انهم حصلوا ملوكاً بالمن والسلوى والحجر والقيام عن ابن عباس ومجاهد وقيل لا يتنع ان يكون الله سبحانه جعل لهم الملك والسلطان ووسع عليهم التوسعة التي يكون بها الانسان ملكاً عن ابي القاسم البلخي (وأتاكم ما لم يوت احداً من العالمين) اي اعطاكم ما لم يوت احداً من عالمي زمانهم عن الحسن والبلخي وقيل معناه اعطاكم من اجتماع هذه الأمور وكثرة الأنبياء (ع) والآيات التي جاءتهم وانزال المن والسلوى عليهم عن الزجاج والجبائي واختلفوا في المخاطب بقوله وأتاكم قيل هم قوم موسى (ع) عن ابن عباس ومجاهد وغيره وهو الاظهر وقيل هم أمة النبي (ص) عن سعيد بن جبير وابي مالك ثم كلفهم سبحانه دخول الأرض المقدسة بعد ذكر النعم فقال (يا قوم) حكاية عن خطاب موسى (ع) لقومه (ادخلوا الأرض المقدسة) وهي بيت المقدس عن ابن عباس والسدي وابن زيد وقيل هي دمشق وفلسطين وبعض الأردن عن الزجاج والفرأه وقيل هي الشام عن قتادة وقيل هي ارض الطور وما حوله عن مجاهد والمقدسة المطهرة طهرت من الشرك وجعلت مكيئاً وقراراً للأنبياء والمؤمنين (التي كتب الله لكم) اي كتب في اللوح المحفوظ انها لكم وقيل معناه وهب الله لكم عن ابن عباس وقيل معناه امركم الله بدخولها عن قتادة والسدي فإن اعتراض معترض فقال كيف كتب الله لهم مع قوله فإنها محرمة عليهم فجوابه انها كانت هبة من الله لهم ثم حرمتها عليهم عن ابن اسحاق وقيل ان المراد به الخصوص وان كان الكلام على العموم فصار كأنه مكتوب لبعضهم وحرام على البعض والذين كتب الله لهم دخولها هم الذين كانوا مع يوشع بن نون بعد موت موسى (ع) بشهرين (ولا ترتدوا على ادباركم) اي لا ترجعوا عن الأرض التي أمرتم بدخولها عن اكثر المفسرين وقيل لا ترجعوا عن طاعة الله الى معصيته عن الجبائي (فتقلبوا خاسرين) الثواب في الآخرة وانما قال ذلك لأنهم كانوا أمروا بدخولها كما أمروا بالصلاة وغيرها عن قتادة والسدي وقيل انهم لم يوتروا بذلك فيكون المراد فتقلبوا خاسرين حظكم في دخولها كما يقال خسر في البيع فلان

❁ القصة ❁

قال المفسرون لما عبر موسى وبنو اسرائيل البحر وهلك فرعون امرهم الله سبحانه بدخول الارض المقدسة فلما نزلوا على نهر الأردن خافوا من الدخول فبعث موسى من كل سبط رجلاً وهم الذين ذكرهم الله تعالى في قوله وبشنا منهم اثني عشر نقياً فعاينوا من عظم شأنهم وقوتهم شيئاً عجيباً فرجعوا الى بني اسرائيل فأخبروا موسى (ع) بذلك فأمرهم ان يكتبوا ذلك فوفى اثنان منهم يوشع بن نون من سبط بن يامين وقيل انه كان من سبط يوسف وكالب بن يوفنا من سبط يهوذا وعصى العشرة واخبروا بذلك وقيل كتتم الخمسة منهم واظهر الباقون وفشا الخبر في الناس فقالوا ان دخلنا عليهم تكون نساوتنا واهالينا غنيمه لهم وهموا بالانصراف الى مصر وهموا بيوشع وكالب وارادوا ان يرجعوا بالحجارة فاغتاظ لذلك موسى وقال رب اني لا املك الانفسي واخي فأوحى الله اليه انهم يتيهون في الارض اربعين سنة وانما يخرج منهم من لم يعص الله في ذلك فبقوا في التيه اربعين سنة في ستة عشر فرسخاً وقيل تسعة فراسخ وقيل ستة وهم ستائة الف مقاتل لا تتخرق ثيابهم وثبت معهم وينزل عليهم المن والسلوى ومات النقباء غير يوشع بن نون وكالب ومات اكثرهم ونشأ ذراريهم فخرجوا الى حرب اريحا وفتحوها واختلفوا فيمن فتحها فقيل فتحها موسى ويوشع على مقدمته وقيل فتحها يوشع بعد موت موسى (ع) وكان قد توفي موسى وبمته الله نبياً وروي انهم كانوا في المحاربة اذ غابت الشمس فدعا يوشع فرد الله تعالى عليهم الشمس حتى فتحوا اريحا وقيل كانت وفاة موسى وهارون (ع) في التيه وتوفي هارون قبل موسى بسنة وكان عمر موسى (ع) مائة وعشرين سنة في ملك افريدون ومنوجهر وكان عمر يوشع مائة وستة وعشرين سنة وبقي بعد وفاته مدبراً لأمم بني اسرائيل سبعا وعشرين سنة

قوله تعالى (٢٢) قالوا يا موسى ان فيها قوماً جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون (٢٣) قال رجلان من الذين يخافون انعم الله عليهما أدخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموهما فيكم غاليون وعلى الله فتوا كلوا إن كنتم مؤمنين (٢٤) قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون (اربع آيات) بصري ثلاث عند الباقرين عند بصري غالبون وقوله جبارين مما يشكل ولا يعدّه الجميع

= اللغة =

الجبار هو الذي لا ينال بالقهر واصله في النخل وهو ما فات اليد طولاً والجبار من الناس هو الذي يجبرهم على ما يريد والجبر جبر العظم وهو كالأكره على الصلاح وقال المعاج
 قد جبر الدين الآله فجبر وعور الرحمن من ولي المور (١)
 والجبار في صفة الله تعالى صفة تعظيم لانه يفيد الاقترار وهو سبحانه لم يزل جباراً بمعنى ان ذاته تدعو العارف بها الى تعظيمها والفرق بين الجبار والقهار ان القهار هو الغالب لمن ناواه أو كان في حكم المناوي بمعصيته اياه ولا يوصف سبحانه فيما لم يزل بأنه قهار والجبار في صفة المخلوقين صفة ذم لانه يتعظم بما ليس له فان العظمة لله سبحانه

(١) جبر يستعمل لازماً ومتعدياً وقد جمع بينهما المعاج في هذا الشهور وقوله وعود الرحمن اه قيل معناه افسد من ولاء وجعله ولياً للمورود هو قبح الامر وفساده والاعور: الذي قد عور ولم تقض حاجته ولم يصب ما يطلب وليس من عور العين

* الاعراب *

فاذهب انت وربك انا اتي بالضمير المرفوع المنفصل تأكيداً للضمير المستكن في اذهب ليصح المطف عليه فإنه يقبح المطف بالإسم الظاهر على الضمير المستكن والمتصل من غير ان يؤكد لأنه يصير كأنه معطوف على الفعل اذا عطف علي ما هو متصل بالفعل غير مفارق له ولا يجوز ان يقال انه ابرز الضمير فإن الضمير اذا ابرز يصير الفعل خالياً منه وقوله اذهب غير فارغ من الضمير وانا حسن المطف على الضمير المتصل في قوله فاجمعوا امركم وشركاءكم لأن ذكر المفعول صار عوضاً من الضمير المنفصل كما كان لا في قوله لو شاء الله ما اشركنا ولا اباءً وانا عوضاً منه

* المعنى *

ثم ذكر جواب القوم فقال سبحانه (قالوا) يعني بني اسرائيل (يا موسى ان فيها) اي في الأرض المقدسة (قوما) اي جماعة (جبارين) شديدي البطش والبأس والخلق قال ابن عباس بلغ من جبرية هؤلاء القوم انه لما بعث موسى (ع) من قومه اثني عشر تقياً ليخبروه خبرهم رأهم رجل من الجبارين يقال له عوج فأخذهم في كفة مع فاكهة كان يحملها من بستانه واتى بهم الملك فنثرهم بين يديه وقال للملك تعجباً منهم هؤلاء يرهون قتالنا فقال الملك ارجعوا الى صاحبكم فاخبروه خبرنا قال مجاهد وكان فاكهتهم لا يقدر على حمل عنقود منها خمسة رجال بالخشب ويدخل في قشر نصف رمانة خمسة رجال وان موسى (ع) كان طوله عشرة اذرع وله عصا طولها عشرة اذرع ونزا من الأرض مثل ذلك فبلغ كعب عوج بن عنق فقتله وقيل كان طول سريره ثمانمائة ذراع (وانا لن ندخلها) يعني لقتلهم (حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا) يعني الجبارين (منها) فإن ادخلون (قال رجلان) من جملة النقباء الذين بشمهم موسى ليعرف خبر القوم وقيل هما يوشع بن نون و كالب ابن يوفنا عن ابن عباس ومجاهد والسدي وقادة والربيع وقيل رجلان كانا من مدينة الجبارين وكانا على دين موسى لما بلغها خبر موسى جاءه فاتبعاه عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس (من الذين يخافون) الله تعالى (انعم الله عليهما) بالإسلام عن قتادة والحسن وقيل يخافون الجبارين من الجبارين أن قالوا الحق انعم الله عليهما بالتوفيق للطاعة عن الجبائي وكان سعيد بن جبيرة يقرأ يخافون بضم الياء وروي تأويل ذلك عن ابن عباس انها كانا من الجبارين انعم الله عليهما بالإسلام (ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون) أخبر عن الرجلين انها قالا ادخلوا يا بني اسرائيل على الجبارين باب مدينتهم وانا علما انهم يظفرون بهم ويغلبونهم اذا دخلوا باب مدينتهم لما أخبر به موسى (ع) من وعد الله تعالى بالنصرة وقيل لما رأوه من إلقاء الله الرعب في قلوب الجبارين فعلموا انهم ان دخلوا الباب غلبوا (وعلى الله فتوكلوا) في نصرة الله على الجبارين (ان كنتم مؤمنين) بالله وبما آتاكم به رسوله من عنده ثم أخبر عن قوم موسى بأنهم (قالوا يا موسى انا لن ندخلها) اي هذه المدينة (ابدا ماداموا) اي ما دام الجبارون (فيها) وانا قالوا ذلك لانهم جبنوا وخافوا من قتالهم لعظم اجسامهم وشدة بطشهم ولم يتقوا بوعده الله سبحانه بالنصرة لهم عليهم (فاذهب) يا موسى (انت وربك فقاتلا) الجبارين (انا هاهنا قاعدون) الى ان تظفر بهم وترجع الينا فيحيتنشد ندخل وانا لم ينكرو موسى عليهم قولهم اذهب انت وربك لامرين ﴿احدها﴾ ان الكلام كله يدل على الإنكار عليهم والتعجب من جهلهم في تلقيهم امر ربهم بالرد له والمخافة عليه ﴿والآخر﴾ انهم انا قالوا ذلك مجازاً بمعنى وربك معين لك على ما قاله أبو القاسم البلخي والأول البقي مجهول أو تلك القوم قال الحسن هذا القول منهم يدل على انهم كانوا مشبهة ولذلك عبدوا العجل ولوعرفوا الله تعالى حق معرفته لما عبدوا العجل وقال الجبائي ان كانوا قالوا ذلك على وجه الذهاب

ج ٣ (الجزء السادس) قوله تعالى قال رب اني لامالك الانفسي وأخي إلى قوله على القوم الفاسقين ١٨١

من مكان الى مكان فإنه كفر وان قالوا على وجه الخلاف فإنه فسق واما قوله سبحانه قاتلهم الله انى يؤفكون فإنه مجاز والمعنى انه يعادبهم عداوة المقاتل ويحل بهم ما يحل المقاتل المستعلي بالاعتدار وعظم السلطان بمن يقاتله

قوله تعالى (٢٥) قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ
(٢٦) قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (آياتان)

✽ اللغة ✽

اصل التيه التغير الذي لا يمتدى لأجله للخروج عن الطريق الى الغرض المقصود يقال تاه بتيه تيهاً وتبواها اذا تحير وتيهته وتوهته والياء اكثر والتهاء من الأرض هي التي لا يمتدى فيها وارض تيهاء والاسى الحزن يقال اسى بأسى أسا اذا حزن قال امرؤ القيس

وَقَوْفًا بِهَا صَحْبِي عَلِيٌّ مَطِيئِهِمْ
يَقُولُونَ لَا تَهْلِكْ أَسَىٌّ وَتَجَمَّلَ
✽ الإعراب ✽

أخي يجوز ان يكون في موضع رفع ويجوز ان يكون في موضع نصب ورفعه من وجهين ﴿ احدهما ﴾ ان يكون عطفاً على موضع انى ومثله ان الله بري من المشركين ورسوله ﴿ والآخر ﴾ ان يكون مطرفاً على ما في املك اي لا املك انا وأخي الا انفسنا ونصبه ايضاً من وجهين ﴿ احدهما ﴾ ان يكون عطفاً على الياء في اى اي ابي واخي لا غلك الا انفسنا ﴿ والآخر ﴾ ان يكون عطفاً على نفسي اي لا املك الا نفسي ولا املك الا أخي واربعين نصب على الظرف والعامل فيه قوله يتيهون وقيل هو منصوب بقوله محرمة قال الزجاج هذا خطأ لأنه جاء في التفسير انها محرمة عليهم ابداً

✽ المعنى ✽

ثم ذكر سبحانه دعاء موسى على قومه عند مخالفتهم اياه فقال تعالى (قال) اي قال موسى (ع) اذ غضب على قومه (رب اني لا املك الا نفسي) اي لا املك الا تصريف نفسي في طاعتك لأنها التي تحييها اذا دعوت (وأخي) اي واخي كذلك لا يملك الا نفسه او يكون معناه ولا املك ايضاً الا أخي لأنه يحييني اذا دعوت (فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين) اي فافصل بيننا وبينهم بحكمك وسأهم فساقاً وان كانوا قد كفروا بالرد على نبيهم لخروجهم من الايمان الى الكفر والفسق والخروج من الطاعة الى المعصية والكفر من اعظم المعاصي قال الله تعالى الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه وقيل في سؤال موسى الفرق بينه وبينهم قولان ﴿ احدهما ﴾ انه سأل تعالى ان يحكم ويقضي بما يدل على بعدهم عن الحق والصواب فيما ارتكبوا من العصيان ولذلك القوا في التيه عن ابن عباس والضحاك ﴿ والآخر ﴾ انه سأله ان يفرق بينه وبينهم في الآخرة بأن يكون هو لاه في النار ويكون هو في الجنة ولودعا عليهم بالهلاك لأن الجبائي (قال) اي قال الله سبحانه لموسى (ع) (فانها محرمة عليهم) اي ان الأرض المقدسة حرمت عليهم وفي كيفية التحريم قولان ﴿ احدهما ﴾ انه تحريم منع كقول امرؤ القيس

جَالَتْ لِتَصْرَعَنِي فَقُلْتُ لَهَا اقْصِرِي
إِنِّي أَمْرٌ صَرَعَنِي عَلَيْكَ حَرَامٌ

يعني دابته التي هو راكبها ويريد بذلك اني فارس لا تملكين ان تصرعيني وقيل يجوز ان يكون تحريم تعبد عن ابي علي الجبائي والأول أظهر وقال البلخي يجوز ان يكونوا أمورا بأن يطوفوا فيه (اربعين سنة يتيهون في الأرض) يعني يتحيدون في المسافة التي بينهم وبينها لا يهتدون الى الخروج منها وكان مقداره ستة فراسخ عن الربيع كانوا يصبحون حيث امسوا ويمسون حيث اصبحوا عن الحسن ومجاهد وقال اكثر المفسرين ان موسى

وهارون كانا معهم في التيه وقيل ايضا انها لم يكونا في التيه لأن التيه عذاب وعذبوا عن كل يوم عبدوا فيه العجل سنة والأنبيا . لا يعذبون قال الزجاج ان كانا في التيه فجاز ان يكون الله تعالى سهل عليهما ذلك كما سهل على ابراهيم النار فجعلها عليه بردا وسلاما وشأنها الاحراق ومات موسى (ع) في التيه وفتح المدينة يوشع وصي موسى بعده وكان يوشع ابن اخت موسى ووصيه والنبي في قومه بعده عن ابن عباس وقيل لم يميت في التيه عن الحسن ومجاهد قالا وفتح المدينة موسى ومتى سئل فقيل كيف يجوز على عقلاء كثيرين ان يسيروا في فراسخ يسيرة فلا يهتدوا للخروج منها فالجواب عنه من وجهين * احدهما * ان يكون ذلك بأن تحول الأرض التي هم عليها اذا ناموا فيردوا الى المكان الذي ابتدأوا منه عن ابي علي (ع) والآخر (ع) ان يكون ذلك بالأسباب المانعة من الخروج عنها إما بان تعنى العلامات التي يستدل بها او بان يلقي شبه بعضها على بعض ويكون ذلك معجزا خارقا للمادة وقال قتادة لم يدخل بلد الجبارين احد من القوم الا يوشع بن نون وكالب بن يوفنا بعد موت موسى بشهرين وانما دخلها اولادهم معها (فلا تأس على القوم الفاسقين) خطاب لموسى (ع) امره الله تعالى ان لا يحزن على اهلاكهم فسقمهم وقال الزجاج هو خطاب للنبي (ص)

قوله تعالى (٢٧) وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (آية)

* اللغة *

القربان ما يقصد به القرب من رحمة الله من أعمال البر وهو على وزن فعلان من القرب كالفرقان من الفرق والشكران والكفران من الشكر والكفر وقرايين الملك جساؤه لقبهم إليه

* الإعراب *

إذ قربا متملق بقوله نبأ والتقدير خبر ابني آدم وما جرى منهما حين قربا قربانا اي قرب كل واحد منهما قربانا فجمعهما في الفعل وافرد الاسم لانه يستدل بفعلها على أن لكل واحد منهما قربانا وقيل ان القربان اسم جنس فهو يصلح للواحد وللمتعدد على انه مصدر من قرب الرجل قربانا

* المعنى *

(واتل اي واقرأ) عليهم) يا محمد (نبأ ابني آدم) اي خبرهما (بالحق) اي بالصدق واجمعا على انها كانا ابني آدم لصلبه الا الحسن فإنه قال كانا رجلين من بني إسرائيل (اذ قربا قربانا) اي فعلا فعلا يتقرب به الى الله تعالى (فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الآخر) تقبل الطاعة وإيجاب الثواب عليها قالوا وكانت علامة القبول في ذلك الزمان نارا تأتي فتأكل المتقبل ولا تأكل المردود وقيل كانت النار تأكل المردود عن مجاهد والاول أظهر (قال لاقتلنك) في الكلام حذف التقدير قال الذي لم يتقبل منه للذي تقبل منه لاقتلنك فقال له لم تقتلني (قال) انه تقبل قربانك ولم يتقبل قرباني قال له وما ذنبي (انما يتقبل الله من المتقين) المعاصي فاطلق للعلم بأن المراد انها احق ما يجب ان يخاف منه قال ابن عباس اراد انما يتقبل الله ممن كان زاكي القلب ورد عليك لانك لست بزاكي القلب واستدل بهذا على ان طاعة الفاسق غير مقبولة لكنها تسقط عقاب تركها وهذا لا يصح لأن المعنى ان الثواب انما يستحقه من يوقع الطاعة لكونها طاعة فأما اذا فعلها لغير ذلك فلا يستحق عليها ثوابا ولا يتمتع على هذا ان يقع من الفاسق طاعة يوقعها على الوجه الذي يستحق عليه الثواب فيستحقه

* النظم *

وجوه اتصال هذه الآية با قبلها ان الله تعالى اراد ان يبين ان حال اليهود في نقض العهد وارتكاب الفواحش

كارتكاب ابن آدم في قتله أخاه وما عاد عليه من الربال بتعديه فأمر نبيه (ص) ان يقلر عليهم اخبارها تسليمة لنبيه (ص) فيما ناله من جهلهم وتكذيبهم وتبكيته لليهود

❖ القصة ❖

قالوا ابن حواء امرأة آدم كانت تلد في كل بطن غلاما وجارية فولدت اول بطن قابيل بن آدم وقيل قابيل وتوامته اقليا بنت آدم والبطن الثاني هابيل وتوامته لبوذا فلما ادر كوا جميعا امر الله تعالى ان يفتح آدم قابيل اخت هابيل وهابيل اخت قابيل فرضي هابيل وابي قابيل لان اخته كانت احسنهما وقال ما امر الله سبحانه بهذا ولكن هذا من رأيك فأمرهما آدم ان يقربا قربانا فرضيا بذلك ففدا هابيل وكان صاحب ماشية فأخذ من خير غنمه زيدا ولبنا وكان قابيل صاحب زرع فأخذ من شر زرعه ثم صعدا فوضعا القرابين على الجبل فأتت النار فأكلت قربان هابيل وتجنبت قربان قابيل وكان آدم غائبا عنهما بمكة خرج اليها ليزور البيت بأمر ربه فقال قابيل لا عشت يا هابيل في الدنيا وقد تقبل قربانك ولم يتقبل قرباني وتريد ان تأخذ اختي الحسناء. وأخذ اختك القبيحة فقال له هابيل ما حكاه الله تعالى فشده بجعر فقتله روي ذلك عن ابي جعفر الباقر (ع) وغيره من المفسرين وكان سبب قبول قربان احدهما دون الآخر ان قابيل لم يكن زاكي القلب وقرب بشره وواخه وقرب هابيل بخير ماله واشرفه واضمر الرضا بحكم الله تعالى وقيل ان سبب اكل النار للقربان انه لم يكن هناك فقير يدفع اليه ما يتقرب به الى الله تعالى فكانت تنزل نار من السماء فتأكله وعن اسماعيل بن رافع ان قربان هابيل كان يرتفع في الجنة حتى فدي به ابن ابراهيم

قوله تعالى (٢٨) لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما انا بياسط يدي اليك لاقتلك اني اخاف الله رب العالمين (٢٩) اني اريد ان نبوا باثني واثمك فتكون من اصحاب النار وذلك جزاء الظالمين (٣٠) فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين (ثلاث آيات)

❖ اللفظ ❖

البسط المد وهو ضد القبض تبوء ترجع يقال باء اذا رجع الى المباءة وهي المنزل وبأوا بغضب من الله اي رجعوا والباء الرجوع بالقود وهم في هذا الامر بوا اي سوا. طوعت فقلت من انطوع والعرب تقول طاع لهذه الظبيصة اصول هذه الشجرة وطاع لفلان كذا اي آناه طوعا ولا يقال اطاعته نفسه لان اطاع يدل على قصد موافقة معنى الأمر وليس كذلك طوع لانه بمنزلة انطاع له اصول الشجرة وفي الفعل ما يتعدى الى نفس الفاعل نحو حرك نفسه وقتل نفسه وفيه ما لا يتعدى الى ذلك نحو امر ونهى لان الامر والنهي لا يكونان الا بن هو اعلى الى من هو دونه

• - (الاعراب) -

لئن بسطت اللام للقسم وجوابه ما انا بياسط ولا يقع ما جوابا للشرط لأن ما يكون لها صدر الكلام بالقسم لا يخرجها عن ذلك كما جاز ان يكون جواب القسم بأن ولام الابتداء ولم يميز بالتفاء لأن المقسم عليه ليس يجب بوجه القسم وانما القسم يوكده وجواب الشرط يجب بوجوب الشرط فإذا اجتمع جواب القسم والجزاء كان جواب القسم اولي من الجزاء لأنه لما تقدم القسم وصار الجزاء في حشو الكلام غلبه على الجواب فصار له واكتفى به عن جواب الشرط لدلالته عليه

❖ المعنى ❖

ثم اخبر سبحانه عن هابيل انه قال لأخيه حين هدده بالقتل لما تقبل قربانه ولم يقبل قربان أخيه (لئن بسطت الي يدك) ومعناه لئن مددت الي يدك (لتقتلني) اي لأن تقتلني (ما انا بياسط يدي اليك لاقتلك) اي لأن اقتلك قال اهل

التفسير أن القتل على سبيل المدافعة لم يكن مباحا في ذلك الوقت وكان الصبر عليه هو المأمور به ليكون الله تعالى هو المتولي للاتصاف عن الحسن ومجاهد واختاره الجبائي وقيل ان معنى الآية لئن بسطت الي يدك على سبيل الظلم والابتداء لتقتلني ما انا بياسط بدي اليك على وجه الظلم والابتداء عن ابن عباس وجماعة قالوا انه قتله غيلة بأن القى عليه وهو قائم صخرة شدخه بها قال المرتضى والظاهر بغير الوجهين اشبه لأنه تعالى اخبر عنه انه وان بسط اليه اخوه ليقتله اي وهو سر يد لقتله لأن اللام بمعنى كي وهي منبئة عن الإرادة والغرض ولا شبهة في قبح ذلك لأن المدافع انما يحسن منه المدافعة للظالم طلبا للتخلص من غير أن يقصد الى قتله فكأنه قال لئن ظلمتني لم اظلمك (اني أخاف الله رب العالمين) في مدي اليك بدي لقتلك (اني اريد ان تبوء باثمي واثمك) معناه اني لا ابدؤك بالقتل لأنني اريد ان ترجع بؤثم قتلي ان قتلتني واثمك الذي كان منك قبل قتلي عن ابن عباس والحسن وابن مسعود وقتادة ومجاهد والضحاك وقال الجبائي والزجاج واثمك الذي من اجله لم يتقبل قربانك وقيل معناه بائثم قتلي واثمك الذي هو قتل جميع الناس حيث سننت القتل ومعنى تبوء بائمي تبوء بمقاب اثمي لأنه لا يجوز لأحد ان يريد معصية الله من غيره ولكن يجوز ان يريد عقابه المستحق عليه بالمعصية ومتى قيل كيف يحسن ارادة عقاب لم يقع سببه فإن القتل على هذا لم يكن واقعا فجوابه ان ذلك بشرط وقوع ما يستحق به العقاب فهابيل لما رأى من أخيه العزم على قتله وغلب على ظنه ذلك جاز ان يريد عقابه بشرط ان يفعل ما عزم عليه (فتكون من اصحاب النار) اي فتصير بذلك من الملائمين النار (وذلك جزاء الظالمين) اي عقاب العاصين ويحتمل ان يكون هذا اخبار عن قول هابيل ويحتمل ان يكون ابتداء حكم من الله تعالى (فطوعت له نفسه) فيه اقوال * احدتها * ان معناه شجتمته قسه (على قتل أخيه) اي على ان يقتل اخاه عن مجاهد * وثانيها * ان المراد زينت له نفسه قتل أخيه * وثالثها * ان المراد ساعدته نفسه وطاوعته قسه على قتله اخاه فلما حذف حرف الجر نصب قتل أخيه ومن قال ان معناه زينت له فيكون قتل أخيه مفعولا به (فقتله) قال مجاهد لم بدر قايل كيف بقتله حتى ظهر له ابليس في صورة طير فأخذ طيرا آخر وترك رأسه بين حجرين فشدخه ففعل قايل مثله وقيل هو اول قتيل كان في الناس (فاصبح من الخاسرين) اي صار من خسر الدنيا والآخرة وذهب عنه خيرها واستدل بعضهم بقوله فاصبح على انه قتله ليلا وهذا ليس بشي لأن من عادء العرب ان يقولوا اصبح فلان خاسر الصفقة اذا فعل امرا كانت ثمرة الخسران يعنون حصوله كذلك لا انه تعلق بوقت دون وقت

قوله تعالى (٣١) فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِثُ سَوْءَ أَخِيهِ
قَالَ يَا وَيَلَتْنَا عَجِزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُورِثُ سَوْءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ (آية)

* اللفظة *

اصل البحث طلب الشيء في التراب ثم يقال بحثت عن الأمر بحثا واصل السوءة التكره يقال ساء بسوءة سوءة اذا اتاه بما يتكرهه قال سيبويه الويل كلمة تقال عند الملكة وعجزت عن الأمر مجر مجرأ ومعجزة ومعجزة

* الاعراب *

قال الزجاج يا ويلتي الوقف عليها في غير القرآن يا ويلتاه والنداء تير الآدميين نحو يا حسرتاه يا ويلتاه انما وقع في كلام العرب على تشبيه المخاطبين وأن الوقت الذي تدعى له هذه الاشياء هو وقتها فالمنى يا ويلتي تعالي فإنه من اوانك اي قد لزمني الويل وكذلك يا عجبا المنى يا ايها العجب هذا وقتك هذا على كلام العرب وقرأ الحسن يا ويلتي مضافا وذكر الأزهرى انها بمعنى

(١) [لا ييسط يده ليقته] (٢) [معناه اني اخاف الله]

* المعنى *

(بعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه) قالوا كان هاييل اول ميت من الناس فلذلك لم يدرك قابيل كيف يراربه وكيف يدفنه حتى بعث الله غرابين احدهما حي والآخر ميت وقيل كانا حينئذ قتل احدهما صاحبه ثم بعث الارض ودفنه فيها ففعل قابيل به مثل ذلك عن ابن عباس وابن مسعود وجماعة وفي ذلك دلالة على فساد قول الحسن والجبائي وابي مسلم ان ابني آدم كانا من بني اسرائيل وقيل معناه بعث الله غرابا يبحث التراب على القليل فلما رأى قابيل ما اكرم الله به هاييل وانه بعث طيرا ليواريه وتقبل قربانه قال يا ويلتى عن الأصم وقيل كان ملكا في صورة الغراب وفي هذا دلالة على ان الفعل من الغراب وإن كان المعنى بذلك الطير كان مقصودا ولذلك اضاف سبحانه بعثه الى نفسه ولم يقع اتفاقا كما قاله ابو مسلم ولكنه تعالى الهمة وقال الجبائي كان ذلك معجزا مثل حديث الهدهد وحمله الكتاب وردّه الجواب الى سليمان ويعجزان يزيد الله في فهم الغراب حتى يعرف هذا القدر كما نأمر صبياننا فيفهمون معنا (ليريه) اي ليرى الغراب قابيل (كيف يراري) اي كيف يظلي ويستتر (سوءة اخيه) اي عورة اخيه وقال الجبائي يريد جيفة اخيه لأنه كان تركه حتى اتت قليل لحقيقته سوءة (قال يا ويلتى اعجزت) ههنا حذف فان التقدير ليريه كيف يراري سوءة اخيه فواراه فقال القاتل اخاه يا ويلتى اعجزت (ان اكون) في هذا العلم (مثل هذا الغراب فاواري) اي استتر (سوءة اخي) والسوءة عبارة عما يكره وعما ينكر (فاصبح من النادمين) على قتله ولكن لم يندم على الوجه الذي يكون توبة كمن يندم على الشرب لأنه يصده فلذلك لم يقبل ندمه عن الجبائي وقيل من النادمين على حمله لا على قتله وقيل من النادمين على موت اخيه لا على ارتكاب الذنب

* القصة *

روت العامة عن جعفر الصادق (ع) قال قتل قابيل هاييل وتركه بالعراب لا يدري ما يصنع به فقصده السباع فحمله في جراب على ظهره حتى اروح وعكفت عليه الطير والسباع تنتظر متى يزمي به فتأكله فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل احدهما صاحبه ثم حفر له بمنقاره وبرجله ثم القاه في الحفيرة وواراه وقابيل ينظر اليه فدفن اخاه وعن ابن عباس قال لما قتل قابيل هاييل اشاك الشجر وتغيرت الأطعمة وحمضت الفواكه وامر الماء واغبرت الارض فقال آدم قد حدث في الارض حدث فاتي الهند فاذا قابيل قد قتل هاييل فانثأ يقول

تَغَيَّرَتِ الْبِلَادُ وَمَنْ عَلَيْهَا
فَوَجَّهَ الْأَرْضَ مُغْبِرٌ قَبِيحٌ
تَغَيَّرَ كُلُّ ذِي لَوْنٍ وَطَعْمٍ
وَقَلَّ بِشَاشَةِ الْوَجْهِ الصَّبِيحُ

وقال سالم بن ابي الجعد لما قتل هاييل مكث آدم سنة حزينا لا يضحك ثم أتى القليل له حياك الله ويأك اي اضحكك قالوا لاما مضى من عمر آدم مائة وثلاثون سنة وذلك بعد قتل هاييل بخمسين سنين ولنت له حواء شيئا وتفسيره هبة الله يعني انه خلف من هاييل وكان وصي آدم وولي عهده واما قابيل فقيل له اذهب طريدا شريدا فزعمذعور الايام من من يراه وذهب الى عدن من اليمن فاتاه ابليس فقال انما اكلت النار قربان هاييل لأنه كان يعبدها فانصب انت ايضا نارا تكون لك ولعقبك فبنى بيت ناروهو اول من نصب النار وعبدها واتخذ اولاده آلات اللهم من اليراع والطبول والمزامير والعيان وانهمكروا في اللهو وشرب الخمر وعبادة النار والزنا والفواحش حتى غرقهم الله ايام نوح بالطوفان وبقي نسل شيث

قوله تعالى (٣٢) من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فسادا في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحباها فكأنما أحيا الناس جميعا ولقد جاءتهم

رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابو جعفر يزيد وحده من اجل ذلك مكسورة النون موصولة والباقون من اجل مقطوعة همزة مفتوحة

﴿ الحجة ﴾

قال ابن جنى يقال فعلت ذلك من اجلك ومن اجلك ومن جلالك ومن جراك فيجب ان يكون على هذا قراءة ابي جعفر على تخفيف همزة اجل بحذفها والقاء حركتها على نون من كقولك في تخفيف كم

﴿ اللفظ ﴾

الاجل في اللفظ الجنابة يقال اجل عليهم شرا ياجله اجلا اذا جنى عليهم جنابة قال خوات بن جبير

وَأَهْلٍ خِبَاءٍ صَلَاحِ ذَاتِ (١) بَيْنِهِمْ قَدْ احْتَرَبُوا فِي عَاجِلٍ اَنَا آجِلُهُ

اي انا جانيه وفي هذا المعنى يقال جر عليهم جريرة ثم يقال فعلت ذلك من جراك ومن اجلك اي من جريرتك كأنه يقول انت جررتني الى ذلك وانت جنيت علي هذا ومنه الاجل الوقت لانه يجبر اليه المقدم الاول واجل بمعنى نعم لانه انقياد الى ما جر اليه والاجل القطيع من بقر الوحش واحد الآجال لأن بعضها ينجر الى بعض قال عدي بن زيد

أَجَلَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَضَّلَكُمْ فَوْقَ مَنْ أَحْكَا صَلْبًا بِأَزَارِ (٢)

اراد من اجل فحذف الجار فوصل الفعل فنصبه والاسراف الخروج من التقدير والاقتصاد هو التعديل بلا اسراف ولا اقتار

﴿ الإعراب ﴾

اختلف في قوله من اجل ذلك فقيل انه من صلة النادمين اي من اجل انه حين قتل اخاه لم يواره ندم وروي عن نافع انه كان يقف على قوله من اجل ذلك ويجعله من تمام الكلام الاول وعامة المفسرين على ان قوله من اجل ذلك ابتداء كلام وليس بمتصل بما قبله واحتج ابن الانباري لهذا بأنه رأس آية ورأس الآية فصل قال ولأن من جعله من صلة الندم اسقط اللمة للكتابة ومن جعله من صلة الكتابة لا يسقط معنى الندم اذ قد يقدم ما كشف عنه فكان هذا اولي

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه التكليف في باب القتل فقال (من اجل ذلك) قال الزجاج معناه من جنابة ذلك وذلك اشارة الى قتل احد ابني آدم اخاه ظلما (كتبنا على بني اسرائيل) اي حكمتنا عليهم وفرضنا (انه من قتل نفسا) اي من قتل منهم نفسا ظلما (بغير نفس) اي بغير قود عن ابن عباس (او فساد في الارض) او من قتل منهم نفسا بغير فساد كان منها في الارض فاستحقت بذلك قتلها وفسادها في الارض انما يكون بالحرب لله ولرسوله واخافة السبيل على ما ذكره الله في قوله انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله الآية (فكاننا قتل الناس جميعا ومن احيانا فكاننا احيانا الناس جميعا) قيل في تأويله اقوال ﴿ احدها ﴾ ان معناه هو ان الناس كلهم خصاوة في قتل ذلك الانسان وقد وترهم وتر من قصد قتلهم جميعا فواصل اليهم من المكروه ما يشبه القتل الذي اوصله الى المقتول فكان انه قتلهم كلهم ومن استنقذها من غرق او حرق او هدم او ما يمت لا محالة او استنقذها من ضلال فكاننا لحيانا الناس جميعا اي اجره على الله اجر من احياهم جميعا لأنه في (١) في لسان العرب كنت بينهم (٢) احكأ العقدة : شدها واحكمها . اراد فوق من احكأ ازارا بصلب معناه

فضلكم على من اتترد فشد صلبه بازاواى فوق الناس اجمعين لان الناس كلهم يحكئون ازرهم باصلاهم (٣) [وضده التقدير والاقتصاد]

في أسدائه المعروف اليهم بأحيائه إياهم المؤمن بمنزلة من أحيأ كل واحد منهم عن مجاهد والزجاج واختاره ابن الأنباري وهذا المعنى مروى عن أبي عبد الله (ع) ثم قال وفضل ذلك أن يخرجها من ضلال إلى هدى وتانيها* أن من قتل نبياً أو إمام عدل فكانت أحيأ الناس جميعاً أي يعذب عليه كما لو قتل الناس كلهم ومن شد على عضد نبي أو إمام عدل فكانت أحيأ الناس جميعاً في استحقاق الثواب عن ابن عباس **و** ثالثها **و** ان معناه من قتل نفساً بغير حق فعليه ما تم كل قاتل من الناس لأنه سن القتل وسهله لغيره فكان بمنزلة المشارك ومن زجر عن قتلها بما فيه حياتها على وجه يقتدى به فيه بأن يعظم تحريم قتلها كما حرّمه الله فلم يقدم على قتلها لذلك فقد أحيأ الناس بسلامتهم منه فذلك أحيأه إياها عن أبي علي الجبائي وهو اختيار الطبري ويؤيده قوله (ص) من سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها إلى يوم القيامة ومن سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة **و** رابعها **و** ان المراد فكانت أحيأ الناس جميعاً عند المقتول ومن أحيأها فكانت أحيأ الناس جميعاً عند المستنقذ عن ابن مسعود وغيره من الصحابة **و** خامسها **و** ان معناه يجب عليه من القصاص بقتلها مثل الذي يجب عليه لو قتل الناس جميعاً ومن غناعن دمه وقد وجب القود عليها كان كما لو عفا عن الناس جميعاً عن الحسن وابن زيد والله سبحانه هو المحيي للخلق لا يقدر على خلق الحياة غيره وانما قال أحيأها على سبيل المجاز كما حكى عن عمرو انه قال انا احيي وأميت فاستبقى واحداً وقتل الآخر وقوله (ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات) معناه ولقد أتت بني اسرائيل الذي ذكرنا قصصهم واخبارهم رسلنا بالبينات الواضحة والمعجزات الدالة على صدقهم وصحة نبوتهم (ثم ان كثيرا منهم) يعني من بني اسرائيل (بعد ذلك في الأرض لسرفون) أي مجاوزون حد الحق بالكفر عن الكلي وبالقتل عن غيره والاولى ان يكون عاماً في كل مجاوز عن حق ويؤيده ما روي عن أبي جعفر (ع) السرفون هم الذين يستحلون المحارم ويسفكون الدماء.

قوله تعالى (٣٣) **إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ** (٣٤) **إِلَّا الَّذِينَ نَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْرَأُوا عَلَيْهِمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ** (آياتان)

❖ اللفظة ❖

اصل النفي الإهلاك بالإعدام ومنه النفاية لردى المتاع ومنه النفي وهو ما تطاير من الماء عن الدلو قال الراجز

كَأَنَّ مَتْنِيهِ مِنَ النَّفْيِ مَوَاقِعُ الطَّيْرِ عَلَى الصَّقِي (٢)

والنفي الطرد قال اوس بن حجر

يُنْفُونَ مِنْ طَرُقِ الْكِرَامِ كَمَا يَنْفِي الْمَطَارِقُ مَا يَلِي الْقَرْدُ (٣)

والخزي الفضيحة يقال خزي مجزي خزيا إذا اقتضح وخزي مجزي خزية فهو خزيان إذا استجى وخزوته أخزوه إذا سته ومنه قول لبيد (وأخزها بالبر لله الأجل) (٤)

❖ الاعراب ❖

فساداً مصدر وضع موضع الحال أي يسعون في الأرض مفسدين وان يقتلوا في موضع رفع بأنه خبر المبتدأ الذي هو جزاء الذين تلبوا ويحتمل ان يكون في موضع رفع بالابتداء وخبره فاطسوا ان الله غفور رحيم ويجوز ان يكون في موضع نصب بالاستثناء من قوله ان يقتلوا إلى ما بعده من الحد.

(١) [مثل] (٢) الصفي جمع الصفاة : الحجر الصلد الضخم شبه الماء وقد وقع على متن المستقى يذوق العطار على الصفي

(٣) المطارق جمع المطرقة : القضييب يضرب به النجاد الصوف . القرد معرفة : نفاية الصوف والوبر (٤) وقوله :

« كلب النفس اذا حدثتها ان صدق النفس يزدي بالامل بهير ان لا تكذبها في النفي » واخزها الخ

﴿ النزول ﴾

اختلف في سبب نزول الآية ف قيل نزلت في قوم كان بينهم وبين النبي موادة فنقضوا العهد وفسدوا في الأرض عن ابن عباس والضحاك وقيل نزلت في اهل الشرك عن الحسن وعكرمة وقيل نزلت في العرنيين لما نزلوا المدينة للإسلام واستوخموها واصفرت الوانهم فأمرهم النبي ان يخرجوا الى ابل الصدقة فيشربوا من البانها وابواها ففعلوا ذلك فصحوا ثم مالوا الى الرعاة فقتلهم واستاقوا الاوبل وارتدوا عن الإسلام فاخذهم النبي (ص) وقطع ايديهم وارجلهم من خلاف وسمل اعينهم^(١) عن قتادة وسعيد بن جبير والسدي وقيل نزلت في قطاع الطريق عن اكثر المفسرين وعليه جل الفقهاء

﴿ المعنى ﴾

لما قدم تعالى ذكر القتل وحكمه عقبه بذكر قطاع الطريق والحكم فيهم فقال (انما جزاء الذين يحاربون الله اي اولياء الله كقوله تعالى والذين يؤذون الله (ورسوله) اي يحاربون رسوله (ويسعون في الأرض فسادا) المروي عن اهل البيت (ع) ان المحارب هو كل من شهر السلاح وأخاف الطريق سواء كان في المصر او خارج المصر فان اللص المحارب في المصر وخارج المصر سواء وهو مذهب الشافعي والاوزاعي ومالك وذهب ابو حنيفة واصحابه الى ان المحارب هو قاطع الطريق في غير المصر وهو المروي عن عطاء الخراساني والمعنى في قوله انما جزاؤهم^(٢) الآخذة عن الزجاج قال لأن القاتل اذا قال جزاؤك دينار فجزاؤك ان يكون معه غيره واذا قال انما جزاؤك دينار كان المعنى ما جزاؤك إلا دينار (ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم) قال ابو جعفر وابو عبد الله عليهما السلام انما جزاء المحارب على قدر استحقاقه فان قتل فجزاؤه ان يقتل وإن قتل وأخذ المال فجزاؤه ان يقتل ويصلب وان أخذ المال ولم يقتل فجزاؤه ان تقطع يده ورجله من خلاف وان أخاف السبيل فقط فانما عليه النفي لا غير وبه قال ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة والسدي والربيع وعلي هذا فلن او ليست للإباحة هنا وانما هي مرتبة الحكم باختلاف الجنابة وقال الشافعي ان أخذ المال جهرا كان للإمام صلبه حيا ولم يقتل قال ومحمد كل واحد بقدر فعله فمن وجب عليه القتل والصلب قتل قبل صلبه كراهية تعذيبه ويصلب ثلاثا ثم ينزل قال ابو عبيد سألت محمد بن الحسن عن قوله او يصلبوا فقال هو ان يصلب حيا ثم يطعن بالرماح حتى يقتل وهو رأي ابي حنيفة فقيل له هذا مثله قال المثلثة يراد به وقيل معنى أوها هنا للإباحة والتخيير اي ان شاء الإمام قتل وان شاء صلب وان شاء نفى عن الحسن وسعيد بن المسيب ومجاهد وقد روي ذلك عن ابي عبد الله (ع) وقوله (من خلاف) معناه اليد اليمنى والرجل اليسرى (او ينفوا من الأرض) قيل فيه اقوال والذي يذهب اليه اصحابنا الإمامية ان ينفى من بلد الى بلد حتى يتوب ويرجع وبه قال ابن عباس والحسن والسدي وسعيد بن جبير وغيرهم واليه ذهب الشافعي قال اصحابنا ولا يمكن من الدخول الى بلاد الشرك ويقاوم المشركون على تمكينهم من الدخول الى بلادهم حتى يتوبوا وقيل هو ان ينفى من بلد الى بلد غيره عن عمر بن عبد العزيز وعن سعيد بن جبير في رواية اخرى وقال ابو حنيفة واصحابه ان النفي هو الحبس والسجن واحتجوا بان المسجون يكون بمنزلة المخرج من الدنيا اذا كان ممنوعا من التصرف محولا بينه وبين اهله مع مقاساته الشدائد في الحبس وانشد قول بعض المسجونين

خَرَجْنَا مِنَ الدُّنْيَا وَنَحْنُ مِنْ اَهْلِهَا فَلَسْنَا مِنَ الْاَحْيَاءِ فِيهَا وَلَا الْمَوْتَى
اِذَا جَاءَنَا السَّجَانُ يَوْمًا لِجَاجَةٍ عَجِبْنَا وَقَلْنَا جَاءَ هَذَا مِنَ الدُّنْيَا

(ذلك) اي فعل ما ذكرناه (لهم خزي) اي فضيحة وهو ان (في الدنيا) ولهم في الآخرة عذاب عظيم (زيادة على ذلك وفي هذا دلالة على بطلان قول من ذهب الى ان إقامة الحدود وتكفير للمعاصي لانه سبحانه يبين ان لهم في الآخرة عذابا عظيما مع انه اقيمت عليهم الحدود والمعنى انهم يستحقون العذاب العظيم وليس في الآية انه يفعل ذلك بهم لاحالة

(١) [مظهر بن] (٢) استوخم السكان : استقله ولم يوافق هواه بدنه . (٣) سمل عينه : قأها . (٤) [١٠ جزاؤهم]

لأنه يجوز أن يعفو الله عنهم ويتفضل عليهم بإسقاط ما يستحقونه من العذاب الأكبر (الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم) لما بين سبحانه حكم المحارب استثنى من جملتهم من يتوب مما ارتكبه قبل أن يؤخذ ويقدر عليه لأن توبته بعد قيام البينة عليه ووقوعه في يد الإمام لا تنفعه بل يجب إقامة الحد عليه (فاعلموا أن الله غفور رحيم) يقبل توبته ويدخله الجنة وفي هذه الآية حجة على من قال لا تصح التوبة من معصية مع الإقامة على معصية أخرى يعلم صاحبها أنها معصية لأنه تعالى علق بالتوبة حكماً لا تخل به الإقامة على معصية هي السكر أو غيره

قوله تعالى (٣٥) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (آية)

✽ اللغة ✽

اصل الإتياء في اللغة الحجز بين الشئين يقال اتقى السيف بالترس ويقال اتقوا الغريم بحقه والوسيلة فيعلم من قولهم توسلت إليه أي تقربت قال عنتر بن شداد

إِنَّ الرِّجَالَ لَهُمُ إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ
إِنْ يَأْخُذُوكَ تَلْجَلْجِي وَتَحْصَنِي

ويقال وسل إليه أي تقرب قال لبيد (بلى كل ذي رأي إلى الله واسئل) فمعنى الوسيلة الوصلة والقربة

✽ المعنى ✽

لما تقدم ذكر القتل والمحاربين عقب ذلك بالموعظة والأمر بالتقوى فقال (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) أي اتقوا معاصيه واجتنبوها وابتغوا إليه الوسيلة أي اطلبوا إليه القربة بالطاعات عن الحسن ومجاهد وعطاء والسدي وغيرهم فكانه قال تقربوا إليه بما يرضيه من الطاعات وقيل الوسيلة أفضل درجات الجنة عن عطاء وروى عن النبي (ص) أنه قال سلوا الله لي الوسيلة فإنها درجة في الجنة لا ينالها إلا عبد واحد وأرجو أن أكون أنا هو وروى سعد بن طريف عن الأصم بن نباتة عن علي (ع) قال في الجنة لو لوتان إلى بطنان العرش أحدهما بيضا والآخر صفرا في كل واحدة منهما سبعون ألف غرفة أبوابها وأكوابها من عرق واحدة فالبيضا الوسيلة للحمد (ص) وأهل بيته والصفراء لإبراهيم وأهل بيته (وجاهدوا في سبيله) أي في طريق دينه مع أعدائه أمر سبحانه بالجهاد في دين الله لأنه وصلة إلى ثوابه والدليل على الشيء طريق إلى العلم به والتعرض للشيء طريق إلى الوقوع فيه واللطف طريق إلى طاعة الله والجهاد في سبيل الله قد يكون باليد واللسان والقلب وبالسيف والقول والكتاب (لعلكم تفلحون) أي لكي تظفروا بنعيم الأبد والمعنى اعملوا على رجاء الفلاح والنور وقيل لعل وعسى من الله واجب فكانه قال اعملوا تفلحوا

قوله تعالى (٣٦) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِثْلَ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٣٧) بَرِيدُونَ أَنْ يُخْرَجُوا مِنَ النَّارِ وَمَأْتُمُ بَخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ (آياتان)

✽ الأعراب ✽

خبر إن في لو وجوابها وقوله ولهم عذاب أليم محتمل أن يكون في موضع الحال وإن يكون عطفا على خبر إن ولا يجوز أن يكون الخبر بريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولو في موضع الحال كما تقول مرت بزيد لورآه عدوه لرحمه لأنه في موضع معتمد الفائدة مع أن الثاني في استئناف آية وإنما أجيبت لو بما ولم يجوز أن يجاب إن بالأن ما لها صدر الكلام وجواب لولا يخرجها من هذا المعنى كما لا يخرجها جواب القسم لأنه غير عامل وإن عاملة فلذلك صلح أن يجاب إن بلا ولم يصلح أن يجاب بما تقول إن تأتي لا يلحقك سوء ولا يجوز ما لأن لا تنفي عما بعدها ما وجب

لما قبلها في اصل موضوعها كقولك قام زيد لا عمرو وما تنفي عما بعدها مالم يجب لغيرها فلذلك كان لها صدر الكلام

المعنى

ثم اخبر سبحانه عن وعيد الكفار فقال (ان الذين كفروا لو ان لهم) أي لكل واحد منهم (ما في الأرض جميعاً) من المال والولاية والملك (ومثله) أي مثل ذلك (معه ليفتدوا به) أي ليجعلوا ذلك فداءهم وبدلهم (من عذاب يوم القيامة) الذي يستحقونه على كفرهم فافتدوا بذلك (ما تقبل منهم) ذلك الفداء (ولهم عذاب أليم) أي وجميع (يريدون ان يخرجوا من النار) أي يتمنون أن يخرجوا من النار عن أبي علي الجبائي قال لأن الإرادة هنا بمعنى التمني وقيل معناه الإرادة على الحقيقة أي كلما دفتهم النار بلهها رجوا ان يخرجوا وهو كقوله كلما أرادوا ان يخرجوا منها أعيدوا فيها عن الحسن وقيل معناه يكادون يخرجون منها اذا دفتهم النار بلهها كما قال سبحانه جداراً يريد أن ينقض فأقامه أي يكاد ويقارب فإن قال قائل كيف يجوز ان يريدوا الخروج من النار مع علمهم بأنهم لا يخرجون منها فالجواب ان العلم بأن الشيء لا يمكن ان لا يصرف عن إرادته كما ان العلم بأنه يكون لا يصرف عن إرادته وإنما الداعي إلى الإرادة حسنها والحاجة إليها (ومساهم بخارجين منها) يعني جهنم (ولهم عذاب مقيم) أي دائم ثابت لا يزول ولا يحول كما قال الشاعر

فَإِنَّ لَكُمْ يَوْمَ السَّعْيِ مِنِّي
عَذَابًا دَائِمًا لَكُمْ مُقِيمًا

قوله تعالى (٣٨) وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٣٩) فَمَنْ تَابَ مِنَ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٤٠) أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (ثلاث آيات)

الإعراب

قال سيويه وكثير من النحويين ارتفع السارق والسارقة على معنى وفيما فرض عليكم السارق والسارقة أي حكم السارق والسارقة ومثله قوله تعالى الزانية والزاني فاجلدوا والذنان يأتيانها منكم فأذوها قال سيويه والاختيار في هذا النصب في العربية كما تقول زيدا أضربه وأبت العامة القراءة إلا بالرفع يعني بالعامية الجماعة وقرأ عيسى بن عمرو السارق والسارقة وكذلك الزانية والزاني وقال أبو العباس المبرد الاختيار في الرفع بالابتداء لأن القصد ليس إلى واحد بعينه فليس هو مثل قولك زيدا فأضربه إنما هو كقولك من سرق فأقطع يده ومن زنى فاجلده قال الزجاج وهذا القول هو المختار وإنما دخلت الفاء في الخبر للشرط المنوي وذكر في قراءة ابن مسعود والسارقون والسارقات فاقطعوا إيمانهم وإنما قال أيديها ولم يقل أيديها لأنه أراد يميناً من هذا ويميناً من هذه فجمع إذ ليس في الجسد الا يمين واحدة قال الفراء وكل شيء موحد من خلق الانسان اذا ذكر مضافاً إلى اثنين فصاعداً جمع قليل قد هشمته رؤوسها وملأت ظهورها ويطونها ضرباً ومثله قوله ان تتوبا إلى الله فقد صفت قلوبكما قال وإنما اختير الجمع على التثنية لأن أكثر ما يكون عليه الجوارح اثنان اثنان في الإنسان كاليدين والرجلين واثنان من اثنين جمع لذلك يقال قطعت أرجلها وفقت عيونها فلما جرى الاكثر على هذا ذهب بالواحد اذا أضيف إلى اثنين مذهب الاثنان قال ويجوز التثنية كقول الهذلي

فَتَخَالَسَا نَفْسَيْهِمَا يَنْوَأْفِدِ كَنَوَأْفِدِ الْمُبِطِ الَّتِي لَا تَرْقَعُ^(١)

لأنه الأصل ويجوز هذا أيضا فيما ليس من خلق الانسان كقولك للاثنين خليتهما ساء كما وانت تريد امرأتين قال ويجوز التوحيد ايضا لو قلت في الكلام السارق والسارقة فاقطعوا بينهما جاز لان المعنى البطين من كل واحد منهما قال الشاعر (كلوا في بعض بطنكم تعيشوا) ويجوز في الكلام ان تقول انني نرأس شاتين بوبرأسي شاة فمن قال برأس شاتين اراد الرأس من كل شاة منهما ومن قال برأسي شاة اراد رأسي هذا الجنس قال الزجاج انما جمع ما كان في الشيء منه واحد عند الاضافة الى الاثنين لان الاضافة تبيّن ان المراد بذلك الجمع التثنية لا الجمع وذلك انك اذا قلت أشبعت بطونها علم ان الاثنين بطنين فقط وأصل التثنية الجمع لأنك اذا ثبت الواحد قد جمعت واحدا الى واحد وربما كان لفظ الجمع أخف من لفظ الاثنين فيختار لفظ الجمع ولا يشبه ذلك بالثنية عند الاضافة الى اثنين لأنك اذا قلت قلوبهما فالثنية فيهما قد اغتكت عن ثنية القلب قال وانثني ما كان في الشيء منه واحد فذلك جائز عند جميع النحويين وانشد (ظَهْرَاهُمَا مِثْلُ ظُهُورِ التَّرْسِينَ) فجاء باللغتين وهذا كما حكيتا عن الفراء في قول الهذلي فتخالسا نفسيهما البيت وقوله جزاء بما كسبا قال الزجاج انتصب جزاء بأنه مفعول له وكذلك نكالا من الله وان ثبت كنا منصوبين على المصدر الذي دل عليه فاقطعوا لأن معنى فاقطعوا جازوم ونكلوا بهم قال الازهري تقديره لينكل غيره نكالا عن مثل فعله من نكل ينكل إذا جن

المعنى *

لما ذكر تعالى الحكم فيمن أخذ المال جهارا عقبه بيان الحكم فيمن أخذ المال اسرارا فقال (والسارق والسارقة) والآلف واللام للجنس فالمعنى كل من سرق وجلا كان او امرأة وبدأ بالسارق هنا لأن الغالب وجود السرقة في الرجال وبدأ في آية الزنا بالنساء فقال الزانية والزانية لأن الغالب وجود ذلك في النساء (فاقطعوا ايديهما) اي ايمانها عن ابن عباس والحسن والسدي وعامة التابعين قال ابو علي في تحف المصلين الى قطع الرجل اليسرى بعد قطع اليد اليمنى وتركهم قطع اليد اليسرى دلالة على ان اليد اليسرى لم ترد بقوله فاقطعوا ايديهما الا ترى انها لو اريدت بذلك لم يكونوا ليدعوا نص القرآن الى غيره وهذا يدل على ان جمع اليد في هذه الآية على حد جمع القلب في قوله فقد صفت قلوبكما ودلت قراءة عبد الله بن مسعود على ان المراد بالأيدي الأيمان قال العلماء ان هذه الآية مجملة في إيجاب القطع على السارق وبيان ذلك مأخوذ من السنة واختلف في القدر الذي يقطع به يد السارق فقال اصحابنا يقطع في ربع دينار فصاعداً وهو مذهب الشافعي والاوزاعي وابي ثور ورووا عن عائشة عن النبي انه قال لا تقطع يد السارق الا في ربع دينار فصاعداً وذهب ابو حنيفة واصحابه انه يقطع في عشرة دراهم فصاعداً واحتجوا بما روي عن عطاء عن ابن عباس أن أدنى ما يقطع فيه ثمن المِجَنِّ^(٢) قال وكان ثمن المِجَنِّ على عهد رسول الله عشرة دراهم وذهب مالك انه يقطع في ثلاثة دراهم فصاعداً وروي عن نافع عن ابن عمر ان رسول الله (ص) قطع سارقاً في ثمنه مِجَنِّ ثلاثة دراهم وقال بعضهم لا تقطع الخمس الا في خمسة دراهم واختاره ابو علي الجبائي وقال لأنه بمنزلة من منع خمسة دراهم من الزكاة في انه فاسق وقال بعضهم تقطع يد السارق في القليل والكثير واله ذهب الخوارج واحتجوا بموم الآية وبما روي عن النبي انه قال لمن الله السارق يسرق البيضة فقطع يده ويسرق الحبل فقطع يده وهذا الخبر قد طعن اصحاب الحديث في سنده وذكر ايضا في تأويله ان المراد بالبيضة بيضة الحديد التي تنفر

(١) تخالسا القران وتخالسا نفسيهما : رام كل واحد منهما اختلاس صاحبه . النوافذ : الجروح النافذة والجيوب . المبط جمع المبط : الشق . شبه سعة الجراحات بجيوب الاقمصة التي لا ترقع . (٢) المِجَنِّ : الترس .

ج ٣
الرأس في الحرب وبالجل جيل السفينة واختلف ايضا في كيفية القطع فقال اكثر الفقهاء انه انما يقطع من الرسغ وهو المفصل بين الكف والساعد ثم ان عند الشافعي تقطع يده اليمنى في المرة الأولى ورجله اليسرى في المرة الثانية ويده اليسرى في المرة الثالثة ورجله اليمنى في المرة الرابعة ويحبس في المرة الخامسة وعند ابي حنيفة لا تقطع في الثالثة وقال اصحابنا انه تقطع من اصول الأصابع وتترك له الابهام والكف وفي المرة الثانية تقطع رجله اليسرى من اصل الساق ويترك عقبه يعتمد عليها في الصلاة فإن سرق بعد ذلك خلد في السجن وهو المشهور عن علي واجمعت الطائفة عليه وقد استدل على ذلك ايضا بقوله فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ولا شك في انهم انما يكتبونه بالأصابع ولا خلاف ان السارق انما يجب عليه القطع اذا سرق من حرز أو لا ماروي عن داود انه قال يقطع السارق وان سرق من غير حرز والحرز في كل شيء انما يعتبر فيه حرز مثله في العادة وحده عندنا كل موضع لم يكن لنفير مالكة الدخول اليه والتصرف فيه الا بإذنه (جزاء بما كسب) اي افعلوا ذلك بها مجازاة بكسبها وفعلها (نكالا من الله) اي عقوبة على ما فعله قال زهير

(١) وَلَوْ لَا أَنْ يَنَالَ أَبَا طَرْفٍ عَذَابٌ مِنْ خَزِيمَةٍ أَوْ نَكَالٍ

اي عقوبة (فمن تاب من بعد ظلمه) اي أقطع وندم على ما كان منه من فعل الظلم بالسرقة (واصلح) اي وفعل الصالح الجميل (فإن الله يتوب عليه) اي يقبل توبته باسقاط العقاب بها عن المعصية التي تاب منها ووصف الله بأنه يتوب على التائب فيه فائدة عظيمة وهي ان في ذلك ترغيبا للعاصي في فعل التوبة ولذلك وصف نفسه تعالى بالتواب الرحيم ووصف الصبد بأنه تواب ومعناه أوأب وهو من صفات المدح (أن الله غفور رحيم) فيه دلالة على ان قبول التوبة تفضل من الله (الم تعلم) قيل هو خطاب للنبي والمراد به امته كقوله يا ايها النبي اذا طلقتم النساء وقيل هو خطاب للمكلفين وتقديره الم تعلم يا انسان وانما يتصل هذا الخطاب بما قبله اتصال الحجاج والبيان عن صحة ما تقدم من الوعد والوعيد والاحكام ومعناه الم تعلم يا انسان (ان الله له ملك السموات والارض) اي له التصرف فيهما بلا دافع ولا منازع (يعذب من يشاء) اذا كان مستحقا للعقاب (ويغفر لمن يشاء) اذا عصاه ولم يتب لأنه اذا تاب فقد وعده تعالى بأنه لا يؤاخذ به بذلك بعد التوبة وعند أهل الوعيد يقبح منه ان يؤاخذ به بعد التوبة فلي الوجهين مما لا تعلق لذلك بالمشيئة (والله على كل شيء قدير) صرّحناه

قوله تعالى (٤١) يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزَنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخِرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ بِحَرْفٍ فَوَنَّا كَلِمًا مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (آية)

✽ اللفظة ✽

سماعون للكذب اي قائلون له يقال لا تستمع من فلان قوله اي لا تقبل ومنه سمع الله لمن حمده اي تقبل الله منه حمده وفيه وجه آخر وهو ان معناه انهم يسمعون منك ليكذبوا عليك والسماع الجاسوس

والفتنة الاختيار وأصله التخليص من قولهم فنتت الذهب في النار اي خلصته من الغش

✽ الاعراب ✽

ارتفع سماعون لأنه خبر مبتدأ محذوف اي هم سماعون ويجوز ان يرتفع على معنى ومن الذين هادوا سماعون فيكون مبتدأ على قول سيبويه ومعمولا منهم على قول الأخفش ويكون تقديره ومنهم فريق سماعون للكذب وقوله لم يأتوك في موضع جر لأنه صفة لقوم وقوله يحرفون الكلم صفة لقوله سماعون فيكون موضعه رفعا ويجوز ان يكون موضعه نصبا على انه حال من الضمير في اسم الفاعل اي محرفين الكلم بمعنى مقدرين تحريفه اي يسمعون كلام النبي (ص) ويقدرّون في انفسهم تحريف ما يسمعون كقولهم معه صقر صائدا به غدا وقوله من بعد مواضعه من باب حذف المضاف والتقدير من بعد وضعه كلامه مواضعه ولو قال في معناه عن مواضعه لجاز لأن معناه متقارب كما يقال أيتك بعد فراغي من الشغل وعن فراغي منه ولا يجوز ان يقول رميت بعد القوس بدلا من قولك رميت عن القوس لأن المعنى يختلف وذلك ان عن لما عدا الشيء الذي هو كالسبب له وبعد انما هو لما تأخر عن كون الشيء فاصح فيه معنى السبب ومعنى التأخر جاز فيه الأمران وما لم يصح فيه الا احد الأمرين لم يجز الا احد الحرفين

✽ النزول ✽

قال الباقور (ع) وجماعة من المفسرين ان امرأة من خيبر ذات شرف بينهم زنت مع رجل من اشrafهم وهما محصنان ففكرها رجما فارسلوا الى يهود المدينة وكتبوا اليهم ان يسألوا النبي عن ذلك طمعا في ان يأتي لهم برخصة فانطلق قوم منهم كعب بن الأشرف وكعب بن أسيد وشعبة بن عمرو ومالك بن الصيف وكنانة بن ابي الحقيق وغيرهم فقالوا يا محمد اخبرنا عن الزاني والزانية اذا احصنا ما حداهما فقال وهل ترضون بقضائي في ذلك قالوا نعم فنزل جبرائيل بالرحم فأخبرهم بذلك فأبوا ان يأخذوا به فقال جبرائيل اجعل بينك وبينهم ابن صوريا ووصفه له فقال النبي هل تعرفون شابا امرد ابيض اعور يسكن فدكا يقال له ابن صوريا قالوا نعم قال فأي رجل هو فيكم قالوا اعلم يهودي بقي على ظهر الأرض بما انزل الله على موسى قال فأرسلوا اليه ففعلوا فاتاهم عبد الله بن صوريا فقال له النبي اني انشدك الله الذي لا اله الا هو الذي انزل التوراة على موسى وقلق لكم البحر وانجاكم وأغرق آل فرعون وظلل عليكم الغمام وانزل عليكم المن والسلوى هل تجدون في كتابكم الرجيم على من احصن قال ابن صوريا نعم والذي ذكرني به لولا خشية ان يحرقني رب التوراة ان كذبت أو غيرت ما اعترفت لك ولكن أخبرني كيف هي في كتابك يا محمد قال اذا شهد اربعة رهط عدول انه قد ادخله فيها كما يدخل الميل في المكحلة وجب عليه الرجيم قال ابن صوريا هكذا انزل الله في التوراة على موسى فقال له النبي فماذا كان اول ما ترخصتم به امر الله قال كنا اذا زني الشريف تركناه واذا زني الضعيف أقمنا عليه الحد فكثير الزنا في اشرافنا حتى زني ابن عم ملك لنا فلم نرجه ثم زني رجل آخر فأراد الملك رجمه فقال له قومه لا حتى ترجم فلانا يعنون ابن عمه فقلنا تماالوا نجتمع فلنضع شيئا دون الرجيم يكون على الشريف والوضيع فوضعنا الجلد والتحميم وهو ان يجلد اربعين جلدة ثم يسود وجوهها ثم يحملان على حمارين ويحملن وجوهها من قبل دير الحار ويطاف بهما فيجعلوا هذا مكان الرجيم فقالت اليهود لابن صوريا ما اسرع ما اخبرته به وما كنت لما أتينا عليك باهل ولكنك كنت غائبا ففكر هنا ان نمتابك فقال انه

انشدني بالتوراة ولولا ذلك لما اخبرته به فأمر بها النبي فرجا عند باب مسجده وقال انا اول من أحيا امرك
 إذ أماتوه فانزل الله فيه يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا بينكم كما كثرتم تخفون من الكتاب ويمفوا
 عن كثير فقام ابن صوراً فوضع يديه على ركبتي رسول الله ثم قال هذا مقام المائد بالله وبك ان تذكر لنا
 الكثير الذي امرت ان تفعلوا عنه فأعرض النبي عن ذلك ثم سأله ابن صورياً عن نومه فقال تنام عينا ولا
 ينام قلبي فقال صدقت واخبرني عن شبه الولد بأبيه ليس فيه من شبه أمه شيء او بأمنه ليس فيه من شبه
 أبيه شيء فقال أيها علاوسبق ماء صاحبه كان الشبه له قال قد صدقت فأخبرني ما للرجل من الولد وما للمرأة
 منه قال فأغني على رسول الله طوبلاً ثم خلى عنه محمراً وجهه بفيض عرقاً فقال اللحم والدم والظفر والشحم
 للمرأة والعظم والمصعب والعروق للرجل قال له صدقت امرني فأسلم ابن صورياً عند ذلك وقال يا محمد
 من يأتيك من الملائكة قال جبرائيل قال صفه لي فوصفه النبي (ص) فقال اشهد انه في التوراة كما قلت وانك
 رسول الله حقاً فلما اسلم ابن صورياً وقعت فيه اليهود وشتموه فلما أرادوا ان ينهضوا تعلقت بنو قريضة بيني
 النضير فقالوا يا محمد اخواننا بنو النضير ابونا واحد وديننا واحد ونينا واحد اذا قتلوا منا قتيلاً لم يُقد وأعطونا
 ديتهم سبعين وسقا من تمر واذا قتلنا منهم قتيلاً قتلوا القاتل وأخذوا منا الضمف مائة واربعين وسقا من تمر وان
 كان القتل امرأة قتلوا بها الرجل منا وبالرجل منهم رجلين منا وبالعبد الحر منا وجراحتنا على النصف من
 جراحتهم فاقض بيننا وبينهم فانزل الله في الرجم والقصاص الآيات

المعنى

لما تقدم ذكر اليهود والنصارى عقبه سبحانه بتسليته النبي (ص) وأمانه من كيدهم فقال (يا أيها الرسول لا يحزنك
 الذين يسارعون) أي لا يفتمك وقرى لا يحزنك ومعناها واحداً الذين يسارعون أي مسارعة الذين يسارعون
 (في الكفر) أي يبادرون فيه بالإصرار عليه والتمسك به (من المناقين) الذين قالوا آمناً بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم
 ومن الذين هادوا) أي ومن اليهود (سارعون للكذب) قيل هو كناية عن اليهود والمناقين وقيل عن اليهود
 خاصة والمعنى سارعون قولك ليكذبوا عليك (سارعون) كلامك (لقوم آخرين لم يأتوك) ليكذبوا عليك (سارعون
 كلامك اذا رجوا أي هم عيون عليك لأنهم كانوا رسل خبير واهل خبير لم يحضروا عن الحسن والزجاج
 واختاره ابو علي وقيل معنى سارعون أي قائلون للكذب سارعون لقوم آخرين ارسلوهم في قصة زان محصن
 فقالوا لهم ان افتاكم محمد بالجلد فخذوه وان افتاكم بالرجم فلا تقبلوه لأنهم كانوا حرفوا حكم الرجم الذي في
 التوراة عن ابن عباس وجابر وسعيد بن المسيب والسدي وقيل إنما كان ذلك في قتل منهم قالوا ان افتاكم بالذبة
 فاقبلوه وان افتاكم بالقود فاحذروه عن قتادة وقال ابو جعفر كان ذلك في أمر بني النضير وبني قريضة (يحرفون
 الكلم) أي كلام الله (من بعد مواضعه) أي من بعد أن وضعه الله مواضعه أي فرض فروضه واحل حلاله
 وحرم حرامه يعني بذلك ما غبروه من حكم الله في الزنا وتقلوه من الرجم إلى أربعين جلدة عن جماعة من
 المفسرين وقيل نقلوا حكم القتل من القود إلى الذبحة حتى كثر القتل فيهم عن قتادة وقيل أراد به تحريفهم
 التوراة بتحليلهم الحرام وتحريمهم الحلال فيها وقيل معناه يحرفون كلام النبي بعد سماعه ويكذبون عليه عن
 الحسن وابي علي الجبائي وكانوا يكتبون بذلك إلى خبير وكان أهل خبير حربياً لرسول الله (ص) وهذه تسليته
 للنبي (ص) يقول ان اليهود كيف يؤمنون بك مع أنهم يحرفون كلام الله في التوراة ويحرفون كلامك يقولون ان

أوتيتهم هذا فخذوه وان لم تؤنوه فاحذروا) أي يقول يهود خيبر ليهود المدينة إن اعطيتم هذا أي إن أمركم محمد بالجلد فأقبلوه وإن لم تعطوه يعني الجلد أي إن افتاكم محمد بالرجم فاحذروه عن الحسن^١ معناه إن أوتيتهم الدية فأقبلوه وإن أوتيتهم القود فلا تقبلوه (ومن يرد الله فنته) قيل فيه أقوال * أحدها * أن الفتنة العذاب أي من يرد الله عذابه كقوله تعالى على النار يغنون أي يعذبون وقوله ذوقوا فتكم أي عذابكم عن الحسن وقتادة واختاره الجبائي وأبو مسلم * وثانيها * أن معناه من يرد الله هلاكه عن السدي والضحاك * وثالثها * أن المراد من يرد الله خزيه وفضيخته باظهار ما ينطوي عليه عن الزجاج * ورابعها * أن المراد من يرد الله اختياره بما يتليه به من القيام بمجوده فيدع ذلك ويحرفه والأصح الأول (فلن تملك له من الله شيئاً) أي فلن تستطيع أن تدفع لأجله من أمر الله الذي هو العذاب أو الفضيحة أو الهلاك شيئاً (أو أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم) معناه أولئك اليهود لم يرد الله أن يطهر من عقوبات الكفر التي هي الختم والطبع والضيق قلوبهم كما طهر قلوب المؤمنين منها بأن كتب في قلوبهم الإيمان وشرح صدورهم للإسلام عن الجبائي والحسن وقيل معناه لم يرد الله أن يطهرها من الكفر بالحكم عليها أنها بريئة منه ممدوحة بالإيمان عن البلخي قال القاضي وهذا لا يدل على أنه سبحانه لم يرد منهم الإيمان لأن ذلك لا يعقل من تطهير القلب إلا على جهة التوسع ولأن قوله لم يرد الله أن يطهر قلوبهم يقتضي نفي كونه مريداً وليس فيه بيان الوجه الذي لم يرد ذلك عليه والمراد بذلك أنه لم يرد تطهير قلوبهم مما يلحقها من الغوم بالذم والاستخفاف والعقاب ولذلك قال عقيه (لم في الدنيا خزى ولهم في الآخرة عذاب عظيم) ولو كان أراد ما قاله المجبر لم يجعل ذلك ذمّاً لهم ولا عقبه بالذم ولا جملة في حكم الجزاء على ما لأجله عاقبهم وأراد ذلك منهم والخزى الذي لهم في الدنيا هو ما لحقهم من الذل والصفار والفضيحة بالزام الجزية واطهار كذبهم في كتمان الرجم واجلاء بني النضير من ديارهم وخزى المناقين باطلاع النبي على كفرهم

قوله تعالى (٤٢) سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَالُونَ لِلْسُّحْتِ فَإِنْ جَاؤُوكَ فَأَحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئاً وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٤٣) وَكَيْفَ يَحْكُمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَكَّلُونَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أَوْلَيْكَ بِالْمُؤْمِنِينَ (آيتان)

* القراءة *

السُّحْتُ بضم السين والحاء مكى بصري والكسائي وأبو جعفر وقرأوا الباقر السُّحْتُ بإسكان الحاء

* الحجة *

قال أبو علي السُّحْتُ والسُّحْتُ لثتان ويستمر التخفيف والتثقل في هذا النحو وهما اسم الشيء المسخوت كما وقع الضرب على المضروب في قولهم هذا الدرهم ضرب الأمير والصيد على المصيد في قوله ولا تقتلوا الصيد وأنتم حرم

* اللفظة *

أصل السحت الاستئصال يقال سحته وأسحته أي استأصله ومن أسحت قول الفرزدق

وَعَصَّ زَمَانٍ يَا ابْنَ مَرْوَانَ لَمْ يَدَعْ مِّنَ الْمَالِ إِلَّا مَسْحَتًا أَوْ مَجْلَفًا^(١)
 ويقال للحائق اسحت أي استأصل وفلان مسحوت المعدة إذا كان أكله لا يشبع واسحت
 ماله أفسده وأذهبه والحكم هو فصل الأمر على وجه الحكمة فيما يفصل به وقد يفصل به لبيان أنه الحق وقد
 يفصل بالإنصاف بالحق والأخذ به كما يفصل الحاكم بين الخصوم بما يقطع الخصومة ويثبت القضية، والتولي
 الانصراف عن الشيء، والتولي عن الحق الترك له وهو خلاف التولي إليه لأنه الإقبال عليه والتولي له هو
 صرف النصرة والمعونة إليه

﴿ المعنى ﴾

ثم وصفهم تعالى فقال (سماعون للكذب) قدم تفسيره أعاد الله تعالى ذمهم على استماع الكذب قبوله تأكيداً وتشديداً
 ومبالغة في الزجر عنه (أكلون للسحت) أي يكثرون الأكل للسحت وهو الحرام وروى عن النبي (ص)
 إن السحت هو الرشوة في الحكم وهو المروي عن ابن مسعود والحسن وقيل السحت هو الرشوة في الحكم ومهر
 البقي وكسب الحجام وعيب الفحل وثن الكلب وثن الخمر وثن الميتة وحلوان الكاهن والاستجمال^(٢) في
 المحصية عن علي (ع) وروى عن أبي عبد الله (ع) أن السحت أنواع كثيرة فأما الرشى في الحكم فهو الكفر بالله وقيل
 في اشتقاق السحت أقوال ﴿ أحدها ﴾ أن الحرام إنما سمي سحتاً لأنه يعقب عذاب الاستئصال والبولار عن
 الزجاج ﴿ وثانيها ﴾ أنه إنما سمي سحتاً لأنه لا بركة فيه لأنه فيهلك هلاك الاستئصال عن الجبائي
 ﴿ وثالثها ﴾ أنه إنما سمي سحتاً لأنه القبيح الذي فيه العار نحو ثمن الكلب والخمر فلي هذا يسحت مروءة
 الإنسان عن الخليل (فإن جاؤوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم) أراد به اليهود الذين تعاكفوا إلى النبي في حد
 الزنا عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقيل أراد بني قريظة وبني النضير لما تحكفوا إليه فخير الله تعالى بين أن
 يحكم بينهم وبين أن يعرض عنهم عن ابن عباس في رواية أخرى وقناة وابن زيد والظاهر في روايات أصحابنا
 أن هذا التخيير ثابت في الشرع للأئمة والحكام وهو قول قتادة وعطاء والشعبي وإبراهيم وقيل أنه منسوخ
 بقوله وإن أحكم بينهم بما أنزل الله عن الحسن ومجاهد وعكرمة (وإن تعرض عنهم) أي عن الحكم بينهم
 (فلن يضروك شيئاً) أي لا يقدر عليك على ضرر في دين أو دنيا فدفع النظر بينهم انشئت (وإن حكمت)
 أي وإن اخترت أن تحكم (فاحكم بينهم بالقسط) أي العدل وقيل بما في القرآن وشرعة الإسلام (إن الله يحب
 المقسطين) أي العادلين (وكيف يحكمونك) أي كيف يحكمك يا محمد هو لا اليهود فيهم فيرضون بك حكماً (وعندم
 التوراة) التي أنزلنا على موسى وهي التي يقرؤون بها أنها كتابي الذي أنزلته وأنه حق وإن ما فيه من حكمي
 يعلمونه ولا يتناكروا (فبها حكم الله) أي أحكامه التي لم تنسخ عن أبي علي وقيل عنى به الحكم بالرجم
 عن الحسن وقيل معناه فيها حكم الله بالقود عن قتادة (ثم يولون من بعد ذلك) أي يتركون الحكم به جرأة
 علي وفي هذا تعجب للنبي وتقرير لليهود الذين نزلت الآية فيهم فكانه قال كيف يقرؤون أيها اليهود بحكم
 نبيي محمد مع إنكاركم نبوته وتكذيبكم إياه وأنتم تتركون حكمي الذي يقرؤون بوجوبه وتصرفون بأنه جاءكم
 من عندي وقوله من بعد ذلك إشارة إلى حكم الله في التوراة عن عبد الله بن كثير وقيل من بعد ذلك
 أي من بعد تحكيمك أو حكمك بالرجم لأنهم ليسوا من علي ثقة وإنما طلبوا به الرخصة (وما أولئك بالمؤمنين)
 أي وما هم بمؤمنين بحكمك أنه من عند الله مع جحدكم نبوتك وقيل إن هذا أخبار من الله سبحانه عن أولئك

(١) عصه الزمان : اشتد عليه . المجلف : الذي ذهب ماله . واما رفه فباضمار كانه قال او هو مجلف (٢) اي اجرة ضرابه

(٣) هو ما يطلى عند كهاتته . (٤) اي طلب الجمالة . (٥) [بيتهم]

اليهودانهم لا يؤمنون بالنبي (ص) وبحكمه
قوله تعالى (٤٤) إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين
هأدوا والرَّبَّانِيونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتَحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ
وَآخِشُونِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (آية)

✽ القراءة ✽

قرأ أهل البصرة وأبو جعفر وإسماعيل عن نافع وأخشوني بياء في الوصل ويعقوب يقف بآباء أيضا والباقون
وأخشون بغير ياء في الوقف والوصل

الحجة

قال أبو علي الإثبات حسن لأن الفواصل في أنها أواخر الآي مثل القوافي في أنها أواخر الآيات فمما
حذف منه الباء في القوافي قول الأعشى

فَهَلْ يَمْنَعُنِي أَرْتِيَادِي الْبِلَادِ مِنْ حَذَرِ الْمَوْتِ أَنْ يَأْتِيَنِي
وَمِنْ شَأْنِي كَاسِفٍ وَجْهَهُ إِذَا مَا انْتَسَبْتُ لَهُ أَنْكَرَنُ (٢)

✽ اللفظة ✽

الربانيون فسرناه فيما مضى وهم العلماء البصراء بسياسة الأمور وتدبير الناس والاحبار جمع حبر وهو
العالم مشتق من التعبير وهو التحسين فالعالم يحسن الحسن ويقبح القبيح قال الفراء أكثر ما سمعت فيه جبر بالكسر

✽ الاعراب ✽

الباء في قوله بما استحفظوا يتعلق بالاحبار فكأنه قال العلماء بما استحفظوا وقال الزجاج تقديره يحكمون
للتائبين من الكفر بما استحفظوا

✽ المعنى ✽

لمأين الله تعالى ان اليهود تولوا عن احكام التوراة وصف التوراة وما انزل فيها فقال (إنا أنزلنا التوراة
فيها هدى) أي بيان للحق ودلالة على الأحكام (ونور) أي ضياء لكل ما تشابه عليهم وجللاء لما ظلم عليهم
عن ابن عباس وقبل معناه فيها عدس بيان للحكم الذي جاؤوا يستفتون فيه النبي (ص) ونور بيان ان أمر النبي (ص)
حق عن الزجاج يحكم بها النبيون الذين أسلموا) معناه يحكم بالتوراة النبيون الذين اذعنوا بحكم الله وأقرؤا بهونينا
داخل فيهم عن الحسن وقتادة وعكرمة والسدي والزهري وقال أكثرهم هو المعنى بذلك لما حكم في رجم
المحصن وهذا لا يدل على انه كان متعبدا شرع موسى لأن الله هو الذي اوجب ذلك بوحي أنزله عليه
لا بالرجوع إلى التوراة فصار ذلك شرعا له وان وافق ما في التوراة ونبه بذلك اليهود على صحة نبوته من
حيث أن خبر عما في التوراة من غامض العلم الذي قد النبس على كثير منهم وقد عرفوا جميعا انه لم يقرأ كتابهم
ولم يرجع في ذلك إلى علمائهم فكان من دلائل صدقه (ص) وقيل يريد بالنبيين الأنبياء الذين كانوا بعد موسى
وذلك انه كان في بني اسرائيل ألوف من الأنبياء بعثهم الله لإقامة التوراة يحدون حدودها ويحلون حلالها
ويحرمون حرامها عن ابن عباس فمعناه يقضي بها النبيون الذين أسلموا من وقت موسى إلى وقت عيسى

(١) [الوقف حسن] (٢) الارتياذ : طلب الشيء . و الشانس : البفض وكسف وجهه : عيس وتغيير .

وصفهم بالإسلام لأن الإسلام دين الله فكل نبي مسلم وليس كل مسلم نبياً وقوله (للذين هادوا) أي تابوا عن الكفر عن ابن عباس وقيل لليهود واللام فيه يتعلق ببحكم أي يحكمون بالنوراة لهم وفيها بينهم قال الزجاج وجائز ان يكون المعنى على التقديم والتأخير وتقديره انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور للذين هادوا يحكم بها النبيون الذين اسلموا (والرانيون) الذين علت درجاتهم في العلم وقيل الذين يعملون بما يعلمون (والاحبار) العلماء الخيار عن الزجاج (بما استحفظوا) به أي بما استودعوا (من كتاب الله) عن ابن عباس وقيل بما امروا بحفظ ذلك والقيام به وترك نضيبه عن الجبائي (وكانوا عليه شهداء) أي وكانوا على حكم النبي في الرجم انه ثابت في التوراة شهداء عن ابن عباس وقيل كانوا شهداء على الكتاب انه من عند الله وحده لا شريك له عن عطاء (فلا تخشوا الناس واخشون) أي لا تخشوا باعلماء اليهود الناس في اظهار صفة النبي محمد (ص) و امر الرجم واخشوني في كتاب ذلك عن السدي والكليبي وقيل الخطاب للنبي وأمه اي لا تخشوه في اقامة الحدود وامضاتها على أهلها كانتا من كان واخشوني في ترك أمري فإن النفع والضرر بيدي عن الحسن (ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا) أي لا تأخذوا بترك الحكم الذي أنزلته على موسى أيها الأجر عوضا خسيسا وهو الثمن القليل نهام الله تعالى بهذا عن أكل السحت على تحريفهم كتاب الله وتغييرهم حكمه (ومن لم يحكم بما أنزل الله) معناه من كتم حكم الله الذي أنزله في كتابه واخفاه وحكم بغيره من رجم المحصن والقود (فأولئك هم الكافرون) اختلف في ذلك فمنهم من اجرى ظاهره على العموم عن ابن مسعود والحسن و ابراهيم ومنهم من خصه بالجاحد لحكم الله عن ابن عباس ومنهم من قال هم اليهود خاصة عن الجبائي فإنه قال لا حجة للخوارج فيها من حيث هي خاصة في اليهود واختار علي بن عيسى القول الأول ولذلك يقول من حكم بغير ما أنزل الله مستحلاً لذلك فهو كافر وروى البراء بن عازب عن النبي (ص) ان قوله من لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون وبعده فأولئك هم الظالمون وبعده فأولئك هم الفاسقون كل ذلك في الكفار خاصة أورده مسلم في الصحيح وبه قال ابن مسعود وابو صالح والضحاك وعكرمة وقادة

قوله تعالى (٤٥) وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ نَصَّدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ الكسائي العين وما بعده كله بالرفع وقرأ ابو جعفر وابن كثير وابن عامر وابو عمر كلها بالنصب إلا قوله والجروح قصاص فإنهم قرأوا بالرفع والباقيون ينصبون جميع ذلك وكلهم ثقل الأذن إلا نافعا فإنه خففها في كل القرآن

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي حجة من نصب العين وما بعده انه عطف ذلك كله على أن يجعل الواو للاشتراك في نصب ان ولم يقطع الكلام عما قبله كما فعل ذلك من رفع وأما من رفع بعد النصب فقال ان النفس بالنفس والعين بالعين فإنه يحتمل ثلاثة أوجه ﴿ احدها ﴾ ان تكون الواو عاطفة جملة على جملة كما يعطف المفرد على المفرد ﴿ والثاني ﴾

انه حمل الكلام على المعنى لانه اذا قال وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس فمعناه قلنا لم النفس بالنفس فحمل العين بالعين على هذا كما انه لما كان المعنى في قوله يطاف عليهم بكأس من معين يمنحون كأساً من معين حمل حورا عينا على ذلك كأنه يمنحون كأساً ويمنحون حورا عينا ومن ذلك قوله

بَادَتْ وَغَيْرَ آيَةٍ مَعَ الْبَيْلِ إِلَّا رَوَا كِدَ جَمْرَهُنَّ هَبَاءُ
وَمُشَجَّجٍ أَمَا سَوَاءٌ قَدَّالِهِ فَبَدَا وَغَيَّبَ سَارَهُ الْمَعْرَاةُ (١)

لما كان المعنى في (بَادَتْ وَغَيْرَ آيَةٍ) الا رواكدها (بها رواكدها) حمل مشججا عليه فكانه قال هناك رواكده ومشجج ومثل هذا في الحمل على المعنى كثير وأقول ان من هذا القبيل بيت الفرزدق الذي آخره الا مسحتنا أو مجلف وقد ذكرناه قبل لانه لما كان المعنى لم يبق من المال الا مسحت حمل مجلفا عليه والوجه الثالث ان يكون عطف قوله والعين بالعين على الذكر المرفوع في الظرف الذي هو الخبر وإن لم يؤكده المطفوف عليه بالضير المنفصل كما أكد في نحو قوله انه يراكم هو وقبيله الا ترى انه قد جاء ولو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا فلم يؤكده بالمنفصل كما أكد في الآية الاخرى قال فان قلت فان لا في قوله ولا آباؤنا عوض من التأكيد لان الكلام قد طال كما في حضر القاضي اليوم امرأة قيل هذا إنما يستقيم ان يكون عوضا إذا وقع قبل حرف المطف فاما إذا وقع بعد حرف المطف فانه لم يسد ذلك المسد واما قوله والجروح قصاص فن رفعه فانه يحتمل هذه الوجوه الثلاثة التي ذكرناها ويجوز أن يستأنف الجروح قصاص استئناف ايجاب وابتداء شريعة لا على انه مكتوب عليهم في التوراة ويقوى انه من المكتوب عليهم في التوراة نصب من نصب فقال والجروح قصاص وأما التخفيف في الأذن فلعله مثل السحت والسحت وقد تقدم القول في ذلك

✽ المعنى ✽

ثم بين سبحانه حكم التوراة في القصاص فقال (وكتبنا) أي فرضنا (عليهم) أي على اليهود الذين تقدم ذكرهم (فيها) أي في التوراة (ان النفس بالنفس) معناه إذا قتلت نفسا أخرى عمدا فإنه يستحق عليه القود إذا كان القاتل عاقلا مميّزا وكان المقتول مكافئا للقاتل اما بأن يكونا مسلمين حربين او كافرين او مملوكين فأما إذا كان القاتل حرّاً مسلماً والمقتول كافراً او مملوكاً فقي وجوب القصاص هناك خلاف بين الفقهاء وعندنا لا يجب القصاص وبه قال الشافعي وقال الضحاك لم يجعل في التوراة دية في نفس ولا جرح إنما كان المغو أو القصاص (والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن) قال العلماء كل شخصين جرى القصاص بينهما في النفس جرى القصاص بينهما في العين والأنف والأذن والسن وجميع الأطراف إذا تماثلا في السلامة من الشلل وإذا امتنع القصاص في النفس امتنع ايضا في الأطراف (والجروح قصاص) هذا عام في كل ما يمكن ان يقتص فيه مثل الشفتين والذکر والأنثيين واليدين والرجلين وغيرهما ويقتص الجراحات بمثلها الموضحة بالموضحة والمهاشمة بالمهاشمة والمنقلة بالمنقلة (٢) إلا المأمومة والجانفة فإنه لا قصاص فيها وهي التي تبلغ أم الرأس والتي تبلغ الجوف في البدن لأن في القصاص فيما تعزير بالنفس واما ما لا يمكن القصاص

(١) مضي البيت ومعناه في صفحة ٢٧٦ في الجزء الثاني (٢) مضي في صفحة ١٩٦ . من هذا الجزء

(٣) الموضحة وتسمى الواضحة من الشجاج التي يلفت العظم فأوضحت عنه والمهاشمة التي هشمته فثشبت واثشبت وتباين فرائه وهي قشوره التي تكون على العظم دون اللحم والمنقطة بتشديد الفاف وكسرهما التي تنقل العظم اي تكسره

فيه من رضى لحم او فكة عظم او جراحة يخاف منها التلف ففيه اروش مقدرة والقصاص هنا مصدر يراد به
المفعول أي والجروح متقاسة بعضها ببعض وأحكام الجراحات وتفصيل الاروش في الجنابات كثيرة وفروعها
جمة موضحها كتب الفقه (فمن تصدق به) أي بالقصاص الذي وجب له تصدق به على صاحبه بالمغو
واسقطه عنه (فهو) أي التصدق (كفارة له) أي للمتصدق الذي هو المجروح أو ولي الدم هذا قول أكثر
المفسرين وقيل ان معناه فمن عفا فهو مغفرة له عند الله وثواب عظيم عن ابن عمر وابن عباس في رواية عطا
والحسن والشعبي وهو المروي عن ابي عبد الله (ع) قال يكفر عنه من ذنوبه بقدر ما عفا من جراح أو غيره وروى
عبادة بن الصامت ان النبي قال من تصدق من جسده بشي كُفِّرَ اللهُ عنه بقدره من ذنوبه وقيل ان الضمير
في له يعود إلى المتصدق عليه أي كفارة للمتصدق عليه لأنه يقوم مقام اخذ الحق منه عن ابن عباس في
رواية سعيد بن جبير ومجاهد وابراهيم وزيد بن اسلم وعلى هذا فإن الجاني إذا عفا عنه المجني عليه كان
المغو كفارة لذنب الجاني لا يؤخذ به في الآخرة والقول الأول اظهر لأن العائد فيه يرجع إلى مذكور
وهو من وفي القول الثاني يعود إلى مدلول عليه وهو المتصدق عليه يدل عليه قوله فمن تصدق به (ومن لم
يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون) قيل هم اليهود الذين لم يحكموا بما أنزل الله وقيل هو عام في كل من
حكم بخلاف ما أنزل الله فيكون ظالماً لنفسه بارتكاب المعصية الموجبة للمقاب وهذا الوجه يوجب ان يكون
ما تقدم ذكره من الأحكام يجب العمل به في شريعتنا وان كان مكتوباً في التوراة

قوله تعالى (٤٦) وَقَفِينَا عَلَىٰ آثَارِهِمْ بِعَيْسَىٰ بْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآيَاتِنَا
الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ (٤٧) وَلِيَحْكُمَ
أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (آيتان)

﴿ القراءة ﴾

قرأ حمزة وحده وليحكم بكسر اللام ونصب الميم والباقون وليحكم بالجرم وسكون اللام على الأمر

= الحجة =

حجة حمزة انه جعل اللام متعلقاً بقوله وآيتناه الانجيل فإن معناه وأنزلنا عليه الانجيل فصار بمنزلة انزلنا
عليك الكتاب ليحكم وحجة من قرأ بالجرم انه بمنزلة قوله وان احكم بينهم بما أنزل الله فكأمر النبي (ص)
بذلك فكذلك امروا به بالانجيل

﴿ اللغة ﴾

القفا اتباع الأثر يقال قفاه يقفوه والتقفية الاتباع يقال قفيته بكذا أي اتبعته وإنما سميت قافية الشعر
قافية لأنها تتبع الوزن والآثار جمع الأثر وهو العلم الذي يظهر للحس وآثار القوم ما اتقوا من أعمالهم والمأثرة
المكرمة التي يأتونها الخلف عن السلف لأنها علم يظهر فضله للنفس والاثير الكريم على القوم لأنهم يؤثرونه
بالبرومنه الاثر للاختيار فانه اظهر فضل احد العاكين على الآخر وقدمت تفسير الانجيل في اول آل عمران

والوعظ والموعظة هي الزجر عما يكرهه الله إلى ما يحبه والتنبه عليه

الإعراب

قوله بعيسى بن مريم مصدقا نصب مصدقا على الحال وهدي رفع بالابتداء وفيه خبره قدم عليه ونور عطف على هدي ومصدقا لما بين يديه من التوراة نصب على الحال وليس بتكرير لأن الأول حال لعيسى وبيان انه يدعو إلى التصديق بالتوراة والثاني حال الأنجيل وبيان ان فيه ذكر التصديق بالتوراة وهما مختلفان وهو عطف على موضع قوله فيه هدي لأنه نصب على الحال وتقديره آتيناه الانجيل مستقرا فيه هدي ونور ومصدقا وهدي في موضع نصب بالمعطف على مصدقا وموعظة عطف على هدي والتقدير وهاديا وواعظا

* المعنى *

لما قدم تعالى ذكر اليهود أتبعه بذكر النصارى فقال (وقفينا على آثارهم) اي وأتبعنا على آثارهم النبيين الذين اسلموا عن أكثر المفسرين واختاره علي بن عيسى والبلخي وقيل معناه على آثار الذين فرضنا عليهم الحكم الذي مضى ذكره عن الجبائي والأول اجود في العربية واوضح في المعنى (بعيسى بن مريم) اي بعشاه رسولا من بعدهم (مصدقا لما بين يديه) اي لما مضى من التوراة التي انزلت على موسى صدق بها وآمن بها وانما قال لما مضى قبله لما بين يديه لأنه اذا كان يأتي بعده خلفه فالذي مضى قبله يكون قد آمله وبين يديه (وآتيناه) اي واعطينا عيسى الكتاب المسمى الانجيل والمعنى وانزلنا عليه (الانجيل فيه) يعني في الانجيل (هدى) اي بيان وحجة ودلائل له على الأحكام (ونور) ساء نوراً لأنه يهتدي به كما يهتدي بالنور (مصدقا لما بين يديه من التوراة) يعني الانجيل يصدق بالتوراة لأن فيه ان التوراة حق وقيل معناه انه تضمن وجوب العمل بالتوراة وانه لم تنسخ وقيل معناه انه أتى على النحو الذي وصف في التوراة (وهدي) اي ودلالة وارشاداً ومعناه وهادياً وارشاداً (وموعظة) اي وواعظاً (للمتقين) يزجرهم عن المعاصي ويدعوهم الى الطاعة وانما خص المتقين بالذكر لأنهم اقتصروا بالانتفاع به والا فإنه هدى لجميع الخلق (ولبحكم اهل الانجيل) هذا أمر لهم وقيل في معناه قولان * احدهما * ان تقديره وقلنا لبحكم اهل الانجيل فيكون على حكاية ما فرض عليهم وحذف القول لدلالة ما قبله عليه من قوله وقفينا كما قال تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم اي يقولون سلام عليكم * والثاني * انه تعالى استأنف امر اهل الانجيل على غير الحكاية لأن احكامه كانت حينئذ موافقة لأحكام القرآن لم تنسخ بعد عن ابي علي الجبائي والقول الأول اقوى وهو اختيار علي ابن عيسى (بما انزل الله فيه) اي في الانجيل (ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الفاسقون) قيل ان من هاهنا بمعنى الذي وهو خبر عن قوم معروفين وهم اليهود الذين تقدم ذكرهم عن الجبائي وقيل ان من الجزء اي من لم يحكم من المكلفين بما انزل الله فهو فاسق لأن هذا الاطلاق يدل على ان المراد من ذهب الى ان الحكمة في خلاف ما امر الله به فلماذا قال فيما قبل فأولئك هم الكافرون فيكون معنى الفاسقين الخارجين عن الدين وجعلوا الكفر والظلم والفسق صفة لموصوف واحد وقيل ان الأول في الجاحد والثاني والثالث في المقر التارك

قوله تعالى (٤٨) وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَاوِلُونَ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (آية)

* اللفظة *

اصل مهيمن مؤين فقلبت الهمزة هاء كما قبل في اרכת الماء هرقت وقد صرف فقيل هيمن الرجل اذا ارتقب وحفظ وشهد يُهيمن هيمنة فهو مهيمن وعلى هذا فيكون وزنه مفعيل مثل مسيطر وميطر وقال الأزهري كان في الأصل ايمن يؤين كما ان الأصل في يفعل يوفعل فلي هذا يكون على وزن مؤفعل فقلبت الهمزة هاء وروى في الشواذ مهيمنا بفتح الميم عن مجاهد والشرعة والشرية واحدة وهي الطريقة الظاهرة والشرية هي الطريقة التي توصل منه الى الماء الذي فيه الحياة فقيل الشرية في الدين للطريق الذي توصل منه الى الحياة في النعيم وهي الأمور التي يبعد الله بها من جهة السمع قال الشاعر:

اتنسوني يوم الشريعة والقنا
بصفيين من لباتكم تتكسر^(١)

يريد شريعة الفرات والأصل فيه الظهور ويقال اشرفت القنا اذا أظهرت وشرعت في الأمر شرعاً اذا دخلت فيه دخولاً ظاهراً والناس فيه شرعاً اي متساوون والمنهاج الطريق المستمر يقال طريق نهج ومنهج اي بين قال الراجز:

من يك ذاشك فهذا فلج
ماء رواء وطريق نهج^(٢)

وقال المبرد الشرعة ابتداء الطريق والمنهاج الطريق المستقيم قال وهذه الألفاظ اذا تكررت فلزيادة فائدة فيه ومنه قول الخطيب « وهند أتى من دونها النأي والبعد » قال والنأي لما قل بعده وقد جاء بمعنى واحد قال عنترة

حييت من ظلل تقادم عهده
أقوى وأقفر بعد أم الهيثم^(٣)

وأقوى واقفر بمعنى واحد يقال نهجت لك الطريق وانهجته فهو منهج ومنهج ونهج الطريق وانهج اذا وضع والاستباق يكون بين اثنين فصاعداً يجتهد كل منهم ان يستبق غيره قال تعالى واستبقا الباب يعني يوسف وصاحبه تبادرا الى الباب

* الإعراب *

مصدقا حال من الكتاب ومبهنا كذلك وقيل انه حال من الكاف الذي هو خطاب للنبي (ص) والأول اقوى لأن حرف العطف لأنه قال وانزلنا اليك الكتاب مصدقا ومهيمنا ولا يجوز ان يعطف حال على حال لتغير الأول لا تقول ضربت هنداً زيدا قاعداً وقائمة ولو قلت قائمة بغير واو لجاز ويجوز ان يكون عطفاً على مصدقا ويكون مصدقا حالاً للنبي والأول أظهر

* المعنى *

لما بين تعالى نبوة موسى وعيسى عقب ذلك ببيان نبوة محمد (ص) احتجاجاً على اليهود والنصارى بأن طريقته كطريقتهم في الوحي والمعجز فقال (وانزلنا اليك) يا محمد (الكتاب) يعني القرآن (بالحق) اي بالعدل (مصدقا) لما بين يديه من الكتاب) يعني التوراة والإنجيل وما فيها من توحيد الله وعدله والدلالة على نبوته والحكم بالرجم والقود على ما تقدم ذكره وقيل المراد بالكتاب الكتب المنزلة على الأنبياء ومعنى الكتاب المكتوب كقولهم هذه الدرهم ضرب الأمير اي مضروبه عن ابي مسلم (ومهيمنا عليه) معناه وأميننا عليه شاهداً بأنه الحق عن ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد وقيل مؤتمناً عن سعيد بن جبيرة وابي عبيدة وابن جريج وهو قريب من الأول قال ابن جريج أمانة القرآن أت ما اخبر به الكتب ان كان موافقاً للقرآن يجب التصديق به والا

(١) القنا جمع الصاة: الرمح . اللبات جمع اللبة: وسط الصدر والنمر (٢) الفلج: المنهر الصغير . ماء رواء اي عذب
(٣) اللال: الموضع المرتفع . تقادم بمعنى قدم ضد حدث . أقوى المكان: ضله من الأهل وكذا اقفر.

فلا وقيل معناه وحافظا ورقيا عليه عن الحسن وابي عبيدة قالوا وفيه دلالة على ان ما حكى الله انه كتبه عليهم في التوراة يلزمنا العمل به لانه جعل القرآن مصدقا لذلك وشاهداً به (فاحكم بينهم بما انزل الله) يعني بين اليهود بالقرآن في الرجم على الزانين عن ابن عباس قال اذا ترفع اهل الكتاب الى الحكم يجب ان يحكموا بينهم بحكم القرآن وشرعة الاسلام لانه امر من الله بالحكم بينهم والا امر يقضي الايجاب وبه قال الحسن ومسروق قال الجبائي وهذا نسخ للتخير في الحكم بين اهل الكتاب او الاعراض عنهم والترك (ولا تتبع اهواءهم) يريد فيما حوزوا وبدلوا من امر الرجم عن ابن عباس (عما جاءك من الحق) ويجوز ان يكون عن من صلة معنى لا تتبع اهواءهم لان معناه لا تزغ فكانه قال لا تزغ عما جاءك باتباع اهوائهم ومتى قيل كيف يجوز ان يتبع النبي اهواءهم مع كونه معصوماً فالجواب ان النبي يجوز ان يرد عما يعلم انه لا يفعله ويجوز ان يكون الخطاب له والمراد جميع الحكماء (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) الخطاب للامة الثلاث امة موسى وامة عيسى وامة محمد ولا يعني به قوم كل نبي الا ترى ان ذكر هؤلاء قد تقدم في قوله انا انزلنا التوراة الاية ثم قال وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم قال وانزلنا اليك الكتاب ثم قال لكل جعلنا منكم شرعة فغلب المخاطب على الغائب شرعة اي شرعة فالتوراة شرعة وللانجيل شرعة وللقرآن شرعة عن قتادة وجماعة من المفسرين وفي هذا دلالة على جواز النسخ وعلى ان نبينا كان متعبداً بشرعته فقط وكذلك ائمة وقيل الخطاب لامة نبينا (ص) عن مجاهد والاول اقوى لانه سبحانه بين ان لكل نبي شرعة ومنهاجا اي سبيلا واضحا غير شرعة صاحبه وطريقته وبقوي ذلك قوله (ولو شاء الله لجمعكم على ملة واحدة) في دعوة جميع الانبياء لا تبدل شرعة منها ولا تنسخ عن ابن عباس وقيل اراد به مشيئة القدرة اي لو شاء الله لجمعكم على الحق كما قال ولو شئنا لا تينا كل نفس هداها عن الحسن وقيادة (ولكن ليلوكم) اي ولكن جعلكم على شرائع مختلفة ليمتحنكم (فيا اناكم) اي فيما فرضه عليكم وشرعه لكم وقيل فيما اعطاكم من السنن والكتاب وقال الحسين بن علي المغربي المعنى لو شاء الله لم يبعث اليكم نبيا فتكونون متعبدين بما في العقل وتكونون امة واحدة ولكن ليختبركم فيما كلفكم من العبادات وهو عالم بما يؤول اليه امركم (فاستقروا الخيرات) اي بادروا فوات الحظ بالتقدم في الخير وقيل معناه بادروا الفوت بالموت والعجزو بادروا الى ما امرتكم به فاني لا امركم الا بالصلاح عن الجبائي وقيل معناه سابقوا الامم الماضية الى الطاعات والاعمال الصالحة عن الكلبي وفي هذا دلالة على وجوب المبادرة الى افعال الخيرات ويكون محمولا على الواجبات ومن قال ان الامر على الندب حمل على جميع الطاعات (الى الله مرجعكم) اي مصيركم (جميعا فينبئكم) فيخبركم (بما كنتم فيه تختلفون) من امر دينكم ثم يجازيكم على حسب استحقاقكم

قوله تعالى (٤٩) **وَأَن أَحْكُمُ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَأَحْذَرُوا أَن يَفْتِنُوكَ**
عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِن كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ (٥٠) أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِّنَ اللَّهِ حُكْمًا
لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (آيتان)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن عامر وحده مبتغون بالتاء والباقون بالياء وروي في الشواذ قراءة يحيى بن يعمر وابراهيم النخعي
أفحكم الجاهلية يبغون برفع الميم وقراءة الأعمش أفحكم الجاهلية بفتح الحاء والكاف والميم

﴿ الحجة ﴾

من قرأ يبغون بالياء فلأن ما قبله غيبة وان كثيرا من الناس لفاسقون ومن قرأ بالتاء فلي تقدير قل
لهم يا محمد افحكم الجاهلية تبغون ومن قرأ افحكم الجاهلية فلي نحو ما جاء في الشعر

قَدْ أَصْبَحَتْ أُمَّ الْخِيَارِ تَدْعِي عَلِيَّ ذَنْبًا كُلَّهُ لَمْ أَصْنَعْ

اي لم أصنعه فيكون التقدير افحكم الجاهلية يبغونه فحذف المائد من الخبر كما يحذف من الصفة والحال
في قولهم الناس رجلان رجل أكرمته ورجل أهنته ورجل أكرمته وأهنته ومررت بهند يضرب زيد أي يضرب بها
زيد وقوله افحكم الجاهلية فيكون بمعنى الشيعاء اي فحكم الجاهلية يبغون وجاز ان يقع المضاف جنسا كما جاء
عنهم من قولهم منعت العراق قفيزها ودرهمها ثم يرجع المعنى الى قوله افحكم الجاهلية لأنه ليس المراد هنا نفس
الحكمه فهو اذا على حذف المضاف والمراد افحكم حكم الجاهلية يبغون

﴿ الاعراب ﴾

موضع ان احكم نصب بالمعطف على الكتاب والتقدير انزلنا اليك الكتاب وان احكم بينهم بما انزل الله
ووصلت ان بالأمر وان كان لا يجوز صلة الذي بالأمر لأن الذي اسم ناقص تجري صلتة في البيان عنه
مجرى الصفة في بيان النكرة ولذلك لا بد لها من عائد يعود اليها كما ان الصفة لا بد لها من عائد يعود منها الى الموصوف
وليس كذلك ان لها حرف وهي مع ما بعدها بمنزلة شيء واحد فلما كان في فعل الأمر معنى المصدر جاز وصل
الحرف به على معنى مصدره وحكم نصب لأنه مفعول يبغون وحكما نصب على التمييز

﴿ المعنى ﴾

(وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع أهواءهم) انا كرر سبحانه الأمر بالحكم بينهم لأمرين ﴿ احدها ﴾
انها حكمان امر بهما جميعا لأنهم احتكموا اليه في الزنا المحصن ثم احتكموا اليه في قتل كان بينهم عن
الجبائي وجماعة من المفسرين وهو المروي عن ابي جعفر (ع) ﴿ والثاني ﴾ ان الأمر الأول مطلق والثاني
يدل على انه منزل واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك قيل فيه قولان ﴿ احدها ﴾ ان معناه احذرهم
ان يضلوك عن ذلك الى ما يهوون من الاحكام بأن يطعموك منهم في الاجابة الى الاسلام عن ابن عباس
﴿ والثاني ﴾ ان معناه احذرهم ان يضلوك بالكذب على التوراة لانه ليس كذلك الحكم فيها فإنني قد
بينت لك حكمها عن ابن زيد وفي هذه الآية دلالة على وجوب مجانبة اهل البدع والضلال وذوي الاهواء وترك
مخالطتهم (فإن تولوا) اي فإن اعرضوا عن حكمك بما انزل الله (فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم)
قيل في معناه اقوال - احدها - ان معناه فاعلم يا محمد انما يريد الله ان يعاقبهم ببعض اجرامهم ، ذكر البعض
والمراد به الكل كما يذكر العموم ويراد به المخصوص عن الجبائي - والثاني - انه ذكر البعض تغليظا
للعقاب والمراد انه يكفي ان يؤخذوا ببعض ذنوبهم في اهلاكهم والندمير عليهم (والثالث) انه اراد تعجيل بعض
العقاب بما كان من التمرد في الاجرام لأن عذاب الدنيا يختص ببعض الذنوب دون بعض وعذاب الآخرة

يعم وقيل المراد بذلك اجلاء بني النضير لأن علماءهم لما كفروا وكتبوا الحق عوقبوا بالجللاء عن الحسن وقيل المراد بنو قريظة لما تنصوا المهديوم الاحزاب عوقبوا بالقتل (وان كثيرا من الناس لفاسقون) هذا تسلية للنبي (ص) عن امتناع القوم من الاقرار ببئوته والانسراع إلى إجابته بأن اهل الايمان قليل واهل الفسق كثير فلا ينبغي ان يعظم عليك ذلك ثم انكر عليهم فعلهم فقال (افحكم الجاهلية يبنون) والمراد به اليهود عن مجاهد واختاره الجبائي قال لأنهم كانوا اذا وجب الحكم على ضعفائهم الزمواهم اياه واذا وجب على اقويائهم واشرافهم لم يواخذوهم به فقبل لهم افحكم الجاهلية اي عبدة الأوثان تطلبون وانتم اهل الكتاب وقيل المراد به كل من طلب غير حكم الله فإنه يخرج منه الى حكم الجاهلية وكفى بذلك أن يحكم بما يوجهه الجهل دون ما يوجهه العلم (ومن احسن من الله حكما) اي لا أحد حكمه احسن من حكم الله (لقوم يوقنون) اي عند قوم اقيمت اللام مقام عند عن الجبائي وهذا جائز اذا تقاربت المعاني وارتفع اللبس فاذا قبل الحكم لهم فلا أنهم يستحسنونه واذا قبل عندهم فلا أن عندهم العلم بصحته

قوله تعالى (٥١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥٢) فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ (٥٣) وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهْلَؤَالَاءَ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ (ثلاث آيات)

- القراءة -

قرأ ابن عامر وابن كثير ونافع يقول بلا واو والباقون بالواو وكلهم قرأ بضم اللام الا ابا عمرو فإنه

- الحجة -

فتحها
من حذف الواو من قوله ويقول الذين آمنوا فلا أن في الجملة المعطوفة ذكر من المعطوف عليها وذلك ان من وصف بقوله يسارعون الى قوله نادمين هم الذين قال فيهم الذين آمنوا أهولاء الذين أقسموا بالله جهداً بيمانهم انهم لمعكم فلما صار في كل واحدة من الجملتين ذكر من الأخرى حسن عطفها بالواو وبغير الواو كما ان قوله سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم لما كان في كل واحدة من الجملتين ذكر مما تقدم اكتفى بذلك عن الواو لأنها بالذکر وملابسة بعضها ببعض قد ترتبط احداها بالأخرى كما ترتبط بحرف العطف ويدللك على حسن دخول الواو قوله تعالى وثامنهم كلبهم فحذف الواو من يقول كحذفها في هذه الآية والحاقها كالحاقها فيها والوجه في قراءة ابي عمرو ويقول بالنصب ان يحمله على ان تكون ان يأتي بدلا من اسم الله كما كان ان ذكره بدلا من الهاء في انسانيه من قوله وما انسانيه الا الشيطان ان اذ كره ثم يكون ويقول منصوبا عطف على ذلك فكأنه قال عسى ان يأتي الله بالفتح ويقول الذين آمنوا من رفع فحجته ان يعطف جملة على جملة لا مفردا على مفرد

❖ التمه ❖

الاتخاذ هو الاعتماد على الشيء لإعداده لا أمره وهو افعال من الأخذ وأصله اتخاذ فابدلت الهمزة تاء وادغمتها في التاء التي بعدها ومثله الاتعاد من الوعد والأخذ يكون على وجوه تقول أخذ الكتاب اذا تناوله

وأخذ القربان إذا تقبله وأخذه الله من مأمته إذا أهلكه وأصله جواز الشيء من جهة إلى جهة من الجهات والأولياء جمع ولي وهو النصير لأنه يلي بالنصر صاحبه والدائرة ههنا الدولة التي تتحول إلى من كانت له عن يده قال حميداً لا رقط
 كُنْتُ حَسِبْتُ الْخُنْدَقَ الْمَحْفُورَا
 يَرِدُ عَنْكَ الْقَدَرُ الْمَقْدُورَا
 وَدَائِرَاتِ الدَّهْرِ أَنْ تَدُورَا

يعني دول الدهر الدائرة من قوم إلى قوم وعسى موضوعة للشك وهي من الله تعالى تفيد الوجوب لأن الكرم إذا أطعم في خير يفعله فهو بمنزلة الوعد به في تعلق النفس به ورجائها له و لذلك حق لا يضيع ومنزلة لا تحيب والفتح القضا والفصل ويقال للحاكم الفتح لأنه يفتح الحكم ويفصل به الأمر

﴿ النزول ﴾

اختلف في سبب نزولها وان كان حكمه عاماً لجميع المؤمنين فقال عطية بن سعد العوفي والزهري لما نهزم أهل بدر قال المسلمون لأوليائهم من اليهود آمنوا قبل أن يصيبكم الله بيوم مثل يوم بدر فقال مالك بن خفيف اغترم أن أصبتم رهطاً من قريش لا علم لهم بالقتال أما لو أمرونا العزيمة أن نستجمع عليكم لم يكن لكم يدان بقتالنا فجاه عبادة بن الصامت الخزرجي إلى رسول الله (ص) فقال يا رسول الله إن لي أولياء من اليهود كثيراً عددم قوية أنفسهم شديدة شوكتهم وإني أبرأ إلى الله ورسوله من ولايتهم ولا مولى لي إلا الله ورسوله فقال عبد الله بن أبي لكتني لا أبرأ من ولاية اليهود لأنني أخاف الدوائر ولا بدلي منهم فقال رسول الله (ص) يا أبا الجباب ما نفست به من ولاية اليهود على عبادة بن الصامت فهو لك دونه قال إذا أقبل وانزل الله الآية وقال السدي لما كانت وقعة أحد اشتدت على طائفة من الناس فقال رجل من المسلمين أنا ألحق بفلان اليهودي وأخذ منه أماناً وقال آخر أنا ألحق بفلان النصراني ببعض أرض الشام فأخذ منه أماناً فنزلت الآية وقال عكرمة نزلت في أبي لبابة بن عبد المنذر حين قال لبني قريظة إذا رضوا بحكم سعد الذبيح

﴿ المعنى ﴾

لما تقدم ذكر اليهود والنصارى أمر سبحانه عقيب ذلك بقطع موالاتهم والتبرء منهم فقال (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء) أي لا تعتمدوا على الاستنصار بهم متوددين إليهم وخص اليهود والنصارى بالذكر لأن سائر الكفار بمنزلة في وجوب معاداتهم (بعضهم أولياء بعض) ابتداءً كلام أخبر سبحانه أن بعض الكفار ولي بعض في العون والنصرة ويدم واحدة على المسلمين وفي هذه دلالة على أن الكفر كله كالملة الواحدة في أحكام الموارث لمعوم قوله بعضهم أولياء بعض وقال الصادق لا تتوارث أهل ملتين ونحن نرثهم ولا يورثونا (ومن يتولهم منكم) أي من استنصر بهم واتخذهم أنصاراً (فإنه منهم) أي هو كافر مثلهم عن ابن عباس والمعنى أنه محكوم له حكمهم في وجوب لئنه والبراءة منه وأنه من أهل النار (إن الله لا يهدي القوم الظالمين) إلى طريق الجنة لكفرهم واستحقاقهم العذاب الدائم بل يضلهم عنها إلى طريق النار عن أبي علي الجبائي وقيل معناه لا يحكم لهم بحكم المؤمنين في المدح والثناء والنصرة على الأعداء (خرى) يا محمد (الذين في قلوبهم مرض) أي شك ونفاق يعني عبد الله بن أبي عن ابن عباس (يسارعون فيهم) أي في موالاتهم ومناصحتهم وقيل في معاوتهم على المسلمين وقيل موالاتهم اليهود والنصارى نجران لأنهم كانوا يميرونهم عن الكلي (يقولون) أي قائلين وهو في موضع الحال (نخشى أن تصيبنا دائرة) أي

دولة تدور لأعداء المسلمين على المسلمين فنحتاج الى نصرتهم عن مجاهد والسدي وقيل معناه نخشى ان يدور الدهر علينا بمكروه سنون الجذب فلا يمرونا عن الكلبى (فسى الله ان يأتي بالفتح) يعني فتح مكة عن السدي وقيل بفتح بلاد المشركين عن الجبائي وقيل المراد بالقضاء الفصل عن قتادة ويجمع هذه الأقوال قول ابن عباس يريد بفتح الله تعالى لمحمد (ص على جميع خلقه) (وأمر من عنده) فيه اعزاز للمؤمنين واذلال للمشركين وظهور الإسلام عن السدي وقيل هو إظهار نفاق المناقين مع الأمر بقنابلهم عن الحسن والزجاج وقيل هو أمر دون الفتح الاعظم أو موت هذا المنافق عن الجبائي وقيل هو القتل وسبي الدراري لبني قريظة والإجلاء لبني النضير عن مقاتل وهذا معنى قول ابن عباس أو أمر من عنده يريد فيه هلاكهم وهو يحتل هلاك اليهود وهلاك المنافقين (فيصبحوا على ما أسروا في انفسهم نادمين) أي فيصبح اهل النفاق على ما كان منهم من نفاقهم وزلايتهم لليهود ودس الاخبار اليهم نادمين عن ابن عباس وفتادة والمعنى اذا فتح الله على المؤمنين ندم المنافقون والكفار على نفويتهم انفسهم ذلك وكذلك اذا ماتوا وتحققوا دخول النار ندموا على ما فعلوه في الدنيا من الكفر والنفاق (ويقول الذين آمنوا) أي صدقوا الله ورسوله ظاهراً وباطناً تعجباً من نفاق المناقين واجترائهم على الله بالآيمان الكاذبة (أهل الأيمان الذين اقساموا بالله) يعني المناقين حلفوا بالله (جهد آيمانهم) انتصب جهد لأنه مصدر أي جهدوا جهد آيمانهم قال عطاء أي حلفوا بأغلاظ الآيمان وأوكدها أنهم مؤمنون ومحم في معاوتكم على اعدائكم ونصرتكم يريد أنهم حلفوا انهم لا مثالكم في الآيمان (حبطت اعمالهم) أي ضاعت اعمالهم التي عملوها لانهم اوقعوها على خلاف الوجه المأمور به وبطل ما اظهروه من الآيمان لأنه لم يوافق باطنهم ظاهرهم فلم يستحقوا به الثواب (فأصبحوا) أي صاروا (خاسرين) أي خسروا الدنيا والآخرة اما الدنيا فليسوا من الأنصار واما الآخرة فقرنهم الله مع الكفار عن ابن عباس وقيل مضونين بانفسهم ومنازلهم في الجنة اذا صاروا الى النار وورثها المؤمنون عن الكلبى

قوله تعالى (٥٤) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابو جعفر ونافع وابن عامر يرتد بدل اللين والباقون بدال واحدة مشددة

﴿ الحجة ﴾

حجة من أدغم انه لما اسكن الحرف الأول ليدغمه في الثاني وكان الثاني ساكناً حرك المدغم فيه لانتقاء الساكنين وهذه لفظة بني تميم وحجة من أظهر ان الحرف المدغم لا يكون إلا ساكناً والمدغم اذا كان ساكناً والمدغم فيه كذلك التقي ساكنان والتقاء الساكنين في هذا التحوليس من كلامهم فأظهر الحرف الأول وحركه واسكن الثاني من المثلين وهذه لفظة اهل الحجاز

﴿ اللفظة ﴾

الذلل بكسر الذال ضد الصعوبة وبضمها ضد العز يقال ذلول بين الذل من قوم اذلة وذليل بين الذل من

قوم أذلاء والأول من اللين والالتقياد والثاني من الهوان والاستخفاف والعزة الشدة يقال عززت فلان على أمره أي غلبته عليه والعزاز الأرض الصلبة وعزيم الشيء إذا لم يقدر عليه وأصل الباب الامتناع

﴿ المعنى ﴾

لما بين تعالى حال المنافقين وأنهم يتربصون الدوائر بالمؤمنين وعلم ان قوما منهم يرتدون بعد وفاته أعلم ان ذلك كائن وإنهم لا يتألون أمانتهم والله ينصر دينه بقوم لهم صفات مخصوصة تميزوا بها من بين العالمين فقال (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه) أي من يرجع منكم أي من جعلكم إلى الكفر بعد اظهار الإيمان فلن ينصر دين الله شيئاً فإن الله لا يخلي دينه من انصار يحمونه (فسوف يأتي الله قوم يحبهم ويحبونه) أي يحبهم الله ويحبون الله (أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين) أي رحاء على المؤمنين غلاظ شدا على الكافرين وهو من الذل الذي هو اللين لا من الذل الذي هو الهوان قال ابن عباس تراهم للمؤمنين كأولاد لوالدهم وكالعبد لسيدهم وهم في الغلظة على الكافرين كالسبع على فرسته يجاهدون في سبيل الله بالقتال لا لإعلاء كلمة الله واعزاز دينه (ولا يخافون لومة لائم) فيما يتون من الجهاد والطاعات واختلف فيمن وصف بهذه الأوصاف منهم قبيلهم أبو بكر وأصحابه الذين قاتلوا أهل الردة عن الحسن وقتادة والضحاك وقيل هم الانصار عن السدي وقيل هم أهل اليمن عن مجاهد قال قال رسول الله أنا كم أهل اليمن هم الذين قلوبها وارتق افئدة الإيمان يمان والحكمة يمانية وقال عياض بن غنم الأشعري لما نزلت هذه الآية أو ما رسول الله إلى أبي موسى الأشعري فقال هم قوم هذا وقيل انهم الفرس وروى ان النبي (ص) سئل عن هذه الآية فضرب يده على عاتق سلمان فقال هذا وذووه ثم قال لو كان الدين معلقاً بالثبات تناوله رجال من ابناء فارس وقيل هم أمير المؤمنين علي (ع) واصحابه حين قاتل من الناكثين والقاسطين والمارقين وروى ذلك عن عمار وحذيفة وابن عباس وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله (ع) ويؤيد هذا القول ان النبي وصفه بهذه الصفات المذكورة في الآية فقال فيه وقد ندبه لفتح خيبر بعد ان رد عنها حامل الرأفة اليه مرة بعد أخرى وهو يحب الناس ويحبونونه لأعطين الرأفة غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كرا غير فرأ لا يرجع حتى يفتح الله على يده ثم اعطاها اياه فأما الوصف باللين على أهل الإيمان والشدة على الكفار والجهاد في سبيل الله مع أنه لا يخاف فيه لومة لائم فمما لا يمكن أحداً دفع علي عن استحقاق ذلك لما ظهر من شدته على أهل الشرك والكفر ونكايته فيهم ومقاماته المشهورة في تشييد الملة ونصرة الدين والرأفة بالمؤمنين ويؤيد ذلك أيضاً ان رسول الله (ص) قريشاً بقتال علي لهم من بعده حيث جاء سهل بن عمرو في جماعة منهم فقالوا له يا محمد إن أرقاءنا لحقوا بك فارددهم علينا فقال رسول الله لتنتهين يا معاشر قريش أو لبيثن الله عليكم رجلاً يضربكم على تأويل القرآن كما ضربتكم على تنزيله فقال له بعض اصحابه من هو يا رسول الله أبو بكر قال لا ولكنه خاصف النمل في الحجر وكان علي يخصف نمل رسول الله (ص) وروى عن علي انه قال يوم البصرة والله ما قوتل أهل هذه الآفة حتى اليوم وتلا هذه الآية وروى ابو اسحاق الثعلبي في تفسيره بالاسناد عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن ابي هريرة ان رسول الله قال يرد علي قوم من اصحابي يوم القيامة فيجلون عن الحوض (ص) فأقول يا رب اصحابي اصحابي فيقال انك لا علم لك بما حدثوا من بعدك انهم ارتدوا على ادبارهم القهقري وقيل ان الآية عامة في كل من استجمع هذه الخصال إلى يوم القيامة وذكر علي بن ابراهيم بن هاشم انها نزلت في مهدي الامة واصحابه واولها خطاب لمن ظلم آل محمد وقتلهم وغصبهم حتهم ويمكن ان ينصر هذا القول

بأن قوله تعالى فسوف يأتي الله بقوم يؤمنون ان يكون ذلك القوم غير موجودين في وقت نزول الخطاب فهو يتناول من يكون بعدهم بهذه الصفة إلى قيام الساعة (ذلك فضل الله) أي محبتهم لله ولين جانبهم للمؤمنين وشدتهم على الكافرين بفضل من الله وتوفيقه ولطف منه ومنته من جهته (يوثيه من يشاء) أي يعطيه من يعلم انه محل له (والله واسع) أي جواد لا يخاف نفاذ ما عنده (عليهم) بموضع جوده وعطائه فلا يبذله إلا لمن تقتضي الحكمة اعطائه وقيل معناه واسع الرحمة عليهم بمن يكون من اهلها

قوله تعالى (٥٥) إنا وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتوا الزكاة وهم راكعون (٥٦) ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون (آياتان)

✽ اللفظة ✽

الولي هو الذي يلي النصرة والمعونة والولي هو الذي يلي تدبير الامر يقال فلان ولي المرأة اذا كان يملك تدبير نكاحها وولي الدم من كان اليه المطالبة بالقود والسلطان ولي امر الرعية يقال لمن يرشحه لخلافته عليهم بعده ولي عهد المسلمين قال الكعبيت يمدح علياً

وَنِعْمَ وَلِيُّ الْأَمْرِ بَعْدَ وَليِهِ وَمَتَّجِعُ التَّقْوَى وَنِعْمَ الْمُوَدَّبُ (٢)

ويروي الفتوى وإنا اراد ولي الامر والقائم بتدبيره قال المبرد في كتاب البارة عن صفات الله اصل الولي الذي هو اولي اي احق ومثله المولى والر كوع هو التعاطف المخصوص قال الخليل كل شيء ينكب لوجه نفسه ركبته الارض اولايس بعد ان يطأطي رأسه فهو راكع وانشد لبيد

أَخْبَرَ أَخْبَارَ الْقُرُونِ الَّتِي مَضَتْ أَدَبُ كَأَنِّي كُلَّمَا قُمْتُ رَاكِعٌ

وقال ابن دريد الراكع الذي يكبو على وجهه ومنه الركوع في الصلاة قال الشاعر

وَأَقْلَيْتَ حَاجِبَ فَوْقَ الْعَوَالِي عَلَى شَقَا تَرَكَعَ فِي الطَّرَابِ (٣)

وقد يوصف الخاضع بأنه راكع على سبيل التشبيه والمجاز لما يستعمله من النظام والتعاطف وعلى ذلك قول الشاعر

لَا تُهِنَنَّ الْفَقِيرَ عَلَّكَ أَنْ تَرَكَعَ يَوْمًا وَالذَّهْرَ قَدْ رَفَعَهُ

والحزب الطائفة والجماعة واصله من قولهم حزبه الامر يميزه إذا ناب عنه وكل قوم تشابهت قلوبهم واعمالهم فهم احزاب وتحزب القوم إذا اجتمعوا وجماع حزبية مجتمع الخلق غليظ

✽ الاعراب ✽

لفظة إنا مخصصة لما اثبت بعده نافية لما لم يثبت يقول القائل لغيره إنا لك عندي درهم فيكون مثل ان يقول انه ليس لك عندي إلا درهم وقالوا إنا السخا حاتم يريدون نفي السخا عن غيره والتقدير إنا السخا سخاء حاتم فعذف المضاف والمفهوم من قول القائل إنا أكلت رغيفا وإنا لقيت اليوم زيدا نفي أكل أكثر من رغيف ونفي لقا غير زيد وقال الاعشى

وَلَسْتُ بِالْأَكْثَرِ مِنْهُمْ حِصَى وَأَنَا الْعِزَّةُ لِلْكَائِرِ

أراد نفي العزة عن ليس بكثير وقوله وهم راكعون جملة في موضع الصب على الحال من يوتون أي يوتون الزكاة راكعين كما يقال الجواد من يجود بماله وهو ضاحك وموضع من رفعه بالابتداء وفي يتول ضمير

(١) رجع للاس : ربي ل : واهل يقال برشح خلفه إذا جعل له عهد
(٢) المنتجع : الموضع يقصده الناس (٣) الشقاء مؤنث الاشق : الفرس الطويل. العراب جمع الظرب : الراية الصغيرة وهي التل .

يعود الى مَنْ وهو مجزوم بالشرط وموضع الفاء مع ما بعده جزم لما في ذلك من معنى الجزاء لأن تقديره فهو غالب وفي مَنْ معنى إن فلهذا جزم الفعل المضارع ومعنى هذا الحرف الذي في من مع الشرط والجزاء في موضع رفع بكونه خبر المبتدأ

✽ النزول ✽

حدثنا السيد ابو الحمد مهدي بن نزار الحسيني القابني قال حدثنا الحاكم ابو القاسم الحسكاني (ره) قال حدثني ابو الحسن محمد بن القاسم الفقيه الصيدلاني قال اخبرنا ابو محمد عبد الله بن محمد الشمراني قال حدثنا ابو علي احمد بن علي بن رزين البياشاني قال حدثني المظفر بن الحسين الانصاري قال حدثنا السندي بن علي الوراق قال حدثنا يحيى بن عبد الحميد الحماني عن قيس بن الربيع عن الأعمش عن عباية بن ربيعي قال بينا عبد الله بن عباس جالس على شفير زمزم يقول قال رسول الله (ص) اذا قبل رجل متعمم بعمامة فجعل ابن عباس لا يقول قال رسول الله الا قال الرجل قال رسول الله فقال ابن عباس سألتك بالله من انت فكشف العمامة عن وجهه وقال يا أيها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا عرفه بنفسي انا جندب بن جنادة البديري ابو ذر الغفاري سمعت رسول الله (ص) بهاتين والافصمتا ورأيت بهاتين والأفصيتا يقول علي قائد البررة وقاتل الكفرة منصور من نصره مخذول من خذله اما اني صليت مع رسول الله (ص) يوماً من الأيام صلاة الظهر فسأل سائل في المسجد فلم يعطه أحد شيئاً فرفع السائل يده الى السماء وقال اللهم اشهد اني سألت في مسجد رسول الله فلم يعطني أحد شيئاً وكان علي راعياً فأوماً بخصره اليمنى اليه وكان يتختم فيها فأقبل السائل حتى أخذ الخاتم من خصره وذلك بعين رسول الله (ص) فلما فرغ النبي (ص) من صلواته رفع رأسه الى السماء وقال اللهم ان أخي موسى سألك فقال رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي أشدد به أزري وأسركه في أمري فأنزلت عليه قرآناً ناطقاً سنشد عضدك بأخيك ونجعل لك سلطاناً فلا يصلون اليك اللهم وأنا محمد نبيك وصدقك اللهم فأشرح لي صدري ويسر لي أمري واجعل لي وزيراً من أهلي علياً أشدد به ظهري قال ابو ذر فوالله ما استتم رسول الله الكلمة حتى نزل عليه جبرائيل من عند الله فقال يا محمد اقرأ قال وما اقرأ قال اقرأ إنسا وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الآية وروى هذا الخبر ابو اسحاق الثعلبي في تفسيره بهذا الإسناد بينه وروى ابو بكر الرازي في كتاب احكام القرآن على ما حكاه المغربي عنه والرماني والطبري أنها نزلت في علي حين تصدق بخاتمه وهو راعٍ وهو قول مجاهد والسدي والرووي عن ابي جعفر (ع) وابي عبد الله (ع) وجميع علماء أهل البيت وقال الكلبي نزلت في عبد الله بن سلام وأصحابه لما أسلموا فقطعت اليهود موالاتهم فنزلت الآية وفي رواية عطا قال عبد الله بن سلام يا رسول الله انا رأيت علياً تصدق بخاتمه وهو راعٍ فنحن نتولاه وقد رواه لنا السيد ابو الحمد عن ابي القاسم الحسكاني بالإسناد المتصل المرفوع الى ابي صالح عن ابن عباس قال أقبل عبد الله بن سلام ومعه نفر من قومه ممن قد آمنوا بالنبي (ص) فقالوا يا رسول الله ان منازلنا بعيدة وليس لنا مجلس ولا نتحدث دون هذا المجلس وان قومنا لما رأونا آمناً بالله ورسوله وصدقناه رفضونا وآلوا على نفوسهم ان لا يجالسونا ولا يناكحونا ولا يكلمونا فشق ذلك علينا فقال لهم النبي (ص) انسا وليكم الله ورسوله الآية ثم ان النبي خرج الى المسجد والناس بين قائم وراكم فبصر بسائل فقال النبي

هل اعطاك احد شيئا فقال نعم خاتم من فضة فقال النبي (ص) من اعطاكه قال ذلك القائم وأومى بيده الى علي فقال النبي (ص) على اي حال اعطاك قال اعطاني وهو راكع فكبر النبي ثم قرأ ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون فأنشأ حسان بن ثابت يقول في ذلك

أَبَا حَسَنٍ تَقْدِيكَ نَفْسِي وَمَهْجَتِي
وَأَيُّهَا مَدْحُكَ الْمُحِبُّ ضَانِعًا
فَأَنْتَ الَّذِي أَعْطَيْتَ إِذْ كُنْتَ رَاكِعًا
فَأَنْزَلَ فَيْكَ اللَّهُ خَيْرَ وِلَايَةٍ
وَ كُلُّ بَطِيٍّ فِي الْهُدَى وَمُسَارِعٍ
وَمَا الْمَدْحُ فِي جَنْبِ الْإِلَهِ بِضَائِعٍ
زَكَاةَ قَدْتِكَ النَّفْسُ يَا خَيْرَ رَاكِعٍ
وَلَبَّتْهَا مَثْنَى كِتَابِ الشَّرَائِعِ

وفي حديث ابراهيم الحكم بن ظهير أن عبد الله بن سلام أتى رسول الله مع رهط من قومه يشكون الى رسول الله ما لقوا من قومهم فينهم يشكون اذ نزلت هذه الآية وأذن بلال فخرج رسول الله (ص) الى المسجد واذا مسكين يسأل فقال (ع) ما ذا أعطيت قال خاتم من فضة قال من اعطاكه قال ذلك القائم فاذا هو علي قال علي اي حال اعطاكه قال اعطاني وهو راكع فكبر رسول الله وقال ومن يتول الله ورسوله الآية

﴿ المعنى ﴾

ثم بين تعالى من له الولاية على الخلق والقيام بأمرهم وتجب طاعته عليهم فقال (إنما وليكم الله ورسوله) اي الذي يتولى مصالحكم ويتحقق تدبيركم هو الله تعالى ورسوله يفعل بأمر الله (والذين آمنوا) ثم وصف الذين آمنوا فقال (الذين يقيمون الصلاة) بشرائطها (ويؤتون) أي ويعطون (الزكاة وهم راكعون) اي في حال الركوع وهذه الآية من اوضح الدلائل على صحة إمامة علي بعد النبي بلا فصل والوجه فيه انه اذا ثبت ان لفظة وليكم تفيد من هو اولى بتدبير أموركم ويجب طاعته عليكم وثبت ان المراد بالذين آمنوا علي ثبت النص عليه بالإمامة ووضح والذي يدل على الأول هو الرجوع الى اللفظة فمن تأملها علم ان القوم نصوا على ذلك وقد ذكرنا قول أهل اللغة فيه قبل فلا وجه لإعادته ثم الذي يدل على انها في الآية تفيد ذلك دون غيره ان لفظة إنما على ما تقدم ذكره تقتضي التخصيص ونفي الحكم عن عدا المذكور كما يقولون إنما الفصاحة للجاهلية يعنون نفي الفصاحة عن غيرهم واذا تقرر هذا لم يميز حمل لفظة الولي على الموالاتة في الدين والمحبة لأنه لا تخصيص في هذا المعنى لمؤمن دون مؤمن آخر والمؤمنون كلهم مشتركون في هذا المعنى كما قال سبحانه والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض واذا لم يميز حمله على ذلك لم يبق الا الوجه الآخر وهو التحقق بالأمر وما يقتضي فرض الطاعة على الجمهور لأنه لا محتمل للفظه الا الوجهان فاذا بطل أحدهما ثبت الآخر والذي يدل على ان المعنى بالذين آمنوا هو علي الرواية الواردة من طريق العامة والخاصة بنزول الآية فيه ما تصدق بجائته في حال الركوع وقد تقدم ذكرها وايضا فإن كل من قال ان المراد بلفظة ولي ما يرجع الى فرض الطاعة والإمامة ذهب الى انه هو المقصود بالآية والمتفرد بمجانها ولا أحد من الأمة يذهب الى ان هذه اللفظة تقتضي ما ذكرناه ويذهب الى ان المعنى بها سواء وليس لأحد ان يقول ان لفظ الذين آمنوا اللفظ جمع فلا يجوز ان يتوجه اليه على الانفراد وذلك ان أهل اللغة قديما يبرون بلفظ الجمع عن الواحد على سبيل التفعيض والتعظيم وذلك اشهر في كلامهم من ان يحتاج الى الاستدلال عليه وليس لهم ان يقولوا ان المراد بقوله وهم راكعون ان هذه شيمتهم وعادتهم ولا يكون حالا لا يتأه الزكاة وذلك لأن قوله يقيمون الصلاة قد دخل فيه الركوع فلو لم يحمل قوله وهم راكعون على انه حال من يؤتون الزكاة وحملناه على من

صفتهم الركوع كان ذلك كالتكرار غير المفيد والتأويل المفيد اولى من البعيد الذي لا يفيد ووجه آخر في الدلالة على ان الولاية في الآية مختصة انه سبحانه قال انما اوليكم الله فخطب جميع المؤمنين ودخل في الخطاب النبي (ص) وغيره ثم قال ورسوله فأخرج النبي (ص) من جملتهم لكونهم بمضاقين الى ولايته ثم قال والذين آمنوا فوجب ان يكون الذي خوطب بالآية غير الذي جعلت له الولاية والا أدى الى ان يكون المضاف هو المضاف اليه بعينه والى ان يكون كل واحد من المؤمنين ولي نفسه وذلك محال واستيفاء الكلام في هذا الباب يطول به الكتاب فمن اراده قليطبه من مظاهره قال الواحدى واستدل أهل العلم بهذه الآية على ان العمل القليل لا يقطع الصلاة وان دفع الزكاة الى السائل في الصلاة جائز مع نية الزكاة (ومن يتول الله) بالقيام بطاعته (ورسوله) باتباع أمره (والذين آمنوا) بالموالاة والنصرة (فإن حزب الله) اي جند الله عن الحسن وقبل انصار الله (هم الغالبون) الظاهرون على اعدائهم الظافرون بهم .

قوله تعالى (٥٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَافِرَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُم مَّوْمِنِينَ (آية)

✽ القراءة ✽

قرأ أهل البصرة والكسائي والكفار بالجر وقرأ الباقون بالنصب

✽ الحجة ✽

حجة من قرأ بالجر انه حمل الكلام على أقرب العاملين وهو عامل الجر وحجة من نصب انه عطف على العامل الناصب فكأنه قال لا تتخذوا الكفار اولياء قال الزجاج يجوز في هزوا أربعة اوجه ان شئت قلت هزواً بضمة الزايمه وتحقيق الهمزة وهو الأصل والأجود وان شئت قلت هزواً وابدلت من الهمزة واوا لانضمام ما قبلها وان شئت قلت هزواً باسكان الزايمه وتحقيق الهمزة فهذه الأوجه الثلاثة جيدة يقرأ بهن وفيها وجه آخر لا يجوز القراءة به وهو ان يقول هزواً مثل هدى وذلك انه يجوز اذا أردت تخفيف همزة هزواً ان تطرح حركتها الى الزايمه كما تقول رأيت حياً تريد حياً

✽ اللفظ ✽

الهزواً السخرية وهو اظهار ما يلهي تعجباً مما يجري قال الله تعالى ولقد استهزى برسول من قبلك وقال الشاعر
 الْأَهْزُوتُ وَأَعْجَبُهَا الْمَشِيبُ فَلَا نَكْرَ لَدَيْكَ وَلَا عَجِيبُ
 يقال هزأ به هزواً وتهزأ واستهزأ والمب الأخذ على غير طريق الحق ومثله المبت وأصله من لعاب الصبي يقال لمب يلعب اذا سال لعابه لأنه يخرج الى غير جهته فلذلك اللاعب يمر الى غير جهة الصواب

✽ النزول ✽

قيل كان رفاعه بن زيد بن التابوت وسويد بن الحرث قد أظهر الإسلام ثم ناقوا وكان رجال من المسلمين يوادونها فنزلت الآية عن ابن عباس

✽ المعنى ✽

ثم أكد سبحانه النهي عن موالاة الكفار فقال (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعاباً) اي اظهروا الايمان باللسان واستبطنوا الكفر فذلك معنى تلاعبهم بالدين (من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم)

(الجزء السادس) قوله تعالى وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا إلى قوله وان أكثركم فاسقون ٢١٣ ج ٣

عني اليهود والنصارى (والكفار) بالجرى ومن الكفار (أولياء) بطانة وأخلاء فيكون الهزء من الكتاني ومن المشرك والمناقق وبدل على استهزاء المشركين قوله سبحانه أنا كفييناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله آلهما آخر وبدل على استهزاء المنافقين قوله وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا أنا معكم اتماحن مستهزون وكل من ذكرنا من المشركين والمنافقين ومن لم يسلم من اليهود والنصارى يقع عليه اسم كافر يدل على ذلك قوله لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين فإذا وقع على المستهزئين اسم كافر حسن ان يكون قوله والكفار تبيينا للإسم الموصول وهو الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا كما كان قوله من الذين أتوا الكتاب من قبلكم تبيينا له ولو قال من الكفار فيتن به لم الجميع ولكن الكفار كان اطلاقه على المشركين أغلب وأهل الكتاب على من اذا عاهد دخل في ذمة المسلمين وقبلت منه الجزية وأقر على دينة اغلب فلذلك فصل بينها واما القراءه بالنصب فمعناه لا تتخذوا المستهزئين من أهل الكتاب ولا تتخذوا الكفار اولياء (واتقوا الله) في موالاتهم بعد النهي عنها (ان كنتم مؤمنين) بوعده ووعيده اي ليس من صفات المؤمنين موالاته من بطمن في الدين فمن كان مؤمنا غضب لا يمانه على من طمن فيه وكافاه بما يستحقه من المقت والعداوة

قوله تعالى (٥٨) وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوءًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ (آية)

* اللغة *

النداء الدعاء بجد الصوت على طريقة يا فلان واصله ندى الصوت وهو بعد مذهبه وصحة جرمه^(١) ومنه قوله ناديك ولا أناجيك اي أعاليك النداء ولا اسرك النجوى قال ابو ذهيل

وَأَبْرَزَتْهَا مِنْ بَطْنِ مَكَّةَ بَعْدَ مَا
أَصَاتَ الْمُنَادِي بِالصَّلَاةِ فَأَعْتَمًا

وأصل الباب الندو وهو الاجتماع يقال ندا القوم يندون ندوا اي اجتمعوا في النادي ومنه دار الندوة وندى الماء لأنه يجتمع قليلا قليلا وندى الصوت منه لأنه عن جرم الندى

* المعنى *

ثم اخبر سبحانه عن صفة الكفار الذين نهى الله المؤمنين عن موالاتهم فقال (واذا ناديتم) أيها المؤمنون (الى الصلاة) اي دعوتهم اليها (اتخذوها) اي اتخذوا الصلاة (هزوا ولعبا) وقيل في معناه قولان * احدهما * انهم كانوا اذا أذن المؤذن للصلاة تضحكوا فيما بينهم وتغامزوا على طريق السخف والمجون^(٢) تجهيلا لهلها وتغييرا للناس عنها وعن الداعي اليها * والآخر * انهم كانوا يرون المنادي اليها بمنزلة اللاعب الهازي بفعلها جهلا منهم بمنزلتها (ذلك بانهم قوم لا يعقلون) وقيل فيه قولان * احدهما * انهم لا يعقلون ما لهم في اجابتهم لو أجابوا اليها من الثواب وما عليهم في استهزائهم بها من العقاب * والثاني * انهم بمنزلة من لا عقل له يمنعه من القبائح ويردعه عن الفواحش قال السدي كان رجل من النصارى بالمدينة فسمع المؤذن ينادي أشهدان لا إله إلا الله وأشهدان محمد رسول الله فقال حرق الكاذب فدخلت خادمة له ليلة بنار وهو نائم وأهله فسقطت بشرارة فاحترق هو وأهله واحترق البيت

قوله تعالى (٥٩) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنِّي إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَإِنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ (آية)

(١) البحر: جهازة الصوت . (٢) السخف: قلة العقل، المجون: الصلابة والنلظة

* اللفظ *

يقال نَقِمَ الأَمْرَ يَنْقِمُهُ نَقْمًا وَتَقِمَ يَنْقِمُ إِذَا أَنْكَرَهُ وَالْأَوَّلُ أَكْثَرُ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ قَيْسٍ الرِّقَابِيُّ
مَا نَقَمُوا مِنْ بَنِي أُمَيَّةٍ إِلَّا أَنَّهُمْ يَحْلَمُونَ إِنْ غَضِبُوا

وسمي العقاب نقمة لأنه يجب على ما ينكر من الفعل

* الإعراب *

قوله إن أكثركم فاسقون في موضع نصب وكذلك قوله إن آمننا بالله والتقدير هل تنعمون منا ولا إيماننا وفسقكم

* النزول *

قيل إن نفرًا من اليهود أتوا رسول الله (ص) فسألوه عن يؤمن به من الرسل فقال أو من بالله وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلى قوله ونحن له مسلمون فلما ذكر عيسى جحدوا نبوته وقالوا والله ما نعلم أهل دين قط أخطأ في الدنيا والآخرة منكم ولا ديننا شرًا من دينكم فأنزل الله الآية وما بعدها

* المعنى *

ثم أمر الله سبحانه رسوله بمحاجمهم فقال (قل) يا محمد (يا أهل الكتاب هل تنعمون منا) أي هل تنكرون منا وقيل هل تسخطون منا وقيل تكفهون منا والمعاني متقاربة (إلا أن آمننا بالله) فوجدناه ووصفناه بما يليق به من الصفات العلى ونزهناه عما لا يجوز عليه في ذاته وصفاته (وما أنزل الهنا) من القرآن (وما أنزل من قبل) على الأنبياء (وان أكثركم فاسقون) قال الزجاج معناه هل تكفهون إلا إيماننا وفسقكم أي إنما كرهتم إيماننا وانتم تعلمون أنا على الحق لأنكم فسقتم بأن أقنمتم على دينكم لمحبتكم الرئاسة وكسبكم بها الأموال وهذا معنى قول الحسن لفسقكم قمتم علينا قال بعض أهل التحقيق فلي هذا يجب أن يكون موضع إن في قوله وان أكثركم فاسقون نصبا بإضمار اللام على تأويل ولأن أكثركم فاسقون وقيل لما ذكر تعالى ما نعمة اليهود عليهم من الإيمان بجميع الرسل وليس هو مما ينقم ذكر في مقابلته فسقهم وهو مما ينقم ومثل هذا يحسن في الأزواج يقول القائل هل تنقم مني إلا أني عفيف وانك فاجر وإلا أني غني وانك صير فيحسن ذلك لإتمام المعنى بالمقابلة ومعنى فاسقون خارجون عن أمر الله طلباً للرئاسة وحسد على منزلة النبوة والمراد بالأكثر من لم يؤمن منهم لأن قليلا من أهل الكتاب آمن وقيل في قوله وان أكثركم فاسقون قول آخر ذكره أبو علي الجرجاني صاحب النظم قال يجعله منظوما بقوله آمننا بالله على تأويل آمننا بالله وبأن أكثركم فاسقون فيكون موضع إن جرت بالباء وهذا وجه حسن

قوله تعالى (٦٠) قُلْ هَلْ أَنْبَيْتُكُمْ بِشَرِّ مِمَّنْ لَعَنَ اللَّهُ مِنْ لَعْنَةِ اللَّهِ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرْدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ (آية)

* القراءة *

قرأ حمزة وحده وعبد الطاغوت بضم الباء وجر التاء والباقون وعبد الطاغوت بفتح الباء ونصب التاء وروى في الشواذ قراءة الحسن وابن هرمز مثوبة سا كنة التاء مفتوحة الواو وكذلك في سورة البقرة لمثوبة وقرأ ابن

عباس وابن مسعود و ابراهيم النخعي والاعمش وابان بن تغلب وعبد الطاغوت بضم العين والباء وفتح الدال وخفض الطاغوت وقرأ ابي بن كعب عبدوا الطاغوت ورواية عكرمة عن ابن عباس وعبد الطاغوت بتشديد الباء وفتح الدال وقرأه ابي واقد وعبد الطاغوت وقرأه ابو جعفر الرواسي النحوي وعبد الطاغوت كقولك ضرب زيد لم يسم فاعله وقرأه يعون العقيلي وابن بريدة وعابد الطاغوت ورواية علقمة عن ابن مسعود وعبد الطاغوت على وزن صرد فهذه عشر قراءات اثنتان منها في السبعة

✽ الحجة ✽

قال ابو علي حجة حمزة في قراءة وعبد الطاغوت انه يجعله على ما عمل فيه جعل كأنه وجعل منهم عبد الطاغوت ومعنى جعل خلق كقوله وجعل الظلمات والنور وجعل منها زوجا وليس عبد لفظ جمع لأنه ليس من ابنية الجموع شي على هذا البناء ولكنه واحد يراد به الكثرة الا ترى ان في الاسماء المفردة المضادة الى المعارف ما لفظه لفظ الافراد ومعناه الجمع كما في قوله وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ولأن بناء فعل يراد به المبالغة والكثرة نحو يقظ ونُدس فكان تقديره انه قد ذهب في عباد الطاغوت كل مذهب وتكرر ذلك منه واما من فتح فقال وعبد الطاغوت فإنه عطفه على بناء الماضي الذي في الصلة وهو قوله لعنه الله وافرد الضمير في عبد وان كان المعنى فيه الكثرة لأن الكلام محمول على لفظه دون معناه وفاعله ضمير من كما أن فاعل الأمثلة المعطوفة عليه ضمير من فافرد لحمل ذلك جميعاً على اللفظ. ولو حمل الكل على المعنى او البعض على اللفظ والبعض على المعنى لكان مستقيماً واما الوجه في مثوبة فإنه قد خرج على الأصل شاذاً قال ابو الفتح ومثله ما يحكى عنهم الفكاهة مقودة الى الأذى وقياسها مثابة ومقادة ومثله مزيد وقياسه مزاد إلا أن مزيداً علم والأعلام قد يحتمل فيهما بكرة من الأجناس نحو محبب ومكورة ومريم ومدين ورجلين حياة ومثوبة مفعلة ونظيرها الباطخة المشرقة واصل مثوبة مثوبة فنقلت الضمة من الواو الى التاء ومثلها مونة وقيل هي مفعولة مثل مقولة ومضوغة على معنى المصدر قال الشاعر:

وَ كُنْتُ إِذَا جَارِي دَعَا لِمَضُوفَةٍ أَشْمِرُ حَتَّى يَنْصِفَ السَّاقَ مِثْرِي

قال واما قوله عبد الطاغوت فهو جمع عبد وانشد:

إِنْسَبِ الْعَبْدَ إِلَى آبَائِهِ أَسْوَدًا جَلِيدًا وَمِنْ قَوْمِ عَبْدٍ

هكذا قال ابو الحسن وقال احمد بن يحيى عبد جمع عابد كبازل وبزل وشارف وشرف وكذلك عبد جمع عابد ومثله عباد وعباد وبعوز ان يكون عباد جمع عبد واما عبد الطاغوت وعبد الطاغوت فظاهر واما عابد الطاغوت فهو واحد في معنى جماعة وكذلك وعبد الطاغوت لأنه كحطيم ولبد كما ان عبد كحذر وفطن ووظف وعجز

✽ الاعراب ✽

مثوبة نصب على التمييز كذلك هو خير ثوابه موضع من يحتمل ثلاثة أوجه من الاعراب « احدها » الجر على البدل والتقدير هل انبثكم بين لعنه الله والثاني الرفع على خبر المبتدأ المحذوف أي هم من لعنه الله والثالث النصب على البدل من موضع الجار والمجرور والتقدير انبثكم أي هل اخبركم على من لعنه الله مكاناً على التمييز

﴿ المعنى ﴾

ثم أمر سبحانه نبيه (ص) ان يخاطبهم فقال (قل) يا محمد هؤلاء المستهزئين من الكفار واليهود (هل

انبتكم) أي هل اخبركم (بشر من ذلك مثوبة عند الله) أي بشر بما تقتمم من إيماننا ثواباً أي جزاء المعنى ان كان ذلك عندكم شراً فأنما اخبركم بشر منه عاقبة عند الله وقبل مضاه هل اخبركم بشر من الذين طعنتم عليهم من المسلمين وإنما قال بشر من ذلك وان لم يكن في المؤمنين شر على الانصاف في المخاطبة والمظاهرة في الحجاج كقوله وإنا أوياكم لعل هدى أو في خلال مبين (من لعنه الله) أي أبده من رحمته (وغضب عليه) بفسقه وكفره وغضبه عليه اراد به العقوبة والاستخفاف به وقيل غضبه ان ضرب عليهم الذلة والمسكنة والجزية إنا كانوا من الأرض (وجعل منهم القردة والخنازير) أي مسخهم قردة وخنازير قال المفسرون يعني بالقردة اصحاب السبت وبالخنازير كفار مائدة عيسى وروى الوالي عن ابن عباس ان المسوخين من اصحاب السبت لأن شبانهم مسخوا قردة وشيوخهم مسخوا خنازير (وعبد الطاغوت) قال الزجاج هو نسق على لعنه الله من عبد الطاغوت وقال القراء تأويله وجعل منهم القردة ومن عبد الطاغوت فلهذا يكون الموصل محذوفاً وذلك لا يجوز عند البصريين فالصحيح الأول والطاغوت هنا الشيطان عن ابن عباس والحسن لأنهم أطاعوه طاعة المعبود وقيل هو العجل الذي عبده اليهود عن الجبائي لأن الكلام كله في صفتهم ولا تعلق في هذه الآية بالمجبرة لأن أكثر ما تضمنته الأخبار بأنه خلق من عبدة الطاغوت على قراءة حمزة أو غيره ممن قرأ عبداً أو عباداً أو عبداً وغير ذلك ولا شبهة في انه تعالى خلق الكافر وانه لا خالق للكافر سواه غير ان ذلك لا يوجب أن يكون خلق كفره وجعله كافراً وليس لم ان يقولوا اننا نستفيد من قوله وجعل منهم من عبد الطاغوت او عبد الطاغوت انه خلق ما به كان عبداً كما نستفيد من قوله وجعل منهم القردة والخنازير انه جعل ما به كانوا كذلك وذلك اننا استفدنا ما ذكره لأن الدليل قد دل على ان ما به يكون القرد قرداً والخنازير خنازيراً لا يكون إلا من فعل الله وليس كذلك ما به يكون الكافر كافراً فإنه قد دل الدليل على انه يتعالى عن فعله وخلقهم فافترق الأمران (أو لك شر مكانا) أي هو لاء الذين وصفهم الله بأنه لعنهم وغضب عليهم وانهم عبدوا الطاغوت شر مكانا لأن مكانه قبيح ولا شر في مكان المؤمنين ومثله اصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً وقيل مضاه انهم شر مكانا في عاجل الدنيا وأجل الآخرة ممن تقتمم من المؤمنين اما في الدنيا بالقتل والسبي وضرب الذلة والمسكنة عليهم والزام الجزية واما في الآخرة فبعباد الأبد (وأضل عن سواء السبيل) أي اجوز عن الطريق المستقيم وابتعد من النجاة قال المفسرون فلما نزلت هذه الآية عبر المسلمون اهل الكتاب وقالوا يا اخوان القردة والخنازير فنكسوا رؤوسهم وانفضحوا

قوله تعالى (٦١) وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ (٦٢) وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانَ وَأَنْ كَلِمَهُمْ أَلْسِنَتٌ لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٦٣) لَوْلَا بِنَهَائِهِمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَنْ كَلِمَهُمْ أَلْسِنَتٌ لَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (ثلاث آيات)

✽ اللفظة ✽

الفرق بين الإثم والعدوان ان الإثم الجرم كالثأب ما كان والعدوان الظلم وقد مر معنى السحت قبل والصنع والصل واحد وقيل الفرق بينهما ان الصنع مضمّن بالجودة من قولهم ثوب صنيع وفلان صنيعه فلان اذا

استخلصه على غيره وصنع الله لفلان أي أحسن إليه وكل ذلك كالفعل الجيد

✽ الاعراب ✽

قد تدخل في الكلام على وجهين إذا كانت مع الماضي قريبة من الحال وإذا كانت مع المستقبل دلت على التقليل وموضع الباء من قوله وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به نصب على الحال لأن المعنى دخلوا كافرين وخرجوا كافرين لأنه لا يريد أنهم دخلوا يعملون شيئاً وهو كقولك خرج زيد بشيابه أي وثيابه عليه يريد خرج لابسا ثيابه ومثله قول الشاعر

وَمُسْتَنَّةٌ كَأَسْتِنَانِ الْخُرُوفِ فِ قَدْ قَطَعَ الْحَبْلَ بِالْمُرُودِ (١)

أي وفي المرود يعني وهذه صفة والفرق بين قولك متى جاؤكم وإذا جاءكم أن متى يتضمن معنى أن الجزاء ويعمل فيه جاؤكم ولا يجوز أن يعمل في إذا لأن إذا مضاف إلى ما بعده والمضاف إليه لا يعمل في المضاف لأنه من تمامه ليس اللام فيه لام القسم ولا يجوز أن يكون لام الابتداء لأنها لا تدخل على الفعل إلا في باب إن خاصة لأنها آخرت إلى الخبر لثلاثا يجتمع حرفان متفقان في المعنى وقوله لبس ما كانوا يعملون يدل على أن المدح والذم يكونان بالأفعال لأنه بمنزلة لبس العمل عملهم وما يحتمل أمرين ✽ أحدهما ✽ أن تكون كافة كما تكون في التآزير منطلق وليتأ عمرو قائم فلا يكون لها على هذا موضع ✽ الثاني ✽ أن يكون نكرة موصوفة كأنه قيل لبس شيئاً كانوا يعملون ولولا ههنا بمعنى هلاً قال علي بن عيسى وأصلها التقرير لوجوب الشيء عن الأول فنقلت إلى التحضيض على فعل الثاني من أجل الأول وإن لم يذكر لا ولا بد معها من لا لأنه دخلها معنى لم لا تفعل ومتى قيل كيف تدخل لو لا على الماضي وهي للتحضيض وفي التحضيض معنى الأمر قبل لأنها تدخل للتحضيض والتوبيخ فإذا كانت مع الماضي فهو توبيخ كقوله تعالى لولا جاؤا عليه بأربعة شهداء

✽ المعنى ✽

ثم أخبر الله تعالى عن هؤلاء المنافقين بقوله (وإذا جاؤكم أي المؤمنون قالوا آمنا) أي صدقنا (وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به) قيل فيه قولان ✽ أحدهما ✽ أنهم دخلوا به على النبي (ص) وخرجوا به من عنده أي دخلوا وخرجوا كافرين والكفر معهم في كتابنا التيمم عن الحسن وقنادة ✽ والثاني ✽ أن معناه وقد دخلوا به في أحوالهم وخرجوا به إلى أحوال آخر كقولك هو يتقلب في الكفر ويتصرف فيه وقوله وهم قد خرجوا به أي كذب الكلام بالضمير تعييناً أيام بالكفر وتمييزاً لهم من غيرهم بهذه الصفة (والله أعلم بما كانوا يكتمون) معناه بما كانوا يكتمون من نفاقهم إذ أظهروا بالستهم ما أضمرُوا خلافه في قلوبهم ثم بين الله سبحانه أنهم يضنون إلى نفاقهم خصالاً آخر ذميمة فقال (وترى) يا محمد (كثيراً منهم) قيل المراد بالكثير رؤسائهم وعلماؤهم (يسارعون) يبادرون (في الآثم والعدوان) قيل الآثم الكفر عن السدي والعدوان مجاوزة حدود الله وتعديها وقيل الآثم كل معصية وهو الأولى والعدوان الظلم أي يسارعون في ظلم الناس وفي الجرم الذي يعود عليهم بالوبال والخسران (وأكلهم السحت) أي الرشوة في الحكم عن الحسن وسماها سحتاً لأنه يؤدي إلى الاستئصال ويقال لأنها تذهب بالبركة من المال قال أهل المعاني أكثر ما تستعمل المسارعة في الخبر كقوله تعالى يسارعون ✽ فائدة لفظه المسارعة وإن كان لفظ المجلة أدل على الذم أنهم يعملونه كأنهم محققون فيه ولذلك قال ابن عباس في تفسيره وأنهم يجتروا على الخطأ (لبس ما كانوا يعملون) أي لبس العمل عملهم

(١) ومستنة يعني طمعة فاردتها باستنان . والاستنان والسن : المد على وجهه . الخروف : ولد الفرس إذا بلغ ستة أشهر أو سبعة . المرود : حديدة توتد في الأرض يشد فيها حبل الدابة . يريد أن دمها مرعلم . وجهه كما يمضي الخروف . يقول : ينس المواد من صلاح هذه الطعنة (٢) [من الاعراب] . (٣) [في الخبرات]

وقد يستمر الهد في مواضع كثيرة بطول ذكرها ولما كان الجواد ينفق باليد والبخل يملك باليد عن الإنفاق أضافوا الجود والبخل الى اليد فقالوا للجواد مبسوط اليد وبسط البنان فيأض الكف والبخل كز الأصابع مقبوض الكف جعل الأنازل في اشباه لهذا كثيرة معروفة في اشعارهم وانكر الزجاج على من ذهب الى ان معنى اليد في الآية النعمة بأن قال ان هذا ينقضه قوله بل يدها مبسوطان فيكون المعنى بل نعمته مبسوطان ونعم الله اكثر من ان تحصى قال ابو علي الفارسي قوله نعمته مبسوطان لا يدل على تقليل النعمة وعلى ان نعمته نعمتان ثناتان ولكنه يدل على الكثرة والمبالغة قد جاء التثنية ويراد به الكثرة والمبالغة وتعداد الشيء لا المعنى الذي يشفع الواحد المفرد الا ترى الى قولهم ليك انما هو اقامة على طاعتك بعد اقامة وكذلك سعدك انما هو مساعدة بعد مساعدة وليس المراد بذلك طاعتين اثنتين ولا مساعدتين فكذلك المعنى في الآية ان نعمه متظاهرة متتابعة فهذا وجهه وان شئت حملت المشى على انه تثنية جنس لا تثنية واحد مفرد ويكون احد جنسي النعمة نعمته الدنيا والاخر نعمته الآخرة او نعمة الدين فلا يكون التثنية على هذا مرادا بها اثنتين وقد جاء تثنية اسم الجنس في كلامهم مجيئا واسعا قال الفرزدق

وَكُلُّ رَفِيقِي كُلِّ رَحْلٍ وَإِنْ هَا
تَعَاطَى الْقَنَا قَوْمًا هَا أَخْوَانِ (١)

فتأويل الرفيقين في البيت العموم والإشاعة الا ترى انه لا يجوز ان يكون رفيقان اثنان لكل رحل وبعده فإذا كانوا قد استجازوا تثنية الجمع الذي بُني للكثرة كقوله

لَأَصْبَحَ الْقَوْمَ أَوْبَادًا وَلَمْ يَجِدُوا
عِنْدَ التَّفَرُّقِ فِي الْهَيْجَا جَمَالَيْنِ (٢)

وقبله

سَمَى عِقَالًا فَلَمْ يَتْرِكْ لَنَا سَبَدًا
فَكَيْفَ لَوْ قَدْ سَمَى عَمْرٌ وَعِقَالَيْنِ (٣)

وقول ابي النجم (بين رماحي نهشل وعقيل) ونحو ما حكاه سيويه من قولهم لقاحان سوداوان فإن تجوز تثنية اسم الجنس اجدر لانه على لفظ الواحد فالتثنية فيه احسن اذ هو شبه بالفاظ الافراد

❖ الاعراب ❖

قال ابو علي اعلم ان بدأ كلمة نادرة ووزنها فعل يدل على ذلك قولهم أيد وجمعهم له على أفضل كالكلب وأنفس يدل على انه فعل كادل آبار وأخار على ان وزن أب وأخ فعل واللام منه الياء وهو من باب سلس وقلق ولا يعلم لذلك في الكلام نظير والذي يدل على ذلك يدت اليه بدأ ولا يعلم في الواو مثله الا ترى انه لم يجيء مثل دعوت وقد جاء في الأسماء ذلك وهو قولهم واووا ما قولهم ذهبوا ايادي سبا اذا ارادوا الاقتراق وقول ذي الرمة :

قِيَالِكَ مِنْ ذَابِرٍ تَحْمَلُ أَهْلَهَا
أَيَادِي سَبَا بَعْدِي وَطَالَ أَحْتِيَالُهَا

وهو في موضع حال لأنه كقولك ذهبوا متفرقين واذا كان كذلك لا يصلح اضافتها لأن سبامعرفة فيكون المضاف اليه معرفة فإذا كان معرفة وجب ان لا يكون حالا قال والوجه فيها عندي ان لا يقدر فيها الاضافة ولكن يجمل الاسمان بمنزلة اسم واحد كحضر موت فيمن لم يهضم وكان القياس ان يتحرك اللام من أيادي بالفتح في موضع النصب الا انهم أسكنوه ولم يحركوه وشبهوه بالحالتين الأخيرتين وهذا الضرب قد اطرده فيه الإسكان فقالوا معدي كرب وقالي فلا وبأدي بدأ فأسكنوا جميع ذلك

(١) الشعر في جامع الشواهد . (٢) الأوباد جمع الوبد : سوء الحال من كثرة العيال وقلة المال وقوله أوباد على حذف المضاف أي ذوى أوباد . وقوله جمالين يريد قطيعين من الجمال و اراد جمالا هيئنا و جمالا هيئنا وذلك ان اصحاب الابل يعزلون الاناث عن الذكور (٣) سمي سماية : مشى لاختد الصدقة . والعقال هيئنا صدقة عام واحد . السبد : القليل من الشعر يقال ماله سبد ولا لبد أي لا شعرو ولا صوف يقال لمن لا شيء له .

* المعنى *

ثم اخبر الله تعالى بمظلم فرينهم فقال (وقالت اليهود يد الله مغلولة) اي مقبوضة عن العطاء ممسكة عن الرزق ففسره الى البخل عن ابن عباس وقادة وعكرمة والضحاك قالوا ان الله كان قد بسط على اليهود حتى كانوا من اكثر الناس مالا واخصبهم ناحية فلما عصوا الله في محمد (ص) وكذبوه كف الله عنهم ما بسط عليهم من السعة فقال عند ذلك فنحاص بن عاذورا يد الله مغلولة ولم يقل الى عنقه قال أهل المعاني انما قال فنحاص ولم ينه الآخرون ورضوا بقوله فأشركهم الله في ذلك وقيل معناه يد الله مكفوفة عن عذابنا فليس يمد لنا الا بما يبره قسمة قدر ما عبد آباؤنا العجل عن الحسن وقيل انه استفهام وتقديره أيد الله مغلولة عنا حيث قدر المشية علينا وقال ابو القاسم البلخي يجوز ان يكون اليهود قالوا قولنا واعتقدوا مذها يؤذي معناه الى ان الله يبخل في حال ويجود في حالة أخرى فحكى عنهم ذلك على وجه التعجب منهم والتكذيب لهم ويجوز ان يكونوا قالوا ذلك على وجه الهزؤ من حيث لم يوسع على النبي وعلى اصحابه وليس ينبغي ان يتعجب من قوم يقولون لموسى اجعل لنا آية كما لهم آية ويتخذون العجل لما ان يقولوا ان الله يبخل نارة ويجود أخرى وقال الحسين بن علي المغربي حدثني بعض اليهود بمصر ان طائفة منهم قالت ذلك (غلت أيديهم) قيل فيه اقوال * احدها * انه على سبيل الاخبار اي غلت ايديهم في جهنم عن الحسن واختاره الجبائي ومعناه شددت الى اعناقهم وتأويله انهم جوزوا على هذا القول بهذا الجزاء فلي هذا يكون في الكلام ضمير للفاء أو الواو وتقديره فغلت أيديهم او غلت لأن كلامهم قد تم واستوتف بعبء كلام آخر ومن عاداتهم انهم يخذفون فيما يجري هذا المجرى ومن ذلك قوله واذ قال موسى لقومه هلقوم ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة قالوا اتخذنا هزوا والمراد فقالوا لأن كلام موسى قد تم * وثانيها * ان يكون القول خرج مخرج الدعاء كما يقال قاتله الله عن ابي مسلم وعلى هذا فيكون معناه تعليما وتوفيقا على الدعاء عليهم كما علمنا الاستثناء في غير هذا الموضع بقوله لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين * وثالثها * ان معناه جملوا بخلا والزمو البخل فهم البخل قوم فلا يلقى يهودي ابدا غير لثيم بخيل عن الزجاج (ولعنوا بما قالوا) اي ابدوا عن رحمة الله وثوابه بسبب هذه المقالة وقيل عذبوا في الدنيا بالجزية وفي الآخرة بالنار عن الحسن ثم رد الله عليهم بصد مقاتلهم فقال (بل يدها مبسوطتان) اي ليس الأمر على ما وصفوه بل هو جواد فليس لذكر اليد هنا معنى غير افادة معنى الجود وانما قال يدها على التثنية مبالغة في معنى الجود والانعام لأن ذلك ابلغ فيه من ان يقول بل يده مبسوطة ويمكن ان يكون المراد باليد النعمة ويكون الوجه في تثنية النعمة انه اراد نعم الدنيا ونعم الآخرة لأن الكل وان كانت نعم الله فمن حيث اخص كل منهما بصفة تخالف صفة الآخر كأنها جنسان ويمكن ان يكون تثنية النعمة انه اراد بها النعم الظاهرة والباطنة كما قال تعالى واسبع عليكم نعمه ظاهرة وباطنة وقيل ان المراد باليدين القوة والقدرة عن الحسن ومعناه قوته بالثواب والعقاب مبسوطتان بخلاف قول اليهود ان يده مقبوضة عن عذابنا (ينفق كيف يشاء) معناه يعطي كيف يشاء من عبادته ويمنع من يشاء من عبادته لأنه متفضل بذلك فيفعل على حسب المصلحة (وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طفيانا وكفرا) اي سيزدادون عند انزال القرآن اليك طفيانا وكفرا ويريد بالكثير منهم المقيمين على الكفر وانما ازدادوا كفرا لأنه كلما انزل الله حكما وأخبرهم النبي

(ص) به جحدوه وازدادوا بذلك طغيانا وهو التادي والمجاوزه عن الحد وكفروا انضم الى كفرهم وهذا كما يقول القائل وعظمتك كانت موعظتي وبالا عليك وما زادتك إلا شراً على معنى انك ازددت عندها شراً وذلك مشهور في الاستعمال (والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة) اي بين اليهود والنصارى عن الحسن ومجاهد وقبل يريد به اليهود خاصة وقد مر تفسيره في أول السورة عند قوله فاغرنا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة (كلما اوقدوا نارا للحرب أطفأها الله) اي لحرب محمد عن الحسن ومجاهد وفي هذا دلالة ومعجزة لأن الله أخبره فوافق خبره المخبر فقد كانت اليهود اشد اهل الحجاز بأسا وأمنهم دارا حتى ان قريشا كانت تمتصد بهم والأوس والخزرج تستبق الى مخالفتهم وتكثر بنصرتهم فأباد الله خضراءهم واستأصل شأقتهم واجتث أصلهم فأحلى النبي بني النضير وبني قنيقاع وقتل بني قريظة وشرذم أهل خيبر وغلب على فدك ودان له اهل وادي القرى فمحا الله تعالى آثارهم صاغرين وقال قتادة معناه ان الله اذ لهم ذللاً لا يمرّون بعده ابدأ وانما يطفى نار حربهم بطفه وبما يطلع نبيه عليه من اسرارهم وبما ينه به عليه من التأييد والنصر (ويسعون في الأرض فساداً) بمعصية الله وتكذيب رسله ومخالفة امره ونهيه واجتهادهم في محو ذكر النبي (ص) من كتبهم (والله لا يحب المفسدين) العاملين بالفساد والمعاصي في ارضه

قوله تعالى (٦٥) وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَرْنَا عَنْهُمْ سُبْحَانَ اللَّهِ وَلَا دَخَلْنَا فِيهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٦٦) وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءٌ مَا يَعْمَلُونَ (آياتان)

✽ اللفظة ✽

أصل التكفير التنظية ومنه تكفر في السلاح والاقتصاد الاستواء في العمل الذي يؤدي الى الفرض واشتقاقه من القصد لأن القاصد الى ما يعرف مكانه فهو يمر على الاستقامة اليه خلاف الطالب المتحير في طلبه

✽ الأعراب ✽

ساء ما يعملون يحتمل ان يكون ما مع ما بعدها بمنزلة المصدر ويحتمل ان يكون بمعنى الذي وما بعدها صلة لها والعائد محذوف

✽ المعنى ✽

(ولو ان اهل الكتاب) يعني اليهود والنصارى (آمنوا) بمحمد (ص) (واتقوا) الكفر والقواخش (لكفرنا عنهم سيئاتهم) اي سترناها عليهم وغفرناها لهم (ولا دخلناهم جنات النعيم) ظاهر المعنى (ولو انهم أقاموا التوراة والإنجيل) اي عملوا بما فيها على ما فيها دون ان يحرفوا شيئاً منها او يغيروا او يبدلوا كما كانوا يفعلونه ويحتمل ان يكون معناه عملوا بما فيها بأن أقاموا ما نصب اعينهم لئلا يزلوا في شيء من حدودها (وما أنزل اليهم من ربهم) يريد به القرآن عن ابن عباس واختاره الجبائي وقيل المراد به كلما دل الله عليه من أمور الدين (لا أكفوا من فوقهم) بإرسال السماء عليهم مدرارا (ومن تحت أرجلهم) بإعطاء الأرض خيرا وبر كنها عن ابن عباس وقاتدة ومجاهد وقيل المراد لا أكفوا ثمار النخيل والأشجار من فوقهم والزرع من تحت أرجلهم والمعنى لتركوا في ديارهم ولم يجلبوا عن بلادهم ولم يقتلوا فكانوا يتمتعون بأموالهم وزرعهم

وثارهم وما رزقهم الله من النعم وإنما خصَّ سبحانه الأكل لأن ذلك معظم الانتفاع وفي هذا تأسيف لليهود على ما فاتهم واعتداد بسمة ما كانوا فيه من نعم الله عليهم وهو جواب تبخيلهم إياه في قولهم يد الله مظلومة وقيل إن المعنى في قوله لا أكلوا من فرقهم ومن تحت أرجلهم التوسعة كما يقال فلان في الخير من قرنه إلى قدمه أي يأتيه الخير من كل جهة يلتمسه منها ونظير هذه الآية قوله وإن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب جعل الله تعالى التقوى من أسباب التوسعة في الرزق (منهم أمة مقتصدة) أي من هؤلاء قوم معتدلون في العمل من غير غلو ولا تقصير قال أبو علي الجبائي وهم الذين أسلموا منهم وتابوا النبي (ص) وبه قال مجاهد والسدي وابن زيد وهو المروي في تفسير أهل البيت (ع) وقيل يريد به النجاشي وأصحابه وقيل إنهم قوم لم يناصروا النبي مناصبة هؤلاء حكاية الزجاج ويحتمل أن يكون أراد به من يقر منهم بأن المسيح عبد الله ولا يدعي فيه الألوهية (و كثير منهم ساء ما يعملون) قبح عملهم أي أكثر هؤلاء اليهود والنصارى يعملون الأعمال السيئة وهم الذين يقبضون على الكفر والجحود بالنبي (ص)

قوله تعالى (٦٧) يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَفْصِلُكَ مِنَ النَّاسِ إِنْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَ الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (آية)

❖ القراءة ❖

قرأ نافع وابن عامر وأبو بكر عن عاصم رسالاته على الجمع والباقون رساله على التوحيد

❖ الحجة ❖

قال أبو علي حجة من جمع أن الرسل يرسلون بضروب من الرسائل كالنوحيد والشرائع فلما اختلفت الرسائل حسن أن تجمع كما حسن أن تجمع أسماء الاجناس إذا اختلفت الا ترى أنك تقول رأيت تمورا كثيرة ونظرت في علوم كثيرة فتجمع هذه الاسماء إذا اردت ضروبها كما تجمع غيرها من الاسماء وحجة من افرد هذه الاسماء انها تدل على الكثرة وان لم تجمع كما تدل عليها اللفاظ المصوغة للجمع فها يدل على ذلك قوله لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا فوقع الاسم الشائع على الجميع كما يقع على الواحد فكذلك الرسالة

❖ الإعراب ❖

أرسل فعل يتعدى الى مفعولين ويتعدى الى الثاني منها بالجار كقوله انا ارسلنا نوحا الى قومه وارسلناه الى مائة الف ويجوز الإقتصار على احدها دون الآخر كقوله ثم ارسلنا رسلا ثرى وانا ارسلناك شاهدا وقال فأرسل الى هرون فهدى الى الثاني والاول مقدر في المعنى وقال :

فَأرسلَهَا الْبِرَّاءَ وَلَمْ يَدُدْهَا وَلَمْ يُشْفِقْ عَلَيَّ نَفْسِ الدِّخَالِ^(١)

المعنى خلى بين هذه الإبل وبين شر بها ولم يمنحها من ذلك وانشد أبو زيد :

لَعَمْرِي لَقَدْ جَاءَتْ رِسَالَةٌ مَالِكِ إِلَى جَسَدٍ بَيْنَ الْعَوَائِدِ مَخْتَبِلِ^(٢)

والرسالة هنا بمعنى الإرسال والمصدر في تقدير الإضافة الى الفاعل والمفعول الا ول في التقدير محذوف كما كان في قوله فأرسل الى هرون محذوفا والتقدير رسالة مالك زيد الى جسد الجار والمجرور في موضع نصب بكونه مفعولا ثانيا والمعنى الى ذي جسد لأن الرسالة لم تأت الجسد دون سائر المرسل اليه وهذا مثل

(١) الشعر في جامع الشواهد (٢) المختبل : الذي اختبل عقله أي جن .

قوله «وبعد عاتك المائة الرعاة» في وضعه العطاء موضع الإيعطاء والرسول يكون بمعنى الرسالة ويكون بمعنى المرسل فأما كونه بمعنى الرسالة فكقول الشاعر:

لَقَدْ كَذَبَ الْوَأَشُونَ مَا بَحَثُ عَنْهُمْ بِسِيرٍ وَلَا أَرْسَلْتَهُمْ بِرَسُولٍ^(١)
أي برسالة و كونه بمعنى المرسل قوله وما محمد إلا رسول ومثله في انه فعول بمعنى مفعول قوله

وَمَا زِلْتُ خَيْرَ أَمْنِكَ مُدْعَضَ كَارِهَا بِلَحْيَيْكَ عَادِي الطَّرِيقِ رَكُوبٍ^(٢)
يريد انه طريق مر كوب مسلوك والمعصمة المنع من عصام القرية وهو وكاؤها الذي تشد به من سير أو خيط قال الشاعر

وَقُلْتُ عَلَيْكُمْ مَالِكًا إِنْ مَالِكًا سَيَخْصِمُكُمْ إِنْ كَانَ فِي النَّاسِ عَاصِمًا
أي سينصمكم واعصم فلان فلان أي امتنع به

﴿ المعنى ﴾

ثم أمر سبحانه نبيه بالتبليغ ووعده المعصمة والنصرة فقال (يا أيها الرسول) وهذا نداء تشریف وتعظيم (بلغ) أي اوصل اليهم (ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته) أكثر المفسرون فيه الأقاويل فقيل ان الله تعالى بعث النبي (ص) برسالة ضاق بها ذرعا وكان يهاب قريشا فأزال الله هذه الآية تلك الهيبة عن الحسن وقيل يريد به ازالة التوهم من ان النبي (ص) كتم شيئا من الوحي للثقة عن عائشة وقيل غير ذلك وروى المياشي في تفسيره باسناده عن ابن أبي عمير عن ابن اذينة عن الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس وجابر بن عبد الله قالوا أمر الله محمداً (ص) ان ينصب علياً (ع) للناس فيخبرهم بولايته فتخوف رسول الله (ص) ان يقولوا حابي ابن عمه وان يطعنوا في ذلك عليه فأوحى الله اليه هذه الآية فقام بولايته يوم غدیر خم وهذا الخبر بعينه قد حدثناه السيد ابو الحمد عن الحاكم ابي القاسم الحسكاني باسناده عن ابي عمير في كتاب شواهد التنزيل لقواعد التفصيل والتأويل وفيه ايضا بالاسناد المرفوع إلى حيان بن علي الضوي عن ابي صالح عن ابن عباس قال نزلت هذه الآية في علي (ع) فأخذ رسول الله (ص) بيده (ع) فقال من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وقد أورد هذا الخبر بعينه ابو اسحاق احمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي في تفسيره باسناده مرفوعا إلى ابن عباس قال نزلت هذه الآية في علي (ع) امر النبي (ص) أن يبلغ فيه فأخذ رسول الله (ص) بيد علي (ع) فقال من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وقد اشتهرت الروايات عن ابي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام ان الله أوحى إلى نبيه (ص) أن يستخلف علياً (ع) فكان يخاف ان يشق ذلك على جماعة من أصحابه فأنزل الله تعالى هذه الآية تشجيماً له على القيام بأمره الله بأدائه والمعنى ان تركت تبليغ ما أنزل إليك وكتمته كنت كأنك لم تبلغ شيئا من رسالات ربك في استحقاق العقوبة وقال ابن عباس معناه ان كتمت آية مما أنزل إليك فما بلغت رسالته أي لم تكن ممثلاً بجميع الامور (والله يعصمك من الناس) أي يمنعك من ان ينالوك بسوءه (ان الله لا يهدي القوم الكافرين) قيل فيه قولان ﴿ أحدهما ﴾ ان معنى الهداية هنا انه سبحانه لا يهديهم بالمعونة والتوفيق والالطاف الى الكفر بل إنما يهديهم إلى الإيمان لأن من هداه إلى غرضه فقد اعانه على بلوغه عن علي بن عيسى قال ولا يجوز ان يكون المراد لا يهديهم إلى الإيمان لأنه تعالى هدام إلى الإيمان بأن دلهم عليه ورغبهم فيه وحذّهم من خلافه ﴿ والآخر ﴾ ان المراد لا يهديهم إلى الجنة والثواب عن الجبائي

(١) الواشي : النمام . باح اليه بالسر : اظهره . (٢) عضه : امسكه باسنانه وقال ايضا عض به وعض عليه .
اللحي : عظم الحنك الذي عليه الاسنان . منبت اللحية وهما الحيان . العادي : الشيء القديم . ما بقى من آثار
الامم القديمة نسبة الى قبيلة عاد البائدة .

وفي هذه الآية دلالة على صدق النبي (ص) وصحة نبوته من وجهين * أحدهما * أنه وقع مخبره على ما أخبر به فيه وفي نظائره فدل ذلك على أنه من عند عالم الغيوب والسرائر * والثاني * أنه لا يقدم على الأخبار بذلك الا وهو يأمن أن يكون مخبره على ما أخبر به لأنه لا داعي له إلى ذلك إلا الصدق وروي ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما نزلت هذه الآية قال لحراس من اصحابه كانوا يحرسونه منهم سعد وحذيفة ألقوا بملاحقكم فإن الله تعالى عصمني من الناس

قوله تعالى (٦٨) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (آية)

* النزول *

قال ابن عباس جاء جماعة من اليهود إلى رسول الله (ص) فقالوا له أنت تقرأ بأن التوراة من عندنا قال بلى قالوا فإننا نؤمن بها ولا نؤمن بما عداها فنزلت الآية

﴿ المعنى ﴾

ثم أمر سبحانه النبي (ص) ان يخاطب اليهود فقال (قل) يا محمد (يا أهل الكتاب لستم على شيء) من الدين الصحيح (حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم) أي حتى تقرأوا بالتوراة والإنجيل والقرآن المنزل إلى جميع الخلق وقيل معناه حتى تقيموا التوراة والإنجيل بالتصديق بما فيها من البشارة بالنبي محمد (ص) والممل بما يوجب ذلك فيها وقيل معناه الأمر بإقامة التوراة والإنجيل وما فيها وإنما كان ذلك قبل النسخ لما عن الجبائي (وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا) مَرَّ تفسيره قبل (فلا تأس على القوم الكافرين) أي لا تحزن عليهم وهذه تسلية للنبي (ص) أي فلا تحزن فإن تكذيب الأنبياء عادتهم ودأبهم وقيل معناه لا تحزن على ذلك الكفر وتجاوز الحد في الظلم منهم فإن ضرر ذلك عائد عليهم وقيل معناه لا تحزن على هلاكهم وعذابهم فذلك جزاؤهم بفعلهم

قوله تعالى (٦٩) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِثُونَ وَالنَّصَارَىٰ مَن آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (آية)

* الاعراب *

اختلف في وجه ارتفاع قوله الصابثون فقال الكسائي هو نسق على ما في هادوا قال الزجاج وهذا خطأ من جهنين * أحدهما * ان الصابي على هذا القول يشارك اليهودي في اليهودية وليس كذلك فإن الصابي غير اليهودي فإن جمل هادوا بمعنى تابوا من قوله انا هدنا إليك لا من اليهودية ويكون المعنى تابوا هم والصابثون فالتفسير جاء بغير ذلك لأن معنى الذين آمنوا في هذه الآية إنما هو الإيمان بأفواههم ثم ذكر اليهود والنصارى فقال من آمن منهم بالله فله كذا فجعلهم يهوداً ونصارى فلو كانوا مؤمنين لم يحتاج إلى ان يقال من آمن منهم فلهم أجرهم وهذا قول الفراء والزجاج في الإنكار عليه والجهة الأخرى أن العطف على الضمير المرفوع من غير توكيد قبيح وإنما يأتي في ضرورة الشعر كما قال عمر بن ابي ربيعة

قُلْتُ إِذْ أَقْبَلْتُ وَزَهْرٌ تَهَادَى كِنَعِاجُ الْمَلَأِ تَعَسَّفَنَ رَمَلًا (١)

وقال الفراء انه عطف على ما لم يتبين فيه الاعراب مع ضعف ان قال وهذا يجوز في مثل الذين والمضمر نحو اني وزيد قائمان ولا يجوز ان زيداً وعمراً قائمان قال الزجاج وهذا غلط لأن ان تعمل النصب والرفع وليس في العربية ناصب ليس معه مرفوع لأن كل منصوب مشبه بالمفعول والمفعول لا يكون بغير فاعل وكيف يكون نصب ان ضعيفا وهو يتخطى الظروف فت نصب ما بعدها نحو ان فيها قوماً جبارين ونصب ان من اقوى المنصوبات وقال سيويه والخليل وجميع البصريين ان قوله والصابئون محمول على التأخير ومرفوع بالابتداء والمعنى ان الذين آمنوا والذين هادوا من آمن بالله الى آخره والصابئون والنصارى كذلك ايضا من آمن منهم بالله واليوم الآخر فلا خوف عليهم وانشدوا قول بشر بن حازم

وَالْأَفَاعِلُمُوا إِنَّا وَأَنْتُمْ بُغَاةٌ مَا بَقِينَا فِي شِقَاقِ

والمعنى فاعلموا انا بغاة ما بقينا في شقاق وانتم ايضا كذلك وقول ضابي البرجمي (٢)

فَمَنْ يَكُ أَمْسَى بِالْمَدِينَةِ رَحْلُهُ فَإِنِّي وَقِيَارٌ بِهَا لَغَرِيبٌ (٣)

أي فاني بها غريب وقيار كذلك وزعم سيويه ان قوما من العرب يظنون فيقولون انهم اجمعون ذاهبون وانك وزيد قائمان فجعل سيويه هذا غلطا وجعله كقول الشاعر

بَدَأَ لِي أَنِّي لَسْتُ مَدْرِكَ مَا مَضَى وَلَا سَابِقَ شَيْئًا إِذَا كَانَ جَائِيًا (٤)

المعنى *

قد مضى تفسير هذه الآية مشروحا في سورة البقرة وقد ذكرنا ههنا ان المعنى بالذين آمنوا في قول الزجاج هم المنافقون ثم ذكر بعد من آمن بالقلب وقيل ان من آمن محمول على اليهود والنصارى أي من آمن منهم والذين آمنوا في الابتداء محمول على ظاهره من حقيقة الايمان وقيل ان من آمن يرجع إلى الجميع ويكون معناه من يستدم الايمان ويستمر عليه

(٧٠) لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ (٧١) وَحَسِبُوا أَنَّ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (آياتان)

القراءة *

قرأ ابو عمرو وحزمة والكسائي أن لا تكون بالرفع والباقون بالنصب ولم يختلفوا في رفع فتنة

الحجة *

من قرأ ألا تكون فتنة بالرفع جعل ان محففة من الثقلية واضمر الماء وجعل حسبوا بمعنى العلم وعلى هذا الوجه ثبت النون في الخط واما النصب فعلى انه جعل ان الناصبة للفعل ولم يجعل حسبوا بمعنى العلم وعلى هذا الوجه تسقط النون من الخط

الالفه *

الموى هو لطف محل الشئ من النفس مع الميل اليه بما لا ينبغي فلذلك غلب على الموى صفة الذم ويقال هوى بهوى هوى وهو بهوى هوياً إذا انحط من الموى (٥) وأهوى يده إذا انحط بها ليأخذ شيئاً وهاوية جهنم لأنها بهوى فيها وهم يتهاونون في المهواة إذا سقط بعضهم على بعض والفرق بين الموى والشهوة ان الشهوة تتعلق

(١) زهر : جمع زهراء واراد بها المرمة المشرقة الوجه . تهادى اصله تنهادى فحذف احدى التامين اى تمايل وتبعثر . النعاج جمع نعجة والمراد بها هنا الظبية او بقرة الوحش . الملا : المكان العالى الواسع . تصفن : سرن سيرا شديداً . الرمل : الهرولة فى الشئ (٢) قاله حين حبسه عثمان بن عفان لعجرم اقترفه . (٣) قيار كشداد : اسم غلام الشاعر

بالمدركات فيشتهي الانسان الطعام ولا يهوى الطعام والحسان هو قوة احد النقيضين في النفس على الآخر وأصله الحساب فالنقيض القوي يحتسب به دون الآخر أي هو مما يحتسب ولا يطرح ومنه الحساب لأنه مما يحتسب ولا يطرح لأجل الشرف ومنه قولم حسبك أي بكفيك لأنه بحساب الكفاية ومنه احتساب الأجر لأنه فيما يحتسب ولا يلقى والفتنة هنا العقوبة وأصله الاختبار ومنه افتتن فلان بفلانة إذا هو بها لأنه ظهر ما بطوى من خبره بها وفتنت الذهب بالنار إذا خلصته ليظهر خبره في نفسه متميزاً من شائب غيره

✽ الاعراب ✽

اللام في لقد لام القسم ونصب فريقاً في الموضعين بأنه مفعول به قال ابو علي الفارسي الأفعال على ثلاثة اضرب فعل يدل على ثبات الشيء واستقراره وذلك نحو العلم واليقين والتبيين وفعل يدل على خلاف الاستقرار والثبات وفعل يجذب مرة إلى هذا القبيل ومرة إلى هذا القبيل فما كان معناه العلم وقع بعده ان الثقلية ولم يقع بعده الخفيفة الناصبة للفعل وذلك ان الثقلية معناها ثبات الشيء واستقراره والعلم بأنه كذلك ايضاً فإذا وقع عليه واستعمل معه كان وقفه وأن الناصبة للفعل لا تقع على ما كان ثابتاً مستقراً فمن استعمال الثقلية بعد العلم قوله ويعلمون ان الله هو الحق المبين أو لم يعلم بأن الله يرى لأن الباء زائدة وأما ما كان معناه ما لم يثبت ولم يستقر فنحو اطعم وأخاف وارجو وأخشي ونحو ذلك ويستعمل بعده الخفيفة الناصبة للفعل قال تعالى والذي اطعم أن يغفر لي خطيئتي وتجاوزون أن يتخطفكم الناس فخشيتنا أن يرهقها وأما ما يجذب مرة إلى هذا الباب ومرة إلى هذا الباب فنحو حسبت وظننت وزعمت وهذا النحو يجعل مرة بمنزلة ارجو واطمع من حيث كان أمراً غير مستقر ومرة يجعل بمنزلة العلم من حيث يستعمل استعماله ومن حيث كان خلافه والشيء قد يجري مجرى الخلاف نحو عطشان وربان فأما استعماله إياه استعمال العلم فهو انهم قد أجابوه ببواب القسم حكى سيبويه ظننت لتسبقي وظنوا ما لهم من محيص كما قالوا ولقد علمت لتأتين منيتي ولقد علمت ما أنزل هو لاه إلا رب السماوات والارض وكلهم قرأ فتنة بالرفع لأنهم جعلوا كان بمنزلة وقع ولو نصب فليل أن لا تكون فتنة على ان لا يكون قوله فتنة لكان جائزاً في العربية وإنما رفع لاتباع الأثر وإنما حسن وقوع ان الخفيفة من الشديدة في قراءة من رفع وإن كان بعده فعل لدخول لاولكونها عوضاً عن حذف الضمير معه وإبلاؤه ما لم يكن يليه ولو قلت علمت أن تقول لم يحسن حتى تأتي بما يكون عوضاً نحو قد ولا والسين وسوف كما في قوله علم ان سيكون منكم مرضى فإن قلت قد جاء وأن ليس للا انسان إلا ما سعى فلم يدخل بين ان وليس شيء فإنما جاء هذا لأن ليس ليس بفعل على الحقيقة وأما قوله كثير منهم فيرفع من ثلاثة أوجه ▶ احدها ▶ أن يكون بدلاً من الواو في عموا وضموا ▶ والثاني ▶ أن يكون خبر مبتدأ محذوف كأنه قال ذو العمى والصم كثير منهم ▶ والثالث ▶ أن يكون على لغة أكلوني البراغيث وعليه قول الشاعر

بَلْؤَمَوْتِي فِي اشْتِراءِ النَّخِيلِ أَهْلِي فَكَلَّمَهُمْ يَعْذِلُ

وقال الفرزدق

أَلَيْتَا عَيْنَاكَ عِنْدَ الْقَفَا أَوْلَى فَأَوْلَى لَكَ ذَا وَاقِيَةٍ

وقال المهدي

وَلَكِنْ دِيَابِي أَبُوهُ وَأُمُّهُ يَحْوَزانَ يَعْصِرَنَّ السَّلِيطَ أَقَارِبَهُ (١)

✽ المعنى ✽

ثم اقسام سبحانه بأنه أخذ عليهم الميثاق فقال (لقد أخذنا ميثاق بني اسرائيل) يريد الأيمان المؤكدة

أو فرسه على اختلاف فيه (٤) الشاهد في جر «سابق» عطفاً على مدرك مع كونه منصوباً بتوهم جره بالباء لكثرة دخوله على خبر ليس (٥) والظاهر «الهواء» (٦) المهواة : الجو

(١) الدياف قرية بالشام وقيل بالجزيرة اهلها نبط الشام . حوران اسم موضع . و السليط : الزيت .

التي أخذها أنبياءهم عليهم في الإيمان بمحمد والإقرار به وقيل أخذ ميثاقهم على الإخلاص في التوحيد والعمل بما أمر به والانتهاه عما نهى عنه والتصديق برسله والبشارة بمحمد (ص) ووجه الاحتجاج عليهم بذلك وإن كان أخذ الميثاق على آباءهم انهم عرفوا ذلك في كتبهم وأقرؤا بصحته فالحجة لازمة لهم وعتب المخالفة بلحقهم كما يلحق آباءهم (وارسلنا اليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم) أي مما لا تهوى أنفسهم أي بما لا يوافق مرادهم (فريقا كذبوا وفريقا يقتلون) أي كذبوا طائفة وقتلوا طائفة فإنت قيل لم عطف المستقبل على الماضي فجوابه ليدل على ان ذلك من شأنهم فيه معنى كذبوا وقتلوا ويكذبون ويقتلون مع ان قوله يقتلون على الماضي يجب أن يكون موافقا لرؤوس الآي ويمكن أن يقال التقدير فيه فريقا كذبوا لم يقتلوه وفريقا كذبوا يقتلون فيكون يقتلون صفة للفريق ولم يكن فيه عطف المستقبل على الماضي وعلى الجواب الأول لم يكن كذبوا ويقتلون صفة للفريق لأن التقدير كذبوا فريقا ويقتلون فريقا وقد ذكرنا تفسير الفريقين في سورة البقرة عند قوله فريقا كذبتم وفريقا تقتلون (وحسبوا) أي وظنوا (ألا تكون فتنة) أي عقوبة على قتلهم وتكذيبهم يريد وظنوا ان الله لا يعذبهم عن عطاء عن ابن عباس وقيل حسب القوم أن لا يكون بلية عن فتادة والحسن والسدي وقيل فتنة أي شدة وقحط عن مقاتل والكل متقارب وقيل وحسبوا فعلهم غير فاتن لهم وذلك انهم كانوا يقولون نحن ابناء الله وأحبأوه عن الزجاج وقيل معناه وقدروا ان لا تقع بهم فتنة في الإصرار على الكفر وظنوا ان ذلك لا يكون موقفا لهم عن ابن الانباري (فعموا وسموا) على التشبيه بالأعمى والأصم لأنه لا يهتدي إلى طريق الرشدي في الدين لإعراضه عن النظر كما لا يهتدي هذا إلى طريق الرشدي في الدنيا لأجل عماء وسممه (ثم تاب الله عليهم) يريد ان فريقا منهم تابوا فتاب الله عليهم (ثم عموا وسموا) أي عادوا إلى ما كانوا عليه يريد فلما انقضت تلك القرون ونشأت قرون أخر تخلقوا بأخلاق آباءهم فعموا عن الحق وسموا عن استماعه وقيل معناه لما تابوا دفع الله عنهم البلاء ثم صار (كثير منهم) كما كانوا وقيل أراد بكثير منهم من كان في عصر نبينا (ص) (والله بصير بما يعملون) أي علم بأعمالهم وهذا كالوعيد لهم

(٧٢) لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (٧٣) لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٤) أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونََهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (ثلاث آيات)

✽ اللغة ✽

الشرك أصله الاجتماع في الملك فإذا كان الملك بين اثنين فما شريكان وكذلك كل شيء بين اثنين ولا يلزم على ذلك ما يضاف إلى كل واحد منهما منفردا كالعبء يكون ملكا لله وهو ملك للانسان لأنه لو بطل ملك الانسان لكان ملكا لله كما كان لم يزد في ملكه شيء لم يكن والمس ههنا معناه ما يكون معه إحساس وهو حلوه فيه لأن العذاب لا يمس الحيوان إلا أحس به وقد يكون المس بمعنى اللمس

✽ الإعراب ✽

قال الفراء ثالث ثلاثة لا يكون إلا مضافا ولا يجوز التنوين في ثالث فينصب ثلاثة وكذلك قوله ثاني اثنين إذ هما في الغار لا يكون إلا مضافا لأن المعنى مذهب اسم كأنك قلت واحد من اثنين وواحد من ثلاثة ولو قلت انت

ثالث اثنين جاز الاضافة وجاز التنوين ونصب الاثنين وكذلك رابع ثلاثة لأنه فعل واقع وزاد الزجاج لهذا يرانا فقال لا يجوز في ثلاثة إلا الخفض لأن المعنى احد ثلاثة فإن قلت ثالث اثنين او رابع ثلاثة جاز الخفض والنصب اما النصب فعل قولك كان القوم ثلاثة فربتهم وانا رابعهم عددا ومن خفض فعل حذف التنوين كما قال عز وجل هديا بالغ الكعبة وتقديره بالغاً للكعبة وقوله وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن فيه دلالة على اعتماد القسم في مثل قوله ولئن جثتهم بأية ليقولن على الفعل الثاني دون الأول ألا ترى انه لو كان اعتماد القسم على الأول لما حذف اللام من قوله وإن لم ينتهوا كالم يحذف اللام الثانية في موضع ومثله في الشعر قول عارقه الطائي

فَأَقْسَمْتُ لَا أَحْتَلُّ إِلَّا بِصَهْوَةٍ حَرَامٍ عَلَيَّ رَمَلُهُ وَشَقَائِفُهُ
فَإِنْ لَمْ تَنْتَهَ بِبَعْضِ مَا قَدَّصَنْتُمْ لَا تَنْتَحِينَ لِلْعَظِيمِ ذُو أَنَا عَارِقُهُ (١)

فإن قيل لم لا يجوز أن يكون اعتماد القسم على اللام الأولى إلا انها حذفت كما حذفت من قوله قد افلح من زكاهما فجوابه ان ذلك لا يجوز لأن اللام إنما حذفت من قد افلح لطول الكلام لما اعترض بين القسم والمقسم عليه ولم يطل في هذا الموضع فيستجاز حذفها وإنما هذه اللام بمنزلة أن في قولك والله ان لو فعلت لفعلت تشبهتاتارة وتحذفها أخرى والقسم لا يعتمد على هذه اللام كما لا يعتمد على أن هذه أشد سيويه

فَأَقْسِمُ أَنْ لَوْ التَّقِينَا وَأَنْتُمْ لَكَانَ لَكُمْ يَوْمَ مِنَ الشَّرِّ مَظْلَمٌ

فالذي اعتمد عليه اقسام قوله لكان دون أن ألا ترى انك تقول أقسمت لو جئت لجئت فنحذف أن كما تحذف هذه اللام فهذه اللام من الزيادات التي إذا ادخلت أكدت وإذا سقطت لم يحل سقوطها بالكلام إلا ان زيادتها في القسم دون غيره كما أن إن تزداد في قولهم ما ان في النفي دون غيره وعلى هذا فيكون المقود بالقسم في قولك لئن أتيتي لا كرمتك إنما هو لا كرمتك ولكن الشرط يكون كاستثناء من هذه الجملة المقودة بالقسم كأنك أردت أن تقسم على الهبات ان تكرمه ثم بدا لك إذا أردت ذلك ثم علقت اكرامك إياه بإتيانه فصار التقدير والله لا كرمتك إن أتيتي أي إن أتيتي لا كرمتك فاستغنيت عن ذكر الجزاء لتقدير تقديم ما يدل عليه فقولك لان أتيتي متصل بما يدل عليه لا كرمتك من الجزاء هذا الاتصال وهذه الجملة قد غلصتها من كلام الشيخ ابي علي

المضى *

ثم عاد تعالى إلى ذكر النصارى فقال (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم) وهذا مذهب اليهودية منهم لأنهم قالوا ان الله اتحد بالمسيح اتحاد الذات فصارا شيئاً واحداً وصار الناسوت لاهوتاً وذلك قولهم انه الإله (وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم) أي خالقي وخالقكم ومالكي ومالككم وإني وإياكم عبيده (انه من يشرك بالله) أي بآن يزعم ان غيره يستحق العبادة مع ما ثبت انه لا يقدر أحد على فعل ما يستحق به العبادة سوى الله تعالى (فقد حرم الله عليه الجنة) والتحریم هاهنا تحریم منسج لا تحریم عبادة ومعناه فإن الله يمنه الجنة (ومأواه) أي مصيره (النار) وهذا كله اخبار من المسيح لقومه (وما للظالمين من أنصار) معناه لاناصر لهم يخلصهم مما هم فيه من أنواع للعذاب ثم أقسم تعالى قسماً آخر فقال (لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة) والقاتلون بهذه المقالة جمهور النصارى من الملكانية واليعقوية والنسطورية لأنهم يقولون ثلاثة اقانيم جوهر واحد أب وابن وروح القدس إله واحد ولا يقولون لثلاثة آلهة ويمنعون من هذه العبارة وإن كان يلزمهم أن يقولوا ثلاثة آلهة فصح أن يحكى عنهم بالعبارة اللازمة وإنما قلنا انه يلزمهم ذلك لأنهم يقولون الإله الإله والإله الإله وروح القدس إله والابن ليس هو الأب (وما من إله إلا إله واحد) أي ليس إله إلا إلهاً واحداً وإنما دخلت من للتوكيد (وإن لم ينتهوا عما يقولون) أي وان لم يرجعوا ويتوبوا عما يقولون من القول بالثلاث أقسم ليمسن

(١) احتل بالمكان : نزله . صهوة كل شيء : اعلاه . انتحى له : اعتمد عليه و مال ابيه . قوله ذوأنا عارقه اي الذي اباآكل ماعليه من اللحم . (٢) بتشديد الواو للضرورة .

الذين كفروا منهم عذاب أليم) وإنما خص سبحانه الذين يستمرون على كفرهم لأنه علم أن بعضهم يؤمن عن أبي علي الجبائي والزجاج وقيل انه عم بقوله الذين كفروا الفريقين الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم والذين قالوا ان الله هو ثالث ثلاثة والضمير عائد إلى أهل الكتاب وليس في هذا دلالة على ان في افعال الجوارح ما هو كفر لأنه إنما يتضمن ان من قال انه ثالث ثلاثة فهو كافر ولا خلاف في ذلك فإن من قال ان الكفر هو الجحود بالقلب قال ان في افعال الجوارح ما يدل على الكفر الذي هو الجحود مثل هذه المقالة ومثل السجود للصنم وغير ذلك فلا دلالة في الآية على ما قالوه (أفلا يتوبون إلى الله) قال القراء هذا أمر في لفظ الاستفهام وقد يرد الأمر بلفظ الاستفهام كقوله فهل اتهم منتهم وإنما دخلت إلى لأن معنى التوبة الرجوع إلى طاعة الله لأن التائب بمنزلة من ذهب عنها ثم عاد إليها (ويستغفرونه) الفرق بين التوبة والاستغفار ان الاستغفار طلب المغفرة بالدعاء والتوبة أو غيرهما من الطاعة والتوبة الندم على المعصية مع العزم على ان لا يعود إلى مثلها في التوب والاستغفار مع الإصرار على القبيح لا يصح (والله غفور رحيم) يغفر الذنوب ويسترها رحمة منه لبياده وفي هذه الآية تحريض على التوبة وحث على الاستغفار

قوله تعالى (٧٥) مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ أَنْظُرْ كَيْفَ نَبِّئُ لَكُمْ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظِرْ أَنِّي يُؤْفَكُونَ (٧٦) قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٧٧) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ (ثلاث آيات)

❖ اللغة ❖

الصديقة المبالغة في الصدق والصديق فيل من ابنة المبالغة كما يقال رجل سيكيت أي مبالغ في السكوت يقال أفكه بأفكه أفكا إذا صرفه والأفك الكذب لأنه صرف عن الحق وكل مصروف عن شيء مأفوك عنه قال ابن السكيت

إِنْ تَكَ عَنْ أَحْسَنِ الرُّوَّةِ مَا فُوكًا فَبِي آخِرِينَ قَدْ أَفَكُوا^(٢)

وقد افكت الأرض إذا صرف عنها المطر وأرض مأفوكة لم يصبها مطر والمؤفكات التقلبات من الرياح لأنها صرفت عن وجهها والملك القدرة على تصرف ما للقادر عليه ان يصرفه فملك الضرر والنفع أخص من القدرة عليهما لأن القادر قد يقدر من ذلك على ما له أن يفعل وقد يقدر منه على ما ليس له ان يفعله والنفع هو فعل اللذة والسرور أو ما أدى إليها أو إلى أحدهما مثل الملاذ التي تحصل في الحيوان والصلة بالمال والوعد باللذة فإن جميع ذلك نفع لأنه يؤدي إلى اللذة والضرر هو فعل الألم والغم أو ما يؤدي إليها أو إلى واحد منها كالآلام التي توجد في الحيوان وكالكذب والسب لأن جميع ذلك يؤدي إلى الألم والأهواء اجمع هوى النفس مقصور لأنه مثل فعل وقيل جمعه أفعال

❖ الاعراب ❖

انصاب غير الحق على وجهين ❖ أحدهما ❖ أن يكون على الحال من دينكم فكأنه قال لا تغلوا في دينكم مخالفتين للحق ❖ والثاني ❖ ان يكون منصوباً على الاستثناء بمعنى لا تغلوا في دينكم إلا الحق فيكون الحق مستثنى من النهي عن الغلو فيه بأن يجوز الغلو فيما هو حق على معنى اتباعه

(١) [منهم] (٢) يقول ان لم توفق للاحسان فانت في قوم قد صرفوا من ذلك ايضاً

* المعنى *

لما قدم سبحانه ذكر مقالات النصارى عقبه بالرد عليهم والاحتجاج لهم فقال (ما المسيح بن مريم الا رسول) أي ليس هو بل آله (قد خلت من قبله الرسل) أي كما ان الرسل الذين مضوا قبله ليسوا بأله وان أتوا بالمعجزات الباهرات فكذلك المسيح فمن ادعى له الألوهية فهو كمن ادعى لهم الألوهية لتساويهم في المنزلة (واهم صديقة) لأنها تصدق بآيات ربها ومنزلة ولدها وتصدق فيما أخبرها به بدلالة قوله وصدقت بكلمات ربها عن الحسن والجبائي وقيل سميت صديقة لكثرة صدقها وعظم منزلتها فيما تصدق به من أحرها (كانا يأكلان الطعام) قيل فيه قولان * أحدهما * انه احتجاج على النصارى بأن من ولده النساء وبأكل الطعام لا يكون إلهًا للعباد لأن سبيله سيئهم في الحاجة إلى الصانع المدير والمعنى انها كانا يعيشان بالغذاء كما يعيش سائر الخلق فكيف يكون إلهًا من لا يقبضه إلا أكل الطعام وهذا معنى قول ابن عباس * والثاني * ان ذلك كناية عن قضاء الحاجة لأن من أكل الطعام لا بد له من الحدث فلما ذكر الأكل صار كأنه أخبر عن عاقبته (أنظر كيف نبين لهم الآيات) أمر سبحانه النبي (ص) وأمره بأن يفكروا فيما بين تعالى من الآيات أي الدلالات على بطلان ما اعتقدوه من ربوبية المسيح ثم أمر بأن ينظر (ثم انظر أني يؤفكون) أي كيف يصرفون عن الحق الذي يؤدي اليه تدبر الآيات فالنظر الأول إنما هو إلى فعله تعالى الجميل في نصب الآيات وإزاحة العليل والنظر الثاني إلى أفعالهم القبيحة وتركهم التدبر للآيات ثم زاد تعالى في الاحتجاج عليهم فقال (قل) يا محمد (أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرراً ولا نفعاً) أي اتوجهون عبادتكم إلى من لا يقدر لكم على النفع والضرر لأن القادر عليها هو الله أو من يمكنه الله تعالى من ذلك والمنسحق للعبادة إنما هو القادر على اصول النعم والضرر والخلق والاحياء والرزق ولا يقدر على ذلك غير الله فلا يستحق العبادة سواء (والله هو السميع) لأقوالكم (العليم) بضائرهم وفي هذا تحذير من الجزاء واستدعاء إلى التوبة ثم دعاهم إلى ترك الغلو فقال (قل) يا محمد للنصارى فإنهم المضطربون هنا وقال قوم انه خطاب لليهود والنصارى لأن اليهود غلوا ايضاً في تكذيب عيسى ومحمد (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم) أي لا تتجاوزوا الحد الذي حدده الله لكم إلى الازدياد وضده التقصير وهو الخروج عن الحد إلى النقصان والزيادة في الحد والنقصان عنه كلاهما فساد ودين الله الذي أمر به هو بين الغلو والتقصير وهو الاقتصار (غير الحق) أي مجاوزين الحق إلى الغلو وإلى التقصير فيفوتكم الحق ومن قال ان الخطاب لليهود والنصارى فغلو نصارى فغلو نصارى في عيسى ادعائهم له الألوهية وغلوا اليهود فيه تكذيبهم له ونسبتهم إياه إلى انه لغير رشدة (ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا) قال ابن عباس كل هوى ضلالة يعني بالقوم الذين ضلوا من قبل رؤساء الضلالة من فريقي اليهود والنصارى والآية خطاب للذين كانوا في عصر النبي (ص) فهو ان يتبعوا اسلافهم فيما اجدعوه بأهوائهم وان يقلدوهم فيما هووا والأهواء ههنا المذاهب التي تدعو إليها الشهوة دون الحجة لأن الإنسان قد يستقل النظر لما فيه من المشقة ويميل طبعه إلى بعض المذاهب فيعتقده وهو ضلال فيهلك به والاتباع هو سلوك الثاني طريقة الأولى على وجه الاقتداء به وقد يتبع الثاني الأول في الحق وقد يتبعه في الباطل وإنما يعلم اجدعها بدليل (واضلوا كثيراً) يعني به هؤلاء الذين ضلوا عن الحق اضلوا كثيراً من الخلق ايضاً ونسب الاضلال اليهم من حيث كان بدعائهم واغوائهم (وضلوا عن سواء السبيل) قيل في معناه قولان * أحدهما * انهم ضلوا باضلالهم غيرهم عن الزجاج * والثاني * انهم ضلوا من قبل بكفرهم بعيسى واضلوا غيرهم من بعد بكفرهم بمحمد (ص) فلذلك كرر ومعنى سواء السبيل مستقيم الطريق وقيل له سواء لاستمراره على استواء وقيل لأنه يستقيم بصاحبه إلى الجنة والخلود في النعيم

قوله تعالى (٧٨) لَعْنَةُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ

يَمَّا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٩) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُنْكَرِ فَعْلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ
(٨٠) تَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ (ثلاث آيات)

❖ اللفظة ❖

للتناهي هاهنا معنيان ❖ أحدهما ❖ انه تفاعل من النهي اي كانوا لا ينهى بعضهم بعضاً ❖ والثاني ❖
انه بمعنى الانتهاء يقال انتهى عن الأمر وتناهى عنه إذا كف عنه

❖ الاعراب ❖

لبس ما يجوز ان يكون ما ههنا كافة لبس كما تكف في إنما ولكننا وبعدها وربما واللام فيه للقسم ويجوز
ان يكون اسما نكرة فكأنه قال لبس شيئاً فعلوه كما تقول لبس رجلاً كان عندك ومحل أن سخط الله
عليهم رفع كرفع زيد في قولك لبس رجلاً زيد فيكون مبتدأ وبس وما عملت فيه خبره او يكون خبر مبتدأ
محذوف كأنه لما قال لبس رجلاً قبل من هو فقال زيد اي هو زيد ويجوز ان يكون محله نصباً على تأويل لبس
الشيء ذلك لأن سخط الله عليهم

❖ المعنى ❖

ثم اخبر تعالى عما جرى على اسلافهم فقال (لمن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى
ابن مريم) قيل في معناه اقوال ❖ أحدها ❖ ان معناه لعنوا على لسان داود فصاروا قردة وعلى لسان عيسى فصاروا
خنازير وإنما خص عيسى وداود لأنها آية الأنبياء المبشرين من بعد موسى ولما ذكر داود اغني عن
ذكر سليمان لأن قولها واحد عن الحسن ومجاهد وقتادة وقال ابو جعفر الباقر (ع) اما داود فإنه لعن أهل آية
لما اعتدوا في سبتهم وكان اعتدائهم في زمانه فقال اللهم السهم اللعنة مثل الرداء ومثل المنطقة على الحقوبين
فمسخهم الله قردة فأما عيسى (ع) فإنه لعن الذين انزلت عليهم المائدة ثم كفروا بعد ذلك ❖ وثانيها ❖ ما قاله
ابن عباس انه يريد في الزبور وفي الانجيل ومعنى هذا ان الله تعالى لعن في الزبور من يكفر من بني اسرائيل
وفي الانجيل كذلك فلذلك قيل على لسان داود وعيسى ❖ وثالثها ❖ ان يكون عيسى وداود علما ان محمدا
نبي مبعوث ولعنا من يكفر به عن الزجاج والأول اصح والمراد ان الله أسبهم من المففرة مع الإقامة على الكفر
لدعاء الأنبياء عليهم بالعقوبة ودعوتهم مستجابة وإنما ذكر اللعن على لسانها ازالة للايهام بأن لهم منزلة بولادة
الأنبياء تنجيهم من العقوبة (ذلك) اشارة الى اللعن المتقدم ذكره (بما عصوا وكانوا يعتدون) اي بمصيبتهم
واعتدائهم ثم بين تعالى حالهم فقال (كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه) اي لم يكن ينهى بعضهم بعضاً
ولا يتتهون اي لا يكفون عما نهوا عنه قال ابن عباس كان بنو اسرائيل ثلاث فرق فرقة اعتدوا في السبت وفرقة
فهوهم ولكن لم يدعوا مجالسهم ولا موارثهم وقرقة لما رأوهم يعتدون ارتحلوا عنهم وبقيت الفرقتان المتعدية
والناحية المخالطة فلعنوا جميعاً ولذلك قال رسول الله (ص) لتأمرن بالمعروف ولتنهين عن المنكر ولتأخذن على يد السفيه
ولتأطرنه على الحق اطراً او ليضربن الله قلوب بعضكم على بعض ويلعنكم كما لعنهم وإنما سمي القبيح منكراً لأنه
ينكره العقل من حيث ان العقل يقبل الحسن ويعترف به ولا ياباه وينكر القبيح ويأباه وما ينكره العقل فهو
الباطل وما يقر به فهو الحق وقيل ان المراد بالنكر هنا صيدهم السمك يوم السبت وقيل هو اخذهم الرشى في
الاحكام وقيل اكلمهم الربا واثمان الشحوم ثم اقسم سبحانه فقال (لبس ما كانوا يفعلون) اي لبس شيئاً
فعلهم (ترى كثيراً منهم) اي من اليهود (يتولون الذين كفروا) يريد كفار مكة عنى بذلك كعب بن

(١) المنطقة : ما يشد به الوسط . الحقو : معقد الازار . (٢) اطره : عطفه وتناه .

ج ٣

الاشرف واصحابه حين استجاشوا المشركين على رسول الله وذكرنا ذلك عند قوله ويقول الذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلاً وقال ابو جعفر الباقر (ع) يتولون الملوك الجبارين ويزبنون لهم احوالهم ليصيبوا من دنياهم وفي هذا توييح لأولئك القوم وتنبية على سوء فعالهم وخبث عقائدهم (لبس ما قدمت لهم أنفسهم) أي لبس ما قدموا من العمل لمادهم في الآخرة (ان سخط الله عليهم) أي سخط الله عليهم (وفي العذاب هم خالدون) وذهب ابن عباس ومجاهد والحسن إلى أن هذه الآية في المنافقين من اليهود والكنانية في قوله منهم عائدة اليهم ويؤكد ما بعد هذه الآية

قوله تعالى (٨١) وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوا أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (آية)

المعنى

(ولو كانوا يؤمنون بالله) أي لو كانوا يصدقون بالله (والنبي) محمد «ص» (وما أنزل إليه) من القرآن ويمتقدون ذلك على الحقيقة كما يظهر منه (ما اتخذوهم) يعني الكافرين (أولياء) عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقيل المراد بالنبي موسى وبما أنزل إليه التوراة فيكون المراد بهم اليهود الذين جاهاوا بالعداوة لرسول الله والتولي للمشركين ويكون معنى الموالاتة التناصر والمعاونة على محاربة النبي (ص) ومعاداته ويجوز أن يكون يرهد الموالاتة على الحقيقة (ولكن كثيراً منهم فاسقون) وصفهم بالفسق وإن كان الكفر أبلغ في باب الذم لأمرين أحدهما أنهم خارجون عن امر الله وهذا المعنى لا يظهر بأن يصنفهم بالكفر والآخر أن الفاسق في كفره هو المتمرد فيه والصلح بدل على أنهم فاسقون في كفرهم أي خارجون إلى التمرد فيه قوله تعالى (٨٢) لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيِينَ وَرُهَبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٨٣) وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٨٤) وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ (ثلاث آيات)

اللفظة

قال الزجاج القيس والقس من رؤساء النصارى فأما القس في اللغة فهو النسيمة ونشر الحديث يقال قس فلان الحديث قساً قال الفراء ويجمع القيس قساوسة جموعه على مهالبة فكانت قساوية فكسرت السينان فأبدلوا إحداهن واواً والقساوسة مصدر القس والقيس وقد تكلمت العرب بها وأنشد المازني

لَوْ عَرَضْتَ لِأَيْلِي قَسٍ أَشَمْتُ فِي هَيْكَلِهِ مُنَدَسٍ
حَنَّ إِلَيْهَا كَحَنِّهِنَّ الطَّسِ (١)

وقال امية

لَوْ كَانَ مُنْقَلَبٌ كَانَتْ قَسَاوِسَةً يَحْبِبُهُمُ اللَّهُ فِي أَيْدِيهِمُ الزُّبُرُ

والرهبان جمع راهب مثل راكب وركبان وفارس وفرسان والرهبانية مصدره والترهب التبعيد في صومعة

(١) الايلى : الراهب . والاشعث : الضمير المتلبد . واندس : اندفن . الطس : الطشت .

وأصله من الرهبة المخافة وقال جرير

رُهْبَانُ مَدِينٍ لَوْ رَأَوْكَ تَنَزَّلُوا
وَالْعَصْمُ مِنْ شَعْفِ الْجِبَالِ الْفَادِرِ (١)

وقال بعضهم الرهبان يكون واحداً وجمعاً فمن جملة واحداً جعله بناء على فعلان وانشد
لَوْ عَايَنْتَ رُهْبَانَ دَيْرٍ فِي الْقَلَلِ
لَأَنحَدَرَ الرَّهْبَانُ يَمْشِي وَزَلَّ

وفيض العين من الدمع امتلاؤها منه كفيض النهر من الماء وفيض الاناء وهو سيلانه من شدة امتلائه وفاض صدر فلان بسره وفاض القوم من عرفات إلى منى إذا دفعوا وفاضوا في الحديث إذا تدافعوا فيه والدمع الماء الجاري من العين وبشبهه به الصافي فيقال كأنه دمة والمدامع مجاري الدمع وشجة دامة تسيل دما والطمع تعلق النفس بما يقوى ان يكون من معنى المحبوب ونظيره الأمل والرجاء والطمع يكون معه الخوف ولا يكون والصالح هو الذي يعمل الصلاح في نفسه فإن كان عمله في غيره فهو مصلح فلذلك بوصف الله تعالى بأنه مصلح ولم بوصف بأنه صالح

الاعراب

اللام في لتجدن لام القسم والنون دخلت ليفصل بين الحال والاستقبال هذا مذهب الخليل وسيبويه وعداوة منصوب على التمييز ويقولون ربنا في موضع نصب على الحال وتقديره قائلين ربنا ولا تؤمن في موضع نصب على الحال تقديره أي شيء لنا تاركين الإيمان أي في حال تركنا الإيمان ومن الحق معنى من تبيين الاضافة التي تقوم مقام الصفة كأنه قيل والجائي لنا الذي هو الحق وقيل انها للتبويض لأنهم آمنوا بالذي جاءهم على التنصیل

التزول والقصة

نزلت في النجاشي واصحابه قال المفسرون أتممت قریش ان يفتنوا المؤمنین عن دينهم فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين بوذونهم وبعذبونهم فانتن من افتن وعصم الله منهم من شاء ومنع الله رسوله بعصم ابي طالب فلما رأى رسول الله ما بأصحابه ولم يقدر على منعهم ولم يؤمر بعد بالجهاد أمرهم بالخروج الى أرض الحبشة وقال ان بها ملكاً صالحاً لا يظلم ولا يظلم عنده احد فاخرجوا اليه حتى يجعل الله عز وجل للمسلمين فرجاً وأراد به النجاشي واسمه اصحمة وهو بالحبشية عطية وانما النجاشي اسم الملك كقولهم تبع كسرى وقيصر فخرج اليها سرّاً أحد عشر رجلاً وأربع نسوة وهم عثمان بن عفان وامرأته رقية بنت رسول الله والزبير بن العوام وعبد الله بن مسعود وعبد الرحمن بن عوف وابو حذيفة بن عتبة وامرأته سهيل بنت سهيل بن عمرو ومصعب بن عمير وابو سلمة بن عبد الأسد وامرأته أم سلمة بنت أبي أمية وعثمان بن مظعون وبغاس بن ربيعة وامرأته ليلي بنت ابي خيشمة وحاطب بن عمرو وسهل بن البيضاء فخرجوا الى البحر وأخذوا سفينة الى أرض الحبشة بنصف دينار وذلك في رجب في السنة الخامسة من بعث رسول الله وهذه هي الهجرة الأولى ثم خرج جعفر بن ابي طالب وتتابع المسلمون اليها وكان جميع من هاجر الى الحبشة من المسلمين اثنين وثمانين رجلاً سوى النساء والصبيان فلما علمت قریش بذلك وجهوا عمرو بن العاص وصاحبه عمارة بن الوليد بالهدايا الى النجاشي والى بطارقتهم ليردّوهم اليهم وكان عمارة بن الوليد شاباً حسن الوجه واخرج عمرو بن العاص اهله معه فلما ركبوا السفينة شربوا الخمر فقال عمارة لعمرو بن العاص قل لأهلك تقبلي فأبى فلما انتشى عمرو دفعه عمارة في الماء ونشب عمرو في صدر السفينة وأخرج من الماء والقي الله بينها العداوة في مسيرهما قبل ان يقدموا الى النجاشي ثم وردا على النجاشي فقال عمرو ابن العاص ايها الملك ان قوما خالفونا في ديننا وسبوا آلهتنا وصاروا اليك فردّم الينا فبعث النجاشي الى جعفر فجاءه فقال يا أيها الملك سلهم أنحن عبيدكم فقال لابل احرار قال فسلمهم اللهم علينا ديون بطالوتنا بها قال لا مالنا عليكم

(١) العصم جمع الاقصم : الظبي اذا كان في ذراعيه او في احداهما بياض وسائرهم اسود او احمر . و شعفة كل شيء : اعلاه والحجر المشرف من القلل . (٢) انتشى : سكر . (٣) نشب الشيء في الشيء : علق .

ديون قال فلکم في اعتناقنا دماء تطالبونا بها قال عمرو لا قال فما تريدون منا آذيتونا فخرجنا من دياركم ثم قال ايها الملك بعث الله فينا نبياً أمرنا بجمع الانداد وترك الاستقسام بالأزلام وأمرنا بالصلاة والزكاة والعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى ونهانا عن الفحشاء والمنكر والبغى فقال النجاشي بهذا بعث الله عيسى ثم قال النجاشي لجعفر هل تحفظ مما انزل الله على نبيك شيئا قال نعم فقرأ سورة مريم فلما بلغ قوله وهزتي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً قال هذا والله هو الحق فقال عمرو انه مخالف لنا فردّه اليسا فرفع النجاشي يده وضرب بها وجه عمرو وقال اسكت والله لئن ذكرته بعد بسوء لأفعلن بك وقال أرجعوا الى هذا هديته وقال لجعفر واصحابه أمكثوا فلو كنتم سيوم والسيوم الآمنون وامر لهم بما يصلحهم من الرزق فانصرف عمرو وأقام المسلمون هناك بخير دار واحسن جوار الى ان هاجر رسول الله وعلا امره وهادن قريشاً وفتح خيبر فوافى جعفر الى رسول الله بجميع من كانوا معه فقال رسول الله لا ادري انا بفتح خيبر أسراً أم بقدم جعفر ووافى جعفر واصحابه رسول الله في سبعين رجلاً منهم اثنان وستون من الحبشة وثمانية من اهل الشام فيهم بجيراء الراهب فقرأ عليهم رسول الله (ص) سورة يس الى آخرها فبكوا حين سمعوا القرآن وآمنوا وقالوا ما اشبه هذا بما كان ينزل على عيسى فأنزل الله فيهم هذه الآيات وقال مقاتل والكلبي كانوا اربعين رجلاً اثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية من اهل الشام وقال عطا كانوا ثمانين رجلاً اربعون من اهل نجران من بني الحرث بن كعب واثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية روميون من اهل الشام

المعنى

ثم ذكر تعالى معاداة اليهود للمسلمين فقال (لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشر كوا) وصف اليهود والمشركين بأنهم اشد الناس عداوة للمؤمنين لأن اليهود ظاهروا المشركين على المؤمنين مع ان المؤمنين يؤمنون بنبوة موسى والتوراة التي اتي بها فكان ينبغي ان يكونوا الى من وافقهم في الايمان بنبيتهم وكتابهم اقرب وانما فعلوا ذلك حسداً للنبي (ص) (ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى) يعني الذين قدمنا ذكرهم من النجاشي ملك الحبشة واصحابه عن ابن عباس وسعيد بن جبير وعطا والسدي والذين جاؤمع جعفر مسلمين عن مجاهد (ذلك بأن منهم) اي من النصارى (قسيسين) اي عبادا عن ابن زيد وقيل علماء عن قطرب وقيل ان النصارى صيغت الا فيجبل وادخلوا فيه ما ليس فيه وبقي من علمائهم واحد على الحق والاستقامة فهو قسيسا فمن كان على هداية ودينه فهو قسيس (ورهبانا) اي اصحاب انصوامع (وانهم لا يستكبرون) معناه ان هؤلاء النصارى الذين آمنوا لا يستكبرون عن اتباع الحق والالتقياد له كما استكبر اليهود وعباد الأوثان وأتقوا عن قبول الحق اخبر الله تعالى في هذه الآية عن عداوة مجاوري النبي (ص) من اليهود ومودة النجاشي واصحابه الذين اسلموا معه من الحبشة لأن الهجرة كانت الى المدينة وبها اليهود والى الحبشة وبها النجاشي واصحابه ثم وصفهم فقال (واذا سمعوا ما انزل الى الرسول) من القرآن (ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق) اي لمعرفتهم بأن المتلو عليهم كلام الله وانه حق (يقولون ربنا آتانا) اي صدقنا بأنه كلامك انزلته على نبيك (فاكتبنا) اي فاجعلنا بمنزلة من قد كتب ودون وقيل فاكتبنا في أم الكتاب وهو اللوح المحفوظ (مع الشاهدين) اي مع محمد وامته الذين يشهدون بالحق عن ابن عباس وقيل مع الذين يشهدون بالايمان عن الحسن وقيل مع الذين يشهدون بتصديق نبيك وكتابك عن الجبائي (وما لنا لا نؤمن بالله وما جئتنا من الحق) معناه لا يذنبون لانؤمن بالله وهذا جواب لمن قال لهم من قومهم تعنيفا لهم لم آمنتم عن الزجاج وقيل انهم قدروا في اقسامهم كأن سائلا سألهم عنه فأجابوا بذلك والحق هو القرآن والاسلام ووصفه بالجسي مجازا كما يقال نزل وانما نزل به الملك فكذلك جاء به الملك وقيل ان جاء بمعنى حدث نحو قوله جاءت سكرة الموت بالحق (ونطمع) اي نرجو ونأمل (ان يدخلنا ربنا) يعني في الجنة لا يماننا بالحق فحذف لدلالة الكلام عليه (مع القوم الصالحين) المؤمنين من امة محمد

قوله تعالى (٨٥) فأتاهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين (٨٦) والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم (آيتان)

✽ اللفظة ✽

أتاهم أي جازاهم وأصل الثواب الرجوع والاحسان إيصال النفع الحسن إلى الغير وضده الإساءة وهو إيصال الضرر القبيح إليه وليس كل من كان من جهته إحسان فهو محسن مطلقاً فالمحسن فاعل الإحسان بشرط أن يكون خالياً من وجوه القبح والجحيم النار الشديدة الإيقاد وهو هنا اسم من أسماء جهنم وجحيم فلان النار إذا شدد إيقادها ويقال لعين الأسد جحمة لشدة إيقادها قال «والحرب لا يبغي لجاحها التخيل والمراح»

✽ المعنى ✽

(فأتاهم) أي جازاهم (الله بما قالوا) أي بالتوحيد عن الكليبي وعلى هذا فإنما علق الثواب بمجرد القول لأنه قد سبق من وصفهم ما يدل على إخلاصهم فيما قالوه وهو المعرفة بعبادة الحق والبكاء المؤذن بحقيقة الإخلاص واستكانة القلب ومعرفة القول إذا اقترن به المعرفة والإخلاص فهو الإيمان الحقيقي الموعود عليه الثواب وقيل إن المراد بما قالوا ما سألوا يعني قوله فآكبتنا مع الشاهدين ونطمع أن يدخلنا الآيات عن عطاء ابن عباس وعلى هذا فيكون القول معناه المسألة للجنة (جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها) مرّة تفسيره (وذلك جزاء المحسنين) أي المؤمنين عن الكليبي والموحدين عن ابن عباس (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم) لما ذكر سبحانه الوعد لمؤمنهم ذكر الوعيد لمن كفر منهم وكذب واطلق اللفظ به ليكون لهم ولين جرى مجراه في الكفر وإنما شرط في الوعيد على الكفر التكذيب بالآيات وإن كان كل منهما يستحق به العقاب لأن صفة الكفار من أهل الكتاب أنهم يكذبون بالآيات فلم يصح هنا أو كذبوا لأنهم جمعوا الآيتين وليس من شرط المكذب أن يكون علماً بأن ما كذب به صحيح بل إذا اعتقد أن الخبر كذب سمي مكذباً وإن لم يعلم أنه كذب وإنما يستحق به الذم لأنه جعل له طريق إلى أن يعلم صحة ما كذب به

قوله تعالى (٨٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٨٨) وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ (آيتان)

✽ النزول والقصة ✽

قال المفسرون جلس رسول الله يوماً فذكر الناس ووصف القيامة فرق الناس وبكوا واجتمع عشرة من الصحابة في بيت عثمان بن مظعون الجمحي وهم علي وابو بكر وعبد الله بن مسعود وابو ذر الغفاري وسالم مولى أبي حذيفة وعبد الله بن عمر والمقداد بن الأسود الكندي وسلمان الفارسي ومعل بن مقرن واتفقوا على أن يصوموا النهار ويقوموا الليل ولا يناموا على الفرش ولا يأكلوا اللحم ولا الودك ولا يقربوا النساء والطيب ويلبسوا المسوح ويرفضوا الدنيا ويسبحوا في الأرض وهم بعضهم أن يجب مذاكيره فبلغ ذلك رسول الله (ص) فأتي دار عثمان فلم يصادفه فقال لامرأته أم حكيم بنت أبي أمية واسمها حواء وكانت عطارة أحق ما يلفتني عن زوجك وأصحابه فكرهت أن تكذب رسول الله (ص) وكرهت أن تبدي علي زوجها فقالت يا رسول الله إن كان أخبرك عثمان فقد صدقتك فانصرف رسول الله (ص) فلما دخل عثمان أخبرته بذلك فأتي رسول الله (ص) هو وأصحابه فقال لم رسول الله ألم أنبئكم أنكم اتفقتم على كذا وكذا قالوا بلى يا رسول الله (ص) وما أردنا إلا الخير فقال رسول

الله أني لم أؤمر بذلك ثم قال ان لا تؤسّم عليكم حقاً فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فإني أقوم وأنام واصوم وافطر
وآكل اللحم والدسم وآتي النساء ومن رغب عن سنتي فليس مني ثم جمع الناس وخطبهم وقال ما بال أقوام حرّموا
النساء والطعام والطيب والنوم وشهوات الدنيا إما اني لست أمركم ان تكونوا قسيسين ورهباناً فإنه ليس في ديني
ترك اللحم ولا النساء ولا اتخاذ الصوامع وان سياحة امتي الصوم ورهبانيتهم الجهاد اعدوا الله ولا تشرّكوا به شيئاً
وحجّوا واعتمرّوا واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وصوموا رمضان واستقيموا يستقيم لكم فإنما هلك من كان قبلكم
بالتشديد شدّدوا على أقسّم فشدد الله عليهم فأولئك بقاياهم في الديارات والصوامع فأنزل الله الآية وروي عن
أبي عبد الله (ع) انه قال نزلت في علي وبلال وعثمان بن مظعون فأما علي (ع) فإنه حلف ان لا ينام بالليل ابداً
إلا ما شاء الله واما بلال فإنه حلف ان لا يطر بالنهار ابداً واما عثمان بن مظعون فإنه حلف ان لا ينكح ابداً

المعنى *

لما تقدم ذكر الرهبان وكانوا قد حرّموا على أقسّم الطيبات نهى الله المؤمنين عن ذلك فقال (يا أيها الذين آمنوا)
أي يا أيها المؤمنون (لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم) وهو يحتمل وجوهاً منها ان يريد لا تعتقدوا تحريمها ومنها ان يريد لا تظهروا
تحريمها ومنها ان يريد لا تحرموها على غيركم بالفتوى والحكم ومنها ان يريد لا تجروها مجرى المحرمات في شدة الاجتناب
ومنها ان يريد لا تلتزموا تحريمها بنذر او يمين فوجب حمل الآية على جميع هذه الوجوه والطيبات اللذيذات التي تشتهيها
النفوس وتميل اليها القلوب وقد يقال الطيب بمعنى الحلال كما يقال يطيب له كذا أي يحل له ولا يليق ذلك بهذا
الموضع (ولا تعتدوا) أي لا تمتدوا حدود الله واحكامه وقيل معناه لا تجبوا أقسّم فسمي الخصاص اعتداء
عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والأول اعم فائدة (إن الله لا يحب المعتدين) معناه يبغضهم ويريد الانتقام منهم
(وكلوا مما رزقكم الله) لفظه امر والمراد به الإباحة (حلالاً طيباً) أي مباحاً لذيقاً ويسأل هنا فيقال إذا
كان الرزق كله حلالاً فلم قيّد ههنا فقال حلالاً والجواب انه انما ذكر حلالاً على وجه التأكيد كما قال وكلم
الله موسى تكليماً وقد اطلق الله تعالى في موضع آخر على وجه المدح وهو قوله وما رزقناهم ينفقون وقال ابن عباس
يريد من طيبات الرزق اللحم وغيره (واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون) هذا استدعاء الى التقوى بالطف الوجوه
وتقديره ايها المؤمنون بالله لا تضيعوا إيمانكم بالتقصير في التقوى فيكون عليكم الحسرة العظمى واتقوا في تحريم
ما أحل الله لكم وفي جميع معاصيه من به تؤمنون وهو الله تعالى وفي هاتين الآيتين دلالة على كراهة التخلي والتفرد
والتوحش والخروج عما عليه الجمهور في التأهل وطلب الولد وعمارة الأرض وقد روي ان النبي (ص) كان يأكل
الدجاج والفالودج وكان يمجبه الحلواء والصل وقال ان المؤمن حلو يحبّ الخلاوة وقال ان سيف بطن المؤمن زاوية
لا يملؤها الا الحلواء وروي ان الحسن كان يأكل الفالودج فدخل عليه فرقد السبخي فقال يا فرقدما تقول في
هذا فقال فرقد لا آكله ولا احب اكله فأقبل الحسن على غيره كالمتمجب وقال لعاب النحل بلباب البر مع سمن
البر هل يمييه مسلم

قوله تعالى (٨٩) لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم وليكن يؤاخذكم بما عاهدتم
الأيمان فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو
تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم واحفظوا
أيمانكم كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون (آية)

القرارة ﴿

قرأ ابن عامر وحده عاقدتم برواية ابن ذكوان وقرأ اهل الكوفة غير حفص عاقدتم بالتخفيف والباقون

بالتشديد وروي ان قراءة جعفر بن محمد (ع) تطعمون اهل بيته

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي من قرأ عقدهم مشددة القاف احتمل امرين ﴿ احدهما ﴾ ان يكون لكثير النفل ﴿ والآخر ﴾ ان لا يراد به التكثير كما ان ضاعف لا يراد به فعل الاثنين ومن قرأ عقدهم خفيفة جاز ان يراد به الكثير من النفل والقليل إلا ان فعل يختص بالكثير كما ان الركة يختص بالحال التي يكون عليها الركوب ومن قرأ عاقدهم احتمل امرين ﴿ احدهما ﴾ ان يكون يراد به مقدم كما ان عاقده الله وعاقبت المص وطارت النفل بمزلة فعلت فيكون على هذا قراءته كقراءة من خفف ويحتمل أن يراد بعاقدهم فاعلت الذي يقتضي فاعلين فصاعدا كأنه قال يؤاخذكم بما عقدهم عليه اليمين ولما كان عاقده في المعنى قريبا من ما هد عداه بعل كما يعدي عاهد بها قال ومن أوفى بما عاهد عليه الله واتسع فحذف الجار ووصل الفعل إلى المفعول ثم حذف من الصلة الضمير الذي كان يعود إلى الموصول كما حذفه من قوله فاصدع بما توثر ومثله قول الشاعر

كَأَنَّهُ وَاضِحُ الْأَقْرَابِ فِي لُقْحٍ أَسْمَىٰ بَيْنَ وَعَزَّتُهُ الْأَنْصَابُ (١)

إنما هو عزت عليه فاتسع والتقدير يؤاخذكم بالذي عاقدهم عليه الايمان ثم عاقدهم الايمان فحذف الراجع ويجوز أن يجعل ما التي مع الفعل بمعنى المصدر فيمن قرأ عقدهم وعقدتهم فلا يقتضي راجعا كما لا يقتضيه في قوله ولهم جذاب اليم بما كانوا يكذبون وقوله فاليوم ننسأهم كما نسأ لقاء يومهم هذا وما كانوا باياتنا يمحذون وأما قوله أهاليكم فإن أهالي كليلي كأن واحدا أهلة وليلة وانشد ابن الاعرابي

فِي كُلِّ يَوْمٍ مَا وَكَلَّ لَيْلَاءُ يَا وَيْحَهُ مِنْ جَمَلٍ مَا أَشْقَاهُ

ومن قال أهالي جمع أهلن فقد أبدل لأن هذا الجمع لا يكسر

﴿ اللغة ﴾

اللغو في اللغة ما لا يعتد به قال الشاعر

أَوْ مَائَةٌ تَجْمَلُ أَوْلَادَهَا لَعَوًا وَعَرَضُ الْمَائَةِ الْجَلْمَدُ (٢)

أي الذي يبارضها في قرة الجلمد يعني بالمائة نوقا أي لا يعتد بأولادها ونور اليمين هو الحلف على وجه الغلط غير قصد مثل قول القائل لا والله وبلى والله على سبب اللسان هذا هو المروي عن أبي جعفر والي جد الله (ع) يقال عقدت الجبل والعهد واليمين عقدا قال الخطيب « قوم إذا عقدوا مقدا لجارهم » البيت وقال في بيت آخر « وان عاهدوا اوفوا وان عاقدوا شدوا » واعقدت المصل فهو مقعد وعقيد والتحرير من الحرية قال الفرزدق

أَبْنِي عُدَانَةٌ إِنِّي حَرَزْتُكُمْ فَوَهَبْتُكُمْ لِعَطِيَّةِ بْنِ جَعَالٍ

يريد احتقكم من ذل الهجا ولزوم العار

﴿ النزول ﴾

قيل لما نزلت لا تعرموا طيبات ما أحل الله لكم قالوا يا رسول الله فكيف نصنع بأيماننا فأنزل الله هذه الآية وقيل نزلت في عبد الله بن رواحة كان عنده ضيف فأخبرت زوجته عشاء فحلف لا يأكل من الطعام وحلفت المرأة لا تأكل ان لم يأكل وحلف الضيف لا يأكل ان لم يأكلا فأكل عبد الله بن رواحة وأكلا معه فأخبر النبي (ص) بذلك فقال له احسنت عن ابن زيد

﴿ المعنى ﴾

(لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم) مضي الكلام في نحو اليمين وحكمه في سورة البقرة ولا كفارة فيه

(١) الاقرباء جمع القرب : الخاصرة . اللقح : النوق اللواقح . الاناصيل جمع انصولة : زهر نبات البهسي

(٢) الجلمد : القطعة الضمعة من الابل .

عند أكثر المفسرين والفقهاء إلا ما روي عن إبراهيم النخعي انه قال فيها الكفارة (ولكن يواخذكم بما عقدتم الأيمان) ان جعلت ما موصولة فمعناه بالذي عقدتم وان جعلته مصدرية فمعناه بعقدكم او بتعقيدكم الأيمان او بمعاقبتكم الأيمان وتفسيره ان يضر الأمر ثم يحلف بالله فيعقد عليه اليمين عن عطا وقيل هو ما عقدت عليه قلبك وتعمدته عن مجاهد (فكفارتها) أي كفارة ما عقدتم إذا حنثتم واستغني عن ذكره لأنه مدلول عليه لأن الأمة قد اجتمعت على ان الكفارة لا تجب إلا بعد الحنث (اطعام عشرة مساكين) واختلف في مقدار ما يعطى كل مسكين فقال الشافعي مدين طعام وهو ثلاثون وقال ابو حنيفة نصف صاع من حنطة او صاع من شعير أو تسرو وكذلك سائر الكفارات وقال اصحابنا يعطى كل واحد مدين او مدا والمد رطلان وربيع ويجوز أن يجتمع على ما هذا قدره لياكلوه ولا يجوز ان يعطى خمسة ما يكفي عشرة فإن كان المساكين ذكورا واناثا جاز ذلك ولكن وقع بلفظ التذكير لأنه يقلب في كلام العرب (من أوسط ما تطعمون أهليكم) قيل فيه قولان ﴿احدها﴾ الحبز والادم لأن افضله الحبز واللحم وادونه الحبز والملح واوسطه الحبز والسمن والزيت ﴿والآخر﴾ انه الأوسط في المقدار أي تطعيمهم كما تعطي أهلك في المسر واليسر عن ابن عباس (او كسوتهم) قيل لكل واحد منهم ثوب عن الحسن ومجاهد وعطا وطاوس وهو مذهب الشافعي وقال ابو حنيفة ما يقع عليه اسم الكسوة والذي رواه اصحابنا ان لكل واحد ثوبين مئزرًا قميصا وعند الضرورة يجزي قميص واحد (أو تحرير رقبة) معناه عتق رقبة عبد أو أمة والرقبة يعبر بها عن جملة الشخص وهو كل رقبة سليمة من العاهات صغيرة كانت أو كبيرة مؤمنة كانت أو كافرة لأن اللفظة مطلقة مبهمة الا ان المؤمن أفضل وهذه الثلاثة واجبة على التخيير وقيل ان الواجب منها واحد لا يعينه وفائدة هذا الخلاف والكلام في شرحها وفي الأدلة على صحة المذهب الاول المذكور في أصول الفقه (فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام) معناه فكفارتها صيام ثلاثة أيام فيكون صيام مرفوعا بأنه خبر المبتدأ او فعلية صيام ثلاثة أيام فيكون صيام مرفوعا بالابتداء أو بالظرف وحد من ليس بواجده من ليس عنده ما يفضل عن قوته وقوت عياله يومه وليلته وبه قال الشافعي ويجب التتابع في صوم هذه الأيام الثلاثة وبه قال ابي وابن عباس ومجاهد وقتادة واكثر الفقهاء وفي قرواة ابن مسعود واي ثلاثة أيام متتابعات واليمين على ثلاثة اقسام ﴿احدها﴾ ما يكون عقدها طاعة وحلها معصية وهذه تتعلق بحنثها الكفارة بلا خلاف وهو كماله قيل والله لا شربت خمرًا ﴿والثاني﴾ ان يكون عقدها طاعة وحلها معصية كما يقال والله لا صليت وهذا لا كفارة في حنثه عند اصحابنا وخالف سائر الفقهاء في ذلك ﴿والثالث﴾ ان يكون عقدها مباحا وحلها مباحا كما يقول والله لا لبست هذا الثوب وهذه تتعلق بحنثها كفارة بلا خلاف أيضا (ذلك) إشارة الى ما تقدم ذكره من الكفارة (كفارة أيمانكم إذا حلفتهم) يعني إذا حلفتهم وحنثتم لأن الكفارة لا تجب بنفس اليمين وانما تجب باليمين والحنث وقيل تجب بالحنث بشرط تقدم اليمين واختلف فيمن كفر بعد اليمين قبل الحنث فقال ابو حنيفة لا تجزي وقال الشافعي تجزي (واحفظوا أيمانكم) قيل في معناه قولان قال ابن عباس يريد لا تحلفوا وقال غيره احفظوا أيمانكم عن الحنث فلا تحنثوا وهو اختيار الجبائي وهذا هو الأقوى لأن الحلف مباح إلا في معصية بلا خلاف وانما الواجب ترك الحنث وفيه دلالة على ان اليمين في المعصية لا تنقذ لأنها لو انقذت للزم حفظها واذا كانت لا تنقذ فلا يلزم فيها الكفارة (كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون) معناه كما بين أمر الكفارة وجميع الأحكام يبين لكم آياته وفروضة لشكروه على تبيينه لكم

اموركم ونعمه عليكم

قوله تعالى (٩٠) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩١) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمْ

الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدُّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ (آيَاتان)

﴿ اللغة ﴾

الخمر عصير العنب المشد وهو العصير الذي يسكر كثيره وسمي خمرًا لأنها بالسكر تغطي على العقل وأصله في الباب التغطية من قولهم خمرت الاناء إذا غطيته ودخل في خمار الناس إذا خفي فيما بينهم والميسر القمار كله من تيسير أمر الجزور بالاجتماع على القمار فيه واصله من اليسر خلاف العسر وسميت اليد اليسرى قفازًا بتيسير العمل بها وقيل لأنها تعين اليد اليمنى فيكون العمل أيسر والأنصاب الأصنام واحدها نصب وسمي ذلك لأنها كانت تنصب للعبادة لها والانتصاب القيام ومنه النصب الثعب من العمل للذي ينتصب له ونصاب السكين لأنه ينصب فيه ومناصبه العدو الانتصاب لعداوته قال الأعشى

وَذَا النَّصَبِ الْمَنْصُوبِ لَا تَنْسُكُنَّهُ وَلَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ وَاللَّهَ فَأَعْبُدَا

والأزلام القداح وهي سهام كانوا يجيلونها للقمار وقد ذكرنا ما قيل فيها في أول السورة والرجز بالزاي هو العذاب واصل الرجز تتابع الحركات يقال ناقه رجزاً إذا كانت ترتعد قوائمها في ناحية قال الزجاج الرجس في اللغة اسم لكل ما استقدر من عمل يقال رَجَسَ رَجْسًا وَيَرْجَسُ رَجْسًا إذا عمل عملاً قبيحاً والرَّجْسُ بفتح الراء شدة الصوت يقال رعد رَجَسٌ شديد الصوت فكان الرجس الذي يقبح ذكره ويرتفع في القبح

﴿ المعنى ﴾

ثم عطف الله تعالى على ما بين من الأحكام بالنهي عن افعال اهل الجاهلية والنقل عنها الى شريعة الإسلام فقال (يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر) مر معناها في سورة البقرة قال ابن عباس يريد بالخمر جميع الاشربة التي تسكر وقد قال رسول الله (ص) الخمر من تسع من البتسع وهو العسل ومن العنب ومن الزبيب ومن التمر ومن الخنطة ومن الذرة ومن الشعير والسلت وقال في الميسر يريد القمار وهو في اشياء كثيرة انتهى كلامه (والانصاب والازلام) ذكرناها في اول السورة (رجس من عمل الشيطان) لا بد من ان يكون في الكلام حذف والمعنى شرب الخمر وتناوله أو التصرف فيه وعبادة الانصاب والاستقسام بالازلام رجس اي خبيث من عمل الشيطان وانما نسبها الى الشيطان وهي اجسام من فعل الله لما يأمر به الشيطان فيها من الفساد فيأمر بشرب المسكر ليزيل العقل ويأمر بالقر ليعتدل فيه الاخلاق الدنية ويأمر بعبادة الاصنام لما فيها من الشرك بالله ويأمر بالازلام لما فيها من ضعف الرأي والاتكال على الاتفاق وقال الباقر (ع) يدخل في الميسر اللعب بالشطرنج والذرد وغير ذلك من انواع القمار حتى ان لعب الصبيان بالجوز من القمار (فاجتنبوه) اي كونوا على جانب منه اي في ناحية (لعلكم تفلحون) معناه لكي تفوزوا بالتواب وفي هذه الآية دلالة على تحريم الخمر وهذه الاشياء من اربعة اوجه ﴿ احدها ﴾ انه سبحانه وصفها بالرجس وهو النجس والنجس معرم بلا خلاف ﴿ والثاني ﴾ انه نسبها الى عمل الشيطان وذلك يوجب تحريمها ﴿ والثالث ﴾ انه أمر باجتنابها والأمر يقتضي الإيجاب — والرابع — انه جعل الفوز والفلاح في اجتنابها والهنا في قوله فاجتنبوه راجعة الى عمل الشيطان وتقديره فاجتنبوا عمل الشيطان وكل واحد من شرب الخمر وتعاطي القمار واتخاذ الانصاب والازلام من عمل الشيطان ويجوز ان تكون الهنا عائدة الى الرجس والرجس واقع على الخمر وما ذكره بعدها وقد قرن الله تعالى الخمر بعبادة الأوثان تفليطاً في تحريمها ولذلك قال الباقر (ع) مدمن الخمر كما بد الوثن وفي هذا دلالة على تحريم سائر التصرفات في الخمر من الشرب والبيع والشراء والاستعمال على جميع الوجوه ثم بين تعالى انه إنما نهى عن الخمر لما يعلم في اجتنابه من الصلاح وخير الدارين فقال

(انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر) قال ابن عباس يريد سعد بن ابى وقاص ورجلا من الانصار كان مواخيا لسعد فدعاه الى الطعام فأكلوا وشربوا نبيذا مسكرا فوقع بين الانصاري وسعد مراة ومفاخرة فأخذ الانصاري لحي جمل فضرب به سعدا ففزر انفه فأتزل الله تعالى ذلك فيها والمعنى يريد الشيطان إيقاع العداوة بينكم بالاغواء المزين لكم ذلك حتى اذا سكرتم زالت عقولكم واقدمتم من القبائح على ما كان يمنع منه عقولكم قال قتادة إن الرجل كان يقامر في ماله واهله فيقمر ويبقى حزينا سلبيا فيكسبه ذلك العداوة والبغضاء (ويصدكم عن ذكر الله) اي يمنعكم عن الذكر لله بالتعظيم والشكر على الاثمة (وعن الصلاة) التي هي قوام دينكم (فهل انتم متتهون) صيغته الاستفهام ومعناه النهي وانما جاز في صيغة الاستفهام ان يكون على معنى النهي لأن الله ذم هذه الافعال وأظهر قبحها واذا ظهر قبح الفعل للمخاطب ثم استفهم عن تركه لم يسهه الا الاقرار بالترك فكانه قيل له انقله بعدما قد ظهر من قبحه ما ظهر فصار المنتهي بقوله فهل انتم متتهون في محل من عقد عليه ذلك بإقراره وكان هذا ابلغ في باب النهي من ان يقال انتهوا ولا تشربوا

قوله تعالى (٩٢) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (آية)

المعنى

لما امر الله تعالى باجتنب الخمر وما بعدها عقبه بالأمر بالطاعة فيه وفي غيره فقال (واطيعوا الله واطيعوا الرسول) والطاعة هي امتثال الامر والانتفاء عن المنهي عنه ولذلك يصح ان يكون الطاعة طاعة الاثنين بأن يوافق امرهما وإرادتهما (واحذروا) هذا امر منه تعالى بالحد من المحارم والمناهي قال عطا يريد واحذروا سخطي والحد هو امتناع القادر من الشيء لما فيه من الضرر (فإن توليتم) اي فإن اعرضتم ولم تعملوا بما أمركم به (فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين) معناه الوعيد والتهديد كأنه قال فاعلموا انكم قد استحققت العقاب لتوليكم عما ادبى رسولنا اليكم من البلاغ المبين يعني الأداة الظاهر الواضح فوضع كلام موضع كلام للايجاز ولو كان الكلام على صيغة من غير هذا التقدير لا يصح لأن عليهم ان يعلموا ذلك تولوا اولم يتولوا وما في قوله انما كافة لأن عن عملها قوله تعالى (٩٣) لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (آية)

التزول

لما نزل تحريم الخمر والميسر قالت الصحابة يا رسول الله ما تقول في إخواننا الذين مضوا وهم يشربون الخمر ويأكلون الميسر فنزل الله هذه الآية عن ابن عباس وأنس بن مالك والبراء بن عازب ومجاهد وقتادة والضحاك وقيل انها نزلت في القوم الذين جرّموا على انفسهم اللعوم ولسكوا طريق الترهيب كعثمان بن مظعون وغيره فبين الله لهم انه لا جناح في تناول المباح مع اجتناب المحرمات

المعنى

(ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح) أي ثم وخرج (فيما طعموا) من الخمر والميسر قبل نزول التحريم وفي تفسير أهل البيت (ع) فيما طعموا من الحلال وهذه اللفظة صالحة للأكل والشرب جميعا (إذا ما اتقوا) شربها بعد التحريم (وامنوا) بالله (وعملوا الصالحات) أي الطاعات (ثم اتقوا) اي داموا على الاتقاء (وامنوا) أي داموا على الإيثار (ثم اتقوا) بفعل الفرائض (وأحسنوا) بفعل النوافل وعلى هذا يكون الاتقاء الأول

اتقاء. الشرب بعد التحريم والاتقاء. الثاني هو الدوام على ذلك والاتقاء. الثالث اتقاء جميع المعاصي وضم الاحسان اليه وقيل ان الاتقاء. الأول هو اتقاء المعاصي العقلية التي تختص المكلف ولا تتعداه والإيمان الأول هو الايمان بالله تعالى وبما أوجب الله تعالى الإيمان به والإيمان بقبح هذه المعاصي ووجوب تجنبها والاتقاء الثاني هو اتقاء المعاصي السمعية والإيمان بقبحها ووجوب اجتنابها والاتقاء الثالث يختص بمظالم العباد وبما يتعدى إلى الغير من الظلم والفساد وقال ابو علي الجبائي ان الشرط الأول يتعلق بالزمان الماضي والشرط الثاني يتعلق بالدوام على ذلك والاستمرار على فعله والشرط الثالث يختص بمظالم العباد ثم استدل على أن هذا الاتقاء يختص بمظالم العباد بقوله واحسنوا فإن الإحسان إذا كان متعديا وجب ان تكون المعاصي التي أمروا باتقانها قبله ايضا متعدية وهذا ضعيف لأنه لا تصريح في الآية بأن المراد به الاحسان للتعدي ولا يستنع أن يريد بالإحسان فعل الحسن والمبالغة فيه وان اختص الفاعل ولا يتعداه كما يقولون لمن بالغ في فعل الحسن احسنت واجملت ثم لو سلم ان المراد به الإحسان المتعدي فليتم لايجوز ان يعطف فعل متعد على فعل لا يتعدى ولو صرح تعالى فقال واتقوا القبائح كلها واحسنوا إلى غيرهم لم يستنع ولعل أبا علي إنما عدل في الشرط الثالث عن ذكر الأحوال لما ظن انه لا يمكن فيه ما يمكن في الأول والثاني وهذا ممكن غير ممتنع بأن يحمل الشرط الأول على الماضي والثاني على الحال والثالث على المنتظر المستقبل ومتى قيل ان المتكلمين عندهم لا واسطة بين الماضي والمستقبل فإن الفعل اما ان يكون موجودا فيكون ماضيا واما ان يكون معدوما فيكون مستقبلا وانما ذكر الأحوال الثلاثة التحويين فجوابه ان الصحيح انه لا واسطة في الوجود بين المعدوم والموجود كما ذكرت غير ان الموجود في أقرب الزمان لا يتنع ان نسيه حالا ونفرد بينه وبين الغابر السالف والغابر المنتظر ووجدت السيد الأجل المرتضى علي بن الحسين الموسوي ذكر في بعض مسائله ان المفسرين تشاغلو بإيضاح الوجه في التكرار الذي تضمنته هذه الآية وظنوا انه المشكل فيها وتركوا ما هو اشد اشكالا من التكرار وهو انه تعالى نفى الجناح عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيما يطعمونه بشرط الاتقاء والإيمان وعمل الصالحات والإيمان وعمل الصالحات ليس بشرط في نفي الجناح فإن المباح إذا وقع من الكافر فلا اثم عليه ولا وزر قال ولنا في حل هذه الشبهة طريقان ﴿ احدهما ﴾ ان يضم إلى الشروط المصرح بذكره غيره حتى يظهر تأثير ما شرط فيكون تقدير الآية ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا وغيره إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات لأن الشرط في نفي الجناح لا بد من أن يكون له تأثير حتى يكون متى انتفى ثبت الجناح وقد علمنا ان باتقاء المعارم ينتفي الجناح فيما يطعم فهو الشرط الذي لا زيادة عليه ولما ولي ذكر الاتقاء الايمان وعمل الصالحات ولا تأثير لهما في نفي الجناح علمنا انه اضر ما تقدم ذكره ليصح الشرط ويطابق الشروط لأن من اتقى المعارم فيما لا يطعم لا جناح عليه فيما يطعمه ولكنه قد يصح أن يثبت عليه الجناح فيما أخل به من واجب اوضيحه من فرض فإذا شرطنا انه وقع اتقاء القبيح من آمن بالله وعمل الصالحات ارتفع الجناح عنه من كل وجه وليس بمنكر حذف ما ذكرناه لدلالة الكلام عليه فمن عادة العرب أن يحذفوا ما يجري هذا المجرى وتكون قوة الدلالة عليه مضية عن النطق به ومثله قول الشاعر

تَرَاهُ كَأَنَّ اللَّهَ يَجِدُ أَنْفَهُ وَعَيْنَيْهِ إِنْ مَوْلَاهُ نَابَ لَهُ وَفَرُّهُ^(١)

لما كان الجدد لا يليق بالعين وكانت معطوفة على الانف الذي يليق الجدد به اضر ما يليق بالعين من البعض^(٢) وما يجري مجراه والطريق الثاني هو ان يجعل الايمان وعمل الصالحات هنا ليس بشرط حقيقي وان كان معطوفا على الشرط فكانه تعالى لما أراد أن يبين وجوب الايمان وعمل الصالحات عطفه على ما هو واجب من اتقاء المعارم لاشتراكها في الوجوب وان لم يشتركا في كونها شرطا في نفي الجناح فيما يطعم وهذا توسع في البلاغة يحار فيه العقل استحسانا واستغرابا انتهى كلامه وقد قيل أيضا في الجواب عن ذلك ان المؤمن يصح ان يطلق عليه بأنه

(١) ناب: عاد. الوفر من المال او المتاع: الكثير الواسع. (٢) النجم: قلع العين بشحمها. (٣١)

لا جناح عليه والكافر مستحق للقتاب مضمور فلا يطلق عليه هذا اللفظ وايضا فان الكافر قد سد على نفسه طريق معرفة التحريم والتحليل فلذلك خص المؤمن بالذكر وقوله (والله يحب المحسنين) أي يريد ثوابهم او اجلالهم واكرامهم وتبجيلهم ويروى ان قدامة بن مظعون شرب الخمر في أيام عمر بن الخطاب فأراد أن يقيم عليه الحد فقال ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الآية فأراد عمر أن يدرأ عنه الحد فقال علي أديره على الصحابة فإن لم يسع أحدا منهم قرأ عليه آية التحريم فادروا عنه الحد وان كان قد سمع فاستسيوه وأقيسوا عليه الحد فإن لم يتب وجب عليه القتل

قوله تعالى (٩٤) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَبَلُّوْكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَن أَعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَعَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٩٥) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صَبَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَن عَادَ فَبِنِقْمٍ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ (آيات)

❖ القراءة ❖

قرأ أهل الكوفة ويقرب فجزأ ممنونا مثل بالرفع والباقون فجزأ مثل ما قتل بالاضافة وقرأ أهل المدينة وابن عامر أو كفارة بغير تنوين طعام على الاضافة والباقون أو كفارة بالتنوين طعام بالرفع ولم يختلفوا في مساكين انه جمع وروي في الشواذ قراءة أبي عبد الرحمن فجزأ ممنون مثل منصوب وقراءة محمد بن علي الباقر (ع) وجعفر بن محمد الصادق (ع) يحكم به ذو عدل منكم

❖ الحجة ❖

قال ابو علي حجة رفع المثل انه صفة الجزاء. والمعنى فعليه جزاء من النعم مماثل للمقتول والتقدير فعليه جزاء. أي فاللازم له أو فالواجب عليه جزاء. من النعم مماثل ما قتل من الصيد وقوله من النعم على هذه القراءة صفة للسكر التي هي جزاء وفيه ذكر له ولا ينبغي اضافة جزاء. إلى المثل لان عليه جزاء المقتول لاجزاء مثله ولا جزاء عليه لمثل المقتول الذي لم يقتله ولا يجوز أن يكون قوله من النعم على هذه القراءة متعلقا بالمصدر كما جاز ان يكون الجار متعلقا به كما في قوله جزاء. سيئة مثلها لأنك قد وصفت الموصول وإذا وصفته لم يجز أن تعلق به بعد الوصف شيئا كما انك إذا عطفت عليه أو أكدته لم يجز أن تعلق به شيئا بعد اللفظ عليه والتأكيد له فأما في قراءة من أضاف الجزاء إلى مثل فإن قوله من النعم يكون صفة الجزاء. كما كان في قول من تون ولم يصف صفة له ويجوز فيه وجه آخر لا يجوز في قول من تون ووصف وهو ان تقدّمه متعلقا بالمصدر ولا يجوز على هذا القول ان يكون فيه ذكر كما يتضمن الذكر لما كان صفة وإنها جاز تعلقه بالمصدر ولا يجوز على قول من اضاف لأنك لم تصف الموصول كما وصفته في قول من تون فيمنع تعلقه به واما من اضاف الجزاء إلى مثل فإنه وان كان عليه جزاء المقتول لاجزاء مثله فإنهم قد يقولون أنا اكرم مثلك يريدون أنا اكرمك فكذلك إذا قال فجزاء مثل ما قتل فالمراد جزاء ما قتل وإذا كان كذلك كانت الإضافة في المعنى كثير الإضافة ولو قدرت الجزاء تقدير المصدر فأضفته إلى المثل كما تضيف المصدر إلى المفعول به لكان جائزا في قول من جر مثلا على الاتساع الذي ذكرناه

ألا ترى ان المعنى فجاء مثل ما قتل على ما قرأه ابو عبد الرحمن اي مجازي مثل ما قتل ومثله قول الشاعر
بَصْرَبِ بِالسِّيَوفِ رُوُوسَ قَوْمٍ أَزَلْنَا هَامَهْنَ عَلَى الْمُقِيلِ^(١)

لما تَوَّن المصدر اعمله واما الوجه في قراءة من رفع طعام مساكين انه جملة عطف على الكفارة عطف بيان لأن الطعام هو الكفارة ولم يضب الكفارة إلى الطعام ومن اضاف الكفارة إلى الطعام فلائنه لما خيَّر المَكْفَرُ بين ثلاثة اشياء الهدى والطعام والصيام استجاز الاضافة لذلك فكانه قال كفارة طعام لا كفارة هدي ولا صوم فاستقامت الإضافة واما ذو عدل فقد قال أبو الفتح فيه انه لم يوحّد ذل لأن الواحد يكفي لكنه أراد معنى من أي يحكم به من يعدل ومن يكون للثنتين كما يكون للواحد بقوله «تَكُنْ مِثْلَ مَنْ يَأْذُبُ بِصَطْحَانِ»^(٢) وأقول ان هذا الوجه الذي ذكره ابن جني بعيد غير مفهوم وقد وجدت في تفسير أهل البيت منقولاً عن السيدين (ع) ان المراد بذئ العدل رسول الله (ص) وأولي الأمر من بعده وكفى بصاحب القراءة خيراً بمعنى قراءته

❖ اللغة ❖

البلاء الاختبار والامتحان واصله اظهار باطن الحال ومنه البلاء النعمة لأنه يظهر به باطن حال المتعم عليه في الشكر او الكفر والبلى الخلوقة لظهور تقادم العهد فيه والغيب ما غاب عن الحواس ومنه الغيبة وهو الذكر بظهر الغيب بالقبيح وحرّم جمع حرام ورجل حرام ومحرم بمعنى وحلال ومجمل كذلك وأحرم الرجل دخل في الشهر الحرام وأحرم ايضاً دخل في الحرم وأحرم أهل بالحج والحرم الاحرام ومنه الحديث كنت اطيب النبي لحرمه واصل الباب المنع وسميت النساء حرماً لأنها تمنع والمحروم المنوع الرزق والمثل والمثل والشبه والشبه واحد والنعم في اللغة هي الابل والبقر والهنم وان انفردت الابل قيل لها نعم وان انفردت البقر والغنم لم تسم نعماً ذكره الزجاج قال القراء العدل بفتح العين ما عادل الشيء من غير جنسه والعدل بالكسر المثل تقول عندي عدل غلامك أو شاتك إذا كانت شاة تمدل شاة أو غلام يعدل غلاماً فإذا أردت قيمته من غير جنسه قُتَحَتْ قُتَحَتْ عَدَلًا وقال البصريون العدل والعدل في معنى المثل كان من الجنس او غير الجنس والوبال ثقل الشيء في المكروه ومنه قولهم طعام وبيل وبيل إذا كانا ثقيلين غير ناميين في المأل ومنه قوله فأخذناه أخذاً وبيلاً اي ثقيلاً شديداً ويقال خشبة القصار وبيل من هذا قال طرفه بن العبد

فَمَرَّتْ كَهَاءَ ذَاتِ خَيْفٍ جَلَالَةٍ عَقِيلَةَ شَيْخٍ كَالْوَيْلِ يَلْتَدِدُ^(٣)

❖ الإعراب ❖

ليلونكم هذه اللام لام القسم ومن في قوله من الصيد لتبعض ويحتمل وجهين ﴿أحدهما﴾ أن يكون عنى صيد البر دون البحر ﴿والآخر﴾ ان يكون لما عنى الصيد ما داموا في الاحرام كان ذلك بعض الصيد ويجوز أن تكون من لتبين الجنس كما تقول لامتنعك بشي من الورق اي لامتنعك بالجنس الذي هو ورق كقوله فاجتنبوا الرجس من الأوثان والأوثان كلها رجس فالعنى اجتنبوا الرجس الذي هو روث وأراد بالصيد المصيد بدلالة قوله تناله أيديكم ورماحكم ولو كان الصيد مصدراً يكون حدثاً فلا يوصف بنيل اليد والرمح وإنما يوصف بذلك ما لو كان عيناً وقوله بالغيب في محل نصب على الحال والمعنى من يحافه غائباً كما في قوله من خشى الرحمن بالغيب ويخشون ربهم بالغيب وقوله وانتم حرم في موضع نصب على الحال هدياً بالغ الكعبة منصوب على الحال والمعنى مقدراً ان يهدي قاله الزجاج قال وبالغ الكعبة لفظه لفظ معرفة ومناه التكرة اي بالناس الكعبة وحذف التنوين استخفافاً وأقول يعني بذلك ان هذه الإضافة لفظية غير محضة فيكون في تقدير الانفصال والمضاف اليه وان كان مجروراً في اللفظ فهو منصوب في المعنى لكن لما حذف التنوين من الأول طلباً للخفة انجز الثاني في اللفظ وقوله صيماً منصوب على التمييز والمعنى ومثل ذلك من الصيام وقوله فينتقم الله منه فيه ايضاً

(١) الهام جمع الهامة وهي رأس كل شيء . والمقيل كما مير اسم مكان من القيلولة و اراد به الاعناق لانها مقيل الرأس .
(٢) والشاهد في لفظه من حيث تنى الضمير العائد اليها في يصطعبان على المعنى . (٣) الكهاة : الناقة الضخمة و جلالة بمنائها ايضاً . والخيف جلد ضرع الناقة . والعقيلة من الابل الكريمة . اليلندد : الغصم الشديد الخصومة وهو وصف للشيخ .

مقدر كأنه قال ومن عاد فهو ينتقم الله منه لأن الفاء لا تدخل في جواب الشرط على الفعل إذا كان مستثنى عنه مع الفعل ويكون موضع الفاء مع ما بعدها جزءاً

المعنى

لما تقدم في اول السورة تحريم الصيد على المحرم مجملًا بين سبحانه ذلك هنا فقال (يا ايها الذين آمنوا) خص المؤمنين بالذكر وان كان الكفار ايضاً مخاطبين بالشرائح لأنهم القابلون لذلك المتفقون به وقيل لأنه لم يعتد بالكفار (ليلونكم الله) اي ليختبرن الله طاعتكم عن معصيتكم (بشي من الصيد) اي بتحريم شي من الصيد وإنما بعض لأنه عنى صيد البر خاصة عن الكلبي وقد ذكرناه قبل مفسراً ومعنى الاختبار من الله ان يأمر وينهى ليظهر المعلوم ويصح الجزاء قال اصحاب المعاني امتحن الله امة محمد (ص) بصيد البر كما امتحن امة موسى (ع) بصيد البحر (تناه ايديكم ورماحكم) قيل فيه اقوال * احدها * ان المراد به تحريم صيد البر والذي تناه الايدي فراخ الطير وصفار الوحش والبيض والذي تناه الرماح الكبار من الصيد عن ابن عباس ومجاهد وهو المروي عن ابي عبد الله (ع) * وثانيها * ان المراد به صيد الحرم ينال بالأيدي والرماح لأنه يأنس بالناس ولا ينفر منهم فيه كما ينفر في الحل وذلك آية من آيات الله عن ابي علي الجبائي * وثالثها * ان المراد به ما قرب من الصيد وما بعد (ليعلم الله من يخافه بالغيب) معناه ليعاملكم معاملة من يطلب منكم ان يعلم مظاهره في العدل ووجه آخر ليظهر المعلوم وهو ان يخاف بظهور الغيب فينتهي عن صيد الحرم طاعة له تعالى وقيل ليعلم وجود خوف من يخافه بالوجود لأنه لم يزل عالماً بأنه سيخاف فإذا وجد الخوف علم ذلك موجوداً وها معلوم واحد وان اختلفت العبارة عنه فالحدوث إنما يدخل على الخوف لا على العلم وقوله بالغيب معناه في حال الخلو والتفرد وقيل معناه ان يخشى عقابه اذ توارى بحيث لا يقع عليه الحسن عن الحسن وقال ابو القاسم البلخي ان الله تعالى وان كان عالماً بما يفعلونه فيما لم يزل فإنه لا يجوز ان يشبههم ولا يعاقبهم على ما يعلمه منهم وإنما يستحقون ذلك اذا علمه واقفا منهم على الوجه الذي كلفهم عليه فإذا لا بد من التكليف والابتلاء (فمن اعتدى بعد ذلك) اي من تجاوز حد الله وخالف امره بالصيد في الحرم وفي حال الإحرام (فله عذاب اليم) اي مؤلم ثم ذكر سبحانه عقيب ذلك ما يجب على ذلك الاعتداء من الجزاء فقال (يا ايها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد) اختلف في المعنى بالصيد فقيل هو كل الوحش اكل او لم يؤكل وهو قول اهل العراق واستدلوا بقول علي (ع)

صَيْدُ الْمَلُوكِ أَرَانِيْبٌ وَتَعَالِيْبٌ
فَأَذَارُ كَيْبُتٍ فَصَيْدِي الْأَبْطَالُ

وهو مذهب اصحابنا رضي الله عنهم وقيل هو كل ما يؤكل لحمه وهو قول الشافعي (وانتم حرم) اي وانتم محرمون بحج او عمرة وقيل معناه وانتم في الحرم قال الجبائي الآية تدل على تحريم قتل الصيد على الوجهين معاً وهو الصحيح وقال علي بن عيسى تدل على الإحرام بالحج او العمرة فقط (ومن قتله منكم متعمداً) قيل هو ان يتعمد القتل ناسياً لإحرامه عن الحسن ومجاهد وابن زيد وابن جريج وابراهيم قالوا فاما اذا تمعد القتل ذاكراً لإحرامه فلا جزاء فيه لأنه اعظم من ان يكون له كفارة وقيل هو ان يتعمد القتل وإن كان ذاكراً لإحرامه عن ابن عباس وعطاء والزهري وهو قول اكثر الفقهاء فأما اذا قتل الصيد خطأ أو ناسياً فهو كالمتعمد في وجوب الجزاء عليه وهو مذهب عامة اهل التفسير والعلم وهو المروي عن ائمتنا (ع) قال الزهري نزل القرآن بالعمد

وجرت السنة في الخطأ (فجزاء) مثل ما قتل من النعم) قد ذكرنا معناه في القراءتين قال الزجاج ويجوز ان يكون المعنى فجزاء ذلك الفعل مثل ما قتل فيكون جزاء مبدأ ومثل خبره واختلف في هذه المائثلة اهي في القيمة او الخلقة فالذي عليه معظم اهل العلم ان المائثلة معتبرة في الخلقة ففي النعامة بدنة وفي حمار الوحش وشبهه بقرة وفي الظبي والارنب شاه وهو المروي عن اهل البيت (ع) وهو قول ابن عباس والحسن ومجاهد والسدي وعطاء والضحاك وغيرهم وقال ابراهيم النخعي يَقُومُ الصيد قيمة عادلة ثم يشتري بثمنه مثله من النعم فاعتبر المائثلة بالقيمة والصحيح القول الأول (يحكم به ذوا عدل منكم) قال ابن عباس يريد يحكم في الصيد بالجزاء رجلان صالحان منكم اي من اهل ملتكم ودينكم فقيهان عدلان فينظران الى أشبه الاشياء به من النعم فيحكمان به (هدياً بالغ الكعبة) اي يهديه هدياً يبلغ الكعبة قال ابن عباس يريد اذا اتى مكة ذبحه وتصدق به وقال اصحابنا ان كان اصحاب الصيد وهو محرم بالعمرة ذبح جزاءه او نحره بمكة قبالة الكعبة وان كان محرماً بالحج ذبحه او نحره بمبني (او كفارة طعام مساكين) قيل في معناه قولان * احدهما * ان يَقُومَ عدله من النعم ثم يجعل قيمته طعاماً ويتصدق به عن عطاء وهو الصحيح * والاخر * ان يَقُومَ الصيد المقتول حياً ثم يجعل طعاماً عن قتادة (او عدل ذلك صياماً) وفيه أيضاً قولان * احدهما * ان يصوم عن كل مد يَقُومُ من الطعام يوماً عن عطا وهو مذهب الشافعي * والاخر * ان يصوم عن كل مدين يوماً وهو المروي عن أنس بن مالك (ع) وهو مذهب ابي حنيفة واختلفوا في هذه الكفارات الثلاث قيل انها مرتبة عن ابن عباس والشعبي والسدي قالوا وانما دخلت أو لأنه لا يخرج حكمه عن احدى الثلاث وقيل انها على التخيير عن ابن عباس في رواية أخرى وعطاء والحسن وابراهيم وهو مذهب ابي حنيفة والشافعي وكلا القولين رواه اصحابنا (ليذوق وبال امره) أي عقوبة ما فعله في الآخرة ان لم يتب وقيل معناه ليدوق وخامة عاقبة امره وقله بما يلزمه من الجزاء فان سأل سائل فقال كيف يسمى الجزاء وبالاً وإنما هي عبادة فإذا كانت عبادة فهي نعمة ومصلحة فالجواب ان الله سبحانه شدد عليه التكليف بعد أن عصاه فتقل ذلك عليه كما حرم الشحم على بني اسرائيل لما اعتدوا في السبت فتقل ذلك عليهم وان كان مصلحة لهم (عفا الله عما سلف) من أمر الجاهلية عن الحسن وقيل عفا الله عما سلف من الذنوب الأولى في الإسلام أي قبل التحريم (ومن عاد فينتقم الله منه) أي من عاد إلى قتل الصيد محرماً فالله سبحانه يكافيه عقوبة بما صنع واختلف في لزوم الجزاء بالماودة فقيل انه لا جزاء عليه عن ابن عباس والحسن وهو الظاهر في روايات اصحابنا وقيل انه يلزمه الجزاء عن عطاء وسعيد بن جبيرة وابراهيم وبه قال بعض اصحابنا (والله عزيز ذو انتقام) معناه قادر لا يظلم ذو انتقام ينتقم ممن يتعدى أمره ويرتكب نهي

قوله تعالى (٩٦) أَحَلَّ لَكُمْ صَيْدَ الْبَحْرِ وَطَعَامَهُ مَتَاعاً لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدَ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (آية)

﴿ الفة ﴾

عنى بالبحر جميع المياه والعرب تسمى النهر بجرأ ومنه قوله ظهر الفساد في البر والبحر الاغلب على البحر ان يكون ماؤه ملحا ولكن اذا اطلق دخل فيه الأنهار والسيارة المسافرين

* الاعراب *

متاعا نصب على المصدر لأن قوله أحل لكم يدل على انه قد متعهم به كما انه لما قال حرمت عليكم امهاتكم كان دليلا على انه كتب عليهم فقال كتاب الله عليكم

* المعنى *

ثم بين سبحانه ما يحل من الصيد وما لا يحل فقال (احل لكم صيد البحر) أى ابيح لكم صيد الماء وإنما أحل بهذه الآية الطري من صيد البحر لأن العنيق لا خلاف في كونه حلالا عن ابن عباس وزيد بن ثابت وسعيد بن جبير وسعيد بن المسيب وقتادة ومجاهد (وطعامه) يعني طعام البحر ثم اختلف فيه فقيل يريد به ما يقذفه البحر ميتا عن ابن عباس وابن عمر وقتادة وقيل يريد به المملوح عن ابن عباس في رواية اخرى وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير ومجاهد وهو الذي يليق بذهبنا وإنما سمي طعاما لأنه لا يدخر ليطعم فصار كاللغات من الأغذية فيكون المراد بصيد البحر الطري وبطعامه المملوح لأن عندنا لا يجوز أكل ما يقذف به البحر ميتا للمحرم وغير المحرم وقيل المراد بطعامه ما ينبت بمائه من الزرع والثمار (متاعا لكم والسيارة) قيل معناه منفعة للمقيم والمسافر عن قتادة وابن عباس والحسن وقيل لأهل الأمصار وأهل القرى وقيل للمحل والمحرم (وحرّم عليكم صيد البرّ ما دتم حراما) هذا يقتضي تحريم الاصطياد في حال الاحرام وتحريم أكل ما صاده الفخير وبه قال علي وابن عباس وابن عمر وسعيد بن جبير وقيل ان لحم الصيد لا يحرم على المحرم إذا صاده غيره عن عمر وعثمان والحسن والصيد قد يكون عبارة عن الاصطياد فيكون مصدرا ويكون عبارة عن المصيد فيكون اسما ويجب حمل الآية على الأمرين وتحريم الجميع (واقوا الله الذي اليه تحشرون) هذا أمر منه تعالى بأن يتقي جميع معاصيه ويجتنب جميع محارمه لأن اليه الرجوع في الوقت الذي لا يملك احد فيه الضر والنفع سواء وهو يوم القيامة فيجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته

قوله تعالى (٩٧) جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدى والفلاة ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض وأن الله بكل شيء عليم (آية)

* القراءة *

قرأ ابن عامر وحده قيا للناس بغير الف والباقون قياما بالالف

* الحجة *

القيام مصدر كالصيام والعباد وأما التيم فيجوز أن يكون مصدرا كالشبع ويجوز أن يكون حذف الالف من القيام كما يقصر المدود وهذا انما يجوز في الشعر دون حال السعة وإذا كان مصدرا فإنما أعل ولم يصحح كما صحح العروض والحول لأن المصدر يعل إذا اعتل فعله لأن المصدر يجري على فعله فإذا صح حرف العلة في الفعل صح في مصدره نحو اللواذ والجوار فإذا اعتل في الفعل اعتل في مصدره نحو الصيام والقيام

* اللفظة *

سميت الكعبة كعبة لتريبعها وإنما قيل للمربع كعبة لتواء زواياها الأربع والكموبة التواء ومنه كعب الإنسان لتواءه وكعب المرأة إذا تأثرت بها وكعب بمناه والعرب تسمي كل بيت مربع كعبة وقيل سميت كعبة لانفرادها

(١) تتأثرت الشيء : خرج من موضعه من غير ان يفصل . ارتفع وانتفخ

عن البنيان وهذا أيضا يرجع إلى الأول لأن المتفرد من البنيان كعبة لتوثقه من الأرض قال الرماني والبيت الحرام سمي بذلك لأن الله حرّم أن يصاد صيده وان يمضد شجره وان يختل خلاه ولأنه عظم حرمة وفي الحديث مكتوب في أسفل المقام إني أنا الله ذو بكة حرمتها يوم خلقت السموات والأرض ويوم وضعت هذين الجبلين وحففتها بسبعة أملاك حنفاء من جاءني زائراً لهذا البيت عارفاً بحقه مدعياً لي بالربوبية حرمت جسده على النار

✽ المعنى ✽

لما ذكر سبحانه حرمة الحرم عقبه بذكر البيت الحرام والشهر الحرام فقال (جعل الله الكعبة البيت الحرام) أي جعل الله حجّ الكعبة أو نصب الكعبة (قياماً للناس) أي لمعيش الناس ومكاسبهم لأنه مصدر قاموا كأن المعنى قاموا بنصبه ذلك لهم فاستثبت معاشهم بذلك واستقامت أحوالهم به لما يحصل لهم في زيارتها من التجارة وأنواع البركة ولهذا قال سعيد بن جبير من أتى هذا البيت يريد شيئاً للدنيا والآخرة أصابه وهو المروي عن أبي عبد الله (ع) وقال ابن عباس معناه جعل الله الكعبة أمناً للناس بها يقومون أي يأمنون ولولاها لفنوا وهلكوا وما قاموا وكان أهل الجاهلية يأمنون به فلو لقي الرجل قاتل أبيه وابنه في الحرم ما قتله وقيل ان معنى قوله قياماً للناس أنهم لو تركوه عاماً واحداً لا يمحجونه ما نوظروا أن يهلكوا عن عطاء ورواه علي بن إبراهيم عنهم (ع) قال ما دامت الكعبة يحج الناس اليها يهلكوا فإذا هدمت وتركوا الحج هلكوا (والشهر الحرام) يعني الأشهر الحرم الأربعة واحد فرد وثلاثة سرد أي متتابعة فالفرد رجب والسرد ذو القعدة وذو الحجة والحرم وإنما خرج مخرج الواحد لأنه ذهب به مذهب الجنس وهو عطف على المفعول الأول للجل كما يقال ظننت زيدا منطلقاً وعمراً (والهدي والقلائد) مرّ ذكرهما في أول السورة وإنما ذكر هذه الجملة بعد ذكر البيت لأنها من أسباب حج البيت فدخلت في جلته فذكرت معه وكان أهل الجاهلية لا يفرون في أشهر الحرم وكانوا ينصلون فيها الأسته ويتفرغ الناس فيها إلى معاشهم وكان الرجل يقلد بغيره أو نفسه قلادة من لحاء شجر الحرم فلا يخاف وكانوا قد توارثوه من دين إسماعيل (ع) فبقوا عليه رحمة من الله خلّقه إلى أن قام الإسلام فحجّهم عن النبي والظلم وقال أبو بكر الأنباري قد حصل في الآية طريقتان ✽ أحدهما ✽ ان الله تعالى من على المسلمين بأن جعل الكعبة صلاحاً لدينهم ودينام وقيام لهم ✽ والثاني ✽ انه أخبر عما فعله من امر الكعبة في الجاهلية (ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض وان الله بكل شيء عليم) قد اعترض على هذا قيل أي تعلق لهذا بقوله جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس والجواب عنه من وجوه ✽ أحدها ✽ ان فيما جملة الله تعالى في البلد الحرام والشهر الحرام من الآيات والأعاجيب دلالة على انه تعالى لا يخفى عليه شيء وذلك انه جعل الحرم أمناً يسكن فيه كل شيء فالظني بأنس فيه بالسبع والذئب مادام في الحرم فإذا خرج من الحرم خاف وطلبه السبع وهرب منه الظبي حتى يرجع إلى الحرم فإذا رجع إليه كف السبع عنه وكذلك الطير والحمام بأنس بالإنسان فإذا خرج من الحرم خافه مع أمور كثيرة وعجائب شهيرة ذكرنا بعضها في أول سورة آل عمران عند قوله فيه آيات بينات فيكون ما دبره الله من ذلك دالاً على انه عالم بمصالح الخلق وبكل شيء ✽ وثانيها ✽ انه تعالى علم ان العرب يكونون أصحاب عداوات وطوائف وانهم يكونون حواري الكعبة فلما خلق السموات والأرض جعل الكعبة موضع امن وعظم حرمتها في

القلوب وبقيت تلك الحرمه إلى يومنا هذا فلولا كونه سبحانه عالما بالاشياء قبل كونها لما كان هذا التدبير وفقا للصالح * وثالثها * انه تعالى لما أخبر في هذه السورة بقصة موسى وعيسى (ع) والتوراة والانجيل وما فيها من الأحكام والأخبار وذلك كله ما لم يشاهده نبينا محمد (ص) ولا أحد في عصره قال فيما بعد ذلك لتعلموا ان الله يعلم ومعناه لولا انه سبحانه بكل شيء عليم لما جاز ان يخبركم عنهم فقوله ذلك إشارة إلى ما أنبأهم به من علم الغيب والعلم بالكائنات

قوله تعالى (٩٨) **إِعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ** (٩٩) **مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ** (آيتان)

اللفظة

العلم ما اقتضى سكون النفس فإن شئت قلت هو اعتقاد الشيء على ما هو به عليه مع سكون النفس إلى ما اعتقده والأول أوجز ولا يجوز ان يحد العلم بالمعرفة لأن المعرفة هي العلم فكيف يحد الشيء بنفسه والعلم يتناول الشيء على ما هو به وكذلك الروية والفرق بينهما ان العلم يتعلق بالمعلوم على وجوه الروية لا تتعلق بالرئي إلا على وجه واحد والعلم معنى يصل القلب والروية ليست معنى على الحقيقة لكن للرأي صفة بكونه رأيا والعقاب هو الضرر المستحق المقارن للاستخفاف والإهانة ولو اقتضت على ان تقول هو الضرر المستحق لكان كافيا وكذلك لو قلت هو الضرر الذي يقارنه استخفاف وإهانة لكفى وإنما سمي عقابا لأنه يستحق عقاب الذنب الواقع من صاحبه والمغفرة هي ستر الخطيئة برفع عقابها واصل الرسول من الإرسال وهو الإطلاق يقال ارسل الطير إذا أطلقه وترسل في القراءة إذا تثبت واسترسل الشيء إذا تسلسل والرسل اللبن لا ترسالة من الضرع والفرق بين الإرسال والانباء ان الانباء عن الشيء قد يكون من غير تحميل النبا والإرسال لا يكون إلا بتحميل الرسل * والبلاغ وصول المعنى إلى غيره وهو هاهنا وصول الإنذار إلى نفوس المكلفين واصل البلاغ البلوغ ومنه البلاغة وهي إيصال الشيء إلى النفس في حسن صراحة من الفناء والبلاغ الكفاية لأنه يبلغ مقدار الحاجة

المعنى

لما تقدم بيان الأحكام عقبه سبحانه بذكر الوعد والوعيد فقال (اعلموا ان الله شديد العقاب) لمن عصاه (وان الله غفور رحيم) لمن تاب وأناب وأطاع وجمع بين المغفرة والرحمة ليعلم انه لا يقتصر على وضع العقاب عنه بل ينعم عليه بفضله ولما انذر وبشّر في هذه الآية عقبها بقوله (ما على الرسول إلا البلاغ) أي ليس على الرسول إلا اداء الرسالة وبيان الشريعة فاما القبول والامثال فإنه يتعلق بالمكلفين المبعوث اليهم (والله يعلم ما تبدون وما تكتمون) أي لا يخفى عليه شيء من أحوالكم التي تظهرونها وتخفونها وفي غاية الزجر والتهديد وفي قوله سبحانه اعلموا ان الله شديد العقاب الآية دلالة على وجوب معرفة العقاب والثواب لكونها لطفًا في باب التكليف

قوله تعالى (١٠٠) **قُلْ لَا يَسْتَوِي الْحَيْثُ وَالطَّيْبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْحَيْثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ** (آية)

❖ اللغة ❖

الاستواء على اربعة اقسام استواء في المقدار واستواء في المكان واستواء في الذهب واستواء في الانفاق والاستواء بمعنى الاستيلاء راجع إلى الاستواء في المكان لأنه تمكن واقتدار والخبيث أصله الردي مأخوذ من خبت الحديد وهو رديه بعد ما يخلص بالنار جيده ففي الحديد امتزاج جيد بردي والاعجاب سرور بما يتعجب منه والعجب والاعجاب والتعجب من أصل واحد والعجب مذموم لأنه كبر بدخل على النفس بحال يتعجب منها وعجب الذنب أصله وعجوب الرمل او اخره لانفراده عن جملة كاقتراد ما يتعجب منه

❖ المعنى ❖

لما بين سبحانه الحلال والحرام بين انهما لا يستويان فقال (قل) يا محمد (لا يستوي) اي لا يتساوى (الخبيث والطيب) أي الحرام والحلال عن الحسن والجبائي وقيل الكافر والمؤمن عن السدي (ولو اعجبك) أيها السامع أو أيها الإنسان (كثرة الخبيث) أي كثرة ما تراه من الحرام لأنه لا يكون في الكثير من الحرام بركة ويكون في القليل من الحلال بركة وقيل ان الخطاب للنبي (ص) والمراد أمته (فاتقوا الله) أي فاجتنبوا ما حرم الله عليكم (يا أولي الأبواب) يا ذوي العقول (لعلكم تفلحون) أي لتفلحوا وتفوزوا بالثواب العظيم والنعيم المقيم

قوله تعالى (١٠١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءٍ إِن تَبُدَّكُمْ تَسْؤُكُمْ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنزَلِ الْقُرْآنُ تَبُدَّ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ (آية)

❖ اللغة ❖

أبدى الشيء إذا أظهره وبدا يبدو بدواً إذا ظهر وبدا له رأيه بدهاء إذا تغير رأيه لأنه ظهر له البادية خلاف الحاضرة والبدو خلاف الحضرة من الظهور ومنه قوله تعالى وبدا لهم سيئات ما عملوا وحق الآية ولم يجيء في اقوال العرب البدهاء بمعنى الندامة وتغير الرأي وإذا كان لفظ البدهاء يطلق على الله فالمراد به الإرادة والظهور دون ما يظن قوم من الجهال وعليه تشهد اقوال العرب وأشعارهم فمن ذلك

قُلْ مَا بَدَأَ لَكَ مِنْ زُورٍ وَمِنْ كَذِبٍ حِلْمِي أَصَمٌّ وَأَذْنِي غَيْرُ صَمَاءٍ (٣)
وأمثال ذلك والله أعلم

❖ الإعراب ❖

اشياء في موضع جر لانها لا تنصرف قال الكسائي اشياء أشبه آخرها آخر حمراء وكثير استعمالها فلم تنصرف وقد اجمع البصريون على ان قوله هذا خطأ والزوم ان لا يصرف أبناء وأسماء وقال الخليل أن اشياء اسم للجمع كان أصله شيئاً على فعلاء مثل الطرفاء والقصباء والخلفاء في أنها على لفظ الآحاد والمراد الجمع فاستثقلت الممزةان ينهما الف وليس بجائز قوي لأجل انه ساكن ومن جنس الممزة ألا تراه يعود إليها إذا تحركت واستثقلت فقدموا الممزة التي هي لام الفعل إلى أول الكلمة فقالوا اشياء ووزنها لفاء كما قالوا في انوق ابنى وفي أقوس قسي وهو مذهب سيبويه والمازني وجميع البصريين قالوا والدلالة على ان اشياء اسم مفرد ماروي من تكسيرها على اشاوي كما كسروا صحراء على صحارى حيث كانت مثلها في الافراد وقال الأخفش ابو الحسن سعيد بن مسعدة والفراء أصل اشياء اشياء على فعلاء فحذفت الممزة التي هي لام كما حذفت من قولهم سوائيه حيث قالوا سوايه ولزم حذفها في فعلاء لأمسين ❖ احدهما ❖ تقارب الممزة وإذا كانوا قد حذفوا الممزة منفردة فإذا تكررت لزم الحذف ❖ والآخر ❖ ان الكلمة جمع وقد يستثقل في الجمع ما لا يستثقل في الآحاد ووزن اشياء على هذا القول أفماء وذكروا ان المازني ناظر الأخفش في هذا الباب فسأله كيف تصغر

أشياء فقال أشياء فقال له لو كانت افعلاء لردت في التصغير إلى واحد فقال شئيات كما قالوا في تصغير أصدقاء صديقات فقطع الأخش فأجاب عنه ابو علي الفارسي فقال ان افعلاء في هذا الموضع جاز تحقيرها وإن لم تحقر في غير هذا الموضع لأنها صارت بدلا من افعال بدلالة استجازتهم اضافة الجدد القليل اليها كما اضيف إلى افعال وبدل على كونها بدلا من افعال تذكيرم العدد المضاف اليها نحو ثلاثة اشياء فجاز تصغيرها كما يجوز تصغير افعال وقوله إن تبد لكم تسوءم كم جملة شرطية في موضع جر بكونها صفة لأشياء

﴿ التزول ﴾

اختلف في نزولها فقيل سأل الناس رسول الله (ص) حتى احفوه بالمسألة فقام مضطربا خطيبا فقال سلوني فوالله لا تسألوني عن شيء إلا ينبت له لكم فقام رجل من بني سهم يقال له عبد الله بن حذافة وكان يطعن في نسبه فقال يا نبي الله من إني فقال ابوك حذافة بن قيس فقام اليه رجل آخر فقال يا رسول الله أين إني فقال في النار فقام عمر بن الخطاب وقيل رجل رسول الله (ص) وقال انا يا رسول الله حديثو عهد بجاهلية وشرك فاعف عنا عفا الله عنك فسكن غضبه فقال اما والذي نفسي بيده لقد صوّرت لي الجنة والنار آتقا في عرض هذا الجائط فلم أر كاليوم في الخير والشر عن الزهري وقناعة عن انس وقيل كان قوم يسألون رسول الله (ص) استهزاء مرة وامتحانا مرة فيقول له بعضهم من إني ويقول الآخراين إني ويقول الآخر إذا ضلت ناقته إني ناقتي فأنزل الله عز وجل هذه الآية عن ابن عباس وقيل خطب رسول الله (ص) فقال ان الله كتب عليكم الحج فقام عكاشة بن محصن وقيل مرافقة بن مالك فقال أفي كل عام يا رسول الله فأعرض عنه حتى عاد مرتين او ثلاثا فقال رسول الله ويحك وما يؤمنك ان أقول نعم والله لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت ما استطعتم ولو تركتم لكفرتم فاتركوني كما تركتمكم فلما هلك من كان قبلكم بكثرة سوءهم واختلافهم على أنبيائهم فلماذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه عن علي بن أبي طالب (ع) وإني امامة الباهلي وقيل نزلت حين سألو رسول الله (ص) عن البجيرة والسائبة والوصيلة والحامي عن مجاهد

﴿ المعنى ﴾

(يا ايها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسوءم) خاطب الله المؤمنين ونهاهم عن المسألة عن أشياء لا يحتاجون اليها في الدين إذا أبدت وأظهرت ساءت وحزنت وذلك نحو ما مضى ذكره من الرجل الذي سأل عن آية وأشياء ذلك من أمور الجاهلية وقيل ان تقديره لا تسألوه عن أشياء عفا الله عنها إن تبد لكم تسوءم كم فقدم وأخر فعلى هذا يكون قوله عفا الله عنها صفة لأشياء أيضا ومعناه كف الله عن ذكرها ولم يوجب فيها حكما وكلام الزجاج يدل على هذا لأنه قال اعلم الله ان السؤال عن مثل هذا الجنس لا ينبغي أن يقع فإنه إذا ظهر فيه الجواب ساء ذلك وخاصة في وقت سؤال النبي (ص) على جهة تبيين الآيات فنهي الله عز وجل عن ذلك واعلم انه قد عفا عنها ولا وجه لمسألة ما عفا الله عنه ولعل فيه فضيحة على السائل إن ظهر وإلى هذا المعنى أشار امير المؤمنين (ع) في قوله إن الله افترض عليكم فرائض فلا تضيقوها وحد لكم حدودا فلا تمتدوها ونهاكم عن أشياء فلا تنتهكوها وسكت لكم عن أشياء ولم يدعها نسيانا فلا تتكفوها وقال مجاهد كان ابن عباس إذا سئل عن الشيء لم يجيء فيه أثر يقول هو من العفو ثم يقرأ هذه الآية (وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم) معناه وان ألحتم وسألتم عنها عند نزول القرآن أظهر لكم جوابها إذا لم تقصدوا التمتت على النبي محمد (ص) فلا تتكفوا السؤال عنها في الحال وقيل معناه وإن تسألوا عن أشياء حين ينزل القرآن تحتاجون اليها في الدين من بيان محمد (ص) ونحو ذلك تكشف لكم وهذه الأشياء غير الأشياء الأولى إلا انه قال وإن تسألوا عنها لأنه كان قد سبق ذكر الأشياء وقيل ان الماء راجعة إلى الأشياء الأولى فيبين لم انكم ان

سألتم عنها عند نزول القرآن في الوقت الذي يأتيه الملك بالقرآن يظهر لكم ما تسألون عنه في ذلك الوقت فلا تسألوه ودعوه مستوراً ثم قال (عفا الله عنها) أي عفا الله عن تبعة سوء الحكم ويكون تقديره عفا الله عن مسألتكم التي سلفت منكم بما كرهه النبي (ص) (والله غفور حلیم) فلا تعودوا إلى مثلها وهذا قول ابن عباس في رواية عطا واما على ما ذكرنا من ان قوله عفا الله على التقديم فيكون تقدير الآية لا تسألوا عن أشياء ترك الله ذكرها ويانها لأنكم لا تحتاجون إليها في التكليف ان تظهر لكم تحزنكم وتفمكم وقال بعضهم انها نزلت فيما سألت الأمم أنبياءها من الآيات ويؤيده الآية التي بعدها

النظم

قيل في اتصال هذه الآية بما قبلها وجوه * احدها * انه متصل بقوله تفلحون لأن من الفلاح ترك السؤال عما لا يحتاج اليه * وثانيها * انه متصل بقوله ما على الرسول إلا البلاغ فإنه يبلغ ما فيه المضلحة فلا تسألوه عما لا يعينكم * وثالثها * انها متصل بقوله والله يعلم ما تبدون وما تكتمون اي لا تسألوه فيظهر صرائركم

قوله تعالى (١٠٢) قد سألتهم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين (١٠٣) ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرتهم لا يعقلون (آياتان)

* اللفظة *

البحر الشق وبحرت اذن الناقة أبحرها بجرأ إذا شققها شقاً واسماً والناقة بحيرة وهي فيلة بمعنى المفعول مثل النطيحة والذبيحة واصل الباب السمة وسمي البحر بجرأ لسعته وفرس بجر وأسع الجري وفي الحديث انه (ع) قال لفرس له وجدته بجرأ والسائبة قاعلة من ساب الماء إذا جرى على وجه الأرض ويقال سيبت الدابة اي تركتها تسيب حيث شاءت ويقال للعبد يعتق ولا ولاء عليه لمعتقه سائبة لأنه يضع ماله حيث شاء واصله المخلاة وهي السبية وأخذت من قولهم سابت الحية وانسابت إذا مضت مسنمة والوصل تبيض الفصل ولعن رسول الله (ص) الواصلة وهي التي تصل شعر المرأة بشعر آخر فالوصيلة بمعنى الموصولة كأنها وصلت بغيرها ويجوز ان يكون بمعنى الواصلة لأنها وصلت أخاها وهذا أظهر في الآية وانشد أهل اللفظة في البحيرة

محرمة لا يأكل الناس لحمها ولا نحن في شيء كذاك البحائر

وانشدوا في السائبة

وسائبة لله مالي تشكراً إن الله عافى عامراً ومجاشعاً

وانشدوا في الوصيلة لتأبط شراً

أجدك أما كنت في الناس ناعقاً تراعي بأعلى ذي المجائر الوصالا

وانشد في الحامي

حماها أبو قابوس في غير كنهه كما قد حمى أولاد أولاده الفحلا

* المعنى *

ثم أخبر سبحانه ان قوماً سألوا مثل سؤالهم فلما أجبوا إلى ما سألوا كفروا فقال (قد سألتهم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين) وفيه أقوال * احدها * انهم قوم عيسى (ع) سألوه ازال المائدة ثم كفروا بها عن ابن عباس * وثانيها * انهم قوم صالح سألوه الناقة ثم عقروها و كفروا بها * وثالثها * انهم قريش حين سألوا

النبي (ص) ان يحول الصفا ذهباً عن السدي * ورايها * انهم كانوا سألو النبي (ص) عن مثل هذه الأشياء يعني من أبي ونحوه فلما أخبرهم بذلك قالوا ليس الأمر كذلك فكفروا به فيكون على هذا نبياً عن سؤال النبي (ص) عن انساب الجاهلية لأنهم لو سألو عنها ربما ظهر الأمر فيها على خلاف حكمهم فيحملهم ذلك على تكذيبه عن أبي علي الجبائي فإن قيل ما الذي يجوز ان يسأل عنه وما الذي لا يجوز فالجواب ان الذي يجوز السؤال عنه هو ما يجوز العمل عليه في الأمور الدينية او الدنيوية وما لا يجوز العمل عليه في أمور الدين والدنيا لا يجوز السؤال عنه فعلى هذا لا يجوز أن يسأل الإنسان من أبي لأن المصلحة قد اقتضت ان يحكم على كل من ولد على فراش انسان بأنه ولده وإن لم يكن مخلوقاً من مائه فالمسألة بخلاف ذلك سفه لا يجوز ثم ذكر سبحانه الجواب عما سأله عنه وقيل إنه لما تقدم ذكر الحلال والحرام بين حال ما يعتقد أهل الجاهلية من ذلك فقال (ما جعل الله من بحيرة) يريد ما حرّمها على ما حرّمها أهل الجاهلية من ذلك ولا أمر بها والبحيرة هي الناقة كانت إذا نتجت خمسة أبطن وكان آخرها ذكراً بحروا اذنها وامتنعوا من ركوبها ونحوها ولا تطرد عن ماء ولا تمتع من مرعى فإذا لقيها المعسى لم يركبها عن الزجاج وقيل انهم كانوا إذا نتجت الناقة خمسة أبطن نظروا في البطن الخامس فإن كان ذكراً نحروه فأكله الرجال والنساء جميعاً وإن كانت اثنى شقوا اذنها فتلك البحيرة ثم لا يجزّ لها وير ولا يذكر عليها اسم الله ان ذكيت ولا يحمل عليها وحرّم على النساء ان يذقن من لبنها شيئاً ولا ان يتنغن بها وكان لبنها ومنافعها للرجال خاصة دون النساء حتى تموت فإذا ماتت اشتركت الرجال والنساء في أكلها عن ابن عباس وقيل ان البحيرة بنت السائبية عن محمد بن اسحاق (ولا سائبية) وهي ما كانوا يسيبونه فإن الرجل إذا نذر القدوم من سفر او البرء من علة او ما اشبه ذلك قال ناقتي سائبية فكانت كالبحيرة في ان لا يتنفع بها وان لا تخلّي عن ماء ولا تمتع من مرعى عن الزجاج وهو قول علقمة وقيل هي التي تسيب للأصنام أي تتنق لها وكان الرجل يسيب من ماله ما يشاء فيجيء به إلى السدنة وهم خدمة آلهتهم فيطعمون من لبنها ابناء السيل ونحو ذلك عن ابن عباس وابن مسعود وقيل إن السائبية هي الناقة إذا تابعت بين عشرا ناث ليس فيهن ذكر سيبت فلم يركبها ولم يجزوا ويرها ولم يشرب لبنها إلا ضيف فانتجت بعد ذلك من اثنى شق اذنها ثم يخلّي سبيلها مع امها وهي البحيرة عن محمد بن اسحاق (ولا وصيلة) وهي في النعم كانت الشاة إذا ولدت اثنى فهي لهم وإذا ولدت ذكراً جملوه لأنهم فإن ولدت ذكراً وأثنى قالوا وصلت أخاها فلم يذبحوا الذكر لأنهم عن الزجاج وقيل كانت الشاة إذا ولدت سبعة أبطن فإن كان السابع جدياً ذبحوه لأنهم ولحمه للرجال دون النساء وان كان عناقاً استحبوها وكانت من عرض النعم وإن ولدت في البطن السابع جدياً وعناقاً قالوا ان الاخت وصلت أخاها فخرته علينا فحرما جميعاً فكانت النعمة واللبن للرجال دون النساء عن ابن مسعود ومقاتل وقيل الوصيلة الشاة إذا أتت عشر اناث في خمسة ابطن ليس فيها ذكر جعلت وصيلة فقالوا قد وصلت فكان ما ولدت بعد ذلك للذكور دون الإناث عن محمد بن اسحاق (ولا حام) وهو الذكر من الإبل كانت العرب إذا انتجت من صلب الفحل عشرة ابطن قالوا قد حمي ظهره فلا يحمل عليه ولا يمتع من ماء ولا من مرعى عن ابن عباس وابن مسعود وهو قول أبي عبيدة والزجاج وقيل انه الفحل إذا لقح ولد ولده قيل حمي ظهره فلا يركب عن القراء أعلم الله انه لم يحرم من هذه الأشياء شيئاً وقال المفسرون وروى ابن عباس عن النبي (ص) ان عمرو ابن لحي بن قنمة بن خندف كان قد ملك مكة وكان اول من غير دين اسماعيل واتخذ الأصنام ونصب الاوثان ويحرق البحيرة وسبب السائبية ووصل الوصيلة وحمل الحامي قال رسول الله (ص) فلقد رأيتني في النار يوم ذي أهل النار ربيع قصبه ويروى بحر قصبه في النار (ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب) هذا اخبار منه تعالى ان الكفار يكذبون على الله بادعائهم ان هذه الأشياء من فعل الله أو أمره (واكثرهم لا يعقلون) خص

الاكثر بأنهم لا يعقلون لأنهم اتباع فهم لا يعقلون ان ذلك كذب واقترأ كما يعقله الرؤساء عن فتادة والشعبي وقيل ان معناه ان اكثرهم لا يعقلون ما حرم عليهم وما حل لهم يعني ان المعاند هو الأقل منهم عن ابي علي الجبائي وفي هذه الآية دلالة على بطلان قول المجبرة لأنه سبحانه نفى أن يكون جعل البحيرة وغيرها وعندهم انه سبحانه هو الجاعل والمخالق لهم ثم بين ان هؤلاء قد كفروا بهذا القول واقروا على الله الكذب بأن نسبوا اليه ما ليس بفعل له وهذا واضح

قوله تعالى (١٠٤) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أُولَٰئِكَ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ (آية)

المعنى

ثم اخبر سبحانه عن الكفار الذين جعلوا البحيرة وضميرها ويفترون على الله الكذب من كفار قريش وغيرهم فقال (وإذا قيل لهم تعالوا) اي هلموا (إلى ما انزل الله) من القرآن واتباع ما فيه والاقرار بصحته (وإلى الرسول) وتصديقه والاقتراء به وبأفعاله (قالوا) في الجواب عن ذلك (حسبنا) أي كفانا (ما وجدنا عليه آباءنا) يعني مذاهب آباءنا ثم اخبر سبحانه منكرًا عليهم (اولو كان آباؤهم) أي انهم يتبعون آباءهم فيما كانوا عليه من الشرك وعبادة الأوثان وان كان آباؤهم (لا يعلمون شيئاً) من الدين (ولا يهتدون) اليه وقيل في معنى لا يهتدون قولان * أحدهما * انه بذمتهم بأنهم ضلال * والآخر * بأنهم عمي عن الطريق فلا يهتدون طريق العلم وفي هذه الآية دلالة على فساد التقليد وانه لا يجوز العمل في شيء من أمور الدين إلا بالبحجة وفي هذه الآية دلالة ايضاً على وجوب المعرفة وانها ليست بضرورة على ما قاله اصحاب المعارف فإنه سبحانه بين الحجاج عليهم فيها يعرفوا صحة ما دعاهم الرسول اليه ولو كانوا يعرفون الحق ضرورة لم يكونوا مقلدين لآبائهم وتقى سبحانه عنهم الاهتداء والعلم مما لأن بينهما فرقا فإن الاهتداء لا يكون الا عن حجة وبيان والعلم قد يكون ابتداء عن ضرورة

قوله تعالى (١٠٥) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (آية)

القراءة

روي في الشواذ عن الحسن لا يضركم وعن ابراهيم لا يضركم

الحجة

ويفي ذلك أربع لغات ضاره يضره وضاره يضره وضره يضره وهي عرية أعني يفعل في المضاعف متعدية وانما جزم يضركم ويضركم لأنه جواب الأمر وهو قوله عليكم أنفسكم ويجوز أن يكون لا هنا بمعنى النهي فيكون يضركم مجزوماً به

الاعراب

قال الزجاج عليكم انفسكم أجريت مجرى الفعل فإذا قلت عليك زيداً فتأويله الزم زيداً وعليكم انفسكم معناه الزموا أمر انفسكم وقال غيره العرب تأمر من الصفات بليك وعندك ودونك فتعديها إلى المفعول وتقييمها مقام الفعل فينتصب بها على الإغراء تقول عليك زيداً كأنه قيل خذ زيداً فقد علاك أي أشرف عليك وعندك زيداً أي حضرك فخذ ودونك أي قرب منك فخذ وقد تقيم العرب غير هذه الأحرف مقام الفعل لكن لا تعديها إلى المفعول وذلك نحو قولهم اليك عني أي تأخر عني ووراءك بمعناه قالوا ولا يجوز ذلك إلا في الخطاب لو قلت عليه زيداً لم يميز وقوله لا يضركم الاجود ان يكون اعرابه رفعاً ويكون على جهة الخبر ويجوز ان

(١) [وضره يضره]

يكون موضعه جزءاً ويكون الأصل لا يضرر كما إلا ان الرأى الأولى أدغمت في الثانية فضمت الثانية للتقاء الساكنين ويجوز في العربية لا يضرر كما يفتح الرأى ولا يضرر كما بكسرهما فالضم لاتباع الضم والفتح للفتحة والكسر لأن أصل التقاء الساكنين الكسرة وهذا النهي بلفظاً يراد به المخاطبون إذا قلت لا يضررك كفر فلان فمعناه لاتعدن انت كفره ضرراً كما انك إذا قلت لا أرينك ههنا فالنهي في اللفظ لنفسك فمعناه لمخاطبك ومعناه لاتكون هنا

❖ المعنى ❖

لما بين الله سبحانه حكم الكفار الذين قلدوا آباءهم وأسلافهم وذكروا إلى أديانهم عقبه بالأمر بالطاعة وبيان ان المطيع لا يواخذ بذنوب العاصي فقال (يا ايها الذين آمنوا عليكم اقسكم) معناه احفظوا انفسكم من ملامسة المعاصي والأوصار على الذنوب عن الفراء وغيره وقيل معناه الزموا أمر اقسكم فإنما ألزمكم الله امرها عن الزجاج وهذا موافق لما روي عن ابن عباس ان معناه اطيعوا امري واحفظوا وصيتي (لا يضرر كما من ضل إذا اهتديتم) أي لا يضرر كما ضلال من ضل من آبائكم وغيرهم إذا كنتم مهتدين ويقال هل تدل هذه الآية على جواز ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجوابه ان في هذا وجوهاً ❖ احدها ❖ ان الآية لا تدل على ذلك بل توجب ان المطيع لربه لا يواخذ بذنوب العاصي ❖ وثانيها ❖ ان الاقتصار على الاهتداء باتباع امر الله إنما يجوز في حال التيقية او حال لا يجوز تأثير انكاره فيها او يتعلق بانكاره مفسدة وروي ان ابا ثعلبة سأل رسول الله (ص) عن هذه الآية فقال ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت دنيا مؤثرة وشحاً مطاعاً وهوى متبعاً واعجاب كل ذي رأي برأيه فلعليك بخير نصيبك وذر الناس وعوامهم ❖ وثالثها ❖ ان هذه او كد آية في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأن الله تعالى خاطب بها المؤمنين فقال عليكم اقسكم يعني عليكم اهل دينكم كما قال ولا تقتلوا انفسكم لا يضرر كما من ضل من الكفار وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء عنه قال يريد يعظ بعضكم بعضاً وينهى بعضكم بعضاً ويعلم بعضكم بعضاً ما يقربه إلى الله ويبعده من الشيطان ولا يضرر كما من ضل من المشركين والمنافقين واهل الكتاب (إلى الله مرجعكم جميعاً) أي مصيركم ومصير من خالفكم (فيثيبكم بما كنتم تعملون) أي يجازيكم بأعمالكم وفي هذه غاية الزجر والتهديد وفي الآية دلالة على فساد قول من قال إن الله يعذب الأطفال بذنوب الآباء ويعذب الميت يكاه الحي عليه

قوله تعالى (١٠٦) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةٌ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ أَتَانِ ذُو عَدْلٍ مِّنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ فَحَسِّنُوهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَهَيِّئَا لِلَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَنْ نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَمِنَ الْآثِمِينَ (آية)

❖ القراءة ❖

روي في الشواذ عن الحسن والشعبي والاعرج شهادة بينكم وعن الأعرج ايضاً شهادة بينكم بالنصب وروي عن علي والشعبي بخلاف ونعيم بن مسيرة انهم قرأوا شهادة الله بنصب شهادة والمد في الله وهو قراءة يعقوب والشعبي برواية روح وزيد وروي شهادة الله مقصورة عن الحسن ويحيى بن يعمر وسعيد بن جبيرة والكلي والشعبي

❖ الحجة ❖

أما قول شهادة بالرفع بينكم بالنصب فعلى نحو القراءة المشهورة شهادة بينكم إلا انه حذف التنوين فالنحو الا سم ويجوز ان يكون المضاف محذوفاً من آخر الكلام أي شهادة بينكم شهادة اثنين أي ينبغي ان تكون

الشهادة المضمدة فكذا وأما شهادة ينكم بالنصب والتنوين فلي اضمار فعل اي ليقم شهادة بينكم اثنان ذوا عدل واما قوله ولا نكتم شهادة فهو اعم من قراءة الجماعة المشهورة شهادة الله بالاضافة واما المد في الله فلي ان همزة الاستفهام صلوت عوضا عن حرف القسم ووقوا همزة الله من الحذف الذي كان يجب فيها من حيث كانت موصولة ثم فصل بين الهمزتين بالف كما في قوله الذكركين حرّم ام الاثنيين واما الله مقصورة بالجر فلي ما حكاه سيبويه ان منهم من يحذف حرف القسم ولا يعوّض منه همزة الاستفهام فيقول الله لقد كان كذا وذلك لكثرة الاستعمال واما تقدير الكلام فلي انه يقول اتقسم بالله اي اتقدم على هذا اليمين وهذا إنما يكون على وجه الاعظام لليمين والتهيب لها

﴿ الاعراب ﴾

قال الزجاج شهادة ينكم يرتفع من وجهين ﴿ احدهما ﴾ أن يرتفع بالابتداء ويكون خبرها اثنان والمعنى شهادة هذه الحال شهادة اثنين فيحذف شهادة ويقام اثنان مقامها ﴿ والآخر ﴾ ان يكون التقدير وفيما فرض عليكم في شهادتكم أن يشهد اثنان فيرتفع اثنان بشهادة وهو قول الفراء واختار ابو علي الفارسي القول الأول قال واتسع في بين فاضيف اليه المصدر وهذا يدل على قول من قال إن الظرف يستعمل إسمًا في غير الشعر الا ترى انه قد جاء ذلك في التنزيل وهو لقد تقطع بينكم بالرفع كما جاء في الشعر نحو قوله ﴿ قَصَادَةٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ الْحَبُونَا ﴾ واما قوله اذا حضر احدكم الموت فيجوز ان يتعلق بالشهادة فيكون معمولا ولا يجوز ان يتعلق بالوصية لأمرين ﴿ احدهما ﴾ ان المضاف اليه لا يعمل فيما قبل المضاف لأنه لو عمل فيه لزم ان يقدر وقوعه في موضعه واذا قدر ذلك لزم ان يقدم المضاف اليه على المضاف ومن ثم لم يميز القتال زيدا حين يأتي ﴿ والآخر ﴾ أن الوصية مصدر فلا يتعلق به ما يتقدم عليه واما قوله حين الوصية اثنان فلا يجوز حمله على الشهادة لأنه اذا عمل في ظرف من الزمان لم يعمل في ظرف آخر منه ولكن يحمله على احد ثلاثة اوجه إما ان يتعلق بالموت كأنه يموت في ذلك الحين وهذا إنما يكون على ما قرب منه كقوله حتى اذا حضر احدكم الموت قال اني تبت الآن وهذا القول إنما يكون قبل الموت وإما أن يتعلق بحضر اي اذا حضر هذا الحين وإما ان يكون محمولا على البدل من اذا لأن ذلك الزمان في المعنى هو هذا الزمان فتبدله منه كما تبدل الشيء من الشيء اذا كان اياه وقوله منكم صفة لقوله اثنان كما ان ذوا عدل صفة لهما وفي الظرف ضميرهما وقوله أو آخران من غير كم تقديره او شهادة آخرين من غير كم صفة لآخرين كما كان منكم صفة لآخرين ان اتم ضربتم في الأرض فاصابكم مصيبة الموت اعتراض بين الصفة والموصوف وعلم به ان شهادة الآخرين الذين هم من غير اهل ملتنا إنما يجوز في السفر فاستغنى عن جواب إن بما تقدم من قوله او آخران من غير كم لأنه وان كان على لفظ الخبر فالمعنى على الأمر كأن المعنى ينبغي ان تشهدوا اذا ضربتم في الأرض آخرين من غير اهل ملتكم ويجوز ايضا ان يستغنى عن جواب اذا في قوله اذا حضر احدكم الموت بما تقدمها من قوله شهادة ينكم فإن جملت اذا بنزلة حين فلم تجعل له جوابا كان بمنزلة الحين ويتصبب الموضع بالمصدر الذي هو شهادة ينكم كما تقدم وان قدرت له جوابا كان قوله شهادة ينكم يدل عليه ويكون موضع اذا في قوله اذا حضر احدكم الموت نصبا بالجواب المقدر المستغنى عنه بقوله شهادة ينكم لأن المعنى ينبغي ان تشهدوا وقوله تحبسونهما من بعد الصلاة صفة ثانية لقوله او آخران وقوله من بعد الصلاة يتعلق بتحسبونهما فيقسمان بالله الفاء لمطف الجملة على الجملة وان شئت جملت الفاء للجزء كما في قول ذي الرمة

وَإِنْسَانٌ عَجِينِي يَعْجِسُ الْمَاءَ مَرَّةً
فَيَبْدُو وَتَارَاتٍ يَجْمُ فَيَقْرُقُ (٢)

تقديره عندهم اذا حبس بدا فكذلك اذا حبستموها اقسما وقوله لا نشري به ثنا جواب ما يقتضيه قوله

فيؤمنان بالله لأن أقسم ونحوه يتلقى بما يتلقى به الأيمان والتقدير لا نشترى بتحريف شهادتنا ثمننا أي ذا ثمن فحذف المضاف في الموضعين وإنما ذكر الشهادة لأن الشهادة قول كما قال وإذا حضر القسمة ثم قال فارز قوهم منه لما كان القسمة يراد به المقسوم الا ترى ان القسمة التي هي افراز الانصاء لا يبرزق منه وإنما يبرزق من الشركة المقسومة ولو كان ذا قرين التقدير ولو كان المشهود له ذا قرينى وأضاف الشهادة الى الله لأمره بإقامتها ونهيه عن كتمانها في قوله وأقيموا الشهادة لله وقوله من يكتمها فإنه آثم قلبه هذا كله مأخوذ من كلام ابي علي الفارسي وناهيك به فارساً في هذا الميدان تقاباً يخبر عن مكثون هذا العلم بواضح البيان

✽ النزول ✽

سبب نزول هذه الآية ان ثلاثة نفر خرجوا من المدينة تجاراً الى الشام تميم بن اوس الداري واخوه عدي ومما نصرانيان وابن ابي مارية مولى عمرو بن العاص السهمي وكان مسلماً حتى اذا كانوا ببعض الطريق مرض ابن مارية فكتب وصيته بيده ودسها في متاعه واوصى اليهما ودفع المال اليهما وقال ابلغاهما اهلي فلما مات فتحتا المتاع واخذنا ما اعجبهما منه ثم رجعا بالمال الى الورثة فلما فئش القوم المال فقدوا بعض ما كان قد خرج به صاحبهم فنظروا الى الوصية فوجدوا المال فيها تاماً فكلموا تميمًا وصاحبه فقالا لا علم لنا به وما دفعه الينا ابلغناه كما هو نرفعوا امرهم الى النبي (ص) فنزلت الآية عن الواقدي عن أسامة بن زيد عن ابيه وعن جماعة المفسرين وهو المروي عن ابي جعفر (ع)

✽ المعنى ✽

لما قدم الأمر بالرجوع الى ما انزل عقبه بذكر هذا الحكم المنزل فقال (يا أيها الذين آمنوا) اي يا أيها المؤمنون (شهادة بينكم) قيل في معنى الشهادة هنا اقوال **✽** احدها **✽** انها الشهادة التي تقام بها الحقوق عند الحكم وقد تقدم ذكر ما قيل في تقدير الآية على هذا المعنى وهو قول ابن عباس **✽** وثانيها **✽** انها بمعنى الحضور كما يقال شهدت وصية فلان ومنه قوله وليشهد عذابهما طائفة ام كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت فيكون تقديره ليشهدكم في سفركم إذا حضركم الموت وأردتم الوصية اثنان ذوا عدل منكم اي وصيان من اهل العدالة جعلها اثنين تأكيداً للأمر في الوصية عن ابن الانباري وهو قول سعيد بن جبير وابن زيد **✽** والثالث **✽** انها شهادة إيمان بالله إن ارتاب الورثة بالوصيين من قول القائل في اللعان اشهد بالله اني لمن الصادقين والأول اقوى واليق بالآية وقال صاحب كتاب نظم القرآن شهادة مصدر بمعنى الشهود كما يقال رجل عدل ورضا ورجلان عدل ورضا ثم قدر حذف المضاف فيكون المعنى عدد شهود بينكم اثنان كقوله الحجج أشهر معلومات اي وقت الحج أشهر وقال ابن جني ويجوز ان يكون التقدير تقيموا شهادة بينكم اثنان فيكون على هذين القولين حذف المضاف من المبتدأ وعلى قول الزجاج وابي علي من الخبر (اذا حضر احدكم الموت حين الوصية) اي حضر اسباب الموت من مرض وغيره وقال الزجاج معناه ان الشهادة في وقت الوصية هي للموت ليس ان الموت حاضر وهو يوصي وإنما يقول الموصي صحيحاً كان او غير صحيح اذا حضر في الموت واذا مات فافعلوا واصنعوا (اثنان ذوا عدل منكم) اي من اهل دينكم وملتكم (او آخران من غيركم) اي من غير اهل ملتكم عن ابن عباس وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير وشريح ومجاهد وابن سيرين وابن زيد وابراهيم وهو المروي عن الباقر والصادق عليهما السلام فيكون او هاهنا للتفصيل لا للتخيير لأن المعنى او آخران من غيركم ان لم تجدوا شاهدين منكم وقيل معناه ذوا عدل من عشيرتكم او آخران من غير عشيرتكم عن الحسن والزهرى وعكرمة والاصم قالوا لأن عشيرة الموصي اعلم باحواله من غيرهم واجدر ان لا ينسوا ما شهدوا عليه وقالوا لا يجوز شهادة كافر في سفر ولا حضر واختاره الزجاج وذهب جماعة الى ان الآية كانت في شهادة أهل الذمة فنسخت وقد بين ابو عبيدة

هذه الاقاويل ثم قال جلّ العلماء يتأولونها في أهل الذمة ويرونها محكمة ويقوي هذا القول نتائج الآثار في سورة المائدة بقلة المنسوخ وانها من محكم القرآن وآخر ما نزل (إن أنتم ضربتم في الأرض فأصابكم مصيبة الموت) ومعناه فأصلبكم الموت علم الله تعالى ان من الناس من يسافر فيصحبه في سفره أهل الكتاب دون المسلمين وينزل القرية التي لا يسكنها غيرهم ويحضره الموت فلا يجد من يشهده من المسلمين فقال أو آخران من غيركم أي من غير دينكم إن أنتم سافرتم فأصابكم مصيبة الموت فالمدلان من المسلمين للحضر والسفر إن أمكن اشهادهما في السفر والذميان في السفر خاصة إذا لم يوجد غيرهما ثم قال (تجسونها من بعد الصلاة فيقسمان بالله إن ارتبتم) المعنى تجسونها من بعد صلاة العصر لأن الناس كانوا يحلفون بالحجاز بعد صلاة العصر لا اجتماع الناس وتكاثرهم في ذلك الوقت وهو المروي عن أبي جعفر (ع) وقادة وسعيد بن جبير وغيرهم وقيل هي صلاة الظهر أو العصر عن الحسن وقيل بعد صلاة أهل دينها يعني الذميين عن ابن عباس والسدي ومعنى تجسونها قفونها كما تقول مرّبي فلان على فرس فحس على دابته أي وقفه وقبل معناه تصبرونها على اليمين وهو ان يحمل على اليمين وهو غير متبرع بها إن ارتبتم في شهادتها وشككتكم وخشيتم أن يكونا قد غيرا أو بدلا أو كتما و خانا وانططاب في تجسونها للورثة ويجوز أن يكون خطابا للقضاة ويكون بمعنى الأمر أي فاحبسوها ذكره ابن الانباري وكان يقف على قوله مصيبة الموت ويبتدي بقوله تجسونها ويحتمل ان يكون أراد به وصي الميت إذا ارتاب بها الورثة وادعوا انها استبدت بشي من التركة فيصيران مدعى عليها فيحلفان بالله (لا نشترى به ثمننا) أي لا نشترى به تحريف الشهادة ثمننا والتقدير لا نشترى به ذا ثمن ألا ترى ان الثمن لا يشتري وإنما يشتري المبيع دون ثمنه وقيل ان الهاء في به يعود الى القسم بالله وقيل معناه لا نبيعه بعرض من الدنيا لأن من باع شيئا فقد اشترى ثمنه ويريد لا نحابي في شهادتنا احداً (ولو كان) المشهود له (ذا قرني) خصّ ذا القرني بالذكر لميل الناس الى اقربائهم ومن يناسبونه (ولا نكنم شهادة الله) أي شهادة لزمنا اداؤها بأمر الله تعالى (إنا إذا لمن الآثمين) أي انا ان فلنا ذلك كنا من الآثمين

قوله تعالى (١٠٧) فَإِنْ عَثَرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَأَخْرَأْنِ يَقَوْمًا مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلِيَانِ فَيَقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهِدَاتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهِادَتَيْهِمَا وَمَا أَعْتَدْنَا إِنَّا إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ (١٠٨) ذَلِكَ أَذْنِي أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهٍ أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ آيْمَانُ بَعْدَ آيْمَانِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَسْمِعُوا اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (آياتان)

﴿ القراءة ﴾

قرأ أبو بكر عن عاصم وحزمة وخلف ويعقوب استحق بضم التاء والهاء الأولين جمع وقرأ حفص عن عاصم استحق بفتح التاء والهاء الأولين بالالف تشبیه الأولى وقرأ الباقر استحق بضم التاء الأولين بالالف

﴿ الحجة والاعراب ﴾

قال الزجاج هذا الموضع من أصعب ما في القرآن في الاعراب، والأولين في قول أكثر البصريين يرتفعان على البدل مما في يومان المعنى فليقم الأوليان بالميت مقام هذين الخائنين فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من

(١) [وتقيمونها] . (٢) حاباه فسى البيع : ساهله . القاضي زيداً فى الحكم : مال اليه منحرفاً عن العدل .

شهادتهما فإذا ارتفع الأوليان على البدل فالذي في استحقاق من الضمير معنى الوصية المعنى فليقم الأوليان من الذين استحققت الوصية والايصاء عليهم وجائز أن يرتقا باستحقاق ويكون معناهما الأوليان باليمين أي أن يخلقا من يشهد بعهما فإن جاز شهادة النصرانيين كان الأوليان على هذا القول النصرانيين والآخرا من غير اهل بيت الميت وقال ابو علي لا يخلو ارتقاعه من أن يكون على الابتداء وقد أخرج كانه في التقدير فالأوليان بأمر الميت آخرا من أهله أو من اهل دينه يقومان مقام الخائنين الذين عثر على خيانتها كقولهم تميمي أنا او يكون خبر مبتدأ محذوف كأنه قال فأخرا يقومان مقامهما الأوليان او يكون بدلا من الضمير الذي في يقومان او يكون مسندا اليه استحقاق وقد أجاز ابو الحسن فيه شيئا آخر وهو أن يكون الأوليان صفة لقوله فأخرا من غير كم لأنه لما وُصف آخرا اختص فوصف لأجل الاختصاص الذي صار له مما يوصف به المعارف ومعنى الأوليان الأوليان بالشهادة على وصية الميت وإنما كانا أولى به ممن اتهم بالخيانة لأنهما اعرف بأحوال الميت وأموره ولأنهما من المسلمين ألا ترى أن وصفهم بأنه استحقاق عليهم يدل على انهم مسلمون لأن الخطاب من اول الآية مصروف اليهم فأما ما يسند اليه استحقاق فلا يخلو من أن يكون الايصاء او الوصية او الاوتم او الجار والمجرور وإنما جاز استحقاق الاوتم لأن اخذه بأخذه اثم فسمي اثمًا كما سمي ما يؤخذ منا بغير حق مظلة قال سيويه المظلمة اسم ما أخذ منك فذلك سمي هذا المأخوذ باسم المصدر فأما قوله عليهم فيحتمل ثلاثة اضرب أحدها ان يكون على فيه بمنزلة قولك استحقاق على زيد مال بالشهادة أي لزمه ووجب عليه الخروج منه لأن الشاهدين لما عثر على خيانتها استحقاق عليهما ما ولياه من امر الشهادة والقيام بها ووجب عليهما الخروج منها وترك الولاية لها فصار اخراجهما منها مستحقا عليهما كما يستحق على المحكوم عليه الخروج بما وجب عليه هذا كلام ابي علي واقول ان الظاهر ان الذين استحقاق عليهم في الآية هم ورثة الميت والمفهوم من كلام ابي علي هذا ان الشاهدين الذين من غيرنا هما المعنيان بذلك على ما قرره والذي يصح في نفسي ان التقدير من الذين استحققت عليهم الوصية او استحقاق عليهم الايصاء هم عشيرة الميت والضرب الآخرا ان يكون على فيه بمنزلة من كأنه قال من الذين استحقاق منهم الاوتم ومثل هذا قوله إذا اکتالوا على الناس أي من الناس والثالث ان يكون على فيه بمنزلة في كأنه استحقاق فيهم وقام على مقام في كما قام في مقام على في قوله ولا تصلبكم في جذوع النخل والمعنى من الذين استحقاق عليهم بشهادة الآخرين الذين هما من غيرنا واقول ان هذا المعنى ايضا وإنما يلائم الضرب الأول والذي يلائم هذا الضرب ان يقال المعنى من الذين استحقاق فيهم الاوتم أي بسببهم استحقاق الآخرا من غيرنا اللذان خانا في الوصية فيهما الاوتم بخيانتها ويمينها الكاذبة ثم قال ابو علي فإن قلت هل يجوز أن يسند استحقاق الأوليان قال قول في ذلك انه لا يجوز لأن المستحق انما يكون الوصية او شيئا منها ولا يجوز أن يستحقا فيسندا استحقاق اليهما وامامنا قرأ من الذين استحقاق عليهم الأوليان على الجمع فهو نعمت لجميع الورثة المذكورين في قوله من الذين استحقاق عليهم تقديره من الأولين الذين استحقاق عليهم الايصاء او الاوتم وإنما قيل لهم الأولين من حيث كانوا اولين في الذكر ألا ترى انه قد تقدم يا ايها الذين آمنوا شهادة بينكم وكذلك اثنان ذوا عدل منكم وذكرا في اللفظ قبل قوله او آخرا من غيركم واحتج من قرأ الأولين على من قرأ الأوليان بأن قال رأيت ان كان الأوليان صغيرين اراد انهما ان كانا صغيرين لم يقوما مقام الكبيرين في الشهادة ولم يكونا لغيرهما أولى بالميت وان

كانا كبيرين كانا اولى به فيقسمان بالله اي يقسم الآخران اللذان يقومان مقام الشاهدين اللذين هما آخران من غيرنا وقوله لشهادتنا أحق من شهادتهما ملقى به فيقسمان بالله ومن قرأ استحق عليهم الأوليان فاستحق ههنا بمعنى حق أي وجب فالمعنى فآخران من الذين وجب عليهم الايصاء بتوصية ميتهم وهم ورثته وقال ابو علي تقديره من الذين استحق عليهم الأوليان بالميت وصيته التي أوصى بها الى غير أهل دينه والمفعول محذوف وحذف المفعول في نحو هذا كثير وقال الإمام المحمود الزمخشري معناه من الورثة الذين استحق عليهم الأوليان من بينهم بالشهادة أن يجردوها للقيام بالشهادة ويظهر وايهما كذب الكاذبين وهذا أحسن الأقوال

✽ اللغة ✽

عثر الرجل على الشيء يعثر عثورا إذا اطلع على امر لم يطلع عليه غيره واعثرت فلانا على امر اطلعت عليه ومنه قوله وكذلك اعثرنا عليهم واصله الوقوع بالشيء من قولهم عثر الرجل عثارا إذا وقعت اصبعه بشيء صدمته وعثر الفرس عثارا قال الأعشى

بِذَاتِ لَوْثٍ عَفْرَنَاوِ إِذَا عَثَرَتْ فَالْتَعَسُ أَوْلَىٰ بِهَا مِنْ أَنْ يُقَالَ لَعَا (١)

والعثر العبار لأنه يقع على الوجهه وغيره والماتور حفرة تحفر ليثر بها الاسد فيصطاد والاستحقاق والاستيجاب قريان واستحق عليه كأنه ملك عليه حقا وحققت عليه القضاء حقا واحققته إذا أوجبته ويكون حق بمعنى استحق

✽ النزول ✽

قالوا المائزات الآية الاولى صلى رسول الله (ص) المصرد دعا جميع وعدي فاستحلفهم عند المنبر بالله ما قبضنا له غير هذا ولا كتمناه فحلى رسول الله (ص) سيئلهما به ثم اطلعوا على اناء من فضة منقوش بذهب معها فقالوا هذا من متاعه فقالا اشتريناه منه ونسينا ان نخبركم به فرفضوا امرها الى رسول الله (ص) فنزل قوله فان عثر على انهما استحقا اثماً الى آخره فقام رجلان من اولياء الميت احدهما عمرو بن العاص والآسر سب بن ابي وداعة السهمي فحلفا بالله انهما خانا وكذبا فدفع الإثاء اليهما واولياء الميت وكان تميم الداري بعد ما اسلم يقول صدق الله وصدق رسوله انا اخذت الإثاء فاتوب الى الله واستغفره

﴿ المعنى ﴾

ثم لأن سبحانه الحكيم بعد ظهور الخيانة من الوصيين أو الشاهدين فقال (فإن عثر) اي اطلع وظهر على انهما آية الشاهدين عن ابن عباس والوصيين عن سعيد بن جبير (استحقا) اي استوجبا (اثماً) اي ذنبا بأيانها الكاذبة وخيانتها وقصدها في شهادتهما الى غير الاستقامة وقيل معناه استحقاق عقوبة اثم من قوله تعالى إني اريد ان تبوء بإثمي وإثمك اي بعقوبة اثم قتلي وعقوبة معاصيك المتقدمة عن الجبائي (فآخران يقومان مقامهما) اي مقام الشاهدين اللذين هما من غيرنا وقيل مقام الوصيين (من الذين استحق عليهم الأوليان) المعنى ليقم الأوليان بالميت من الذين استحق عليهم الوصية او يكون التقدير فالاوليان بأمر الميت آخران من أهل يقومان مقام الخائنين اللذين عثر على خيانتها وقد بينا ما قيل فيه وفي القراءتين الأخيرين فيما قبل ويموز اث يكون الأوليان بدلا من قوله آخران فقد يجوز ابدال المعرفة من النكرة ومعنى الأوليين هما الأقربان الى الميت ويموز ان يكون معناه الأوليان باليمين وإثما كانا أوليين باليمين لان الوصيين

(١) اللوث: القوة . وناقاة عفرة أي قوية . عثرت أي سقطت . و لعا : كلمة يدهى بها للعناصر معناها الارتفاع . قال ابو زيد : اذا دعى للعائر بأن ينتعش قبل لعا لك عالياً ، والعرب تدعو على العائر من الدواب اذا كان جواداً بالتمس واذا كان بليداً بلعاً لك . يصف ناقته : يقول : انها لا تعثر لقوتها فلو عثرت لقلت تمست . وقوله بذات لوث متعلق ب «كلفت» في بيت قبله

ادعيا ان الميت باع الايمان فانتقل اليه اليقين الى الاوليين لانما صار امدعى عليهما ان مؤرتها باع الايمان وهذا كما لو اقر انسان لاخر بدين وادعى قضاءه حكمه برد اليقين الى الذي ادعى الدين لانه صار مدعى عليه انه استوفى وقبل معناه الاوليان بالشهادة من المسلمين عن ابن عباس وشريح (فيقسان بالله لشهادتنا احق من شهادتهما) قيل انه على الظاهر اي شهادتنا وقولنا في وصية صاحبنا احق بالقبول والصدق من شهادتهما وقولها وقيل يربده فيقولان والله لبيتنا خير من يمينها عن ابن عباس وسميت اليمين هاهنا شهادة لأن اليمين كالشهادة على ما يحلف عليه انه كذلك (وما اعتدنا) اي ما جاوزنا الحق فيما طلبناه من حقنا عن ابن عباس وقيل فيما قلناه من ان شهادتنا احق من شهادتهما (انا اذا لمن الظالمين) تقديره انا ان اعتدنا لمن جملة الظالمين لنفوسنا وهذه الآية مع الآية التي قبلها من اعوص آيات القرآن اعرابا ومعنى وحكما ولست تجدهما في شيء من مظانها او فر فائدة واغزر عائدة واجمع علما واوجز لفظا ومعنى مما لخصته لك وسقته اليك وبالله التوفيق ثم بين سبحانه وجه الحكمة في استحلاف اليهود فقال (ذلك ادنى) اي ذلك الاحلاف والاقسام او ذلك الحكم اقرب الى (ان باتوا بالشهادة على وجهها) اي حقا وصدقها لا يكتفون شيئا ولا يزيدون شيئا لأن اليمين تردع عن امور كثيرة لا يرتدع عنها مع عدم اليمين (او يخافوا) اي اقرب الى ان يخافوا (ان ترد ايمان) الى اولياء الميت (بعد ايمانهم) فيحلفوا على خيانتهم وكذبهم فيفتضحوا ويفرموا فرما لا يحلفون كاذبين ويتحفظون في الشهادة مخافة رد اليمين والشهادة الى المستحق عليهم (واتقوا الله) ان تحلفوا ايمانا كاذبة او تخونوا امانة (واسمعوا) الموعظة (والله لا يهدي القوم الفاسقين) الى ثوابه وحبته

قوله تعالى (١٠٩) يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (آية)

الاعراب

يوم ينتصب على تقدير واتقوا يوم يجمع ويتصل بقوله واتقوا الله واسمعوا عن الزجاج وقيل انه يتعلق بقوله لا يهدي القوم الفاسقين يوم يجمع الله الرسل عن المغربي وقيل انه يتعلق بمحذوف على تقدير احذروا أو اذكروا ذلك اليوم

المعنى

(يوم يجمع الله الرسل) هو كقوله واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله وإنما انتصب يوم على انه مفعول به ولم ينتصب على الظرف لأنهم لم يوتروا بالتقوى في ذلك اليوم والمعنى اتقوا عقاب يوم يجمع الله فيه الرسل لأن اليوم لا يتق ولا يحذر فحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه (فيقول) لهم (ماذا اجبتم) أي ما الذي اجابكم قومكم فيما دعوتهم اليه وهذا تقرير في صورة الاستفهام على وجه التوبيخ للمناققين عند اظهار فضيحتهم على رؤوس الاشهاد (قالوا لا علم لنا) قيل فيه اقوال ﴿احدها﴾ ان للقيامة احوالا حتى نزول القلوب من مواضعها فاذا رجعت القلوب الى مواضعها شهدوا لمن صدقهم على من كذبهم يريد انه عزبت عنهم افهامهم من هول يوم القيامة فقالوا لا علم لنا عن عطاء عن ابن عباس والحسن ومجاهد والسدي والكلبي وهو اختيار الفراء ﴿وثانيها﴾ ان المراد لا علم لنا كعلمك لأنك تعلم باطنهم وانا لا نعلم

غيهم وباطنهم وذلك هو الذي يقع عليه الجزاء عن الحسن في رواية أخرى واختاره الجبائي وأنكر القول الأول وقال كيف يجوز ذهولهم من هول يوم القيامة مع قوله لا يجزئهم الفرع الأكبر وقوله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ويمكن أن يجاب عن ذلك بأن الفرع الأكبر دخول النار وقوله لا خوف عليهم وإنما هو كالبشارة بالنجاة من أهوال ذلك اليوم مثل ما يقال للمريض لا بأس عليك ولا خوف عليك * وثالثها * أن معناه لا حقيقة لعلنا إذ كنا نعلم جوابهم وما كان من أفعالهم وقت حياتنا ولا نعلم ما كان منهم بعد وفاتنا وإنما الثواب والجزاء يستحقان بما يقع به الخاتمة مما يموتون عليه عن ابن الأنباري * ورابعها * أن المراد لا علم لنا إلا ما علمتنا فحذف لدلالة الكلام عليه عن ابن عباس في رواية أخرى * وخامسها * أن المراد به تحقيق فضيحتهم أي أنت اعلم بمجالمنا ولا تحتاج في ذلك إلى شهادتنا (أنك أنت علام الغيوب) وإنما قال علام للمبالغة لا للتكثير وقيل أراد به تكثير العلوم والمراد أنت تعلم ما غاب وما بطن ونحن إنما نعلم ما نشاهد وفي هذه الآية دلالة على إثبات المعاد والحشر والنشر وذكر الحاكم أبو سعيد في تفسيره أنها تدل على بطلان قول الإمامية أن الأئمة يطمون الغيب واقول إن هذا القول ظلم منه لهؤلاء القوم فإننا لا نعلم أحدا منهم بل أحدا من أهل الإسلام يصف أحدا من الناس بعلم الغيب ومن وصف مخلوقا بذلك فقد فارق الدين والشريعة الإمامية برءاء من هذا القول فمن نسبهم إلى ذلك فإثمهم وبينهم

قوله تعالى (١١٠) إذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدت بك بروح القدس تكلم الناس في المهدي وكهلا وإذ علمت الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيرا بإذني وتبرئ الأكمة والأبرص بإذني وإذ تخرج الموتى بإذني وإذ كففت بني إسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين (آية)

* القراءة *

قرأ أهل الكوفة غير عاصم ساحر مبين بالألف وكذلك في سورة يونس وهود والصف وقرأ ابن كثير وعاصم في سورة يونس لساحر مبين بالألف فقط وقرأ أهل المدينة والبصرة والشام ساحر مبين بغير الألف في جميع ذلك

— الحجة —

من قرأ إلا سحر جملة إشارة إلى ما جاء به كأنه قال ما الذي جئت به إلا ساحر مبين ومن قرأ إلا ساحر أشار إلى الشخص لا إلى الحديث الذي أتى به وكلاهما حسن لا استواء كل واحد منهما في أن ذكره قد تقدم غير أن الاختيار سحر لوقوعه على الحدث والشخص أما وقوعه على الحدث فظاهر وأما وقوعه على الشخص فهو أن يراد به ذو سحر كما جاء ولكن البر من آمن أي ذا البر وقالوا إنما أنت سير وإنما هي اقبال وادبار وقد جاء أيضا فاعل يراد به الكثرة في حروف ليست بالكثيرة نحو عاندا بالله من شرها أي عيادا ونحو العافية ولم تصر هذه الحروف من الكثرة بحيث يقاس عليها

— الاعراب —

العامل في اذ يحتمل امرين * أحدهما * الابتداء عطفًا على قوله يوم يجمع الله الرسل ثم قال وذلك اذ قال فيكون موضعه رفعا كما يقول القائل كأنك بنا قد وردنا بلد كذا وصنعنا فيه وفعلنا اذ صاح بك صائح فأجبتة وتركتني * والثاني * اذ ذكر اذ قال الله فيكون موضعه نصبا يا عيسى بن مريم يجوز أن يكون عيسى مضموما في التقدير فإنه منادى مفرد فيكون نداءً من وتقديره يا عيسى يا ابن مريم او تكون وصفت المضموم بمضاف فنصب المضاف كقول الشاعر « يا زبرقان اخابني خلف » ويجوز ان يكون عيسى مبنيًا مع الابن على الفتح في التقدير لوقوع الابن بين علمين وهذا كما أنشد النحويون من قول الشاعر

يا حَكَمَ بْنَ الْمُنْذِرِ بْنِ الْجَارُودِ أَنْتَ الْجَوَادُ بْنُ الْجَوَادِ بْنِ الْجَوْدِ

روي في حكم الضم والفتح تكلم الناس في موضع نصب على الحال وكهلا عطف على موضع في المهد وهو جملة ظرفية في موضع نصب على الحال من تكلم فالمعنى مكلما الناس صغيرا وكبيرا

* المعنى *

لما عرّف سبحانه يوم القيامة بما وصفه به من جمع الرسل فيه عطف عليه بذكر المسيح فقال (إذ قال الله) ومعناه إذ يقول الله في الآخرة وذكر لفظ الماضي تقريبا للقيامة لأن ما هو آت فكان قد وقع (يا عيسى بن مريم) وهذا إشارة الى بطلان قول النصارى لأن من له أم لا يكون إلهًا (اذكري نعمتي عليك وعلى والدتك) أي اذكري ما أنعمت به عليك وعلى أمك واشكره افرد النعمة في اللفظ ويريد به الجمع كما قال تعالى وإن نعدوا نعمة الله لا تحصوها وانما جاز ذلك لأنه مضاف فصلح للجنس ثم فسّر نعمته بأن قال (إذ أبدتلك بروح القدس) وهو جبرئيل «ع» وقد مضى تفسيره في سورة البقرة عند قوله وأيدناه بروح القدس (تكلم الناس في المهد وكهلا) أي في حال ما كنت صبياً في المهد وفي حال ما كنت كهلا وقال الحسن المهد حجر أمه (وإذ علمت الكتاب) قيل الكتابة يعني الخط (والحكمة) أي العلم والشريعة وقيل أراد الكتب فيكون الكتاب اسم جنس ثم فصله بذكر النوراة والانجيل فقال (والتوراة والانجيل وإذ تخلق من الطين كهية الطير بإذني) أي واذا ذكر ذلك ايضا إذ تصوّر الطين كهية الطير الذي تريد أي كخلقتها وصورته وسماه خلقا لأنه كان يقدره وقوله بإذني أي تفعل ذلك بإذني وامري (فننفخ فيها) أي ننفخ فيها الروح لأن الروح جسم يجوز أن ينفخه المسيح بأمر الله (فيكون طيرا بإذني) والطير يوثق وبذكر فنسنت أنت فعلی الجمع ومن ذكّر فعلی اللفظ وواحد الطير طائر فيكون مثل ظاعن وظفن وراكب وركب وبين بقوله فيكون طيرا بإذني انه اذا نفخ المسيح فيها الروح قلبها الله لحما ودما ويخلق فيها الحياة فصارت طائرا باذن الله أي بأمره وارادته لا بفعل المسيح (وتبرئ) أي تصحیح (الأكمة) الذي ولد أعمى (والأبرص) من به برص مستحکم (بإذني) أي بأمری ومعناه انك تدعوني حتى أبرئ الأكمة والأبرص ونسب ذلك الى المسيح لما كان بدعائه وسؤاله (واذا تخرج الموتى بإذني) أي اذكري اذ تدعوني فأحيي الموتى عند دعائك واخرجهم من القبور حتى يشاهدوا الناس احياء ونسب ذلك الى المسيح لما كان بدعائه (واذا كففت بني اسرائيل عنك) عن قنلك وأذيتك (اذ جثتهم) أي حين جثتهم (بالبينات) مع كفرهم وعنادهم ويجوز ان يكون تعالى كفهم عنه بالطفاه التي لا يقدر عليها غيره ويجوز ان يكون كفهم بالمنع والقهر كما

منع من اراد قتل نبينا ومعنى جثتهم بالبينات اتيتهم بالحجج والمعجزات (فقال الذين كفروا) وجدوا ذلك (منهم) اي من بني اسرائيل (ان هذا الا سحر مبين) يعنون به عيسى وسحر مبين يعني به ان ماجاء به سحر ظاهر واضع وينبغي ان يكون قوله سبحانه في اول الآية اذ قال الله يا عيسى اذ كر نعمتي يعني اخبرها قومك الذين كذبوا عليك ليكون حجة عليهم لانهم ادعوا عليه انه آله ثم عدد النعمة نعمة نعمة على ما يتناه قوله تعالى (١١١) وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْخَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (آية)

❖ اللغة ❖

الوحي القاء المعنى الى النفس على وجه يخفى ثم ينقسم فيكون بإرسال الملك ويكون بمعنى الإلهام قال الشاعر
أَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي اسْتَقَلَّتْ بِأُذُنِهِ السَّمَاءُ وَأَطْمَأَنَّتْ أَوْحَى لَهَا الْقَرَارَ فَاسْتَقَرَّتْ

اي التي اليها ويروي «وحي لها القرار» والفرق بين اوحى ووحى من وجهين ❖ احدهما ❖ ان اوحى بمعنى جعلها على صفة ووحى بمعنى جعل فيها معنى الصفة لان اقبل اصله التعدية وقيل انها لفتان والحواري خالصة الرجل وخلصاؤه من الخبز الحواري لانه اخلص لبه من كل ما يشوبه واصله الخلوص ومنه حار يمحور اذا دمج الى حال الخلوص ثم كثر حتى قيل لكل راجع

❖ المعنى ❖

ثم بين سبحانه تمام نعمته على عيسى فقال (واذا وحيت) اي واذا ذكر اذ اوحيت (الى الحواريين) اي الهمتهم وقيل القيت اليهم بالآيات التي اريتهم اياها ومضى الكلام في الحواريين في سورة آل عمران وم وزراء عيسى عن قتادة وانصاره عن الحسن (ان آمنوا بي وبرسولي) اي صدقوا بي وبصفتي وبميسى انه عبدي ونبوتي (قالوا) اي قال الحواريون (آمننا) اي صدقنا (واشهد) يا الله (باننا مسلمون)

قوله تعالى (١١٢) إِذْ قَالَ الْخَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١١٣) قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَنَطْمِئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ (آياتان)

❖ القراءة ❖

قرأ الكسائي وحده هل تستطيع بالتاء ربك بالنصب والباقون يستطيع بالياء ربك مرفوع وادغم الكسائي اللام في التاء.

❖ الحجة ❖

وجه قراءة الكسائي ان المراد هل تستطيع سوال ربك وذكروا الاستطاعة في سوالهم لا لانهم شكوا في استطاعته ولكن كأنهم ذكروه على وجه الاحتجاج عليه منهم كأنهم قالوا انك مستطيع فإيتمك ومثل ذلك قولك لصاحبك أتستطيع ان تذهب عني فإني مشغول اي اذهب لأنك غير عاجز عن ذلك وان ينزل على هذه القراءة متعلق بالمصدر المحذوف لا يستقيم الكلام إلا على تقدير ذلك ألا ترى انه لا يصح ان تقول هل تستطيع ان يفعل غيرك فان ينزل في موضع نصب بأنه مفعول به والتقدير هل تستطيع ان تسأل ربك اتزال

مائدة من السماء علينا وروي عن ابي عبد الله عليه السلام ما يقارب هذا التقدير قال يعني هل تستطيع ان تدعو ربك واما ادغام اللام في التاء فلو انه حسن لان ابا عمرو ادغم اللام في التاء في هل ثوب الكفار والتاء اقرب إلى اللام من التاء والادغام إما يحسن في المتقاربين وانشد سيويه

فَدَّرَ ذَا وَلَكِنَّ هَتَمِينَ مَتِيماً
عَلَى ضَوْءِ بَرْقِ آخِرِ اللَّيْلِ نَاصِبٍ

- اللغة -

الفرق بين الاستطاعة والقدرة ان الاستطاعة انطباق الجوارح للفعل والقدرة هي ما اوجب كون القادر عليه قادرا و لذلك لا يوصف تعالى بأنه مستطيع ويوصف بأنه قادر والمائدة الخوان قال الازهري في تهذيب اللغة هي في المعنى مفعولة ولفظها فاعلة لأنها من العطاء وقد زاد عمرا إذا عطاء وقيل هي من ماد يسيد إذا تحرك فهي فاعلة ويقال مائدة وميدة قال الشاعر

وَمِيدَةٌ كَثِيرَةٌ الْأَلْوَانِ
تَصْنَعُ لِلْإِخْوَانِ وَالْجِبْرَانَ

وماد به البحر يسيد فهو مائد إذا تحرك به وماد يسيد إذا تبختر وماد امله إذا مادهم واصله الحركة

✽ المعنى ✽

ثم اخبر سبحانه عن الحواريين وسؤالهم فقال (اذ قال الحواريون) والعامل في اذ قوله اوعيت ويحتمل ان يكون معناه واذكر اذ قال الحواريون (يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء) قيل فيه اقوال **احدها** ان يكون معناه هل يفعل ربك ذلك بمسألتك اياه ليكون علما على صدقك ولا يجوز ان يكونوا شكروا في قدرة الله تعالى على ذلك لانهم كانوا عارفين مؤمنين وكانهم سألوه ذلك ليعرفوا صدقه وصحة امره من حيث لا يعرض عليهم فيه اشكال ولا شبهة ومن ثم قالوا وتطمئن قلوبنا كما قال ابراهيم ولكن ليطمئن قلبي عن ابي علي الفارسي **وثانيها** ان المراد هل يقدر ربك وكان هذا في ابتداء امرهم قبل ان تستعكم سرفتهم بالله ولذلك انكر عليهم عيسى (ع) فقال اتقوا الله ان كنتم مؤمنين لانهم لم يستكمل ايمانهم في ذلك الوقت **وثالثها** ان يكون معناه هل يستجيب لك ربك واليه ذهب السدي في قوله يريد هل يطيب ان سألته وهذا على ان يكون استطاع بمعنى اطاع كما يكون استجاب بمعنى اجاب قال الزجاج يحتمل مسألة الحواريين عيسى (ع) المائدة على ضييق **احدها** ان يكونوا ارادوا ان يزدادوا تشبها كما قال ابراهيم رب انني كيف تحيي الموتى **وجائز** ان يكون مسألتهم المائدة قبل علمهم انه ابرأ الاكس والارض واحيا الموتى (قال اتقوا الله ان كنتم مؤمنين) معناه اتقوا الله ان تسألوه شيئا لم تسأله الامم قبلكم وقيل ان معناه الامر بالتقوى مطلقا كما امر الله المؤمنين بها في قوله يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله عن ابي علي الفارسي وقيل اخرهم ان لا يقترحوا الآيات وان لا يقدموا بين يدي الله ورسوله لأن الله تعالى قد اراهم البراهين والمعجزات باحيا الموتى وغيره مما هو اوكد مما سألوه وطلبوه عن الزجاج (قالوا) اي قال الحواريون (زيد ان نأكل منها) قيل في معناه قولان **احدها** ان تكون الارادة التي هي من افعال القلوب ويكون التقدير فيه زيد السؤال من اجل هذا الذي ذكرنا والآخرة ان يكون الارادة هاهنا بمعنى المحبة التي هي ميل الطباع اي نحب ذلك (وتطمئن قلوبنا) يجوز ان يكونوا قالوا وهم مستبصرون في دينهم ومعناه نريد ان نزداد يقينا وذلك ان الدلائل كلما كثرت مكنت المعرفة في النفس عن عطا (ونعلم ان قد صدقتنا) بأنك رسول الله وهذا يقوي قول من قال ان هذا كان في ابتداء امرهم والصحيح انهم طلبوا المعاينة والطم الضروري والتأكيد في الاعجاز (وتكون عليها من الشاهدين) لله بالتوحيد ولك بالنبوة وقيل من الشاهدين لك عند بني اسرائيل إذا رجعنا اليهم

(١) قوله هتمين : اصله هل تعمين . المتيم : المضلل . وقوله ناصب صفة لبرق .

قوله تعالى (١١٤) قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (١١٥) قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنزِلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ (آيات)

✽ القراءة ✽

قرأ أهل المدينة والشام وعاصم متلها بالتشديد والباقون متلها مخففة

✽ الحجة ✽

يقوي التخفيف قوله أنزل علينا مائدة والأولى أن يكون الجواب على وفق السؤال والوجه في التشديد أن نزل وأنزل بمعنى واحد

✽ اللغة ✽

العيد اسم لما عاد اليك من شيء في وقت معلوم حتى قالوا للخيال عيد ولما يعود اليك من الحزن عيد قال الأعشى:

فَوَا كَيْدِي مِنْ لَأَعِجَ الْهَمَّ وَالْمَهْوَى إِذَا اعْتَادَ قَلْبِي مِنْ أَمِيمَةَ عَيْدِهَا

وقال الليث العيد كل يوم مجمع قال العجاج «كما يعود العيد نصراني» قال المفضل عادني عيدي اي عادتي وأنشد: «عاد قلبي من انطوية عيد» وإنما قول تأبط شرا «ياعيد ما لك من شوق واپراق» فإنه أراد الخيال الذي يعتاده

✽ الإعراب ✽

تكون لنا في موضع النصب صفة لمائدة ولنا في موضع الحال لأن تقديره تكون عيدا لنا فقوله لنا صفة لعيد فلما تقدمه انتصب على الحال وقوله لأولنا وآخرنا بدل من قوله لنا

✽ المعنى ✽

ثم اخبر سبحانه عن سؤال عيسى «ع» إياه فقال (قال عيسى بن مريم) عن قومه لما التمسوا منه وقيل انه إذا سأله ربه ذلك حين أذن له في السؤال (اللهم ربنا أنزل علينا مائدة) أي خروانا عليه طعام (من السماء تكون لنا عيداً) قيل في معناه قولان ✽ أحدهما ✽ نتخذ اليوم الذي تنزل فيه عيداً نظمه نحن ومن يأتي بعدنا عن السدي وقتادة وابن جريج وهو قول أبي علي الجبائي ✽ والثاني ✽ ان معناه تكون عائدة فضل من الله علينا ونعمة منه لنا والأول هو الوجه (لأولنا وآخرنا) أي لأهل زماننا ومن يجي بعدنا وقيل معناه يأكل منها آخر الناس كما يأكل أولهم عن ابن عباس (وآية منك) أي ودلالة منك عظيمة الشأن في ازعاج قلوب العباد إلى الاقرار ببدلوها والاعتراف بالحق الذي تشهد به ظاهرها تدل على توحيدك وصحة نبوة نبيك (وارزقنا) أي واجعل ذلك رزقاً لنا وقيل معناه وارزقنا الشكر عليها عن الجبائي (وأنت خير الرازقين) وفي هذا دلالة على ان العباد قد يرزق بعضهم بعضاً لأنه لو لم يكن كذلك لم يصح ان يقال له سبحانه أنت خير الرازقين كما لا يجوز أن يقال أنت خير الآلهة لما لم يكن غيره إلهاً (قال الله) مجيباً له إلى ما التمس (إني متلها) يعني المائدة (عليكم فمن يكفر بعد منكم) أي بعد إنزالها عليكم (فإني أعذبه عذاباً لا أعذبه احداً من العالمين) قيل في معناه اقوال ✽ أحدها ✽ انه أراد عالمي زمانه فجمد القوم فكفروا بعد نزولها فمسخروا قردة وخنازير عن قتادة ودوي عن أبي الحسن موسى انهم مسخروا خنازير ✽ وثانيها ✽ انه أراد عذاب الاستئصال ✽ وثالثها ✽ انه أراد جنساً من العذاب لا يعذب به احداً غيرهم وإنما استحقوا هذا النوع من العذاب بعد نزول المائدة لأنهم

كفروا بعدما رأوا الآية التي هي من أجزر الآيات عن الكفر بعد سوء اللهم لها فاقتضت الحكمة اختصاصهم بفن من العذاب عظيم الموضع كما اختصت آيتهم بفن من الزجر عظيم الموضع

« القصة » -

اختلف العلماء في المائدة هل نزلت أم لا فقال الحسن ومجاهد انها لم تنزل وان القوم لما سمعوا الشرط استغفروا عن نزولها وقالوا لا نريدها ولا حاجة لنا فيها فلم تنزل والصحيح انها نزلت لقوله تعالى اني منزلها عليكم ولا يجوز ان يقع في خيره الخلف ولأن الأخبار قد استفاضت عن النبي (ص) والصحابة والتابعين انها نزلت قال كعب انها نزلت يوم الأحد ولذلك اتخذ النصراني عيداً واختلفوا في كيفية نزولها وما عليها فروي عن عمار بن ياسر عن النبي قال نزلت المائدة خبزاً ولحمًا وذلك لأنهم سألوا عيسى «ع» طعاماً لا ينفد يأكلون منها قال فقيل لهم فإنها مقيمة لكم ما لم تحنوا وتخبأوا وترفعوا فإن فعلتم ذلك عذبتم قال فامضى يومهم حتى خبأوا ورفعوا وخبأوا وقال ابن عباس ان عيسى بن مريم قال لبني اسرائيل صوموا ثلاثين يوماً ثم اسألوا الله ما شئتم يعطيكم فصاموا ثلاثين يوماً فلما فرغوا قالوا يا عيسى انالو عملنا لا حدم من الناس فقضينا عمله لا طعمنا طعاماً وانا صمنا وجننا فادع الله أن ينزل علينا مائدة من السماء فأقبلت الملائكة بمائدة يحملونها عليها سبعة ارضفة وسبعة احوات حتى وضعوها بين ايديهم فأكل منها آخر الناس كما أكل أولهم وهو المروي عن ابي جعفر (ع) وروى عطاء بن السائب عن زاذان وميسرة قالا كانت إذا وضعت المائدة لبني اسرائيل اختلف عليهم الأيدي من السماء بكل طعام إلا اللحم وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال أنزل على المائدة كل شيء إلا الخبز واللحم وقال عطاء نزل عليها كل شيء إلا السمك واللحم وقال عطية العوفي نزل من السماء سكة فيها طعم كل شيء وقال عمار وقتادة كان عليها ثمر من ثمار الجنة وقال قتادة كانت تنزل عليهم بكرة وعشياً حيث كانوا كالمن والسلوى لبني اسرائيل وقال يان بن رثاب كانوا يأكلون منها ما شاءوا وروى عطاء بن ابي رباح من سلمان الفارسي انه قال والله ما تبع عيسى شيئاً من المساوي قط ولا انتهر بيتاً ولا قهقه ضحكاً ولا ذبّ ذباباً عن وجهه ولا أخذ على انفه من شيء تنق قط ولا عث قط ولما سأله الخواريون ان ينزل عليهم المائدة لبس صوفاً وبكى وقال اللهم ربنا انزل علينا مائدة الآية فنزلت سفرة حمراء بين غماتين وهم ينظرون اليها وهي تهوي منقضة حتى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلاً وعقوبة واليهود ينظرون اليها ينظرون الى شيء لم يدرأ منه قط ولم يميزوا ريباً اريب من ريبه فتقام عيسى فتوضأ وصلى صلاة طويلة ثم كشف المنديل عنها وقال بسم الله خير الرازقين فإذا هو سكة مشوية ليس عليها فلوسها تسيل سيلاً من الدسم وعند رأسها ملح وعند ذنبها خسل وجولها من انواع البقول ما عدا الكراث وإذا خمسة ارضفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شعون يا روح الله أمين طعام الدنيا هذا أم من طعام الآخرة فقال عيسى ليس شيء مما ترون من طعام الدنيا ولا من طعام الآخرة ولكنه شيء افتعله الله بالقدره القابلة كلوا مما سألتهم يمدكم ويزدكم من فضله فقال الخواريون يا روح الله لو أريتنا من هذه الآية اليوم آية أخرى فقال عيسى يا سكة احبي بأذن الله فاضطربت السكة وعاد عليها فلوسها وشوكها ففرعوا منها فقال عيسى ما لكم تسألون اشياء إذا اعطيتوها كرهتوها ما أخوفني عليكم أن تمذبوا يا سكة مودي كما كنت بأذن الله فعادت السكة مشوية كما كانت فقالوا يا روح الله كن اول من يأكل منها ثم تأكل نحن فقال عيسى معاذ الله أن آكل منها ولكن يأكل منها من سألها فظافروا أن يأكلوا منها فدعا لها عيسى أهل الفاقة والزمنى والمرضى والمبتلين فقال كلوا منها جميعاً ولكم المهنا ولنيركم البلاء فأكل منها الف وثلاثمائة رجل وامرأة من فقير ومريض ومبتلى وكلهم شعبان يتجشى ثم نظر عيسى إلى السكة فإذا هي كبيتها حين نزلت من السماء ثم طارت المائدة صعداً وهم ينظرون اليها حتى توارت

(١) جمع العوت (٢) وفي بعض النسخة «المائة» بدل «الفاقة»

عنهم فلم يأكل منها يومئذ زمن إلا صح ولا مريض إلا أبرى، ولا فقير إلا استغنى ولم يزل غنيا حتى مات وندم
الحواريون ومن لم يأكل منها وكانت إذا نزلت اجتمع الأغنياء والفقراء والصغار والكبار يتراحمون عليها فلما
رأى ذلك عيسى جعلها نوبة بينهم فلبثت اربعين صباحا تنزل ضحى فلا تزال منصوبة يؤكل منها حتى فاء النبي طارت
صعدا وهم ينظرون في ظلها حتى توارت عنهم وكانت تنزل غيا يوما ويوما لا فإوحى الله إلى عيسى اجعل ما نذيتي للفقراء
دون الأغنياء فظلم ذلك على الأغنياء حتى شكوا وشكوا الناس فيها فأوحى الله إلى عيسى اني شرطت على
المكذبين شرطا ان من كفر بعد نزولها أعذبه عذابا لا أعذبه احدا من العالمين فقال عيسى إن تعذبهم فلو أنهم عبادك
وإن تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم فسح منهم ثلاثمائة وثلاثة وثلاثون رجلا باتوا من ليلهم على فرشهم مع
نساءهم في ديارهم فأصبحوا خنازير يسمون في الطرقات والكناسات وياكلون العذرة في الحشوش فلما رأى الناس
ذلك فزعوا إلى عيسى وبكوا وبكى على المسوخين أهلهم فعاشوا ثلاثة ايام ثم هلكوا وفي تفسير أهل
البيت (ع) كانت المائدة تنزل عليهم فيجتمعون عليها وياكلون منها ثم ترتفع فقال كباروهم ومتروهم لا ندع
سفلتنا ياكلون منها معنا فرفع الله المائدة بينهم ومسحوا قرودا وخنازير

قوله تعالى (١١٦) وإذا قال الله يا عيسى ابن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي
إلهين من دون الله قال سبحانه ما يكون لي ان أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته
فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب (١١٧) ما قلت
لهم إلا ما أمرتني به أن أعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما
توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد (١١٨) إن تعذبهم فانهم
عبادك وإن تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم (ثلاث آيات)

الغنة

النفس تقع على وجوه فالنفس نفس الانسان وغيره من الحيوان وهي التي إذا فارقتها خرج من كونه حيا ومنه
قوله كل نفس ذائقة الموت والنفس ايضا ذات الشيء الذي يجبر عنه كقولهم فعل ذلك فلان نفسه والنفس ايضا
الإرادة كما في قول الشاعر

فَنَفْسَايَ نَفْسٌ قَالَتْ ائْتِ ابْنَ بَجْدَلٍ
تَجِدُ فَرَجًا مِنْ كُلِّ نَعْمَى تَهَابَهَا (١)
وَنَفْسٌ تَقُولُ أَجْهَدُ بِخَالِكَ لَا تَكُنْ
كَخَاصِبَةٍ لَمْ يَغْنِ شَيْئًا خِضَابَهَا

وقال النضر بن توبل

أَمَّا خَلِيلِي فَأَنِّي لَسْتُ مَعْجَلُهُ
حَتَّى يُؤَامِرَ نَفْسِيهِ كَمَا زَعَمُوا
نَفْسٌ لَهُ مِنْ نَفُوسِ الْقَوْمِ صَالِحَةٌ
تَعْطِي الْجَزِيلَ وَنَفْسٌ تَرْضَعُ الْعَمَّا

يريد انه بين نفسيين نفس تأمره بالجود واخرى تأمره بالبخل وكفى برضاع النعم عن البخل كما يقال لئيم
راضع والنفس العين التي تصيب الانسان وروي ان رسول الله (ص) كان يرقى فيقول بسم الله ارقيك والله يشفيك من
كل داء هو فيك من كل عين عابن ونفس نافس وحسد حاسد قال ابن الاعرابي النفوس الذي تصيب الناس

بالنفس وذكر رجلا فقال كان حسودا نفوسا كذوبا وقال ابن قيس الرقيات
يَتَّقِي أَهْلَهَا النَّفُوسَ عَلَيْهَا فَعَلَى نَحْرِهَا الرَّقِيُّ وَالْتَحِيمُ

وقال مضر

وَإِذَا نَمَوْا صُعُدًا فَلَيْسَ عَلَيْهِمْ مَتَا الْخِيَالُ وَلَا نَفُوسَ الْجَسَدِ

والنفس النيب يقال اني لا أعلم نفس فلان اي غيبه وعلى هذا تأويل الآية ويقال النفس ايضا العقوبة وعليه
حمل بعضهم قوله تعالى ويحذركم الله نفسه والرقيب اصله من الترقب وهو الانتظار ومعناه المحافظ ورقيب القوم
حارسهم والشهيد الشاهد لما يكون ويجوز ان يكون بمعنى العليم

❖ الاعراب ❖

حقيقة إذ ان يكون لما مضى وهذا معطوف على ما قبله فكأنه قال يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتهم
وذلك إذ يقول يا عيسى وقيل انه تعالى إنما قال له ذلك حين رفعه اليه فيكون القول ماضيا عن البلخي وهذا قول
السدي والصحيح الاول لأن الله عقب هذه الآية بقوله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم واراد به يوم القيامة وإنما
خرج هذا مخرج الماضي وهو للمستقبل تحقيرا لوقوعه كقوله تعالى ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ومثله قوله
ولو ترى إذ فرعوا فلا فوت يريد اذ يفرعون وكذلك قوله ولو ترى إذ وقفوا على النار وقال ابو النجم

ثُمَّ جَزَاهُ اللَّهُ عَنِّي إِذْ جَزَى جَنَاتِ عَدْنٍ فِي الْعَلَاءِيِّ الْعَلَاءِيِّ

من دون الله من زائدة مؤكدة للمعنى قوله إن كنت قلته المعنى إن اكتم الان قلته فيأ مضى وليس كان فيمعلى
المعنى لأن الشرط والجزاء لا يقمان إلا فيما يستقبل وحرف الجزاء يغير معنى المضي إلى الاستقبال لامحالة هذا قول
المحققين وقوله ان اعبدوا الله ذكر في محله وجوه ❖ احدها ❖ النصب بدل ما مررتني به ❖ والثاني ❖
ان يكون مجرورا لموضع بدلا من الهاء في به ❖ والثالث ❖ ان يكون ان مفسرة لما امر به بمعنى اي وعلى
هذا فلا موضع لها من الاعراب

❖ المعنى ❖

ثم عطف سبحانه على ما تقدم من امر المسيح فقال (وإذ قال الله) والمعنى إذ يقول الله يوم القيامة ليس
(يا عيسى بن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله) هذا وان خرج مخرج الاستفهام فهو
تقريع وتهديد لمن ادعى ذلك عليه من النصارى كما جرى في العرف بين الناس ان من ادعى على غيره قولاً فيقال
لذلك الغير بين يدي المدعى عليه ذلك القول أنت قلت هذا القول ليقول لا فيكون ذلك استعظاما لذلك القول
وتكذيبا لقائله وذكر فيه وجه آخر وهو ان يكون تعالى اراد بهذا القول تعريف عيسى ان قوما قد اعتقدوا
فيه وفي أمه انها إلهان لأنه يمكن ان يكون عيسى لم يعرف ذلك إلا في تلك الحال عن البلخي والاول اصح
وقد اعترض على قوله إلهين فقيل لا يعلم في النصارى من اتخذ مريم إلهاً والجواب عنه من وجوه ❖ احدها ❖
انهم لما جعلوا المسيح إلهاً لزمهم ان يجعلوا والدته أيضاً إلهاً لان الولد يكون من جنس الوالدة فهذا على طريق
الانزاع لهم ❖ والثاني ❖ انهم لما عظموها تعظيم الآلهة اطلق اسم الآلهة عليهما كما اطلق اسم الرب
على الرهبان والاحبار في قوله اتخذوا احبارهم ورهبانهم ارباباً من دون الله لما عظموهم تعظيم الرب ❖ والثالث ❖
انه يحتمل ان يكون فيهم من قال بذلك وبعض هذا القول ما حكاه الشيخ ابو جعفر عن بعض النصارى انه قد
كان فيا مضى قوم يقال لهم المريية يعتقدون في مريم انها إله فعلى هذا يكون القول فيه كالقول في الحكاية
عن اليهود وقولهم عزير ابن الله (قال) يعني عيسى (سبحانه) جل جلالك وعظمت وتعاليت عن عطا وقيل
معناه تنزيهاً لك وبراءة مما لا يجوز عليك وقيل تنزيهاً لك من ان تبث رسولا يدعي إلهية لنفسه ويكفر بنعمتك

(١) العلالى جمع العلية وهى بيت منفصل عن الارض بيت ونحوه

فجمع بين التوحيد والعدل ثم تبرأ من قول النصارى فقال (ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق) اي لا يجوز لي ان اقول لنفسي ما لا يحق لي فأمر الناس بعبادتي وانا عبد مثلهم وانا تحت العبادة لك لقدرتك على اصول النعم ثم استشهد الله تعالى على براءته من ذلك القول فقال (ان كنت قتله فقد علمته) يريد اني لم اقله لاني لو كنت قتله لما خفي عليك لأنك علام الغيوب (تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك) اي تعلم غيبي وسري ولا اعلم غيبك وسرك عن ابن عباس وانا ذكر النفس لمزاوجة الكلام والعادة جارئة بأن الانسان يسر في نفسه فصار قوله ما في نفسي عبارة عن الاخفاء ثم قال ما في نفسك على جهة المقابلة وإلا فافاه منزله عن ان يكون له نفس او قلب تحمل فيه المعاني ويقوى هذا التأويل قوله تعالى (إنك انت علام الغيوب) لأنه عطل علمه بما في نفس عيسى بأنه علام الغيوب وعيسى ليس كذلك فلذلك لم يعلم ما يختص الله بعلمه ثم قال حكاية عن عيسى في جواب ما قرره تعالى عليه (ما قلت لهم إلا ما امرتني به ان اعبدوا الله ربي وربكم) اي لم اقل للناس إلا ما امرتني به من الاقرار لك بالعبودية وانك ربي وربهم وإلهي وألهم وامرتهم ان يبدوك وحدك ولا يشركوا معك غيرك في العبادة (وكنت عليهم شهيدا) اي شاهدا (ما دمت) حيا (فيهم) بما شاهدته منهم وعلمته وبما ابلتتهم من رسالتك التي حملتها وامرتني بأدائها اليهم (فلما توفيتني) اي قبضتني اليك وأمّنتني عن الجبائي وقيل معناه وفاة الرفع إلى السماء عن الحسن (كنت انت الرقيب) اي الحفيظ (عليهم) عن السدي وقادة (وانت على كل شيء شهيد) اي انت عالم بجميع الاشياء لا تخفى عليك خافية ولا يغيب عنك شيء قال الجبائي وفي هذه الآية دلالة على انه امانت عيسى وتوفاه ثم رفعه اليه لانه بين انه كان شهيدا عليهم ما دام فيهم فلما توفاه الله كان هو الشهيد عليهم وهذا ضعيف لأن التوفي لا يستفاد من اطلاقه الموت الا ترى الى قوله الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيبين انه تعالى يتوفى الانفس التي لم تمت (إن تعذبهم فإنهم عبادك) لا يقدر ان يذنبوا على دفع شيء من انفسهم (وان تغفر لهم فإنك انت العزيز الحكيم) في هذا تسليم الامر لملكه وتحويله إلى مديرة وتبرؤ من ان يكون اليه شيء من امور قومه كما يقول الواحد منا إذا تبرأ من تديبر امر من الامور ويريد تفويضه إلى غيره هذا الامر لا يدخل لي فيه فان شئت فافعله وإن شئت فاتركه مع علمه وقطعه على ان احد الامرين لا يكون منه وقيل ان المعنى ان تعذبهم فبإقامتهم على كفرهم وان تغفر لهم فبتوبة كانت منهم عن الحسن فكانه اشترط التوبة وان لم يكن الشرط ظاهرا في الكلام وإنما لم يقل فإنك انت الغفور الرحيم لأن الكلام لم يخرج مخرج السؤال ولو قال ذلك لأوهم الدعاء لهم بالمغفرة على ان قوله العزيز الحكيم ابلغ في المعنى وذلك ان المغفرة قد تكون حكمة وقد لا تكون والوصف بالعزيز الحكيم يشتمل على معنى الغفران والرحمة إذا كانا صوابين ويزيد عليهما باستيفاء معان كثيرة لأن العزيز هو المتبع القادر الذي لا ينام والقاهر الذي لا يرام وهذا المعنى لا يفهم من الغفور الرحيم والحكيم هو الذي يضع الأشياء مواضعها ولا يفعل إلا الحسن الجميل فالمغفرة والرحمة ان اقتضتهما الحكمة دخلتا فيه وزاد معنى هذا اللفظ عليهما من حيث اقتضى وضعه بالحكمة في سائر افعاله

قوله تعالى (١١٩) قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢٠) اللَّهُ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (آجِلَان)

﴿ القراءة ﴾

قرأ نافع وحده يوم ينفع بالنصب والباقون بالرفع

✽ الحجة ✽

قال ابو علي من رفع يوما جعله خبر المبتدأ الذي هو هذا و اضاف يوما إلى ينفع والجملة التي هي من المبتدأ والخبر في موضع نصب بأنه مفعول القول كما تقول قال زيد عمرو و اخوك ومن قرأ هذا يوم ينفع احتمل امرين ✽ احدهما ✽ ان يكون مفعول قال تقديره قال الله هذا القصص او هذا الكلام يوم ينفع الصادقين صدقهم فيوم ظرف للقول وهذا اشارة إلى ما تقدم ذكره من قوله إذ قال الله يا عيسى بن مريم وجاء على لفظ الماضي وإن كان المراد به الآتي كما قال ونادى اصحاب الجنة ونحو ذلك وليس ما بعد قال حكاية في هذا الوجه كما كان اياها في الوجه الآخر ويجوز ان يكون المعنى على الحكاية وتقديره قال الله هذا يوم ينفع اي هذا الذي اقتصدنا يقع او يحدث يوم ينفع وخبر المبتدأ الذي هو هذا الظرف لانه اشارة إلى حدث وظروف الزمان تكون اخبارا عن الاحداث والجملة في موضع نصب بأنها في موضع مفعول قال ولا يجوز ان تكون في موضع رفع وقد فتح لأن المضاف اليه معرب وإنما يكتب البناء من المضاف اليه إذا كان المضاف اليه مبنيا والمضاف مبهما كما يكون ذلك في هذا الضرب من الاسماء اذا اضيف إلى ما كان مبنيا نحو ومن خزي يومئذ ومن عذاب يومئذ وصار في المضاف البناء للاضافة إلى المبني كما صار فيه الاستفهام للاضافة إلى المستفهم به نحو غلام من انت وكما صار فيه الجزاء نحو غلام من تضرب اضرب وليس المضارع في هذا كالماضي في نحو قوله

عَلَىٰ حِينٍ عَاتَبْتُ الْمَشِيبَ عَلَى الصَّبَا
فَقَلَّبْتُ أَلْمًا أَصْحَحُ وَالشَّيْبَ وَازِعًا (١)

لأن الماضي مبني والمضارع معرب وإذا كان معربا لم يكن شي يحدث من اجله البناء في المضاف والاضافة إلى الفعل نفسه في الحقيقة لا إلى مصدره ولو كانت الاضافة إلى المصدر لم بين المضاف لبناء المضاف اليه

✽ المعنى ✽

لَا بَيْنَ عِيسَى بَطْلَانٍ مَا عَلَيْهِ النَّصَارَى (قال الله تعالى) هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم (يعني ما صدقوا فيه في دار التكليف لأن يوم القيامة لا تكليف فيه على احد ولا ينجز احد فيه إلا بالصدق ولا ينفع الكفار صدقهم في يوم القيامة إذا اقرروا على انفسهم بسوء اعمالهم وقيل ان المراد بصدقهم تصديقهم لرسل الله تعالى وكتبه وقيل انه الصدق في الآخرة وانه ينفعهم لقيامهم فيه بحق الله فطلى هذا يكون المراد به صدقهم في الشهادة لاتبائهم بالبلاغ (لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا) اي دائمين فيها في نعيم مقيم لا يزول (رضي الله عنهم) بما فعلوا (ورضوا عنه) بما اعطاهم من الجزاء والثواب (ذلك الفوز العظيم) هو ما يحصلون فيه من الثواب قال الحسن فازوا بالجنة ونجوا من النار ثم بين تعالى عظيم قدرته واتساع مملكته فقال (لله ملك السموات والأرض وما فيهن) نزهة تعالى نفسه عما قالت النصارى ان معه إلهما فقال لله ملك السموات والأرض دون كل من سواه لقدرة عليه وحده وقيل ان هذا جواب لسؤال مضمرة في الكلام كأنه قيل من يعطيهم ذلك الفوز العظيم فقيل الذي له ملك السموات والأرض وجميع السموات ووحدة الأرض تقضيا لشأن السموات (وهو على كل شيء قدير) فهو يقدر على المدومات بأن يوجدها وعلى الموجودات بأن يعدمها وعلى كثير منها بأن يعيدها بعد الإفناء وعلى مقدرات غيره بأن يقدر عليها ويسنعه منها وقيل معناه انه قادر على كل شيء يصح ان يكون مقدورا له كقوله خالق كل شيء عن ابي علي الجبائي

تمَّ المجلد الثالث من مجمع البيان لعلوم القرآن ويتلوه المجلد الرابع بعون الله وتوفيقه
وقد تصدى لتصحيحه والتعليق عليه العبدان المتسكان بحمد الله المتين الحاج السيد محمد الرضوي والسيد فضل الله البرقي

الشهادة المشددة فكذا وأما شهادة بينكم بالنصب والتثنية فلي اضمار فعل اي ليقم شهادة بينكم اثنان ذوا عدل واما قوله ولا نكتم شهادة فهو اعم من قراءة الجماعة المشهورة شهادة الله بالاضافة واما المد في الله فلي ان همزة الاستفهام حذفت عوضا عن حرف القسم ووقوا همزة الله من الحذف الذي كان يجب فيها من حيث كانت موصولة ثم فصل بين الهمزتين بالف كما في قوله الذكركين حرّم ام الاثنيين واما الله مقصورة بالجر فلي ما حكاها سيبويه ان منهم من يحذف حرف القسم ولا يعوض منه همزة الاستفهام فيقول الله لقد كان كذا وذلك لكثرة الاستعمال واما تقدير الكلام فلي انه يقول اتقسم بالله اي اتقدم على هذا اليمين وهذا إنما يكون على وجه الاعظام لليمين والتهيب لها

﴿ الاعراب ﴾

قال الزجاج شهادة بينكم يرتفع من وجهين ﴿ احدهما ﴾ أن يرتفع بالابتداء ويكون خبرها اثنان والمعنى شهادة هذه الحال شهادة اثنين فيحذف شهادة ويقام اثنان مقامها ﴿ والاخر ﴾ ان يكون التقدير وفيما فرض عليكم في شهادتكم ان يشهد اثنان فيرتفع اثنان بشهادة وهو قول الفراء واختار ابو علي الفارسي القول الأول قال واتسع في بين فاضيف اليه المصدر وهذا يدل على قول من قال ان الظرف يستعمل إسماء في غير الشعر الا ترى انه قد جاء ذلك في التثنية وهو لقد تقطع بينكم بالرفع كما جاء في الشعر نحو قوله ﴿ قُصَادَنَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ الْحَبُونَا ﴾ واما قوله اذا حضر احدكم الموت فيجوز ان يتعلق بالشهادة فيكون معمولا ولا يجوز ان يتعلق بالوصية لأمرين ﴿ احدهما ﴾ ان المضاف اليه لا يعمل فيما قبل المضاف لأنه لو عمل فيه لزم ان يقدر وقوعه في موضعه واذا قدر ذلك لزم ان يقدم المضاف اليه على المضاف ومن ثم لم يميز القتال زيدا حين يأتي ﴿ والاخر ﴾ أن الوصية مصدر فلا يتعلق به ما يتقدم عليه واما قوله حين الوصية اثنان فلا يجوز حمله على الشهادة لأنه اذا عمل في ظرف من الزمان لم يعمل في ظرف آخر منه ولكن يحمله على احد ثلاثة اوجه إما ان يتعلق بالموت كأنه يموت في ذلك الحين وهذا إنما يكون على ما قرب منه كقوله حتى اذا حضر احدكم الموت قال افي تبت الآن وهذا القول إنما يكون قبل الموت وإما أن يتعلق بحضر اي اذا حضر هذا الحين وإما ان يكون معمولا على البدل من اذا لأن ذلك الزمان في المعنى هو هذا الزمان فتبدله منه كما تبدل الشيء من الشيء اذا كان اياه وقوله منكم صفة لقوله اثنان كما ان ذوا عدل صفة لهما وفي الظرف ضمير هما وقوله أو آخران من غير كم تقديره او شهادة آخرين من غير كم صفة لآخرين كما كان منكم صفة لآخرين ان اتم ضربهم في الأرض فاصابكم مصيبة الموت اعتراض بين الصفة والموصوف وعلم به ان شهادة الآخرين للذين هما من غير اهل ملتنا وإنما يجوز في السفر فاستغنى عن جواب ان بما تقدم من قوله او آخران من غير كم لأنه وان كان على لفظ الخبر فالمعنى على الأمر كأن المعنى ينبغي ان تشهدوا اذا ضربهم في الأرض آخرين من غير اهل ملتكم ويجوز ايضا ان يستغنى عن جواب اذا في قوله اذا حضر احدكم الموت بما تقدمها من قوله شهادة بينكم فإن جعلت اذا بمنزلة حين فلم تجعل له جوابا كان بمنزلة الحين ويتنصب الموضع بالمصدر الذي هو شهادة بينكم كما تقدم وان قدرت له جوابا كان قوله شهادة بينكم بدلا عليه ويكون موضع اذا في قوله اذا حضر احدكم الموت نصبا بالجواب المقدر المستغنى عنه بقوله شهادة بينكم لأن المعنى ينبغي ان تشهدوا وقوله تعجبونهما من بعد الصلاة صفة ثانية لقوله او آخران وقوله من بعد الصلاة يتعلق بتعجبونهما فيقسمان بالله الفاء لمطلق الجملة على الجملة وان شئت جعلت الفاء للجزاء كما في قول ذي الرمة

وَإِنْسَانٌ عَيْنِي يَحْبِسُ الْمَاءَ مَرَّةً
فَيَبْدُو وَتَارَاتٍ يَجْمُ فَيَحْرِقُ (٢)

تقديره عندهم اذا حبس بدا فكذلك اذا حبستموها اقسما وتوله لا نشترى به ثمنا جواب ما يقتضيه قوله

فيعتسمان بالله لأن أقسم ونحوه يتلقى بما يتلقى به الأيمان والتقدير لا نشترى بتحريف شهادتنا ثمنا أي ذا ثمن فحذف المضاف في الموضعين وإنما ذكر الشهادة لأن الشهادة قول كما قال وإذا حضر القسمة ثم قال فارزقوهم منه لما كان القسمة يراد به المقسوم الا ترى ان القسمة التي هي افراز الانصاء لا يرزق منه وإنما يرزق من التركة المقسومة ولو كان ذا قرين التقدير ولو كان المشهود له ذا قرينى وأضاف الشهادة الى الله لأمره بأقامتها ونهيه عن كتمانها في قوله وأقيموا الشهادة لله وقوله من يكتمها فإنه آثم قلبه هذا كله مأخوذ من كلام ابي علي الفارسي وناهيك به فارسا في هذا الميدان قبا يا يخبر عن مكتون هذا العلم بواضح البيان

✽ النزول ✽

سبب نزول هذه الآية ان ثلاثة نفر خرجوا من المدينة تجاراً الى الشام تميم بن اوس الداري واخوه عدي ومما نصرانيان وابن ابي مارية مولى عمرو بن العاص السهمي وكان مسلماً حتى اذا كانوا ببعض الطريق مرض ابن مارية فكتب وصيته بيده ودسها في متاعه واوصى اليهما ودفع المال اليهما وقال ابلغا هذا اهلي فلما مات فتحت المتاع واخذوا ما اعجبهما منه ثم رجعا بالمال الى الورثة فلما فُتس القوم المال فقدوا بعض ما كان قد خرج به صاحبهم فنظروا الى الوصية فوجدوا المال فيها تاماً فكلموا تميمًا وصاحبه فقالوا لا علم لنا به وما دفعه الينا ابلغناه كما هو فرفضوا امرهم الى النبي (ص) فنزلت الآية عن الواقدي عن أسامة بن زيد عن ابيه وعن جماعة المفسرين وهو المروي عن ابي جعفر (ع)

✽ المعنى ✽

لما قدم الأمر بالرجوع الى ما انزل عقبه بذكر هذا الحكم المنزل فقال (يا أيها الذين آمنوا) اي يا أيها المؤمنون (شهادة بينكم) قيل في معنى الشهادة هنا اقوال ✽ احدها ✽ انها الشهادة التي تقام بها الحقوق عند الحكم وقد تقدم ذكر ما قيل في تقدير الآية على هذا المعنى وهو قول ابن عباس ✽ وثانيها ✽ انها بمعنى الحضور كما يقال شهدت وصية فلان ومنه قوله وليشهد عذابها طائفة ام كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت فيكون تقديره ليشهدكم في سفركم إذا حضركم الموت وأردتم الوصية اثنان ذوا عدل منكم اي وصيان من اهل العدالة جعلها اثنين تأكيذاً للأمر في الوصية عن ابن الانباري وهو قول سعيد بن جبير وابن زيد ✽ والثالث ✽ انها شهادة إيمان بالله إن ارتاب الورثة بالوصيين من قول القائل في اللعان اشهد بالله اني لمن الصادقين والأول اقوى واليق بالآية وقال صاحب كتاب نظم القرآن شهادة مصدر بمعنى الشهود كما يقال رجل عدل ورجلان عدل ورجلاً ثم قدّر حذف المضاف فيكون المعنى عدد شهود بينكم اثنان كقوله الحج أشهر معلومات اي وقت الحج أشهر وقال ابن جني ويجوز ان يكون التقدير تقيموا شهادة بينكم اثنان فيكون على هذين القولين حذف المضاف من المبتدأ وعلى قول الزجاج واي علي من الخبر (اذا حضر احدكم الموت حين الوصية) اي حضر اسباب الموت من مرض وغيره وقال الزجاج معناه ان الشهادة في وقت الوصية هي للموت ليس ان الموت حاضر وهو وصي إنما يقول الموصي صحيحاً كان او غير صحيح اذا حضر في الموت واذا مات فافعلوا واصنعوا (اثنان ذوا عدل منكم) اي من اهل دينكم وملتكم (او آخران من غيركم) اي من غير اهل ملتكم عن ابن عباس وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير وشريح ومجاهد وابن سيرين وابن زيد وابراهيم وهو المروي عن الباقر والصادق عليهما السلام فيكون او هاهنا للتفصيل لا للتخيير لأن المعنى او آخران من غيركم ان لم تجدوا شاهدين منكم وقيل معناه ذوا عدل من عشيرتكم او آخران من غير عشيرتكم عن الحسن والزهري وعكرمة والاصم قالوا لأن عشيرة الموصي اعلم بأحواله من غيرهم واجدر ان لا ينسوا ما شهدوا عليه وقالوا لا يجوز شهادة كافر في سفر ولا حضر واختاره الزجاج وذهب جماعة الى ان الآية كانت في شهادة أهل الذمة فنسخت وقد بين ابو عبيدة

هذه الاقويل ثم قال جل العلماء يتأولونها في أهل الذمة ويرونها محكمة ويقوي هذا القول تنابع الآثار في سورة المائدة بقلة المنسوخ وانها من محكم القرآن وآخر ما نزل (إن أنتم ضربتم في الأرض فأصابكم مصيبة الموت) ومعناه فأصلبكم الموت علم الله تعالى ان من الناس من يسافر فيصحبه في سفره أهل الكتاب دون المسلمين وينزل القرية التي لا يسكنها غيرهم ويحضره الموت فلا يجد من يشهد من المسلمين فقال أو آخران من غيركم أي من غير دينكم إن أنتم سافرتم فأصابكم مصيبة الموت فالمدلان من المسلمين للحضر والسفر إن أمكن اشهادهما في السفر والذميان في السفر خاصة إذا لم يوجد غيرهما ثم قال (تجسونا من بعد الصلاة فيقسمان بالله إن ارتبتم) المعنى تجسونا من بعد صلاة العصر لأن الناس كانوا يخلفون بالحجاز بعد صلاة العصر لاجتماع الناس وتكاثرهم في ذلك الوقت وهو المروي عن أبي جعفر (ع) وقناة وسعيد بن جبير وغيرهم وقيل هي صلاة الظهر أو العصر عن الحسن وقيل بعد صلاة أهل دينها يعني الذميين عن ابن عباس والسدي ومعنى تجسونا تقفوننا كما تقول مرابي فلان على فرس فجس على دابته أي وقفه وقبل معناه تصبروننا على اليمين وهو ان يحمل على اليمين وهو غير متبرع بها إن ارتبتم في شهادتها وشككتكم وخشيتم أن يكونا قد غيّرًا أو بدلًا أو كتمانًا و خانًا وانططاب في تجسونا للورثة ويجوز أن يكون خطابا للقضاة ويكون بمعنى الأمر أي فاجسوها ذكره ابن الأنباري وكان يقف على قوله مصيبة الموت ويتندي بقوله تجسونا ويحتمل ان يكون أراد به وصي الميت إذا ارتاب بها الورثة وادعوا انها استبدت بشي من التركة فيصيران مدعى عليهما فيحلفان بالله (لا نشترى به ثمنًا) أي لا نشترى به بتحريف الشهادة ثمنًا والتقدير لا نشترى به ذا ثمن ألا ترى ان الثمن لا يشترى وإنما يشترى المبيع دون ثمنه وقيل ان الماء في به يعود الى القسم بالله وقبل معناه لا نبيعه بمرض من الدنيا لأب من باع شيئًا فقد اشترى ثمنه ويريد لا نحابي في شهادتنا احداً (ولو كان) المشهود له (ذا قرني) خصّ ذا القرني بالذكر ليل الناس الى اقربائهم ومن يناسبونه (ولا نكنتم شهادة الله) أي شوادة لزمنا اداؤها بأمر الله تعالى (إننا إذا لمن الآئمين) أي انا ان فلنا ذلك كنا من الآئمين

قوله تعالى (١٠٧) فَإِنْ عَثَرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَأَخْرَأَ يَقَوْمًا مَقَامَهَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلِيَاءُ فَيَقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتَيْهِمَا وَمَا أَعْنَدُنَا إِنَّا إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ (١٠٨) ذَلِكَ أَذْنِي أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ آيَاتُ بَعْدَ آيَاتِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَسْمِعُوا وَلِلَّهِ الْيَوْمَ الْفَاسِقِينَ (آياتان)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابو بكر عن عاصم وحزرة وخلف ويعقوب استحق بضم التاء والهاء الأولين جمع وقرأ حفص عن عاصم استحق بفتح التاء والهاء الأولين بالالف تشبیه الأولي وقرأ الباقون استحق بضم التاء الأولين بالالف

﴿ الحجة والاعراب ﴾

قال الزجاج هذا الموضع من أصعب ما في القرآن في الاعراب، والأولين في قول أكثر البصريين يرتفعان على البدل مما في يقومان المعنى فليقم الأوليان بالميت مقام هذين الخائنين فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من

(١) [وتقيمونها] . (٢) حابه في البيع : ساهله . القاضي زيدا في الحكم : مال اليه منحرفاً عن العدل .

شهادتهما فاذا ارتفع الأ وليان على البدل فالذي في استحق من الضمير معنى الوصية المعنى فليقم الأ وليان من الذين استحققت الوصية والايصاء عليهم وجائز أن يرتقا باستحق ويكون معناها الأ وليان باليمين أي ب أن يخلفا من يشهد بعدهما فإن حاز شهادة النصرانيين كان الأ وليان على هذا القول النصرانيين والآخران من غير اهل بيت الميت وقال ابو علي لا يخلو ارتفاعه من أن يكون على الابتداء وقد أخرج كانه في التقدير فالأ وليان بأمر الميت آخران من أهله أو من اهل دينه يقومان مقام الخائنين اللذين عثر على خيانتهم كقولهم تميمي أنا او يكون خبر مبتدأ محذوف كأنه قال فأخران يقومان مقامهما الأ وليان او يكون بدلا من الضمير الذي في يقومان او يكون مسندا اليه استحق وقد أجاز ابو الحسن فيه شيئا آخر وهو أن يكون الأ وليان صفة لقوله فأخران من غير كم لأنه لما وصف آخران اختص فوصف لأجل الاختصاص الذي صار له مما يوصف به المعارف ومعنى الأ وليان الأ وليان بالشهادة على وصية الميت وإنما كانا أولى به ممن اتهم بالخيانة لأنهما اعرف بأحوال الميت وأموره ولأنهما من المسلمين ألا ترى أن وصفهم بأنه استحق عليهم يدل على انهم مسلمون لأن الخطاب من اول الآية مصروف اليهم فأما ما يسند اليه استحق فلا يخلو من أن يكون الايصاء او الوصية او الإثم او الجار والمجرور وإنما جاز استحق الإثم لأن اخذه بأخذه إثم فسمي إثمًا كما سمي ما يؤخذ منا بغير حق مظلة قال سيبويه المظلة اسم ما أخذ منك فذلك سمي هذا المأخوذ باسم المصدر فأما قوله عليهم فيحتمل ثلاثة اضراب أحدها ان يكون على فيه بمنزلة قولك استحق على زيد مال بالشهادة أي لزمه ووجب عليه الخروج منه لأن الشاهدين لما عثر على خيانتهم استحق عليهما ما ولياه من امر الشهادة والقيام بها ووجب عليهما الخروج منها وترك الولاية لها فصار اخراجهما منها مستحقا عليهما كما يستحق على المحكوم عليه الخروج بما وجب عليه هذا كلام ابي علي واقول ان الظاهر ان الذين استحق عليهم في الآية هم ورثة الميت والمفهوم من كلام ابي علي هذا ان الشاهدين اللذين من غيرنا هما المعنيان بذلك على ما قرره والذي يصح في نفسي ان التقدير من الذين استحققت عليهم الوصية او استحق عليهم الايصاء هم عشيرة الميت والضراب الآخر ان يكون على فيه بمنزلة من كأنه قال من الذين استحق منهم الإثم ومثل هذا قوله إذا اکتالوا على الناس أي من الناس والثالث ان يكون على بمنزلة في كأنه استحق فيهم وقام على مقام في كما قام في مقام على في قوله ولا تصيبكم في جذوع النخل والمعنى من الذين استحق عليهم بشهادة الآخرين اللذين هما من غيرنا واقول ان هذا المعنى ايضا إنما يلائم الضرب الأول والذي يلائم هذا الضرب ان يقال المعنى من الذين استحق فيهم الإثم أي بسببهم استحق الآخران من غيرنا اللذان خاتا في الوصية فيهما الإثم بخيانتهم وبينهما الكاذبة ثم قال ابو علي فان قلت هل يجوز أن يسند استحقاق الأ وليان فالقول في ذلك انه لا يجوز لأن المستحق إنما يكون الوصية او شيئا منها ولا يجوز أن يستحقا فيسندا استحق اليهما وامامنا من قرأ من الذين استحق عليهم الأ وليان على الجمع فهو نعت لجميع الورثة المذكورين في قوله من الذين استحق عليهم تقديره من الأ وليان الذين استحق عليهم الايصاء او الإثم وإنما قيل لهم الأ وليان من حيث كانوا اولين في الذكر ألا ترى انه قد تقدم يا ايها الذين آمنوا شهادة بينكم وكذلك اثنان ذوا عدل منكم وذكر في اللفظ قبل قوله او آخران من غيركم واحتج من قرأ الأ وليان على من قرأ الأ وليان بأن قال أرأيت ان كان الأ وليان صغيرين اراد انهما ان كانا صغيرين لم يقوما مقام الكبيرين في الشهادة ولم يكونا لصغرها أولى بالميت وان

كانا كبيرين كانا اولى به فيقسمان بالله اي يقسم الآخران اللذان يقومان مقام الشاهدين اللذين هما آخران من غيرنا وقوله لشهادتنا أحق من شهادتهما تلقى به فيقسمان بالله ومن قرأ استحق عليهم الأوليان فاستحق ههنا بمعنى حق أي وجب فالمعنى فآخران من الذين وجب عليهم الايضاء بتوصية ميتهم وهم ورثته وقال ابو علي تقديره من الذين استحق عليهم الأوليان بالميت وصيته التي أوصى بها الى غير أهل دينه والمفعول محذوف وحذف المفعول في نحو هذا كثير وقال الإمام المحمود الزمخشري معناه من الورثة الذين استحق عليهم الأوليان من بينهم بالشهادة أن يجردوها للقيام بالشهادة ويظهر وابها كذب الكاذبين وهذا أحسن الأقوال

✽ اللفظة ✽

عثر الرجل على الشيء يعثر عثورا إذا اطلع على امر لم يطلع عليه غيره واعتثرت فلانا على امر اطلعت عليه ومنه قوله وكذلك اعتثرنا عليهم واصله الوقوع بالشيء من قولهم عثر الرجل عثارا إذا وقعت اصبعه بشيء صدمته وعثر الفرس عثارا قال الأعشى

بِذَاتِ لَوْثٍ عَفَرْنَاوْ إِذَا عَثَرَتْ فَالْتَمَسُ أَوْلَىٰ بِهَا مِنْ أَنْ يُقَالَ لَمَأْ (١)

والبشير القبار لأنه يقع على الوجبه وغيره والماتور حفرة تحفر ليعثر بها الاسد فيصطاد والاستحقاق والاستيجاب قريبان واستحق عليه كأنه ملك عليه حقا وحققت عليه القضاء حقا واحققته إذا أوجبه ويكون حق بمعنى استحق

✽ النزول ✽

قالوا المنزلة الآية الاولى صلى رسول الله (ص) العصر ودعا جميع وعدي فاستحلفها عند المنبر بالله ما قبضنا له غير هذا ولا كتمناه فحلى رسول الله (ص) سبيلهما به ثم اطلعوا على اثناء من فضة منقوش بذهب معهما فقالوا هذا من متاعه فقالا اشتريناه منه ونسينا ان نخبركم به فرفعوا امرها الى رسول الله (ص) فنزل قوله فان عثر على انها استحقا اثماً الى آخره فقام رجلان من اولياء الميت احدهما عمرو بن العاص والآسر سب بن ابي وداعة السهمي فحلفا بالله انهما خانا وكذبا فدفعا الإثاء اليها والى اولياء الميت وكان تميم الداري بعد ما اسلم يقول صدق الله وصدق رسوله انا اخذت الإثاء فاتوب الى الله واستغفره

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه الحكم بعد ظهور الخيانة من الوصيين أو الشاهدين فقال (فان عثر) اي اطلع وظهر على انها آية الشاهدين عن ابن عباس والوصيين عن سعيد بن جبير (استحقا) اي استوجبا (اثماً) اي ذنبا بأيمانها الكاذبة وخيانتها وقصدها في شهادتها الى غير الاستقامة قبل معناه استحقاقه ثم من قوله تعالى اني اريد ان تبوء باثمي وإثمك اي بقربة اثم قتلي وعقوبة معاصيك المتقدمة عن الجبائي (فآخران يقومان مقامهما) اي مقام الشاهدين اللذين هما من غيرنا وقيل مقام الوصيين (من الذين استحق عليهم الاوليان) المعنى ليقم الاوليان بالميت من الذين استحق عليهم الوصية او يكون التقدير فالاوليان بأمر الميت آخران من أهله يقومان مقام الخائنين اللذين عثر على خيانتهم وقد بينا ما قيل فيه وفي القراءتين الأخيرين فيما قبل ويمجوز ان يكون الاوليان بدلا من قوله آخران فقد يجوز ابدال المعرفة من النكرة ومعنى الأوليين هما الأقربان الى الميت ويمجوز ان يكون معناه الاوليان باليمين وإنما كانا اوليين باليمين لان الوصيين

(١) اللوث: القوة . وناقاة عفرتاة اي قوية . عثرت اي سقطت . و لما : كلمة يدعى بها للعائر معناها الارتفاع . قال ابو زيد : اذا دعى للعائر بأن ينتمش قيل لما لك عالياً ، والعرب تدعو على العائر من الدواب اذا كان جواداً بالتمسر واذا كان بليداً بلماً لك . يصف ناقته : يقول : انها لا تمثر لعتوتها فلو عثرت لقلت تمست . وقوله بذات لوث متعلق بـ « كلفت » في بيت قبله

ادعيا ان الميت باع الاثنا فانتقل اليه اليه الى الاوليين لانها صار مدعى عليهما ان مورثهما باع الاثنا وهذا كما لو اقر انسان لاخر بدين وادعى قضاءه حكم برده اليه اليه الذي ادعى الدين لانه صار مدعى عليه انه استوفى وقيل معناه الاوليان بالشهادة من المسلمين عن ابن عباس وشريح (فيقسان بالله لشهادتنا احق من شهادتهما) قيل انه على الظاهر اي شهادتنا وقولنا في وصية صاحبنا احق بالقبول والصدق من شهادتهما وقولها وقيل يرد به فيقولان والله ليسينا خير من يمينهما عن ابن عباس وسميت اليمين هاهنا شهادة لأن اليمين كالشهادة على ما يحلف عليه انه كذلك (وما اعتدينا) اي ما جاوزنا الحق فيما طلبناه من حقنا عن ابن عباس وقيل فيما قلناه من ان شهادتنا احق من شهادتهما (انا اذا لمن الظالمين) تقديره انا ان اعتدينا لمن جملة الظالمين لنفوسنا وهذه الآية مع الآية التي قبلها من اعوص آيات القرآن اعرابا ومعنى وحكما ولست تجدهما في شيء من مظاهرها او فر فائدة واغزر عائدة واجمع علما واوجز لفظا ومعنى ما خلصته لك وسفته اليك وبالله التوفيق ثم بين سبحانه وجه الحكمة في استحلاف اليهود فقال (ذلك ادنى) اي ذلك الاحلاف والاقسام او ذلك الحكم اقرب الى (ان باتوا بالشهادة على وجهها) اي حقا وصدقها لا يكتفون شيئا ولا يزيدون شيئا لأن اليمين تردع عن امور كثيرة لا يرتدع عنها مع عدم اليمين (او يخافوا) اي اقرب الى ان يخافوا (ان ترد ايمان) الى اولياء الميت (بعد ايمانهم) فيحلفوا على خيانتهم وكذبهم فيفتضحوا ويفرموا فرجا لا يحلفون كاذبين ويتحفظون في الشهادة مخافة رد اليمين والشهادة الى المستحق عليهم (واتقوا الله) ان تحلفوا ايمانا كاذبة او تخونوا امانة (واسمعوا) الموعظة (والله لا يهدي القوم الفاسقين) الى ثوابه وحبته

قوله تعالى (١٠٩) **يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ** (آية)

الاعراب

يوم ينتصب على تقدير واتقوا يوم يجمع ويتصل بقوله واتقوا الله واسمعوا عن الزجاج وقيل انه يتعلق بقوله لا يهدي القوم الفاسقين يوم يجمع الله الرسل عن المغربي وقيل انه يتعلق بمحذوف على تقدير احذروا أو اذكروا ذلك اليوم

المعنى

(يوم يجمع الله الرسل) هو كقوله واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله وإنما انتصب يوم على انه مفعول به ولم ينتصب على الظرف لأنهم لم يوتروا بالتقوى في ذلك اليوم والمعنى اتقوا عقاب يوم يجمع الله فيه الرسل لأن اليوم لا يتقى ولا يحذر فحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه (فيقول) لهم (ماذا اجبتم) أي ما الذي اجابكم قومكم فيما دعوتوهم اليه وهذا تقرير في صورة الاستفهام على وجه التوبيخ للمناققين عند اظهار فضيحتهم على رؤوس الاشهاد (قالوا لا علم لنا) قيل فيه اقوال **﴿احدها﴾** ان للقيامة احوالا حتى تزول القلوب من مواضعها فإذا رجعت القلوب الى مواضعها شهدوا لمن صدقهم على من كذبهم يريد انه عزبت عنهم افهامهم من هول يوم القيامة فقالوا لا علم لنا عن عطاء عن ابن عباس والحسن ومجاهد والسدي والكلبى وهو اختيار الفراء **﴿وثانيها﴾** ان المراد لا علم لنا كعلمك لأنك تعلم باطنهم وانا لانعلم

غيبهم وباطنهم وذلك هو الذي يقع عليه الجزاء عن الحسن في رواية أخرى واختاره الجبائي وأنكر القول الأول وقال كيف يجوز ذهولهم من هول يوم القيامة مع قوله لا يحزنهم الفزع الأكبر وقوله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ويمكن أن يجاب عن ذلك بأن الفزع الأكبر دخول النار وقوله لا خوف عليهم إنما هو كالبشارة بالنجاة من أهوال ذلك اليوم مثل ما يقال للمريض لا بأس عليك ولا خوف عليك * وثالثها * ان معناه لا حقيقة لعلنا إذ كنا نعلم جوابهم وما كان من أفعالهم وقت حياتنا ولا نعلم ما كان منهم بعد وفاتنا وإنما الثواب والجزاء يستحقان بما يقع به الخاتمة مما يموتون عليه عن ابن الأنباري * ورابعها * ان المراد لا علم لنا إلا ما علمنا فعطف لدلالة الكلام عليه عن ابن عباس في رواية أخرى * وخامسها * ان المراد به تحقيق فضيحتهم أي انت اعلم بحالهم منا ولا تحتاج في ذلك الى شهادتنا (انك انت علام الغيوب) وإنما قال علام للمبالغة لا للتكثير وقيل أراد به تكثير المعلوم والمراد انت تعلم ما غاب وما بطن ونحن انما نعلم ما نشاهد وفي هذه الآية دلالة على اثبات المعاد والحشر والنشر وذكر الحاكم ابو سعيد في تفسيره انها تدل على بطلان قول الإمامية ان الأنمة يعلمون الغيب واقول ان هذا القول ظلم منه لهؤلاء القوم فإننا لانعلم احدا منهم بل احدا من أهل الإسلام يصف احدا من الناس بعلم الغيب ومن وصف مخلوقا بذلك فقد فارق الدين والشريعة الإمامية براء من هذا القول فمن نسبهم الى ذلك فالله فيما بينه وبينهم

قوله تعالى (١١٠) إذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ آيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهدي وكهلاً وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فنكون طيراً بإذني وتبرئ الأكمة والأبرص بإذني وإذ تخرج الموتى بإذني وإذ كففت بني إسرائيل عنك إذ جنتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين (آية)

* القراءة *

قرأ أهل الكوفة غير عاصم ساحر مبين بالألف وكذلك في سورة يونس وهود والصف وقرأ ابن كثير وعاصم في سورة يونس لساحر مبين بالألف فقط وقرأ أهل المدينة والبصرة والشام ساحر مبين بضم الألف في جميع ذلك

— الحجة —

من قرأ إلا سحر جعله إشارة إلى ما جاء به كأنه قال ما الذي جئت به الا ساحر مبين ومن قرأ إلا ساحر اشار الى الشخص لا الى الحديث الذي أتى به وكلاهما حسن لا استواء كل واحد منهما في ان ذكره قد تقدم غير ان الاختيار سحر لوقوعه على الحدث والشخص اما وقوعه على الحدث فظاهر واما وقوعه على الشخص فهو ان يراد به ذو سحر كما جاء ولكن البر من آمن أي ذا البر وقالوا انما انت سير وانما هي اقبال وادبار وقد جاء ايضاً فاعل يراد به الكثرة في حروف ليست بالكثيرة نحو عائدا بالله من شرها أي عابدا ونحو العافية ولم تصر هذه الحروف من الكثرة بحيث يقاس عليها

- الاعراب -

العامل في اذ يحتمل امرين * احدهما * الابتداء عطفًا على قوله يوم يجمع الله الرسل ثم قال وذلك اذ قال فيكون موضعه رفعًا كما يقول القائل كأنك بنا قد وردنا بلد كذا وصنعنا فيه وفضلنا اذ صاح بك صائح فأجبتته وتركتني * والثاني * اذ ذكر اذ قال الله فيكون موضعه نصبًا يا عيسى بن مريم يجوز أن يكون عيسى مضمومًا في التقدير فإنه منادى مفرد فيكون نداً من وتقديره يا عيسى يا ابن مريم او تكون وصفت المضموم بمضاف فنصب المضاف كقول الشاعر « يا زبرقان اخابني خلف » ويجوز ان يكون عيسى مبنيًا مع الابن على الفتح في التقدير لوقوع الابن بين علمين وهذا كما أنشد النحويون من قول الشاعر

يَا حَكَمَ بْنَ الْمُنْدَرِ بْنِ الْجَارُودِ أَنْتَ الْجَوَادُ بْنُ الْجَوَادِ بْنِ الْجَوَادِ

روي في حكم الضم والفتح تكلم الناس في موضع نصب على الحال وكهلا عطف على موضع في المهد وهو جملة ظرفية في موضع نصب على الحال من تكلم فالعنى مكلما الناس صغيرا وكبيرا

* المعنى *

لما عرّف سبحانه يوم القيامة بما وصفه به من جمع الرسل ليه عطف عليه بذكر المسيح فقال (إذ قال الله) ومعناه إذ يقول الله في الآخرة وذكر لفظ الماضي تقريبا للقيامة لأن ما هو آت فكان قد وقع (يا عيسى بن مريم) وهذا إشارة الى بطلان قول النصارى لأن من له أم لا يكون إلهًا (اذكري نعمتي عليك وعلى والدتك) أي اذكري ما أنعمت به عليك وعلى أمك واشكروه افراد النعمة في اللفظ ويريد به الجمع كما قال تعالى وإن نعدوا نعمة الله لا تحصوها وإنما جاز ذلك لأنه مضاف فصلح للجنس ثم فسّر نعمته بأن قال (إذ أيدتك بروح القدس) وهو جبرئيل «ع» وقد مضى تفسيره في سورة البقرة عند قوله وأيدناه بروح القدس (تكلم الناس في المهد وكهلا) أي في حال ما كنت صبياً في المهد وفي حال ما كنت كهلا وقال الحسن المهد حجر أمه (وإذ علمت الكتاب) قبل الكتابة يعني الخط (والحكمة) أي العلم والشريعة وقيل أراد الكتب فيكون الكتاب اسم جنس ثم فصله بذكر التوراة والانجيل فقال (والتوراة والانجيل وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني) أي واذا ذكر ذلك ايضاً إذ تصوّر الطين كهيئة الطير الذي تريد أي كخلفتها وصورته وسماه خلقاً لأنه كان بقدره وقوله بإذني أي تفضل ذلك بإذني وامري (فننفع فيها) أي نفع فيها الروح لأن الروح جسم يجوز أن ينفعه المسيح بأمر الله (فيكون طيراً بإذني) والطير يوثق ويذكر فمن أنت فلي الجمع ومن ذكّر فلي اللفظ وواحد الطير طائر فيكون مثل ظاعن وظعن وراكب وركب وبين بقوله فيكون طيراً بإذني انه اذا نفع المسيح فيها الروح قلبها الله لها ودما ويخلق فيها الحياة فصارت طائراً باذن الله أي بأمره واراادته لا بفعل المسيح (وتبرئ) أي تصحح (الأكمه) الذي ولد أعمى (والأبرص) من به برص مستحكم (بإذني) أي بأمره ومعناه انك تدعوني حتى أبرئ الأكمه والأبرص ونسب ذلك الى المسيح لما كان بدعائه وسوآله (واذا تخرج الموتى بإذني) أي اذكري اذ تدعوني فأحيي الموتى عند دعائك واخرجهم من القبور حتى يشاهدوا الناس احياء ونسب ذلك الى المسيح لما كان بدعائه (واذا كففت بني اسرائيل عنك) عن قتلك وأذيتك (اذ جثتم) أي حين جثتم (بالبينات) مع كفرهم وعنادهم ويجوز ان يكون تعالى كفهم عنه بالطفاه التي لا يقدر عليها غيره ويجوز ان يكون كفهم بالنع والقهر كما

منع من اراد قتل نبينا ومعنى جثتهم بالبينات اتيتهم بالحجج والمعجزات (فقال الذين كفروا) وجدوا
 ذريتك (منهم) اي من بني اسرائيل (ان هذا الا سحر مبين) يعنون به عيسى وسحر مبين يعني به ان ماجاء به
 سحر ظاهر واضح وينبغي ان يكون قوله سبحانه في اول الآية اذ قال الله يا عيسى اذ كر نعمتي يعني اخبرها
 قومك الذين كذبوا عليك ليكون حجة عليهم لانهم ادعوا عليه انه آله ثم عدد النعمة نعمة نعمة على ما يتناه
 قوله تعالى (١١١) وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْخَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَأَشْهَدُ
 بِتَنَاهِ مُسْلِمُونَ (آية)

❖ اللغة ❖

الوحي القاء المعنى الى النفس على وجه يخفى ثم ينقسم فيكون بإرسال الملك ويكون بمعنى الإلهام قال الشاعر
 اَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي اسْتَقَلَّتْ بِأَذْنِهِ السَّمَاوَاتُ وَأَطْمَأَنَّتِ أَوْحَى لَهَا الْقَرَارَ فَاسْتَقَرَّتْ
 اي القى اليها ويروى «وحي لها القرار» والفرق بين اوحى ووحى من وجهين ❖ احدهما ❖ ان اوحى
 بمعنى جعلها على صفة ووحى بمعنى جعل فيها مضمي الصفة لان افضل اصله التمعية وقيل انها لنتان والحواري
 خالصة الرجل وخلصاؤه من الخبز الحواري لانه اخلص لبته من كل ما يشوبه واصله الخلوص ومنه حار يجوز
 اذا دمج الى حال الخلوص ثم كثر حتى قيل لكل راجع

❖ المعنى ❖

ثم بين سبحانه تمام نعمته على عيسى فقال (واذا اوحيت) اي واذا ذكر اذ اوحيت (الى الخواريين)
 اي الهمتهم وقيل القيت اليهم بالآيات التي اريتهم اياها ومضى الكلام في الخواريين في سورة آل عمران
 وم وزراء عيسى عن قتادة وانصاره عن الحسن (ان آمنوا بي وبرسولي) اي صدقوا بي وبصفتي وبمبى
 انه عبدي ونبيي (قالوا) اي قال الخواريون (آمننا) اي صدقنا (واشهد) يا الله (باننا مسلمون)

قوله تعالى (١١٢) إِذْ قَالَ الْخَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ
 عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنْتُمْ مَوْمِنِينَ (١١٣) قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ
 مِنْهَا وَنَطْمِئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ (آياتان)

❖ القراءة ❖

قرأ الكسائي وحده هل تستطيع بالثاء ربك بالنصب والباقون يستطيع بالياء ربك مرفوع وادغم
 الكسائي اللام في الثاء.

❖ الحجة ❖

وجه قراءة الكسائي ان المراد هل تستطيع سؤال ربك وذكروا الاستطاعة في سؤلهم لا لانهم
 شكروا في استطاعته ولكن كأنهم ذكروه على وجه الاحتجاج عليه منهم كأنهم قالوا انك مستطيع فإيتمك
 ومثل ذلك قولك لصاحبك أتستطيع ان تذهب عني فأني مشغول اي اذهب لأنك غير عاجز عن ذلك وان ينزل
 على هذه القراءة متعلق بالمصدر المحذوف لا يستقيم الكلام إلا على تقدير ذلك ألا ترى انه لا يصح ان تقول هل
 تستطيع ان يفعل غيرك فأن ينزل في موضع نصب بأنه مفعول به والتقدير هل تستطيع ان تسأل ربك اتزال

مائدة من السماء علينا وروي عن ابي عبد الله عليه السلام ما يقارب هذا التقدير قال يعني هل تستطيع ان تدعو ربك واما ادغام اللام في التاء فإنه حسن لان ابا عمرو ادغم اللام في التاء في هل ثوب الكفار والتاء اقرب إلى اللام من التاء والادغام إنما يحسن في المتقاربين وانشد سيويه

فَنَزَّ ذَا وَلَكِنْ هَتَمِينَ مَتَبًا عَلَى ضَوْءِ بَرْقِ آخِرِ اللَّيْلِ نَاصِبٍ (١)

— اللغة —

الفرق بين الاستطاعة والقدرة ان الاستطاعة انطباق الجوارح للفعل والقدرة هي ما اوجب كون القادر عليه قادرا و لذلك لا يوصف تعالى بأنه مستطيع ويوصف بأنه قادر والمائدة الحوان قال الازهري في تهذيب اللغة هي في المعنى مفعولة ونظما فاعلة لأنها من العطاء وقد زيد عمرا إذا اعطاه وقيل هي من ماد يبيد إذا تحرك فهي فاعلة ويقال مائدة وميدة قال الشاعر

وَمِيدَةٌ كَثِيرَةٌ الْأَلْوَانِ تَصْنَعُ لِلْإِخْوَانِ وَالْجِبْرَانَ

وماد به البحر يبيد فهو مائد إذا تحرك به وماد يبيد إذا تبختر وماد افله إذا مادهم واصله الحركة

✽ المعنى ✽

ثم اخبر سبحانه من الحواريين وسرهم فقال (اذ قال الحواريون) والعامل في اذ قوله اوحيث ويحتمل ان يكون معناه واذكر اذ قال الحواريون (يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء) قيل فيه اقوال **احدها** ان يكون معناه هل يفعل ربك ذلك بمسألتك اياه ليكون علما على صدقك ولا يجوز ان يكونوا شكروا في قدرة الله تعالى على ذلك لانهم كانوا عارفين موثمين وكانهم سألوه ذلك ليرفوا صدقه وصحة امره من حيث لا يعرض عليهم فيه اشكال ولا شبهة ومن ثم قالوا وتطمئن قلوبنا كما قال ابراهيم ولكن ليطمئن قلبي عن ابي علي الفارسي **وثانيها** ان المراد هل يقدر ربك وكان هذا في ابتداء امرهم قبل ان تستحكم سرفتهم بالله ولذلك انكر عليهم عيسى (ع) فقال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين لانهم لم يستكمل ايمانهم في ذلك الوقت **وثالثها** ان يكون معناه هل يستجيب لك ربك واليه ذهب السدي في قوله يريد هل يطيبها **رابعها** ان سأله وهذا على ان يكون استطاع بمعنى اطاع كما يكون استجاب بمعنى اجاب قال الزجاج يحتمل مسألة الحواريين عيسى (ع) المائدة على ضريين **احدها** ان يكونوا ارادوا ان يزدادوا تثبيتا كما قال ابراهيم رب انني كيف تحيي الموتى **وجائز** ان يكون مسألتهم المائدة قبل علمهم انه ابرأ الاكس والايصر واحيا الموتى (قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين) معناه اتقوا الله ان تسأله شيئا لم تسأله الامم قبلكم وقيل ان معناه الامر بالتقوى مطلقا كما امر الله المؤمنين بها في قوله يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله عن ابي علي الفارسي وقيل اخرهم ان لا يقترحوا الآيات وان لا يقدموا بين يدي الله ورسوله لأن الله تعالى قد ارهم البراهين والمعجزات باحياء الموتى وغيره مما هو اوكد مما سألوه وطلبوه عن الزجاج (قالوا) اي قال الحواريون (زيد ان نأكل منها) قيل في معناه قولان **احدهما** ان تكون الارادة التي هي من افعال القلوب ويكون التقدير فيه زيد السؤال من اجل هذا الذي ذكرنا والاخر ان يكون الارادة هاهنا بمعنى المحبة التي هي ميل الطباع اي نحب ذلك (وتطمئن قلوبنا) يجوز ان يكونوا قالوا وهم مستبصرون في دينهم ومعناه تريد ان نزداد يقينا وذلك ان الدلائل كلما كثرت مكنت المعرفة في النفس عن عطا (ونعلم ان قد صدقتنا) بأنك رسول الله وهذا يقوي قول من قال إن هذا كان في ابتداء امرهم والصحيح انهم طلبوا المعاينة والعلم الضروري والتأكيد في الاعجاز (وتكون عليها من الشاهدين) لله بالتوحيد ولك بالنبوة وقيل من الشاهدين لك عند بني اسرائيل إذا رجعنا اليهم

(١) قوله هتمين : اصله هل تعين . المتيم : الضلل . وقوله ناصب صفة لبرق .

قوله تعالى (١١٤) قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (١١٥) قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنزِلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ (آيات)

✽ القراءة ✽

قرأ أهل المدينة والشام وعاصم متأهلاً بالتشديد والباقون متأهلاً مخففة

✽ الحجة ✽

يقري التخفيف قوله أنزل علينا مائدة والأولى أن يكون الجواب على وفق السؤال والوجه في التشديد أن نزل وأنزل بمعنى واحد

➤ اللغة ➤

العيد اسم لما عاد اليك من شيء في وقت معلوم حتى قالوا للخيال عيد ولما يعود اليك من الحزن عيد قال الأعشى:

فَوَا كَيْدِي مِنْ لَأَعِجَ أَلْهَمَ وَالْهَوَى إِذَا أَعْتَادَ قَلْبِي مِنْ أَمِيمَةٍ عَيْدَهَا

وقال الليث العيد كل يوم مجمع قال العجاج «كما يعود العيد نصراني» قال المفضل عادي عيدي اي عادي وأشد: «عاد قلبي من انطوية عيد» وإنما قول تأبط شرا «ياعيد ما لك من شوق وبراء» فإنه أراد الخيال الذي يعتاده

✽ الأعراب ✽

تكون لنا في موضع النصب صفة لمائدة ولنا في موضع الحال لأن تقديره تكون عيدا لنا فقوله لنا صفة لعيد فلما تقدمه انتصب على الحال وقوله لأولنا وآخرنا بدل من قوله لنا

✽ المعنى ✽

ثم أخبر سبحانه عن سؤال عيسى «ع» إياه فقال (قال عيسى بن مريم) عن قومه لما التمسوا منه وقيل أنه إنما سأل ربه ذلك حين أذن له في السؤال (اللهم ربنا أنزل علينا مائدة) أي خواتنا عليه طعام (من السماء تكون لنا عيداً) قيل في معناه قولان ✽ أحدهما ✽ نتخذ اليوم الذي تنزل فيه عيداً نعتبه نحن ومن يأتي بعدنا عن السدي وقادة وابن جريج وهو قول أبي علي الجبائي والثاني ✽ ان معناه تكون عائدة فضل من الله علينا ونعمة منه لنا والأول هو الوجه (لأولنا وآخرنا) أي لأهل زماننا ومن يجيء بعدنا وقيل معناه يأكل منها آخر الناس كما يأكل أولهم عن ابن عباس (وآية منك) أي ودلالة منك عظيمة الشأن في ازعاج قلوب العباد إلى الاقرار ببدلوها والاعتراف بالحق الذي تشهد به ظاهرها تدل على توحيدهك وصحة نبوة نبيك (وارزقنا) أي واجعل ذلك رزقاً لنا وقيل معناه وارزقنا الشكر عليها عن الجبائي (وأنت خير الرازقين) وفي هذا دلالة على ان العباد قد يرزق بعضهم بعضاً لأنه لو لم يكن كذلك لم يصح ان يقال له سبحانه أنت خير الرازقين كما لا يجوز أن يقال أنت خير الالهة لما لم يكن غيره إلهاً (قال الله) مجيباً له إلى ما التسه (إني متأهلاً) يعني المائدة (عليكم) فمن يكفر بعد منكم) أي بعد إنزالها عليكم (فإني أعذبه عذاباً لا أعذبه احداً من العالمين) قيل في معناه اقوال ✽ أحدها ✽ انه أراد عالمي زمانه فجمد القوم فكفروا بعد نزولها فمسخروا قروداً وخنازير عن قتادة ودروي عن أبي الحسن موسى انهم مسخروا خنازير ✽ وثانيها ✽ انه أراد عذاب الاستهصال ✽ وثالثها ✽ انه أراد جنساً من العذاب لا يعذب به احداً غيرهم وإنما استحقوا هذا النوع من العذاب بعد نزول المائدة لأنهم

كفروا بعدما رأوا الآية التي هي من أجزر الآيات عن الكفر بعد سوء اللهم لها فاقتضت الحكمة اختصاصهم بغن من العذاب عظيم الموضع كما اختصت آيتهم بغن من الزجر عظيم الموضع

« القصة » -

اختلف العلماء في المائدة هل نزلت أم لا فقال الحسن ومجاهد انها لم تنزل وان القوم لما سمعوا الشرط استغفوا عن نزولها وقالوا لا نريدها ولا حاجة لنا فيها فلم تنزل والصحيح انها نزلت لقوله تعالى اني منزلها عليكم ولا يجوز ان يقع في خيره الخلف ولأن الأخبار قد استفاضت عن النبي (ص) والصحابة والتابعين انها نزلت قال كعب انها نزلت يوم الأحد ولذلك اتخذ النصارى عيداً واختلفوا في كيفية نزولها وما عليها فروي عن عمار بن ياسر عن النبي قال نزلت المائدة خبزاً ولحمًا وذلك لأنهم سألوا عيسى «ع» طعاماً لينفذ يأكلون منها قال فقيل لهم فإنها مقيمة لكم ما لم تخونوا وتخبأوا وترفوا فإن فعلتم ذلك عذبتم قال فامضى يومهم حتى خبأوا ورفعوا وخابوا وقال ابن عباس ان عيسى بن مريم قال لبني اسرائيل صوموا ثلاثين يوماً ثم اسألوا الله ما شئتم يعطيكم فصاموا ثلاثين يوماً فلما فرغوا قالوا يا عيسى انالو عملنا لخدمنا ققضنا عملنا لا طعمنا طعاماً واناصنا وجنا فداع الله أن ينزل علينا مائدة من السماء فأقبلت الملائكة بمائدة يحملونها عليها سبعة أرغفة وسبعة احوات حتى وضعوها بين ايديهم فأكل منها آخر الناس كما أكل أولهم وهو المروي عن ابي جعفر (ع) وروى عطاء بن السائب عن زاذان وميسرة قالوا كانت إذا وضعت المائدة لبني اسرائيل اختلف عليهم الأيدي من السماء بكل طعام إلا اللحم وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال أنزل على المائدة كل شيء إلا الخبز واللحم وقال عطاء نزل عليها كل شيء إلا السمك واللحم وقال عطية العوفي نزل من السماء سكة فيها طعم كل شيء وقال عمار وقتادة كان عليها ثمر من ثمار الجنة وقال قتادة كانت تنزل عليهم بكرة وعشيا حيث كانوا كالمسلمين والسلوي لبني اسرائيل وقال يان بن رثاب كانوا يأكلون منها ما شاءوا وروى عطاء بن ابي رباح عن سلمان الفارسي انه قال والله ما تبع عيسى شيئاً من المساوي قط ولا انتهر بيتياً ولا قهقه ضحكاً ولا ذبّ ذباباً عن وجهه ولا أخذ على انفه من شيء تنق قط ولا عث قط ولما سأله الخواريون ان ينزل عليهم المائدة لبس صوفاً وبكى وقال اللهم ربنا انزل علينا مائدة الآية فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين وهم ينظرون اليها وهي تهوي منقضة حتى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلاً وعقوبة واليهود ينظرون اليها ينظرون إلى شيء لم يدرأ منه شيء ولم يميزوا ريباً الحبيب بن رزينه فقام عيسى فتوضأ وصلى صلاة طويلة ثم كشف المنديل عنها وقال بسم الله خير الرازقين فإذا هو سكة مشوية ليس عليها فلوسها تسيل سيلاً من الدسم وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من انواع البقول ما عدا الكراث وإذا خمسة أرغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شعرون يا روح الله أمين طعام الدنيا هذا أم من طعام الآخرة فقال عيسى ليس شيء مما ترون من طعام الدنيا ولا من طعام الآخرة ولكنه شيء افتعله الله بالقدرة الغالبة كلوا ما سألتكم يمددكم ويزدكم من فضله فقال الخواريون يا روح الله لو أريتنا من هذه الآية اليوم آية أخرى فقال عيسى يا سكة احببي بأذن الله فاضطربت السكة وعاد عليها فلوسها وشوكها ففرغوا منها فقال عيسى ما لكم تسألون اشياء إذا اعطيتموها كرهتموها ما أخوفني عليكم أن تمذبوا يا سكة مودي كما كنت بأذن الله فعادت السكة مشوية كما كانت فقالوا يا روح الله كن اول من يأكل منها ثم تأكل نحن فقال عيسى معاذ الله أن آكل منها ولكن يأكل منها من سألها فظافروا أن يأكلوا منها فدعا لها عيسى أهل الفاقة والزمنى والمرضى والمبتلين فقال كلوا منها جميعاً ولكم المهنا ولنيركم البلاء فأكل منها الف وثلاثمائة رجل وامرأة من فقير ومريض ومبتلى وكلهم شعبان يتجشى ثم نظر عيسى إلى السكة فإذا هي كبيتها حين نزلت من السماء ثم طارت المائدة صعداً وهم ينظرون اليها حتى توارت

(١) جمع العوت (٢) وفي بعض النسخة «الماهة» بدل «الفاقة»

عنهم فلم يأكل منها يومئذ زمن إلا صح ولا مريض إلا أبرى، ولا فقير إلا استغنى ولم يزل غنيا حتى مات وندم الحواريون ومن لم يأكل منها وكانت إذا نزلت اجتمع الأغنياء والفقراء والصغار والكبار يتراحمون عليها فلما رأى ذلك عيسى جعلها نوبة بينهم فلبثت اربعين صباحا تنزل ضحى فلا تزال منصوبة يؤكل منها حتى فاء النبي طارت صعدا وهم ينظرون في ظلها حتى توارت عنهم وكانت تنزل غبا يوما ويوما لا فأوحى الله الى عيسى اجعل ما نذيتي للفقراء دون الأغنياء فعظم ذلك على الاغنياء حتى شكوا وشكوا الناس فيها فأوحى الله الى عيسى اني شرطت على المكذبين شرطا ان من كفر بعد نزولها أعذبه عذابا لا أعذبه احدا من العالمين فقال عيسى إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك انت العزيز الحكيم فسح منهم ثلاثمائة وثلاثة وثلاثون رجلا باتوا من ليلهم على فرشهم مع نسايتهم في ديارهم فأصبحوا خنازير يسعون في الطرقات والكناسات وياكلون العذرة في الحشوش فلما رأى الناس ذلك فزعوا الى عيسى وبكوا وبكى على المسوخين أهلهم فماشوا ثلاثة ايام ثم هلكوا وفي تفسير أهل البيت (ع) كانت المائدة تنزل عليهم فيجتمعون عليها وياكلون منها ثم ترتفع فقال كبارهم ومتفوههم لا ندع سفلتنا ياكلون منها معنا فرفع الله المائدة بينهم ومسحوا قرودة وخنازير

قوله تعالى (١١٦) وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ آلِهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّهِ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (١١٧) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١١٨) إِنْ تَعَذَّبْتَهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (ثلاث آيات)

✽ اللغة ✽

النفس تقع على وجوه فالنفس نفس الانسان وغيره من الحيوان وهي التي إذا فارقتها خرج من كونه حيا ومنه قوله كل نفس ذائقة الموت والنفس ايضا ذات الشيء الذي يخرج عنه كقولهم فعل ذلك فلان نفسه والنفس ايضا الإرادة كما في قول الشاعر

فَنَفْسَايَ نَفْسٌ قَالَتْ ائْتِي ابْنَ بَجْدَلٍ
وَنَفْسٌ تَقُولُ أَجْهَدُ بِحَالِكَ لَا تَكُنْ
تَجِدُ فَرَجًا مِنْ كُلِّ غَمٍّ تَهَابُهَا
كَخَاضِبَةٍ لَمْ يُغْنِ شَيْئًا خِضَابُهَا

وقال النمر بن تولب

أَمَا خَلِيلِي فَإِنِّي لَسْتُ مُعْجَلُهُ
نَفْسٌ لَهُ مِنْ نَفُوسِ الْقَوْمِ صَالِحَةٌ
حَتَّى يُؤَامِرَ نَفْسِيهِ كَمَا زَعَمُوا
تُعْطِي الْجَزِيلَ وَنَفْسٌ تَرْضَعُ الْغَنَاءَ

يريد انه بين نفسيين نفس تأمره بالجود واخرى تأمره بالبخل وكفى برضاع الغم عن البخل كما يقال لنيم راضع والنفس العين التي تصيب الانسان وروي ان رسول الله (ص) كان يرقى فيقول بسم الله ارقيك والله يشفيك من كل داء هو فيك من كل عين عاين ونفس نافر وحسد حاسد قال ابن الاعرابي النفوس الذي تصيب الناس

بالنفس وذكر رجلا فقال كان جسودا نفوسا كذوبا وقال ابن قيس الرقيات
يَتَّقِي أَهْلَهَا النَّفُوسَ عَلَيْهَا فَعَلِيَ فَمَحَرَّهَا الرَّقِيُّ وَالْتَمِيمُ

وقال مضر

وَإِذَا نَمَوْا صُعْدًا فَلَيْسَ عَلَيْهِمْ مِمَّا الْخِيَالُ وَلَا نَفُوسُ الْحَسَدِ

والنفس الغيب يقال اني لا علم نفس فلان اي غيبه وعلى هذا تأويل الآية ويقال النفس ايضا العقوبة وعليه حمل بعضهم قوله تعالى ويحذركم الله نفسه والرقيب اصله من الترقب والانتظار ومعناه الحافظ ورقيب القوم حارسهم والشهيد الشاهد لما يكون ويجوز ان يكون بمعنى العلم

✽ الاعراب ✽

حقيقة إذ ان يكون لما مضى وهذا معطوف على ما قبله فكأنه قال يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم وذلك إذ يقول يا عيسى وقيل انه تعالى إذا قال له ذلك حين رفعه اليه فيكون القول ماضيا عن البلخي وهذا قول السدي والصحيح الاول لأن الله عقب هذه الآية بقوله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم و اراد به يوم القيامة وإنما خرج هذا مخرج الماضي وهو للمستقبل تحقيقا لوقوعه كقوله تعالى ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ومثله قوله ولو ترى إذ فرعوا فلا فوت يريد اذ يفزعون وكذلك قوله ولو ترى إذ وقفوا على النار وقال ابو النجم

ثُمَّ جَزَاهُ اللَّهُ عَنِّي إِذْ جَزَى جَنَاتِ عَدْنِ فِي الْعَلَالِي الْمَلَا

من دون الله من زائدة مؤكدة للمعنى قوله إن كنت قلته المعنى إن اكن الان قلته فيا مضى وليس كان في معلى المعنى لأن الشرط والجزاء لا يقان إلا فيا يستقبل وحرف الجزاء يغير معنى المضي إلى الاستقبال لامحالة هذا قول المحققين وقوله ان اعبدا لله ذكر في محله وجوه **احدها** **ال** نصب بدل ما مررتني به **والثاني** ان يكون مجرورا لموضع بدلا من الها في به **الثالث** ان يكون ان مفسرة لما امر به بمعنى اي وعلى هذا فلا موضع لها من الاعراب

✽ المعنى ✽

ثم عطف سبحانه على ما تقدم من امر المسيح فقال (واذ قال الله) والمعنى إذ يقول الله يوم القيامة لميسى (يا عيسى بن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وامّي آلّهين من دون الله) هذا وان خرج مخرج الاستفهام فهو تقرّيع وتهديد لمن ادعى ذلك عليه من النصارى كما جرى في العرف بين الناس ان من ادعى على غيره قولا فيقال لذلك الغير بين يدي المدعى عليه ذلك القول أنت قلت هذا القول ليقول لا فيكون ذلك استعظاما لذلك القول وتكذيبا لقائله وذكر فيه وجه آخر وهو ان يكون تعالى اراد بهذا القول تعريف ميسى ان قوما قد اعتقدوا فيه وفي أمه انها إلهان لأنه يمكن ان يكون عيسى لم يعرف ذلك إلا في تلك الحال عن البلخي والاول اصح وقد اعترض على قوله إلهين فقيل لا يعلم في النصارى من اتخذ مريم إلهها والجواب عنه من وجوه **احدها** انهم لما جعلوا المسيح إلهها لم يظنوا ان يخلطوا والدته ايضا إلهها لان الولد يكون من جنس الوالدة فهذا على طريق الازمام لهم **والثاني** انهم لما عظموها تعظيم الالهة اطلق اسم الالهة عليهما كما اطلق اسم الرب على الرهبان والاحبار في قوله اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله لما عظموهم تعظيم الرب **الثالث** انه يحتل ان يكون فيهم من قال بذلك ويعضد هذا القول ما حكاه الشيخ ابو جعفر عن بعض النصارى انه قد كان فيا مضى قوم يقال لهم المريمية يعتقدون في مريم انها إله فعلى هذا يكون القول فيه كالقول في الحكاية عن اليهود وقولهم عزير ابن الله (قال) يعني عيسى (سبحانه) جل جلالك وعظمت وتعاليت عن عطا وقيل معناه تنزيها لك وبراءة مما لا يجوز عليك وقيل تنزيها لك من ان تبث رسولا يدعي إلهية لنفسه ويكفر بنعمتك

(١) العلالى جمع العلية وهي بيت منفصل عن الارض بيت ونحوه

فجمع بين التوحيد والمدلثم تبرأ من قول النصارى فقال (ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق) اي لا يجوز لي ان اقول لنفسي ما لا يحق لي فأمر الناس بعبادتي وانا عبد مثلهم وإنما تحق العبادة لك لقدرتك على اصول النعم ثم استشهد الله تعالى على براءته من ذلك القول فقال (إن كنت قلته فقد علمته) يريد اني لم اقله لأنني لو كنت قلته لما خفي عليك لأنك علام الغيوب (تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك) اي تعلم خبي وسري ولا اعلم غيبك وسرك عن ابن عباس وإنما ذكر النفس لمزاوجة الكلام والعادة جارئة بأن الإنسان يسر في نفسه فصار قوله ما في نفسي عبارة عن الاخفاء ثم قال ما في نفسك على جهة المقابلة وإلا فافاه منزّه عن ان يكون له نفس او قلب تحمل فيه المعاني ويقوى هذا التأويل قوله تعالى (إنك انت علام الغيوب) لأنه ظل علمه بما في نفس عيسى بأنه علام الغيوب وعيسى ليس كذلك فلذلك لم يعلم ما يختص الله بعلمه ثم قال حكاية عن عيسى في جواب ما قرره تعالى عليه (ما قلت لهم إلا ما امرتني به ان اعبدوا الله ربي وربكم) اي لم اقل للناس إلا ما امرتني به من الاقرار لك بالعبودية وانك ربي وربهم وإلهي وإلههم وامرتهم ان يعبدوك وحدك ولا يشركوا معك غيرك في العبادة (وكنت عليهم شهيدا) اي شاهدا (ما دمت) حيا (فيهم) بما شاهدته منهم وعلمته وبما ابلغتهم من رسالتك التي حملتها وامرتني بأدائها اليهم (فلما توفيتني) اي قبضتني اليك وأمتني عن الجاني وقيل معناه وفاة الرفع إلى السماء عن الحسن (كنت انت الرقيب) اي الحفيظ (عليهم) عن السدي وقناة (وانت على كل شيء شهيد) اي انت عالم بجميع الاشياء لا تخفى عليك خافية ولا ينسب عنك شيء قال الجاني وفي هذه الآية دلالة على انه امانت عيسى وتوفاه ثم رفعه اليه لانه بين انه كان شهيدا عليهم ما دام فيهم فلما توفاه الله كان هو الشهيد عليهم وهذا ضعيف لأن التوفي لا يستفاد من اطلاقه الموت الا ترى الى قوله الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيبين انه تعالى يتوفى الانفس التي لم تمت (إن تعذبهم فإنهم عبادك) لا يقدرون على دفع شيء من انفسهم (وان تغفر لهم فإنك انت العزيز الحكيم) في هذا تسليم الامر لملكه وتقويض إلى مديره وتبرؤ من ان يكون اليه شيء من امور قومه كما يقول الواحد منا إذا تبرأ من تديير امر من الامور ويريد تقويضه إلى غيره هذا الامر لا مدخل لي فيه فإن شئت فافعله وإن شئت فاتركه مع علمه وقطعه على ان احد الامرين لا يكون منه وقيل ان المعنى إن تعذبهم فبإقامتهم على كفرهم وان تغفر لهم فبتوبه كانت منهم عن الحسن فكأنه اشترط التوبة وان لم يكن الشرط ظاهرا في الكلام وإنما لم يقل فلونك انت الغفور الرحيم لأن الكلام لم يخرج مخرج السؤال ولو قال ذلك لأوهم الدعاء لهم بالمغفرة على ان قوله العزيز الحكيم ابلغ في المعنى وذلك ان المغفرة قد تكون حكمة وقد لا تكون والوصف بالعزيز الحكيم يشتمل على معنى الغفران والرحمة إذا كانا صوابين ويزيد عليهما باستيفاء معان كثيرة لأن العزيز هو المنيع القادر الذي لا يضام والقاهر الذي لا يرام وهذا المعنى لا يفهم من الغفور الرحيم والحكيم هو الذي يضع الأشياء مواضعها ولا يقل إلا الحسن الجليل فالمغفرة والرحمة ان اقتضتهما الحكمة دخلتا فيه وزاد معنى هذا اللفظ عليهما من حيث اقتضى وصفه بالحكمة في سائر افعاله

قوله تعالى (١١٩) قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْمَغْظِيمُ (١٢٠) لِلَّهِ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (آجِلَان)

﴿ القراءة ﴾

قرأ نافع وحده يوم ينفع بالنصب والباقون بالرفع

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي من رفع يوما جعله خبر المبتدأ الذي هو هذا و اضاف يوما إلى ينفع والجملة التي هي من المبتدأ أو الخبر في موضع نصب بأنه مفعول القول كما تقول قال زيد عمرو و اخوك ومن قرأ هذا يوم ينفع لحتمل امرين ﴿ احدهما ﴾ ان يكون مفعول قال تقديره قال الله هذا القصص او هذا الكلام يوم ينفع الصادقين صدقهم فيوم ظرف للقول وهذا اشادة إلى ما تقدم ذكره من قوله إذ قال الله يا عيسى بن مريم و جاء على لفظ الماضي وإن كان المراد به الآتي كما قال ونادى اصحاب الجنة ونحو ذلك وليس ما بعد قال حكاية في هذا الوجه كما كان اياها في الوجه الآخر ويجوز ان يكون المعنى على الحكاية وتقديره قال الله هذا يوم ينفع اي هذا الذي اقتصدنا يقع او يحدث يوم ينفع وخبر المبتدأ الذي هو هذا الظرف لانه اشارة إلى حدث وظروف الزمان تكون اخبارا عن الاحداث والجملة في موضع نصب بأنها في موضع مفعول قال ولا يجوز ان تكون في موضع رفع وقد فتح لأن المضاف اليه معرب وإنما يكتب البناء من المضاف اليه إذا كان المضاف اليه مبنيا والمضاف مبهما كما يكون ذلك في هذا الضرب من الاسماء اذا اضيف إلى ما كان مبنيا نحو ومن خزي يومئذ ومن عذاب يومئذ وصار في المضاف البناء للاضافة إلى المبني كما صار فيه الاستفهام للاضافة إلى المستفهم به نحو غلام من انت وكما صار فيه الجزاء نحو غلام من تضرب اضرب وليس المضارع في هذا كالماضي في نحو قوله

عَلَىٰ حِينٍ عَاتَبْتُ الْمَشِيبَ عَلَىٰ الصِّبَا
فَقَلْبْتُ أَلَّا أَصْحُ وَالشَّيْبَ وَارِعٌ (١)

لأن الماضي مبني والمضارع معرب وإذا كان معربا لم يكن شي يحدث من اجله البناء في المضاف والاضافة إلى الفعل نفسه في الحقيقة لا إلى مصدره ولو كانت الاضافة إلى المصدر لم بين المضاف لبناء المضاف اليه

﴿ المعنى ﴾

لما بين عيسى بطلان ما عليه النصارى (قال الله تعالى) هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم (يعني ما صدقوا فيه في دار التكليف لأن يوم القيامة لا تكليف فيه على احد ولا ينجز احد فيه إلا بالصدق ولا ينفع الكفار صدقهم في يوم القيامة إذا اتروا على انفسهم بسوء اعمالهم وقيل ان المراد بصدقهم تصديقهم لرسول الله تعالى وكتبه وقيل انه الصدق في الآخرة وانه ينفعهم لقيامهم فيه بحق الله فعلى هذا يكون المراد به صدقهم في الشهادة لانبيائهم بالبلاغ (لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدن فيها ابدا) اي دائمين فيها في نعم مقيم لا يزول (رضي الله عنهم) بما فعلوا (ورضوا عنه) بما اعطاهم من الجزاء والثواب (ذلك الفوز العظيم) هو ما يحصلون فيه من الثواب قال الحسن فازوا بالجنة ونجوا من النار ثم بين تعالى عظيم قدرته واتساع ملكته فقال (الله ملك السماوات والأرض وما فيهن) نزه تعالى نفسه عما قالت النصارى ان معه لها فقال الله ملك السماوات والأرض دون كل من سواه لقدرة عليه وحده وقيل ان هذا جواب لسؤال مضر في الكلام كأنه قيل من يعطيهم ذلك الفوز العظيم فقيل الذي له ملك السماوات والأرض وجمع السماوات ووحده الأرض تفخيا لشأن السماوات (وهو على كل شيء قدير) فهو يقدر على المدومات بأن يوجد لها وعلى الموجودات بأن يعدها وعلى كثير منها بأن يعيدها بعد الإفناء وعلى مقدورات غيره بأن يقدر عليها ويسنع منها وقيل معناه انه قادر على كل شيء يصح ان يكون مقدورا له كقوله خالق كل شيء عن ابي علي الجبائي

تم المجلد الثالث من مجمع البيان لعلوم القرآن ويتلوه المجلد الرابع بعون الله وتوفيقه
وقد تصدى تصحيحه والتعليق عليه الصبدان المتكلمان بحمد الله المتين الحاج السيد محمد الرضوي والسيد فضل الله البرقي

✽ تفسيرها ✽

لما ختم الله سورة المائدة بآية على كل شيء قدبر افتتح سورة الانعام بما يدل على كمال قدرته من خلق السموات والارض وغيره فقال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ (٢) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ آيتان عراقى شامى وثلاث آيات حجازى

✽ اللفظ ✽

العدل خلاف الجور وعدلت به غيره أي سويته به وعدلت عنه أي اعرضت وعدلت الشيء فاعتدل أي قومه فاستقام والأجل الوقت المضروب لانقضاء الأمد فأجل الإنسان وقت انقضاء عمره وأجل الدين محله وهو وقت انقضاء التأخير واصله التأخير يقال آجله تأجيلا ومعجله تعجيلا والآجل تقيض العاجل والامتراة المشكك واصله من مرأت الناقة إذا مسحت ضرعها لاستخراج اللبن ومنه ماراه يماريه مرأه ومماراة إذا استخرج ما عنده بالمناظرة فالامتراة استخراج الشبهة المشككة من غير حل

✽ المعنى ✽

بدأ الله تعالى هذه السورة بالحمد لنفسه اعلاما بأنه المستحق لجميع المحامد لأن اصول النعم وفروعها منه تعالى ولأن له الصفات العلى فقال (الحمد لله الذي خلق السموات والارض) يعنى اخترعها بما اشتملا عليه من عجائب الصنعة وبدائع الحكمة وقيل إنه في لفظ الخبر ومعناه الأمر أي احدثوا الله وإنما جاء على صيغة الخبر وإن كان فيه معنى الأمر لأنه ابلغ في البيان من حيث انه يجمع الأمرين وقد ذكرنا من معنى الحمد لله وتفسيره في الفاتحة ما فيه كفاية (وجعل الظلمات والنور) يعنى الليل والنهار عن السدي وجماعة من المفسرين وقيل الجنة والنار عن قتادة وإنما قدّم ذكر الظلمات لأنه خلق الظلمة قبل النور وكذلك خلق السموات قبل الارض ثم عجب سبحانه ممن جعل له شريكا مع ما يرى من الآيات الدالة على وحدانيته فقال (ثم الذين كفروا) أي جحدوا الحق (بربهم يعدلون) أي يسوون به غيره بأن جعلوا له اندادا مأخوذ من قولهم ما عدل بفلان احدا أي لانظير له عندى وقيل معنى يعدلون يشركون به غيره عن الحسن ومجاهد ودخول ثم في قوله ثم الذين كفروا دليل على معنى لطيف وهو أنه سبحانه انكر على الكفار العدل به وعجب المؤمنين من ذلك ومثله في المعنى قوله فيما بعد ثم انتم تمترون والوجه في التمجيب ان هؤلاء الكفار مع اعترافهم بأن اصول النعم منه وأنه هو الخالق والرازق عبدوا غيره ونقضوا ما اعترفوا به وأيضا فإنهم عبدوا مالا ينفع ولا يضر من الحجارة والموات (هو الذي خلقكم من طين) يعنى به آدم والمعنى انشأ اباكم واخترعه من طين وأنتم من ذريته فلما كان آدم أصلنا ونحن من نسله جاز أن يقول لنا خلقكم من طين (ثم قضى اجلا) أي كتب وقدر اجلا والقضاء يكون بمعنى الحكم وبمعنى الأمر وبمعنى الخلق وبمعنى الإتمام والإكمال (وأجل مسمى عنده) قيل فيه اقوال ✽ احدها ✽ أنه يعنى بالأجلين اجل الحياة إلى الموت واجل الموت إلى البعث وقيام الساعة عن الحسن وسعيد ابن المسيب وقتادة والضحاك واختاره الزجاج وروى أيضا عطاء عن ابن عباس قال قضى اجلا من مولده إلى

ماتته وأجل مسمى عنده من المات الى البعث لا يعلم ميقاته احد سواه فإذا كان الرجل صالحا واصل لرحمه زاد الله له في أجل الحياة ونقص من أجل المات الى البعث واذا كان غير صالح ولا واصل قصه الله من أجل الحياة وزاد في أجل البعث قال، وذلك قوله وما يمتر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب ﴿ وثانيها ﴾ انه الأجل الذي يمينا به اهل الدنيا إلى أن يموتوا وأجل مسمى عنده يعني الآخرة لأنه أجل دائم ممدود لا آخر له وإنما قال مسمى عنده لأنه مكتوب في اللوح المحفوظ في السماء وهو الموضع الذي لا يملك فيه الحكم على الخلق سواه عن الجبائي وهو قول سعيد بن جبير ومجاهد ﴿ وثالثها ﴾ ان اجلا يعني به اجل من مضى من الخلق وأجل مسمى عنده يعني به آجال الباقيين عن ابي مسلم ﴿ ورابعها ﴾ ان قوله قضى اجلا عني به النوم يقبض الروح فيه ثم يرجع إلى صاحبه عند اليقظة واجل مسمى عنده هو اجل موت الإنسان وهو المروي عن ابن عباس ويؤيده قوله وهرسل الاخرى إلى اجل مسمى وللاصل في الأجل هو الوقت فأجل الحياة هو الوقت الذي يكون فيه الحياة وأجل الموت أو القتل هو الوقت الذي يحدث فيه الموت أو القتل وما يعلم الله تعالى ان المكلف يعيش اليه لو لم يقتل لا يسمى اجلا حقيقة ويميز ان يسمى ذلك مجازاً وما جاء في الأخبار من ان صلة الرحم تزيد في العمر والصدقة تزيد في الأجل وان الله تعالى زاد في اجل قوم يونس وما اشبه ذلك فلا مانع من ذلك وقوله (ثم انتم تمترون) خطاب للكفار الذين شكوا في البعث والنشور واحتجاج عليهم بأنه سبحانه خلقهم وتلقاهم وتعلم من حال إلى حال وقضى عليهم الموت وهم يشاهدون ذلك ويقولون بأنه لا محيص منه ثم بعد هذا يشكون ويكذبون بالبعث ومن قدر على ابتداء الخلق فلا ينبغي ان يشك في انه يصح منه اعادتهم وبمشهم

قوله تعالى (٣) وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ (آية)

﴿ الإعراب ﴾

وهو الاشبه ان يكون ضمير القصة والحديث وتقديره الامر الله يعلم في السموات وفي الارض سركم وجهركم فالله مبتدأ ويعلم خبره وفي السموات وفي الارض في موضع النصب يعلم وسرکم مفعوله ايضا ولا يكون الظرف الذي هو الجار والمجرور منصوب بالموضع بالمصدر وان جعلنا الظرف متعلقا باسم الله جاز في قياس قول من قال ان اصل الله الإلهاء فيكون المعنى هو المعبود في السموات وفي الارض يعلم وتقديره الامر المعبود في السموات وفي الارض يعلم سرکم وجهركم ومن جعل اسم الله بمنزلة اسما الاعلام فلا يجوز ان يتعلق الظرف به إلا ان يقدر فيه ضربا من معنى الفعل ويجوز ان يكون هو مبتدأ والله خبره والعامل في قوله في السموات وفي الارض اسم الله على ما قلناه ويجوز ان يكون خبرا بعد خبر

﴿ المعنى ﴾

ثم عطف سبحانه على ما تقدم فقال (وهو الله في السموات وفي الارض يعلم سرکم وجهركم) فيه وجهه على ما ذكرناه في الاعراب فلي التقدير الاول يكون معناه الله يعلم في السموات وفي الارض سرکم وجهركم ويكون الخطاب لجميع الخلق لأن الخلق إما ان يكونوا ملائكة فهم في السماء او بشرًا او جنًا فهم في الارض فهو سبحانه عالم بجميع اسرارهم واحوالهم ومتصرفانهم لا يخفى عليه منها شيء ويقويه قوله ويعلم ما تكسبون اي يعلم جميع ما تعملونه من الخير والشر فيجازيكم على حسب اعمالكم وعلى التقدير الثاني

يكون معناه ان المعبود في السماوات وفي الأرض او المنفرد بالتدبير في السماوات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم فلا تخفى عليه منكم خافية ويكون الخطاب لبني آدم وان جعلت اسم الله علماً على هذا التقدير ثم علقته به قوله في السماوات وفي الأرض لم يميز وان علقته بمحذوف يكون خبر الله او حالاً عنه أو هم بأن يكون الباري سبحانه في محل تعالى عن ذلك علواً كبيراً وقال ابو بكر السراج ان الله وان كان اسماً علماً ففيه معنى الشاء والتعظيم الذي يقرب بهما من الفعل فيجوز أن يوصل لذلك بالمحل وتأويله وهو المعظم او نحو ذا في السماوات وفي الأرض ثم قال يعلم سركم وجهركم ومثل ذلك قوله سبحانه وهو الذي في السماء آله وفي الأرض آله قال الزجاج فلو قلت هو زيد في البيت والدار لم يميز إلا أن يكون في الكلام دليل على ان زيدا يدبر امر البيت والدار فيكون المعنى هو المدبر في البيت والدار ولو قلت هو المعتضد والخليفة في الشرق والغرب او قلت هو المعتضد في الشرق والغرب جاز وعلى مقتضى ما قاله ابو بكر والزجاج يكون في متعلقه بآدم عليه اسم الله ويكون هو الله مبتدأ وخبراً والمعنى وهو المنفرد بالآلية في السماوات وفي الأرض لا آله فهما غيره ولا مدبر لهما سواء وان جعلت في السماوات خبراً بعد خبر فيكون التقدير وهو الله وهو في السماوات وفي الأرض يعني انه في كل مكان فلا يكون إلى مكان اقرب منه إلى مكان ثم اخبر سبحانه عن هذا المعنى مبيئاً لذلك مؤكداً له بقوله يعلم سركم وجهركم اي الخفي المكتوم والظاهر المكشوف منكم (ويعلم ما تكسبون) والمعنى يعلم نياتكم واحوالكم واعمالكم وهذا الترتيب الذي ذكرته في معاني هذه الآية التي استنبطتها من وجود الاعراب مما لم اسبق اليه وهو في استقامة فصوله ومطابقة اصول الدين كما تراه لا غبار عليه وفيه دلالة على فساد قول من يقول بأن الله تعالى في مكان دون مكان تعالى عن ذلك وتقدس وفي قوله يعلم سركم وجهركم دلالة على انه عالم لنفسه لأن من كان عالماً يعلم لا يصح ذلك منه

قوله تعالى (٤) وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ (٥) فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءٌ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (آيات)

✽ الاعراب ✽

من الأولى مزيدة وهي التي تقع في النفي لاستغراق الجنس وموضعه رفع والثانية للتبعيض

✽ المعنى ✽

ثم اخبر سبحانه عن الكفار المذكورين في اول الآية فقال (وما تأتيهم من آية) اي لا تأتيهم حجة (من آيات ربهم) أي من حججه وبيئاته كأنشقاق القمر وآيات القرآن وغير ذلك من المعجزات (إلا كانوا عنها معرضين) لا يقبلونها ولا يستدلون بها على ما دلهم الله عليه من توحيده وصدق رسوله (فقد كذبوا بالحق لما جاءهم) اي بالحق الذي اتاهم به محمد (ص) من القرآن وسائر امور الدين (فسوف يأتيهم انباء) اي اخبار (ما كانوا به يستهزئون) والمعنى اخبار استهزائهم وجزاؤهم وهو عقاب الآخرة وقيل معناه سيعلمون ما يوئول اليه استهزؤهم عن ابن عباس والحسن وبه قال الزجاج ومعنى الاستهزاء اي بهام التفخيم في معنى التعقيب قوله تعالى (٦) أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمْكِنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَا مَنْ يَدُّونَهُمْ

وَأَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ (آية)

✽ اللغة ✽

القرن اهل كل عصر مأخوذ من اقترانهم في المصر قال الزجاج والقرن ثمانون سنة وقيل سبعون سنة قال والذي يقع عندي ان القرن اهل كل مدة كان فيها نبي أو كان فيها طبقة من اهل العلم قلت السنون او كثرت والدليل عليه قول النبي (ص) خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم والتمكين اعطاء ما به يصح الفعل كأننا ما كان من آله وغيرها والاقطار اعطاء القدرة خاصة ومفعول من اسماء المبالغة يقال ديمة مدرار اذا كان مطرها غزيرا داراً وهذا هو لم امرأة مذكار اذا كانت كثيرة الولادة لذلك كوروكذلك مثنث في الإناث واصل المدرار من در اللبن إذا قبل على الحالب منه شيء كثير ودرت السماء إذا امطرت والدر اللبن ويقال لله دره أي عمله وفي الهم لا در دره أي لا أكثر خبره

✽ الاعراب ✽

كم نصب باهلكنا لا بقوله يروا لأن الاستفهام له صدر الكلام فلا يعمل فيه ما قبله وهو تعليق ومضى التعليق أن الاستفهام ابطل عمل يرى في اللفظ وقد عمل في معناه وانتقل من الخبر إلى الخطاب في قوله ما لم تمكن لكم اتساعا في الكلام وقد قال مكانهم في الأرض وانما لم يقل ما لم تمكنكم لأن العرب تقول مكنته ومكنت له كما تقول نصحته ونصحت له

✽ المعنى ✽

ثم حذرهم سبحانه ما نزل بالأمم قبلهم فقال (ألم يروا) أي ألم يعلم هؤلاء الكفار (كم اهلكنا من قبلهم من قرن) أي من أمة وكل طبقة مقترنين في وقت قرن (مكانهم في الأرض ما لم تمكنكم) معناه جعلناهم ملوكا وأغنياء كأنه سبحانه اخبر النبي عنهم في صدر الكلام ثم خاطبه معهم وقال ابن عباس يريد اعطيناهم ما لم نعطيكم والمعنى وسعنا عليهم في كثرة العبيد والاموال والولاية والبسطة وطول العمر ونفاذ الامر وانتم تسمعون اخبارهم وترون ديارهم وآثارهم (وأرسلنا السماء عليهم مدرارا) قال ابن عباس يريد به الغيث والبركة والسماء معناه المطر هنا (وجعلنا الانهار) أي ماء الانهار (تجري من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم) ولم يكن ذلك عنهم شيئا لما طفوا واجترأوا علينا (وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين) أي خلقنا من بعد هلاكهم جماعة اخرى وفي هذه الآية دلالة على وجوب التفكير والتدبير واحتجاج على منكري البعث بأن من اهلك من قبلهم وأنشأ قوما آخرين قادر على ان يغيي العالم وينشئ عالما آخر ويبعد الخلق بعد الافناء

قوله تعالى (٧) وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا
إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ (آية)

✽ النزول ✽

نزلت في نصر بن الحرث وعبد الله بن ابي امية ونوفل بن خويلد قالوا يا محمد لن نؤمن بك حتى تأتينا بكتاب من عند الله ومعه اربعة من الملائكة يشهدون عليه انه من عند الله وانك رسول الله عن الكلي

﴿ المعنى ﴾

ثم اخبر سبحانه عن عنادهم فقال (ولو نزلنا عليك) يا محمد (كتابا في قرطاس) اي كتابة في صحيفة وأراد بالكتاب المصدر وبالقرطاس الصحيفة وقيل كتابا معلقا من السماء الى الأرض عن ابن عباس (فلمسوه بأيديهم) فمأينوا ذلك معاينة ومسوه بأيديهم عن قتادة وغيره قالوا اللمس باليد ابلغ في الاحساس من المعاينة ولذلك قال فلمسوه بأيديهم دون ان يقول فمأينوه (لقال الذين كفروا ان هذا الا سحرمبين) اخبر سبحانه انهم يدفون الدليل حتى لو أتاهم الدليل مدركا بالحس لنسبوا ذلك الى السحر لعظم عنادهم وقساوة قلوبهم وفي هذه الآية دلالة على ما يقوله اهل العدل في اللطف لأنه تعالى بين انه انما لم يفعل ما سأله حيث علم انهم لا يؤمنون عنده

قوله تعالى (٨) وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكَ لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يَنْظُرُونَ (٩) وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكَ لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ (١٠) وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتُمْ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (ثلاث آيات)

﴿ اللفظ ﴾

قال الزجاج قضي في اللفظ على ضروب كلها يرجع الى معنى انقطاع الشيء وتامه وقد ذكرنا معاني القضاء في سورة البقرة عند قوله اذا قضى امرأ فان يقول له كن فيكون يقال لبست الامر على القوم البسه لبسا اذا شبهته عليهم وجعلته مشكلا قال ابن السكيت يقال لبست عليه الامر اذا خلطته عليه حتى لا يعرف جبهته ومعنى اللبس منع النفس من ادراك الشيء بما هو كالستر له واصله من الستر بالثوب وهو لبس الثوب لانه يستر النفس يقال لبست الثوب البسه لباسا ولبسا والحقيق ما يشتمل على الإنسان من مكروه فعله يقال حاق بهم بحقيق حيقا وحيوقا وحيقانا بفتح الياء

﴿ المعنى ﴾

ثم اخبر سبحانه عن هؤلاء الكفار انهم قالوا (لولا) اي هلا (انزل عليه) اي على محمد (ملك) نشاهده فنصدقه ثم اخبر تعالى عن عظم عنادهم فقال (ولو انزلنا ملكا) على ما اقترحوه لما آمنوا به واقتضت الحكمة استئصالهم وان لا ينظروهم ولا يمهلمهم وذلك معنى قوله (لقضي الامر ثم لا ينظرون) اي لا هلكوا ببذاب الاستئصال عن الحسن وقتادة والسدي وقيل معناه لو انزلنا ملكا في صورته لقامت الساعة أو وجب استئصالهم عن مجاهد ثم قال تعالى (ولو جعلناه ملكا) أي لو جعلنا الرسول ملكا أو الذي ينزل عليه ليشهد بالرسالة كما يطلبون ذلك (لجعلناه رجلا) لأنهم لا يستطيعون أن يروا الملك في صورته لأن اعين الخلق تحار عن رؤية الملائكة الا بعد التجسم بالاجسام الكثيفة ولذلك كانت الملائكة تأتي الانبياء في صورة الانس وكان جبرائيل يأتي النبي (ص) في صورة دحية الكلبي وكذلك نبأ الخضم اذ تسوروا المحراب وإتيانهم ابراهيم ولوطا في صورة الضيفان من الآدميين (وللبسنا عليهم ما يلبسون) قال الزجاج كانوا هم يلبسون على ضعفيتهم في أمر النبي فيقولون إنما هذا بشر مثلكم فقال لو انزلنا ملكا فرأوا هم الملك رجلا لكان يلحقهم فيه من اللبس مثل ما لحق ضعفيتهم منهم اي فإنا طلبوا حال لبس لا حال بيان وهذا احتجاج عليهم بأن الذي طلبوه

لا يزيدم بيانا بل يكون الأمر في ذلك على ما هم عليه من الحيرة وقيل معناه ولو انزلنا ملكا لا عرفوه الا بالتفكر وهم لا يتفكرون فييقون في اللبس الذي كانوا فيه فاضاف اللبس الى نفسه لانه يقع عند انزاله الملائكة ثم قال سبحانه على سبيل التسلية لئيبه من تكذيب المشركين اياه واستهزائهم به (ولقد استهزى برسول من قبلك) يقول لقد استهزأت الأمم الماضية برسولها كما استهزأ بك قومك فلست بأول رسول استهزى به ولا هم اول امة استهزأت برسولها (فحاق بالذين سخروا منهم) اي فحل بالساخرين منهم (ما كانوا به يستهزون) من وعيد انبيائهم بما حل العقاب في الدنيا وقيل معنى حاق بهم احاط بهم عن الضحاك وهو اختيار الزجاج اي احاط بهم العذاب الذي هو جزاء استهزائهم فهو من باب حذف المضاف اذا جملت ما في قوله ما كانوا به يستهزون عبارة عن القرآن والشريعة وان جملت ما عبارة عن العذاب الذي كان يوعدم به النبي ان لم يؤمنوا استغثت عن تقدير حذف المضاف ويكون المعنى فحاق بهم العذاب الذي كانوا يسخرون من وقوعه

قوله تعالى (١١) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ

(١٢) قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لِيَجْزِيَكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٣) وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (ثلاث آيات)

الاعراب

قال الأخفش الذين خسروا انفسهم بدل من الكاف والميم في ليجمعنكم وقال الزجاج هو في موضع رفع على الابتداء وخبره فهم لا يؤمنون لأن ليجمعنكم مشتمل على سائر الخلق الذين خسروا انفسهم وغيرهم قال واللام في ليجمعنكم لام قسم فجائز أن يكون تمام الكلام كتب ربكم على نفسه الرحمة ثم استأنف فقال ليجمعنكم والمعنى والله ليجمعنكم وجائز أن يكون ليجمعنكم بدلا من الرحمة مفسراً لها لانه لما قال كتب ربكم على نفسه الرحمة فسر رحمته بأنه يهملهم الى يوم القيامة ليتوبوا

* المعنى *

ثم خاطب سبحانه نبيه (ص) فقال (قل) يا محمد هؤلاء الكفار (سيروا في الارض) أي سافروا فيها (ثم انظروا) والنظر طلب الادراك بالبصر وبالفكر وبالاستدلال ومعناه هنا فانظروا بابصار كوتفكروا بقلوبكم (كيف كان عاقبة المكذبين) المستهزئين وانما امرهم بذلك لأن ديار المكذبين من الأمم السالفة كانت باقية واخبارهم في الخسف والهلاك كانت شائعة فإذا سار هؤلاء في الارض وسموا اخبارهم وعابنوا آثارهم دعاهم ذلك الى الايمان وزجرهم عن الكفر والظن ثم قال (قل) يا محمد هؤلاء الكفار (لمن ما في السماوات والارض) أي الذي خلقها ام الاصنام فإن اجابوك قالوا لله والا (قل) انت (الله) أي ملكهما وخلقهما والتصرف فيهما كيف يشاء له (كتب على نفسه الرحمة) أي اوجب على نفسه الانعام على خلقه وقيل معناه اوجب على نفسه الثواب لمن اطاعه وقيل اوجب على نفسه الرحمة بانظاره عباده واماله ايام ليتداركوا ما فرطوا فيه ويتوبوا عن ماصيمهم وقيل اوجب على نفسه الرحمة لامة محمد بأن لا يذمهم عند التكذيب كما عذب من قبلهم من الأمم الماضية والقرون الخالية عند التكذيب بل يؤخرهم الى يوم القيامة

عن الكلبي (ليجمعنكم الى يوم القيامة) اي ليؤخرن جمعكم الى يوم القيامة فيكون تفسير الرحمة على ما ذكرناه ان المراد به امهال العاصي ليتوب وقيل ان هذا احتجاج على من انكر البعث والنشور ويقول ليجمعنكم الى اليوم الذي انكتموه كما تقول جمعت هؤلاء الى هؤلاء اي ضمت بينهم في الجمع يريد بجمع آخركم الى اولكم قرنا بعد قرن الى يوم القيامة وهو الذي (لا ريب فيه) وقيل معناه ليجمعن هؤلاء المشركين الذين خسروا انفسهم الى هذا اليوم الذي ييحدونه ويكفرون به عن الاخفش ويسأل عن هذا فيقال كيف يحذر المشركين بالبعث وهم لا يصدقون به والجواب انه جار مجرى الاكراه وايضا فإنه تعالى انما ذكر ذلك عقيب الدليل ويقال كيف نفى الرب مطلقا قال لا ريب فيه والكافر مرتاب فيه والجواب ان الحق حق وان ارتاب فيه المبطل وايضا فإن الدلائل تزيل الشك والريب فإن نعم الدنيا نعم المحسن والمسي فلا بد من دار يتميز فيه المحسن من المسي وايضا فقد صح ان التكليف تعريض للثواب واذا لم يمكن ائصال الثواب في الدنيا لأن من شأنه ان يكون صافيا من الشوائب فلا يكون مقترنا بالتكليف لأن التكليف لا يعرى من المشقة فلا بد من دار اخرى وايضا فإن التمكين من الظلم من غير انتصاف في العاجل وانزال الامراض من غير استحقاق ولا ابقاء عوض في العاجل توجب قضية العقل في ذلك ان يكون دار اخرى توفى فيها الاعراض ويتصف من المظلوم للظالم (الذين خسروا انفسهم) اي اهلكوها بارتكاب الكفر والعداوة (فهم لا يؤمنون) اي لا يصدقون بالحق ولما ذكر تعالى ملك السموات والارض عقبه بذكر ما فيهما فقال (وله ما سكن) اي وله كل متمكن ساكن (في الليل والنهار) خلقا وملكا وملكا وانما ذكر الليل والنهار هنا وذكر السموات والارض فيما قبل لأن الاول يجمع المكان والثاني يجمع الزمان وهما ظرفان لكل موجود فكأنه اراد الاجسام والاعراض وعلى هذا فلا يكون السكون في الآية ما هو خلاف الحركة بل المراد به الحلول كما قال ابن الاعرابي انه من قولهم فلان يسكن بلد كذا اي يحلّه وهذا موافق لقول ابن عباس وله ما استقر في الليل والنهار من خلق وقيل معناه ما سكن في الليل للاستراحة وتحرك في النهار للمعيشة وانما ذكر الساكن دون المتحرك لأنه اعم واكثر ولأن عاقبة التحرك السكون ولأن النعمة في السكون اكثر والراحة فيه اعم وقيل اراد الساكن والمتحرك وتقديره وله ما سكن وتحرك الا ان العرب قد تذكر احد وجهي الشيء وتحذف الآخر لان المذكور ينبت على المحذوف كقوله تعالى سراويل تقيمكم الحر والحر والبرد ومتى قيل لماذا ذكر السكون والحركة من بين سائر المخلوقات فالجواب لما في ذلك من التنبيه على حدوث العالم واثبات الصانع لأن كل جسم لا ينفك من الحوادث التي هي الحركة والسكون فإذا لا بد من محرك ومسكن لا ستواء الوجهين في الجواز ولما نبه على اثبات الصانع عقبه بذكر صفته فقال (وهو السميع العليم) والسميع هو الذي على صفة يصح لاجلها ان يسمع المسوعات اذا وجدت وهو كونه حيا لا آفة به ولذلك يوصف به فيما لم يزل والعليم هو العالم بوجوه التدابير في خلقه وبكل ما يصح ان يعلم وانما جعل الليل والنهار في هذه الآية كالمسكن لما اشتد عليه لأنه ليس يخرج منهما شيء فجمع كل الأشياء بهذا اللفظ القليل الحروف وهذا من افصح ما يمكن كما قال النابغة

فإنك كالليل الذي هو مدركي
وإن خلت أن المتأني عنك واسع
فجعل الليل مدركا له اذ كان مشتلا عليه

(١) المتأني كمنتهى : اسم مكان من انتأى من التأني بمعنى البعد يقول : انك كالليل الذي يدركني اين كنت و ان ابعد فسي الهرب فاذهب الى اقصى الارض لسعة ملكك

قوله تعالى (١٤) قُلْ أَغَيَّرَ اللَّهُ اتَّخَذُ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٥) قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (آياتان)

✽ القراءة ✽

روي في الشواذ قراءة عكرمة والاعمش ولا يطعم بفتح الياء ومعناه ولا يأكل

✽ اللفظة ✽

الفطرة ابتداء الخلقة قال ابن عباس ما كنت ادري معنى الفاطر حتى احتمم الي اعرابيان في بئر فقال احدهما انا فطرته اي ابتدأت حفرها واصل الفطر الشق ومنه اذا السماء انفطرت اي انشقت قال الزجاج فان قال قائل كيف يكون الفطر في معنى الخلق والانفطار في معنى الانشقاق قيل انها برجان الى شيء واحد لان معنى فطرهما خلقها خلقاً قاطماً

✽ الاعراب ✽

غير نصب لانه مفعول اتخذ ولياً مفعول ثان وقوله ان عصيت ربي فيه وجهان احدهما انه اعتراض بين الكلام كما يكون الاعتراض بالاقسام فعلى هذا لا موضع له من الاعراب والآخر انه في موضع نصب على الحال فكانه قيل اني اخاف عاصيا ربي عذاب يوم عظيم ويكون جواب الشرط محذوفاً على الوجهين جميعاً

✽ الترويل ✽

قيل ان اهل مكة قالوا لرسول الله يا محمد تركت ملة قومك وقد علمنا انه لا يملك على ذلك الا الفقير فاننا نجتمع لك من اموالنا حتى تكون من اغنانا فنزلت الآية

✽ المعنى ✽

(قل) يا محمد هو لاء المشركين الذين سبق ذكرهم (اغير الله اتخذ ولياً) اي مالكا ومولى وولي الشيء مالكة الذي هو اولى به من غيره والمعنى لا اتخذ غير الله ولياً الا ان اخراجه على لفظ الاستفهام ابلغ من سائر الفاظ النفي (فاطر السموات والارض) اي خالقها ومنشئها من غير احتذاء على مثال (وهو يطعم ولا يطعم) اي يرزق ولا يرزق والمراد يرزق الخلق ولا يرزقه أحد وقيل انما ذكر الاطعام لان حاجة العباد اليه أشد ولان نفيه عن الله ادل على نفي شبهه بالمخلوقين لان الحاجة الى الطعام لا تجوز الا على الاجسام واحتج سبحانه بهذا على الكفار لان من خلق السموات والارض وانشأ ما فيهما واحكم تديرهما واطعم من فيهما وهم فقراء اليه معلوم انه الذي ليس كمثلته شيء وهو القادر القاهر الغني الحي فلا يجوز لمن عرف ذلك ان يعبد غيره (قل) يا محمد (اني امرت) اي امرني ربي (ان اكون اول من اسلم) اي اسلم لا امر الله ورضي بحكمه وقيل معناه امرت ان اكون اول من اخلص العباد من اهل هذا الزمان عن الكليبي وقيل اول من اسلم من امتي وآمن بعد الفترة عن الحسن وانما كان اولاً لانه خص بالوحي وقيل معناه ان اكون اول من خضع وآمن وعرف الحق من قومي وان اترك ما هم عليه من الشرك ونظيره قول موسى سبحانه تبت اليك وانا اول المؤمنين اي بانك لا ترى ممن سألك ان تربيه نفسك وقول السحرة انا نطمع

ان يفر لنا ربنا خطايانا ان كنا اول المؤمنين بأن هذا ليس بسحر وانه الحق اي اول المؤمنين من السحرة (ولا تكونن من المشركين) المعنى امرت بالامرين جميعا اي امرت بالايمان ونهيت عن الشرك وتقديره وقيل لي لا تكونن من المشركين وصار امرت بدلا من ذلك لانه حين قال امرت اخبر انه قيل له ذلك فقوله ولا تكونن ممطوف على ما قبله في المعنى (قل) يا محمد (اني اخاف) قيل معناه او قن واعلم وقيل هو من الخوف (ان عصيت ربي) بترك امره وترك نهيه وقيل بعبادة غيره وقيل باتخاذ غيره وليا (عذاب يوم عظيم) يعني يوم القيامة ومعنى العظيم هنا انه شديد على العباد وعظيم في قلوبهم

قوله تعالى (١٦) من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه وذلك الفوز المبين (آية)

✽ القراءة ✽

قرأ حمزة والكسائي وخلف ويعقوب وابو بكر عن عاصم من يصرف بفتح الباء وكسر الراء والباقون

✽ الحجة ✽

بصرف بضم الباء وفتح الراء

قال ابو علي فاعل يصرف الضمير العائد الى ربي وينبغي ان يكون حذف الضمير العائد الى العذاب والمعنى من يصرفه عنه وكذلك في قراءة ابي فيما زعموا وليس حذف هذا الضمير بالسهل وليس بمنزلة الضمير الذي يحذف من الصلة لأن من جزاء ولا يكون صلة على ان الضمير إما يحذف من الصلة اذا عاد الى الموصول نحو هذا الذي بعث الله رسولا وسلام على عباده الذين اصطفى اي بعثهم واصطفاهم ولا يعود الضمير المحذوف هنا الى موصول ولا الى من التي للجزاء وإنما يرجع الى العذاب في قوله عذاب يوم عظيم وليس هذا بمنزلة قوله والحافظين فروجهم والحافظات لأن هذا فعل واحد قد تكررت وعدتي الأول منها الى المفعول فلم بتعدية الأول ان الثاني بمنزلة وأما قراءة من قرأ يصرف فالمسند اليه الفعل المبني للمفعول ضمير العذاب المتقدم ذكره والذي العائد الى المتبدا الذي هو من في القراءتين جميعا الضمير الذي في عنه ومما يقوي قراءة من قرأ يصرف بفتح الراء ان ما بعده من قوله فقد رحمه مسند الى ضمير اسم الله تعالى فقد اتفق الفعلان في الإسناد الى هذا الضمير ومما يقرئ ذلك ايضا ان الهاء المذوقه من يصرفه كانت في حيز الجزاء وكان ما في حيزه في أنه لا يتسلط على ما تقدمه بمنزلة ما في الصلة في أنه لا يجوز ان يتسلط على الموصول حسن حذف الهاء منه كما حسن حذفها من الصلة

➤ المعنى ➤

(من يصرف) العذاب (عنه يومئذ فقد رحمه) الله يريد من غفر له فإنه يثيبه الله لا محالة وذكر سبحانه الرحمة مع صرف العذاب لثلاث يوم انه ليس له الا صرف العذاب عنه فقط (وذلك الفوز) اي الظفر بالبيعة (المبين) الظاهر البين ويحتمل ان يكون معنى الآية انه لا يصرف العذاب عن أحد الا برحمة الله كما روي ان النبي (ص) قال والذي نفسي بيده ما من الناس أحد يدخل الجنة بعمله قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا أنا الا ان يتخذني الله برحمة منه وفضل ووضع يده على فوق رأسه وطولك بها صوته رواه الحسن في تفسيره قوله تعالى (١٧) وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٨) وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (آياتان)

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه انه لا يملك النفع والضرراً الا هو فقال (وان يمسك الله بضر) اي ان يمسك بفقر او مرض او مكروه (فلا كاشف له الا هو) اي لا مزيل ولا مفرج له عنك الا هو ولا يملك كشفه سواء ما يبعده المشركون (وان يمسك بخير) اي وان يصيبك بفضي او سعة في الرزق او صحة في البدن او شيء من محاب الدنيا (فهو على كل شيء) من الخير والضر (قدير) ولا يقدر احد على دفع ما يريد له باده من مكروه او محبوب فان قيل ان المس من صفات الاجسام فكيف قال ان يمسك الله قلنا الباء للتعدي والمراد ان امسك الله ضراً ابي جعل الضر يمسك فالفضل للضر وان كان في الظاهر قد اسند الى اسم الله تعالى والضر اسم جامع لكل ما يتضرر به من المكروه كما ان الخير اسم جامع لكل ما ينتفع به (وهو القاهر) ومعناه القادر على ان يقهر غيره (فوق عباده) معنى فوق هنا قهره واستملاؤه عليهم فهم تحت تسخيرهم وتذليله بما علاهم به من الاقتدار الذي لا ينفك منه احد ومثله قوله تعالى يد الله فوق ايديهم يريد انه اقوى منهم (وهو الحكيم الخبير) معناه انه مع قدرته عليهم لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة والخبير العالم بالشيء وتأويله انه العالم بما يصح ان يخبره والخبر عليك بالشيء تقول لي به خبر اي علم واصله من الخبر لانه طريق من طرق العلم فاذا كان القاهر على ما ذكرناه بمعنى القادر صح وصفه سبحانه فيالم يزل بانه قاهر وقال بعضهم لا يسمى قاهراً الا بعد ان يقهر غيره فعلى هذا يكون من صفات الافعال فلا يصح وصفه فيالم يزل به

قوله تعالى (١٩) قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأَوْحَىٰ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَ كُمْ بِهِ وَمَن بَلَغَ أَتَيْنَكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (٢٠) الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (آيتان)

— الاعراب —

شهادة نصب على التمييز ومن بلغ في محل نصب بالانذار والمائد الى الموصول محذوف وائتكم كتب بالياء لان الهمزة التي قبلها همزة تخفف بان تجعل بين وبين فاذا كانت مكسورة تجعل بين الهمزة والياء فكتب بالياء الذين آتيناهم الكتاب رفع بالابتداء ويعرفونه خبره الذين خسروا انفسهم رفع بكونه نعتا للذين الاولى ويجوز ان يكون رفعاً بالابتداء وقوله فهم لا يؤمنون خبره

﴿ النزول ﴾

قال الكلبي اتى اهل مكة رسول الله (ص) فقالوا اما وجد الله رسولا غيرك ما نرى احدا يصدقك فيما تقول ولقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا انه ليس لك عندهم ذكر فأرنا من يشهد انك رسول الله كما تزعم فانزل الله تعالى هذه الآية

﴿ المعنى ﴾

(قل) يا محمد لهؤلاء الكفار (اي شيء أكبر) اي اعظم (شهادة) واصلح حتى آتيتكم به وادلكم بذلك على اني صادق وقيل معناه اي شيء أكبر شهادة حتى يشهد لي بالبلاغ عليكم بالتكذيب عن الجبائي وقيل

معناه أي شيء أعظم حجة وأصدق شهادة عن ابن عباس فإن قالوا الله والاقبل لهم (الله شهيد بيني وبينكم) يشهد لي بالرسالة والنبوة وقبل معناه يشهد لي بتبليغ الرسالة إليكم وتكذيبكم أبائي (وأوحى إليّ هذا القرآن) أي أنزل إليّ حجة أو شهادة على صدقي (لا أنذركم به) أي لا أخوفكم به من عذاب الله تعالى (ومن بلغ) أي ولا أخوف به من بلغه القرآن إلى يوم القيامة وروى الحسن في تفسيره عن النبي (ص) أنه قال من بلغه أني ادعو إلى أن لا إله إلا الله فقد بلغه يعني بلغته الحجة وقامت عليه وقال محمد بن كعب من بلغه القرآن فكأنما رأى محمداً وسمع منه وقال مجاهد حيث ما يأتي القرآن فهو داعٍ ونذير وقرأ هذه الآية وفي تفسير العياشي قال أبو جعفر وأبو عبد الله (ع) من بلغ معناه من بلغ أن يكون إماماً من آل محمد فهو ينذر بالقرآن كما أنذر به رسول الله (ص) وعلى هذا فيكون قوله ومن بلغ في موضع رفع عطفاً على الضمير في أنذر وفي الآية دلالة على أن الله تعالى يجوز أن يسمى شيئاً لأن قوله قل أي شيء أكبر شهادة جاء جوابه قل الله ومعنى الشيء إنه ما يصح أن يعلم ويخبر عنه فالله سبحانه شيء لا كالأشياء بمعنى أنه معلوم لا كالمعلومات التي هي الجواهر والأعراض والاشترائك في الأسماء لا بوجوب التماثل وفي قوله ومن بلغ دلالة على أنه خاتم الأنبياء ومبعوث إلى الناس كافة ثم قال سبحانه مؤتخا لهم قل يا محمد لهم (أنتم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى) هذا استفهام معناه الجحد والإنكار وتقديره كيف تشهدون أن مع الله آلهة أخرى بعد وضوح الأدلة وقيام الحجة بوحدانية الله تعالى وإنما قال أخرى ولم يقل آخر لأن الآلهة جمع والجمع مؤنث فهو كقوله والله الأسماء الحسنی وقوله فما بال القرون الأولى ولم يقل الأولى ثم قال سبحانه لنبية (قل) أنت يا محمد (لا أشهد) بمثل ذلك وإن شهدتم بإثبات الشريك لله بعد قيام الحجة بوحدانية الله تعالى والشاهد هو المبين لدعوى المدعي ثم قال (قل) يا محمد لمن شهد أن معه الهة أخرى (إنما هو إله واحد وأنني بريء مما تشركون) به وبعبادته من الأوثان وغيرها ولهذا قال أهل العلم يستحب لمن أسلم ابتداءً أن يأتي بالشهادتين ويتبرأ من سائر سوا الإسلام ثم ذكر سبحانه أن الكفار بين جاهل ومعانده فقال (الذين آتيناكم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم) بحالهم في سورة البقرة (الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون) مفسر في هذه السورة فإن حملته على أنه صفة للذين الأولى فالمعنى به أهل الكتاب وإن حملته على الابتداء فإنه يتناول جميع الكفار وقال أبو حمزة الثمالي لما قدم النبي (ص) المدينة قال عمر لعبد الله ابن سلام إن الله تعالى أنزل على نبيه (ص) أن أهل الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم كيف هذه المعرفة قال عبد الله بن سلام نعرف نبي الله بالنعمة الذي نعمة الله إذا رأينا فيكم كما يعرف أحدنا ابنه إذا رآه بين الغلمان وإيم الله الذي يحلف به ابن سلام لأننا بمحمد أشد معرفة مني بابني فقال له كيف قال عبد الله عرفه بما نعمة الله لنا في كتابنا فاشهد أنه هو فأما بني فإني لا أدري ما أحدثت أمه فقال قد وفقت وصدقت وأصبحت

قوله تعالى (٢١) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ

الظَّالِمُونَ (٢٢) وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمْ الَّذِينَ

كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (آيات)

* القراءة *

ويوم يحشرهم ثم يقرن بالياء فيها قراءة يعقوب وحده وكذلك في الفرقان وفي سبأ وقرى في سائر القرآن بالنون وقرأ حفص هنا وفي يونس بالنون وفي سائر القرآن بالياء وقرأ ابو جعفر وابن كثير في الفرقان بالياء وفي سائر القرآن بالنون وقرأ الباقر بالنون في جميع القرآن

* الحجة *

من قرأ بالياء رده الى الله في قوله على الله كذبا ومن قرأ بالنون ابتداء والياء في المعنى كالنون

* الاعراب *

يوم نحشرهم العامل فيه محذوف على معنى واذا ذكر يوم نحشرهم وقيل إنه معطوف على محذوف كأنه قيل لا يفلح الظالمون أبداً ويوم نحشرهم والمائد الى الموصول محذوف من الذين كنتم تزعمون وتقديره تزعمون انهم شركاء او تزعمونهم شركاء فحذف مفعولي الزعم لدلالة الكلام وحالة السؤال عليه

* المعنى *

ثم بين سبحانه ما يلزمهم من التوبيخ والتهجين بالاشراك فقال (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا) معناه ومن أكفر ممن اخلق على الله كذبا فأشرك به الآلهة عن ابن عباس وهذا استفهام معناه الجحد أي لأحد أظلم منه لأن جوابه كذلك فاكتمى من الجواب بما يدل عليه (او كذب بآياته أي بالقرآن وبمحمد ومعجزاته) انه لا يفلح الظالمون) أي لا يفوز برحمة الله وثوابه ورضوانه ولا بالنجاة من النار الظالمون والظالم ههنا هو الكافر بنبوته محمد (ص) المكذب بآياته الجاحد لما يقوله ما نصب الله آية على نبوته (ويوم نحشرهم جميعا) عنى بهم من تقدم ذكرهم من الكفار لأنه سبحانه يحشرهم يوم القيامة من قبورهم الى موضع الحساب (ثم يقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون) اختلف في وجه هذا السؤال فقيل ان المشركين اذا رأوا تجاوز الله تعالى عن أهل التوحيد قال بعضهم لبعض اذا سئلتم قولوا انا موحدون فلما جمعهم الله قال لهم أين شركاؤكم ليعلموا ان الله يعرف انهم أشركوا به في دار الدنيا وانه لا ينفعهم الكتمان عن مقاتل وقيل ان المشركين كانوا يزعمون أن آلهتهم تشفع لهم عند الله فقيل لهم يوم القيامة أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون انها تشفع لكم تبيخا لهم وتبكيها على ما كانوا يدعون عن أكثر المفسرين وإنما أضاف الشركاء اليهم لأنهم اتخذوها لأنفسهم ومعنى تزعمون تكذبون قال ابن عباس وكل زعم في كتاب الله كذب وفي هذه الآية دلالة واضحة على بطلان مذهب الجبر وعلى إثبات المعاد وحشر جميع الخلق

قوله تعالى (٢٣) ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين (٢٤) أنظر

كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون (آياتان)

* القراءة *

قرأ أهل المدينة وابو عمرو وابو بكر عن عاصم وخلف ثم لم تكن بالياء فتنتهم بالنصب وقرأ ابن كثير وابن عامر وحفص عن عاصم ثم لم تكن بالياء أيضا فتنتهم بالرفع وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب ثم لم يكن بالياء فتنتهم بالنصب وقرأ حمزة والكسائي وخلف والله ربنا بالنصب وقرأ الباقر بالجر

* الحجة *

من قرأ تكن بالياء فتنتهم بالنصب فإنه أنث ان قالوا لما كان القول الفتنة في المعنى كما قال فله عشر أمثالها

فَأَنْتَ الْإِمْتَالُ مَا كَانَتْ فِي الْمَعْنَى الْحَسَنَاتِ وَمَا جَاءَ فِي الشَّرْحِ قَوْلَ لَبِيدٍ
فَمَضَى وَقَدَّمَهَا وَكَانَتْ عَادَةً مِنْهُ إِذَا هِيَ عَرَدَتْ إِقْدَامَهَا^(١)

فَأَنْتَ الْإِقْدَامُ مَا كَانَتْ الْعَادَةُ فِي الْمَعْنَى قَالَ الزَّجَّاجُ وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ تَأْوِيلُ إِلَّا أَنْ قَالُوا الْإِقْدَامُ وَمَنْ قَرَأَ لَمْ تَكُنْ بِالتَّاءِ فَتَنَتُهُمْ رَفَعًا اثْبَتَ عِلْمَ التَّائِيثِ فِي الْفِعْلِ الْمُسْتَدِ إِلَى الْفِتْنَةِ وَالْفِتْنَةُ مَوْنَةٌ وَعَلَى هَذِهِ الْقِرَاءَةِ يَكُونُ قَوْلُهُ إِلَّا أَنْ قَالُوا فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ بِكُونِهِ خَبْرَ كَانٍ وَمَنْ قَرَأَ لَمْ يَكُنْ بِالْيَاءِ فَتَنَتُهُمْ نَصْبًا فَعَلِيَ أَنْ قَالُوا اسْمٌ كَلَنَ وَالْأُولَى وَالْآخِرَى أَنْ يَكُونَ فَتَنَتُهُمْ نَصْبًا وَإِنْ قَالُوا الْاسْمُ لِأَنَّ أَنْ إِذَا وَصَلَتْ لَمْ تُوصَفْ فَاشْبَهَتْ بِامْتِنَاعِ وَصْفِهَا الْمَضْرُوكَا أَنْ الْمَضْرُوكَا إِذَا كَانَ مَعَ الْمَظْهَرِ كَانَتْ أَنْ يَكُونَ الْمَضْرُوكَا اسْمًا أَحْسَنَ، فَكَذَلِكَ أَنْ إِذَا كَانَتْ مَعَ اسْمٍ غَيْرِهَا كَانَتْ، أَنْ يَكُونَ الْاسْمُ أَوْلَى وَأَمَّا مَنْ قَرَأَ وَهُوَ رَبَّنَا فَانَّهُ جَعَلَ الْاسْمَ الْمُضَافَ وَصْفًا لِلْمَفْرُودِ وَمِثْلَ ذَلِكَ رَأَيْتُ زَيْدًا صَاحِبًا وَقَوْلُهُ مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ جَوَابٌ لِلْقِسْمِ وَمَنْ قَرَأَ رَبَّنَا بِالنَّصْبِ فَصَلَّ بِالْإِسْمِ الْمُنَادَى بَيْنَ الْقِسْمِ وَالْمَقْسَمِ عَلَيْهِ وَالْفَصْلُ بِهِ لَا يَبْتَنِعُ وَقَدْ فَصَّلَ بِالنَّدَاءِ بَيْنَ الصَّلَةِ وَالْمُرُوصِ لِكَثْرَةِ النَّدَاءِ فِي الْكَلَامِ وَذَلِكَ مِثْلُ قَوْلِ الشَّاعِرِ

ذَلِكَ الَّذِي وَأَبِيكَ يُعْرِفُ مَا لِيكَ وَالْحَقُّ يَدْفَعُ تُرَاهَاتِ الْبَاطِلِ^(٢)

ويجوز ان يكون نصبه على المدح بمعنى اعني ربنا واذكر ربنا

✽ اللغة ✽

قال الازهري جماع الفتنة في كلام العرب الامتحان مأخوذ من قولك فتنت الذهب والنقطة اذا ذبت بها بالنار واحرقتهما وقد تن الرجل بالمرأة واقتنن وقد فتنته المرأة واقنتته قال الشاعر

لَئِنْ فَتَّنْتِي لَهَيَّ بِالْأُنْسِ أَقْنَتِ عَقِيلًا فَأَمْسَى قَدْ قَلَى كُلَّ مُسْلِمٍ^(٣)

✽ الإعراب ✽

العامل في كيف قوله كذبوا ولا يجوز ان يعمل فيه انظر لأن الاستفهام له صدر الكلام فلا يجوز ان يعمل فيه ما قبله

✽ المعنى ✽

ثُمَّ بَيْنَ سَبْحَانَهُ جَوَابُ الْقَوْمِ عِنْدَ تَوَجُّهِ التَّوْبِيخِ إِلَيْهِمْ فَقَالَ (ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتَنَتُهُمْ) اِخْتَلَفَ فِي مَعْنَى الْفِتْنَةِ هُنَا عَلَى وَجْهِهِ أَحَدَاهَا ◀ ان معناها ثم لم يكن جوابهم لانهم حين سئلوا اختبر ما عندهم بالسؤال فلم يكن الجواب عن ذلك الاختبار إلا هذا القول ▶ وثانيها ◀ ان المراد لم يكن معذرتهم (الا ان قالوا) عن ابن عباس وقتادة وهو المروي عن ابي عبد الله (ع) وهذا راجع الى معنى الجواب (ايضا) ▶ وثالثها ◀ ما قاله الزججاج ان تأويله حسن لطيف لا يعرفه إلا من عرف معاني الكلام وتصرف العرب في ذلك والله عز وجل ذكر في هذه الاقاصيص التي جرت من امر المشركين وانهم مفتنون بشركهم ثم اطم انه لم يكن افتنانهم بشركهم واقامتهم عليه الا ان تبرأوا منه وانتفوا منه فعلقوا انهم ما كانوا مشركين ومثل ذلك في اللغة ان ترى انسانا يحب غايبا فلماذا وقع في هلكة تبرأ منه فتقول له ما كانت محبتك فلانا الا ان افتنتت منه فافتنت هاهنا بمعنى الشرك والافتتان بالأوثان ويؤيد ذلك ما رواه عطاء عن ابن عباس قال فتنتهم يريد شركهم في الدنيا وهذا القول في التأويل يرجع الى حذف المضاف لأن المعنى لم يكن عاقبة فتنتهم إلا البراءة منها بقولهم (والله ربنا ما كنا مشركين) ويسأل فيقال كيف يجوز ان يكذبوا في الآخرة ويحلفوا على الكذب والدار ليست بدار تكليف وكل الناس ملجئون فيها الى ترك التبعيض لمشاهدة الحقائق وزوال عوارض الشبه والشكوك ولعرفتهم بالله سبحانه ضرورة والجواب ان معناه ما كنا مشركين في الدنيا عند انفسنا وفي اعتقادنا وتقديرنا وذلك ان

(١) قوله عردت اي انهزمت (٢) اي ان يكون «ان» الاسم اولى . (٣) الترهات : الطرق الصغار غير العبادة تشعب عنها واستعير في الباطل (٤) قلى الرجل : ابغضه .

المشركين في الدنيا يمتدنون كونهم مصيبين فيحلفون على هذا في الآخرة فطى هذا يكون قولهم وحلفهم يقمان على وجه الصدق وقيل ايضاً انهم انما يحلفون على ذلك ازوال عقولهم بما يلحقهم من الدهشة من احوال القيامة ثم ترجع عقولهم فيقرون ويعترفون ويجوز ان ينسوا اشراكهم في الدنيا بما يلحقهم من الدهشة عند مشاهدة تلك الاحوال (انظر) المعنى يقول الله تعالى عند حلف هؤلاء انظر يا محمد (كيف كذبوا على انفسهم) وهذا وان كان لفظه لفظ الاستفهام فالمراد به التنبيه على التعجب منهم ومعناه انظر الى اخباري عن افترائهم كيف هو فإنه لا يمكن النظر الى ما يوجد في الآخرة وانما كذبهم الله سبحانه في قولهم وان كانوا صادقين عند انفسهم لأن الكذب هو الاخبار بالشئ لا على ما هو به علم المخبر بذلك او لم يعلم فلما كان قولهم ما كنا مشركين كذباً في الحقيقة جازان يقال كذبوا على انفسهم وقيل معناه انظر كيف كذبوا على انفسهم في دار الدنيا لانهم كذبوا في الآخرة لانهم كانوا مشركين على الحقيقة وان اعتقدوا انهم على الحق عن الحيائي (وضل عنهم ما كانوا يفترون) اي ضلت عنهم اوثانهم التي كانوا يعبدونها ويفترون الكذب بقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله غدا فذهبت عنهم في الآخرة فلم يجدوها ولم ينتفعوا بها عن الحسن وقيل انه عام في كل ما يعبد من دون الله تعالى انها تضل عن عابديها يوم القيامة ولا تعني عنهم شيئاً واختلف اهل العدل في ان اهل الآخرة هل يجوز ان يقع منهم الكذب فالأصح انه لا يجوز على ما قلناه وقال بعضهم يجوز ذلك لما يلحقهم من الدهش والحيرة في القيامة فاذا استقر اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار فحينئذ لا يجوز ان يقع منهم القبيح والكذب ويكون جميعهم ملجئين الى ترك القبيح وبه قال ابوبكر بن الاخشيذ واصحابه وقال بعضهم انه يجوز وقوعه منهم على جميع الاحوال

قوله تعالى (٢٥) وَمِنْهُمْ مَن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْا كَلِمًا أَبَةً لَّا يُؤْمِنُوبَهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاؤُكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِن هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (آية)

❖ اللفظة ❖

الأكِنَّة جمع كنان وهو ما وقى شيئاً وسدته مثل عنان وأعنة قال الليث كل شيء وقى شيئاً فهو كنانه وكنته والفعل منه كننت وأكننت والكننة امرأة الابن او الاخ لأنها في كِنْتِه واستكن الرجل من الحر واكنن استتر والوقر الثقل في الأذن والوقر بكسر الواو الحمل قال ابو زيد وقرت أذنه توقر وقرأ وقال الكسائي وقرت أذنه فهي موقورة قال الشاعر

وَكَلَامٍ سَيِّئٍ قَدْ وَقَرَّتْ
أَذُنِي مِنْهُ وَمَا بِي مِنْ صَمَمٍ

واساطير واحدها اسطورة واسطورة مأخوذ من سطر الكتاب وهو سطر وسطر فمن قال سطر جمع اساطير ومن قال سطر فجمع في القليل أسطر والكثير سطور وقال روية

إِنِّي وَأَسْطَارٍ سَطْرُنَ سَطْرًا
لِقَائِلُ يَا نَصْرُ نَصْرًا نَصْرًا

وجمع اسطار اساطير قال الزجاج وتأويل السطر في اللغة ان تجمل شيئاً ممتداً مؤلفاً قال الاخفش اساطير جمع لا واحد له نحو ابايل ومذاكير وقال بعضهم واحد الأبايل إبييل بالتشديد وكسر الألف والجدال الخصومة سمي بذلك لشدة وقيل انه مشتق من الجدالة وهي الأرض لأن احدها يلقي صاحبه على الأرض

❖ الإعراب ❖

ان يفقهوه موضعه نصب على انه مفعول له المعنى لكراهة ان يفقهوه فلما حذف اللام نصبت الكراهة ولما حذف الكراهة انتقل نصبها الى أن قاله الزجاج يريد انه حذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه ويجادلونك في

موضع نصب على الحال

* النزول *

قيل ان نفرا من مشركي مكة منهم النضر بن الحارث وابو سفيان بن حرب والوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة وأخوه شيبة وغيرهم جلسوا الى رسول الله (ص) وهو يقرأ القرآن فقالوا لانضر ما يقول محمد فقال أساطير الأولين مثل ما كنت أحدثكم عن القرون الماضية فأنزل الله هذه الآية

* المعنى *

ثم وصف الله سبحانه حالهم عند استماع القرآن فقال (ومنهم) اي ومن الكفار الذين تقدم ذكرهم (من يستمع اليك) يريد يستمعون الى كلامك قال مجاهد يعني قريشا (وجعلنا على قلوبهم أكنة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا) قد ذكرنا الكلام فيه في سورة البقرة عند قوله ختم الله على قلوبهم وقال القاضي ابو عاصم العامري أصح الأقوال فيه ما روي ان النبي (ص) كان يصلي بالليل ويقرأ القرآن في الصلاة جهرا رجاء ان يستمع الى قراءته انسان فيتدبر معانيه ويؤمن به فكان المشركون اذا سمعوه اذوه ومنعوه عن الجهر بالقراءة فكان الله تعالى يلقي عليهم النوم او يجعل في قلوبهم أكنة ليقطعهم عن مرادهم وذلك بعد ما بلغهم ما تقوم به الحجة وتنقطع به المنذرة وبعد ما علم الله سبحانه انهم لا ينتفعون بساعه ولا يؤمنون به فنبهه القاء النوم عليهم يجعل النطق على قلوبهم ويوقر آذانهم لأن ذلك كان يمنعهم من التدبر كالوقر والنطق وهذا معنى قوله تعالى واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا وهو قول ابي علي الجبائي ويحتمل ذلك وجه آخر وهو انه تعالى يعاقب هؤلاء الكفار الذين علم انهم لا يؤمنون بمقربات يجعلها في قلوبهم تكون موانع من ان يفهموا ما يسمعونه ويحتمل ايضا ان يكون سمي الكفر الذي في قلوبهم كناية تشبيها ومجازا واعراضهم عن تفهم القرآن وقرا توتسا لأن مع الكفر والاعراض لا يحصل الايمان والفهم كما لا يحصلان مع الكفر والوقر ونسب ذلك الى نفسه لأنه الذي شبه أحدهما بالآخر كما يقول احدنا لغيره اذا اتنى على انسان وذكر مناقبه جعلته فاضلا وبالضد اذا ذكر مقامجه وفسقه يقول جعلته فاسقا كما يقال جعل القاضي فلانا عدلا وكل ذلك يراد به الحكم عليه بذلك والإبانة عن حاله كما قال الشاعر

جَعَلْتَنِي بِأَخْلَا كَلَّا وَرَبِّ مَنِي
إِنِّي لَأَسْمَحُ كَفًّا مَنِكَ فِي اللَّزْبِ (١)

ومعناه سببتني بأخلاقك ولا يؤمنوا بها (يريد وان يروا كل عبرة لم يصدقوا بها عن ابن عباس وقيل معناه وان يروا كل علامة ومعجزة دالة على نبوتك لا يؤمنوا بها لعنادهم عن الزجاج ولو اجري معنى الآية على ظاهرها لم يكن لهذا معنى لأن من لا يسكنه ان يسمع ويفقه لا يجوز ان يوصف بذلك وكان لا يصح ان يصفهم بانهم كذبوا ياياته وغلغوا عنها وهم مستخبرون عن ذلك والذي يزيد الإشكال انه تعالى قال في وصف بعض الكفار واذا تلى عليه آياتنا ولي مستكبرا كأن لم يسمعها الآية ولو كان في أذنيه وقر مانع عن السماع مزيل للقدره لكان لا معنى لقوله كأن في أذنيه وقرأ ولكن لا يستحق المذمة لأنه لم يبط آلة السمع فكيف يندم على ترك السمع (حتى إذا جاؤك مجادلونك) يعني انهم اذا دخلوا عليك بالنهار يجيئون مجيئ خصمين مجادلين رادين عليك قولك ولم يجيؤا مجيئ من يريد الرشاد والنظر في الدلالة الدالة على توحيد الله ونسوة نبيه (يقول الذين كفروا ان هذا) اي ما هذا القرآن (الأساطير الأولين) اي أحاديث الأولين التي كانوا يسطرونها عن الضحاك وقيل معنى الأساطير الترهات والسبابس مثل حديث رستم واسفنديار وغيره مما لا فائدة فيه ولا طائل تحته وقال بعضهم ان جدالمهم هذا القول منهم قيل هو مثل قولهم أتا كلون ما تقتلونه بأيديكم ولا تأكلون ما قتله الله تعالى

قوله تعالى (٢٦) وَهُمْ يَتَهَوْنَ عَنْهُ وَيَتَنَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (آية)

﴿ اللفظة ﴾

التأني البعد يقال تأبى عنه أنأى تأياً ومنه أخذ التوثى وهو الحاجز حول البيت لئلا يدخله الماء.

﴿ المعنى ﴾

ثم كنى عن الكفار الذين تقدم ذكرهم فقال (وهم يتهون عنه ويتناون عنه) أي يتهون الناس عن اتباع النبي (ص) ويتبعون عنه فرارا منه عن ابن عباس ومحمد بن الحنفية والحسن والسدي وقيل معناه يتهون الناس عن استماع القرآن لئلا يقع في قلوبهم صحتة ويتبعونهم عن استماعه عن قتادة ومجاهد واختاره الجبائي وقيل عنى به أبا طالب بن عبد المطلب ومعناه يمتنون الناس عن أذى النبي (ص) ولا يتبعونه عن عطاء ومقاتل وهذا لا يصح لأن هذه الآية بمطرفة على ما تقدمها وما تأخر عنها مطرف عليها وكلها في ذم الكفار المعادين للنبي (ص) وهذا وقد ثبت إجماع أهل البيت (ع) على إيمان أبي طالب وإجماعهم حجة لأنهم لحد الثقلين الذين أمر النبي (ص) بالتمسك بهما بقوله إن تمسكتن بهما إن تضلوا ويدل على ذلك أيضا ما رواه ابن عمران أبا بكر جابا بأبيه أبي قحافة يوم الفتح إلى رسول الله (ص) فأسلم فقال (ص) إلا تركت الشيخ فأتيه وكان أعمى فقال أبو بكر أردت أن يأجره الله تعالى والذي بمثك بالحق لا تأكنت بإسلام أبي طالب أشد فرحا مني بإسلام أبي التمسك بذلك قرة عينك فقال (ص) صدقت وروى الطبري بإسناده أن رؤساء قريش لما رأوا ذب أبي طالب عن النبي (ص) اجتمعوا عليه وقالوا جئناك بفتى قريش جمالا وجردا وشهامة عمارة بن الوليد ندفعه إليك وتدفع الينا ابن أخيك الذي فرق جماعتنا وسقته احلامنا فنقله فقال أبو طالب ما انصفتوني تطونني ابنكم فأفدوه واعطيتكم ابني فقتلونه بل فليات كل امرئ منكم يولده فأقتله وقال

مَنْعَنَا الرَّسُولَ رَسُولَ الْمَلِكِ بِيضٌ تَلَالًا كَلَمَعَ الْبُرُوقُ
أَذُودٌ وَآمِحِي رَسُولَ الْمَلِكِ حَايَةٌ حَامٍ عَلَيْهِ شَفِيقِي

وأقواله وأشعاره المنبثقة عن إسلامه كثيرة مشهورة لا تحصى فمن ذلك قوله

أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَا وَجَدْنَا مُحَمَّدًا نَبِيًّا كَوَسِي خُطِّي فِي أَوَّلِ الْكُتُبِ
أَلَيْسَ أَبُوْنَا هَاشِمٌ شَدَّ أَرْزَهُ وَأَوْصَى بِنَبِيهِ بِالطَّمَانِ وَالْحَرْبِ

وقوله من قصيدة

وَقَالُوا لِأَحْمَدَ أَنْتَ أَمْرٌ خَلُوفُ اللِّسَانِ ضَمِيفُ السَّبَبِ
إِلَّا إِنْ أَحْمَدَ قَدْ جَاءَهُمْ بِحَقٍّ وَلَمْ يَأْتِهِمْ بِالْكَذِبِ

وقوله في حديث الصحيفة وهو من معجزات النبي (ص)

وَقَدْ كَانَ فِي أَمْرِ الصَّحِيفَةِ عِبْرَةٌ مَتَى مَا يُجَبَّرُ غَالِبُ الْقَوْمِ يَعْجَبُ
مَحَا اللَّهُ مِنْهَا كُفْرَهُمْ وَعَقُوقَهُمْ وَمَا نَقَمُوا مِنْ نَاطِقِ الْحَقِّ مُعْرَبِ
وَأَمْسَى ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ فِينَا مَصْدِقًا عَلَى سَخَطٍ مِنْ قَوْمِنَا غَيْرِ مُعْتَبِ

وقوله في قصيدة يحض أخاه حمزة على اتباع النبي والصبر في طاعته

صَبْرًا أَبَا يَعْلَى عَلَى دِينِ أَحْمَدِ وَكُنْ مُظْهِرًا لِلدِّينِ وَقَفَّتْ صَابِرًا

فَقَدْ سَرَّنِي إِذْ قُلْتَ إِنَّكَ مَوْمِنٌ

فَكُنْ لِرَسُولِ اللَّهِ فِي اللَّهِ نَاصِرًا

وقوله من قصيدة

أَقِيمْ عَلَى نَصْرِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ

أَقَاتِلْ عَنْهُ بِالْقَنَا وَالْقَنَابِلِ (١)

وقوله يبيض النجاشي على نصر النبي

تَعَلَّمَ مِلْكَ الْحَبَشِ أَنْ مُحَمَّدًا

وَزَيْرَ لِمُوسَى وَالْمَسِيحِ بْنِ مَرْيَمَ

أَتَى بِهَدْيٍ مِثْلَ الَّذِي أَتَى بِهِ

وَكَلَّ بِأَمْرِ اللَّهِ يَهْدِي وَيَعْصِمُ

وَإِنَّكُمْ تَتْلُونَهُ فِي كِتَابِكُمْ

بِصِدْقٍ حَدِيثٍ لِأَحَدِ بَيْتِ الْمَرْحَمِ

فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ نِدَاءً وَأَسْلَمُوا

وَإِنَّ طَرِيقَ الْحَقِّ لَيْسَ بِمُظْلَمٍ

وقوله في وصيته وقد حضرته الوفاة

أَوْصِي بِنَصْرِ النَّبِيِّ الْخَيْرِ مَشْهُدِهِ

عَلِيًّا ابْنِي وَشَيْخَ الْقَوْمِ عِبَّاسًا

وَحَمْزَةَ الْأَسَدِ الْحَامِي حَقِيقَتَهُ

وَجَعْفَرًا أَنْ يَدُودُوا دُونَهُ النَّاسَا

كُونُوا فِدَى لَكُمْ أُمَّي وَمَا وَلَدْتُ

فِي نَصْرِ أَحْمَدَ دُونَ النَّاسِ أَتْرَاسًا

في أمثال هذه الآيات ما هو موجود في تصانده المشهورة ووصاياه وخطبه يطول بها الكتاب على ان أبا طالب لم يتأ عن النبي (ص) قط بل كان يقرب منه ويخالطه ويقدم بنصرته فكيف يكون المعنى بقوله ويتأون عنه (وان يهلكون الا انفسهم) معناه ما يهلكون بنهيمهم عن قبوله وبعدهم عنه الا انفسهم (وما يشعرون) اي وما يطعمون إهلاكهم اياها بذلك

قوله تعالى (٢٧) وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢٨) بَلْ بَدَأَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (آيات)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ولا تكذب ونكون بالنصب حصص عن عاصم وحمزة ويعقوب وقرأ ابن عامر ونكون بالنصب وقرأ الباقون بالرفع فيهن

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي من قرأ بالرفع جاز فيه وجهان ﴿ احدهما ﴾ ان يكون مطوفا على نرد فيكون قوله ولا تكذب ونكون داخلا في التمني دخول نرد فيه فعلى هذا تنى الرد وان لا تكذب والكون من المؤمنين ويمثل الرفع وجه آخر وهو ان تعلقه من الاول ويكون التقدير يا ليتنا نرد ونحن لانكذب ونكون وقال سيبويه هو على قولك فإنا لا نتكذب كما يقول القائل دعمني ولا اعود ابي قاتي ممن لا يعود فإنما يسألك الترك وقد اوجب على نفسه ان لا يعود ترك او لم يترك ولم يرد ان يسألك ان تجتمع له الترك وان لا يعود وحجة من نصب فقال ولا تكذب ونكون انه ادخل ذلك في التمني غير موجب لأن التمني غير موجب فهو كالاستفهام والأمر والنهي في انتصاب ما بعد ذلك كله من الافعال اذا دخلت عليها الفاء او الواو على تقدير ذكر المصدر من الفعل الأول كأنه في التمثيل باليتنا يكون لنا رد وانتفاء التكذيب والكون من المؤمنين ومن رفع ولا تكذب

(١) الفناجمع القناة : الرمح . والقنابل جمع القنبلة : الطائفة من الخيل او الناس

ونصب ونكون فإن الفعل الذي هو لا نكذب يحتمل وجهين ﴿ احدهما ﴾ ان يكون داخلا في التمني فيكون في المعنى كالنصب ﴿ والاخر ﴾ ان يجبر على البتات ان لا نكذب ردأو لم يرد ومن نصبها جميعا جملة داخلين في التمني

﴿ اللغة ﴾

يقال وقفت الدابة وقرفا ووقف غيره يقفه وقفا وحكي عن ابي عمرو انه اجاز ما اوقفك هاهنا مع اخباره انه لم يسمعه من العرب. وبدا يبدو بدوا اذا ظهر وفلان ذو بدوات اذا بداله الرأي بعد الرأي وبدالي في هذا الأمر بداء. والبدا لا يجوز على الله سبحانه لأنه العالم بجميع المعلومات لم يزل ولا يزال

﴿ الاعراب ﴾

ولو ترى جوابه محذوف وتقديره لرأيت امرا هائلا ونحوه قوله تعالى ولو ان قرآنا سيرت به الجبال يريد لكان هذا القرآن وهذه الاجوبة انما تحذف لتعظيم الأمر وتفضيحه ومثله قول امرئ القيس
وَجِئْتُكَ لَوْ شِئْتُ اَنَا وَسَوَّلُهُ
سَوَالُكَ وَلَكِنْ لَمْ نَجِدْ لَكَ مَدْفَعًا
وتقديره لو اتانا رسول غيرك لما جئنا ويسأل فيقال لم جاز ولو ترى اذ وقفوا واذ هي للماضي والجواب ان الخبر لصحته وصدق الخبر به صار بمنزلة ما وقع

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه ما ينال هؤلاء الكفار يوم القيامة من الحسرة وتقي الرجعة فقال (ولو ترى) يا محمد او يا ايها السامع (اذ وقفوا على النار) فهذا يحتمل ثلاثة اوجه جائزة ان يكون المعنى عاينوا النار وجائز ان يكونوا عليها وهي تحتهم قال الزجاج والاجود ان يكون معناه ادخلوها فعرفوا مقدار عذابها كما تقول في الكلام قد وقفت على ما عند فلان تريد قد فهمته وتبينته وهذا وإن كان بلفظ الماضي فالمراد به الاستقبال وانما جاز ذلك لأن كل ما هو كائن يوما ما لم يكن بعد فهو عند الله قد كان وانشد في مثله

سَتَنَدِمُ اِذْ يَأْتِي عَلَيْكَ رَعِينًا
بَارِعَنَ جَرَارٍ كَثِيرٍ صَوَاهِلُهُ

فوضع اذ موضع اذا وقد يوضع ايضا اذا موضع اذ كما قال الشاعر

وَنَدْمَانِ يَزِيدُ الْكَأَمَ طَبِيًّا
سَقَيْتُ اِذَا تَعَرَّضْتُ النُّجُومَ

(فقالوا) اي فقال الكفار حين عاينوا العذاب وندموا على ما فعلوا (يا ليتنا نرد) الى الدنيا (ولا نكذب بآيات ربنا) اي بكتب ربنا ورسله وجميع ما جاءنا من عنده (ونكون من المؤمنين) يعني من جملة المؤمنين بآيات الله (بل بدالهم ما كانوا يخفون من قبل) اختلف فيه على اقوال ﴿ احدها ﴾ ان معناه بل بدل بعضهم من بعض ما كان علمهم يخفونه عن جهالهم وضغائنهم مما في كتبهم فبدا للضعفاء عندهم ﴿ وثانيها ﴾ ان المراد بل بدا من اعمالهم ما كانوا يخفونه فآظهم الله وشهدت به جوارحهم عن ابي روق ﴿ وثالثها ﴾ ان المعنى ظهر للذين اتبعوا الفؤاد ما كان الفؤاد يخفونه عنهم من امر البعث والنشور لأن المتصل بهذا قوله وقالوا ان هي الاحياتنا الدنيا الآية عن الزجاج وهو قول الحسن ﴿ ورابعها ﴾ ان المراد بل بدا لهم وبال ما كانوا يخفونه من الكفر عن المبرد وكل هذه الاقوال بمعنى ظهرت فضيحتهم في الآخرة وتهتك استارهم (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه) اي لو ردوا الى الدنيا الى حال التكليف كما طلبوه لعادوا الى ما نهوا عنه من الكفر والتكذيب (وانهم لكاذبون) ويسأل على هذا فيقال ان التمني كيف يصح فيه الكذب وانما يقع الكذب في الخبر والجواب ان من الناس من حمل الكلام كله على وجه التمني وصرف الكذب الى غير الأمر الذي تمنوه وقال

(١) الرعيل: القطعة من الخيل. و جيش ارمن: هو المضطرب لكثرة الصواهل جمع الصاهل وهو الفرس.

ج ٤ ان معناه هم كاذبون فيما يخبرون به عن انفسهم في الدنيا من الاصابة واعتقاد الحق او يكون المعنى انهم كاذبون ان خبروا عن انفسهم بانهم متى ردوا آمنوا وان كان ما حكى عنهم من التمني ليس بنجبر وقد يجوز ان يحمل على غير الكذب الحقيقي بان يكون المراد انهم تمنوا ما لا سبيل اليه فكذب املهم وتمنيهم وهذا مشهور في كلام العرب يقولون كذبتك املك لمن تمنى ما لم يدرك وقال الشاعر

كذبتهم ويبت الله لا تكحونها
بني شاب قرناها تصر ونحلب

وقال آخر
كذبتهم ويبت الله لا تأخذونها
مرأعته ما دام للسيف قائم

والمراد ما ذكرناه من الحية في الأمل والتمني فلن قيل كيف يجوز ان يتمنوا الرد الى الدنيا وقد علموا انهم لا يردون فالجواب عنه من وجوه احدها انا لا نعلم ان اهل الآخرة يعرفون جميع احكام الآخرة وانما تقول انهم يعرفون الله معرفة لا يتخالجهم فيها الشك لما يشاهدونه من الايات الملجئة لهم الى المعارف واما التوجع والتمني للخلاص والدعاء للفرج فيجوز ان يقع منهم ذلك عن البلخي وثانيها ان التمني قد يجوز فيما يعلم انه لا يكون ولهذا قد يقع التمني على ان لا يكون ما قد كان وان لا يكون فعل ما قد فعله وتقضي وقته وثالثها انه لا مانع من ان يقع منهم التمني للرد ولأن يكونوا من المؤمنين عن الزجاج وفي الناس من جعل بعض الكلام تمنيا وبعضه اخبارا وعلق تكذيبهم بالخير دون ليتنا وهذا انما ينساق في قراءة من رفع ولا تكذب ونكون على معنى فلما لا تكذب بايات ربنا ونكون من المؤمنين فيكونون قد اخبروا بما علم الله انهم فيه كاذبون وان لم يعلموا من انفسهم مثل ذلك فلهذا كذبهم وذكر ان ابا عمرو بن العلاء استدلل على قراءته بالرفع في الجميع بأن قوله وانهم لكاذبون فيه دلالة على انهم اخبروا بذلك عن انفسهم ولن يتمنوه لأن التمني لا يقع فيه الكذب

قوله تعالى (٢٩) وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين (٣٠) ولو ترى إذ وقفوا على ربهم قال اليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون (آيتان)

المعنى *

ثم اخبر سبحانه عن الكفار الذين ذكرهم قبل هذه الآية وانكارهم البعث والنشور والحشر والحساب فقال (وقالوا ان هي) اي ماهي (الاحياتنا الدنيا) عنوا بذلك انه لا حياة لنا في الآخرة وانما هي هذه التي حينئذ بها في الدنيا (وما نحن بمبعوثين) اي لستنا بمبعوثين بعد الموت ثم خاطب سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله فقال (ولو ترى) يا محمد (اذ وقفوا على ربهم) ليس يصح في هذه الآية شيء من الوجوه التي ذكرناها في قوله ولو ترى اذ وقفوا على النار الا وجها واحدا وهو ان المعنى عرفوا ربهم ضرورة كما يقال وقفته على كلام فلان اي عرفته اياه وقيل ايضا ان المعنى وقفوا على ما وعدهم ربهم من العذاب الذي يفعله بالكفار والثواب الذي يفعله بالمؤمنين في الآخرة وعرفوا صحة ما اخبرهم به من الحشر والحساب ويجوز ان يكون المعنى جسوا على ربهم ينتظر بهم ما يأمرهم به وخرج الكلام مخرج ما جرت به العادة من وقوف الصديق بين يدي سيده لما في ذلك من الفصاحة والافصاح بالمعنى والتشبيه على عظم الأمر (قال) اي يقول الله تعالى لهم وجاء على لفظ الماضي لأن تحققه كأنه واقع وقيل معناه تقول الملائكة لهم بأمر الله تعالى (ليس هذا بالحق) كما قالت الرسل وهذا سؤال توبيخ وتقريع وقوله هذا اشارة الى الجزاء والحساب والبعث والاولاي فيقول هؤلاء الكفار مقربين بذلك مذعنين له (بلى) هو حق (وربنا) قسم ذكره واكدوا اعترافهم به (قال) الله تعالى او الملك بأمره (فذوقوا العذاب

بما كنتم تكفرون) اي بكفركم وانما قال ذوقوا لانهم في كل حال يجدون ذلك وجدان الذائق المدوق في شدة الإحساس من غير ان يصيروا الى حال من يشم بالطعام في نقصان الإدراك

قوله تعالى (٣١) قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتُنَا عَلَى مَا فَرَطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ (٣٢) وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهُمْ وَوَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ آيَاتَانِ

❖ القراءة ❖

قرأ ابن عامر ولد دار الآخرة بلام واحدة وجر الآخرة على الإضافة والباقون بلامين ورفع الآخرة وقرأ أهل المدينة وابن ذكوان عن ابن عامر ويعقوب وسهل افلا تعقلون بالثاء ههنا وفي الاعراف ويوسف ويس وواقفهم حفص إلا في يس وعصاف ويحيى عن ابي بكر في يوسف وقرأ الباقر جميع ذلك بالياء.

❖ الحجة ❖

من قرأ ولدار الآخرة فلأن الآخرة صفة للدار يدل على ذلك قوله وللآخرة خير لك من الأولى وان الدار الآخرة لهي الحيوان وتلك الدار الآخرة نجعلها ومن اضاف دارا الى الآخرة لم يجعل الآخرة صفة للدار فان الشيء لا يضاف الى نفسه لكنته جعلها صفة للساعة فكانه قال ولدار الساعة الآخرة وجاز وصف الساعة بالآخرة كما وصف اليوم بالآخر في قوله وارجوا اليوم الآخر قال ابو علي انما حسن اضافة الدار الى الآخرة ولم يقبح من حيث استقبح اقامة الصفة مقام الموصوف لأن الآخرة قد صارت كالأبسط والأبرق ألا ترى انه قد جاء وللآخرة خير لك من الأولى فاستعملت استعمال الاسماء ولم يكن مثل الصفات التي لم تستعمل استعمال الاسماء ومثل الآخرة في انها استعملت استعمال الاسماء قولهم الدنيا لما استعملت استعمال الاسماء حسن ان لا يلحق لام التعريف في نحو قوله في سعي دنيا طال ما قد مدت واما وجه القراءة بالياء في افلا يعقلون فهو انه قد تقدم ذكر النية في قوله للذين يتقون ووجه القراءة بالثاء انه يصلح ان يكون خطابا متوجها اليهم ويصلح ان يكون المراد القبيح والمخاطبون فيطلب الخطاب

❖ اللفظة ❖

كل شيء اتى فجاءة فقد بفت يقال بفته الامر بفتته بفتة قال الشاعر

وَلِكِنَّهُمْ بَاتُوا وَلَمْ أَحْشُ بَفْتَةً وَأَفْطَعُ شَيْءٍ حِينَ يَفْجَأُكَ الْبَغْتُ (٣٢)

والحسرة شدة الندم حتى يحسر النادم كما يحسر الذي تقوم به دابته في السفر البعيد والتفريط التقصير واصله التقديم والإفراط التقديم في مجاوزة الحد والتفريط التقديم في المعجز والتقصير والوزر النقل في اللفظة واشتقاقه من الوزر وهو الجبل الذي يعتصم به ومنه قبل وزير كأنه يعتصم الملك به ومثله قوله تعالى واجعل لي وزيرا من اهلي ويزرون يعقلون من وزر يزر وزرا اذا أتم وقيل وزر فهو موزور اذا فعل به ذلك ومنه الحديث في النساء يتبعن جنازة قتيل لهن أرجهن موزورات غير مأجورات والعامية تقول مأزورات والعقل والنهي والحجبي متقاربة المعنى فالعقل الإمساك عن القبيح وقصر النفس وجسها عن الحسن قال الاصمعي وبالدهناء خبراء يقال له معقلة قال وتراها سميت معقلة لأنها تمسك الماء كما يعقل الدواء البطن والنهي لا يخلو أن يكون مصدرا كالمهدي او جمعا كالظلم وهو في معنى ثبات وحس ومنه النهي والتنهية للمكان الذي ينتهي اليه الماء فيستقم فيه لتسقله ويمنع ارتفاع ما حوله من ان يسبح على وجه الأرض والحجبي اصله من

(١) لانهما في الاصل صفتان و صاراً اسمين . (٢) وفي اللسان «ماتوا» . الامر الفظيم : الشديد .
(٣) وفي بعض المخطوطة «قتيل» بدل «قتيل» (٤) الدهناء : اسم موضع . الخبراء : الصحراء

الحجوة وهو احتباس وتمكث قال «فمن يكفن به اذا حجا» وحجيت بالشيء وتحجيت به يهمز ولا يهزاي
تمسكت عن الأزهرى قال ابو علي فكان الحجي مصدر كالتسبع ومن هذا الباب الحجيا للفز لتسكت
الذي يلقي عليه حتى يستخرجه

✽ الاعراب ✽

يقال مامعى الغاية في قوله حتى اذا جاءتهم الساعة وما عامل الاعراب فيها والجواب ان معناها متهى
تكذيبهم الحسرة يوم القيامة والعامل فيها كذبوا اي كذبوا الى ان ظهرت الساعة بفتة فندموا حيث لا يتفهم
الندامة ويقال مامعى دعاء الحسرة وهي مما لا يعقل والجواب ان العرب اذا اجتهدت في المبالغة في الاخبار
عن امر عظيم تقع فيه جملة نداء فلفظه لفظ ما ينبه والمنبه غيره مثل قوله يا حسرة على العباد وقوله يا حسرتنا
على ما فرطت في جنب الله ويا وهتئى ألد وهذا ابلغ من ان تقول انا اتحسر على التفريط قاله الزجاج وقال
سيبويه انك اذا قلت يا عجباه فكانت قلت احضر وتمال يا عجب فإنه من ازمانك وتأويل يا حسرتاه انتبهوا
على اننا قد حسرتنا فخرج مخرج النداء للحسرة والمعنى على النداء لغيرها تنبها على عظم شأنها وقيل انها بمنزلة
الاستغاثة فكانه قيل يا حسرتنا تعالي فهذا اوانك كما يقال يا للعجب وقوله ساء ما يرون تقديره بش الشيء
شيء يرونه وقد ذكرنا عمل نعم وبش فيما مضى

المعنى

ثم اخبر سبحانه عن هؤلاء الكفار فقال (قد خسروا الذين كذبوا بقاء الله) يعني بقاء ما وعد الله به
من الثواب والعقاب وجعل لتأثمهم لذلك لقاء له تعالى مجازا عن ابن عباس والحسن وقيل المراد ببقاء جزاء الله كما
يقال للميت لقي فلان عمله اي لقي جزاء عمله ونظيره الى يوم يلقونه بما اخلقوا الله ما وعدوه (حتى اذا جاءتهم
الساعة) اي القيامة (بئنة) اي فجأة من غير ان علموا وقتها (قالوا) عند معاينة ذلك اليوم واهواله وتباين
احوال اهل الثواب والعقاب (يا حسرتنا على ما فرطنا فيها) اي على ما تركنا وضيعنا في الدنيا من تقديم اعمال
الآخرة عن ابن عباس وقيل ان الهاء يعود الى الساعة عن الحسن والمعنى على ما فرطنا في العمل للساعة والتقدمة
لها وقيل ان الهاء يعود الى الجنة أي في طلبها والعمل لها عن السدي ويدل عليه ما رواه الأعمش عن ابي
صالح عن ابي سعيد عن النبي (ص) في هذه الآية قال يرى اهل النار منازلهم من الجنة فيقولون يا حسرتنا
وقال محمد بن جرير الهاء يعود الى الصفة لأنه لما ذكر الخسران دل على الصفة ويجوز ان يكون الهاء يعود
الى معنى ما في قوله ما فرطنا اي يا حسرتنا على الاعمال الصالحة التي فرطنا فيها فعل هذا الوجه يكون ماموصولة
بمعنى الذي وعلى الوجوه المتقدمة يكون ما بمعنى المصدر ويكون تقديره على تفريطنا (وهم يحملون اوزارهم)
اي اثقال ذنوبهم (على ظهورهم) وقال ابن عباس يريد آثامهم وخطاياهم وقال قتادة والسدي ان المؤمن اذا
خرج من قبره استقبله احسن شيء صورته واطيبه ريحاً فيقول انا عملك الصالح طال ما ركبتك في الدنيا فار كبتني
انت اليوم فذلك قوله يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا اي ركبنا وان الكافر اذا خرج من قبره استقبله اقبح
شيء صورته واخبثه ريحاً فيقول انا عملك السيئ طال ما ركبتني في الدنيا فانا اركبك اليوم وذلك قوله وهم
يحملون اوزارهم على ظهورهم وقال الزجاج هذا مثل جائز ان يكون جعل ما ينالهم من العذاب بمنزلة اثقل ما يحمل
لأن الثقل كما يستعمل في الوزن يستعمل في الحال ايضا كما تقول ثقل علي خطاب فلان ومعناه كرهت خطابه كراهة

اشتدت علي فقل هذا يكون المعنى انهم يقاسون عذاب آتاهم مقاساة تنقل عليهم ولا تزيالهم والى هذا المعنى اشار امير المؤمنين عليه السلام في قوله تخففوا تلحقوا فانما ينتظر باولكم آخركم (الا ساء ما يزرورن) أي بشس الحمل حملهم عن ابن عباس وقيل معناه ساء ما ينالهم جزاء لذنوبهم واعمالهم السيئة اذ كان ذلك عذابا ونكالا ثم رد عليهم قولهم ما هي الا حياتنا الدنيا وبين سبحانه ان ما يتمتع به من الدنيا يزول ويصير فقال (وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو) أي باطل وغرور اذا لم يجمل ذلك طريقا الى الآخرة وانما عني بالحياة الدنيا اعمال الدنيا لأن نفس الدنيا لا توصف باللعب وما فيه رضا الله من عمل الآخرة لا يوصف به ايضا لأن اللعب ما لا يعقب نفعا واللهو ما يصرف من الجد الى الهزل وهذا انما يتصور في المعاصي وقيل المراد باللعب واللهو ان الحياة تنقضي وتغنى ولا تبقى فتكون لذة فانية عن قريب كاللعب واللهو (والدار الآخرة) وما فيها من انواع التعمير والجنان (خير للذين يتقون) معاصي الله لأنها باقية دائمة لا يزول عنهم نعيمها ولا يذهب عنهم سرورها (افلا تعقلون) ان ذلك كما وصف لهم فبهتوا في شهوات الدنيا ويرغبوا في نعيم الآخرة ويفعلوا ما يؤذيهم الى ذلك من الأعمال الصالحة وفي هذه الآية تسلية للفقراء بما حرّموا من متاع الدنيا وتقرير للاغنياء اذا ركنوا الى حطامها ولم يعملوا لغيرها

قوله تعالى (٣٣) قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُّكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بآيَاتِ اللَّهِ يَمْجِدُونَ (٣٤) وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبْرًا وَعَلَى مَا كَذَّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّى آتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِئِ الْمُرْسَلِينَ (آيَاتان)

﴿ القراءه ﴾

قرأ نافع ليحزنك بضم الباء وكسر الزاي والباقون يحزنك بفتح الباء وضم الزاي وقرأ نافع والكسائي والاعشى عن أبي بكر لا يكذبونك خفيف وهو قراءة علي (ع) والمروزي عن جعفر الصادق (ع) والباقون يكذبونك بفتح الكاف والتشديد

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي قال سببوه قللوا حزن الرجل وحزنته وزعم الخليل انك حيث تقول حزنته لم ترد ان تقول جعلته حزينا كما انك حيث قلت أدخلته أردت جعلته داخلا ولكنك أردت ان تقول جعلت فيه حزنا كما تقول كحلته جعلت فيه كحلا ودهته جعلت فيه دهنا ولم ترد بفعلته هنا تعدي قوله حزن ولو أردت ذلك لقلت احزنته وحجة نافع انه أراد ان يهدي حزن فنقله بالهمزة والاستعمال في حزنته أكثر منه في احزنته فأولى كثرة الاستعمال ذهب عامة القراء وأما قوله يكذبونك فمن ثقل فهو من فعلته اذا نسبته الى الفعل مثل زنته وفسقته نسبته الى الزنا والفسق وقد جاء في هذا المعنى أفلته قالوا اسقته أي قتل له سقاك الله قال ذو الرمة

وَأَسْقِهِ حَتَّى كَادَ بِمَا آتَيْهِ (١)
تَكَلِّمَنِي أَحْجَارُهُ وَمَلَاعِبُهُ

فيجوز على هذا ان يكون معنى القراءتين واحدا ويجوز ان يكون لا يكذبونك أي لا يصادفونك كاذبا كما تقول أحمده اذا أصبته محمودا وبدل على الوجه الأول قول الكعب

(١) قوله اسقيه اي اقول له سقاك الله . وابت فلانا الضير : اطلمه عليه .

وَطَائِفَةٌ قَدْ أَكْفَرْتَنِي بِحُجَّتِي
وَطَائِفَةٌ قَالَتْ مَسِيءٌ وَمَذْنِبٌ

اي نسبتني الى الكفر قال احمد بن يحيى كان الكسائي يحكي عن العرب أكذبت الرجل اذا اخبرت
انه جاءك بكذب وكذبت اذا اخبرت انه كذاب

المعنى

ثم سأل سبحانه نبيه (ص) على تكذيبهم اياه بعد إقامة الحجة عليهم فقال (قد نعلم) نحن يا محمد (انه ليجزئك الذي يقولون) اي ما يقولون إنك شاعر او مجنون واشباه ذلك (فإنهم لا يكذبونك) دخلت الفاء في
انهم لأن الكلام الأول يقتضيه كأنه قيل اذا كان قد يجزئك قوالم فاعلم انهم لا يكذبونك واختلف في
معناه على وجوه * احدها * ان معناه لا يكذبونك بقلوبهم اعتقادا وان كانوا يظهرون بأفواههم
التكذيب عنادا وهو قول اكثر المفسرين عن ابي صالح وقتادة والسدي وغيرهم قالوا يريد أنهم يعلمون انك
رسول الله ولكن يجحدون بعد المعرفة ويشهد لهذا الوجه ما روى سلام بن مسكين عن ابي يزيد المدني
ان رسول الله (ص) لقي ابا جهل فصافحه ابو جهل فقيل له في ذلك فقال والله اني لا أعلم انه صادق ولكننا
متى كنا نعلم العدمنا فانزل الله هذه الآية وقال السدي التقى اخنس بن شريق وابو جهل بن هشام فقال له
يا ابا الحكم أخبرني عن محمد أصادق هو أم كاذب فإنه ليس ههنا احد غيري وغيرك يسمع كلامنا فقال ابو جهل
ويحك والله ان محمداً لصادق وما كذب قط ولكن اذا ذهب بنو قصي بالهوا والحجابه والسقاية والندوة والنبوة
فاذا يكون لسائر قريش * وثانيها * ان المعنى لا يكذبونك بحجة ولا يتمكنون من ابطال ما جئت به
ببرهان ويدل عليه ما روي عن علي (ع) انه كان يقرء لا يكذبونك ويقول ان المراد بها انهم لا يأتون بحق
هو أحق من حقتك * وثالثها * ان المراد لا يصادفونك كاذبا تقول العرب قاتلناكم فما أجبتناكم اي ما
أصبناكم جينا. قال الاعشى

أَثْوَى وَقَصْرَ لَيْلَةٍ لِيَزْوَدَا
فَضَى وَأَخْلَفَ مِنْ قَتِيلَةٍ مَوْعِدًا (١)

أراد صادق منها خلف الوعد وقال ذو الرمة

تُرْبِكَ بِيَاضَ لَبَّتَيْهَا وَوَجْهًا
كَقَرْنِ الشَّمْسِ افْتَقَى ثُمَّ زَالًا (٢)

اي وجد فقا من السحاب ولا يختص هذا الوجه بالقراءة بالتخفيف دون التشديد لأن أفلتت وفلمت
يجوزان في هذا الموضع وأفلتت هو الأصل فيه ثم يشدد تأكيداً مثل أكرمت وكرمت وأعظمت وعظمت
الا ان التخفيف اشبه بهذا الوجه * ورابعها * ان المراد لا ينسبونك الى الكذب فيما أتيت به لأنك
كنت عندهم أمينا صدوقا وإنما يدفون ما أتيت به ويقصدون التكذيب بآيات الله ويقوي هذا الوجه
قوله ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون وقوله وكذب به قومك وهو الحق ولم يقل وكذبك قومك وما روي
ان ابا جهل قال للنبي (ص) ما نتهمك ولا نكذبك ولكننا نتهم الذي جئت به ونكذبه * وخامسها *
ان المراد انهم لا يكذبونك بل يكذبونني فإن تكذيبك راجع الي وليست مختصا به لأنك رسول الله
فن رد عليك فقد رد علي ومن كذبك فقد كذبني وذلك تسليية منه سبحانه للنبي (ص) وقوله (ولكن
الظالمين بآيات الله يجحدون) اي بالقرآن والمعجزات يجحدون بشير حجة سفها وجهلا وعنادا ودخلت الباء
في آيات الله والجمد يتعدى بشير الجار والمجرور لأن معناه هنا التكذيب اي يكذبون بآيات الله وقال

(١) أثوى بالمكان : اقام . وقتيلة : امرأة وقوله فضى الضمير فيه يعود الى العاشق وفي اللسان «فمضت»
اي مضت الليلة . (٢) اللبة : موضع القلادة من الصدر . وقرن الشمس : اول ما يبدو منها

ابو علي الباقى تنطق بالظالمين والمعنى ولكن الظالمين برد آيات الله أو إنكار آيات الله يمحذون ما عرفوه من صدقك وأمانتك ومثله قوله سبحانه وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها أي ظلموا بردها والكفر بها ثم زاد سبحانه في نسليته (ص) بقوله (ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا) أي صبروا على ما نالهم منهم من التكذيب والأذى في أداء الرسالة (حتى أتاهم) جاءهم (نصرنا) أيامهم على المكذبين وهذا أمر منه سبحانه أنبيه (ص) بالصبر على كفار قومه إلى أن يأتيه النصر كما صبرت الأنبياء (ولا مبدل لكلمات الله) معناه لا أحد يقدر على تكذيب خبر الله على الحقيقة ولا على إخلاف وعده وإن ما أخبر الله به إن يفعل بالكفار فلا بد من كونه لا محالة وما وعدك به من نصره فلا بد من حصوله لأنه لا يجوز الكذب في إخباره ولا إخلاف في وعده وقال الكلابي وعكرمة يعني بكلمات الله الآيات التي وعد فيها نصر الأنبياء نحو قوله كتب الله لأغلبن أنا ورسلي وقوله انهم لهم المنصورون (ولقد جاءك من نبي المرسلين) أي خبرهم في القرآن كيف انجيناهم ونصرناهم على قومهم قال الاخفش ومن هاهنا صلة مزبدة كما تقول أصابنا من مطر أي مطر وقال غيره من التحويين لا يجوز ذلك لأن من لا تزداد في الإيجاب وإنما تزداد في النفي ومن هنا للتبعض وفاعل جاء مضمحل يدل المذكور عليه وتقديره ولقد جاءك من نبي المرسلين نبي فيكون المعنى إنه أخبره عليه وآله السلام ببعض أخبارهم على حسب ما علم من المصالح ويؤيد ذلك قوله ومنهم من لم نقصص عليك

قوله تعالى (٣٥) وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ أُسْتِطِعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٣٦) إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (٣٧) وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ثلاث آيات

﴿ النفقة ﴾

النفق سرب في الأرض له مخلص إلى مكان آخر وأصله الخروج ومنه المناق لخروجه من الإيمان إلى الكفر ومنه النفقة لخروجها من اليد والسلم الدرج وهو مأخوذ من السلامة قال الزجاج لأنه الذي يسلك إلى مصعدك والاستجابة من الجوب وهو القطع وهل عندك جاذبة خبر أي تجوب البلاد والفرق بين يستجيب ويوجب أن يستجيب فيه قبول لما دعي إليه وليس كذلك يوجب لأنه يجوز أن يوجب بالمخالفة كما أن السائل يقول أتوافق في هذا المذهب أم تخالف فيقول المجيب أخالف عن علي بن عيسى وقبل إن أجاب واستجاب بمعنى

﴿ الإعراب ﴾

جواب إن محذوف وتقديره أن استطعت ذلك فافعل قال الفراء وإنما قطعه العرب في كل موضع يعرف فيه معنى الجواب إلا ترى أنك تقول للرجل أن استطعت أن تصدق أن رأيت أن تقوم معناه فترك الجواب للمعرفة به فإذا قلت أن تقوم تصب خيرا فلا بد من الجواب لأن معناه لا يعرف إذا طرح الجواب

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه ان هؤلاء الكفار لا يؤمنون فقال مخاطبا لنبيه (ص) (وان كان كبر) اي عظم واشتد (عليك إعراضهم) وانصرافهم عن الايمان وقبول دينك وامتناعهم من اتباعك وتصديقك (فان استطعت) اي قدرت وتبأ لك (ان تبغني) اي تطلب وتخذ (نفقا في الأرض) اي سر با ومسكنا في جوف الأرض (او سلا) اي مصمدا (في السماء) ودرجا (فتأتيهم بآية) اي حجة تلجهم الى الايمان وتجمعهم على ترك الكفر فافعل ذلك وقيل فتأتيهم بآية أفضل مما آتيناكم به فافضل عن ابن عباس يريد لآية أفضل وأظهر من ذلك (ولو شاء الله لجمعهم على الهدى) بالاجلاء وإنما أخبر عن اسمه عن كمال قدرته وانه لو شاء لألجأهم الى الايمان ولم يفعل ذلك لأنه ينافي التكليف ويسقط استحقاق الثواب الذي هو الغرض بالتكليف وليس في الآية انه سبحانه لا يشاء منهم ان يؤمنوا مختارين او لا يشاء ان يفعل ما يؤمنون عنده مختارين وإنما نفى المشيئة لا يلجهم الى الايمان ليتبين ان الكفار لم يظلبوه بكفرهم فإنه لو أراد ان يحول بينهم وبين الكفر لفعل لكنه يريد ان يكون إيمانهم على الوجه الذي يستحق به الثواب ولا ينافي التكليف (فلا تكونن من الجاهلين) قيل معناه فلا تجزع في مواطن الصبر فيقارب حالك حال الجاهلين بأن تسلك سبيلهم عن الجبائي وقيل إن هذا نفى للجهل عنه اي لا تكن جاهلا بعد ان أتاك العلم بأحوالهم وانهم لا يؤمنون والمراد فلا تجزع ولا تتحسر لكفرهم وإعراضهم عن الايمان وظل الخطاب تبعيدا وزجرا عن هذه الحال ثم بين سبحانه الوجه الذي لأجله لا يجتمع هؤلاء الكفار على الايمان فقال (إنما يستجيب الذين يسمعون) ومعناه إنما يستجيب الى الايمان بالله وما انزل اليك من بسمع كلامك ويصني اليك والى ما تجراه عليه من القرآن ويتفكر في آياتك فإن من لم يفكر ولم يستدل بالآيات بمنزلة من لم يسمع كما قيل

لَقَدْ سَمِعْتَ لَو تَادَيْتَ حَيًّا
وَلَكِنْ لَأَحْيَاةً لِّئِنْ تَنَادَيْتَ

وقال الآخر « أصم عما سمع » (والموتى يبعثهم الله) يريد ان الذين لا يصغون اليك من هؤلاء الكفار ولا يتدبرون فيما نقره عليهم وتبين لهم من الآيات والمجيبين بمنزلة الموتى شيئا أبنت ان تسمع الموتى كلامك الى ان يبعثهم الله فكذلك تأيس من هؤلاء ان يستجيبوا لك وتقديره انما يستجيب المؤمن السامع للحق فأما الكافر فهو بمنزلة الميت فلا يجيب الى ان يبعثه الله يوم القيامة فيلجئه الى الايمان وقيل معناه انما يستجيب من كان قلبه حيا فأما من كان قلبه ميتا فلا ثم وصف الموتى بأنه يبعثهم ويحكم فيهم (ثم اليه) اي الى حكمه (يرجعون) وقيل معناه يبعثهم الله من القبور ثم يرجعون الى موقف الحساب ثم عاد سبحانه الى حكاية أقوال الكفار فقال عاطفا على ما تقدم (وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه) هذا اخبار عن رؤساء قريش لما عجزوا من معارضته فيما أتى به من القرآن اقترحوا عليه مثل آيات الأولين كهصا موسى وناقته ثمود فقال سبحانه في موضع آخر ولم يكفهم انا أنزلنا عليك الكتاب وقال ههنا (قل) يا محمد (إن الله قادر على ان ينزل آية اي آية تجمعهم على هدى عن الزجاج وقيل آية كما يسألونها) ولكن أكثرهم لا يعلمون) ما في انزالها من وجوب الاستئصال لهم اذالم يؤمنوا عند نزولها وما في الاقتصار بهم على ما أوتوه من الآيات من المصلحة وقيل معناه ولكن أكثرهم لا يعلمون ان فيما أنزلنا من الآيات مقننا وكفاية لمن نظر وتدبر وقد اعترضت الملحدة على المسلمين بهذه الآية فقالوا انها تدل على ان الله تعالى لم ينزل على محمد آية اذ لو نزلها لذكرها عند

سؤال المشركين إياها فيقال لهم قد بينا أنهم التمسوا آية مخصوصة وتلك لم يوتوها لأن المصلحة منعت عن إيتائها وقد انزل الآيات الدالة على نبوته من القرآن وآياتهم من المعجزات الباهرة التي شاهدها ما لو نظروا فيها أو في بعضها حق النظر لمرفوا صدقه وصحة نبوته وقد بين في آية أخرى انه لو أنزل عليهم ما التمسوه لم يؤمنوا فقال ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة الى قوله ما كانوا يؤمنوا وفي موضع آخر وقالوا لولا أنزل عليه آية من ربه قل إنما الآيات عند الله يعني في قدرة الله ينزل منها ما يشاء ويسقط ما اعتراضوا به

قوله تعالى (٣٨) وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحِهِ إِلَّا أُمَّمٌ أَمْثَالَكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ (٣٩) وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمُّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأِ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ آيَات

﴿ الفة ﴾

الدابة كل ما يدب من الحيوان وأصله الصفة من دب يدب دبيبا اذا مشى مشيا فيه تقارب خطو والدبوب والدبب والنم وفي الحديث لا يدخل الجنة دبب ولا قلاع فالديوب النام لأنه يدب بالتمية والقلاع الواشي بالرجل ليقنله قال الازهري تصغير الدابة دوية الباء مخففة وفيها اشام الكسر وفي الحديث آتكن صاحبة الجمل الأ دب تنبها كلاب الحوآب أراد الأ دب فأظهر التضعيف وهو الكثير الوبر وقد دب يدب دبيبا والجناح إحدى ناحيتي الطير اللتين يمكن بهما من الطيران في الهواء وأصله الميل الى ناحية

﴿ الاعراب ﴾

من مزبدة وتأويله وما دابة ويموز في غير القرآن ولا طائر بالرفع عطفا على موضع من دابة وقوله من شيء من زائدة ايضا وتفيد التعميم اي ما فرطنا شيئا ما وصم وبكم كلاهما خبر الذين كقولهم هذا حلو حامض ودخول الواو لا يمنع من ذلك فإنه بمنزلة قولك صدمكم

﴿ المعنى ﴾

لأبين سبحانه انه قادر على ان ينزل آية عقبه بذكر ما يدل على كمال قدرته وحسن تدبيره وحكمته قال (وما من دابة في الارض) اي ما من حيوان يمشي على وجه الأرض (ولا طائر يطير بجناحه) جمع بهذين اللفظين جميع الحيوانات لأنها لا تحلو إما ان تكون بما يطير بجناحه او يدب وبما يسأل عنه ان يقال لم قال يطير بجناحه وقد علم ان الطير لا يطير الا بالجناح فالجواب ان هذا إنما جاء للتوكيد ورفع اللبس لأن القائل قد يقول طر في حاجتي اي اسرع فيها وقال الشاعر

قَوْمٌ إِذَا الشَّرَّ ابْدَى نَأَجِدِيهِ لَهُمْ
طَارُوا إِلَيْهِ زَرَافَاتٍ وَوَحْدَانًا (٣)

وانشد سيويه

فَطِيرْتُ بِمَنْصَلِي فِي يَمَلَاتٍ • دَوَامِي الْأَيْدِ يَخْتِطْنَ السَّرِيحًا (٣)

وقيل انما قال بجناحه لأن السمك تطير في الماء ولا اجنحة لها وانما خرج السمك عن الطائر لأنه من دواب البحر وإنما اراد سبحانه ما في الأرض وما في الجو (الا أمم) اي اصناف مصنفة تعرف

(١) العوآب : منزل بين مكة والبصرة وهو الذي نزلت فيه عابثة لما جاءت الى البصرة في وقعة الجمل فنبعتها كلابه
(٢) الزرافات : الجماعات (٣) المنصل : السيف . اليملات جمع اليملة : النانة النجبة المطبوعة على العمل
و الدوامي جمع الدامية : التي تسيل دمها . والنخبط في الدواب : الضرب بالابدى دون الارجل . والسريح : جلود تشدد على اخفاف النوق .

بأسماؤها يشتمل كل صنف على العدد الكثير عن مجاهد (امثالكم) قيل انه يريد اشباهكم في ابداع الله اياها وخلقها لها ودلالاتها على ان لها صناعا وقيل انما مثلت الأمم من غير الناس بالناس في الحاجة الى مدير يدبرهم في اغذيتهم وأكلهم ولباسهم ونومهم ويقظتهم وهدايتهم الى مرادهم الى ما لا يحصى كثرة من احوالهم ومصالحهم وانهم يموتون ويمشرون ويبن بهذه الآية انه لا يجوز للعباد ان يتعدوا في ظلم شي منها فإن الله خالقها والمتصرف لها (ما فرطنا في الكتاب من شي) اي ما تركنا وقيل معناه ما قصرنا واختلف في معنى الكتاب على اقوال * احدها * انه يريد بالكتاب القرآن لأنه ذكر جميع ما يحتاج اليه فيه من أمور الدين والدنيا إما مجعلا وإما مفصلا والمجمل قد بيته على لسان نبيه (ص) وأمرنا باتباعه في قوله ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وهذا يمثل قوله تعالى ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شي ويروى عن عبد الله بن مسعود انه قال مالي لا العن من لعنه الله في كتابه يعني الواشمة والمستوشمة والواصلة والمستوصلة قرأت المرأة التي سمعت ذلك منه جميع القرآن ثم أتته وقالت يا ابن أم عبد تلوت البارحة ما بين الدفتين فلم أجد فيه لمن الواشمة فقال لو تلوتيه لوجدتبه قال الله تعالى ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وان مما آتانا رسول الله ان قال لعن الله الواشمة والمستوشمة وهو قول اكثر المفسرين وهذا القول اختيار البلخي * وثانيها * ان المراد بالكتاب ههنا الكتاب الذي هو عند الله عز وجل المشتمل على ما كان ويكون وهو اللوح المحفوظ وفيه آجال الحيوان ورازقه وآثاره ليعلم ابن آدم ان عمله اولى بالإحصاء والاستقصاء عن الحسن * وثالثها * ان المراد بالكتاب الأجل اي ما تركنا شيئا الا وقد أوجبت له أجلا ثم يمشرون جميعا عن ابي مسلم وهذا الوجه بعيد (ثم الى ربهم يمشرون) معناه يمشرون الى الله بدموتهم يوم القيامة كما يمشر العباد فيعوض الله تعالى ما يستحق العوض منها وينتصف لبعضها من بعض وفيارووه عن ابي هريرة انه قال يمشر الله الخلق يوم القيامة البهائم والدواب والطيور وكل شي فيبلغ من عدل الله يومئذ ان يأخذ للجهنم من القرناء ثم يقول كوني نرابا فلذلك يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا وعن ابي ذر قال بينا انا عند رسول الله (ص) اذا انتطحت عنزان فقال النبي (ص) أنتدرون فيما انتطحا فقالوا لا ندري قال لكن الله يدري وسيقضي بينها وعلى هذا فإنما جعلت أمثالنا في الحشر والاقتصاص واختاره الزجاج فقال يعني امثالكم في انهم يمشرون ويؤيده قوله واذا الوحوش حشرت ومعنى الى ربهم الى حيث لا يملك النفع والضرة الا الله سبحانه اذ لم يمكن منه كما يمكن في الدنيا واستدل جماعة من أهل التناسخ بهذه الآية على ان البهائم والطيور مكلفة لقوله أم امثالكم وهذا باطل لأننا قد بينا انها من أي وجه تكون امثالنا ولو وجب حمل ذلك على الموم لوجب ان تكون امثالنا في كونها على مثل صورنا وهياتنا وخلقنا وأخلاقنا وكيف يصح تكليف البهائم وهي غير عاقلة والتكليف لا يصح الا مع كمال العقل (والذين كذبوا بآياتنا) اي بالقرآن وقيل بسائر الحجج والبيئات (صم وبكم) قد بينا معناها في سورة البقرة (في الظلمات) اي في ظلمات الكفر والجهل لا يبتدون الى شي من منافع الدين وقيل أراد صم وبكم في الظلمات في الآخرة على الحقيقة عقابا لهم على كفرهم لأنه ذكرهم عنيد ذكر الحشر عن ابي علي الجبائي (من يشأ الله يضلله) هذا مجمل قد بيته في قوله وما يضل به الا الفاسقين ويضل الله الظالمين والذين اهدوا زادهم هدى يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام والمعنى من يشأ الله يضلله بأن يمنه العاطف وفوائده وذلك اذا وافر عليه

(١) الجاه : التي لاقرن لها . (٢) انتطح الكباشان : نطح احدهما الاخر اي اصابه بقرنه .

الأدلة وأوضح له الحجج فأعرض عنها ولم ينم النظر فيها ويجوز أن يريد من يشأ الله اضلاله عن طريق الجنة ونيل ثوابها يضلله عنه (ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم) أي ومن يشأ أن يرجمه ويهديه إلى الجنة يجعله على الصراط الذي يسلكه المؤمنون إلى الجنة

قوله تعالى (٤٠) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنَا كُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَنتُمْ السَّاعَةُ أَغَيَّرَ اللَّهُ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٤١) بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفَ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ (آيتان)

✽ القراءة ✽

قرأ أهل المدينة أرايتكم وأرايتم وأرايت واشباه ذلك بتخفيف الهمزة كل القرآن وقرأ الكسائي وحده أرايتكم وأرايت وأرايتم كل القرآن بترك الهمزة وقرأ الباقون بالهمزة في الجميع كل القرآن

✽ الهمزة ✽

قال أبو علي من حَقَّق الهمزة فوجه قراءته بين لأنه فعلت من الروية فالهمزة عين الفعل ومن قرأ بالف في كل القرآن من غير همزة على مقدار ذوق الهمزة فإنه يجعل الهمزة بين بين أي بين الألف والهمزة وأما الكسائي فإنه حذف الهمزة حذفاً لا ترى أن التخفيف القياسي فيها أن تجعل بين بين وهذا حذف الهمزة كما قالوا **أَوْدَيْتَهُ** وكما أنشد أحمد بن يحيى (إن لم أقابل فالبسوني برهما) وكقول أبي الأسود « بابا المغيرة رَبَّ أَمْرٍ مُضَلِّ » ومما جاء على ذلك قول الآخر **أَرَيْتَ إِنْ جِئْتَ بِهِ أَمْلُوداً**

مَرَجَلًا وَيَلْبَسُ الْبُرُودًا (٣)

ومما يقوي ذلك قول الشاعر

وَمَنْ رَى مِثْلَ مَعْدَانِ بْنِ لَيْلَى إِذَا مَا لِنَسْعُ طَالَ عَلَى الْمَيْبَةِ (٤)

✽ الأعراب ✽

أرايتكم الكاف فيه للخطاب مجردا ومعنى الاسم مخلوع عنه لأنه لو كان اسماً لوجب أن يكون الاسم الذي بعده في قوله أرأيتم هذا الذي كَرَّمْتِ عَلِيَّ وَأَرَأَيْتَكَ زَيْدًا ما صنع هو الكاف في المعنى لأن رأيت يتمدى إلى مفعولين يكون الأول منهما هو الثاني في المعنى وقد علمنا أنه ليس الكاف في المعنى وإذا لم يكن اسماً كان حرفاً للخطاب مجرداً من معنى الاسم كالكاف في ذلك وهنالك وكالتاء في أنت وإذا ثبت أنه للخطاب فالتاء في أرأيت لا يجوز أن يكون للخطاب لأنه لا يجوز أن يلحق الكلمة علامتان للخطاب كما لا يلحقها علامتان للتأنيث ولا علامتان للاستفهام فلما لم يجز ذلك أفردت التاء في جميع الأحوال لما كان الفعل لا بد له من فاعل وجعل في جميع الأحوال على لفظ واحد لأن ما يلحق الكاف من معنى الخطاب يبين الفاعلين فيخصص التأنيث من التذكير والتثنية من الجمع ولو لحق علامة التأنيث والجمع التاء لاجتمعت علامتان للخطاب ما يلحق التاء وما يلحق الكاف فكان يؤدي إلى ما لا نظير له فرفض وهذا من كلام أبي علي الفارسي وجواب إن من قوله إن أتيتكم عذاب الله الفعل الذي دخل عليه حرف الاستفهام كما تقول إن أتاك زيد أنكرمه وموضع إن وجوابه نصب لأنه في موضع مفعولي رأيت وقوله إن كنتم صادقين جوابه

(١) مخفف ويل أمه . (٢) والشاعر في حذف همزة فالبسوني . (٣) الاملود : الناعم اللين . والمرجل : الذي شعره بين الجمودة والبسولة . و البرود جمع البرد بالضم . (٤) النسح : الكسر : سير أو جبل مريض طويل تشد به الرحال .

محذوف يدل عليه قوله آرايتكم لا في معنى اخبروا فكأنه قال ان كنتم صادقين فاخبروا من تدعون عند نزول البلاء بكم

﴿ المعنى ﴾

ثم أمر سبحانه نبيه بمحاجة الكفار فقال (قل) يا محمد لولا الكفار (آرايتكم ان أتاكم عذاب الله) في الدنيا كما نزل بالأمم قبلكم مثل عاد وثمود (أو أتكم الساعة) أي القيامة قال الزجاج الساعة اسم للوقت الذي يصعق فيه العباد واسم للوقت الذي يبعث فيه العباد والمعنى أو أتكم الساعة التي وعدتم فيها بالبعث والفناء لأن قبل البعث يموت الخلق كلهم (غير الله تدعون) أي تدعون فيها لكشف ذلك عنكم هذه الأوثان التي تعلمون انها لا تقدر ان تنفع انفسها ولا غيرها أو تدعون الله الذي هو خالقكم وما لكم لكشف ذلك عنكم (ان كنتم صادقين) في ان هذه الأوثان آلهة لكم احتج سبحانه عليهم بما لا يدفعونه لانهم كانوا اذا مسهم الضر دعوا الله ثم قال (بل إياه تدعون) وبل استدراك وإيجاب بعد نفي اعلمهم الله تعالى انهم اذا لحقتهم الشدائد في البحار والبراري والقفار يتضرعون اليه ويقبلون عليه والمعنى لا تدعون غيره بل تدعونه (فيكشف ما تدعون اليه ان شاء) أي يكشف الضر الذي من اجله دعوتهم ان شاء ان يكشفه (وتسون ما تشركون) أي تتركون دعاء ما تشركون من دون الله لأنه ليس عندهم ضرر ولا نفع عن ابن عباس ويكون العائد إلى الموصول محذوفا للعلم على تقدير ما تشركون به وقيل معناه إنكم في ترككم دعاءهم بمنزلة من قد نسيهم عن الزواج وهو قول الحسن لأنه قال تعرضون عنه اعراض الناس أي اللباس في النجاة من مثله ويجوز ان يكون مامع تشركون بمنزلة المصدر فيكون بمنزلة وتسون شرركم

قوله تعالى (٤٢) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ (٤٣) فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٤٤) فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِم أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ (٤٥) فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (اربع آيات)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابو جعفر فتحنا بالتشديد في جميع القرآن وواقفه ابن عامر الا قوله ولو فتحنا عليهم بابا وحتى اذا فتحنا عليهم بابا فإنه خففها وواقفها بمقرب في القمر وقرأ الباقون في جميع ذلك بالنخفيف الا مواضع قد اختلفوا فيها منذ كرها ان شاء الله اذا بلغنا الى مواضعها

﴿ الحجة ﴾

من ثقل اراد التكثير والمبالغة ومن خفف لم يرد ذلك

﴿ اللفظة ﴾

البأساء البأس والخوف والضراء من الضر وقد يكون البأساء من البؤس والتضرع التذلل يقال ضرع فلان لفلان اذا بئح له وسأله ان يعطيه والمبلس الشديد الحسرة وقال الفراء الملبس المنقطع الحجة قال روثبة وَحَضَرَتْ يَوْمَ الْخَمِيسِ الْأَخْمَاسِ وَفِي الْوُجُوهِ صُفْرَةٌ وَابِلَاسٌ

(الجزء السابع) اعراب ومعنى قوله تعالى ولقد ارسلنا إلى امم من قبلك إلى قوله والحمد لله رب العالمين ٣٠١ ج ٤

دابِر القوم الذي يدبرهم ويُدبرهم لفتان وهو الذي يتلوهم من خلفهم ويأتي على اعقابهم وانشد
آل المهلب جزَّ الله دابِرهم
أضحوا رِماداً فلا أصل ولا طرف
وقال الاصمعي الدابر الأصل يقال قطع الله دابره اي اصله وانشد
فَدَى لِكَمَا رَجَلِي وَرَحَلِي وَنَاقَتِي
غَدَاةَ الْكِلَابِ إِذْ تُجَزُّ الدَّوَابِرُ
اي يقتل القوم فتذهب اصولهم فلا يبقى لهم أثر وقال غيره دابر الامر آخره وروي عن عبد الله انه
قال من الناس من لا يأتي الصلاة الا دُبرياً بضم الدال يعني في آخر الوقت كذا يقوله اصحاب الحديث قال
ابو زيد الصواب دُبرياً بفتح الدال والباء

✽ الاعراب ✽

لولا للتحضيض ولا يدخل الآ على الفعل ومعناه هلا تضرعوا ولكن قست قلوبهم معطوف على تأويل
الكلام الأول فإن في قوله هلا تضرعوا دلالة على انهم لم يتضرعوا وقوله بفتنة مصدر وقع موقع الحال اي
أخذناهم مباغتين

➤ المعنى ➤

سَمَّ اعلم الله سبحانه نبيه حال الامم الماضية في مخالفة رسله وبين ان حال هؤلاء اذا سلكوا طريق المخالفة
كحالهم في نزول العذاب بهم فقال (ولقد ارسلنا) وها هنا محذوف وتقديره رسلا (إلى امم من قبلك) فخالقهم
(فأخذناهم) وحسن الحذف للإيجاز به والاختصار من غير اخلال لدلالة مفهوم الكلام عليه (بالأساء والضراء)
يريد به الفقر والبؤس والاسقام والواجاع عن ابن عباس والحسن (لعلهم يتضرعون) ومعناه لكي يتضرعوا وقال
الزجاج لعل ترج وهذا الترجي للعباد المعنى فأخذناهم بذلك ليكون ما يرجوه العباد منهم من التضرع كما
قال في قصة فرعون لعله يتذكر او يخشى قال سيويه المعنى اذها انتما على رجائكما فاقه عالم بما يكون من
وراء ذلك اخبر الله تعالى انه ارسل الرسل إلى اقوام بلغوا من القسوة إلى ان اجنوا بالشدة في انفسهم
وأموالهم ليخضعوا ويدلوا لأم الله فلم يخضعوا ولم يتضرعوا وهذا كالتسليية للنبي (ص) (فلولا إذ جاءهم
بأسنا تضرعوا) معناه فهلا تضرعوا إذ جاءهم بأسنا (ولكن قست قلوبهم) فأقاموا على كفرهم فلم تنجع فيهم
العظة (وزين لهم الشيطان) بالوسوسة والاغراء بالمعصية لما فيها من عاجل اللذة (ما كانوا يعملون) يعني
اعمالهم وفي هذا حجة على من قال إن الله لم يرد من الكافرين الايمان لأنه سبحانه بين انه إنما فعل ذلك
بهم ليتضرعوا وبين ان الشيطان هو الذي زين الكفر للكافر بخلاف ما قالته المجبرة من انه تعالى هو المزين
لهم ذلك (فلما نسوا ما ذكروا به) اي تركوا ما وعظوا به عن ابن عباس وتأويله تركوا العمل بذلك وقبل
تركوا ما دعاهم اليه الرسل عن مقاتل (فتحنا عليهم أبواب كل شيء) اي كل نعمة وبركة من السماء
والأرض عن ابن عباس وقيل ابواب كل شيء كانت مغلقة عنهم من الخير عن مقاتل والمعنى انه تعالى
امنحهم بالشدائد لكي يتضرعوا ويتوبوا فلما تركوا ذلك فتح عليهم ابواب النعم والتوسعة في الرزق ليرغبوا
بذلك في نعيم الآخرة وإنما فعل ذلك بهم وإن كان الموضع موضع العقوبة والانتقام دون الاكرام والالعام
ليدعوهم ذلك إلى الطاعة فإن الدعاء إلى الطاعة يكون تارة بالعرف وتارة باللفظ او لتشديد العقوبة
عليهم بالنقل من النعيم إلى العذاب الأليم (حتى إذا فرحوا بما اوتوا) من النعم واشتغلوا بالتلذذ واظهروا

ج ٣

السرور بما اعطوه ولم يروه نعمة من الله تعالى حتى يشكروه (اخذناهم) اي احلنا بهم العقوبة (بفتة) اي مفاجأة من حيث لا يشعرون (فاذا هم مبلسون) اي آسبون من النجاة والرحمة عن ابن عباس وقيل اذلة خاضعون عن البلخي وقيل متحيرون منقطعوا الحجة والمعاني منقاربة والمراد بقوله ابواب كل شيء التكثير والتفخيم دون التعميم وهو مثل قوله واوتيت من كل شيء والمراد فتحنا عليهم ابواب اشياء كثيرة وآتيناهم خيرا كثيرا وروي عن النبي (ص) انه قال اذا رأيت الله تعالى يعطي على المعاصي فان ذلك استدراج منه ثم تلا هذه الآية ونحوه ما روي عن امير المؤمنين علي عليه السلام انه قال يا ابن آدم اذا رأيت ربك يتابع عليك نعمة فاحذره (قطع دابر القوم الذين ظلموا) معناه فاستوصل الذين ظلموا بالمذاب فلم يتوكلوا عقب ولا نسل (والحمد لله رب العالمين) على اهلاك اعدائهم واعلاء كلمة رسوله حمد الله تعالى نفسه بأن استأصل شأفتهم وقطع دابرهم لأنه سبحانه ارسل اليهم وانظرهم بعد كفرهم وأخذهم بالبأساء والضراء واخبرهم بالحنة والبلاء ثم بالنعمة والرخاء وبالغ في الانذار والامهال والانتظار فهو المحمود على كل حال وفي هذا تعليم للمؤمنين ليحمدوا الله تعالى على كفايته اياهم شر الظالمين ودلالة على ان هلاكهم نعمة من الله تعالى يجب حمده عليها وروى عن علي بن ابراهيم عن ابيه عن القاسم بن محمد عن سليمان بن داود القرني عن فضيل بن عياض عن ابي عبد الله (ع) قال سألته عن الورع فقال الورع هو الذي يتورع عن محارم الله ويحتمل هولاء واذا لم يتق الشبهات وقع في الحرام وهو لا يعرفه واذا رأى المنكر ولم ينكره وهو يقدر عليه قد احب أن يعصى الله ومن احب أن يعصى الله فقد بارز الله بالعداوة ومن احب بقاء الظالمين فقد احب أن يعصى الله وأن الله حمد نفسه على اهلاك الظالمين فقال قطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين قوله تعالى (٤٦) قُلْ اَرَأَيْتُمْ اِنْ اَخَذَ اللهُ سَمْعَكُمْ وَاَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلٰى قُلُوبِكُمْ مَنْ اِلٰهُ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ اَنْظُرْ كَيْفَ نَصَرَفُ الْاٰيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُوْنَ (٤٧) قُلْ اَرَأَيْتُمْ اِنْ اَنَا كُمْ عَذَابُ اللهِ بَفْتَةٍ اَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلِكُ اِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمِيْنَ (٤٨) وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِيْنَ اِلَّا مُبَشِّرِيْنَ وَمُنذِرِيْنَ فَمَنْ اٰمَنَ وَاَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُوْنَ (٤٩) وَالَّذِيْنَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا بِمَسْمُومِ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوْا يَفْسُقُوْنَ اربع آيات

* اللفظة *

صدف عن الشيء صدوفا إذا مال عنه والصدف والصدفة الجانب والناحية والصدف كل بناء مرتفع وفي الحديث كان (ص) إذا مر بصدف مائل اسرع المشي

— الاعراب —

من إله مبتدأ وخبر وغير صفة إله وهذه الجملة في موضع مفعولي أرايتم ومن استفهام علق الفعل الذي هو أرايتم فلم يعمل في مفعوليه لفظا وقوله إن أخذ الله سمعكم جوابه محذوف وتقديره فمن يأتيكم به إلا انه أغنى عنه قوله من إله غير الله يأتيكم به الذي هو مفعول أرايتم في المعنى وموضع الشرط وجوابه نصب على الحال كما تقول لا ضربته إن ذهب أو مكث فإن قولك إن ذهب أو مكث وقع موقع ذاهبا أو ما كذا وتقديره مقدراً ذاهبا أو مكثه وبدل على انه في موضع الحال مشابهته المفرد أنه لا يستقل بنفسه كما

﴿ الفة ﴾

استهواه من قولهم هوى من حالى إذا تردى منه ويشبه به الذي زلَّ عن الطريق المستقيم كما ان قوله زل إنما هو في المكان قال (قام على منزعة زلج فزل) ثم يشبه به المخطئ في طريقته في مثل قوله فأزلهما الشيطان فكذلك هوى وأهواء غيره فيقال أهويته واستهويته بمعنى كما يقال أزله الشيطان واستزله بمعنى وكذلك استجابته بمعنى أجابه قال فلم يستجبه عند ذلك مجيب والحيران المتردد في امر لا يهتدي إلى المخرج منه والنفل منه حار يحار حيرة ورجل حائر وحيران وقوم حيارى

﴿ الاعراب ﴾

كالذي استهوته في موضع نصب صفة لمصدر محذوف تقديره اندعو من دون الله دعاء مثل دعاء الذي استهوته الشياطين في الأرض حيران وحيران نصب على الحال من مفعول استهوته له اصحاب وصف حيران ويدعونه صفة لاصحاب اي اصحاب داعون له إلى الهدى قائلون له إئتنا وهاهنا منتهى الكلام وقوله امرنا لنسلم تقول العرب امرتك لتفعل وأمرتك أن تفعل وأمرتك بأن تفعل فمن قال امرتك بأن تفعل فالبا للإصاق والمعنى وقع الأمر بهذا الفعل ومن قال امرتك ان تفعل حذف الجار ومن قال امرتك لتفعل المعنى امرتك لتفعل وقال الزجاج التقدير امرنا كي نسلم قال الشاعر

أُرِيدُ لَا نَسِي ذِكْرَهَا فَكَأَنَّا تَمَثَّلَ لِي لَيْلِي بِكَلِّ سَبِيلِ

﴿ المعنى ﴾

اي كي أنسى

ثم امر سبحانه نبيه (ص) والمؤمنين بخطاب الكفار فقال (قل) يا محمد لهؤلاء الكفار الذين يدعون إلى عبادة الأصنام او قل ايها الإنسان أو أيها السامع (اندعوا من دون الله ما لا ينفعنا) ان عبدناه (ولا يضرنا) إن تركنا عبادته (وزد على اعقابنا) هذا مثل يقولون لكل خائب لم يظفر بعاجته رد على عقبه ونكص على عقبه وتقديره انرجع القهقري في مشيتنا والمعنى انرجع عن ديننا الذي هو خير الأديان (بعد إذ هدانا الله كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران) لا يهتدي إلى طريق وقيل معناه استهوته الشياطين في المهامه من ابن عباس وقيل معناه دعته الشياطين إلى اتباع الهوى وقيل اهلكته وقيل ذهبت به عن نطفويه وقيل أضلته عن ابي مسلم (له اصحاب يدعونه إلى الهدى إئتنا) أي إلى الطريق الواضح يقولون له إئتنا ولا يقبل منهم ولا يصير اليهم لانه قد تعبر لاستيلاء الشيطان عليه يهوى ولا يهتدي ثم امره الله سبحانه فقال (قل) لهؤلاء الكفار إن هدى الله هو الهدى) اي دلالة الله لنا على توحيدِه وامر دينه هو الهدى الذي يورثي المستدل به إلى الصلاح والرشاد في دينه وهو الذي يجب ان نعمل عليه ونستدل به فلا نترك ذلك إلى ما تدعون اليه (وامرنا لنسلم لرب العالمين) معناه وأمرنا ان نسلم وقيل معناه ان نسلم اميرنا ونفوضها إلى الله وتوكل عليه فيها

قوله تعالى (٧٢) وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٧٣) وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ آيَاتُ كوفي ثلاث آيات في الباقيين عدوا كن فيكون آية

﴿ الاعراب ﴾

يتمثل أول الآية وجهين ﴿ احدهما ﴾ ان يكون التقدير امرنا لأن نسلم ولأن نقيم الصلاة ﴿ والثاني ﴾

(١) العالق : الجبل المرتفع . (٢) المنزعة : الصخرة التي يقوم عليها الساقى من البئر ومكان زلج : ملس مزل

(٣) اي في البادية .

أن يكون محمولا على المنى لأن معناه امرنا بالإسلام وبإقامة الصلاة وموضع ان نصب لأن الباء لما سقطت
افضى الفعل فنصب عالم النيب رفع لانه نعت الذي في قوله وهو الذي خلق السماوات والارض ويمتثل ان يكون
فاعل فعل يدل عليه الفعل المبني للمفعول به وهو قوله ينفخ في الصور وهذا كما يقولون اكل طعامك عبد الله
والقدير أكله عبد الله قال الشاعر

لِيُبِكَ يَزِيدُ ضَارِعٌ لِيُخْصِوَمَةً وَمُخْتَبِطٌ مِمَّا تُطِيحُ الطَّوَانِحُ^(١)

كأنه قيل من يبكيه قال يبكيه ضارع والأول أجود

✽ المنى ✽

(وأن أقيموا الصلاة) هذا مرصول بما قبله أي وقيل لنا اقيموا الصلاة (واتقوه) أي واتقوا رب العالمين
أي تجنبوا معاصيه فتقوا عقابه (وهو الذي اليه تحشرون) اي تجتمعون اليه يوم القيامة فيجازي كل عامل منكم
بعمله (وهو الذي خلق السماوات والارض بالحق) فيه قولان ﴿ احدهما ﴾ ان معناه خلقهما للحق
لا للباطل عن الحسن والزجاج وغيرهما ومعناه خلقهما حقا وصوابا لا باطلا وخطأ كما قال وما خلقنا السماء والارض
وما بينهما باطلا وادخلت الباء والألف واللام كما ادخلت في نظائرها يقولون فلان يقول بالحق بمعنى انه يقول
حقا لا ان الحق معنى غير القول بل تقديره ان خلقهما حكمة وصواب من حكم الله وهو موصوف بالحكمة
في خلقهما وخلق ما سواهما من جميع خلقه لا ان هناك حقا سوى خلقهما خلقهما به والقول الآخر ما قاله قوم
ان معناه خلق السماوات والارض بكلامه الحق وهو قوله إئتيا طوعا أو كرها فالحق صفة قوله وكلامه والاول
هو الصحيح (ويوم يقول كن فيكون) ذكر في نصب يوم وجوه ﴿ احدها ﴾ ان يكون عطفًا على الهاء
في قوله واتقوه اي واتقوا يوم يقول كن فيكون كما قال سبحانه واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا
﴿ والثاني ﴾ أن يكون على معنى واذكر يوم يقول كن فيكون لأن بعده وإذ قال ابراهيم لأبيه
آزر عطفًا على ذلك قال الزجاج وهو الأجود ﴿ الثالث ﴾ أن يكون مطرفًا على السماوات والمنى وهو
الذي خلق السماوات والارض بالحق وخلق يوم يقول كن فيكون فلان قيل إن يوم القيامة لم يأت بعد فجوابه ان
ما أنبأ الله بكرنه حقيقة واقع لا محالة وأما قوله كن فيكون فقد قيل فيه انه خطاب للصور والمنى يوم يقول
للصور كن فيكون وما ذكر من الصور يدل عليه وقيل ان قوله كن فيكون فيه اضمار جميع ما يلحق في ذلك
الوقت المنى ويوم يقول للشيء كن فيكون وهذا إنما ذكر ايدل على سرعة امر البعث والساعة فكانه يقول ويوم
يقول للخلق وتوتا فيموتون وانتشروا فينتشرون أي لا يتعذر عليه ذلك ولا يتأخر عن وقت إرادته وقيل معناه
ويوم يقول كن فيكون (قوله الحق) أي بأمر فيقع امره اي ما وعدوا به من الثواب وحذروا به من العقاب والحق
من صفة قوله وقوله فاعل يكون كما تقول قد قلت فكان قواك وليس المنى انك قلت فكان الكلام إنما
المنى إنه كان ما دل عليه القول وأما على القول المتقدم فيكون قوله مبتدأ والحق خبره وقد ذكرنا تفسير قوله كن
فيكون في سورة البقرة مستقصى (وله الملك يوم ينفخ في الصور) قيل في نصب يوم هنا وجوه ﴿ احدها ﴾
ان يكون متعلقًا بـله الملك وتقديره ان الملك قد وجب له في ذلك اليوم الذي فيه ينفخ في الصور فقد خص ذلك
اليوم بأن الملك له فيه كما خصه في قوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار والوجه فيه انه لا يبقى ملك من مملكه
الله في الدنيا او تمآب عليه بل يتفرد سبحانه بالملك ﴿ والثاني ﴾ ان يكون يوم ينفخ في الصور مبتدأ عن
قوله يوم يقول كن فيكون ﴿ والثالث ﴾ ان يكون منصوبًا بقوله الحق والمنى قوله الحق يوم ينفخ في الصور
والوجه في اختصاصه بذلك اليوم وإن كان قوله حقا في كل وقت ما بيناه في الوجه الأول وهو مثل قوله والأمر
يومئذ ولا شك أن الأمر في كل وقت لله تعالى والمراد أن ذلك اليوم يوم لا يخالف الله في أوامره لأنها محتمة ليس

(١) الضارع : فاعل من ضرع فلان أي خضع وذلك . المختبط : اسم فاعل من اختبطه اذا سئل المرء . اطاح : هلك .

فيها تحيد ولا يقدر أحد على معصيته وأما الصور فقليل فيه انه قرن ينفخ فيه اسرافيل عليه السلام نفختين فتفنى الخلائق كلهم بالنفخة الاولى ويحيون بالنفخة الثانية فتكون النفخة الاولى لانتها الدنيا والثانية لابتداء الآخرة وقال الحسن هو جمع صورة كما ان السور جمع سورة وعلى هذا فيكون منناه يوم ينفخ الروح في الصور ويؤيد القول الاول ما رواه ابو سعيد الخدري عن النبي «ص» انه قال كيف انعم وقد التقم صاحب القرن وحناجينه واصفى سمعه ينتظر أن يؤمر فينفخ قالوا فكيف نقول يا رسول الله قال قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل والعرب تقول نفخ الصور ونفخ في الصور قال الشاعر

لَوْلَا ابْنُ جَعْدَةَ لَمْ يَفْتَحْ قَهْنَدُكُمْ
وَلَا خُرَّاسَانُ حَتَّى يَنْفَخَ الصُّورُ

(عالم الغيب والشهادة) اي يعلم مالا يشاهده الخلق وما يشاهدونه وما لا يعلمه الخلق وما يعلمونه لا يخفى عليه شيء من ذلك (وهو الحكيم) في افعاله (الحخير) العالم بعباده وافعالهم

قوله تعالى (٧٤) وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزرَ اتَّخَذْ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَأَيْتَ إِذْ أُرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٧٥) وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ (آيتان)

القراءة

القراءة الظاهرة آزر بالفتح وقرأ يعقوب الحضرمي آزر بضم الراء وهو قراءة الحسن وابن عباس ومجاهد والضحاك

الحجة

من قرأ بالفتح جعل آزر في موضع جر بدلا من ابيه او عطف بيان ومن قرأ بالضم جعله منادى مفردا وتقديره يا آزر

اللفظ

الاصنام جمع صنم والصنم ما كان صورة والرثن ما كان غير مصور والآلهة جمع آله مثل إزار وآزرة والمبين هو البين الظاهر والملكوت بمتلة الملك غير أن هذا اللفظ ابلغ لأن الواو والتاء تزدان للسالبة ومثله الرهبوت والرهبوت ووزنه فعلوت وفي المثل رهبوت خير من رحوت اي لأن ترهب خير من ان ترحم

الاعراب

العامل في إذ محذوف وتقديره واذكر إذ قال وقيل انه يتصل بقوله بعد إذ هدانا الله اي وبعد إذ قال إبراهيم والكاف في كذلك كاف التشبيه والمعنى كما اربنا إبراهيم قبح ما كان عليه ايوه وقومه من المذهب كذلك زي إبراهيم ملكوت السموات والأرض للاختبار وقيل شبه رؤية إبراهيم بروية محمد «ص» والمعنى كما اربناك يا محمد اربنا إبراهيم وقوله وليكون عطف على محذوف وتقديره زيه الملكوت ليستدل به وليكون من المؤمنين وقيل انه جملة مستأنفة أي وليكون من المؤمنين اربناه فاللام تطلق بأربناه المحذوف وقيل إن الواو زائدة ومعناه ليكون وهذا بعيد

المعنى

(وإذ قال إبراهيم) اي واذكر اذ قال (لأبيه آزر) فيه أقوال ▶ احدها ◀ انه اسم ابي إبراهيم عن الحسن والسدي والضحاك ▶ وثانيها ◀ ان اسم ابي إبراهيم تاريخ قال الزجاج ليس بين النسابين اختلاف أن اسم ابي إبراهيم تاريخ والذي في القرآن يدل على ان اسمه آزر وقيل آزر عندهم ذر في لغتهم كأنه قال واذ قال إبراهيم لأبيه يا محطى فاذا كان كذلك فالاختيار الرفع وجائز أن يكون وصفا له كأنه قال لأبيه المحطى وقيل آزر اسم صنم عن سعيد بن المسيب ومجاهد قال الزجاج فاذا كان كذلك فموضعه نصب على اظهر الفعل كأنه قال واذ قال إبراهيم لأبيه اتخذ آزر ويعمل اصناما بدلا من آزر واشباهه فقال بعد أن قال اتخذ آزر إلهما

(١) قهندز هونى الاصل اسم الحصن او القلعة فى وسط المدينة و هو فى مواضع كثيرة منها قهندز نيسابور وقهندز مرو وغيرهما . (٢) لان الذى يخافه الناس يقتضى ان يكون عزيزاً والنسب يشفقون عليه يقتضى ان يكون ذليلاً .

أنتخذ اصناما آلهة وهذا الذي قاله الزجاج يقوي ما قاله اصحابنا أن آزر كان جد ابراهيم لأمه او كان عمه من حيث صح عندهم ان آباء النبي إلى آدم كلهم كانوا موحدين واجتمعت الطائفة على ذلك وروي عن النبي «ص» انه قال لم يزل ينقلني الله من اصلاب الطاعرين إلى ارحام المطهرات حتى اخرجني في عالمكم هذا لم يدنسني بدنس الجاهلية ولو كان في آباءه كافر لم يصف جميعهم بالطهارة مع قوله تعالى إنما المشركون نجس ولهم في ذلك ادلة ليس هنا موضع ذكرها وقوله (انتخذ اصناما آلهة) استهزاء المراد به الانتكار اي لا تقبل ذلك (اني اراك وقومك في ضلال) عن الصواب (مبين) ظاهر وفي الآية حث للنبي على محاجة قومه الذين دعوه إلى عبادة الاصنام والافتداء بأبيه ابراهيم فيه وتسليته له بذلك (وكذلك نري ابراهيم) أي مثل ما وصفناه من قصة ابراهيم وقوله لا ييه ما قال نزيه (ملكوت السماوات والارض) اي القدرة التي تقوى بها دلالة على توحيد الله تعالى وقيل مناه كما اربناك يا محمد اربنا آثر قدرتنا فيما خلقنا من الشمس والقمر والنجوم وما في الأرض من البحار والمياه والرياح ليستدل بها وهذا معنى قول ابن عباس وقناة وقيل يعني بالملكوت آيات السماوات والأرض عن مجاهد وقيل أن ملكوت السماوات والأرض ملكهما بالنبطية عن مجاهد ايضا وقيل أن ملكوت السماوات والارض ما نشاهده من الحوادث الدالة على ان الله سبحانه مالك لهما والله المالك لهما ولكل شيء بنفسه لا يملكه سواه فأجرى الملكوت على الماوك الذي هو في السماوات والأرض مجازا عن ابي علي الجبائي وقال ابو جعفر (ع) كسب الله له عن الأرض حتى رآهن وما تحتهن وعن السماوات حتى رآهن وما فيهن من الملائكة وحمة الرش وروى ابو بصير عن ابي عبد الله (ع) قال لما رأى ابراهيم ملكوت السماوات والأرض رأى رجلا يزني فدعا عليه فمات ثم رأى آخر فدعا عليه فمات ثم رأى ثلاثة فدعا عليهم فماتوا فأوحى الله تعالى يا ابراهيم ان دعوتك مستجابة فلا تدع على عبادي فأني لو شئت ان امتهم بدعائك ما خلقتهم إني خلقت خلقي على ثلاثة اصناف صنف يبديني لا يشركي شيئا فأني وصنف يبدي غيري فليس يفوتني وصنف يبدي غيري فأخرج من صلبه من يبديني (وليكون من الموقنين) اي من المتيقنين بأن الله سبحانه هو خالق ذلك والمالك له

﴿ النظم ﴾

وجه اتصال الآية بما قبلها انه لما عاب دينهم وذم آلهتهم واحتج عليهم بما سلف ذكره بين انه دين ابراهيم والناس الف بدين الآباء لاسيما إذا كان الأب ذا قدر وقيل انها تنصل بقوله اندعوا من دون الله مالا نفصا إلى قوله بعد إذ هدانا الله ثم قال وبعد ان قال ابراهيم كذا وكذا عن ابي مسلم

قوله تعالى (٧٦) فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين (٧٧) فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لا كونن من الضالين (٧٨) فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا كبر فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون (٧٩) إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين (أربع آيات)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابو عمرو وورش من طريق البخاري رأى كوكبا بفتح الراء وكسر الهمزة حيث كان وقرأ ابن

علمر وحمة والكسائي وخلف ويحيى عن ابي بكر رأى بكسر الراء والمهززة وقرأ الباقون بفتح الراء والمهززة

✽ الحجة ✽

ذكر ابو علي الوجه في قراءة من لم يمل وقراءة من أمال واورد في ذلك كلاما كثيرا تر كذا ذكره خوف الإطالة

✽ اللفظة ✽

يقال جنّ عليه الليل وجنه الليل واجنه الليل اذا اظلم حتى يسر بظلمته ويقال لكل ماستر قد جن وأجن ومنه اشتقاق الجن لأنهم استجنتوا عن أعين الناس وقال الهذلي

وَمَا يَ وَرَدَتْ قَبِيلَ الْكَرَى وَقَدَّجَتْ السَّدْفَ الْأَدَمَ

ويقال اجنت الميت وجنته اذا وارثته في الحد وأقل يأكل أفولا اذا غاب قال ذو الرمة

مَصَابِيحُ لَيْسَتْ بِاللَّوَاتِي يَقُودُهَا نَجْمٌ وَلَا بِالْأَفَلَاتِ الدَّوَالِكِ

والبزوغ الطلوع يقال بزغت الشمس اذا طلعت ويسمى ثلاث ليال من اول الشهر الهلال ثم يسمى قمرا الى آخر الشهر وإنما يسمى قمرا لبياضه وحار اقمرا لبيض والحنيف المائل الى الحق

✽ الاعراب ✽

السؤال يقال لم قال هذا ربي ولم يقل هذه كما قال بازغة والجواب ان التقدير هذا النور الطالع ربي ليكون الخبر والمخير عنه جميعا على التذكير كما كان جميعا على التأنيث في رأسه الشمس بازغة وقال ابن فضال المجاشعي قوله رأى الشمس بازغة اخبار من الله تعالى وقوله هذا ربي من كلام ابراهيم والشمس مؤنثة في كلام العرب وأما في كلام ما سوام فيجوز ان لا تكون مؤنثة و ابراهيم (ع) لم يكن عربيا فخكى الله تعالى كلامه على ما كان في لفته ويقال لم أنت الشمس وذكّر القمر والجواب ان تأنيثها تفخيم لها لكثرة ضيائها على حد قولهم نسبة وعلامة وليس القمر كذلك لأنه دونها في الضياء ويقال لم دخلت الألف واللام فيها وهي واحدة ولم تدخل في زيد وعمر وقيل لأن شعاع الشمس يقع عليه اسم الشمس فاحتيج الى التعريف اذا قصد الى جرم الشمس او الى الشعاع على طريق الجنس او الواحد من الجنس وليس زيد ونحوه كذلك

﴿ المعنى ﴾

لما تقدم ذكر الآيات التي أراها الله تعالى ابراهيم (ع) بين سبحانه كيف استدلل بها وكيف عرف الحق من جهتها فقال (فلما جن عليه الليل) اي اظلم عليه وستر بظلامه كل ضياء (رأى كوكبا) واختلف في الكوكب الذي رآه قيل هو الزهرة وقيل هو المشتري (قال هذا ربي فلما أظلم) اي غرب (قال لا أحب الأفلين) واختلف في تفسير هذه الآيات على اقوال ✽ احدها ✽ ان ابراهيم (ع) إنما قال ذلك عند كمال عقله في زمان مهلة النظر وخطور الخاطر الموجب عليه النظر بقلبه لأنه (ع) لما أكمل الله عقله وحرك دواعيه على الفكر والتأمل رأى الكوكب فأعظمه وأعجبه نوره وحسنه وقد كان قومه يبدون الكواكب فقال هذا ربي على سبيل الفكر فلما أظلم علم ان الأفل لا يجوز على الآله فاستدل بذلك على انه محدث مخلوق وكذلك كانت حاله في رؤية القمر والشمس فإنه لما رأى أفولهما قطع على حدوثها واستحالة إلهيتهما وقال في آخر كلامه يا قوم اني بري مما تشركون إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض الى آخره وكان هذا القول منه عجب معرفته بالله تعالى وعلمه بأن صفات المحدثين لا تجوز عليه وهذا اختيار ابي

(١) الكرى على ما قيل اسم موضع . السدف هنا : الظلمة . الادهم : الاسود . (٢) الدوالك من الدلوک وهو الفروب .

القاسم البلخي وغيره قال وزمان مهلة النظر هي اكثر من ساعة وأقل من شهر ولا يعلم ما بينها الا الله تعالى ﴿وثانيها﴾ انه إنما قال ذلك قبل بلوغه ولما قارب كمال العقل حرّكته الخواطر فيما شاهده من هذه الحوادث فلما رأى الكوكب ونوره واشراقه وزهوره ظنّ انه ربه فلما أفل وانتقل من حال الى حال قال لا أحب الآفلين (فلما رأى القمر بازغا) عند طلوعه ورأى كوره واشراقه وانبساط نوره وضيائه في الدنيا (قال هذا ربي فلما أفل) وصار مثل الكوكب في الأفول والغيوبة وعلم انه لا يجوز ان يكون ذلك صفة الآله (قال لئن لم يهديني ربي) الى رشدي ولم يوقني ويلطف بي في إصابت الحق من توحيده (لا تكون من القوم الضالين) بمادة هذه الحوادث (فلما رأى الشمس بازغة) اي طالعة وقد ملأت الدنيا نورا ورأى عظمها وكبرها (قال هذا ربي هذا اكبر) من الكوكب والقمر (فلما أفلت قال) حينئذ لقومه (يا قوم اني بري بما تشركون) مع الله الذي خلقتني وخلقكم في عبادته من آلهنكم فلما أكل الله عقله وضبط بفكره النظر في حدوث الاجسام بأن وجدها غير منفكة من المعاني المحدثه وأنه لا بدّ لها من محدث قال حينئذ لقومه (اني وجهت وجهي) اي نفسي (لذي فطر السماوات والأرض حنيفا) اي مخلصا مائلا عن الشرك الى الإخلاص (وما انا من المشركين) وهذا اختيار ابي علي الجبائي ويسأل عن القول الأول كيف قال (ع) هذا ربي مخبرا وهو غير عالم بما يخبر به والإخبار بما لا يأمن المخبر ان يكون فيه كاذبا قبيح والجواب عنه من وجهين ﴿احدها﴾ انه لم يقل ذلك مخبرا وإنما قاله فارضا ومقدّرا على سبيل التأمل كما يفرض أحدنا اذا نظر في حدوث الاجسام كونها قديمة ليتبين ما يؤدي اليه الفرض من الفساد ولا يكون بذلك مخبرا في الحقيقة ﴿والآخر﴾ انه اخبر عن ظنّه وقد يجوز ان يظنّ المتفكر في حال فكره ونظيره ما لا أصل له ثم يرجع عنه بالأدلة. ﴿سؤال آخر﴾ كيف تعجب ابراهيم (ع) من روية هذه الاشياء تعجب من لم يكن رآها وكيف يجوز ان يكون مع كمال عقله لم يشاهد السماء والكواكب والجواب انه لا يمنع ان يكون (ع) ما رأى السماء الا في ذلك الوقت لأنه قد روي ان أمه كانت ولده في مغارة خوفا من ان يقتله فرود ومن يكون في المغارة لا يرى السماء فلما قارب البلوغ وبلغ حدّ التكليف خرج من المغارة ورأى السماء وقد يجوز ايضا ان يكون قد رأى السماء قبل ذلك الا انه لم يفكر في اعلامها لأن الفكر لم يكن واجبا عليه وحين كمل عقله فكر في ذلك ﴿وثالثها﴾ ان ابراهيم (ع) لم يقل هذا ربي على طريق الشك بل كان عالما موقنا ان ربه سبحانه لا يجوز ان يكون بصفة الكواكب وإنما قال ذلك على سبيل الإنكار على قومه والتنبية لهم على ان يكون إلهها معبودا لا يكون بهذه الصفة الدالة على الحدوث ويكون قوله هذا ربي محمولا على احد الوجهين إما على انه كذلك عندكم وفي مذاهبكم كما يقول احدنا المشبه هذا ربه جسم يتحرك ويسكن وإما على ان يكون قال ذلك مستفها واسقط حرف الإستفهام للاستغناء عنه وقد كثر مجي ذلك في كلام العرب قال أوس بن حجر

شعيب بن سهم أم شعيب بن منقر

لعمرك لا أدري وإن كنت داريا

وقال الاخطل

غلس الظلام من الرباب خيالاً (١)

كذبتك عينك أم رأيت بواسط

وقال عمرو بن ابي ربيعة

(١) الواسط: بلد بالعراق. الغلس كفرس: ظلمة آخر الليل. والظلام: ذهاب النور و اراه به هنا الليل. والرباب كسحاب: اسم امرأة. والفضيال: الظن.

ثُمَّ قَالُوا نَحْبُهَا قُلْتُ بَهْرًا (١) عَدَدَ الْقَطْرِ وَالْحَصَى وَالتُّرَابِ
أي تحبها؟ وقال آخر

رَفَوْنِي وَقَالُوا يَا خَوِيلِدًا تَرَعُ قُلْتُ وَأَنْكَرْتُ الْوُجُوهَ هُمُ هُمُ (٢)

أي أمم هم ورووي عن ابن عباس انه قال في قوله فلا اقتحم العقبة معناه أفلا اقتحم فحذف حرف الاستفهام * ورايها * انه (ع) إنما قال استخداعا للقوم يريدون قصور علمهم وبطلان عبادتهم لمخلوق جارٍ عليه اعراض الحوادث فإنهم كانوا يمدون الشمس والقمر والكواكب وبعضهم يمدون النيران وبعضهم يمدون الاوثان فلما رأى الكوكب الذي كانوا يمدونه قال لهم هذا ربي في زعمكم كما قال ابن شركاني الذين كنتم تزعمون فأضافه الى نفسه حكاية لقولهم فكانه قال لهم هذا ربي في قولكم وقيل انه نوى في قلبه الشرط اي ان كان ربكم هذا الحجر كما تزعمون فهذا الكوكب وهذا القمر والشمس ربي ولم يكن الحجر ربهم ولا الكوكب ربه وفي هذه الآيات دلالة على حدوث الاجسام واثبات الصانع وانما استدل ابراهيم بالأقول على حدوثها لان حر كتبها بالأقول اظهر ومن الشبهة ابدوا اذا جازت عليها الحركة والسكون فلا بد ان تكون مخلوقة محدثة واذا كانت محدثة فلا بد لها من محدث والمحدث لا بد ان يكون قادرا ليصع منه الاحداث واذا احدثها على غاية الانتظام والاحكام فلا بد ان يكون عالما واذا كان قادرا عالما وجب ان يكون حيا موجودا وفيها تنبيه لمشركي العرب وزجرهم عن عبادة الاصنام وحث لهم على سلوك طريق ايهم ابراهيم (ع) في النظر والتفكير لانهم كانوا يعظمون آباءهم فأعلمهم سبحانه ان اتباع الحق من دين ابراهيم الذي يقرؤون بفضله اوجب عليهم

* القصة *

ذكر اهل التفسير والتاريخ ان ابراهيم (ع) ولد في زمن نمروذ بن كنعان وزعم بعضهم ان نمروذ كان من ولاية كيكوس وبعضهم قال كان ملكا برأسه وقيل لنمرود انه يولد في بلده هذه السنة مولود يكون هلاكه وزوال ملكه على يده ثم اختلفوا فقال بعضهم إنما قالوا ذلك من طريق التنجيم والتكهن وقال آخرون بل وجد ذلك في كتب الانبياء وقال آخرون رأى نمروذ كأن كوكبا طلع فذهب بضوء الشمس والقمر فسأل عنه فمير بانه يولد غلام يذهب ملكه على يده عن السدي فعند ذلك امر بقتل كل ولد يولد تلك السنة وأمر بأن يعزل الرجال عن النساء وبأن يتفحص عن احوال النساء فمن وجدت حبل تجبس حتى تلد فإن كان غلاما قتل وإن كانت جارية خلعت حتى جلبت ام ابراهيم فلما دنت ولادة ابراهيم خرجت امه هاربة فذهبت به الى غار ولقنه في خرقه ثم جعلت على باب الغار صخرة ثم انصرفت عنه فجعل الله رزقه في ابهامه فجعل يمصها فتشخب لبنا وجعل يشب في اليوم كما يشب غيره في الجمعة ويشب في الجمعة كما يشب غيره في الشهر ويشب في الشهر كما يشب غيره في السنة فمكث ما شاء الله ان يمكث وقيل كانت تختلف اليه امه فكان يمص اصابعه فوجدته يمص من اصبع ماء ومن اصبع لبنا ومن اصبع عسلا ومن اصبع تمرا ومن اصبع سمنا عن ابي روق ومحمد بن اسحاق ولما خرج من السرب نظر الى النجم وكان آخر الشهر فرأى الكوكب قبل القمر ثم رأى القمر ثم رأى الشمس فقال ما قال ولما رأى قومه يمدون الاصنام خالفهم وكان يعيب آلهتهم حتى فشا أمره وجرت المناظرات

(١) قوله بهراً مفعول مطلق لفعل معذوف اي بهرني بهراً بمعنى غلبني غلبة (٢) رفوني اي سكتوني من الرعب اعتبر بمشاهدة الوجوه وجعلها دليلا على مافى النفوس .

قوله تعالى (٨٠) وَحَاجَهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا فَلَا تُنذِرُونَنِي (٨١) وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَتَخَفُونَ إِنَّا كُنَّا أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (آياتان)

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل المدينة وابن عامر في رواية ابن ذكوان أتُحَاجُّونِي خفيفة النون والباقون بالتشديد

﴿ الحجة ﴾

قال أبو علي لا نظير في قول من شدد فأما وجه التخفيف فإنه حذف النون الثانية لالتقاء النونين والتضعيف يكره فيتوصل إلى إزالته تارة بالحذف نحو علماء بنو فلان وتارة بالابدال نحو لا أملاه حتى تفارقا نحو ديوان وقيراط فحذفوا النون الثانية كراهة التضعيف ولا يجوز أن تكون المحذوفة الأولى لأن الاستتقال يقع بالتكرير في الأمر الأعم وفي الأولى أيضا دلالة الإعراب وإنما حذف الثانية كما حذفها في لبيق في نحو قوله «إذ قال لبيق أصادفه ويذهب بعض مالي» وقوله

رَأَاهُ كَالثَّغَامِ يَمَلُّ مِسْكَاً
يَسُوءُ الْغَالِيَاتِ إِذَا فَلَّيْنِي (٣)

فالمحذوفة المصاحبة للياء ليسلم سكون لام الفعل وما يجري مجراها أو حركتها ولا يجوز أن يكون المحذوفة الأولى لأن الفعل يبقى بلا فاعل كما لا تحذف الأولى في أتُحَاجُّونِي لأنها للإعراب ويبدل على أن المحذوفة الثانية أنها حذف مع الجار أيضا في نحو قوله «قَدَّيْنِي مِنْ نَصْرِ الْخَبِيثِينَ قَدَّيْنِي» وقد جاء حذف هذه النون في كلامهم قال الشاعر

أَبَا مَوْتِ الَّذِي لَا بُدَّ أُنِّي
مَلَأَ لِي أَبَاكَ تَخَوِّفِي
وقال

تَذَكَّرُونَا إِذْ تَقَاتَلْتُمْ
لَا يَضُرُّ مَعْدِمًا عَدَمُهُ

﴿ الإعراب ﴾

موضع أن يشاء نصب أي لا أخاف إلا مشيئة الله وهذا استثناء منقطع وقيل متصل وتقديره لا أخافهم إلا أن يشاء ربي أحياءهم وأقذارهم وعلماً منصوب على التمييز

﴿ المعنى ﴾

ثم ذكر سبحانه محاجة إبراهيم مع قومه فقال (وحاجه قومه) أي خاصموه وجادلوه في الدين وخوفوه من ترك عبادة آلهتهم (قال) أي إبراهيم لهم (أتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ) أي وقتني لمعرفته ولطف بي في العلم بتوحيده وترك الشرك وأخلاص العبادة له (ولا أخاف ما تشركون به) أي لا أخاف منه ضررا إن كفرت به ولا أرجو نفعاً إن عبدته لأنه بين صنم قد كسر فلم يدفع عن نفسه ونجم دل أقوله على حدوده فكيف تُحَاجُّونِي وتدعونني إلى عبادة من لا يخاف ضرره ولا يرجي نفعه (الآن يشاء ربي شيئا) فيه قولان ﴿ أحدهما ﴾ إن معناه إلا أن يقبل الله هذه الأصنام التي تخوفوني بها فيحيتها ويقدرها

(١) أصله «بنو» وواو بن فسقطت أحديهما . وأمله أصله «املله» بلامين . (٢) هو من بيت لزيد الغيل الذي سماه النبي صلى الله عليه وآله زيد الخير وهو : كنية جابر إذ قال لبيق الخ . (٣) النقام : شجر أبيض الزهر والشوكان جماعتهما هامة شيخ . قوله على مسكلمن هل الأديم إذا شبه الصباغ . الغاليات جمع الغالية من الغلى وهو أخذ القمل والشاهد في قوله «فليقني» فإن أصله فليقني بالنونين (٤) وتامه : ليس الإمام بالشحيح الملحد .

فضر ونفع فيكون ضررها ونفعها ذلك دليلا على حدودها أيضا وعلى توحيد الله وعلى انه المستحق للعبادة دون غيره وانه لا شريك له في ملكه ثم اثني على الله سبحانه فقال (وسع ربي كل شيء علما) اي هو عالم بكل شيء ثم امرهم بالتذكر والتدبر قال (افلا تتذكرون) والثاني قول الحسن معناه لا أخاف الأوثان الا ان يشاء ربي ان يذنبني يعض ذنوبي او يشاء الاضرار بي اجلاء والأول اجود ثم احتج (ص) عليهم وأكد الحجاج بقوله (وكيف أخاف ما اشركتكم) أي كيف تلزمونني ان أخاف ما اشركتكم به من الاوثان المخلوقة وقد تبين حالهم في انهم لا يضرون ولا ينفعون (ولا تخافون انكم اشركتكم بالله) اي ولا تخافون من هو القادر على الضر والنفع بل تجرون عليه بأن اشركتكم أي جعلتم له شركاء في ملكه وتعبدوهم من دونه وقيل معناه كيف أخاف شرككم وانا منه بري والله تعالى لا يعاقبني بفعلكم وانتم لا تخافون وقد اشركتكم به فيكون على هذا ما في قوله ما اشركتكم مصدرية (ما لم ينزل به عليكم سلطانا) أي حجة على صحته وهذا يدل على ان كل من قال قولا او اعتقد مذهبا بشير حجة فهو مبطل (فأي الفريقين أحق بالأمن) انحن وقد عرفنا الله بادلته ووجهنا العبادة نحوه ام انتم وقد اشركتكم بعبادة غيره من الاصنام ولو اطرحتم المعصية والحمية لما وجدتم لهذا الحجاج مدفا (ان كتمتم لظنون) اي تستعملون عقولكم وعلومكم فميزون الحق من الباطل والدليل من الشبهة

قوله تعالى (٨٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ آية

﴿ التفة ﴾

قال الاصمعي الظلم في اللغة وضع الشيء في غير موضعه قال الشاعر يمدح قوما «هَرَّتْ الشَّقَائِقُ ظِلَامُونَ لِلْجَزْرِ» يريد انهم عرقبوها فوضوا النحر غير موضعه وقال النابغة «وَالنَّوْءِيُّ كَالْحَوْضِ بِالْمُظْلَمَةِ الْجَلْدِ» يريد الأرض التي صرف عنها المطر وإنما ساءها مظلمة لأنهم يتحوضون فيها حوضاً لم يحكموا صنعه ولم يضعوه في موضعه لكونهم مسافرين

﴿ المعنى ﴾

لما تقدم قوله سبحانه أي الفريقين أحق بالأمن أي بأن يأمن من العذاب الموحد ام المشرك عقبه ببيان من هو أحق به قال (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) معناه الذين عرفوا الله تعالى وصدقوا به وبما اوجبه عليهم ولم يخلطوا ذلك بظلم والظلم هو الشرك عن ابن عباس وسعيد بن المسيب وقتادة ومجاهدوا أكثر المفسرين وروي عن ابي بن كعب انه قال ألم تسمع قوله سبحانه ان الشرك لظلم عظيم وهو المروي عن سلمان الفارسي وحذيفة بن اليمان وروي عن عبد الله بن مسعود قال لما نزلت هذه الآية شق على الناس وقالوا يا رسول الله وأينا لم يظلم نفسه فقال (ص) انه ليس الذي تعنون ألم تستمعوا إلى ما قال العبد الصالح يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم وقال الجبائي والبلخي يدخل في الظلم كل كبيرة تمحط ثواب الطاعة وقال البلخي ولو اختص الشرك على ما قالوه لوجب ان يكون مرتكب الكبيرة اذا كان مؤمنا كان آمنا وذلك خلاف القول بالأرجاء وهذا يلزم لأنه قول بدليل الخطاب ومرتكب الكبيرة غير آمن وان كان ذلك معلوما بدليل آخر (أولئك لهم الأمن) من الله بمحصل الثواب والا مان من العقاب (وهم مهتدون) اي محكوم لهم بالاهتداء الى الحق والدين وقيل الى الجنة واختلف في هذه الآية فقيل انه من تمام

(١) من هرت توبه هرتا اذا شقه ويقال للخطيب من الرجال هرت الشفقة . الشفقة : شيه كالرقة يخرجه البعير من فيه اذا حاج وفلان شفقة قومه اي شريفهم وفضيلتهم الجرور جمع الجوزور (٢) هو من شعر للناطقة بصف سيلوا قبله : الا الادارى لأيا ما أئينها . النووى : العاجز حول البيت من تراب . الجلد : الأرض الصلبة .

ج ٤ قول ابراهيم (ع) وروي ذلك عن علي (ع) وقيل ان هذا القول من الله تعالى على جهة فصل القضاء بذلك بين ابراهيم (ع) وقومه عن محمد بن اسحاق وابن زيد والجبائي

قوله تعالى (٨٣) وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا اِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَاءِ اِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (٨٤) وَوَهَبْنَا لَهُ اِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَاَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٨٥) وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصّٰلِحِيْنَ (٨٦) وَاِسْمَاعِيْلَ وَاَلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَلْنَا عَلَى الْعٰلَمِيْنَ (٨٧) وَمِن اَبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَاِخْوَانِهِمْ وَاَجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ اِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيْمٍ (خمس آيات)

❖ القراءة ❖

قرأ أهل الكوفة ويعقوب درجات منوناً والباقون درجات من نشاء بالاضافة وقرأ أهل الكوفة غير عاصم واليسع بتشديد اللام وفتحها وسكون اليا ههنا وفي ص والباقون واليسع بسكون اللام وفتح اليا

❖ الحجة ❖

من اضاف درجات ذهب الى ان المرفوعة هي الدرجات لمن يشاء ومن نون ذهب الى ان المرفوع صاحب الدرجات ويقوي قراءة من اضاف قوله تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض فمن فضل على غيره فقد رقت درجته عليه وبدل على قراءة من نون قوله ورفع بعضهم درجات لانه في ذكر الرسل فأما قوله ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخرياً فإنه في الرتب وارتفاع الاحوال في الدنيا واتضاعها لأن قبله نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا وأما من قرأ اليسع باللام فإن هذه اللام زائدة قال ابو علي اعلم ان لام المعرفة يدخل الاسماء على ضربين ❖ احدهما ❖ للتعريف والآخر زيادة زيدت كما تزداد الحروف والتعريف على ضروب منها ان يكون إشارة الى معهود بينك وبين المخاطب نحو الرجل اذا اردت به رجلاً عرفناه بعهد كان بينكما ❖ والآخر ❖ ان يكون إشارة الى ما في نفوس الناس من علمهم للجنس فهذا الضرب وان كان معرفة كالأول فهو مخالف له من حيث كان الأول قد علمه حساً وهذا لم يعلمه كذلك انما يطمه معقولا وأما نحو صررت بهذا الرجل فإنما اشير به الى الشاهد الحاضر لا الى غائب معلوم بعهد الا ترى انك تقول ذلك فيما لا عهد بينك فيه وبين مخاطبك ويدل على ذلك قولك في النداء يا أيها الرجل فتشير به الى المخاطب الحاضر فأما نحو العباس والحارث والحسن فإنما دخلت الألف واللام فيها على تنزيل انها صفات جارية على موصوفين وهذا يعني الخليل بقوله جلوه الشيء بينه فإذا لم ينزل هذا التنزيل لم يلحقها الألف واللام فقالوا حارث وعباس وعلى كلال المذهبين جاء ذلك في كلامهم قال الفرزدق
يُقَعِّدُهُمْ اَعْرَاقُ حِذْيَمٍ بَعْدَمَا
رَجَا لَهُمَّ اِدْرَاكَ الْعُلَى وَالْمَكَارِمِ (١)

وقال

ثَلَاثٌ مِّسِينٌ لِلْمَلُوكِ وَفِي بَيْهَا
رِدَائِي وَجَلَّتْ عَنْ وُجُوهِ الْاَهَاتِمِ (٢)

(١) اعراق جمع عرق بالكسر . وحذيم : اسم رجل . والهتم جمع اهتم : قوم .

(٢) وفي الديوان واللسان هكذا «فدى لسيف من تميم وفي بها ❖ ردائي الخ ❖ . والاهاتم جمع اهتم ايضاً .

فجعله مرة اسما بمنزلة اضحاة وأضاح ومرة صفة بمنزلة احمر وحمرو جمع الاعشى بين الامرين في قوله
 أَنَا نِي وَعِبْدُ الْحَوْسِ مِنْ آلِ جَعْفَرٍ فَيَا عَبْدَ عَمْرٍو لَوْنَهَيْتَ الْأَحْوَاصَ^(١)
 وأما قوله

وَالْتَمَّ الْأَمُّ مِنْ يَمْسِي وَالْأَمَّهُمْ ذُ هَلْ بِن تَمِيمِ بِنُو السُّودِ الْمَدَانِسِ^(٢)

فإنه يحتمل أمرين يجوز ان يكون بمنزلة العباس لأن التهم مصدر والمصادر قد اجريت مجرى اسماء
 الفاعلين فوصف بها كما وصف باسماء الفاعلين وجمع جمعها في نحو نور وانوار وسيل وسوائل وعلى هذا قالوا
 الفضل في اسم رجل كأنهم جعلوه الشيء الذي هو خلاف النقص والآخر ان يكون تيمي وتيم كزنجي وزنج
 فأما الالف واللام في اليبس فلا يخلو ان تكون زائدة او غير زائدة فإن كانت غير زائدة فلا يخلو ان يكون
 على حد الرجل اذا اردت به اليهود او الجنس نحو ان الإنسان لفي خسرو او على حد دخولها في العباس
 فلا يجوز ان يكون على واحد من ذلك فثبت انه زيادة وبما جاءت اللام فيه زائدة ما أنشده احمد بن يحيى
 يَا لَيْتَ أُمَّ الْعَمْرٍو كَانَتْ صَاحِبِي مَكَانَ مَنْ أَنشَأَ عَلَى الرَّكَائِبِ^(٣)

وبما جاءت الالف واللام فيه زائدة الخمسة عشر درهما حكاه ابو الحسن الاخفش الا ترى انها اسم
 واحد ولا يجوز ان يعرف اسم واحد بتعريفين كما لا يجوز ان يتعرف بعض الاسم دون بعض وذهب ابو الحسن
 الى ان اللام في اللات زائدة لأن اللات معرفة فأما العزى فبمنزلة العباس وقياس قول ابي الحسن هنا
 ان يكون اللام في اليبس ايضا زائدة لانه علم مثل اللات وليس صفة وبما جاءت اللام فيه زائدة قول الشاعر
 وَجَدْنَا الْوَلِيدَ ابْنَ الْيَزِيدِ مَبَارَكًا شَدِيدًا بِأَعْبَاءِ الْخِلَافَةِ كَاهِلَهُ^(٤)

فأما من قال اليبس فإنه يكون اللام على حد ما في الحرف الا ترى انه على وزن الصفات الا انه وان كان
 كذلك فليس له مزبة على القول الآخر الا ترى انه لم يبيح في الاسماء الاعجمية المنقولة في حال التعريف نحو
 اساعيل واسحاق شيء على هذا النحو كما لم يبيح فيها شيء فيه لام التعريف فاذا كان كذلك كان اليبس
 بمنزلة اليبس في انه خارج عما عليه الاسماء الاعجمية المختصة العربية

✽ الاعراب ✽

وتلك حجتنا تلك مبتدأ وحجتنا خبره والظاهر ان قوله على قومه من صلة حجتنا اي وتلك حجتنا على قومه
 واذا جعلت آتيناها من صفة حجتنا كان فصلا بين الصلة والموصول وذلك لا يجوز فينبغي ان يكون متعلقا
 بمحذوف هذا الظاهر تفسير له كذا نقل عن ابي علي الجبائي

✽ المعنى ✽

ثم بين سبحانه ان الحجج التي ذكرها ابراهيم (ع) لقومه آتاه اياها واعطاها اياه بمعنى أنه هداه لها
 وانه احتج بها بأمره فقال (وتلك حجتنا) اي أدلتنا (آتيناها) اي اعطيناها (ابراهيم) وأخطرناها بآياله
 وجعلناها حججا (على قومه) من الكفار حتى تمكن من ايرادها عليهم عند الحاجة (نرفع درجات من نشاء) من
 المؤمنين الذين يصدقون الله ورسوله ويطيعونه ونفضل بعضهم على بعض بحسب احوالهم في الايمان واليقين
 (ان ربك حكيم عليم) يجعل التفاوت بينهم على ما توجهه حكمته ويقتضيه علمه وقيل معناه نرفع درجات
 من نشاء على الخلق بالاصطفاة للرسالة (ووهبنا له) اي لابراهيم (اسحاق) وهو ابنه من سارة (ويصوب) ابن

(١) العوس والاحاوس جمع الاحوس . اريد بهما بنى الاحوس بن جعفر بن كلاب واسمه ربيعة وكان صغير العينين
 (٢) المدانيس : جمع الدنس ككنف . (٣) الركايب جمع الركاب : الابل (٤) الاهباء . الانتقال .

اسحاق (كلا هدينا) اي كل الثلاثة فضلنا بالنبوة كما قال سبحانه ووجدك ضالا فهدى اي ذابها عن النبوة فهداك اليها وقيل معناه كلا هدينا بنيل الثواب والكرامات عن الجبائي من الله سبحانه على ابراهيم بأن رزقه الولد وولد الولد فإن من أفضل النعم على المبدان يرزقه الله ولداً يدعو له بعد موته فكيف اذا رزق الولد وولد الولد وهما نبيان مرسلان (ونوحا هدينا من قبل) اي من قبل هؤلاء (ومن ذريته) اي من ذرية نوح لأنه اقرب المذكورين اليه ولأن فيمن عددهم من ليس من ذرية ابراهيم وهو لوط والياس وقيل ارادوا من ذرية ابراهيم (داود) وهو داود بن ايشا (وسليمان) ابنة (أيوب) وهو أيوب بن اموص بن رازج بن روم بن عيصا بن اسحاق ابن ابراهيم (ويوسف) بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم (وموسى) بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي ابن يعقوب (هارون) أخاه وكان أكبر منه بسنة (وكذلك نجزي المحسنين) بنيل الثواب والكرامات وقيل المراد به كما تفضلنا على هؤلاء الانبياء بالنبوة فكذلك تفضل على المحسنين بنيل الثواب والكرامات (وزكريا) وهو زكريا بن أذن بن بركيا (ويحيى) وهو ابنه (وعيسى) وهو ابن مريم بنت عمران بن ياشهم بن أمون ابن حزقيا (والياس) واختلف فيه قيل انه ادريس كما قيل ليعقوب اسرائيل عن عبد الله بن مسعود وقيل هو الياس بن بستر بن فتاح بن العيرار بن هارون بن عمران نبي الله عن ابن اسحاق وقيل هو الخضر عن كعب (كل من الصالحين) اي من الانبياء والمرسلين (واسماعيل) وهو ابن ابراهيم (واليسع) بن اخطوب ابن المجوز (ويونس) بن متى (ولوطا) وهو لوط بن هاران بن أخي ابراهيم وقيل هو ابن اخته (وكلا) اي وكل واحد منهم (فضلنا على العالمين) اي عالمي زمانه ومن قال ان الهاء في قوله ومن ذريته كناية عن ابراهيم قال انه سمي ذريته الي قوله وكذلك نجزي المحسنين ثم عطف قوله وزكريا ويحيى على قوله ونوحا هدينا ولا يمتنع ايضا ان يكون غلب الأكثر الذين هم من نسل ابراهيم على ان الرواية التي جاءت عن ابن مسعود ان الياس ادريس هو جد نوح اذا لم تضاف قول من قال ان الهاء كناية عن نوح فكذلك اذا لم يكن لوط من ذرية ابراهيم لم يضاف قول من قال ان الهاء كناية عن ابراهيم وقال الزجاج يجوز ان يكون من ذريته من ذرية نوح ويجوز ان يكون من ذرية ابراهيم لأن ذكرهما جميعا تندسرت واسماء الانبياء التي جاءت بعد قوله ونوحا نسق على نوح واذا جعل الله سبحانه عيسى من ذرية ابراهيم (ع) او نوح ففي ذلك دلالة واضحة وحجة قاطعة على ان اولاد الحسن والحسين (ع) ذرية رسول الله (ص) على الاطلاق وانما ابنا رسول (ص) وقد صح في الحديث انه قال لها عليها السلام ابناي هذان إمامان قاما او قعدا وقال للحسن (ع) ان ابني هذا سيد وان الصحابة كانت تقول لكل منها ومن اولادها يا ابن رسول (ص) (ومن آباؤهم) يعني ومن آباء هؤلاء الانبياء (وذرياتهم واخوانهم) جماعة فضلناهم وقال الزجاج معناه هدينا هؤلاء وهدينا بعض آباؤهم واخوانهم (واجتبناهم) اي اصطفيناهم واخترناهم للرسالة وهو مأخوذ من جيت الماء في الحوض اذا جمعتهم وهديناهم اي سدناهم وارشدناهم فاهتدوا (الى صراط مستقيم) اي طريق بين لا اعوجاج فيه وهو الدين الحق

قوله تعالى (٨٨) ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٨٩) أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا

أمن من اصحاب النبي (ص) في وقت مبشبه وقيل عنى بقوله فإن يكفر بها كفار قريش وبقوله قوماً يسوا بها بكافرين أهل المدينة عن الضحاك واختاره الفراء وإنما قال وكلنا بها ولم يقل قد قام بها قوم تشريفاً لهم بالإضافة الى نفسه وقيل معناه قد الزمناها قوماً فقاموا بها وفي هذا ضمان من الله تعالى ان ينصرت نبيته (ص) ويحفظ دينه (أو لك الذين هدى الله) اي هدام الله الى الصبر (فهدام اقتده) معناه اقتديهم في الصبر على أذى قومك واصبر كما صبروا حتى تستحق من الثواب ما استحقوه وقيل معناه أو لك الذين قبلوا هدى الله واحتدوا بلطف الله الذي فعله بهم فاقتد بطريقتهم في التوحيد والادلة وتبليغ الرسالة وإلاشارة بأوئك الى الأنبياء الذين تقدم ذكرهم عن ابن عباس والسدي وابن زيد وقيل الى المؤمنين الموكلين بحفظ دين الله لأنه في ذكرهم عن الحسن وقادة وعلى هذا فلم يتكرر لفظ الهداية وفي القول الأول أعاد ذكر الهداية لطول الكلام ويكون معنى قوله فهدام اقتده اقتد بصبر أيوب وسخاء ابراهيم وصلابة موسى وزهد عيسى ثم فسر بعض ما يقتدى بهم فيه بقوله (قل) يا محمد (لا أسئلكم عيه أجراً) اي لا أطلب منكم على تبليغ الوحي وأداء الرسالة جعلاً كما لم يسأل ذلك الأنبياء قبلي فإن أخذ الأجر عليه ينفر الناس عن القبول (ان هو) اي ما هو (الا ذكرى) اي تذكيراً (للعالمين) بما يلزمهم إتيانه واجتنابه وفي هذه الآية دلالة على انه لا يخلو كل زمان من حافظ للدين إيماني أو إمام لقوله فقدوكلنا بها قوماً وأسند التوكيل الى نفسه وقد استدل قوم بالآية على ان النبي (ص) وأمه كانوا متعبدين بشرائع من قبلهم الا ما قام الدليل على نسخه وهذا لا يصح لأن الآية قد وردت فيما انفقوا عليه على ما تقدم ذكره وذلك لا يليق الا بالتوحيد ومكارم الأخلاق فأما الشرائع فإنها تختلف فلا يصح الاقتداء بجميع الأنبياء فيها وتدل الآية على ان نبينا مبعوث الى كافة العالمين وان النبوة مختومة به ولذلك قال ان هو الا ذكرى للعالمين

قوله تعالى (٩١) وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْمَلُونَهُ قَرَأْتُمُ الْقُرْآنَ وَيُسَبِّحُونَهَا وَتُنْفِخُونَ كَثِيرًا وَعَلِمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلْ اللَّهُ نَمَّ ذَرَّمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن كثير وابو عمر ويجعلونه قراطيس يبدونها ويخفون بالياء فيها والباقون بالتاء في الجميع

﴿ الحجة ﴾

من قرأ بالياء فلأن ما قبله ما قدروا الله على النية ومن قرأ بالتاء فعلى الخطاب من قوله قل من أنزل الكتاب وقوله فيما بعد وعلتم ما لم تعلموا

﴿ الإعراب ﴾

حق قدره منصوب على المصدر تبدونها وتخفون كثيراً يجوز ان يكون صفة لقراطيس لأن النكرات توصف بالجمل ويجوز ان يكون حالا من ضمير الكتاب في تجعلونه على ان تجعل القراطيس الكتاب في المعنى لأنه مكتوب فيها وإنما رفع قوله يلعبون لأنه لم يجعله جواباً لقوله ذرم ولو جعله جواباً لجزم كما قال سبحانه ذرمم يأكلوا وموضع يلعبون نصب على الحال والتقدير ذرمم لاعين في خوضهم

* النزول *

جاء رجل من اليهود يقال له مالك بن الضيف يخاصم النبي (ص) فقال له النبي (ص) انشدك بالذي أنزل التوراة على موسى أما تجدد في التوراة ان الله سبحانه يفيض الخبر السمين وكان سمينا فغضب وقال ما أنزل الله على بشر من شيء فقال له اصحابه ويحك ولا موسى فنزلت الآية عن سعيد بن جبير وقيل ان الرجل كان فنحاص بن غازورا وهو قائل هذه المقالة عن السدي وقيل ان اليهود قالت يا محمد انزل الله عليك كتابا قال نعم قالوا والله ما انزل الله من السماء كتابا فنزلت الآية عن ابن عباس وفي رواية أخرى عنه انها نزلت في الكفار انكروا قدرة الله عليهم فمن أقر ان الله على كل شيء قدير فقد قدر الله حق قدره وقيل نزلت في مشركي قريش عن مجاهد

* المعنى *

لما تقدم ذكر الأنبياء والنبوة عقبه سبحانه بالتهجين لمن انكر النبوة فقال (وما قدروا الله حق قدره) اي ما عرفوا الله حق معرفته وما عظموه حق عظمتهم وما وصفوه بما هو اهل ان يوصف به (اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء) اي ما ارسل الله رسولا ولم ينزل على بشر شيئا مع ان المصلحة والحكمة تقتضيان ذلك والمعجزات الباهرة تدل على بعثه كثير منهم ثم أمر سبحانه نبيه (ص) فقال (قل) يا محمد لهم (من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى) يعني التوراة وانما احتج بذلك عليهم لأن القائل لذلك من اليهود ومن قال ان المعنى بالآية مشركو العرب قال احتج عليهم بالأمر الظاهر ثم بين ان منزلة محمد في ذلك كمنزلة موسى (نورا) اي يستضاء به في الدين كما يستضاء بالنور في الدنيا (وهدي للناس) اي دلالة يهتدون به (تجملونه قراطيس) اي كتبا وصحفا منفردة وقال ابو علي الفارسي معناه تجملونه ذا قراطيس اي تودعونها إياها (تبدونها وتخفون كثيرا) اي تبدون بعضها وتكتمون بعضها وهو ما في الكتب من صفات النبي (ص) والإشارة اليه والبشارة به (وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا آباؤكم) قيل انه خطاب للمسلمين يذكرهم ما أنعم به عليهم عن مجاهد وقيل هو خطاب لليهود اي علمتم التوراة فضيغتموه ولم تتفعلوا به وقيل معناه علمتم بالقرآن ما لم تعلموا عن الحسن (قل) يا محمد (الله) اي انزل ذلك وهذا كما ان الانسان اذا أراد البيان والاحتجاج بما يعلم ان الخصم مقرر به ولا يستطيع دفعه ذكر ذلك ثم تولى الجواب عنه بما قد علم انه لا جواب له غيره (ثم ذرهم في خوضهم يلعبون) اي دعمهم وما يختارونه من العناد وما خاضوا فيه من الباطل والمبطل وليس هذا على إباحة ترك الدعاء والانداز بل على ضرب من التوعد والتهديد كأنه قال دعمهم فسيطلمون عاقبة أمرهم

قوله تعالى (٩٢) وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه ولتنذر أم القرى ومن حولها والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون (آية)

* القراءة *

قرأ ابو بكر عن عاصم لينذر بالياء والباقون بالتاء

* الحجة *

من قرأ بالتاء يؤيد قراءة قوله وانذر به الذين يخافون وإنما انت منذر من يخشاه ومن قرأ بالياء جعل

المنذر هو الكتاب ويؤيده قوله ولينذروا به وإنما انذر كم بالوحي فلا يمتنع اسناد الانذار اليه على وجه التوسخ

— الاعراب —

انزلناه جملة مرفوعة الموضع صفة لكتاب ومبارك ايضا صفة له

❁ المعنى ❁

لما احتج سبحانه بانزال التوراة على موسى عليه السلام بين ان سبيل القرآن سبيلها فقال (وهذا كتاب) يعني القرآن (انزلناه) من السماء الى الارض لأن جبرائيل (ع) اتى به من السماء (مبارك) وإنما ساء مبارك لأنه مدح مستمد به فكل من تمسك به نال الفوز عن ابي مسلم وقيل ان البركة ثبوت الخير على النسا. والزيادة ومنه تبارك الله اي ثبت له ما يستحق به التعظيم لم يزل ولا يزال فالقرآن مبارك لأن قراءته خير والعمل به خير وفيه علم الاولين والآخرين وفيه منفرة للذنوب وفيه الحلال والحرام. وقيل البركة الزيادة فالقرآن مبارك لما فيه من زيادة البيان على ما في الكتب المتقدمة لأنه ناسخ لا يرد عليه نسخ لبقائه الى آخر التكليف (مصدق الذي بين يديه) من الكتب^(١) كالنوراة والانجيل وغيرها من الحسن وتصديقه للكتب على وجهين ﴿ احدها ﴾ انه يشهد بانها حق ﴿ والثاني ﴾ انه ورد بالصفة التي نطقت بها الكتب المتقدمة (ولتنذر ام القرى ومن حولها) يعني بأهالي القرى مكة ومن حولها اهل الارض كلهم عن ابن عباس وهو من باب حذف المضاف يريد لتنذر اهل ام القرى وإنما سميت مكة ام القرى لأن الارض دحيت من تحتها فكانت الارض نشأت منها وقيل لأن اول بيت وضع في الدنيا وضع بمكة فكانت القرى تنشأت منها من السدي وقيل لأن على جميع الناس ان يستقبلوها ويعظموها لأنها قبلتهم كما يجب تعظيم الأم عن الزجاج والجبائي (والذين يؤمنون بالاخرة يؤمنون به) أي بالقرآن ويحتمل ان يكون كناية عن محمد (ص) لدلالة الكلام عليه (وهم على صلاتهم) اي على اوقات صلواتهم (يحافظون) اي يراعونها ليرتدوها فيها ويقوموا بإتمام ركوعها وسجودها وجميع اركانها وفي هذا دلالة على ان المؤمن لا يجوز أن يكون مؤمنا ببعض ما اوجبه الله دون بعض وفيها دلالة على عظم قدر الصلاة ومنزلتها لأنه سبحانه خصها بالذكر من بين سائر الفرائض ونبه على أن من كان مصدقا باقيامه بالنبي (ص) لا يجمل بها ولا يتركها

قوله تعالى (٩٣) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افترى على الله كذباً أو قال أوحى إليّ ولم يُوحِ إِلَيْهِ شَيْئاً وَمَنْ قَالَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُعْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْكِبُونَ (آية)

❁ اللفظة ❁

اصل الاقتراء القطع من فريت الأديم افرية فربا فكان الاقتراء هو القطع على خبر لا حقيقة له والفترة النشبة وغمرة كل شيء مظلمه وغمرات الموت شدائده قال الشاعر

الغمرات تم ينجلبننا
وتم يذهبن فلا يجبننا

واصله الشيء يغمر الأشياء فينظيها والهون بضم الهاء الهوان قال ذو الاصبع العبدواني

إذهب إليك فما أمي براعية
ترعى المخاص ولا اغضي على الهون (٢)

والهون بفتح الهاء الدمة والرفق ومنه يمشون على الارض هونا وقال

(١) [المتقدمة] (٢) المخاص : العوامل من النوق .

هَوْنًا كَمَا لَا يَرُدُّ الدَّهْرُ مَا فَاتَا لَا تَهْلِكَا أَصْفَا فِي إِثْرِ مَنْ مَاتَا

✽ الاعراب ✽

من قال سألزل في موضع الجر على العطف كأنه قال ومن أظلم ممن قال ذلك وجواب لو من قوله ولو ترى
اذ الظالمون في غمرات الموت محذوف اي لرأيت عذابا عظيما

✽ النزول ✽

اختلفوا فيمن نزلت هذه الآية فقيل نزلت في مسيلة حيث ادعى النبوة الى قوله ولم يوح اليه شيء وقوله
سألزل مثل ما أنزل الله في عبد الله بن سعد بن ابي سرح فإنه كان يكتب الوحي للنبي (ص) فكان اذا قال
له اكتب عليا حكيا كتب غفورا رحيا واذا قال له اكتب غفورا رحيا كتب عليا حكيا وارتد ولحق بمكة
وقال إني أنزل مثل ما أنزل الله عن عكرمة وابن عباس ومجاهد والسدي واليه ذهب الفراء والزجاج والجبائي
وهو المروي عن ابي جعفر (ع) وقال قوم نزلت في ابن ابي سرح خاصة وقال قوم نزلت في مسيلة خاصة

✽ المعنى ✽

لما تقدم ذكر نبوة النبي (ص) وإنزال الكتاب عليه عقبه سبحانه بذكر تهجين الكفار الذين كذبوه أو ادعوا
أنهم يأتون بمثل ما أتى به فقال (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا) هذا استفهام في معنى الانكار اي لا أحد
أظلم ممن كذب على الله فادعى انه نبي وايس بنبي (أو قال أوحى إلي ولم يوح اليه شيء) اي يدعي الوحي ولا
يأتيه ولا يجوز في حكمة الله سبحانه ان يبعث كذابا وهذا وان كان داخلا في الافتراء فلغا أفرد بالذكر تعظيما
(ومن قال سألزل مثل ما أنزل الله) قال الزجاج هذا جواب لقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا فادعوا ثم لم يفعلوا وبدلوا
النفوس والاموال واستعملوا سائر الخيل في إطفاء نور الله وابي الله الا ان يتم نوره وقيل المراد به عبد الله بن
سعد بن ابي سرح أملى عليه رسول الله (ص) ذات يوم ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الى قوله ثم أنشأناه خلقا
آخر فجري على لسان ابن ابي سرح فتبارك الله احسن الخالقين فأملأه عليه وقال هكذا أنزل فارتد عدو الله وقال
لئن كان محمدا صادقا فلقد أوحى الي كما أوحى اليه ولئن كان كاذبا فلقد قلت كما قال وارتد عن الإسلام وهدر
رسول الله (ص) دمه فلما كان يوم الفتح جاء به عثمان وقد أخذ بيده ورسول الله (ص) في المسجد فقال يا رسول الله اعف
عنه فسكت رسول الله (ص) ثم أعاد فسكت ثم أعاد فسكت فقال هو لك فلما مر قال رسول الله لأصحابه ألم أقل
من رآه فليقتله فقال عباد بن بشر كانت عيني اليك يا رسول الله ان تشير إلي فاقته فقال (ص) الأنبياء لا يقتلون
بالإشارة ثم اخبر سبحانه عن حال هولاء فقال (ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت) اي في شدائد الموت عند
الترغ وقيل في أشد العذاب في النار (والملائكة) الذين يقبضون الارواح وقيل يريد ملائكة العذاب (باسطوا
أيديهم) لقبض أرواحهم وقيل يبسطون أيديهم بالعذاب يضربون وجوههم وأذبارهم (أخرجوا أنفسكم)
اي يقولون أخرجوا أنفسكم من سكرات الموت إن استطعتم وصدقتم فياقلمم وأدميتهم وقيل أخرجوا أنفسكم
من اجسادكم عند معاينة الموت إرهابا لهم وتقليظا عليهم وان كان إخراجها من فعل غيرهم وقيل على التأويل الاول
يقولون لهم يوم القيامة أخرجوا أنفسكم من عذاب النار إن استطعتم اي خلتصوها منه (اليوم تجزون عذاب
الهنون) اي عذابا تلقون فيه الهوان (بما كنتم تقولون على الله غير الحق) اي في الدنيا (وكنتم عن آياته تستكبرون)
اي تأنفون من اتباع آياته

قوله تعالى (٩٤) وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فَرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ
وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءَ لَقَدْ نَقَطَعَ

يَنكُمُ وَضَلَّ عَنْكُم مَّا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (آية)

✽ القراءات ✽

قرأ أهل المدينة والكسائي وحفص بينكم بالنصب والباقون بالرفع

➤ الحجة ➤

قال ابو علي استعمل هذا الاسم على ضربين ➤ أحدهما ➤ ان يكون اسما متصرفا. كالاقتراح ➤ والآخر ➤ ان يكون ظرفا والمرفوع في قراءة من قرأ قد تقطع بينكم هو الذي كان ظرفا ثم استعمل اسما والدليل على جواز كونه اسما قوله ومن بيننا وبينك حجاب وهذا فراق بيني وبينك فلما استعمل اسما في هذه المواضع جاز ان يسند اليه الفعل الذي هو تقطع في قول من رفع والذي يدل على ان هذا المرفوع هو الذي استعمل ظرفا أنه لا يخلو من ان يكون الذي كان ظرفا اسما فيه او يكون الذي هو مصدر فلا يجوز ان يكون المصدر لأن تقديره يكون قد تقطع افتراقكم وهذا خلاف المعنى المراد لأن المراد قد تقطع وصلكم وما كنتم تتأخرون عليه فلان قلت كيف جاز ان يكون بمعنى الوصل وأصله الافتراق والتأخير قيل إنه لما استعمل مع الشينين المتلابسين في نحو بيني وبينه شركة وبيني وبينه رحم وصداقة صارت لاستعمالها في هذه المواضع بمنزلة الوصلة وعلى خلاف الفرقة فلماذا قد جاء اقد تقطع بينكم بمعنى تقطع وصلكم فأما من نصب بينكم فبمعنى مذهبان ➤ أحدهما ➤ أنه أضر الفاعل في الفعل ودل عليه ما تقدم من قوله وما نرى معكم شفاعكم لأن هذا يدل على التقاطع وذلك المضر هو الوصل فكانه قال قد تقطع وصلكم بينكم وقد حكى سيويه أنهم قالوا إذا كان غدا فأتني وأضر ما كانوا فيه من رخصا. وبلا. لدلالة الحال عليه والمذهب الآخر انه انتصب على شيء يراه ابو الحسن فإنه يذهب الى ان معناه معنى المرفوع فلما جرى في كلامهم منصوبا ظرفا تركوه على ما يكون عليه في أكثر الكلام وكذلك يقول في قوله يوم القيامة يفصل بينكم وقوله وإنا منا الصالحون ومنا دون ذلك ودون في موضع رفع عنده وإن كان منصوب اللفظ كما يقال منا الصالح ومنا الطالح

✽ اللغة ✽

فرادى جمع فردي وفردي والعرب تقول فرادى وفراة فلا يصر فونها تشبيها بثلاث ورباع قال الشاعر

تَرَى النَّعْرَاتِ الْبَيْضَ تَحْتَ لَبَانِهِ

فَرَادٍ وَمَشَى اصْمَقَتْهَا صَوَاهِلُهُ (١)

وقال النابغة

مِنْ وَحْشٍ وَجَرَّةٍ مَوْشِيٍّ أَكَارِعُهُ

ومثل الفرادى الرذلي والترايبى والتخويل الاعطاء. وأصله تليك الحول كما ان التحويل هو تليك الأموال وخوله الله اعطاء مالا وفلان حولي مال وخال مال وخائل مال إذ كان يصلح المال وهم حول فلان اي أتباعه الواحد خائل والزعم قد يكون حقا وقد يكون باطلا قال الشاعر

يَقُولُ هَلْ كُنَّا إِنْ هَلَكْتَ وَإِنَّمَا

عَلَى اللَّهِ أَرْزَاقُ الْعِبَادِ كَأَرْعَمِ

والبين مصدر بان يبين إذا فارق قال الشاعر

بَانَ الْخَلِيطُ بِرَأْمَتَيْنِ فَوَدَّعُوا

أَوْ كَلَّمَاظَمَنُوا لِبَيْنِ تَجَزَعُ (٢)

قال ابو زيد بان الحمي بينونة وبيننا اذا ظمنا وتباينوا اي تفرقوا بعد ان كانوا جسيما

✽ الإعراب ✽

فرادى نصب على الحال وما خولناكم موصول وصلة في موضع نصب بأنه مفعول تركتم

(١) مضى البيت بمعناه في ص ٥ (٢) وجرة: موضع بين مكة والبصرة اربعمون ميلا ليس فيها منزل فهي مفازة للوحش. الموشى: القش. الاكارع جمع الاكرع وهو جمع الكراع: مستنق الساق. طاوى المصير: ضامر العمى. يصف ثور الوحش بضوء البطن وتنطيط الساق وبريق الجلد (٣) الضول: جمع الضولي: ما اعطاك الله من النعم والبيد والاماء (٤) الخليط القوم الذين امرهم واحد. دامتين: موضع.

✽ النزول ✽

نزلت في النضر بن الحرث بن كعدة حين قال سوف يشفع لي اللات والعزى عن عكرمة

✽ المعنى ✽

ثم بين سبحانه تمام ما يقال لهم على سبيل التوبيخ فقال (ولقد جئتمونا) قيل هذا من كلام الله تعالى يخاطب به عباده اما عند الموت أو عند البعث وقيل هو من كلام الملائكة يؤدونه عن الله إلى الذين يقبضون ارواحهم (فرادى) اي وحدانا لا مال لكم ولا حَوْل ولا ولد ولا مشتم عن الجبائي وقيل واحدا واحدا على حدة عن الحسن وقيل كل واحد منهم منفردا من شريكه في النبي وشقيقه عن الزجاج (كما خلقناكم أول مرة) اي كما خلقناكم في بطون أمهاتكم فلا ناصر لكم ولا معين عن الجبائي وقيل بمعناه ما روي عن النبي (ص) أنه قال تحشرون حفاة عراة عزلا والقرول هم القُلْفُ وروي ان عائشة قالت لرسول الله (ص) حين سمعت ذلك واسواته أينظر بعضهم إلى سواته من الرجال والنساء فقال (ص) لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه ويشغل بعضهم عن بعض وقال الزجاج معناه كما بدأناكم أول مرة اي يكون بشركم كخلقكم (وتركتم ما خولناكم) معناه ما ملكناكم في الدنيا مما كنتم تتباهون به من الأموال (وراء ظهوركم) اي خلف ظهوركم في الدنيا والمراد تركتم الأموال وحثتم من الذنوب الاحمال واستمتم فيكم بما خلقتم وحوستم عليه فيا لها من حسرة (وما زى معكم شفعاكم) اي ليس معكم من كنتم تزعمون أنهم يشفعون لكم عند الله يوم القيامة وهي الاصنام الذين زعمتم انهم فيكم شركاء معناه زعمتم انهم شركاؤنا فيكم وشفعاؤكم يريد وما نفعكم عبادة الأوثان التي كنتم تقولون انها فيكم شركاء وانها تشفع لكم عند الله تعالى وهذا عام في كل من عبد غير الله واعتد غيره يجرؤ غيره ويخاف ضيره في مخالفة الله تعالى (لقد تقطع بينكم) اي وصلكم وجمعكم ومن قرأ بالنصب فمعناه لقد تقطع الأمر بينكم او تقطع وصلكم بينكم (وضل عنكم ما كنتم تزعمون) اي ضاع وتلاشى ولا تدرون اين ذهب من جعلتم شفعاكم من أمتكم ولم تنفعكم عبادتها وقيل معناه ما تزعمون من عدم البعث والجزاء قد حث الله سبحانه في هذه الآية على اقتناء الطاعات التي بها ينال الفوز وتدرك النجاة دون اقتناء المال الذي لا شك في تركه وعدم الانتفاع به بعد الملت

قوله تعالى (٩٥) **إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْغَابِ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكَمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ** (٩٦) **فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ** (آياتان)

✽ القراءة ✽

قرأ اهل الكوفة وجعل الليل سكتا والباقون وجاعل بالالف والرفع الليل بالجر

✽ الحجة ✽

وجه قول من قرأ وجاعل الليل ان قبله اسم فاعل وهو فائق الحب وفائق الاصبح ليكون فاعل المطرف مثل فاعل المطرف عليه الا ترى ان حكم الاسم ان يعطف على اسم مثله لأن الاسم بالاسم اشبه من النعل بالاسم ويقوي ذلك قولهم

لَبَسْتُ عِبَاةً وَتَقَرَّرَ عَيْبِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ لُبْسِ الشُّفُوفِ

فنصب وتقرر ليكون في تقدير اسم باضار أن فيكون قد عطف اسم على اسم وقوله

وَلَوْلَا رِجَالٌ مِنْ رِزَامٍ وَمَازِنٍ وَآلِ سَبِيحٍ أَوْ أُسُوكَ عَقْلًا^(١)

(١) الفلف جمع الافلاف : من لم يغتن (٢) قاله حصين بن حمام . رزام و مازن وسبيح : قبائل . الطقم : المضطل وكل شيء . مر .

ومن قرأ وجعل فلان اسم الفاعل الذي قبله بمعنى المضي فلما كان فاعل بمعنى فعل عطف عليه فعل او افقته له في المعنى ويدل على انه بمنزلة فعل انه نزل منزلته فيا عطف عليه وهو قوله والشمس والقمر حسابا الا ترى انه لما كان المعنى فَعَلْ حمل المطفوف على ذلك فنصب الشمس والقمر على فَعَلْ لما كان فاعل كفعل ويقوي ذلك قولهم هذا معطي زيد درهما أمس فالدرهم محمول على اعطى لأن اسم الفاعل إذا كان لا مضي لم يعمل عمل الفعل فإذا كان معطى بمنزلة اعطى كذلك جعل فائق بمنزلة فلق لأن اسم الفاعل لا مضي فمعطى عليه فَعَلْ لما كان بمنزلة

اللغة

الفلق الشق يقال فلقه فانفلق والفلق الصبح لأن الظلام ينفلق عنه والفلق المطمئن من الارض كأنه منشق عنها والحب جمع حبة وهو كل ما لا يكون له نوى كالبز والشعير والنوى جمع نواة والاصباح والصبح واحد وهو مصدر اصبحنا اصباحا وقد روي عن الحسن انه قرأ فائق الاصباح بالفتح يريد صبح كل يوم وما قرأ به غيره والسكن الذي يسكن اليه والحسبان جمع حساب مثل شهاب وشهبان وقيل هو مصدر حسبت الحساب احسبه حسبا وحسابنا وحكي عن بعض العرب على الله حساب فلان وحسبته اي حسابه والحسبان بكسر الحاء جمع حساباته وهي وسادة صغيرة والحسبان والمعيبة مصدر حسبت فلانا عاقلا لحيبه واحسبه

الاعراب

النصب في الشمس والقمر مفعول فعل يدل عليه قوله وجاعل الليل سكنا وتقديره وجعل الشمس والقمر حسابنا وحسابنا المفعول الثاني منه ولا يجوز وجاعل الليل سكنا لأن اسم الفاعل إذا كان واقعا لم يعمل عمل الفعل واضيف إلى ما بعده لا غير تقول هذا ضارب زيد أمس لا غير

المعنى

ثم عاد الكلام إلى الاحتجاج على المشركين بعجائب الصنم ولطائف التدبير فقال سبحانه (ان الله فائق الحب والنوى) اي شاق الحبة اليابسة الميتة فيخرج منها النبات وشاق النواة اليابسة فيخرج منها النخيل والشجر عن الحسن وقتادة والسدي وقيل معناه خالق الحب والنوى ومنشئها ومبدئها من ابن عباس والضحاك وقيل المراد به ما في الحبة والنوى من الشق وهو من عجيب قدرة الله تعالى في استوائه من مجاهد واني مالك (يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي) اي يخرج النبات النض الطري الخضر من الحب اليابس ويخرج الحب اليابس من النبات الحي النامي عن الزجاج والعرب تسمي الشجر ما دام خضاً قائماً بأنه حي فاذا يبس او قطع او قلم سمّوه ميتا وقيل معناه يخلق الحي من النطفة وهي موات ويخلق النطفة وهي صوت من الحي عن الحسن وقتادة وابن زيد وغيرهم وهذا أصح وقيل معناه يخرج الطير من البيض والبيض من الطير عن الجاثي وقيل معناه يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن (ذلكم الله) اي فاعل ذلك كاه الله (فأنى توفكون) اي تصرفون عن الحق ويذهب بكم من هذه الأدلة الظاهرة الى الباطل أفلا تتسبدون فتعلمون انه لا ينبغي ان يجعل لمن انعم عليكم بخلق الحب والنوى واخراج الزرع من الحب والشجر من النوى شريك في عبادته (فائق الاصباح) اي شاق عبود الصبح عن ظلمة الليل وسواده عن اكثر المفسرين وقيل معناه خالق الصباح عن ابن عباس (وجاعل الليل سكنا) تسكنون فيه وتتودعون فيه عن ابن عباس ومجاهد واكثر المفسرين نية لله سبحانه على عظيم نعمته بأن جعل الليل للسكون والنهار للتصرف ودل بتناقبها على كمال قدرته وحكمته ثم قال (والشمس والقمر حسابنا) اي جعلها تجريان في افلاكهما بحساب لا يتجاوزانه حتى ينتهيا إلى أقصى منازلها فتقطع الشمس جميع البروج الاثني عشر في ثلاثمائة وخمس وستين يوماً وربع والقمر في ثمانية وعشرين يوماً وبني عليها الليالي والأيام والشهور والاموار كما قال سبحانه والشمس والقمر بحسبان وقال كل في فلك يسبحون عن ابن عباس والسدي

وقتادة ومجاهد أشار سبحانه بذلك إلى ما في حسابها من مصالح العباد في معاملاتهم وتواريخهم وأوقات عباداتهم وغير ذلك من أمورهم الدينية والدنيوية (ذلك) إشارة إلى ما وصفه سبحانه من فلق الاصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسيباناً (تقدير العزيز) الذي عز سلطانه فلا يقدر احد على الامتناع منه (العليم) بمصالح خلقه وتديبيرهم

قوله تعالى (٩٧) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ لَتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٩٨) وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَوْعِدٌ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ (آياتان)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن كثير وابو عمرو ويقوب برواية روح وزيد فمستقر بكسر القاف والباقون بفتح القاف

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي من كسر القاف كان المستقر بمعنى القار فإذا كان كذلك وجب خبره ان يكون المضر منكم اي فنكمم مستقر كقولك بعضكم مستقر اي مستقر في الارحام ومن فتح فليس على انه مفعول الا ترى أن استقر لا يتعدى وإذا لم يتمد لم يبين منه اسم مفعول به وإذا لم يكن مفعولاً به كان اسم مكان فالمستقر بمنزلة المقر كما كان المستقر بمعنى القار وإذا كان كذلك جعلت الخبر المضر لكم والتقدير فمستقر لكم وأما المستودع فإن استودع فعل يتعدى إلى مفعولين تقول استودعت زيداً الفأودعت زيداً القاف استودع مثل أودع كما ان استجاب مثل أجاب فالمستودع يجوز ان يكون الإنسان الذي استودع ذلك المكان ويجوز ان يكون المكان نفسه ومن قرأ فمستقر بفتح القاف جعل المستودع مكاناً ليكون مثل الموطوف عليه اي فلکم مكان استقرار واستيداع ومن قرأ فمستقر فالمعنى منكم مستقر في الارحام ومنكم مستودع في الاصلاب فالمستودع اسم المفعول به فيكون مثل المستقر في انه اسم لغير المكان

﴿ المعنى ﴾

ثم ذكر سبحانه ما يقارب في المعنى الآية المتقدمة فيا يدل على وحدانيته وعظيم قدرته فقال (وهو الذي جعل) اي خلق (لكم) اي لنعكمم (النجوم لتهتدوا بها) اي بضوئها وطلوعها ومواضعها (في ظلمات البر والبحر) لأن من النجوم ما يكون بين يدي الإنسان ومنها ما يكون خلفه ومنها ما يكون من يمينه ومنها ما يكون عن يساره ويهتدى بها في الاسفار وفي البلاد وفي القبله واوقات الليل و إلى الطرق في مسالك البراري والبحار وقال البلخي ليس في قوله لتهتدوا بها ما يدل على انه لم يخلقها لتغير ذلك بل خلقها سبحانه لأمر جليله عظيمة ومن فكر في صغر الصغیر منها وكبر الكبير واختلاف مواقعها ومجاورها واتصالاتها وسيرها وظهور منافع الشمس والقمر في نشوء الحيوان والنبات علم ان الأمر كذلك ولو لم يخلقها إلا للاعتدال لما كان لخلقها صغارا وكبارا واختلافاتها في المسير معنى وفي تفسير علي بن ابراهيم بن هاشم ان النجوم آل محمد (ع) (قد فصلنا الآيات) اي بينا الحجج والبيانات (لقوم يعلمون) اي يتفكرون فيعلمون (وهو الذي أنشأكم) اي ابدعكم وخلقكم (من نفس واحدة) اي من آدم (ع) لأن الله تعالى خلقنا جميعا منه وخلق أمنا حواء من ضلع من أضلاعه ومن عطينا بهذا لأن الناس إذا رجعوا إلى أصل واحد كانوا أقرب الى التواد والتعاطف والتألف (فمستقر ومستودع) قد مر ذكرهما في الحجة واختلف في معناها فليل مستقر في الرحم إلى ان يولد ومستودع في القبر إلى ان يبعث عن عبد الله بن مسعود وقيل مستقر في بطون الأمهات ومستودع في اصلاب الآباء من سعيد بن جبیر وعكرمة عن

ابن عباس وقيل مستقر على ظهر الأرض في الدنيا ومستودع عند الله في الآخرة عن مجاهد وقيل مستقرها أيام حياتها ومستودعها حيث يموت وحيث يبعث عن ابي العالية وقيل مستقر في القبر ومستودع في الدنيا عن الحسن وكان يقول يا ابن آدم أنت وديعة في أهلِكَ ويوشك ان تلحق بصاحبك وأنشد قول لبيد

وَمَا الْمَالُ وَالْأَهْلُونَ إِلَّا وَدِيعةٌ وَلَا بَدَ يوماً أَنْ تَرَدَّ الْوَدائعُ

وقال سليمان بن زيد العدوي في هذا المعنى

فُجِعَ الْأَحِبَّةَ بِالْأَحِبَّةِ قَبْلَنَا فَالْنَّاسُ مَفْجُوعٌ بِهِ وَمَفْجِعٌ
مَسْتَوْدِعٌ أَوْ مَسْتَقَرٌّ مَدْخِلاً فَالْمَسْتَقَرُّ بِزُورِهِ الْمَسْتَوْدِعُ

(قد فصلنا الآيات) أي بيننا الجميع وميزنا الأدلة (لقوم يفقهون) مواقع الحجة ومواقع العبرة وإنما خص الذين يعلمون ويفقهون لأنهم المنتفعون بها كما قال هدي للمحققين ومكرر قوله قد فصلنا الآيات حثاً على النظر وتنبها على ان كلاماً ذكر آية ودلالة تدل على توحيد صفاته العلى

قوله تعالى (٩٩) وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرَجُ مِنْهُ حَبًّا مَاتِرًا كَبَابًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَبَيْنِعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (آية)

القراءة

قرأ ابو بكر من عاصم برواية ابي يوسف الأعمش والبرجمي وجنات بالرفع وهو قراءة أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) وعبد الله بن مسعود والأعمش ويحيى بن يعمر وقرأ الباقر وجنات على النصب وقرأ حمزة والكسائي وخلف ثمره بضمين وكذلك كلوا من ثمره وفي سورة يس لياكلوا من ثمره وقرأ الباقر ثمره بفتحين في الجميع

الحجة

من قرأ وجنات فإنه عطفها على قوله خضراً أي فأخرجنا من الماء خضراً وجنات من اعناب ومن قرأ وجنات بالرفع فإنه عطفها على قنوان لفظاً وإن لم يكن من جنسها كقول الشاعر (مقلداً سيفاً وريحاً) ومن قرأ الى ثمره فالتمر جمع ثمرة مثل بقره وبقر وشجرة وسجرو من قرائمه بضمين فيجتمل وجهين أحدهما أن يكون على ثمرة وثمر مثل خشية وخشب وأكبة وأكيم قال الشاعر

نَحْنُ الْفَوَارِسُ يَوْمَ دَيْسَقَةَ الْمَنَةِ شَوْ الْكَاةِ غَوَارِبَ الْأَكْمِ (١)

ونظيره من المعتل قارة وقور وناقة ونوق وساحة وسوح قال الشاعر

وَكَانَ سِيَّانٍ الْإِسْرَحُوا نَعْمًا أَوْ يَسْرَحُوهُ بِهَا وَأَغْبَرَتْ السُّوحُ

والآخر أن يكون جمع ثمار على ثمر فيكون ثمر جمع الجمع

الفئة

خضر بمعنى أخضر يقال إخضر فهو خضر وأخضر وأخضر فهو قور وأخورد وفي الحديث ان الدنيا حلوة خضرة أي فضة ناعمة وذو دمه خضراً مضرأ أي باطلا وأخذ الشيء خضراً مضرأ أي مجاناً بغير ثمن وقيل خطأً طرياً وفلان أخضر الجلدة وأخضر المنكب أي ذو سعة وخصب وقال الفضل بن عباس بن عتبة بن ابي لهب

(١) يوم ديسقة: يوم من أيام العرب مشهور وكانه اسم موضع والكاة جمع الكمن: الشجاع اولابس السلاح.

وَأَنَا الْأَخْضَرُّ مَنْ يَعْرِفُنِي
مَنْ يَسَاجِلُنِي يَسَاجِلُ مَا جِئْتُ
رَسُولِ اللَّهِ وَأَبْنِي بِنْتِهِ
أَخْضَرُ الْجِلْدَةِ فِي بَيْتِ الْعَرَبِ
يَمَلَأُ الدَّلْوَ إِلَى عَقْدِ الْكَرْبِ (١)

وكثيرة خضراء. اذا كان عليها سواد الحديد والعرب تسمى الأسود اخضر ويسمى سواد العراق سوادا لكثرة خضرته ومتراكب متفاعل من الركوب وطلع النخل اول ما يبدو من ثمره وقد اطلع النخل والقنوان جمع قنوه والنقد بكسر العين اي الكباسة والمدق بفتح العين النخلة وقنوان وقنوان بكسر القاف وضمتا لقنوان وقنوان بالياء لغة تميم ودانية قريية المتناول والينم النضج يقال ينم الثمر ينما وينما وينما واينم اذا ادرك قال الشاعر

فِي قِيَابٍ وَسَطَ دَسْكَرَةٍ (٢)
حَوْلَهَا الزَّيْتُونُ قَدْ يَنَمَا

وقيل ان الينع جمع يانع مثل صاحب وصحب وتاجر وتجر

المعنى

ثم عطف سبحانه على ما تقدم فقال (وهو الذي انزل من السماء ماء) يريد من السحاب والعرب تقول كل ما علاك فأظلك فهو سما. (فأخرجنا به نبات كل شيء) والمعنى فأخرجنا بالما الذي انزلناه من السماء. من فدان. الانعام والطيور والوحش وأرزاق بني آدم ما يتغذون به ويأكلونه فينبتون عليه وينمون ويريد بنبات كل شيء ما ينبت به كل شيء وينمو عليه ويحتمل ان يكون المراد أخرجنا به جميع أنواع النبات ليكون كل شيء هو اصناف النبات كقوله ان هذا هو الحق اليقين من الفراء. والأول احسن. وإنما قال به لأنه سبحانه جعله سببا مؤثرا لى النبات لا مولدا له وقد كان يكتفه الانبات بغيره فلا يقال انه فمها بسبب مولد (فأخرجنا منه) اي من الماء. وقيل من النبات (خضرا) اي زرها رطبا اخضر وهو ساق. السنبلة (نخرج منه) اي من ذلك الزرع الخضر (حيا متراكبا) قد تركب بعضه على بعض مثل سنبلة الحنطة والسمسم وغير ذلك (ومن النخل) اي ونخرج من النخل (من طلما قنوان) اي اعذاق الرطب (دانية) اي قريية المتناول ولم يقل ومنها قنوان بعيدة لأن في الكلام دليلا على البعيدة السحيقة من النخل قد كانت غير سحيقة فاجترأ بذكر القرينة من ذكر السحيقة كما قال سراويل تقيكم الحررا ولم يقل وسراويل تقيكم البرد لأن في الكلام دليلا على انها تقي البرد لأن ما يستر عن الحر يستر عن البرد عن الزجاج وقيل دانية دنت من الارض لكثرة ثمرها وثقل حملها وتقديره ومن النخل من طامها ما قنوانه دانية وإنما خص الطلع بالذكر لما فيه من المنافع والأغذية الشريفة التي ليست في اكام الثمار (وجنات من اعناب) يعني وأخرجنا به ايضا جنات من اعناب اي بساين من اعناب ومن رفهه فقديره ونخرج به جنات من أصناب (والزيتون والرمان) اي فأخرجنا به الزيتون والرمان اي شجر الزيتون والرمان وقرن الزيتون والرمان لأنها شجرتان تعرف العرب أن ورقها يشتمل على الفصن من أوله الى آخره قال الشاعر

بُورِكَ لِلَّهِ الْغَرِيبُ كَأَبُو
رِكَ نَضِجَ الرَّمَانِ وَالزَّيْتُونُ

ومناه ان ورقها يشتمل على العود كاه (مشتبا وغير مشابه) اي مشتبا شجره يشبه بعضه بمضاوغير مشابه في الطعم وقيل مشتبا ورقه مختلفا ثمره عن قتادة وقيل مشتبا في المطلق مختلفا في الطعم وقيل مشتبا ما كان من جنس واحد وغير مشابه اذا اختلف جنسه عن الجبائي والأولى ان يقال ان جميع ذلك مشتبه من وجوه مختلف من وجوه فيدخل فيه جميع ما تقدم (انظروا الى ثمره اذا اثمر) اي انظروا الى خروج الثمار نظرا للاعتبار

(١) ساجله : باراه وفاخره . والكرب : العجل يهقه على رأس الدلو (٢) الدسكرة : بناء كالقصر حوله بيوت للاعاجم يكون فيها الشراب والملاهي .

(وبنه) أي نضجه ومعناه انظروا من ابتداء خروجه إذا أثر إلى انتهائه إذا اهنع وادرك كيف تنتقل عليه الأحوال في الطعم واللون والرائحة والصغر والكبر ليستدلوا بذلك على أن له صنما مذبذباً (ان في ذلك لآيات) أي ان في خلق هذه الثمار والزرور مع اتقان جواهرها اجناساً مختلفة لا يشبه بعضها بعضاً لدلالات على أن لها خالقاً قصد إلى التمييز بينها قبل خلقها على علم بها وانها تكوّنت بخلقها وتدييره (قوم يؤمنون) لأنهم بها يستدلون وبمعرفة مدلولاتها ينتفعون

قوله تعالى (١٠٠) وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَہُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ (١٠١) بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (آياتان)

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل المدينة وخرقوا بالتشديد والباقون وخرقوا بالتخفيف

﴿ الحجة ﴾

قال احمد بن يحيى خرق واخرق بمعنى وقال ابو الحسن الخفيفة اعجب إلى لأنها أكثر والمعنى في القراءتين كذبوا وقد روي في الشواذ عن ابن عباس وحرفوا بالحاء والفاء وهذا شاهد يكذبهم ايضاً ومثله يعرفون الكلم عن مواضعه

﴿ اللفظة ﴾

البديع بمعنى المبدع والفرق بين الابداع والاختراع ان الابداع فعل ما لم يسبق إلى مثله والاختراع فعل ما لم يوجد سبب له ولذلك يقال البدعة لما خالف السنة لأنه أحدث ما لم يسبق إليه ولا يقدر على الاختراع غير الله تعالى لأن حده ما ابتدئ في غير محل القدرة عليه والقادر بقدرة إما ان يفعل مباشرة وهو ما ابتدئ في محل القدرة او متولداً وهو ما يوقع بحسب غيره ولا يقدر على الاختراع اصلاً

﴿ الاعراب ﴾

انتصاب الجن من وجهين ﴿ احدهما ﴾ ان يكون مفعولاً أي جعلوا الجن لله شركاء ويكون شركاء مفعولاً ثانياً كما قال وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً ﴿ والآخر ﴾ ان يكون الجن بدلاً من شركاء ومفسراً له سبحانه نصب على المصدر كأنه قال تسيحاً له وبديع خبر مبتدأ محذوف تقديره هو بديع السلاوات ويحوز ان يكون مبتدأ وخبره اني يكون له ولد وإنما تعدى بديع وهو فاعل لأنه ممدول عن مفعول والصفة تعمل عمل ما عدت منه فإذا لم تكن ممدولة لم تمد نحو طويل وقصير

﴿ المعنى ﴾

ثم رد سبحانه على المشركين وعجب من كفرهم مع هذه البراهين والحجج والبيّنات فقال (وجعلوا) يعني المشركين (لله شركاء الجن) أخبر الله سبحانه انهم اتخذوا معه آلهة جعلوهم له انداداً كما قال وجعلوا بينه وبين الجنة نسا وأرلاً بالجن الملائكة وإنما ستمام جتنا لا ستارهم عن الأعين وهذا كما قال جعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً عن قتادة والسدي وقيل ان قريشاً كانوا يقولون ان الله تعالى قد صاهر الجن فحدث

بينها الملائكة فيكون على هذا القول المراد به الجن المعروف وقيل أراد بالجن الشياطين لأنهم أطاعوا الشياطين في عبادة الأوثان عن الحسن (وخلقهم) الهاء والميم عائدة إليهم أي جعلوا الذي خلقهم شركاء لا ينجفون ويميزون أن يكون الهاء والميم عائدة على الجن فيكون المنى والله خلق الجن فكيف يكونون شركاء له ويميزون أن يكون المنى وخلق الجن والإنس جميعا وروي أن يحيى بن يعمر قرأ وخلقهم بسكون اللام أي وخلق الجن يعني ما يخلقونه ويأفكون فيه ويكذبونه كأنه قال جعلوا الجن شركاء وافطاهم شركاء أفعاله أو شركاء له إذا عني بذلك الأصنام ونحوها وقيل إن المنى بالآية المجوس إذ قالوا يزدان وأهرمن وهو الشيطان عندهم فسبوا خلق الموثبات والشرور والأشياء الضارة إلى أهرمن وجعلوه بذلك شريكا له ومثلهم الثنوية القائلون بالنور والظلمة (وخرقوا له بنين وبنات) أي اختلقوا وموهوا واقترأوا الكذب على الله ونسبوا البنين والبنات إلى الله فإن المشركين قالوا الملائكة بنات الله والنصارى قالوا المسيح ابن الله واليهود قالوا عزير ابن الله (بغير علم) أي بغير حجة ويميزون أن يكون معناه بغير علم منهم بما عليهم عاجلا وآجلا ويميزون أن يكون معناه بغير علم منهم بما قالوه على حقيقة لكن جملا منهم بالله وبعظمته تعالى (سبحانه) أي تنزيها له عما يقولون (وتعالى عما يصفون) من ادعائهم له شركاء واختراقهم له بنين وبنات أي هو يجل من أن يوصف بما وصفوه به وإنما صار اتخاذ الولد نقصا لأنه لا يخلو من أن يكون ولادة أو تبنيًا وكلاهما يوجب التشبيه ومن أشبه المحدث كان على صفة نقص (بديع السموات والأرض) أي مبدعها ومُنشئها بلمه ابتداءً لا من شيء ولا على مثال سبق وهو المروي عن أبي جعفر (ع) (أني يكون له ولد) أي كيف يكون له ولد ومن أين يكون له ولد (ولم تكن له صاحبة) أي زوجة وإنما يكون الولد من النساء فيما يتعارفونه (وخلق كل شيء) في هذا نفى للصاحبة والولد فإن من خلق الأشياء لا يكون شيء من خلقه صاحبة له ولا ولدًا لأن الأشياء كلها مخلوقة له فكيف يترمز بالولد وينكثر به (وهو بكل شيء عليم) يعلم الأشياء كلها موجودها ومعدومها لا يخفى عليه خافية ومن قال أن في قوله وخلق كل شيء دلالة على خلق أفعال العباد فجوابه أن المفهوم منه أنه أراد المخلوقات كما يفهم المأكولات من قول من قال أكلت كل شيء والمخلوقات كلها بما فيها من التقدير العجيب يضاف خلقها إليه سبحانه على أنه سبحانه قد نزه نفسه عن إفك العباد وكذبهم فلو كان خلقا له لما تنزه عنه

قوله تعالى (١٠٢) ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (١٠٣) لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (آيتان)

﴿ اللفة ﴾

الوكيل على الشيء هو الحافظ له الذي يحوطه ويدفع الضرر عنه وإنما وصف سبحانه نفسه بأنه وكييل مع أنه مالك الأشياء لأنه لما كانت منافعتها لغيره لاستحالة المنافع عليه والمضار صحت هذه الصفة له وقيل الوكيل من يوكل إليه الأمر يقال وكييلته تدبيره والمؤمن يتوكل على الله أي يفوض أمره إليه والإدراك الحقيق يقال أدرك فتادة الحسن أي لحقه وأدرك الطعام نضج وأدرك الزرع بلغ متناه وأدرك الغلام بلغ ولحق حال الرجولية وأدركه بيصره لحفته بيصري وتدارك القوم تلاحقوا ولا

يكون الإدراك بمعنى الإحاطة لأن الجدار محيط بالدار وليس يدرك لها والبصر الحاسة التي تقع بها الرواية

✽ الاعراب ✽

خالق كل شيء خير مبتدأ محذوف ويجوز ان يكون صفة ربكم وكان يجوز نصبه على الحال لأنه نكرة
اتصل بجملة بعد التام ✽ المعنى ✽

لما قدم سبحانه ذكر الأداة على وحدانيته عظمة بتبنيه عباده على أنه الإله المستحق للطاعة والعبادة
وتعليمهم الاستدلال بأفضاله عليه قال (ذلك) أي ذلك الذي خلق هذه الأشياء ودير هذه التدابير لكم
أيها الناس هو (الله ربكم) أي خالقكم ومالككم ومدبركم وسيدكم (لا إله إلا هو خالق كل شيء) أي
كل مخلوق من الاجسام والاعراض التي لا يقدر عليها غيره (فاعبدوه) لأنه المستحق للعبادة (وهو على
كل شيء وكيل) أي حافظ ومدبر وحفيظ على خلقه فهو وكيل على الخلق ولا يقال وكيل لهم (لا تدركه
الابصار) أي لا تراه الصيون لأن الإدراك متى قرن بالبصر لم يفهم منه الا الرواية كما انه اذا قرن بالآلة
السمع قبيل ادركت بأذني لم يفهم منه الا السماع وكذلك اذا أضيف الى كل واحد من الحواس أقدماتك
الحاسة آلة فيه فقولهم أدركته بغير معناه وجدت طعمه وأدركته بأنفي معناه وجدت رائحته (وهو يدرك
الابصار) تقديره لا تدركه ذوو الابصار وهو يدرك ذوي الابصار أي المنصيرين ومعناه انه يرى ولا
يرى وبهذا خالف سبحانه جميع الموجودات لأن منها ما يرى ويرى كالأحياء ومنها ما يرى ولا يرى
كالجمادات والاعراض المدركة ومنها ما لا يرى ولا يرى كالأعراض غير المدركة فآله تعالى خالف جميعها
وتفرد بأن يرى ولا يرى وتمدح في الآية بجموع الأمرين كما تمدح في الآية الأخرى بقوله وهو يطعم
ولا يطعم وروى العياشي بالأسناد المتصل ان الفضل بن سهل ذا الرياستين سأل ابا الحسن علي بن موسى
الرضا (ع) قال اخبرني عما اختلف الناس فيه من الرواية فقال من وصف الله بخلاف ما وصف به نفسه قد
اعظم الفرية على الله لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهذه الابصار ليست هي العين إنما هي
الابصار التي في القلوب لا يقع عيب أو وهام ولا يدرك كيف هو (وهو اللطيف) قيل في معناه وجوه
✽ احدها ✽ انه اللطيف بعباده بسبوغ الامنام غير انه عدل عن وزن فاعل اني فليل للمبائنة وهو الثاني ✽
ان معناه لطيف التدبير الا انه حذف لدلالة الكلام عليه - والثالث - ان اللطيف الذي يستقل الكثير
من نعمه ويستكثر القليل من طاعة عباده - والرابع - ان اللطيف الذي اذا دعوته لباك
وان قصده آواك وان أحببته أدناك وان أطعته كافاك وان عصيته عافاك وان أعرضت عنه دعاك وان أقبلت
اليه هداك ✽ والخامس ✽ اللطيف من يكافي الوافي ويعفو عن الجافي - والسادس - اللطيف
من يمز المتخير به ويعني المفتقر اليه - والسابع - اللطيف من يكون عطاؤه خيرة ومنعه ذخيرة
(الخبر) العليم بكل شيء من مصالح عباده فيدبرهم عليها وبافعالهم فيجازيهم عليها

قوله تعالى (١٠٤) قَدْ جَاءَكُمْ بِصَائِرٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا
وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِمِخْفِطٍ (١٠٥) وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ لِيَتَّبِعُوا لِقَوْمٍ
يَعْلَمُونَ (آياتان)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن كثير وابو عمرو ودارست وقرأ ابن عامر ويقوب وسهل درست بفتح السين وسكون التاء والباقون درست وفي قراءة عبد الله وأبي درس اي ليقولوا درس محذوروي عن ابن عباس والحسن درست

﴿ الحجة ﴾

من قرأ دارست فمعناه انك دارست اهل الكتاب وذا كرتهم ويقويه قوله وأعاناه عليه قوم آخرون ومن قرأ درست فحجته ان ابن مسعود قرأ درس فأسند الفعل فيه الى النية كما اسند الى الخطاب ومن قرأ درست فهو من الدروس الذي هو بمعنى الأثر اي انمحت ويكون اللام في ليقولوا على هنا بمعنى لكرهية ان يقولوا ولأن لا يقولوا انها أخبار قد تقدمت فطال المهذ بها وباد من كان يمر بها لأن تلك الأخبار لا تخلو من خلل فإذا سلم الكتاب منه لم يكن لطلاع فيه مطمن وأما على القراءتين الأولىين فاللام في ليقولوا كالتي في قوله ليكون لهم عدواً وحزناً ولم يكتفوه لذلك كما لم يصرف الآيات ليقولوا درست ودارست ولكن لما قالوا ذلك أطلق على هنا للاتساع وأما قراءة ابن عباس درست ففيه ضمير الآيات ومعناه درستما أنت يا محمد ويموز ان يكون معناه عفت وتنوسيت فيكون كقولهم ان هذا الا أساطير الأولين

﴿ الفة ﴾

البصيرة البينة والدلالة التي يبصر بها الشيء على ما هو به والبصائر جمعها والبصيرة مقدار الدرهم من الدم والبصيرة الثرس والبصيرة الثار والدية قال الشاعر

جَاؤا بِبَصَائِرِهِمْ عَلَى أَكْتَابِهِمْ
وَبَصِيرَتِي يَعْدُو بِهَا عَتَدَوَائِي

اي أخذوا اللديات فصارت عارا وبصيرتي على فرسي أطلب بها ثاري وقيل أراد ثقل دمايمهم على أكتافهم لم يثاروا بها قال الأزهري البصيرة ما اعتقد في القلب من تحقيق الشيء والشقة تكون على الجنا والابصار الإدراك بحاسة البصر والدرس أصله استمرار التلاوة ودرس الأثر دروسا اذا انمى لاستمرار الزمان به و درست الريح الأثر دروسا عنه باستمرارها عليه

﴿ الإعراب ﴾

كذلك موضع الكاف نصب منه بكونه صفة للمصدر اي تصريفا مثل ذلك التصريف واللام في ليقولوا مطوف على محذوف تقديره ليجعلوا و ليقولوا درست واللام لام العاقبة

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه انه بهذه الآيات قد أزاح العلة للمكلفين قال (قد جاءكم) أيها الناس (بصائر) بينات هودلالات (من ربكم) تبصرون بها الهدى من الضلال وتميزون بها بين الحق والباطل ووصف البينة بأنها جاءت تفخيماً لأنها كما يقال جاءت العافية وانصرف المرض وأقبل السمد (فمن ابصر فلنفسه) اي من بين هذه الحجج بأن نظر فيها حتى أوجبت له العلم فمنفعة ذلك تعود اليه ولنفسه نظر (ومن عمي) فلم ينظر فيها وصدق عنها (قليلها) اي على نفسه وباله وبها أضر وإياها ضر فسمي العلم والتبين ابصارا والجهل صى مجازا وتوسعا وفي هذا دلالة على ان المكلفين مخيرون في افعالهم غير مجبرين ثم أمر سبحانه نبيه بأن يقول لهم (وما أنا عليكم بمغبط) اي لست أنا الرقيب على اعمالكم قال الزجاج معناه لست آخذكم بالإيمان أخذ الحفظ عليكم

(١) فرس عتد : شديد تام الخلق معد للجرى ليس فيه اضطراب ولا رخاوة . الوأى : الفرس السريع القتدر الضلق .
(٢) [حتى جهل]

٣٤٦ (سورة الانعام) قوله تعالى اتبع ما اوحى اليك من ربك الى قوله فينبئهم بما كانوا يعملون ج ٤

والوكيل وهذا قبل الامر بالقتال فلما امر النبي (ص) بالقتال صار حفيظا عليهم ومسيطرا على كل من تولى (و كذلك) اي وكما صرفنا الآيات قبل (نصرف) هذم (الآيات) قال علي بن عيسى والتصريف اجراء المعنى الدائر في المعاني المتعاقبة لتجتمع فيه وجوه الفائدة (ويقولوا درست) ذلك يا محمد اي تعلمه من اليهود قال الزجاج وهذه اللام تسميها اهل اللغة لام الصيرورة اي ان السبب الذي ادهم الي ان قالوا درست هو تلاوة الآيات وكذلك درست اي درست اهل الكتابين وقاراتهم وذاكرتهم عن الحسن ومجاهد والسدي وابن عباس (ولنبيهم لقوم يعلمون) معناه لنبيين الذي هذه الآيات دالة عليه للملاء الذين يعقلون ما نوره عليهم وإنما خصهم بذلك لانهم اتفقوا به دون غيرهم

قوله تعالى (١٠٦) اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (١٠٧) وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيفًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ (آيتان)

﴿ اللّفة ﴾

الاتباع ان تصرف الثاني بتصرف الاول والنبي كان يتصرف في الدين بتصرف الوحي فلذلك كان متبعا وكذلك كل متدبر بتدبير غيره فهو متبع له والايحاء هو القاء المعنى الى النفس على وجه يخفى والاعراض أصله الانصراف بالوجه الى جهة المرض ومنه

وَأَعْرَضَتِ الْيَامَةُ وَأَشْمَخَتْ كَأَشْيَافٍ بِأَيْدِي مُصَلِّينَا

اي ظهرت كالظهور بالمرض ومنه المعارضة لظهور المساواة بها كالظهور بالمرض والاعتراض المنع من الشيء الحاجز عنه عرضا ومنه المرض الذي يظهر كالظهور بالمرض ثم لا يلبث وحدا ايضا بأنه ما يظهر في الوجود ولا يكون له لبث كلبث الجواهر ﴿ المعنى ﴾

ثم أمر سبحانه نبيه (ص) بتباعد الوحي فقال (اتبع) أيها الرسول (ما أوحى اليك من ربك لا إله الا هو) وإنما عاد سبحانه هذا القول لأن ارادتهم الى انه لا إله الا هو عن الحسن وقيل معناه ما أوحى اليك من انه لا إله الا هو (واعرض عن المشركين) قال ابن عباس نسخته آية القتال وقيل معناه اهجرهم ولا تخاطبهم ولا تلاطفهم ولم يرد به الاعراض عن دعائهم الى الله تعالى وحكمه ثابت (ولو شاء الله ما اشركوا) اي لو شاء الله ان يتركوا الشرك قهرا واجبارا لا يضرهم الى ذلك الا انه لم يضطرهم اليها ينافي أمر التكليف وأمرهم بتركه اختيارا ليستحقوا الثواب والمدح عليه فلم يتركوه فأتوا به من قبل نفوسهم وفي تفسير اهل البيت (ع) لو شاء الله ان يجعلهم كلهم مؤمنين معصومين حتى كان لا يمضيه أحد لما كان يحتاج الى جنة ولا الى نار ولكنه أمرهم ونهاهم وامتحنهم وأعطاهم ماله به عليهم الحجة من الآلة والاستطاعة ليستحقوا الثواب والمقاب (وما جعلناك عليهم حفيظا) مراقبا لأعمالهم (وما أنت عليهم بوكيل) اي ولست بموكل عليهم بذلك وإنما انت رسول عليك البلاغ وعلينا الحساب وجمع بين حفيظ ووكيل لاختلاف معنى اللفظين فإن الحافظ للشيء هو الذي يصونه عما يضره والوكيل على الشيء هو الذي يجلب الخير اليه

قوله تعالى (١٠٨) وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فِسْبُوا اللَّهَ عَدُوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زِينَا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (آية)

❖ القراءة ❖

قرأ يعقوب عَزَّوَجَلَّ بِسْمِ الْعَيْنِ وَالِدَالِ وَتَشْدِيدِ الْوَاوِ وَهُوَ قِرَاءَةُ الْحَسَنِ وَابِي رَجَاءٍ وَقِتَادَةُ وَقَرَأَ الْبَاقُونَ عَدُوًّا بَفَتْحِ الْعَيْنِ وَسُكُونِ الدَّالِ

❖ الحجة ❖

الْعَدُوُّ وَالْعَدُوُّ جَمِيعًا الظُّلْمُ وَالتَّمَدِّيُّ لِلْحَقِّ وَمِثْلَاهَا الْمُدَوَانُ وَالْمَدَاوِي وَإِنَّمَا اتَّعَصَبَ عَدُوًّا لِأَنَّهُ مُصَدِّرٌ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ

❖ اللفظة ❖

السَّبُّ الذِّكْرُ بِالتَّبْيِيعِ وَمِنْهُ الشَّتْمُ وَالذَّمُّ وَأَصْلُهُ السَّبَبُ كَأَنَّهُ يَتَسَبَّبُ إِلَى ذِكْرِهِ بِالتَّبْيِيعِ وَنَسَبُكَ الَّذِي بِمَا بَكَتَ قَالَ
لَا تَسَبَّنِي فَلَمَسْتَ بِسَبِّي
إِنَّ سَبِّي مِنَ الرِّجَالِ الْكَرِيمِ
وقيل أصل السب القطع

❖ النزول ❖

قال ابن عباس لما نزلت انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم الآيات قال المشركون يا محمد لتنتهين عن سب آلهتنا أولهنجون ربك فنزلت الآية وقال قتادة كان المسلمون يسبون اصنام الكفار فنهاهم الله عن ذلك لئلا يسبوا الله فإنهم قوم جهلة

❖ المعنى ❖

ثم نهي الله المؤمنين ان يسبوا الاصنام لما في ذلك من المفسدة فقال (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله) اي لا تخرجوا من دعوة الكفار ومحلجتهم الى ان تسبوا ما يعبدون من دون الله فإن ذلك ليس من الحجاج في شيء (فيسبوا الله عدوا) اي ظلما (بغير علم) وأنتم اليوم خير قادرين على حاقبتهم بما يستحقون لأن النار دارهم ولم يؤذن لكم في القتال وإنما قال من دون الله لأن المعنى يدعونها وآلهما وفي هذا دلالة على انه لا ينبغي لأحد ان يفعل او يقول ما يورثني الى معصية غيره وسئل ابو عبد الله (ع) عن قول النبي (ص) ان الشرك أخفى من ديب النمل على صفوانة سوداء في ليلة ظلماء فقال كان المؤمنون يسبون ما يعبد المشركون من دون الله فكان المشركون يسبون ما يعبد المؤمنون فنهى الله المؤمنين عن سب آلهتهم لكيلا يسب الكفار آله المؤمنين فكان المؤمنون قد أشركوا من حيث لا يطلون (كذلك زيننا لكل أمة عملهم) قيل في معناه أقوال ❖ احدها ❖ ان المراد كازيننا لكم أعمالكم زيننا لكل أمة من قبلكم أعمالهم من حسن للدعاء الى الله تعالى وترك السب للاصنام ونهينهم ان يأتوا من الأفعال ما ينفر الكفار عن قبول الحق عن الحسن والجليل وبسب ما يجب على الإنسان ان يعمل بأنه عمله كما تقول لولدك او غلامك اعط عملك شيء ما ينبغي لك ان تفعله ❖ وثانيها ❖ ان معناه وكذلك زيننا لكل أمة عملهم بميل الطباع اليه ولكن قد عرفنا من الحق مع ذلك ليأتوا الحق ويمتنبوا الباطل ❖ وثالثها ❖ ان المراد زيننا عملهم بذكر ثوابه فهو كقولهم ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان يريد حبب اليكم الايمان بذكر ثوابه ومدح فاعليه على فعله وكره الكفر بذكر عقابه وذم فاعليه على فعله ولم يرد سبحانه بذلك انه زين عمل الكافرين لأن ذلك يقتضي الدعاء اليه والله تعالى مادعا أحدا الى معصيته لكنه نهي عنها وذم

فاعلموا وقد قال سبحانه وزين لهم الشيطان أعمالهم ولا خلاف ان المراد بذلك الكفر والمعاصي وفي ذلك دلالة على ان المراد به في الآية تزوين اعمال الطاعة (ثم الى ربهم مرجعهم) اي مصيرهم (فينبشهم بما كانوا يعملون) اي بأعمالهم من الخير والشر نهى الله سبحانه في هذه الآية عن سب الاصنام لئلا يؤدي ذلك الى سبه فاذا كان سبحانه لا يريد ما ربما يكون سبياً الى سبه فلان لا يريد سب نفسه اولى واجدر وايضا اذا لم يرد سب الاصنام اذا كان زيادة في كفر الكافرين فلان لا يريد كقرهم اخرى فبطل قول المجبرة

قوله تعالى (١٠٩) واقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءنهم آية ليومنن بها قل إنما الآيات عند الله وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون (١١٠) وتقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة وتذرهم في طغيانهم يعمهون (آيتان)

✽ القراءة ✽

قرأ ابن كثير واهل البصرة وابو بكر عن عاصم ونصير عن الكسائي وخلفهاها بكسر الألف وقرأ الباقون انها بفتح الألف وقرأ ابن عامر وحزبه لا تؤمنون بالباء والباقيون لا يؤمنون بالياء وفي الشواذ ويندرهم بالياء والجزم قراءة الأعمش

✽ الحجة ✽

قال ابو علي وما يشعركم ما فيه استفهام وفاعل يشعركم ضمير ما ولا يجوز ان يكون نفياً لأن الفعل فيه يبقى بلا فاعل فإن قلت يكون ما نفياً ويكون فاعل يشعركم ضمير اسم الله تعالى قبل ذلك لا يصح لأن التقدير بصبر وما يشعركم الله انتفاء ايمانهم وهذا لا يستقيم لأن الله قد اعلنا انهم لا يؤمنون بقوله ولو اتنا زلزنا الآية واذا فسد ان يكون ما لتفي ثبت انها للاستفهام فيكون اسما فيصير في الفعل ضميره ويكون المعنى وما يدريك ايمانهم اذا جاءت فحذف المفعول وحذف المفعول كثير ثم قال انهم لا يؤمنون مع مجيئ الآية فمن كسر الهمزة فإنه استأنف على القطع بانهم لا يؤمنون ومن فتح الهمزة جاز ان يكون يشعركم متقولا من شعرت الشيء وشعرت به مثل دريته ودريت به في انه يتعدى مرة بحرف وصره بلا حرف فاذا عدته بالحرف جاز ان يكون ان في قول من لم يجعلها بمعنى لعل في موضع جر لأن الكلام لما طال صار كالبدل منه وجاز ان يكون في موضع نصب والوجه في هذه القراءة على تأويلين **✽ احدهما ✽**

ان يكون بمعنى لعل كقول الشاعر وهو دريد بن الصمة
ذريني اطوف في البلاد لا تنبي
وقال هل انتم غايحون بنا لانا

انى ما ترين او بجلا مخطدا
نري العرصات او اثر الخيام

وقال عدي بن زيد

اعاذل ما يدريك ان منيتي الى ساعة في اليوم او في ضحى الندى

اي لعل منيتي المعنى وما يشعركم لعلها اذا جاءت لا يؤمنون وهذا ما فسره الخليل بقوله انت السوق انك تشتري لنا شيئا اية لعلك وقد جاء في التنزيل لعل بعد العلم قال سبحانه وما يدريك لعله يزكى وما يدريك لعل الساعة قريب والتأويل الآخر الذي لم يذهب اليه الخليل وسيبويه ان يكون لا في قوله لا يؤمنون زائدة والتقدير

وما يشركم انها اذا جاءت يؤمنون ومثل لا هذه في كونها في تأويل زائدة وفي آخر غير زائدة قول الشاعر

أَبِي جُودَةٍ لَا أَبْخُلُ وَأَسْتَجَلَّتْ بِهِ
نَمَّ مِنْ فَتَى لَا يَمْنَعُ الْجُوعَ قَاتِلَهُ (١)

يريد لا يمنع الجائع الخبز وينشد أبي جوده لا البخل ولا البخل فمن نصب البخل جعلها زائدة كأنه قال

أبي جوده البخل ومن قال لا البخل أضاف لا الى البخل (ووجه القراءة بالياء في يؤمنون ان المراد بهم قوم

مخصوصون بدلالة قوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة الآية وليس كل الكفار بهذه الصفة اي لا يؤمن هؤلاء

المقسمون ووجه القراءة بالتاء انه انصراف من التيسية الى الخطاب والمراد بالمخاطبين هم النبي المقسمون

الذين اخبر عنهم انهم لا يؤمنون ومن قرأ ويذرهم فإنه اسكن المرفوع تخفيفا

﴿ اللة ﴾

الجهد بالفتح المشقة والجهد بالضم الطاقة وقيل الجهد بالفتح المباعدة قوله جهدايمانهم اي بالفوا في اليمين

واجتهدوا فيه وهو منصوب على المصدر لأنه مضاف الى المصدر والمضاف الى المصدر مصدر فإن الأيمان

جمع اليمين واليمين هي القسم والتقدير وأقسموا بالله جهد اقسامهم

﴿ النزول ﴾

قالت قريش يا محمد تخبرنا ان موسى كان معه عصا يضرب بها الحجر فينفجر منه اثنتا عشرة عينا وتخبرنا

ان عيسى كان يمحي الموتى وتخبرنا ان ثمود كانت لهم ناقه فأثنا بآية من الآيات حتى صدقت قال رسول الله

(ص) اي شي تحبون ان آتيكم به قالوا اجعل لنا الصفا ذها وابث لنا بعض موتانا حتى نسألهم عنك احق ما

تقول أم باطل وأرنا الملائكة يشهدون لك او اثنتا بالله والملائكة قبلا قال رسول الله (ص) فإن فلت بعض

ما تقولون أتصدقوني قالوا نعم والله لئن فلت لتبئتناك أجمعين وسأل المسلمون رسول الله (ص) ان ينزل عليهم

حتى يؤمنوا فقام رسول الله (ص) يدعو ان يجعل الصفا ذها فجاءه جبرائيل (ع) قال له ان شئت اصبح

الصفا ذها ولكن ان لم يصدقوا عذبهم وان شئت تركتهم حتى يتوب تائبهم فقال رسول الله (ص) بل

يتوب تائبهم فأنزل الله تعالى هذه الآية عن الكلبي ومحمد بن كعب القرظي

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه حال الكفار الذين سألوه الآيات فقال (وأقسموا) اي حلفوا (بالله جهد ايمانهم) اي

مجددين مجتهدين مظهرين الوفا به (لئن جاءتهم آية) بما سألوه (ليؤمنن بها قل) يا محمد (إنما الآيات) اي

الاعلام والمعجزات (عند الله) والله تعالى مالكا والقادر عليها فلو علم صلاحكم في انزالها لا نزلها (وما

يشركم) الخطاب متوجه الى المشركين ممن مجاهد وابن زيد وقيل هو متوجه الى المؤمنين عن الفراء وغيره

لأنهم ظنوا انهم لو اجيبوا الى الآيات لآمنوا (انها اذا جاءت لا يؤمنون) قد مر معناه (وقلب أفئدتهم

وابصارهم) اخبر سبحانه انه قلب أفئدة هؤلاء الكفار وابصارهم عقوبة لهم وفي كيفية قلبها قولان

﴿ احدهما ﴾ انه يقلبها في جهنم على لهب النار وحر الجمر (كما لم يؤمنوا به اول مرة) في الدنيا عن

الجبائي قال وجمع بين صفتهم في الدنيا وصفتهم في الآخرة كما قال وجوه يومئذ خاشعة يعني في الآخرة

عاملة ناصبة يعني في الدنيا «والآخر» - ان المعنى قلب أفئدتهم وابصارهم بالحيرة التي تتم وتزعج النفس وقوله

وكما لم يؤمنوا به اول مرة قيل انه متصل بما قبله وتقديره وأقسموا بالله ليؤمنن بالآيات والله تعالى قد قلب

(١) و يروى «لا يمنح الجود قاتله» وقوله نعم اي لفظة «نعم» التي هي حرف الجواب وهي فاعل «استجلبت»

(٢) والمعنى على هذا أي جوده لفظة «لا» التي تقال عند البخل .

قلوبهم وابصارهم وعلم ان فيها خلاف ما يقولون يقال فلان قد قلب هذه المسئلة وقلب هذا الأمر اذا عرف حقيقته ووقف عليه (وما يدريكم انما اذا جاءت لا يؤمنون) كما لم يؤمنوا بما أنزل الله من الآيات أول مرة عن ابن عباس ومجاهد وقيل معناه لو اعدوا الى الدنيا ثانية لم يؤمنوا به كما لم يؤمنوا به أول مرة في الدنيا كما قال ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه عن ابن عباس في رواية أخرى وقيل معناه يجازيهم في الآخرة كما لم يؤمنوا به في الدنيا عن الجبائي والماء في به يحتمل ان يكون عائدة على القرآن وما أنزل من الآيات ويحتمل ان تكون عائدة على النبي (ص) (ونذرهم في طغيانهم) اي نخليهم وما اختاروه من الطغيان فلا نحول بينه وبينهم (بمهمون) يترددون في الحيرة قال الحسين بن علي المغربي قوله وتقلب أفئدتهم وابصارهم حشويين الجمليتين ومعناه انا نحيط علما بذات الصدور وخائفة الأعين اي نختبر قلوبهم فنجد بانطنها بخلاف ظاهرها

قوله تعالى (١١١) وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلُّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَإِنَّهُ لَكَثُرُ مَا يَجْهَلُونَ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب قُبُلًا بضمين هاهنا وفي الكهف قِبَلًا بكسر القاف وفتح الباء وقرأ ابو جعفر ههنا بكسر القاف وفي الكهف بالضم وقرأ نافع وابن عامر قِبَلًا بكسر القاف في موضعين وقرأ اهل الكوفة بضم القاف في السورتين

﴿ الحجة ﴾

قبلا يحتمل ان يكون جمع قبيل بمعنى الكفيل ويجوز ان يكون بمعنى الصنف كما فسّر ابو عبيدة ويجوز ان يكون بمعنى قبل اي مواجهة كما فسّره ابو زيد في قوله لقيت فلانا قِبَلًا وَقِبَلًا ومقابلة وقبلا كاه واحد وهو المواجهة فالمعنى في القراءة تين على قوله واحد وان اختلف اللفظان

— اللفظة —

الحشر الجمع مع سوق وكل جمع حشر

— المعنى —

ثم بين سبحانه حالهم في عنادهم وترددهم في طغيانهم وكفرهم فقال (ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة) حتى يروم عيانا يشهدون لنا بالرسالة (وكلمهم الموتى) اي واحبنا الموتى حتى كلموهم بالتوحيد وشهدوا للمحمد بالرسالة (وحشرنا) اي جمعنا (عليهم كل شيء) اي كل آية وقيل كل ما سألوه (قبلا) اي معاينة ومقابلة حتى يوجهوها عن ابن عباس وقتادة ومعناه انهم من شدة عنادهم وتركهم الانقياد والاذعان للحق يشكون في المشاهدات التي لا يشك فيها ومثله قوله وان يروا كسفا من السماء ساقطاً يقولوا سحاب مر كوم وقبلا اي قبلا قبلا يعني جملة جملة عن مجاهد هذا اذا حلت قبلا على جمع القبيل الذي هو الصنف وإنما كانت تبه هذه الآية لأنه ليس في العرف ان يجتمع جميع الأشياء وتنحشر الى موضع وقيل كفلا عن الفراء وهذا الوجه فيه بعد لأنهم اذا لم يؤمنوا عند انزال الملائكة اليهم وكلام الموتى فان لا يؤمنوا بالكفالة اجدر إلا ان يكون المراد حشر كل شيء وفي الأشياء المحشورة ما لا ينطق فاذا نطق بالكفالة ما لا ينطق كان خارقا للعادة (ما

كانوا ليؤمنوا) عند هذه الآيات (الآب يشاء الله) ان يجبرهم على الايمان عن الحسن وهو المروي عن اهل البيت (ع) والمعنى انهم قط لا يؤمنون مختارين إلا ان يكرهوا (ولكن أكثرهم يجهلون) ان الله قادر على ذلك وقيل معناه يجهلون انهم لو أتوا بكل آية ما آمنوا طوعا وقيل معناه يجهلون مواضع المصلحة فيطلبون مالا فائدة فيه وفي الآية دلالة على ان الله سبحانه لو علم انه اذا فعل ما اقترحوه من الآيات آمنوا لفعل ذلك ولكن ذلك من الواجب في حكمته لأنه لو لم يجب ذلك لم يكن لتعليله بأنه لم يظهر هذه الآيات لمله بأنه لو فعلها لم يؤمنوا معني وفيها ايضا دلالة على ان إرادته محدثة لأن الاستثناء يدل على ذلك اذ لو كانت قديمة لم يجز هذا الاستثناء ولم يصح كما كان لا يصح لو قال ما كانوا ليؤمنوا إلا ان يعلم الله والا ان يقدر الله لحصول هاتين الصفتين في الميزل ومتى قيل فلم لا يقال انهم لم يؤمنوا لأنه سبحانه يعلم انه لم يشأ فالقول فيه أنه لو كان كذلك لكان وقوع الايمان منهم موقوفا على المشيئة سواء كانت الآيات ام لم تكن وفي هذا ابطال للايات

قوله تعالى (١١٢) وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ (١١٣) وَلِتَصْنَعِيَ إِلَيْهِ أَفئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ (آيتان)

✽ القراءة ✽

في الشواذ عن الحسن وتصني اليه وليرضوه وليقترفوا بسكون اللام في الجميع والقراءة الظاهرة بكسر اللام في سائرهما

✽ الحجة ✽

قال ابو الفتح هذه اللام هي الجارة اعني لام كي وهي معطوفة على الفرور من قوله يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا اي للفرور ولأن تصني اليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا إلا ان إسكان هذه اللام شاذ في الاستعمال على قوته في القياس لأن هذا الإسكان إنما أكثر عنهم في لام الأمر نحو قوله تعالى ثم ليقتضوا نقتهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا وإنما اسكنت تخفيفا لتقل الكسرة فيها وفرقوا بينها وبين لام كي بأن لم يسكوها وكانهم إنما اخناروا السكون للام الأمر والتحريك للام كي من حيث كانت لام كي نائبة في أكثر الأمر عن أنوهي ايضا في جواب كان سيفعل اذا قلت ما كان ليفعل مع اللام البتة فلما نابت عنها قوتها بإقرار حركتها فيها لأن الحرف المتحرك أقوى من الساكن والأقوى اشبه بأن ينوب عن غيره من الأضعف

✽ اللفظة ✽

الزخرف المزين يقال زخرفه زخرفة اذا زينته والزخرف كمال حسن الشيء وفي الحديث انه (ص) لم يدخل الكعبة حتى أمر بالزخرف فنحى قبل كانت نقوش وتصاوير زينت الكعبة بها وقيل أراد بالزخرف المذهب والفرور ماله ظاهر تجبه وفيه باطن مكروه والشيطان غرور لأنه يحمل على محاب النفس ووراءه سوء العاقبة ويبيع الفرور مالا يكون على ثقته صفوت اليه اصغى صفوا وصفوا وصفوا واصغى بالياء ايضا واصغيت اليه اصغاه بمعنى قال الشاعر

تَرَى السَّفِيهَ بِهِ عَن كُلِّ مُحَكَّمَةٍ زَبِغٌ وَفِيهِ إِلَى التَّشْبِيهِ إِصْفَاءٌ ۝
ويقال اصغيت الإيثار إذا أملت له ليجتمع ما فيه ومنه الحديث كان رسول الله (ص) يصغي الإيثار لله
والأصل فيه الميل إلى الشيء لغرض من الأغراض والاعتراف اكتساب الأثر ويقال خرج يقترف لأهله أي
يكتسب لهم وقارف فلان هذا الأمر إذا واقعه وعمله وقرف الذنب واقترفه عمله وقرفه بما ادعاه عليه أي
رماه بالريبة وقرف القرحة أي قشر منها واقترف كذبا

﴿ الإعراب ﴾

نصب عدواً على أحد وجهين إما أن يكون مفعول جعلنا وشياطين بدل منه ومفسر له وعدوا في معنى
اعداء وإما أن يكون أصله خبراً ويكون هنا مفعولاً ثانياً لجعلنا على تقدير جعلنا شياطين الإنس والجن عدواً
أي اعداء وقوله غروراً نصب على المصدر من معنى الفعل المتقدم لأن معنى ايحاء الزخرف من القول
معنى الفرور فكأنه قال يغرون غروراً عن الزجاج وقيل أنه مفعول له عن ابن جني وقيل نصب على البدل
من زخرف عن أبي مسلم

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه ما كان عليه حال الأنبياء (ع) مع اعدائهم تسليةً لنبية (ص) قال (و كذلك جعلنا لكل
نبي عدواً وشياطين الإنس والجن) أي وكما جعلنا لك شياطين الإنس والجن اعداء كذلك جعلنا لمن تقدمك
من الأنبياء وأممهم وقيل في معنى قوله وجعلنا هنا وجوه ﴿ أحدها ﴾ ان المراد كما امرناك بعداوة قومك
من المشركين فقد امرنا من قبلك بمدااة اعدائهم من الجن والإنس ومتى أمر الله رسوله بمدااة قوم من
المشركين فقد جعلهم اعداء له وقد يقول الأمير للمبارز من عسكره جعلت فلانا قرنك في المبارزة وإنما يعني
بذلك أنه أمره بمبارزته لأنه إذا أمره بمبارزته فقد جعل من يبارزه قرناً له ﴿ وثانيها ﴾ ان معناه حكمتنا
بأنهم اعداء واخبرنا بذلك لتعاملوهم معاملة الاعداء في الاحتراز عنهم والاستعداد لدفع شرهم وهذا كما
يقال جعل القاضي فلانا عدلاً وفلاناً فاسقاً إذا حكم بعدالة هذا وفسق ذلك ﴿ وثالثها ﴾ ان المراد تخليتنا
بينهم وبين اختيارهم المداوة لم تمنعهم عن ذلك كرها ولا جبراً لأن ذلك يزيل التكليف - ورابعها -
انه سبحانه وإنما أضاف ذلك إلى نفسه لأنه سبحانه لما أرسل اليهم الرسل وأمرهم بدعائهم إلى الإسلام والإيمان
وخلع ما كانوا يعبدونه من الأصنام والأوثان نصبوا عند ذلك العداوة لأنبيائه (ع) ومثله قوله سبحانه
مخبراً عن نوح (ع) فلم يزد لهم دعائي إلا فراراً والمراد بشياطين الإنس والجن صرعة الكفار من الفريقين
عن الحسن وقتادة ومجاهد وقيل ان شياطين الإنس الذين يغوونهم وشياطين الجن الذين هم من ولد إبليس
عن السدي وعكرمة وفي تفسير الكافي عن ابن عباس ان إبليس جعل جنده فريقين فبمث فريقتهم إلى الإنس
وفريقاً إلى الجن فشياطين الإنس والجن اعداء الرسل والمؤمنين فيلقتي شياطين الإنس وشياطين الجن في
كل حين فيقول بعضهم لبعض أضللت صاحبي بكذا فأضل صاحبك بمثلها فكذلك يوحى بعضهم إلى بعض وروي
عن أبي جعفر (ع) أيضاً انه قال ان الشياطين يلقي بعضهم بعضاً فيلقي إليه ما يغوي به الخلق حتى يتعلم بعضهم
من بعض (يوحى) أي يوسوس ويلقي خفية (بعضهم إلى بعض زخرف القول) أي المموه المزين الذي يستحسن
ظاهره ولا حقيقة له ولا أصل (غروراً) أي يفرونهم بذلك غروراً أو ليفروهم بذلك (ولو شاء ربك ما

فعلوه) اخبر سبحانه انه لو شاء ان يمنهم من ذلك جبرا ويمحو بينهم وبينه قدر على ذلك ولو حال بينهم وبينه لما فعلوه ولكنه حتى بينهم وبين افعالهم ابقاء للتكليف وامتحانا للمكلفين وقيل معناه ولو شاء ربك ما فعلوه بان ينزل عليهم عذابا او آية فتظل اعناقهم لها خاضعين (فدرهم وما يفترون) اي دعمهم واقتراءهم الكذب فانني اجازيهم واعاقبهم امر سبحانه نبيه (ص) بان يخلي بينهم وبين ما اختاروه ولا يمنهم منه بالقهر تهديدا لهم كاقال اعملوا ما شئتم دون ان يكون امرا واجبا او ندبا (ولتصني اليه) اي ولتميل الي هذا الوحي بزخرف القول او الي هذا القول المزخرف (أفتدة) اي قلوب (الذين لا يؤمنون بالآخرة) والعامل في قوله ولتصني قوله يوحي ولا يجوز ان يكون العامل فيه جملنا لأن الله سبحانه لا يجوز ان يريد اصفاء القلوب الي الكفر ووحي الشياطين إلا ان تجعلها لام العاقبة كما في قوله فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا على انه غير معلوم ان كل من ارادوا منه الصغر قد صفي الي كلامهم ولم يصح ذلك ايضا في قوله وليرضوه وليقتروا ما هم مقترفون لأنه غير معلوم حصول ذلك وعلى ما قلناه يكون جميع ذلك مقطوعا بعضه على بعض والمراد بالأفتدة أصحاب الأفتدة ولكن لما كان الاعتقاد في القلب وكذلك الشهوة اسند الصغر الي القلب (وليرضوه) اي وليرضوا ما أوحى اليهم من القول المزخرف (وليقتروا) اي وليكتسبوا من الأثم والمعاصي (ما هم مقترفون) اي مكتسبون في عداوة النبي (ص) والمؤمنين من ابن عباس والسدي وقال ابو علي الجبائي ان اللام في قوله ولتصني وما بعده لام الامر والمراد بها التهديد كما قال سبحانه اعملوا ما شئتم واستغفر من استغفرت وهذا غلط فاحش لأنه لو كان كذلك لقال ولتصنع فحذف الألف وقال البلخي اللام في ولتصني لام العاقبة وما بعده لام الامر الذي يراد به التهديد وهذا جائز إلا ان فيه تسفا فالأصح ما ذكرناه

قوله تعالى (١١٤) أفغير الله ابني حكما وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلا والذين آتيناكم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن عامر وحفص مفرل بالتشديد والباقون بالتخفيف

﴿ الحجة ﴾

حجة التشديد قوله سبحانه تنزل الكتاب من الله وما اشبهه وحجة التخفيف انا انزلنا اليك وما اشبهه

— المعنى —

ثم امر الله سبحانه نبيه (ص) ان يقول لهؤلاء الكفار الذين مضى ذكرهم (أفغير الله ابني حكما) اي اطلب سوي الله حاكما والحكم الحاكم بمعنى واحد إلا ان الحكم أمدح لأن معناه من يستحق ان يتحاكم اليه فهو لا يقضي إلا بالحق وقد يحكم الحاكم بغير حق والمعنى هل يجوز لأحد ان يعدل عن حكم الله رغبة عنه او هل يجوز ان يكون حكم سوي الله يساويه في حكمه (وهو الذي) يعني والله الذي (انزل اليكم الكتاب) اي القرآن (مفصلا) فصل فيه جميع ما يحتاج اليه وقيل فصل فيه بين الصادق والكاذب في الدين وقيل فصل بين الحلال والحرام والكفر والإيمان عن الحسن ومعنى التفصيل تعيين المعاني بما بنفي التخليط المعني للمعنى وينفي ايضا التداخل الذي يوجب نقصان البيان عن المراد (والذين آتيناكم الكتاب) يعني بهم مؤمني اهل الكتاب

والكتاب هو التوراة والانجيل وقيل يعني بهما كبراء الصحابة واصحاب بدر والكتاب هو القرآن عن عطلا يملون انه) اي ان القرآن (منزل من ربك بالحق) يعني ببيان الحق اي يملون ان كل ما فيه بيان عن الشيء على ما هو به فترغيبه وترهيبه ووعدده ووعدبه وقصصه وأمثاله وغير ذلك جميعه بهذه الصفة وقيل ان معنى بالحق بالبرهان الذي تقدم لهم حتى علموه به (فلا تكونن من المترين) اي من الشاكين في ذلك والخطاب للنبي (ص) والمراد به الأمة وقيل الخطاب لغيره اي فلا تكن أيها الانسان او ايها السامع وقيل الخطاب له (ص) والمراد به الزيادة في شرح صدره وبقينه وطأئينة قلبه وتسكينه كقوله تعالى فلا يكن في صدرك حرج منه عن ابي مسلم

قوله تعالى (١١٥) وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ

الْعَلِيمُ (آية)

❖ القراءة ❖

كلمة ربك بالتوحيد عراقي غير ابي عمرو والباقون كلمات ربك

❖ الحجة ❖

من قرأ كلمة ربك قال قد وقع المفرد على الكثرة فلذلك اغنى عن الجمع قالوا ان زهيراً قال في كلمته يبنون قصيدته وقال قيس في كلمته يبنون خطبته ومن قرأ بالجمع فلأنه لما كان جماعاً في المعنى جمعوا

❖ اللفظة ❖

التبديل وضع الشيء مكان غيره والصدق الخبر الذي مخبره على وفق ما اخبر به والعدل ضد الجور وقيل ان افعال الله تعالى كلها عدل لأنها كلها على الاستقامة وقيل إنما يوصف بذلك فيما يعامل به عباده

❖ الإعراب ❖

صدقا وعدلا نصب على التمييز وقيل انهما مصدران انتصبا على الحال من الكلمة وتقدير ذلك صادقاً وعادلة عن ابي علي الفارسي وقد تقدم مثل هذا فيما مضى

- المعنى -

ثم بين سبحانه صفة الكتاب المنزل فقال (وتمت) اي كملت على وجه لا يمكن احداً الزيادة فيه والنقصان منه (كلمة ربك) اي القرآن عن قتادة وغيره وقيل معناه أنزلت شيئاً بعد شيء حتى كملت على ما تقتضيه الحكمة وقيل ان المراد بالكلمة دين الله كما في قوله وكلمة الله هي العليا عن ابي مسلم وقيل المراد بها حجة الله على الخلق (صدقا وعدلا) ما كان في القرآن من الأخبار فهو صدق لا يشوبه كذب وما فيه من الامر والنهي والحكم والايها حظر فهو عدل (لا مبدل لكلماته) اي لا مغير لاحكامه عن قتادة لأنه وان امكن التفسير والتبديل في اللفظ كما بدّل اهل الكتاب التوراة والانجيل فإنه لا يمتد بذلك قال وقد تطلق الكلمة بمعنى الحكم قال سبحانه وكذلك حقت كلمة ربك اي حكم ربك ويقال عقوبة ربك وقال النبي (ص) في صفة النساء انهن حوان عندكم استحلتم فروجهن بكلمة الله تعالى وقيل معناه ان القرآن هروس عن الزيادة والنقصان فلا مغير لشيء منه وذلك ان الله تعالى ضمن حفظه في قوله واناله لحافظون ولا يجوز ان يعني بالكلمات الشرائع كما عني بقوله وصدق بكلمات ربها لأن الشرائع قد يجوز فيها النسخ والتبديل (وهو

السميع) لا قوالكم (العليم) بضائر كم

قوله تعالى (١١٦) وَإِنْ تُطِيعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (١١٧) إِنْ رَبِّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (آياتان)

— اللغة —

الفرق بين الأكثر والأعظم ان الأعظم قد يوصف به واحد ولا يوصف بالأكثر واحد بحال ولهذا يقال في صفة الله تعالى عظيم وأعظم ولا يوصف بأكثر وأنا يقال اكبر بمعنى أعظم والخرص الكذب يقال خرص يخرص خرصاً وتخرص وتخرص واخحص واخصله القطع قال الشاعر

تَرَى قِصْدَ الْمُرَّانِ فِيهِمْ كَأَنَّهُ تَدْرَعُ خِرْصَانٍ بِأَيْدِي الشَّوْاطِبِ (١)

يعني جريداً يقطع طولاً ويشخذ منه الحصر وهو جمع الخرص ومنه خرص النخل يخرص خرصاً اذا احرزه والخرص حبة القرط اذا كانت منفردة والخرص العود لا تقطاعه عن نظائره بطيب ريحه ولفظة اعلم اذا لم يذكر معها من فله معنيان * احدهما * اعلم من الكل واجتزى عن ذكر من كقولهم الله اكبر اي من كل شيء * والثاني * بمعنى فعل كقول الفرزدق

إِنَّ الذَّبَّ سَمَكُ السَّاءِ بَنَى لَنَا يَتَا دَعَائِهِ أَعَزَّ وَأَطْوَلُ

اي عزيز وطويل

* الإعراب *

موضع مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ فيه وجوه * احدها * انه نصب على حذف الاء حتى يكون مقابلاً لقوله وهو اعلم بالمهتدين — والثاني — ان موضع مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وهذا مثل قوله تعالى لنعلم اي الحزين احصى عن الزجاج وفي هذه المسألة خلاف وسيأتي شرح ذلك في موضعه ان شاء الله تعالى — والثالث — ان موضعها نصب بفعل مضمر يدل عليه قوله اعلم فكانه قال ان ربك هو اعلم يعلم من يضل عن سبيله وصيغة افضل من كذا لا تمدى لأنها غير جاريت على الفعل ولا معدولة عن الجارية على الفعل كما عدل ضروب عن خارب ومتجار عن تاجر عن ابي علي الفارسي زعم قوم ان اعلم هنا بمعنى يعلم كما قال حاتم الطائي

فَعَالَفَتْ طَيْبِي مِنْ دُونِنَا حَلْفًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ مَا كُنَّا لَهُمْ خَدَلًا

وقالت الخنساء

الْقَوْمَ أَعْلَمَ أَنَّ جَفْنَتَهُ تَمْدُو غَدَاةَ الرِّيحِ أَوْ تَسْرِي (٢)

وهذا فاسد لأنه لا يطابق قوله وهو اعلم بالمهتدين ولا يجوز ان يكون مَنْ في موضع جر باضافة اعلم اليه لأن افضل لا يضاف الا الى ما هو بعضه وجل ربنا وقديس عن ان يكون بعض الضالين ولا بعض المضلين

﴿ المعنى ﴾

لما تقدم ذكر الكتاب بين سبحانه في هذه الآية ان من تبع غير الكتاب ضل وأضل فقال (وان تطع)

(١) قاله قيس بن الخطيم. القصم جمع القصدة: القطعة ما يكسر ومران - كرمان - الرياح الصلبة اللدنة. والتدريج: تقدير الشيء بنزاع اليد. والشواطب جمع الشاططة: البرقة التي تشق الجريد لتعمل منه العصير (٢) الجفنة: القصعة الكبيرة وقوله تسري اي تسير عامة الليل.

يا محمد خاطبه (ص) والمراد غيره وقيل المراد هو وغيره والطاعة هي امتثال الأمر وموافقة المطيع المطاع فيما يريد منه اذا كان المرید فوقه والفرق بينها وبين الإجابة ان الإجابة عامة في موافقة الارادة الواقعة موقع المسألة ولا براعى فيها الرتبة (اكثر من في الأرض) يعني الكفار وأهل الضلالة وانما ذكر الأكل كثير لأنه علم سبحانه ان منهم من يؤمن ويدعو الى الحق ويذب عن الدين ولكن هم الأقل والأكثر الضلال (يضلوك عن سبيل الله) اي عن دينه وفي هذا دلالة على انه لا عبرة في دين الله ومعرفة الحق بالقلّة والكثرة لجواز ان يكون الحق مع الأقل وإنما الاعتبار فيه بالحجة دون القلة والكثرة (ان يتبعون الا الظن) اي ما يتبع هؤلاء المشركون فيما يعتقدونه ويدعون اليه الا الظن (وانهم الا يغرصون) اي ما هم الا يكذبون وقيل معناه انهم لا يقولون عن علم ولكن عن خرص وتحمين وقال ابن عباس كانوا يدعون النبي (ص) والمؤمنين الى أكل الميتة ويقولون أنا كلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتل ربكم فهذا ضلالهم (ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله) خاطب سبحانه نبيه (ص) وان عني به جميع الأمة ويسأل فيقال كيف جاز في صفة القديم سبحانه اعلم مع انه سبحانه لا يخلو من ان يكون اعلم بالمعنى بمن يعلمه او بمن لا يعلمه وكلاهما لا يصح فيه الفعل والجواب ان المعنى هو اعلم به بمن يعلمه لأنه يعلمه من وجوه لا يخفى على غيره وذلك انه يعلم ما يكون منه وما كان وما هو كائن الى يوم القيامة على جميع الوجوه التي يصح ان يعلم الأشياء عليها وليس كذلك غيره لأن غيره لا يعلم جميع الأشياء وما يعلمه لا يعلمه من جميع وجوهها واما من هو غير عالم اصلا فلا يقال الله سبحانه اعلم منه لأن لفظة اعلم يقتضي الاشتراك في العلم وزيادة لمن وصف بأنه اعلم وهذا لا يصح فيمن ليس بعالم اصلا إلا مجازا (وهو اعلم بالمتدين) المعنى انه سبحانه اعلم بمن يسلك سبيل الضلال المودعي الى الهلاك والعقاب ومن يسلك سبيل الهدى المفضي به الى النجاة والثواب وفي هذا دلالة على ان الضلال والاضلال من فعل البعد خلاف ما يقوله اهل الجبر وعلى انه لا يجوز التقليد واتباع الظن في الدين والاعتقاد بالكثرة والى هذا أشار أمير المؤمنين علي (ع) حيث قال لا حرث الهداني يا حار الحق لا يعرف بالرجال اعرف الحق تعرف اهل

قوله تعالى (١١٨) فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ (١١٩) وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرُّرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنْ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنْ رَبُّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ (١٢٠) وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيَجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (ثلاث آيات)

❀ القراءة ❀

قرأ اهل الكوفة غير حفص فصل لكم بالفتح ما حرّم بالضم وقرأ اهل المدينة وحفص ويعقوب وسهل فصل لكم ما حرّم كليهما بالفتح وقرأ الباقون فصل لكم ما حرّم بالضم فيها وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب ليضلون بفتح الياء هنا وفي يونس ليضلوا عن سبيلك وفي ابراهيم ليضلوا عن سبيله وفي الحج ليضل عن سبيل الله وفي لقمان والزمر في المواضع الستة وقرأ اهل الكوفة بضم الياء في هذه المواضع وقرأ الباقون هنا وفي سورة يونس بفتح الياء وفي الاربعة بعد هذه المواضع بضم الياء.

❀ الحجة ❀

حجة من ضم ألفا. من فصل والحاء من حرّم قوله حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير فهذا تفصيل هذا العام المجمل بقوله حرّم وهو الذي انزل إليكم الكتاب مفصلا فمفصلا يدل على فصل وحجة من قرأ فصل وحرّم بفتح

الفاء والحاء. قوله قد فصلنا الآيات وقوله اتل ما حرّم ربكم وقوله الذين يشهدون ان الله حرّم هذا وحجة من ضم الياء. من يَضِلُّون وَيُضِلُّوا انه يدل على ان الموصوف بذلك في الضلالة اذهب ومن الهدى ابعد الاترى ان كل مضلّ ضالّ وليس كل ضالّ مضلّ لأن الضلال قد يكون مقصودا على نفسه لا يتعداه الى سواه ومن قرأ بفتح الياء فانه يريد انهم يضلون في انفسهم من غير ان يضلوا غيرهم من اتباعهم بامتناعهم من أكل ما ذكر اسم الله عليه وغير ذلك اي يضلون باتباع اهل انهم

✽ الاعراب للفتحة ✽

وذروا الواو للمطف وإنما استعمل منه الأمر والمستقبل ولا يستعمل وَذَرَّ ولا وَذَرَّ اشعروا بذلك كراهية الابتداء بالواو حتى لم يزيدوها هناك اصلا مع زيادتهم اخواتها واستغنوا فيها بترك وتترك وهذا كما استعملوا الماضي دون المستقبل واسم الفاعل في عسى والظاهر الكائن على وجه يمكن ادراكه والباطن هو الكائن على وجه يتعدّر ادراكه والكسب ما يفعل لاجتلاب النفع او دفع الضرر وانا يوصف به العبد دون الله تعالى لاستحالة النفع والضرر عليه سبحانه والكواسب الجوارح من الطير لانها تكسب ما تنفع به وقد بينا ان معنى الاقتراف الاكتساب

﴿ المعنى ﴾

ثم عطف سبحانه على ما تقدم من الكلام فقال (فكلوا) ثم اختلف في ذلك فقيل انه لا ذكر المهتدين فكأنه قال ومن الهداية ان تحلوا ما احل الله وتحرموا ما حرّم الله فكلوا وقيل ان المشركين لما قالوا للمسلمين اتأكلون ما قتلتم انتم ولا تأكلوا ما قتل ربكم فكانت الصيغة صيغة الأمر (ما ذكر اسم الله عليه) يعني ذكر اسم الله عند ذبحه دون الميتة وما ذكر عليه اسم الاصنام والذكر هو قول بسم الله وقيل هو كل اسم يختص الله تعالى به او صفة تخصه كقول باسم الرحمن او باسم القديم او باسم القادر لنفسه او العالم لنفسه وما يجري مجراه والاول مجمّع على جوارحه والظاهر يقتضي جواز غيره لقوله سبحانه قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن اياً ما تدعو فله الاسماء الحسنی (ان كنتم بآياته مؤمنين) بأن عرفتم الله ورسوله وصحة ما اتاكم به من عند الله فكلوا ما احلّ دون ما حرّم وفي هذه الآية دلالة على وجوب التسمية على الذبيحة وعلى ان ذبائح الكفار لا يجوز اكلها لانهم لا يسمّون الله تعالى عليها ومن سئى منهم لا يعتقد وجوب ذلك حقيقة ولأنه يعتقد ان الذي يسميه هو الذي ابدّ شرع موسى أو عيسى فإذا لا يذكر الله تعالى حقيقة (وما لكم الا تأكلوا ما ذكر اسم الله عليه) قد ذكرنا اغرابه في سورة البقرة عند قوله وما لنا الا نقاتل في سبيل الله وتقديره اي شي اكرم في ان لا تأكلوا فيكون ما للاستفهام وهو اختيار الزجاج وغيره من البصريين ومعناه ما الذي يمنعكم ان تأكلوا ما ذكر اسم الله عند ذبحه وقيل معناه ليس لكم ان لا تأكلوا فيكون ما للنفي (وقد فصل اكرم) اي بين لكم (ما حرّم عليكم) قيل هو ما ذكر في سورة المائدة من قوله حرّمت عليكم الميتة والدم الآية واضترض على هذا بان سورة المائدة نزلت بعد الانعام بمدة فلا يصح ان يقال انه فصل الا ان يحمل على انه بين على لسان الرسول (ص) وبعد ذلك نزل به القرآن وقيل إنه ما فصل في هذه السورة في قوله قل لا اجد فيما وحي الى محرّما الآية (الا ما اضطررتم اليه) معناه الا ما خفتم على قلوبكم الهلاك من الجوع اذا تركتم تناول منه فحينئذ يجوز لكم تناوله وان كان ما حرّمه الله واختلف في مقدار ما يسوغ تناوله عند الاضطرار فمندنا لا يجوز ان يتناول الا ما يمسك به الرمي وقال قوم يجوز ان يشبع المضطر منها وان يحمل منها حتى يجد ما يأكل وقال الجبائي في هذه الآية دلالة على ان ما يكره على اكله من هذه الاجناس يجوز اكله لأن المكروه يخاف على نفسه مثل المضطر (وان كثيرا ليضلون

بما هو اثمهم أي يتابع أهرائهم ومن قرأ بالضم أراد انهم يضلون اشياهم فحذف المفعول به وفي امثاله كثرة وانما جعل التكرار اسم ان لأن الكلام اذا طال احتمل ذلك ودل بعضه على بعض (بغير علم ان ربك هو اعلم بالمعتدين) المتجاوزين الحق الى الباطل والحلال الى الحرام (وذروا ظاهر الاثم وباطنه) أمر سبحانه بترك الاثم مع قيام الدلالة على كونه اثمًا ونهى من ارتكابه سرًا وعلانية وهو قول قتادة ومجاهد والربيع بن انس وقيل اراد بالظاهر افعال الجوارح وبالباطن افعال القلوب عن الجبائي وقيل الظاهر من الاثم هو الزنا والباطن هو اتخاذ الاخذان عن السدي والضحاك وقيل ظاهر الاثم امرأة الأب وباطنه الزنا من سعيد بن جبير وقيل ان أهل الجاهلية كانت ترى ان الزنا اذا أظهر كان فيه اثم واذا استسر به صاحبه لم يكن اثمًا ذكره الضحاك والأصح القول الاول لانه يعم الجميع (ان الذين يكسبون الاثم) اي يعملون المعاصي التي فيها الآثم ويرتكبون القبائح (سيجزون) اي سيقابون (بما كانوا يقرءون) بما كانوا يكسبون ويرتكبون

قوله تعالى (١٢١) وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ (آية)

❖ المعنى ❖

ثم أكد سبحانه ما تقدم بقوله (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) يعني عند الذبح من الذبائح وهذا تصريح في وجوب التسمية على الذبيحة لأنه لو لم يكن كذلك لكان ترك التسمية غير محرم لها (وانه لفسق) يعني وان اكل ما لم يذكر اسم الله عليه فسق وفي هذا دلالة على تحريم اكل ذبائح الكفار كلهم اهل الكتاب وغيرهم من سبي منهم ومن لم يسم لأنهم لا يعرفون الله تعالى على ما ذكرناه من قبل فلا يصح منهم القصد الى ذكر اسمه فاما ذبيحة المسلم اذا لم يسم الله تعالى عليها فقد اختلف في ذلك فقيل لا يحل أكلها سواء ترك التسمية عمدا او نسيانا عن مالك وداود وروي ذلك عن الحسن وابن سيرين وبه قال الجبائي وقيل يحل أكلها في الحالين عن الشافعي وقيل يحل أكلها اذا ترك التسمية ناسيا بعد ان يكون مقتدا لوجوبها ويجرم أكلها اذا تركها متعمدا عن ابي حنيفة واصحابه وهو المروي عن ائمتنا عليهم السلام (وان الشياطين) يعني علماء الكافرين وروسهم المتبردين في كفرهم (ليوحون) اي يؤمون ويشيرون (الى اوليائهم) الذين اتبعوهم من الكفار (ليجادلوكم) في استئصال الميتة قال الحسن كان مشركو العرب يجادلون المسلمين فيقولون لهم كيف تأكلون مما تقتلونهم ولا تأكلون مما قتله الله وقتل الله اولى بالأكل من قتلكم فهذه مجادلتهم وقال عكرمة ان قوما من مجوس فارس كتبوا الى مشركي قريش وكانوا اولياءهم في الجاهلية ان عمدا واصحابه يزعمون انهم يتبعون أمر الله ثم يزعمون ان ما ذبحوه حلالا بما قتله الله حرام فوقف ذلك في نفوسهم فذلك ايجادهم اليهم وقال ابن عباس معناه وان الشياطين من الجن وهم ابليس وجنوده ليوحون الى اوليائهم من الانس والوحي القاء المعنى الى النفس من وجه خفي وهم يلقون الوسوسة الى قلوب اهل الشرك ثم قال سبحانه (وان اطعتموهم) ايها المؤمنون فيا يقولونه من استئصال الميتة وغيره (انكم اذا) (لشركون) لأن من استحل الميتة فهو كافر بالاجماع ومن أكلها محرماتها مقتار فهو فاسق وهو قول الحسن وجماعة المفسرين وقال عطا انه مقتض بدبائح العرب التي كانت تذبحها الاوثان

قوله تعالى (١٢٢) أَوْ مِنْ كَانَ مِثْلًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٢٣) وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَارًا مَجْرُمِينَ لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (آيتان)

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل المدينة ويعقوب ميتا بالتشديد والباقون بالتخفيف

﴿ الحجة ﴾

قال ابو عبيدة الميتة تخفيف ميتة ومعناها واحد قال ابو الرعلاء (١) الفسافي

لَيْسَ مِنْ مَاتَ فَاسْتَرَا حَ مَيِّتٍ إِنَّمَا الْمَيِّتُ مَيِّتُ الْأَحْيَاءِ
 إِنَّمَا الْمَيِّتُ مَنْ يَعِيشُ كَيْبًا كَأَمِيفًا بِاللَّهِ قَلِيلُ الرَّجَاءِ

والمحذوف من الياءين الثانية المنقلبة عن الواو وأعلت بالحذف كما أعلت بالقلب

﴿ اللفظة ﴾

الأكابر جمع الأكبر وقد قالوا الأكبر والاصغرة كما قالوا الاساورة والاحامرة قال الشاعر

إِنَّ الْأَحَامِرَةَ الثَّلَاثَةَ أَهْلَكْتَ مَالِي وَكُنْتُ بَهَنَ قَدَمًا مَوْلِعًا
 الْحَمْرُ وَاللَّحْمُ السَّمِينُ أَحِبُّهُ وَالزُّعْفَرَانُ وَقَدْ أَبَيْتُ مَرَدَّعًا (٢)

واصل المكر القتل ومنه جارية مكورة اي مفئلة البدن فكان المكر معناه القتل الى خلاف الرشد

﴿ الاعراب ﴾

او من هذه همزة الاستفهام دخلت على واو العطف وهو استفهام يراد به التقرير وموضع الكاف في قوله وكذلك جعلنا نصب مطروفة على ما قبلها وهو قوله كذلك زين للكافرين، مجرمها يجوز أن يكون منصوبا على التقديم والتأخير تقديره جعلنا في كل قرية مجرمها اكابر ويجوز ان يكون منصوبا باضافة اكابر اليه

﴿ النزول ﴾

الآية الأولى قيل انها نزلت في حمزة بن عبد المطلب وابي جهل بن هشام وذلك ان ابا جهل آذى رسول الله (ص) فاخبر بذلك حمزة وهو على دين قومه فغضب وجاء ومعه قوس فضرب بها رأس ابي جهل وآمن عن ابن عباس وقيل انها نزلت في عمار بن ياسر حين آمن وابي جهل عن عكرمة وهو الروي عن ابي جعفر (ع) وقيل نزلت في عمر بن الخطاب عن الضحاك وقيل انها عامة في كل مؤمن وكافر عن الحسن وجماعة وهذا اولى لأنه أمم فائدة فيدخل فيه جميع الاقوال المذكورة

﴿ المعنى ﴾

ثم ذكر سبحانه مثل الفريقين فقال (او من كان ميتا فأحييناه) اي كافر فأحييناه بأن هديناه الى الايمان عن ابن عباس والحسن ومجاهد شبه سبحانه الكفر بالموث والايان بالحياة وقيل معناه من كان نطفة فأحييناه كقوله وكنتم أمواتا فأحيانا (وجعلنا له نورا يمشي به في الناس) قيل فيه وجوه ﴿ احدها ﴾ ان المراد بالنور العلم والحكمة سمي سبحانه ذلك نورا والجهل ظلمة لأن العلم يهتدى به الى الرشاد كما يهتدى بالنور في الطرقات ﴿ وثانيها ﴾ ان المراد بالنور هنا القرآن من مجاهد ﴿ وثالثها ﴾ ان المراد به الايمان من ابن عباس (كمن مثله في الظلمات) لم يقل سبحانه كمن هو في الظلمات تقديره كمن مثله مثل من هو في الظلمات يعني به الكافر الذي هو في ظلمة الكفر وقيل معناه كمن هو في ظلمات الكفر (ليس بخارج منها) لكنه ذكره بلفظ المثل ليعين انه بلغ في الكفر والحيرة غاية يضرب به المثل فيها و إنما سمي الله تعالى الكافر ميتا لأنه لا يتنعم بحياته ولا يتنعم غيره بحياته فهو أسوأ حالا من الميت اذ لا يوجد من الميت ما يعاقب عليه ولا يتضرر غيره به وسمى المؤمن

(١) في لسان العرب عدي بن الرعلاء (٢) توب مردع اي الساطخ بالزهران (٣) [لان]

حيالاً له ولغيره المصلحة والمنفعة في حياته وكذلك سمي الكافر ميتاً والمؤمن حياً في عدة مواضع مثل قوله انك لا تسمع الموتى ولينذر من كان حياً وقوله وما يستوي الاحياء ولا الاموات وسمى القرآن والايان والعلم نوراً لأن الناس يبصرون بذلك ويهتدون به من ظلمات الكفر وحيرة الضلالة كما يهتدى بسائر الانوار وسمى الكفر ظلمة لأن الكافر لا يهتدى بهداه ولا يبصر أمر رشده وهذا كما سمي الكافر اعمى في قوله أفمن يعلم إنما أنزل اليك من ربك الحق كمن هو اعمى وقوله وما يستوي الاعمى والبصير (كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون) وجه التشبيه بالكافر ان معناه زين لهؤلاء الكفر فعملوه مثل ما زين لأولئك الايمان فعملوه فشبّه حال هؤلاء في اتريين بحال أولئك فيه كما قال سبحانه كل حزب بما لديهم فرحون وروي عن الحسن انه قال زينه والله لهم الشيطان وانفسهم واستدل بقوله وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم وقوله زين لا يقتضي مزيناغيرهم لأنه بمنزلة قوله تعالى اني بصرفون وأنى يوفكون وقول العرب اعجب فلان بنفسه واولم بكذا ومثله كثير (وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر) اي مثل ذلك الذي قصصنا عليك زين للكافرين عملهم ومثل ذلك جعلنا في كل قرية أكابر (مجرميها) وجعلنا ذا المكرب من المجرمين كما جعلنا ذا النور من المؤمنين فكل ما فعلنا بهؤلاء فعلنا بأولئك الا ان أولئك اهدوا بحسن اختيارهم وهؤلاء ضلوا بسوء اختيارهم لأن في كل واحد منهما الجمل بمعنى الصيرورة الا ان الأول باللطف والثاني بالتمكين من المكرو وإنا خص أكابر المجرمين بذلك دون الأصغر لأنه البز بالاعتدال على الجميع لأن الأكابر اذا كانوا في قبضة القادر فلا أصغر يذك اجدر واللام في قوله (ليكفروا فيها) لام العاقبة ويسمى لام الصيرورة كما في قوله سبحانه ليكون لهم عدوا وحزنا وكما قال الشاعر

فَأَقْسِمُ لَوْ قَتَلُوا مَالِكًا لَكُنْتُ لَهُمْ حَيَّةً رَاصِدَةً
وَأُمُّ سَيْئَالٍ فَلَا تَجْزَعِي فَلِلْمَوْتِ مَا تَلِدُ الْوَالِدَةَ

(وما يكفرون الا بأنفسهم وما يشعرون) لأن عقاب ذلك يحمل بهم ولا يصح ان يكر الانسان بنفسه على الحقيقة لانه لا يصح ان يخفي عن نفسه معنى ما يحتال به عليها ويصح ان يخفي ذلك عن غيره وفائدة الآية ان أكابر مجرميها لم يكفروا بالمؤمنين على وجه المغالبة فله اذهم كأنه سبحانه جعلهم ليكفروا وهذه مبالغة في انتفا. صفة المغالبة

قوله تعالى (١٢٤) وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِنْ مِثْلِ مَا آوَتْ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ (آية)

✽ القراءة ✽

قرأ ابن كثير وحفص رسالته على التوحيد ونصب التاء والباقرن رسالاته على الجمع

✽ الحجة ✽

من وحد فلان الرسالة تدل على القلة والكثرة لكونها مصدرا ومن جمع فلما تكرر من رسالات الله سبحانه مرة بعد أخرى

✽ اللفظ ✽

الاجرام الاقدام على التبيح بالانقطاع إليه لأن اصل الجرم القطع فكانه قطع ما يجب ان يوصل من العمل ومنه قيل للذنب الجرم والجريمة والصغار الذل الذي يصغر الى المرء نفسه يقال صغر الانسان يصغر صغارا وصغرا

* الاعراب *

الله اعلم حيث يجعل رسالاته لا يخلو حيث هنا من ان يكون ظرفا متضمنا لخرقه او غير ظرف فان كان ظرفا فلا يجوز ان يعمل فيه اعلم لانه يصير المعنى اعلم في هذا الموضع او في هذا الوقت ولا يوصف تعالى بأنه اعلم في مواضع او في اوقات كما يقال زيد اعلم في مكان كذا او اعلم في زمان كذا واذا كان الأمر كذلك لم يجوز ان يكون حيث هنا ظرفا وإذا لم يكن ظرفا كان اسما وكان انتصابه انتصاب المفعول به على الاتساع ويقوي ذلك دخول الجار عليها فكان الاصل الله اعلم بمواضع رسالاته ثم حذف الجار كما قال سبحانه اعلم بمن ضل عن سبيله وفي موضع آخر اعلم من يضل عن سبيله فن يضل مفعول فعل مضردل عليه اعلم ولا يجوز ان يكون مفعول اعلم لأن المعاني لا تعمل في مواضع الاستفهام ونحوه وإنما تعمل فيها الافعال التي تلتقى فتعاقب كما تلتقى ومثل ذلك في انه لا يكون إلا محمولا على فعل قوله ﴿ وَأَضْرَبُ بِتَأْتِ بِالسُّيُوفِ الْقَوَانِسَ ﴾ فالقوانس منصوب بفعل مضردل عليه قوله اضرب لأن المعاني لا تعمل في المفعول به وبما جعل حيث فيه اسما متمكنا غير ظرف متضمن لمعنى في قول الشاعر

كَأَنَّ مِنْهَا حَيْثُ تَلْوِي الْمِنْطَقَا
حَقَقًا نَقَا مَا لَأَعْلَى حِقْفِي نَقَا^(١)

الا ترى ان حيث هنا في موضع نصب بكان وحققا مرفوع بأنه خبره وقال القاضي ابو سعيد السيرافي في شرح كتاب سيبويه ان من العرب من يضيف حيث الى المفرد فيجر ما بعدها وانشد ابن الاعرابي بيتا آخره ﴿ حَيْثُ تَلْوِي الْعَلَمِ ﴾ وانشد ايضا ابو سعيد وابو علي في اخراج حيث من حد الظرفية بالإضافة اليها الى حد الاسماء المحضة قول الشاعر يصف شيئا يقتل القمل

يَهْزُ الْمِرَانِعَ عَقْدَهُ عِنْدَ الْخِصْيِ
بِأَذَلِّ حَيْثُ يَكُونُ مَنْ يَتَذَلُّ^(٢)

ومن ذلك قول الفرزدق

فَمِخْنٌ بِهِ عَذْبًا رَضَابًا غَرُوبُهُ
رِقَاقٌ وَأَعْلَى حَيْثُ رَكِبْنَا عَجْفًا^(٣)

وقوله صغار عند الله قال الزجاج عند متصلة بسبب اي سيبويه عند الله صغار وجائز ان يكون عند متصلة بصغار فيكون المعنى سبب الذين اجرموا صغار ثابت لهم عند الله ولا يصلح ان يكون من محذوفة من عند انما المحذوف من عند في اذا قلت زيد عند عمرو فالمنى زيد في حضرة عمرو وقال ابو علي اذا قلت ان عند معمول لصغار لم تحتج الى تقدير محذوف في الكلام لكن نفس المصدا يتناوله ويعمل فيه ويكون التقدير ان يصغروا عند الله فلا وجه لتقدير ثابت في الكلام فان قدرت صغارا . وصرافا عند لم يكن عند معمول لصغار ولكن يكون متعلقا بمحذوف فلا بد على هذا من تقدير ثابت ونحوه ما يكون في الأصل صفة ثم حذف وأقيم الظرف مقامه للدلالة عليه وهذا كقولك وانت تريد الصفة هذا رجل عندك فالمنى ثابت عندك او مستقر عندك وكلا الوجهين جائز

* النزول *

نزلت في الوليد بن المغيرة قال والله لو كانت النبوة حقا لكنت اولي بها منك لاني اكبر منك سنا واكثر منك مالا وقيل نزلت في ابي جهل بن هشام قال زاحمنا بني عبد مناف في الشرف حتى اذا صرنا كفرنسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نؤمن به ولا نتبعه ابدا الا ان يأتينا وحي كما يأتيه عن مقاتل

* المعنى *

ثم حكى سبحانه عن الاكابر الذين تقدم ذكرهم اقتراحاتهم الباطلة فقال (واذا جاءتهم آية) أي دلالة

(١) القوانس جمع القونس : اعلى الرأس . (٢) المنطق : كلما شددت به وسطك . الحققان تثنية الحقف : ما هوج من الرمل واستطال . النقا مقصوداً : الكتيبة من الرمل . قوله ما لا من الميل . (٣) ومزا القلتة بين اصابعه : تصمها لى قتلها . الهرانع جمع الهرنع : القمل الكبير (٤) ماح الربق من فيه بالسواك : استخرجه به . و الرضاب بمعنى

معجزة من عند الله تعالى تدل على توحيده وصدق نبئه (ص) (قالوا لن نؤمن) اي لن نصدق بها (حتى نوتى) اي نعطى آية معجزة (مثل ماوتي) اي اعطي (رسل الله) حسدا منهم للنبي (ص) ثم اخبر سبحانه على وجه الانكار عليهم بقوله (الله اعلم حيث يجعل رسالته) انه اعلم منهم ومن جميع الخلق بمن يصلح لرسالاته ويتعلق مصالح الخلق ببعثه وانه يعلم من يقوم باعباء الرسالة ومن لا يقوم بها فيجعلها عند من يقوم بادائها ويحتمل ما يلحقه من المشقة والأذى على تبليغها ثم توعدهم سبحانه فقال (سيصيب) اي سينال (الذين اجرموا) اي انقطعوا الى الكفر واقدموا عليه يعني بهم المشركين من اكابر القرى الذين سبق ذكرهم (صغار عند الله) اي سيصيبهم عند الله ذل وهوان وان كانوا اكبر في الدنيا عن الزجاج ويجوز ان يكون المعنى سيصيبهم صغار معلوم عند الله او سيصيبهم ان يصفروا عند الله (وعذاب شديد بما كانوا يكفرون) في الدنيا اي جزاء على مكفرهم .

قوله تعالى (١٢٥) **فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ (آية)**

❁ القراءه ❁

قرأ ابن كثير ضيقا بتخفيف الياء وسكونها ههنا وفي الفرقان والباقون بتشديدها وكسرها وقرأ أهل المدينة وابو بكر وسهل حرجا بكسر الراء والباقون بفتحها وقرأ ابن كثير يصعد بتخفيف الصاد والعين وسكون الصاد وقرأ ابو بكر يصاعد بتشديد الصاد والفاء بعدها وتخفيف العين والباقون يصعد بتشديد الصاد والعين وفتح الصاد

❁ الحجة ❁

الضيق والضيق بمعنى مثل اليأس والميت ومن فتح الراء من حرج فقد وصف بالمصدر كما قيل في قمن ودنف ونحوهما من المصادر التي يوصف بها ومن كسر الراء من حرج فهو مثل دنف وقمن وقراءة ابن كثير يصعد من الصعود ومن قرأ يصعد اراد يتصعد فادغم والمعنى يتصعد انه يتقل الاسلام عليه فكانه يتكلف ما يتقل عليه شيئا بعد شيئا كقولهم يتعفف ويتعرج ونحو ذلك مما يتعاطى فيه الفعل شيئا بعد شيئا ويصاعد مثل يصعد في المعنى فهو مثل ضاعف وضغف وناعم ونعم وهما من المشقة وصعوبة الشيء ومن ذلك قوله يسلكه عذابا صعدا وقوله سارقه صعدا اي ساغشيه عذابا صعدا وتعقبه صعود اي شاقه ومن ذلك قول عمر بن الخطاب ما تصعد شيئا كما تصعد في خطبة النكاح اي ما شق علي شيئا مشقتها

❁ اللفظ ❁

الحرج والحرج أضيق الضيق قال ابو زيد حرج عليه السحر يخرج حرجا اذا اصبح قبل ان يتسحر وحرم عليه حرما وها بمعنى واحد وحرجت على المرأة الصلاة وحرمت بمعنى واحد وخرج فلان اذا هاب ان يتقدم على الأمر وقاتل فصبر وهو كاره وقد ذكرنا معاني الهداية والهدى والضلال والإضلال في سورة البقرة وما يجوز استناؤه إلى الله تعالى من كلا الأمرين وما لا يجوز عند قوله وما يضل به الا الفاسقين

❁ المعنى ❁

لما تقدم ذكر المؤمنين والكافرين بين عقبه ما يفعله سبحانه بكل من القبليتين فقال (فمن يرد الله ان يهديه) قد ذكر في تأويل الآية وجوه ❁ لحدها ❁ ان معناه (فمن يرد الله ان يهديه) الى الثواب وطريق الجنة

❁ العنق ايضا والعنق جسم عذب : ماء الفم . والاصعب : المهزول . بصف جوارى اشتغلن بالسواك و قوله : اعلى حيث ركن اي الاسنان يبنى لثنتها قليلة اللحم .

(يشرح صدره) في الدنيا (للاسلام) بأن يشبث عزمه عليه ويقوي دواعيه على التمسك به وبزيل عن قلبه وساوس الشيطان وما يمرض في القلوب من الحواطر الفاسدة وإنما يفعل ذلك لطفاً له ومناغاةً له وثواباً على اهتدائه بهدى الله وقبوله إياه ونظيره قوله سبحانه والذين اهتدوا زادهم هدى ويزيد الله الذين اهتدوا هدى (ومن يرد أن يضلّه يجعل صدره ضيقاً حرجاً) يعني ومن يرد أن يضلّه عن ثوابه وكرامته يجعل صدره في كفره ضيقاً حرجاً عقوبة له على ترك الإيمان من غير أن يكون سبحانه ما نعاله عن الإيمان وسالماً إياه القدرة عليه بل ربما يكون ذلك سبباً داعياً له إلى الإيمان فإن من ضاق صدره بالشيء كان ذلك داعياً له إلى تركه والدليل على أن شرح الصدر قد يكون ثواباً قوله سبحانه ألم نشرح لك صدرك الآيات ومعلوم أن وضع الوزر ورفع الذكبر يكون ثواباً على تحمل أعباء الرسالة وكفها فكذلك ما قرن به من شرح الصدر والدليل على أن الهدى قد يكون إلى الثواب قوله والذين قتلوا في سبيل الله فلن اعلمهم سيديهم ويصلح بهم والمعلوم أن الهداية بعد القتل لا تكون إلا إلى الثواب فليس بعد الموت تكليف وقد وردت الرواية الصحيحة أنه لما نزلت هذه الآية سئل رسول الله (ص) عن شرح الصدر ما هو فقال نور يقذفه الله في قلب المؤمن فيشرح له صدره وينفسح قالوا فهل لذلك من إمامة يعرف بها قال (ص) نعم الإجابة إلى دار الخلود والتجاني عن دار الفناء والاستعداد للموت قبل نزول الموت ﴿وثانيتها﴾ أن معنى الآية فمن يرد الله أن يشبثه على الهدى يشرح صدره من الوجه الذي ذكرناه جزاءً له على إيمانه واهتدائه وقد يطلق لفظ الهدى والمراد به الاستدانة كما قلناه في قوله اهدنا الصراط المستقيم (ومن يرد أن يضلّه) أي بخذله ويغفل بينه وبين ما يريد لا اختياره الكفر وتركه الإيمان (يجعل صدره ضيقاً حرجاً) بأن يمنعه اللطاف التي ينشرح لها صدره لخروجه من قبولها بإقامته على كفره فإن قيل إننا نجد الكافر ضيق الصدر لما هو فيه ونراه طيب القلب على كفره فكيف يصح الخلف في خبره سبحانه قلنا أنه سبحانه بين أنه يجعل صدره ضيقاً ولم يقل في كل حال ومعلوم من حاله في أحوال كثيرة أنه يضيق صدره بما هو فيه من ورود الشبه والشكوك عليه وعندما يجازي الله تعالى المؤمن على استعمال الأدلة الموصلة إلى الإيمان وهذا القدر هو الذي يقتضيه الظاهر ﴿وثالثها﴾ أن معنى الآية من يرد الله أن يهديه زيادة الهدى التي وعدا المؤمن بشرح صدره لتلك الزيادة لأن من حققها ان تزيد المؤمن بصيرة ومن يرد أن يضلّه عن تلك الزيادة بمعنى يذهب عنها من حيث أخرج هو نفسه من أن يصح عليه يجعل صدره ضيقاً حرجاً لمكان فقد تلك الزيادة لأنها إذا اقتضت في المؤمن ما قلناه أوجب في الكافر ما يضاؤه ويكون الفائدة في ذلك الترغيب في الإيمان والزجر عن الكفر وهذا التأويل قريب مما تقدمه وقد روي عن ابن عباس أنه قال إنما سعى الله قلب الكافر حرجاً لأنه لا يصل الخير إلى قلبه وفي رواية أخرى لا تصل الحكمة إلى قلبه ولا يجوز أن يكون المراد بالاضلال في الآية الدعاء إلى الضلال ولا الأمر به ولا الإيجاب عليه لإجماع الأمة على أن الله تعالى لا يأمر بالضلال ولا يدعو إليه فكيف يجبر عليه والدعاء إليه أهون من الإيجاب عليه وقد ذم الله تعالى فرعون والسامري على اضلالهما عن دين الهدى في قوله وأضل فرعون قومه وما هدى وقوله فأضلهم السامري ولا خلاف في أن اضلالهما أمر وإيجاب ودعاء وقد ذمهما الله تعالى عليه مطلقاً فكيف يتمدح بما ذم عليه غيره قوله (كأنما يصمد في السماء) فيه وجوه ﴿أحدها﴾ أن معنى قوله كأنه قد كلف أن يصمد إلى السماء إذا دعي إلى الإسلام من ضيق صدره عنه أو كأن قلبه يصمد في السماء نبوّاً عن الإسلام والحكمة عن الزجاج ﴿وثانيتها﴾ أن معنى يصمد كأنه يتكف مشقة في

ارتقاء صمود وعلى هذا قيل عفة عنوت وكوود عن ابي علي الفارسي قال ولا يكون الساء في هذا القول المظلة للأرض ولكن كما قال سيبويه القيود الطويل في غير ساء اي في غير ارتفاع صعدا وقريب منه ما روي عن سعيد بن جبير ان معناه كأنه لا يجد مسلكا الا صعدا * ونالها * ان معناه كأنما ينزع قلبه الى السماء لشدة المشقة عليه في مفارقة مذهبه (كذلك يجعل الله الرجس) اي العذاب عن ابن زيد وغيره من أهل اللغة وقيل هو ما لا خير فيه عن مجاهد (على الذين لا يؤمنون) وفي هذا دلالة على صحة التأويل الاول لأنه تعالى بين ان الاضلال المذكور في الآية كان على وجه العقوبة على الكفر ولو كان المراد به الاجبار على الكفر لقال كذلك لا يؤمن من جعل الله الرجس على قلبه ووجه التشبيه في قوله كذلك يجعل الله الرجس انه يجعل الرجس على هؤلاء كما يجعل ضيق الصدر في قلوب أولئك وان كل ذلك على وجه الاستحقاق وروى العياشي بأسناده عن ابي بصير عن خيثمة قال سمعت ابا جعفر (ع) يقول ان القلب يتقلب من لدن موضعه الى حنجرته ما لم يصب الحق فإذا أصاب الحق قرئتم قرأ هذه الآية

قوله تعالى (١٢٦) وَهَذَا صِرَاطٌ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ (١٢٧) لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (آيتان)

* المعنى *

ثم أشار تعالى الى ما تقدم من البيان فقال (وهذا صراط ربك) اي طريق ربك وهو القرآن عن ابن مسعود والاسلام عن ابن عباس وإنما أضافه الى نفسه لأنه تعالى هو الذي دل عليه وارشد اليه (مستقيماً) لا اعوجاج فيه وإنما اتصب على الحال وإنما وصف الصراط الذي هو أدلة الحق بالاستقامة مع اختلاف وجوه الأدلة لأنها مع اختلافها تؤدي الى الحق فكانها طريق واحد لسلامة جميعها من التناقض والفساد (قد فصلنا الآيات) اي بيناها وميزناها (لقوم يذكرون) وأصله يذكرون خص المتذكرين بذلك لأنهم المتفهمون بالحجج كما قال هدى للمتقين (لهم دار السلام) اي للذين تذكروا وتدبروا وعرفوا الحق وتبعوه دار السلامة الدائمة الخالصة من كل آفة وبلية مما يلقاه اهل النار عن الزجاج والجبائي وقيل ان السلام هو الله تعالى وداره الجنة عن الحسن والسدي (عند ربهم) اي هي مضمونة لهم عند ربهم يوصلهم اليها لا محالة كما يقول الرجل لتبره لك عندي هذا المال اي في ضمانتي وقيل معناه لهم دار السلام في الآخرة يعطيهم اياها (وهو وليهم) يعني الله يتولى ايبصال المنافع اليهم ودفع المضار عنهم وقيل وليهم ناصرهم على اعدائهم وقيل يتولاهم في الدنيا بالتوفيق وفي الآخرة بالجزاء (بما كانوا يعملون) المراد جزاء بما كانوا يعملون من الطاعات فحنف لظهور المعنى فإذن من المعلوم ان ما لا يكون طاعة من الأعمال فلا ثواب عليه

قوله تعالى (١٢٨) وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمِعْ بَعْضًا مِمَّا نَبْغِ وَيَبْلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (١٢٩) وَكَذَلِكَ نُؤَيِّنُ بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (آيتان)

* القراءة *

قرأ حفص وروح ويوم يحشهم بالياء الباقون بالنون

* الحجة *

من قرأ بالياء فلقوله عند ربهم والنون كالياء في المعنى ويقوي النون قوله وحشراهم ونحشره يوم القيامة اعمى

* الاعراب *

قال الزجاج خالدين فيها منصوب على الحال والمعنى النار مقامكم في حال خلود دائم قال ابو علي المثنوي عندي في الآية اسم للمصدر دون المكان لحصول الحال في الكلام معملا فيها الا ترى انه لا يخلو من ان يكون موصوفا او مصدرا فلا يجوز ان يكون موصوفا لأن اسم الموضع لا يعمل عمل الفعل لأنه لا معنى للفعل فيه واذا لم يكن موصوفا ثبت انه مصدر والمعنى النار ذات اقامتكم فيها خالدين اي اهل ان تقيموا او تثبوا خالدين فيها فالكاف والميم في المعنى فاعلون وان كان في اللفظ خفض بالاضافة

* المعنى *

ثم عطف سبحانه على ما تقدم فقال (ويوم يحشهم جميعا) اي يجمعهم يريد جميع الخلق وقيل الانس والجن لأنه يتعقبه حديثهم وقيل يريد الكفار وانصب اليوم بالقول المضمر لأن المعنى ويوم يحشهم جميعا يقول (يا مشر الجن) اي يا جماعة الجن (قد استكثرتم من الانس) اي قد استكثرتم ممن أضللتهم من الانس عن حجاج وهو مأخوذ من قول ابن عباس معناه من اغواء الانس واخلاهم (وقال أولياؤهم) اي متبوعهم (من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض) اي انتفع بعضنا ببعض وقد قيل فيه أقوال * احدها * ان استمتع الجن بالانس ان اتخذهم الانس قادة وروساء فاتبعوا اهواؤهم واستمتع الانس بالجن انتفاعهم في الدنيا بما زين لهم الجن من اللذات ودعوم اليه من الشهوات * وثانيها * ان استمتع الانس بالجن ان الرجل كان اذا سافر وخاف الجن في سلوك طريق قال أعوذ بسيد هذا الوادي ثم يسلك فلا يخاف وكانوا يرون ذلك استجارة بالجن وان الجن تجيرهم كما قال الله تعالى وانه كان رجال من الانس يهودون برجال من الجن فزادهم رهقا واستمتع الجن بالانس ان الجن اذا اعتقدوا ان الانس يتبعونهم ويعتقدون انهم ينفعونهم ويضرونهم كان في ذلك لهم سرور ونفع عن الحسن وابن جريج والزجاج وغيرهم — وثالثها ان المراد بالاستمتاع طاعة بعضهم لبعض وموافقة بعضهم بعضا عن محمد بن كعب قال البلخي ويحتمل ان يكون الاستمتاع مقصورا على الانس فيكون الانس استمتع بعضهم ببعض دون الجن وقوله (وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا) يعني بالاجل الموت عن الحسن والسدي وقيل البعث والحشر لأن الحشر أجل الجزاء كما ان الموت أجل استدراك ما مضى قال الجبائي وفي هذا دلالة على انه لا أجل الا واحد لأنه لو كان أجلان لكان الرجل اذا اقتطع دون الموت بأن يقتل لم يكن بلغ أجله والآية تتضمن انهم أجمع قالوا بلغنا أجلنا الذي أجلت لنا وقال علي بن عيسى وغيره من البغداديين لا دلالة في الآية على ذلك بل لا يمتنع ان يكون للانسان أجلان — احدهما — ما يقع فيه الموت * والآخر * ما يقع فيه الحشر او ما كان يجوز ان يعيش اليه (قال) الله تعالى لهم (النار مثواكم) اي مقامكم والثواب الإقامة

(خالد بن فيها) اي دائمين موبدين فيها معذبين (الاماشاء الله) وقيل في معنى هذا الاستثناء أقوال - احدها - ما لوي عن ابن عباس انه قال كان وعيد الكفار مبها غير مقطوع به ثم قطع به لقوله تعالى ان الله لا يفرغ ان يشرك به - وثانيها - ان الاستثناء انما هو من يوم القيامة لأن قوله ويوم يحشرهم جميعا هو يوم القيامة فقال خالد بن فيها مذيوم يمشون الا ما شاء الله من مقدار حشرهم من قبورهم ومقدار مدتهم في محاسبتهم عن الزجاج قال وجائز ان يكون المراد الا ما شاء الله ان يعذبهم به من اخفاف العذاب * وثالثها * ان الاستثناء راجع الى غير الكفار من عصاة المسلمين الذين هم في مشيئة الله تعالى ان شاء عذبهم بذنوبهم بقدر استحقاقهم عدلا وان شاء عفا عنهم فضلا * ورابعها * ان معناه الا ما شاء الله من آمن منهم عن عطا (ان ربك حكيم عليم) اي محكم لا فماله عليه بكل شي وقيل حكيم في عقاب من يختار ان يعاقبه والعفو عن من يختار ان يعفو عنه عليم بمن يستحق الثواب وبمقدار ما يستحقه ومن يستحق العقاب وبمقدار ما يستحقه (و كذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون) الكاف للشبيه اية كذلك المهل بتخلية بعضهم مع بعض للامتحان الذي معه يصح الجزاء على الاعمال توليتنا بعض الظالمين بعضا بأن نجعل بعضهم يتولى امر بعض العقاب الذي يجري على الاستحقاق عن علي بن عيسى وقيل معناه انا كما وكلنا هؤلاء الظالمين من الجن والانس بعضهم إلى بعض يوم القيامة وتبرأنا منهم فكذلك نكل الظالمين بعضهم إلى بعض يوم القيامة ونكل الاتباع إلى المتبوعين ونقول للاتباع قولوا للمتبوعين حتى يخلصوكم من العذاب عن ابي علي الجبائي قال والفرض بذلك اعلامهم انه ليس لهم يوم القيامة ولي يدفع عنهم شيئا من العذاب وقال غيره لما حكى الله تعالى ما يجري بين الجن والانس من الخصام والجدال في الآخرة قال وكذلك أي وكما فعلنا بهؤلاء من الجمع بينهم في النار وتولية بعضهم بعضا نفعل مثله بالظالمين جزاء على أعمالهم وقال ابن عباس إذا رضي الله عن قوم ولي أمرهم خبارهم وإذا سخط على قوم ولي أمرهم شرارهم بما كانوا يكسبون من المعاصي أي جزاء على أعمالهم القبيحة وذلك معنى قوله ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ومثله ما رواه الكلبي عن مالك بن دينار قال قرأت في بعض كتب الحكمة عن الله تعالى يقول إني أنا الله مالك الملوك قلوب الملوك بيدي فمن أطاعني جعلتهم عليه رحمة ومن عصاني جعلتهم عليه عاقبة فلا تشغلوا أنفسكم بسب الملوك ولكن توبوا إلي اعطهم عليكم وقيل معنى قوله نولي بعضهم بعضا نخلي بينهم وبين ما يختارونه من غير نصرة لهم وقيل معناه تتابع بعضهم بعضا في النار من الموالات التي هي المتابعة أي يدخل بعضهم النار عقيب بعض عن قتادة

قوله تعالى (١٣٠) يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا وَغَرَّبْنَاهُمُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَيَّ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ (١٣١) ذَلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ (١٣٢) وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِّمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (ثلاث آيات)

* القراءة *

قرأ ابن عامر عما تعملون بالياء والباقون بالياء

✽ اللفظة ✽

الغفلة عن المعنى والسهو عنه والعزوب عنه نظائر وضد الغفلة اليقظة وضد السهو الذكر وضد المزوب الحضور

✽ الاعراب ✽

موضع ذلك يحتمل أن يكون رفعا على تقدير الأمر ذلك ويحتمل ان يكون نصبا على تقدير فعلنا ذلك وان لم يكن أن هذه هي المخففة من الثقيلة وتقديره لأنه لم يكن كما في قول الشاعر

فِي فِتْيَةٍ كَسَيُوفِ الْهِنْدِ قَدْ عَلِمُوا أَنَّ هَالِكُ كُلِّ مَنْ يَحْفَى وَيَنْتَعِلُ

وأن المفتوحة لا بد لها من اضماء الهاء لأنه لا معنى لها في الابتداء وإنما هي بمعنى المصدر المبني على غيره والمكسورة لا تحتاج إلى الهاء لأنها تصح ان تكون حرفا من حروف الابتداء فلا يحتاج إلى اضماء وانما لم يبن كل إذا حذف منه المضاف اليه كما بني قبل وبعد لأن ما حذف منه المضاف اليه مثل قبل وبعد لم يكن في حال الاعراب على التمكن التام فإنه لا يدخله الرفع في تلك الحال فلما انضاف إلى ذلك نقصان التمكن بحذف المضاف اليه اخرج إلى البناء وليس كذلك كل لأنه متمكن على كل حال فلذلك لم يبن

✽ المعنى ✽

ثم بين عز وجل تمام ما يخاطب به الجن والانس يوم القيامة بأن يقول (يا معشر الجن والانس) والمعشر الجماعة التامة من القوم التي تشتمل على اصناف الطوائف ومنه العشرة لانها تمام المقدم (الم يأتكم رسل منكم) هذا احتجاج عليهم بأن بعث اليهم الرسل اعذارا وانذارا وتأكيدا للحجة عليهم وأما قوله منكم وان كان خطابا لجميهم والرسل من الانس خاصة فإنه يحتمل ان يكون لتغليب احدها على الآخر كما قال تعالى يخرج منها اللؤلؤ والمرجان وان كان اللؤلؤ يخرج من الملح دون العذب وكما يقال أكلت الخبز واللبن وإنما يؤكل الخبز ويشرب اللبن وهو قول اكثر المفسرين والزجاج والرماني وقيل انه ارسل رسل إلى الجن كما ارسل إلى الانس عن الضحاك وقال الكلبي كان الرسل يرسلون إلى الانس ثم بعث محمد (ص) إلى الانس والجن وقال ابن عباس انما بعث الرسول من الانس ثم كان يرسل هو إلى الجن رسولا من الجن وقال مجاهد الرسل من الانس والنذر من الجن (يقصون) اي يتلون ويقرأون (عليكم آياتي) اي حججي ودلائلي وبيئاتي (وينذرونكم) اي يخوفونكم (لقاء يومكم هذا) اي لقاء ما تستحقونه من العقاب في هذا اليوم وحصولكم فيه يعني يوم القيامة (قالوا شهدنا على انفسنا) بالكفر والمصيان في حال التكليف ولزوم الحجة وانقطاع العذرة واعترافنا بذلك (وغررهم الحياة الدنيا) اي تزيت لهم بظواهرها حتى اغتروا بها (وشهدوا على انفسهم) في الآخرة (أنهم كانوا كافرين) في الدنيا اي أقرؤا بذلك وشهدوا باستحقاقهم العقاب (ذلك) حكم الله تعالى (أن لم يكن ربك) اي لأنه لم يكن ربك (مهلك القرى بظلم واهلها غافلون) وهذا يجري مجرى التعليل اي لأجل انه لم يكن الله تعالى لهلك اهل القرى بظلم يكون منهم حتى يبعث اليهم رسلا ينبهونهم على حجج الله تعالى ويزجروهم وينذرونهم ولا يؤأخذهم بغتة وهذا انما يكون منه تعالى على وجه الاستظهار في الحجة دون ان يكون ذلك واجبا لأن ما فعلوه من الظلم قد استحقوا به العقاب وقيل معناه انه تعالى لا يهلكهم بظلم منه على غفلة منهم من غير تنبيهه وتذكير عن الفراء والجبائي ومثله قوله وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون وفي هذا دلالة واضحة على انه تعالى منزّه عن الظلم

ولو كان الظلم من خلقه لما صح تنزهه تعالى عنه (ولكل اي واكل عامل طاعة او معصية) درجات مما عملوا) اي مراتب في عمله على حسب ما يستحقه فيجازى عليه ان كان خيراً فخير وان كان شراً فشر واما سميت درجات لتفاضلها كتفاضل الدرج في الارتفاع والانحطاط وإنما يعبر عن تفاضل اهل الجنة بالدرج وعن تفاضل اهل النار بالدرك الا انه لما جمع بينهم عبر عن تفاضلهم بالدرج تقليباً لصفة اهل الجنة (وما ربك) يا محمد ابو ايها السامع (بناقل) اي ساو (عما يعملون) اي لا يشذ شي من ذلك عن علمه فيجازيهم على حسب ما يستحقونه من الجزاء وفي هذا تنبيه وتذكير للخلق في كل أمورهم

قوله تعالى (١٣٣) وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنَّ بَشَأَ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةٍ قَوْمٍ آخَرِينَ (١٣٤) إِنَّ مَا تُوْعَدُونَ لَأَتِي وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ (١٣٥) قُلْ يَا قَوْمِ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (ثلاث آيات)

❖ القراءة ❖

قرأ ابو بكر عن عاصم مكاناتكم على الجمع والباقون مكانكم على التوحيد وقرأ حمزة والكسائي من يكون بالياء والباقون بالياء.

❖ الحجة ❖

وجه قراءة مكاناتكم على التوحيد انه مصدر والمصادر في أكثر الأمور مفردة ووجه الجمع انه قد يجمع المصدر كقولهم الحلوم والاحلام قال

فَأَمَّا إِذَا جَلَسُوا فِي النَّدْيِ فَأَحْلَامٌ عَادُوا وَيَدِيهِمْ
ومن قرأ من يكون بالياء فلان العاقبة مصدر كالعاقبة وتأتيه غير حقيقي فمن أنت فهو كقوله فأخذتهم الصبيحة ومن ذكر فكقوله وأخذ الذين ظلموا الصبيحة وكلا الأمرين جائز

❖ اللفظ ❖

الإشياء الإبتداء انشاء الله الخلق اذا خلقهم وابتدأهم ومنه قولهم انشاء فلان قصيدة والنشأ الاحداث من الاولاد قال نصيب

وَلَوْ لَا أَنَّ يُقَالَ صَبًا نَصِيبٌ لَقَلْتُ بِنَفْسِي النَّشَأُ الصِّغَارُ
وتوعدون من الایماد ويحتمل ان يكون من الوعد والوعد في الخبر والایماد في الشر وقال ابو زيد المكانة المنزلة يقال رجل مكين عند السلطان من قوم مكاء وقد مكن مكانة

❖ الإعراب ❖

الكاف في قوله كما انشاء كم في موضع نصب اي مثل ما انشاء كم ومن في قوله ويستخلف من بعد كم للبدل كقولهم اعطيتك من دينارك ثوبا اي مكان دينارك وبدله ومن في قوله من ذرية قوم آخرين لابتداء النفاية وما في قوله ان ما توعدون بمعنى الذي ومن في قوله من تكون له عاقبة الدار في موضع رفع بالابتداء وخبره تكون له عاقبة الدار وتقديره ايما تكون له عاقبة الدار ويكون تليقا ويحتمل ان يكون موضعه نصبا بملون

ويكون في معنى الذي

- المعنى -

لما أمر سبحانه بطاعته وحثَّ عليها ورغب فيها بين أنه لم يأمر بها لحاجة لأنه يتعالى عن النفع والضر فقال (وربك) اي خالقك وسيدك (الفني) عن اعمال عباده لا تنفعه طاعتهم ولا تضره معصيتهم لأن الفني عن الشيء هو الذي يكون وجود الشيء وعدمه وصحته وفساده عنده بمنزلة (ذو الرحمة) اي صاحب النعمة على عباده بين سبحانه انه مع غناه عن عباده يشهد عليهم وان انعامه وان أكثر لا ينقص من ملكه ولا من غناه ثم اخبر سبحانه عن قدرته فقال (ان يشأ يذهبكم) اي يهلككم وتقديره يذهبكم بالاهلاك (ويستخلف من بعدكم ما يشاء) أي وينشئ بعد هلاككم خلقاً غيركم يكون خلفاً لكم (كما انشأكم) في الأول (من ذرية قوم آخرين) تقدموكم وهذا خطاب لمن سبق ذكره من الجن والانس ويحتمل ان يكون معناه ويستخلف جنساً آخر اي كما قدر على اخراج الجن من الجن والانس من الانس فهو قادر على ان يخرج قوماً آخر لا من الجن ولا من الانس وفي هذه الآية دلالة على أن خلاف المعلوم يجوز ان يكون مقدوراً لأنه سبحانه بين انه قادر على ان ينشئ خلقاً خلاف الجن والانس ولم يفعل ذلك (ان ما توعدون) من القيامة والحساب والجنة والنار والثواب والعقاب وتفاوت اهل الجنة في الدرجات وتفاوت اهل النار في الدرجات (لا محالة) وما اتم بمعجزين) بفائتين ويقال بسابقين ويقال بخارجين من ملكه وقدرته والايعجاز ان يأتي الانسان بشيء يعجز خصمه عنه ويقصر دونه فيكون قد جملته عاجزاً عنه فلي هذا يكون المعنى استمد بمعجزين الله سبحانه عن الاتيان بالبعث والعقاب (قل) يا محمد لهم (يا قوم اعملوا على مكانتكم) اي على قدر منزلتكم وتمكنكم من الدنيا ومعناه اثبتوا على ما اتم عليه من الكفر وهذا تهديد ووعد بصيغة الأمر وقيل على مكانتكم على طريقتكم وقيل على حالتكم عن الجبائي اي اقيموا على حالتكم التي اتمت عليها فاني مجازيكم (اني عامل) اخبار عن النبي (ص) اي عامل بما أمرني الله تعالى به وقيل اخبار عن الله تعالى اي عامل ما وعدتكم به من البعث والجزاء عن ابي مسلم والأول الصحيح (فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار) اي فستعلمون ايئناً تكون له العاقبة المحمودة في دار السلام عند الله تعالى وقيل المراد عاقبة دار الدنيا في النصر عليكم (انه لا يفلح الظالمون) اي لا يظفر الظالمون بطلوبهم وانما لم يقل الكافرون وان كان الكلام في ذكركم لأنه سبحانه قال في موضع آخر والكافرون هم الظالمون وقال ان الشرك لظلم عظيم

قوله تعالى (١٣٦) وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (آية)

* القراءة *

قرأ الكسائي بزعمهم بضم الزاي وهي قراءة يحيى بن ثابت والاعمش وقرأ الباقون بفتح الزاي

* الحجة *

القول فيه انها لفتان وقيل ان الكسر ايضا لغة ومثله الفتك والفتك والود والود والود

- اللغة -

الذرة الخلق على وجه الاختراع وأصله الظهور ومنه ملح ذرآتي وذرآتي لظهور بياضه والذرة ظهور الشيب قال ﴿ وَقَدَعَلْتَنِي ذُرَّةً بَادِي بَدِي ﴾ وذرئت لحبته اذا شابت والحراث الزرع والحراث الارض التي تثار للزرع والانعام جمع النعم مأخوذ من نعمة الوطء ولا يقال لذوات الحافر انعام

* المعنى *

ثم عاد الكلام الى حجج المشركين وبيان اعتقادهم الفاسدة فقال سبحانه (وجعلوا لله) أي كفار مكة ومن تقدمهم من المشركين والجلل هنا بمعنى الوصف والحكم (بما ذرأ من الحراث) أي بما خلق من الزرع (والانعام) أي المواشي من الابل والبقر والغنم (نصيباً) أي حظاً وههنا حذف بدل الكلام عليه وهو وجعلوا للأوثان منه نصيباً (فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا) يعني الأوثان وانما جعلوا الأوثان شركاءهم لأنهم جعلوا لها نصيباً من أموالهم ينفقونه عليها فشاركوها في نعمهم (فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم) قيل في معناه أقوال * احدها * انهم كانوا يزعمون لله زرعاً وللانصنام زرعاً فكان اذا زكا الزرع الذي زرعه الله ولم يرك الزرع الذي زرعه للانصنام جعلوا بعضه للانصنام وصرفوه اليها ويقولون ان الله غني والانصنام احوج وان زكا الزرع الذي جعلوه للانصنام ولم يرك الزرع الذي زرعه الله لم يجعلوا منه شيئاً لله وقالوا هو غني وكانوا يسمون النعم فيجعلون بعضه لله وبعضه للانصنام فما كان لله اطعموه الضيفان وما كان للصنم انفقوه على الصنم عن الزجاج وغيره * وثانيها * انه كان اذا اختلط ما جعل للانصنام بما جعل لله تعالى رذوه واذا اختلط ما جعل لله بما جعل للانصنام تركوه وقالوا الله اغني واذا تخرق الماء من الذي لله في الذي للانصنام لم يسدوه واذا تخرق من الذي للانصنام في الذي لله سدوه وقالوا الله اغني عن ابن عباس وقتادة وهو المروي عن أمثنا (ع) - وثالثها - انه كان اذا هلك ما جعل للانصنام بدلوه بما جعل لله واذا هلك ما جعل لله لم يبدلوه بما جعل للانصنام عن الحسن والسدي (ساء ما يحكمون) أي ساء الحكم حكمهم هذا

قوله تعالى (١٣٧) وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَائِهِمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ (آية)

- القراءة -

قرأ ابن عامر وحده زَيْن بضم الزاي قتل بالرفع اولادهم بالنصب شركائهم بالجر والباقون زين بالفتح قتل بالنصب اولادهم بالجر شركائهم بالرفع

- الحجة -

شركائهم في قراءة الاكثرين فاعل زَيْن وقاتل اولادهم مفعوله ولا يجوز ان يكون شركاء فاعل المصدر الذي هو قتل اولادهم لأن زَيْن حينئذ يبقى بلا فاعل ولأن الشركاء ليسوا قاتلين انما هم مزيتون القتل لهم وأضيف المصدر الذي هو قتل الى المفعولين الذين هم الأولاد وحذف الفاعل وتقديره قتلهم اولادهم كما حذف ضمير الانسان في قوله لا يسأم الانسان من دعاء الخبير والمعنى من دعائه الخبير وأما قراءة

(١) قاله أبو نخيلة السدي وبعده « ورتبة تنهض بالشد » وقوله بادي بدي أي اول كل شيء من بدأ فترك الهمز لكثرة الاستعمال و طلب التضعيف وقد يجوز أن يكون من بدأ يبدو اذا ظهر .

ابن عامر وكذلك زين فإنه اسند زين الى قتل واعمل المصدر عمل الفعل وأضافه الى الفاعل ونظير ذلك قوله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض فاسم الله هنا فاعل كما ان الشركاء في الآية فاعلون والمصدر مضاف الى الشركاء الذين هم فاعلون والمعنى قتل شركائهم اولادهم وتقديره ان قتل شركائهم اولادهم وفصل بين المضاف والمضاف اليه بمفعول به والمفعول مفعول المصدر وهذا قبيح في الاستعمال قال ابو علي ووجه ذلك على ضعفه انه قد جاء في الشعر الفصل قال الطرماح

يَطْفَنُ بِمَجُوزِي المَرَاتِعِ لَمْ تَرَعِ بَوَادِيهِ مِنْ قَرَعِ القَيْسِيِّ الكِنَانِ (١)

وزعموا ان ابالحسن أنشد «رَجَّ القُلُوصِ أَبِي مَرَادَةَ» فهو شاذ مثل قراءة ابن عامر وذكر سيويه في هذه الآية قراءة أخرى وهو قوله وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم شركائهم وهو قراءة ابي عبد الرحمن السلمي فحمل الشركاء فيها على فعل مضمر غير هذا الظاهر كأنه لما قيل وكذلك زين قيل مَنْ زَيْنَةٌ فَقَالَ زَيْنَةُ شَرِّ كَاوُثُمْ ومثل ذلك قوله

لَيْبِكَ يَزِيدُ ضَارِعٌ لِخُصُومَةٍ وَمَخْتَبِطٌ شَمَا تَطِيحُ الطَوَائِحُ (٢)

كأنه لما قيل لبيك يزيد قيل من يبكيه فقال يبكيه ضارع

✽ اللفظة ✽

الارداء: الاهلاك وردى يردى اذا هلك وتردى تردى والمرداة الحجر يتردى من رأس الجبل

— المعنى —

ثم بين سبحانه خصلة أخرى من خصالهم الذميمة فقال (وكذلك) اي وكما جعل أولئك في الحرث والانعام ما لا يجوز كذلك (زين لكثير من المشركين) اي مشركي العرب (قتل اولادهم شركائهم) يعني الشياطين الذين زينوا لهم قتل البنات وأدهن أحياء خيفة العيلة والفقر والعار عن الحسن ومجاهد والسدي وقيل ان المزينين لهم ذلك قوم كانوا يخدمون الأوثان عن الفراء والزجاج وقيل هم الفوارة من الناس وقيل كان السبب في تزيين قتل البنات ان النعمان بن المنذر اغار على قوم فسبى نساءهم وكان فيهن بنت قيس بن عاصم ثم اصطلموها فأرادت كل امرأة منهن عشيرتها غير ابنة قيس فإنها أرادت من سبأها فحلف قيس لا يولد له بنت الا وأدها فصار ذلك سنة فيما بينهم (ليردوهم) اي يهلكوهم واللام لام العاقبة لأنهم لم يكونوا معاندين لهم فقصدوا ان يردوهم عن ابي علي الجاثي وقال غيره يجوز ان يكون فيهم المعاند فيكون ذلك على التغليب (وليلبسوا عليهم دينهم) اي يحلطوا عليهم دينهم ويدخلوا عليهم الشبهات فيه (ولو شاء الله ما فعلوه) معناه ولو شاء ان يمنعهم من ذلك او يضطرهم الى تركه لفعل ولو فعل المنع والحيلولة لما فعلوه ولكن كان يكون ذلك منافيا للتكليف (فذرهم وما يفترون) اي اتركهم ودعهم وافتراءهم اي كذبهم على الله تعالى فإنه يجازيهم وفي هذا غاية الزجر والتهديد كما يقول القائل دعه وما اختار وفي هذه الآية دلالة واضحة على ان تزيين القتل والقتل فعلهم وانهم في اضافة ذلك الى الله سبحانه كاذبون

قوله تعالى (١٣٨) وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْتٌ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِيَزَعِيمٍ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَاءَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءٌ عَلَيْهِمْ سِيَجْرٌ بِهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (آية)

(١) العوزى: أفضل من النوق. والقسي - بكسر القاف - جمع القوس والكنان جمع الكنانة جملة السهم والشاهد في فصل القسي بين المضاف وهو القرم والمضاف اليه وهو الكنانة. (٢) وقيل «فرجبتها بمنزجة» والزج: الطعن والمنزجة: الرمح. والقُلُوصُ من الأبل: الشاة. وتقدير الشعر كرج أبي مزادة القُلُوصُ ففصل القُلُوصُ من

- القراءة -

قري في الشواذ جرح روي ذلك عن النبي كعب وابن مسعود وابن الزبير والاعمش وعكرمة وعمرو بن دينار

- الحجة -

الحرج يمكن ان يؤول معناه الى الحجر فانها يرجعان في الأصل الى معنى الضيق فإن الحرام سمي حجراً لضيقة والحرج ايضاً الضيق فقل هذا يكون لفة في حجر مثل جذب وجذب فهو من المقلوب

* اللغة *

الحجر الحرام والحجر العقل وفلان في حجر القاضي من تجرت حجراً اي في منع القاضي اياه من الحكم في ماله وحجر المرأة وحجرها بالفتح والكسر حضنها

* الاعراب *

اقتراء منصوب بقوله لا يذكرون وهو مفعول له ويجوز ان يكون لا يذكرون بمعنى يفترون فكأنه قال يفترون اقتراء

* المعنى *

ثم حكى سبحانه عنهم عقيدة أخرى من عقائدهم الفاسدة فقال (وقالوا) يعني المشركين (هذه انعام) اي مواش وهي الاوبل والبقر والغنم (وحرث) زرع (حجر) اي حرام عني بذلك الانعام والزرع الذين جعلوا ماله لهم واوثانهم (لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم) اي لا يأكلها الا من نشاء ان تأذن له في أكلها وأعلم سبحانه ان هذا التحريم زعم منهم لا حجة لهم فيه ولا يوهان وكانوا لا يحلون ذلك الا لمن قام بخدمة اصنامهم من الرجال دون النساء (وانعام حرمت ظهورها) يعني الانعام التي حرّموا الركب عليها وهي السائبة والبحيرة والحمام عن الحسن ومجاهد وقيل هي الحامي الذي حمى ظهره اذا ركب ولد ولده عندهم فلا يركب ولا يحمل عليه (وانعام لا يذكرون اسم الله عليها) قيل كانت لهم من انعامهم طائفة لا يذكرون اسم الله عليها ولا في شيء من شأنها عن مجاهد وقيل انهم كانوا لا يحجون عليها عن ابي وائل وقيل هي التي اذا ذكروها أهلوا عليها بأصنامهم فلا يذكرون اسم الله عليها عن الضحاك (اقتراء عليه) اي كذباً على الله تعالى لأنهم كانوا يقولون ان الله أمرهم بذلك وكانوا كاذبين به عليه سبحانه (سيجزيهم بما كانوا يفترون) ظاهر المعنى

قوله تعالى (١٣٩) وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم إنه حكيم عليم (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن كثير وان يكن بالياء ميتة رفع وقرأ ابن عامر وابو جعفر تكثر بالتاء ميتة رفع وقرأ ابو بكر عن عاصم تكثر بالتاء ميتة نصب والباقون يكن بالياء ميتة نصب وفي الشواذ قراءة ابن عباس بخلاف وفتادة والاعرج خالصة بالنصب وقراءة سعيد بن جبير خالصة وقراءة ابن عباس بخلاف والزهري والاعمش خالص بالرفع وقراءة ابن عباس وابن مسعود والاعمش بخلاف خالصة مرفوع مضاف

= الحجة =

وجه قراءة الاكثر ان يحمل على ما فيكون تقديره ان يكن ما في بطون الانعام ميتة ووجه قراءة ابن كثير انه لما لم يكن تأنيث الميتة تأنيث ذوات الفروج جاز تذكير الفعل كقوله فمن جاءه موعظة من ربه ويكون كان

الضفاف والضفاف اليه (٣) الضارع: الدليل العاشم. والمغتبط الذي يسلك بلا وسيلة ولا قرابة ولا معرفة وأطاعه: أهلكه.

تامة وتقديره ان وقع ميتة ومن أنت الفعل فكقوله سبحانه قد جاءكم موعظة ووجه قراءة ابي بكر ان ما في بطون الانعام من الانعام فلذلك أُنْتها واما خالصة بالرفع على القراءة المشهورة فتقديره ما في بطون الانعام من الانعام خالصة لنا اي خالص فأنت للمبالغة في الغلوص كما يقال فلان خالصة فلان اي صفيه والمبالغ في الصفاء والثقة عنده والتاء فيه للمبالغة وليكون ايضا بلفظ المصدر نحو العافية والمأقية والمصدر الى الجنسية فيكون أعم وأوكد وبدل على ذلك قراءة من قرأ خالص وأما من نصب خالصة وخالصا فيه وجهان - احدهما - ان يكون حالاً من المضمر في الظرف الذي جرى صلة على ما فيكون كقولهم الذي في الدار قائماً زيد فيكون قوله لذ كورنا خبر المبتدأ الموصول - والآخر - ان يكون حالاً من ما على مذهب ابي الحسن في اجازته تقديم الحال على العامل فيها اذا كان معنى بعد ان يتقدم صاحب الحال عليها كقولنا زيد قائماً في الدار واحتج بقوله سبحانه والأرض جميعا قبضته يوم القيامة

❖ المعنى ❖

ثم حكى الله سبحانه عنهم مقالة أخرى فقال (وقالوا) يعني هؤلاء الكفار الذين تقدم ذكرهم (ما في بطون هذه الانعام) يعني البان البحائر والسبب عن ابن عباس والشعبي وقتادة وقيل أجنة البحائر والسبب ما ولد منها حياً فهو خالص للذكور دون النساء وما ولد ميتاً كله الرجال والنساء عن مجاهد والسدي وقيل المراد به كليهما (خالصة لذكورنا) لا يشر كهم فيها أحد من الإناث من قولهم فلان يخلص العمل لله ومنه اخلاص التوحيد وسمي الذكور من الذكر الذي هو الشرف والذكر أمبه وأذكر من الأنثى (ومحرم على ازواجنا) اي نساتنا (وان يكن ميتة) معناه وان يكن جنين الانعام ميتة (فهم فيه شركاء) أي الذكور والإناث فيه سواء ثم قال سبحانه (سيجزبهم وصفهم) اي سيجزبهم العقاب بوصفهم فلما اسقط الباء نصب وصفهم وقيل تقديره سيجزبهم جزاء وصفهم فحذف المضاف وأقام المضاف اليه مقامه عن الزجاج (انه حكيم) فيما يفعل بهم من العقاب آجلاً وفي امهالم عاجلاً (عليم) بما يفعلونه لا يخفى عليه شيء منها وقد عاب الله سبحانه الكفار في هذه الآية من وجوه اربعة - احدها - ذبحهم الأناعام بغير اذن الله - وثانيها - أكلهم على ادعاء التذكية اقتراء على الله - وثالثها - تحليلهم للذكور وتحريمهم على الإناث تفرقة بين ما لا يفترق إلا بحكم من الله - ورابعها - تسويتهم بينهم في الميتة من غير رجوع الى سمع موثوق به

قوله تعالى (١٤٠) قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ

أَقْتَرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (آية)

❖ القراءة ❖

قرأ ابن كثير وابن عامر قتلوا بتشديد التاء والباقون بالتخفيف

❖ الحجة ❖

التشديد للتكثير والتخفيف يدل على القلة والكثرة وقد تقدم بيان ذلك

❖ الإعراب ❖

قوله سفها واقترأ على الله نصب على الوجهين اللذين ذكرناهما في قوله اقترأ عليه

- المعنى -

ثم جمع سبحانه بين الفريقين الذين قتلوا اولادهم والذين حرموا الحلال فقال (قد خسر الذين قتلوا اولادهم) خوفاً من الفقر وهرباً من العار ومعناه هلكت نفوسهم باستحقاقهم على ذلك عقاب الأبد والخسران هلاك رأس

المال (سفيها) اي جهلا وتقديره سفهوا بما فعلوه سفها والفرق بين السفه والتزق ان السفه عجلة بدعو اليها الهوى والترزق عجلة من جهة حدة الطبع والغيظ (بغير علم) وهذا تأكيدهم لجهلهم وذهابهم عن الغواب (وحرمو ما رزقهم الله) يعني الأناعام والحراث الذين زعموا انها حجر عن الحسن واعترض علي بن عيسى على هذا فقال الانعام كانت محرمة حتى ورد السمع فما قاله غير صحيح وهذا الاعتراض يفسد من حيث ان الركوب لا يحتاج الى السمع وان احتاج الذبيح اليه لأن الركوب مباح اذا قام بمصالحها ولأن أكلها ايضا بعد الذبيح مباح (اقتراء) اي كذبا (على الله) سبحانه (قد ضلوا) اي ذهبوا عن طريق الحق بما فعلوه وحكموا بحكم الشياطين فيما حكموا فيه (وما كانوا مهتدين) الى شيء من الدين والخير والرشاد وفي هذه الآيات دلالات على بطلان مذهب المجبرة لأنه سبحانه أضاف القتل والاقتراء والتحرير اليهم ونزه نفسه عن ذلك وذمهم على قتل الاطفال بغير جرم فكيف يعاقبهم سبحانه عقاب الأبد على غير جرم

قوله تعالى (١٤١) وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُّوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (آية)

❖ القراءة ❖

قرأ أهل البصرة والشام وعاصم حصاده بالفتح والباقون حصاده بالكسر

❖ الحجة ❖

ها امتنان قال سيبويه جاؤا بالمصادر حين أرادوا انتهاء الزمان على مثال فعال وذلك الصرام والجداد والجرام والجزاز والقطاع والحصاد وربما دخلت اللتان في بعض هذا فكان فيه فعال وفعال

❖ اللفظة ❖

الإششاء أحداث الفعل ابتداء لا على مثال سبق وهو كالأبتداع . والاختراع هو أحداث الأفعال في الغير من غير سبب . والمخلق هو التقدير والترتيب . والجنات البساتين التي يجتثها الشجر من النخل وغيره والروضة الخضراء بالنبات والزهر المشرقة باختلاف الألوان الحسنة والعرش أصله الرفع ومنه سمي السرير عرشاً لارتفاعه والعرش السقف والملك وعرش الكرم رفع بعض اغصانها على بعض والعريش شبه المودج يتخذ للمرأة والامراف مجاوزة الحد وقد يكون بالمجاوزة الى الزيادة وقد يكون بالتقصير وهو ان يجاوز حد الحق والعدل قال الشاعر

أَعْطُوا هَنِيْدَةً يَحْدُوْهَا ثَمَانِيَةٌ مَا فِي عَطَائِهِمْ مِنْ يَوْسُفٍ وَلَا مَرْفٍ

اي ولا تقصير وقيل معناه ولا افراط

❖ الإعراب ❖

مختلفا أكله نصب على الحال من انشأ وانما انصب على الحال وان كان يؤكل بعد ذلك يزمان لأمرين - احدهما - ان المعنى مقدر اختلاف أكله كما في قوله سررت برجل معه صقر صائدا به غدا اي مقدرأ الصيد به غداً - والثاني - ان يكون معنى أكله ثمره الذي يصلح ان يؤكل منه

❖ المعنى ❖

لما حكى سبحانه عن المشركين انهم جعلوا بعض الاشياء للاوثان عقب ذلك البيان بأنه الخالق لجميع الاشياء فلا يجوز اضافة شيء منها الى الاوثان ولا تحليل ذلك ولا تحريمه الا بأذنه فقال (وهو الذي أنشأ) اي

خلق وابتدع لعل مثل (جنات) أي بساتين فيها الأشجار المختلفة (معروشات) مرفوعات بالدعائم قيل هو ما عرشه الناس من الكروم ونحوها عن ابن عباس والسدي وقيل عرشها ان يجعل لها حظائر كالحيطان عن أبي علي قال وأصله الرفع ومنه قوله تعالى خاوية على عروشها يعني على أعاليها وما ارتفع منها ما لم تندك فسوى بالارض (وغير معروشات) يعني ما خرج من قبل نفسه في البراري والجبال من انواع الأشجار عن ابن عباس وقيل معناه غير مرفوعات بل قائمة على أصولها مستغنية عن التعريش عن أبي مسلم (والنخل والزرع) أي وأنشأ النخل والزرع (مختلفا أكله) أي طعمه وقيل ثمره وقيل هذا وصف للنخل والزرع جميعا فخلق سبحانه بعضها مختلف اللون والطعم والرائحة والصورة وبعضها مختلفا في الصورة متفقا في الطعم وبعضها مختلفا في الطعم متفقا في الصورة وكل ذلك يدل على توحيده وعلى أنه قادر على ما يشاء عالم بكل شيء (والزيتون والرمات) أي وأنشأ الزيتون والرمات (منشابه) في الطعم واللون والصورة (وغير متشابه) فيها وإنما قرن الزيتون الى الرمان لأنها متشابهان باكتناز الوراق في اغصانها (كلوا من ثمره اذا أثمر) المراد به الإباحة وان كان بلفظ الأمر قال الجبائي وجماعة هذا يدل على جواز الأكل من الثمر وان كان فيه حق الفقراء (وأتوا حقه يوم حصاده) هذا امر بإيتاء الحق يوم الحصاد على الجملة والحق الذي يجب اخراجه يوم الحصاد فيه قولان * أحدهما * أنه الزكاة العشر أو نصف العشر عن ابن عباس ومحمد بن الحنفية وزيد بن اسلم والحسن وسعيد بن المسيب وقتادة والضحاك وطاوس * والثاني * أنه ما تيسر مما يعطى المساكين عن جعفر بن محمد عن أبيه عن آبائه (ع) وعطا ومجاهد وابن عمر وسعيد بن جبير والربيع بن انس وروى اصحابنا انه الضفت بعد الضفت والحنفة بعد الحنفية وقال ابراهيم والسدي الآية منسوخة بفرض العشر ونصف العشر لأن هذه الآية مكية وفرض الزكاة إنما انزل بالمدينة ولما روي ان الزكاة نسخ كل صدقة قالوا ولأن الزكاة لا تخرج يوم الحصاد قال علي بن عيسى وهذا غلط لأن يوم حصاده ظرف لحقه وليس بظرف للإيتاء الأمور به (ولا تسرفوا) أي لا تجاوزوا الحد وفيه أقوال * أحدهما * أنه خطاب لأرباب الأموال أي لا تسرفوا بأن تتصدقوا بالجميع ولا تبغوا للعيال شيئا كما فعل ثابت بن قيس بن شماس فإنه صرم خمسين نخلا وتصدق بالجميع ولم يدخل منه شيئا في داره لأهله عن أبي العالبة وابن جريج * وثانيها * ان معناه ولا تقصروا بأن تمنعوا بعض الواجب والتقصير مرفوع عن سعيد بن المسيب * وثالثها * ان المعنى لا تسرفوا في الأكل قبل الحصاد كيلا يؤدي الى بخش حق الفقراء عن أبي مسلم * ورابعها * ان معناه لا تنفقوه في المعصية ولا تضعوه في غير موضعه وفي جميع هذه الأقوال الخطاب لأرباب الأموال * وخامسها * ان الخطاب للأئمة ومعناه لا تأخذوا ما يجحف بأرباب الاموال ولا تأخذوا فوق الحق عن ابن زيد * وسادسها * ان الخطاب للجميع بأن لا يسرف رب المال في الإعطاء ولا الإوامام في الأخذ وصرف ذلك الى غير مصارفه وهذا أعم فائدة (انه لا يجب المسرفين) ظاهر المعنى

قوله تعالى (١٤٢) وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُّوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ أَكْبَرُ عَدُوٌّ مَبِينٌ (١٤٣) ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ الَّذِكْرَيْنِ حَرَمٌ أَمْ الْأُنثَيْنِ أَمْ الْأَشْتَمَلَتَ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيْنِ نَبُوؤِي يَعْلَمُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٤٤) وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ الَّذِكْرَيْنِ حَرَمٌ أَمْ الْأُنثَيْنِ أَمْ الْأَشْتَمَلَتَ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمْ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ أَقْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (ثلاث آيات)

(١) الضفت: قبضة حبش يختلط فيها الرطب باليابس. العفنة بالمهمله: ملاء الكفين.

القراءة

قرأ ابن كثير وابن فليح وابن عامر واهل البصرة المَعَزَ بفتح العين والباقون بسكونها

— الحجة —

قال ابو علي من قرأ المَعَزَ فإنه جمع ما عَزَ مثل خادم وخدم وحارس وحرس وطالب وطلب وقال ابو الحسن هو جمع على خير واحد وكذلك المَعَزَى وحكى ابو زيد الأعمش وقالوا المَعَزَى كالكلب والفضين ومن قرأ المَعَزَ فإنه جمع ايضا مثل صاحب وصحب وتاجر وتجر وراكب وركب وابو الحسن يرى هذا الجمع مستمرا ويرده في التصغير الى الواحد فيقول في تحقير ركب رويكبون وفي تجر تويجرون وسيبويه يراه اسما من اساء الجموع وانشد ابو عثمان في الاحتجاج لسيبويه « اخشى رُكيبا او رُجيلا عاديا » فتحقيقه له على لفظه بدل على انه اسم للجمع وانشد (وأين رُكيب واضمون رحالم)

— اللغة —

الحمولة الاوبل يحمل عليه الانتقال ولا واحد لها من لفظها كالركوبة. والجزورة والحمولة بضم الحاء هي الاحمال وهي الحمول ايضا وانما قيل للصغار فرش لأمرين — احدها — لاستواء اسنانها في الصغر والانحطاط كاستواء ما يفرش — والثاني — انه من الفرش وهو الارض المستوية التي يتوطأها الناس والزوج يقع على الواحد الذي يكون معه آخر وعلى الاثنين كما يقال للواحد والاثنين خصم وعدل والاشتغال أصله الشمول يقال شملهم الأمر بشملهم وشملهم الأمر بشملهم شمولا اذا عتمهم ومنه الشمال لشمولها على ظاهر الشيء وباطنه بقوتها ولطفها ومن ذلك الشمول للخمر لاشتغالها على العقل وقيل لأن لها عصفة كمصفا الشمال

— الاعراب —

حمولة عطف على جنات اي وانشأ من الانعام حمولة واثنين محمول على أنشأ ايضا اي ثمانية ازواج اثنين من كذا واثنين من كذا فثمانية ازواج بدل من حمولة وفرشا واثنين من كذا واثنين من كذا بدل من ثمانية او عطف بيان وقوله ما ألد كرين حرم دخلت همزة الاستفهام على همزة الوصل وفصل بينها بالألف ولم تسقط همزة الوصل لئلا يلبس الاستفهام بالخبر ولو كانت لجاز لأن ام تبدل على الاستفهام وعلى هذا الوجه اجاز سيبويه ان يكون قول الشاعر

قَوَّالِهِ مَا أَدْرِيهِ وَإِنْ كُنْتُ دَارِيَا شُعَيْتُ بِنِ سَهْمٍ أَوْ شُعَيْتُ بِنِ مَنَقَرٍ

استفهاما فيكون تقديره أشعيت وما في قوله ام ما اشتملت في موضع نصب بكونه عطفا على الاثنين وانما قال الاثنين فتنى لأنه اراد من الضأن والمعز

— المعنى —

ثم عطف سبحانه على ما عده فيما تقدم من عظيم الانعام ببيان نعمته في انشاء الانعام فقال (ومن الانعام) اي وانشأ من الانعام (حمولة وفرشا) قد قيل فيه اقوال — احدها — ان الحمولة كبار الاوبل والفرش صغارها عن ابن عباس وابن مسعود بخلاف والحسن بخلاف ومجاهد — وثانيها — ان الحمولة ما يحمل عليه من الاوبل والبقر والفرش الغنم عن الحسن في رواية اخري وقاتدة والربيع والسدي والضحاك وابن زيد * وثالثها * ان الحمولة كل ما حمل من الاوبل والبقر والخليل والبغال والحمير والفرش الغنم عن ابن عباس في رواية اخري فكأنه ذهب إلى انه يدخل في الانعام الحافر على وجه التبع * رابعها * ان معناه ما ينتفعون به في الحمل وما يفرشونه في الذبيح فمعنى الاقتراش الاضطجاع للذبيح عن ابي مسلم قال وهو كقوله فإذا وجبت جنوبها وروي عن الربيع بن انس ايضا ان الفرش ما يفرش للذبيح ايضا * وخامسها * ان الفرش ما يفرش من اصوافها

وأوبارها ويرجع الصفتان إلى الانعام أي من الانعام ما يحمل عليه ومنها ما يتخذ من أوبارها واصوافها ما يفرش
ويبسط عن أبي علي الجبائي (كلوا ما رزقكم الله) أي استحلوا الأكل مما أعطاكم الله ولا تحرموا شيئاً منها كما
فعله أهل الجاهلية في الحرث والانعام وعلى هذا يكون الأمر على ظاهره ويمكن أن يكون أراد نفس الأكل فيكون
بمعنى الإباحة (ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين) مضى تفسيره في سورة البقرة ثم فسر تعالى
المحولة والفرش فقال (ثمانية أزواج) وتقديره وانشأ ثمانية أزواج انشأ (من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ومن
الأبل اثنين ومن البقر اثنين) وإنما اجمل ثم فصل المجمل لأنه أراد أن يقرر على شيء شيء منه ليكون أشد في
التوضيح من أن يذكر ذلك دفعة واحدة ومعناه ثمانية أفراد لأن كل واحد من ذلك يسمى زوجاً فالذكر زوج
الأنثى والأنثى زوج الذكر كما قال تعالى أمسك عليك زوجك وقيل معناه ثمانية اصناف من الضأن اثنين يعني
الذكر والأنثى ومن المعز اثنين الذكر والأنثى والضأن ذوات الصوف من الغنم والمعز ذوات الشعر منه وواحدة
الضأن صائغ كقولهم تاجر وتجر والأنثى صائغة وواحد المعز ما عز وقيل إن المراد بالانثيين الأهلي والوحشي من الضأن والمعز
والبقرة والمراد بالانثيين من الأبل العراب والبخاقي وهو المروي عن أبي عبد الله (ع) وإنما خص هذه الثمانية لأنها جميع
الانعام التي كانوا يحرمون منها ما يحرمونه على ما تقدم ذكره (قل) يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يحرمون
ما أحل الله تعالى (أألدكرين) من الضأن والمعز (حرم) الله (أم الانثيين) منها (أم ما اشتملت عليه أرحام
الانثيين) أي أم حرم ما اشتمل عليه رحم الأنثى من الضأن والأنثى من المعز وإنما ذكر الله سبحانه هذا على
وجه الاحتجاج عليهم بين به فريبتهم وكذبهم على الله تعالى فيما ادعوا من أن ما في بطون الانعام حلال للذكور
وحرام على الإناث وغير ذلك ما حرموه فإنهم لو قالوا حرم الذكورين لزمهم أن يكون كل ذكر حراماً ولو
قالوا حرم الأنثيين لزمهم أن يكون كل أنثى حراماً ولو قالوا حرم ما اشتمل عليه رحم الأنثى من الضأن والمعز لزمهم
تحريم الذكور والإناث فإن أرحام الإناث تشتمل على الذكور والإناث فيلزمهم بزعمهم تحريم هذا الجنس صفاراً
وكباراً وذكوراً وإناثاً ولم يكونوا يفعلون ذلك بل كانوا يخصون بالتحريم بعضاً دون بعض فقد لزمتهم الحجة
ثم قال (نبئني بعلم إن كنتم صادقين) معناه أخبروني بعلم عما ذكرتموه من تحريم ما حرمتموه وتعليل ما حلتتموه
إن كنتم صادقين في ذلك (ومن الأبل اثنين ومن البقر اثنين) هذا تفصيل لتام الأزواج الثمانية (قل) يا محمد
(أألدكرين حرم) الله منهما (أم الانثيين) أم ما اشتملت عليه أرحام الانثيين (قد تقدم معناه) (أم كنتم شهداء)
أي حضورا (إذ وصاكم الله بهذا) أي أمركم به وحرمه عليكم حتى تضيفوه إليه وإنما ذكر ذلك لأن طريق العلم
أما الدليل الذي يشترك العقلاء في إدراك الحق به أو المشاهدة التي يختص بها بعضهم دون بعض فإذا لم يكن واحد
من الأمرين سقط المذهب والمراد بذلك اعلمتموه بالسمع والكتب المنزلة واتم لا تقرؤن بذلك أم شافهكم الله تعالى
به فعلمتموه وإذا لم يكن واحد منهما فقد علم بطلان ما ذهبتم إليه (فمن أظلم ممن اقترى على الله كذباً) أي من
أظلم لنفسه من كذب على الله وأضاف إليه تحريم ما لم يحرمه وتعليل ما لم يحلله (ليضل الناس بغير علم) أي
يعمل عمل القاصد إلى اضلال من أجل دعائه إياهم إلى ما لا يتق بصحته ما لا يأمن من أن يكون فيه هلاكهم وإن
لم يقصد اضلالهم (إن الله لا يهدي القوم الظالمين) إلى الثواب لأنهم مستحقون العقاب الدائم بكفرهم وضلالهم

قوله تعالى (١٤٥) قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ
مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ أَحْمَرَ خَنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلًا لِيُغَيِّرَ اللَّهُ بِهٖ مَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَآغٍ
وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (آية)

❖ القراءة ❖

قرأ ابن كثير وحزمة تكون بالتاء ميته بالنصب وقرأ أبو جعفر وابن عامر تكون بالتاء ميته بالرفع والباقون بالياء ونصب ميته وكلهم خففوا ميته غير أبي جعفر فإنه شددها

❖ الحجة ❖

قال أبو علي قراءة ابن كثير وحزمة محمولة على المعنى كأنه قال إلا أن تكون العين والنفس ميته ألا ترى أن المحرم لا يخلو من جواز العبارة عنه بأحد هذه الأشياء وليس قوله إلا أن يكون كقولك جاء في القوم لا يكون زيدا وليس زيدا في أن الضمير الذي يتضمنه من الاستثناء لا يظهر ولا يدخل الفعل علامة التأنيث لأن الفعل إنما يكون عاريا من علامة التأنيث ومن أن يظهر معه الضمير إذا لم يدخل عليه أن فاما إذا دخله أن فعلى حكم سائر الافعال ومن قرأ بالياء ونصب ميته فإنه جعل فيه ضميرا ما تقدم وهو اقبس ما تقدم ذكره أي إلا أن يكون الموجود ميته ومن قرأ إلا أن تكون ميته فألحق علامة التأنيث الفعل كما ألحق في قوله قد جاء تكلم موعظة وتقديره إلا أن تقع ميته

— المعنى —

لما قدم سبحانه ذكر ما حرمه المشركون عقبه ببيان المحرمات فقال (قل) يا محمد هؤلاء الكفار (لا اجد فيما اوحى إلي) أي اوحاه الله تعالى إلي شيئا محرما على طاعم بطعمه) أي على أكل يأكله (إلا أن يكون ميته أو دما مسفوحا) أي مصبوبا وإنما خص المصبوب بالذكر لأن ما يختلط باللحم منه ما لا يمكن تخليصه منه مغزؤه مباح (او لحم خنزير) وإنما خص الأشياء الثلاثة هنا بذكر التحريم مع أن غيرها محرم فإنه سبحانه ذكر في المائدة تحريم المنخنقة والموقوذة والمتردية وغيرها لأن جميع ذلك يقع عليه اسم الميته فيكون في حكمها فأجمل هاهنا وفصل هناك واجود من هذا أن يقال انه سبحانه خص هذه الأشياء بالتحريم تعظيما لحرمتها وبين تحريم ما عداها في مواضع أخر إما بنص القرآن وإما بوحى غير القرآن وأبضا فإن هذه السورة مكية والمائدة مدنية فيجوز أن يكون غير ما في الآية من المحرمات إنما حرم فيما بعد والميته عبارة عما كان فيه حياة فقدت من غير تذكية شرعية (فإنه -) أي نجس والرجس اسم لكل شيء مستقدر بنفور عنه والرجس أيضا العذاب والماء في قوله فإنه عائدا إلى ما تقدم ذكره فلذلك ذكره (اوفسقا) عطف على قوله او لحم خنزير فلذلك نصبه (أهل لغد الله به) أي ذكر عليه اسم الأصنام والأوثان ولم يذكر اسم الله عليه وسعي ما ذكر عليه اسم الصنم فسقا غروجه عن امر الله واصل الإلهلال رفع الصوت بالشيء وقد ذكرناه في سورة المائدة (فمن اضطر) إلى تناول شيء مما ذكرناه (غير باغ ولا عاد) قد سبق معناه في سورة البقرة (فإن ربك غفور رحيم) حكم بالرخصة كما حكم بالمفطرة والرحمة

قوله تعالى (١٤٦) وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا جَمَعْتُمْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (١٤٧) فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ (آيتان)

❖ اللفظة ❖

الظفر ظفر الإنسان وغيره ورجل اخضر إذا كان طويل الأظفار كما يقال اشمر لطويل الشعر والحوايا

المبايع قال الزجاج واحدا حاوية وحاوية وحاوية وهي ما يحوى في البطن فاجتمع واستدار

﴿ الإعراب ﴾

موضع الحوايا يحتمل أن يكون رفعا عطفا على الظهور وتقديره او ما حملت الحوايا ويحتمل أن يكون نصبا عطفا على ما في قوله إلا ما حملت فأما قوله او ما اختلط بعظم فإن ما هذه معطوفة على ما الاولى ذلك يجوز أن يكون منصوب الموضع بأنه مفعول ثان لجزيئناهم التقدير جزيئناهم ذلك يبيغيم ولا يجوز ان يرفع بالابتداء لأنه يصير التقدير ذلك جزيئناهموه فيكون كقولهم زيد ضربت اي ضربته وهذا إنما يجوز في ضرورة الشعر

— المعنى —

ثم بين سبحانه ما حرّمه على اليهود فقال (وعلى الذين هادوا) أي على اليهود في أيام موسى (حرّمنا كل ذي ظفر) اختلف في معناه فقيل هو كل ما ليس بمنفرج الاصابع كالإبل والنعام والاوز والبط عن ابن عباس وسعيد ابن جبير وقتادة ومجاهد والسدي وقيل هو الإبل فقط عن ابن زيد وقيل يدخل فيه كل السباع والكلاب والسنائير وما يصطاد بظفره عن الجبائي وقيل كل ذي مخلب من الطير وكل ذي حافر من الدواب عن القتيبي والبلخي (ومن البقر والغنم حرّمنا عليهم شهومها) اخبر سبحانه انه كان حرّم عليهم شحوم البقر والغنم من الثرب وشحم الكلى وغير ذلك ما في اجوافها واستثنى من ذلك فقال (إلا ما حملت ظهورهما) من الشحم وهو اللحم السمين فإنه لم يحرم عليهم (او الحوايا) اي ما حملته الحوايا من الشحم فإنه غير محرم عليهم ايضا والحوايا هي المبايع عن ابن عباس والحسن وسعيد بن جبير وقتادة ومجاهد والسدي وقيل هي بنات اللبن عن ابن زيد وقيل هي الامعاء التي عليها الشحوم عن الجبائي (او ما اختلط بعظم) ذلك ايضا مستثنى من جملة ما حرّم وهو شحم الجنب والألية لأنه على المصص عن ابن جريج والسدي وقيل الالية لم تدخل في هذا لأنها لم تستثن عن الجبائي فكأنه لم يعتد بعظم المصص قال الزجاج إنما دخلت او ما هنا على طريق الإباحة كما قال سبحانه ولا تطع منهم آثما او كفورا والمعنى أن كل هؤلاء اهل ان يمصي فاعص هذا او اعص هذا واو بليغة في هذا المعنى لانك إذا قلت لا تطع زيدا وعمرا فجائز أن يكون نهيتهما عن طاعتهم في حال معاً فإن اطعت زيدا على حدته لم أكن عصيتك وإذا قلت لا تطع زيدا أو عمراً او خالداً فالمعنى أن هؤلاء كلهم اهل ان لا يطاع فلا تطع واحدا منهم ولا تطع الجماعة ومثله جالس الحسن او ابن سيرين او الشعبي (ذلك جزيئناهم بغيرهم) المعنى حرّمنا ذلك عليهم عقوبة لهم بقتلهم الانبياء واخذهم الربا واستحلالم اموال الناس بالباطل فهذا بغيرهم وهو كقوله فبظلم من الذين هادوا حرّمنا عليهم طيبات احلت لهم وقيل بغيرهم ظلمهم على اقسهم في ارتكابهم المحظورات وقيل إن ملوك بني اسرائيل كانوا يئتمون فقراءهم من اكل لحوم الطير والشحوم فحرّم الله ذلك بغيرهم على فقراهم ذكره علي بن ابراهيم في تفسيره ويسأل فيقال كيف يكون التكليف عقوبة وهو تابع للمصلحة وتمريض للثواب وجوابه انه إنما سمي جزاء وعقابا لأن عظيم ما فعلوه من المعاصي اقتضى تحريم ذلك وتغيير المصلحة فيه ولولا عظم جرمهم لما اقتضت المصلحة ذلك (وإنما لصادقون) أي في الاخبار عن التحريم وعن بغيرهم وفي كل شيء وفي ان ذلك التحريم عقوبة لأوائهم ومصلحة لمن بعدهم إلى وقت النسخ (فإن كذبوك) يا محمد فيما تقول (فقل ربكم ذو رحمة واسعة) لذلك لا يعجل عليكم بالعقوبة بل بمهلككم (ولا يرد بأسه) اي لا يدفع عذابه إذا جاء وقته (عن القوم المجرمين) اي المكذبين

قوله تعالى (١٤٨) سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا

مِنْ شَيْءٍ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ

(١) [أي ما حملت ظهورهما] (٢) المصص : عجب الذنب وهو عظمه .

لَنْ يَنْتَبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ (١٤٩) قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ (١٥٠) قُلْ هَلْمْ شُهَدَاءَ كُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدُ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ (ثلاث آيات)

✽ اللفظة ✽

هلم قال الزجاج انها هاء ضمت اليها لم وجعلنا كالكلمة الواحدة فاكثر اللغات ان يقال هلم للواحد والاثنين والجماعة بذلك جاء القرآن نحو قوله هلم الينا ومعنى هلم شهداء كم هاتوا شهداء كم ومن العرب من بشي ويجمع ويؤنث فيقول للمذكر هلم وللانثين هلم وللجماعة هلموا وللمؤنث هلمي وللنسوة هلممن وفتحت لانها مدغمة كما فتحت ردبا هذا في الأمر لالتقاء الساكنين ولا يجوز فيها هلم للواحد بالضم كما يجوز في رد القنح والضم والكسر لانها لا تنصرف قال ابو علي هي في اللفظة الاولى بمنزلة رويد وصه وهو نحو ذلك من الاسماء التي سميت بها الافعال وفي الأخرى بمنزلة رد في ظهور علامات الفاعلين فيها كما يظهر في رد واما هاء اللاحق بها فهي التي للتنيه لحقت اولاً لأن لفظ الأمر قد يحتاج الى استعطف المأمور به واستدعاء إقباله على الأمر فهو لذلك يقرب من المنادى ومن ثم دخل حرف التنيه في الايا اسجدوا الا ترى انه امر كما ان هذا امر وقد دخل في جمل آخر نحوها اتم هو لاء فكما دخل في هذه المواضع كذلك لحقت في لم الا انه كثر الاستعمال معها فغير بالخذف لكثرة الاستعمال كاشياء تغير لذلك نحو لم أبلي ولم أدر وما شبه ذلك مما يغير للكثرة

✽ المعنى ✽

لما تقدم الرد على المشركين لاعتقاداتهم الباطلة رد عليهم سبحانه هنا مقاتلهم الفاسدة فقال (سيقول الذين اشركوا) اي سيحتج هؤلاء المشركين في اقامتهم على شركهم وفي تحريمهم ما احل الله تعالى بأن يقولوا (لو شاء الله ما اشركنا) اي لو شاء الله ان لا نعتقد الشرك ولا نفعل التحريم (ولا آباؤنا) واراد منا خلاف ذلك ما اشركنا ولا آباؤنا (ولا حرمتنا من شيء) اي شيئاً من ذلك ثم كذبهم الله تعالى في ذلك بقوله (كذلك) اي مثل هذا التكذيب الذي كان من هؤلاء في انه منكر (كذب الذين من قبلهم) وانما قال كذب بالتشديد لانهم بهذا القول كذبوا رسول الله صلى الله عليه وآله في قوله لم ان الله سبحانه امركم بتوحيد وتترك الاشرار به وترك التحريم لهذه الانعام فكانوا يقولهم ان الله تعالى اراد منا ذلك وشاءه ولو اراد غيره ما فعلناه مكذبين للرسول عليه السلام كما كذب من تقدمهم انبياءهم فيما اتوا به من قبل الله تعالى (حتى ذاقوا بأسنا) اي حتى نالوا عذابنا وقيل معناه حتى اصابوا العذاب المعجل ودل ذلك على ان لهم عذاباً مدخراً عند الله تعالى لأن الذوق اول ادراك الشيء (قل) يا محمد لم جواباً عما قالوه من ان الشرك بمشيئة الله تعالى (هل عندكم من علم) اي حجة تؤدّي الى علم وقيل معناه هل عندكم علم ولا حجة فيما يضيفونه الى الله تعالى وان ما قالوه العلم او تلك الحججة لنا بين سبحانه بهذا انه ليس عندهم علم ولا حجة فيما يضيفونه الى الله تعالى وان ما قالوه باطل ثم أكد سبحانه الرد عليهم وتكذيبهم في مقاتلهم بقوله (ان تتبعون الا الظن) اي ماتبعون فيما تقولونه الا الظن والتخمين (وان أنتم الا تخرصون) اي لا تكذبون في هذه المقالة على الله تعالى وفي هذه دلالة واضحة على ان الله سبحانه لا يشاء المعاصي والكفر وتكذيب ظاهر لمن اضاف ذلك الى الله سبحانه هذا مع قيام الادلة العقلية التي لا يدخلها التأويل على انه سبحانه بتعالى عن ارادة القبيح وجميع صفات النقص علواً كبيراً (قل) يا محمد اذا عجز هؤلاء عن اقامة حجة على ما قالوه (فله الحججة البالغة) والحجة اليقينية الصحيحة المصححة للاحكام.

وهي التي تقصد الى الحكم بشهادته مأخوذة من حج اذا قصدوا بالغة هي التي تبلغ قطع عذر المحجوج بأن
تزيل كل لبس وشبهة تمن نظر فيها واسندل بها وانما كانت حجة الله صحيحة بالغة لأنه لا يحتاج الا بالحق
وبما يؤدّي الى العلم (فلو شاء لهداكم اجمعين) اي لو شاء لألجأكم الى الإيمان وهذا كما جميعا اليه بفعل الإلجاء
الا انه لم يفعل ذلك وان كان فعله حسنا لأن الإلجاء ينافي التكليف وهذه المشيئة بخلاف المشيئة المذكورة في
الآية الاولى لأن الله تعالى اثبت هذه وتقى تلك وذلك لا يستقيم الا على الوجه الذي ذكرناه فالاولى مشيئة
الاختيار والثانية مشيئة الإلجاء وقيل ان المراد انه لو شاء لهداكم الى نيل الثواب ودخول الجنة ابداء من غير تكليف
ولكنه سبحانه لم يفعل ذلك بل كلفكم وعرضكم للثواب الذي لا يحسن الابداء بمثله ولو كان الأمر على
ما قاله اهل الجبر من ان الله سبحانه شاء منهم الكفر لكانت الحجة للكفار على الله تعالى من حيث فعلوا ماشاء
الله تعالى ولكانوا بذلك مطيعين له لأن الطاعة هي امثال الأمر المراد ولا يكون الحجة لله تعالى عليهم على
قولهم من حيث انه خلق فيهم الكفر واراد منهم الكفر فأبى حجة له عليهم مع ذلك ثم بين سبحانه ان الطريق
الموصل الى صحة مذاهبهم مُسَدٌ غير ثابت من جهة حجة عقلية ولا سمعية وما هذه صفة فهو فاسد لا محالة
فقال (قل) يا محمد لهم (هل شهدائكم) اي احضروا وهااتوا شهداءكم (الذين يشهدون) بصحة ما تدعونه
من (ان الله حرم هذا) اي هذا الذي ذكر محارمته المشركون من البحيرة والسائبة والوصيلة والحرب والانعام
وغيرها (فان شهدوا فلا تشهد معهم) معناه فان لم يجدوا شاهدا يشهد لهم على تحريمها غيرهم فشهدوا باقسامهم
فلا تشهد انت معهم وانما نهاء عن الشهادة معهم لأن شهادتهم تكون شهادة بالباطل فان قيل كيف دعاهم
الى الشهادة ثم قال فلا تشهد معهم فالجواب انه امرهم ان يأتوا بالمدول الذين يشهدون بالحق فاذا لم يجدوا ذلك
وشهدوا لا تقسم فلا ينبغي ان تقبل شهادتهم او تشهد معهم لأنها ترجع الى دعوى مجردة بعيدة من الصواب وقيل
انه سبحانه اراد هاتوا شهداء من غيركم ولم يكن احد غير العرب يشهد على ذلك لأنه كان للعرب شرائع
شرعها لأقسامهم (ولا تتبع اهواء الذين كذبوا بآياتنا) الخطاب للنبي (ص) والمراد امته اي لا تمتد مذاهب
من اعتقد مذهبه هوى ويمكن ان يتخذ الانسان المذهب هوى من وجوه منها ان يهوى من سبق اليه فيقلده فيه
ومنها ان يدخل عليه شبهة فيتخيل بصورة الصحيح مع ان في عقله ما يمنع منها ومنعها ان يقطع النظر دون غايته
للمشقة التي تلحقه فيعتقد المذهب الفاسد ومنها ان يكون نشأ على شيء واقفه واعتاده فيصعب عليه مفارقتها وكل ذلك
متميز مما استحسنه بعقله (والذين لا يؤمنون بالآخرة) اي ولا تتبع اهواء الذين لا يؤمنون بالآخرة إنما
ذكر الفريقين وان كانوا كلهم كفارا ليفصل وجوه كفرهم لأن منه ما يكون مع الاقرار بالآخرة كحال
اهل الكتاب ومنه ما يكون مع الانكار كحال عبدة الاوثان (وهم يريهم يعدلون) اي يجعلون له عدلا
وهو المثل وفي الآية دلالة على فساد التقليد لأنه سبحانه طالب الكفار على صحة مذاهبهم وجعل عجزهم عن
الإتيان بها دلالة على بطلان قولهم وايضا فإنه سبحانه اوجب اتباع الدليل دون اتباع الهوى

قوله تعالى (١٥١) قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ
إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ
مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ
تَعْقِلُونَ (آية)

— اللفظ —

تعالوا مشتق من علو على تقدير ان الداعي في المكان العالي وان كانا في مشور من الارض كما يقال للانسان

ارتفع الى صدر المجلس والتلاوة مثل القراءة والتلو مثل المقروء والتلاوة غير المتلو كما ان الحكاية غير المحكي
فالتلو والمحكي هو الكلام الاول والتلاوة والحكاية هي الثاني منه على طريق الاعادة والاملاق الاوفلاس من المال
والزاد ومنه الملق والتعلق لأنه اجتهاد في تقرب النفس للطمع في العطفية والفواش جمع فاحشة وهو القبيح العظيم
القبح والقبيح يقع على الصغير والكبير لأنه يقال القرد قبيح الصورة ولا يقال فاحش الصورة وضد القبيح
الحسن وليس كذلك الفاحش

✽ الاعراب ✽

ما حرم ربكم في موضع نصب بقوله اتل المعنى اتل الذي حرمه ربكم عليكم فيكون ما موصولة وجائز ان
يكون في موضع نصب بحرّم لأن التلاوة بمنزلة القول فكأنه قال اتل اي شئ حرّم ربكم عليكم هذا ام
هذا فجائز ان يكون الذي تلاه عليهم قوله الا ان يكون ميتة او دماً مسفوحاً ويكون الا تشرّكوا به منصوبة
بمعنى طرح اللام اي أئين لكم الحرام لأن لا تشرّكوا لأنهم اذا حرّموا ما احل الله فقد جعلوا غير الله في القبول
منه بمنزلة الله سبحانه فصاروا بذلك مشركين ويجوز ان يكون ان لا تشرّكوا به شيئاً محمولاً على المعنى فيكون
المعنى اتل عليكم الا تشرّكوا اي اتل عليكم تحريم الشرك ويجوز ان يكون على معنى اوصيكم ان لا تشرّكوا
به شيئاً لأن قوله وبالوالدين احساناً محمول على معنى اوصيكم بالوالدين احساناً هذا كله قول الزجاج وتشرّكوا
يجوز ان يكون منصوباً بأن ويكون لا للنفى ويجوز ان يكون مجزوماً بلا على النهي واذا كان منصوباً فيكون قوله
ولا تقتلوا اولادكم عطفاً بالنهي على الخبر وجاز ذلك كما جاز في قوله قل اني امرت أن اكون اول من اسلم ولا
تكونن من المشركين وقال جامع العلوم البصير الاصفهاني يجوز ان تقف على عليكم ثم يتبدى بأن لا تشرّكوا
اي هو ان لا تشرّكوا اي هو الا شرّك اي المحرم الا شرّك اي لا يزيد ولا يجوز ان يكون ما استفهما فيقف على
قوله ربكم ثم يتبدى فيقول عليكم الا تشرّكوا اي عليكم ترك الا شرّك وهذا وقف ييات وتعام قوله قل
تعالوا عند قوله بلقاء ربهم يؤمنون لأن قوله وان هذا صراطي فيمن فتح معطوف على قوله ما حرّم اي اتل هنا
وهذا ومن كسر فالتقدير وقل ان هذا صراطي وكذلك ثم اتينا اي وقل ثم اتينا وهذا كله داخل في التلاوة والقول

﴿ المعنى ﴾

لما حكي سبحانه عنهم تحريم ما حرّموه عقبه بذكر المحرمات فقال سبحانه (قل) يا محمد لهؤلاء المشركين
(تعالوا) اي اقبلوا وادنوا (اتل) اي اقرأ (ما حرّم ربكم عليكم) اي منكم عنه بالنهي ثم بدأ بالتوحيد فقال
(ان لا تشرّكوا به شيئاً) اي امركم ان لا تشرّكوا ولا فرق بين ان تقول لا تشرّكوا به شيئاً وبين ان تقول
حرّم ربكم عليكم ان تشرّكوا به شيئاً اذ النهي يتضمن التحريم وقد ذكرنا ما يحتمل من المعاني في الاعراب
وقد قيل ايضاً ان الكلام قد تم عند قوله حرّم ربكم ثم قال عليكم ان لا تشرّكوا كقوله سبحانه عليكم اقسكم
(وبالوالدين احساناً) أي واوصى بالوالدين احساناً وبدل على ذلك ان في حرّم كذا معنى اوصى بتحريمه وامر بشجنه
ولما كانت نعم الوالدين تالية نعم الله سبحانه في الرتبة امر بالاحسان اليهما بعد الأمر بعبادة الله تعالى (ولا تقتلوا
اولادكم من املاق) اي خوفاً من الفقر عن ابن عباس وغيره (نحن نرزقكم واباهم) اي فإن رزقكم ورزقهم
جميعاً علينا (ولا تقربوا الفواش) اي المعاصي والقبايح كلها (ما ظهر منها وما بطن) اي ظاهرها وباطنها عن
الحسن وقيل انهم كانوا لا يرون بالزنا في السرّ بأسا ويمنون منه علانية فنهى الله سبحانه عنه في الحالتين عن ابن
عباس والضحاك والسدي وقريب منه ما روي عن ابي جعفر (ع) ان ما ظهر هو الزنا وما بطن هو المخالفة وقيل
ان ما ظهر افعال الجوارح وما بطن افعال القلوب فالمراد ترك المعاصي كلها وهذا اعم فائدة (ولا تقتلوا النفس
التي حرم الله الا بالحق) اعاد ذكر القتل وان كان داخلاً في الفواش تفخيماً لشأنه وتعظيماً لمره والنفس المحرم

قتلها هي قس المسلم والمعاهد دون الحربي والحق الذي يستباح به قتل النفس المحرم قتلها ثلاثة أشياء القود والزنا بعد احسان والكفر بعد ايمان (ذلكم) خطاب لجميع اخلق اي ما ذكر في هذه الآية (وصاكم به) اي امركم به (لعلكم تعلمون) اي لكي تعلموا بما امركم الله تعالى به فتحللوا ما حله لكم وتحرموا ما حرمه عليكم ودل قوله سبحانه وصاكم به على ان الوصية مضمرة في اول الآية على ما قلناه وفي قوله سبحانه ان لا تشرکوا به شيئاً دلالة على ان التكليف قد يتعلق بأن لا يفعل كما يتعلق بالفعل وعلى انه يستحق الثواب والعقاب على ان لا يفعل وهو الصحيح من المذهب

قوله تعالى (١٥٢) وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا
الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ
وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١٥٣) وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا
فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (آيتان)

القراءة

قرأ أهل الكوفة الا ابا بكر تذكرون بتخفيف الذال حيث وقع والباقون بالتشديد وقرأ أهل الكوفة غير عام وإن هذا بكسر الهزلة والباقون بفتحها وكلهم شدد النون الابن عامر ويعقوب فلهما قرأ إن بالتخفيف وكلهم سكن الياء من صراطي الا ابن عامر فإنه فتحها وقرأ ابن عامر وابن كثير صراطي بالسين وقرأ حمزة بين الصاد والزاي

الحجة

القراءتان في تذكرون متقاربتان والاصل تنذكرون فمن خفف حذف التاء الاولى ومن شدد ادغم التاء الثانية في الذال وامان فتح وأن هذا فإنه حملها على فاتبعوه على قياس قول سيبويه في قوله تعالى لا يزال فريش وقوله وان هذه امتمكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون وقوله وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا فيكون على تقدير ولا أن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ومن خفف فقال وان هذا فإن الخفيفة في قوله يتعلق بما يتعلق به الشديدة وموضع هذا رفع بالابتداء وخبره صراطي وفي ان ضمير القصة والحديث وعلى هذه الشريطة يخفف وليست المفتوحة كالمكسورة اذا خفت وعلى هذا قول الاعشى

فِي فِتْيَةٍ كَسِيْفٍ الْهِنْدِ قَدْ عَلِمُوا اَنْ هَالِكٌ كُلُّ مَنْ يَحْفَىٰ وَيَتَّعِلُّ

والقاء التي في قوله فاتبعوه على قول من كسر إن عاطفة جملة على جملة وعلى قول من فتح أن زائدة

- [اللفظة] -

الاشد واحدها شد مثل الأشر في جمع شر والاضر في جمع ضر والشد القوة وهو استحكام قوة الشباب والسن كما ان شد النهار هو ارتفاعه قال عترة

عَهْدِي بِهِ شَدَّ النَّهَارِ كَأَنَّمَا خُصِبَ الْبَنَانُ وَرَأْسُهُ بِالْمِظْلَمِ (١)

وقيل هو جمع شدة مثل نعمة وانعم وقال بعض البصريين الأشد واحد فيكون مثل الآتك قال سيبويه الذكّر والذکر بمعنى وذكر فعل يتمدى الى مفعول واحد فإذا ضاعفت العين يعدى الى مفعولين كما في قوله

يَذْكُرُنِيكَ حَنِينُ الْعَجُولِ وَنَوْحُ الْحَمَامَةِ تَدْعُو هَدَيْلًا (٢)

(١) المظلم : نبت يخضب به (٢) حنين النافاة : صوتها في نزوعها الى ولدها . العجول من النساء والابل : الواله التي فقدت ولدها . الهديل صوت العصام .

ويقول ذكروه فتذكر فتفعل مطاوع فتل كما أن تفاعل مطاوع فاعل

المعنى

ثم ذكر سبحانه تمام ما يتلو عليهم فقال (ولا تقربوا مال اليتيم) والمراد بالتقرب التصرف فيه وإنما خص مال اليتيم بالذكر لأنه لا يستطيع الدفاع عن نفسه ولا عن ماله فيكون الطمع في ماله اشد وبد الرغبة اليه أمد فأكد سبحانه النهي عن التصرف في ماله وان كان ذلك واجبا في مال كل احد (الا بالتي هي احسن) أي بالخلصة او الطريقة الحسنی ولذلك انث وقد قيل في معناه اقوال **احدها** ان معناه الا بشئير ماله بالتجارة عن مجاهد والضحاك والسدي **وثانيها** بأن يأخذ القيم عليه بالأكل المعروف دون الكسوة عن ابن زيد والجبائي **وثالثها** بأن يحفظ عليه حتى يكبر (حتى يبلغ اشده) اختلف في معناه فقيل انه بلوغ الحلم عن الشعبي وقيل هو ان يبلغ ثمانين سنة وقال السدي هو ان يبلغ ثلاثين سنة ثم نسخها قوله حتى اذا بلغوا النكاح الآية وقال ابو حنيفة اذا بلغ خمسا وعشرين سنة دفع المال اليه وقبل ذلك يمنع منه اذا لم يؤنس منه الرشد وقيل انه لا حد له بل هو ان يبلغ ويكمل عقله ويؤنس منه الرشد فيسلم اليه ماله وهذا اقوى الوجوه وليس بلوغ اليتيم اشده مما يبسح قرب ماله بغير الاحسن ولكن تقديره ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن على الأبد حتى يبلغ اشده فادفعوا اليه بدليل قوله ولا تأكلوا امواتا وبدار ان يكبروا (واوفوا) اي اتموا (الكيل والميزان بالقسط) أي بالعدل والوفاء من غير بخس (لا تكلف قسا الا وسعها) اي الاما يسعها ولا يضيق عنه ومعناه هنا انه لما كان التعديل في الوزن والكيل على التحديد من أقل القليل يتمدد بين سبحانه انه لا يلزم في ذلك الا الاجتهاد في التحرز من النقصان (واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى) اي فقولوا الحق وان كان على ذي قرابة لكم وإنما خص القول بالعدل دون الفعل لأن من جعل عادته العدل في القول دعاه ذلك الى العدل في الفعل ويكون ذلك من أكد الدواعي اليه وقيل معناه اذا شهدتم او حكمتكم فاعدلوا في الشهادة والحكم وان كان المقول عليه او المشهود له او عليه قرابتك وهذا من الأوامر البليغة التي يدخل فيها مع قلة حروفها الأقاير والشهادات والوصايا والفتاوى والقضايا والاحكام والمذاهب والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (وبعهد الله اوفوا) قيل في معنى عهد الله قولان **احدهما** ان كل ما اوجبه الله تعالى على المباد فقد عهد اليهم بايجابه عليهم ويقدم القول فيه والدلالة عليه **والآخر** ان المراد به النذور والمعهود في غير معصية الله تعالى والمراد اوفوا بما عاهدتم الله عليه من ذلك (ذلك) اي ذلك الذي تقدم ذكره من ذكر مال اليتيم وان لا يقرب الا بالحق وايفاء الكيل واجتناب البخس والتطفيف وتحمري الحق فيه على مقدار الطاقة والقول بالحق والصدق والوفاء بالمهد (وصاكم) الله سبحانه (به لعلكم تذكرون) اي لكي تتذكروه وتأخذوا به فلا تطرحوه ولا تغفلوا عنه فتنركوا العمل به والقيام بما يلزمكم منه (وان هذا صراطي) اي ولأن هذا صراطي ومن خفف فتقديره ولأنه هذا صراطي ومن كسر ان فإنه استأنف قال ابن عباس يريد ان هذا ديني دين الخيرية اقوم الاديان واحسنها وقيل يريد ان ما ذكر في هذه الآيات من الواجب والمحرم صراطي لأن امثال ذلك على ما أمر به يؤدي الى الثواب والجنة فهو طريق اليها والى النعيم فيها (مستقيما) أي قويا لا عوج فيه ولا تناقض وهو منصوب على الحال (فاتبعوه) اي اقتدوا به واعملوا به واعتقدوا صحته واحلوا حلاله وحرموا حرامه (ولا تتبعوا السبل) اي طرق الكفر والبدع والشبهات عن مجاهد وقيل يريد اليهودية والنصرانية والمجوسية وعبادة الاوثان عن ابن عباس (فتفرق) واصله فتفرق (بكم عن سبيله) اي قشيت وتميل وتخالف بكم عن دينه الذي ارتضى وبه اوصى وقيل عن طريق الدين (ذلكم) وصاكم به لعلكم تتقون (اي لكي تتقوا عقابه باجتناب معاصيه قال ابن عباس هذه الآيات محكمات لم ينسخن شي من جميع الكتب وهي محرمات على بني آدم

كلمه ومن أم الكتاب من عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن دخل النار. وقال كعب الاحبار والذي قس كعب يده ان هذا لأول شيء في التوراة بسم الله الرحمن الرحيم قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الآيات

قوله تعالى (١٥٤) ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (١٥٥) وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبَارَكٌ قَاتِبَعُوهُ وَأَقْبُلُوا الْعَلَمَ لَكُمْ تَرْحَمُونَ (آيَاتان)

❖ القراءة ❖

في الشواذ قراءة يحيى بن يعمر على الذي احسن بالرفع

❖ الحجة ❖

قال ابن جني هذا مستضعف الاعراب عندنا لأنه حذف المبتدأ العائد الى الذي لأن تقديره على الذي هو احسن وإنما يحذف من صلة الذي الها المنصوبة بالفعل الذي هو صلتها نحو مررت بالذي ضربت اي ضربته ومن المفعول بَدَلُهُ وطال الاسم بصلته فحذف الها. لذلك وليس المبتدأ بنيف ولا فصلة فيحذف تحفيفا لاسيا وهو عائد الموصول وعلى ان هذا قد جاء نحوه عنهم حكى سيبويه عن الخليل انه سمع ما انا بالذي قائل لك شيئا وسواً اي بالذي هو قائل لك وقال - لم أرمثلَ الفتيانَ في غيرِ الأيامِ ينسونَ ما عواقبها - اي ينسون الذي هو عواقبها ويجوز ان يكون ينسون معلقة كما علقوا نقيضتها التي هي يطمون فيكون ما استفهاما وعواقبها خبر ما كقولك قد علمت من أبوك وعلى الوجه الأول حمله اصحابنا وقال الزجاج تماما منصوب بأنه مفعول له وكذلك تفصيلا وما بعده والمعنى آتينا لهذه العلة اي للتأمم والتفصيل. انزلناه في موضع رفع بأنه صفة كتاب

- المعنى -

(ثم آتينا موسى الكتاب) قيل في معنى ثم آتينا موسى الكتاب مع ان كتاب موسى قبل القرآن ثم يقتضي التراخي وجوه ❖ احدها ❖ ان فيه حذفاً وتقديره ثم قل يا محمد آتينا موسى الكتاب بدلالة قوله قل تعالوا ❖ وثانيها ❖ ان تقديره ثم اتل عليكم آتينا موسى الكتاب ويكون مطلقاً على معنى التلاوة والمعنى قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم ثم اتل عليكم ما آتاه الله موسى عن الزجاج ❖ وثالثها ❖ انه عطف خبر على خبر لا عطف معنى على معنى وتقديره ثم اخبركم انه اعطى موسى الكتاب والذي يؤيده قول الشاعر

وَلَقَدْ سَادَ ثُمَّ سَادَ أَبُوهُ ثُمَّ قَدْ سَادَ قَبْلَ ذَلِكَ جَدُّهُ

❖ ورابعها ❖ انه يتصل بقوله في قصة ابراهيم ووهبنا له اسحاق ويعقوب فقد سبحانه نعمته عليه بما جعل في ذريته من الأنبياء. ثم عطف عليه بذكر ما انعم عليه بما أتى موسى من الكتاب والنبوة وهو ايضا من ذريته من ابي مسلم واستحسنه المغربي (تماما على الذي احسن) قيل فيه وجوه ❖ احدها ❖ تماما على لسان موسى فكانه قال ليكمل احسانه الذي يستحق به كمال ثوابه في الآخرة عن الربيع والفراء ❖ وثانيها ❖ تماما على المحسنين عن مجاهد وقيل ان في قراءة عبد الله تماما على الذي احسنوا فكانه قال تماما للنعمة على المحسنين الذين هو احدهم والنون قد تحذف من الذين كما في البيت

وَإِنَّ الَّذِي حَانَتْ بِفَلَجٍ دِمَاؤُهُمْ هُمْ الْقَوْمُ كُلُّ الْقَوْمِ يَا مَعْ خَالِدٍ

ويجوز ان يكون الذي للجنس ويكون بمعنى من احسن ❖ وثالثها ❖ ان معناه تماما على احسان الله الى انبيائه عن ابن زيد ❖ ورابعها ❖ ان معناه كما كررته في الجنة على لسانه في الدنيا من الحسن

وقتادة وقال قتادة تقديره من احسن في الدنيا تمت عليه كرامة الله في الآخرة ﴿ وخامسها ﴾ ان معناه تماما على الذي احسن الله سبحانه الى موسى بالنبوة وغيرها من الكرامة عن الجبائي ﴿ وسادسها ﴾ ما قاله ابو مسلم انه يتصل بقصة ابراهيم فيكون المعنى تماما لانعمة على ابراهيم ولجزائه على احسانه في طاعة ربه وذلك من لسان الصدق الذي سأل الله سبحانه ان يجعله له ونفظة على تقتضي المضاعفة عليه ولو قال تماما ولم يأت بقوله على الذي احسن لدل على نقصانه قبل تكميله (وتفضيلا لكل شي) اي وبيانا لكل ما يحتاج اليه الخلق (وهدي) اي ودلالة على الحق والدين يهتدي بها الى التوحيد والعدل والشرائع (ورحمة) اي نعمة على سائر المكلفين لما فيه من الأمر والنهي والوعد والوعيد والأحكام (امامهم بلقاوم بهم يومئذون) معناه لكي يومئذون بجزاء ربهم فسمى الجزاء لقاوم الله تفضيلا لشأنه مع ما فيه من الایجاز والاختصار وقيل معنى اللقاوم الرجوع الى ملكه وساطعانه يوم لا يملك احد سواه شيئا (وهذا كتاب) يعني القرآن وصفه بهذا الوصف لبيان انه مما ينبغي ان يكتب لانه اجل الحكم (انزلناه) يعني أنزله جبرائيل الى محمد (ص) فأضاف النزول الى نفسه توسعا (مبارك) وهو من يأتي من قبله الخير الكثير عن الزجاج فالبركة ثبوت الخير بزيادته ونموه وأصله الثبوت ومنه براكاء القتال في قوله

وَمَا يُنْجِي مِنَ الْعَمْرَاتِ إِلَّا
بَرَآكَا الْقِتَالِ أَوْ الْفِرَارُ

ومنه تبارك الله اي تعالى بصفة اثبات لا أول له ولا آخر وهذا تعظيم لا يستحقه غير الله تعالى (فاتبعوه) أي اعتقدوا صحته واعملوا به وكونوا من اتباعه (واتقوا) معاصي الله ومخالفته ومخالفة كتابه (لعلكم ترحمون) اي لكي ترحموا وانما قال واتقوا لعلكم ترحمون مع انهم اذا اتقوا رحموا لا محالة لامرين ﴿ احدهما ﴾ انه اتقوا على رجا الرحمة لأنكم لا تدرون بما توافون في الآخرة ﴿ والثاني ﴾ اتقوا لرحموا اي ليكون الغرض بالتقوى منكم طلب ما عند الله من الرحمة والثواب

قوله تعالى (١٥٦) أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابُ عَلَي طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ
دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ (١٥٧) أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ
بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهَدَى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي
الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ (آيتان)

﴿ الإعراب ﴾

قال الزجاج ان تقولوا امعناه عند البصريين كراهة ان تقولوا وهم لا يجوزون اضمار لا فلا يقولون جئت ان اكرمك اي لأن لا اكرمك ولكن يجوز فعلت ذلك ان اكرمك على اضمار محبة ان اكرمك او كراهة ان اكرمك ويكون الحال بنبي عن الضمير واول تقولوا نصب تقولوا بأنه معطوف على ان تقولوا اي او كراهة ان تقولوا واقول ارادانه مفعول له على حذف المضاف وإقامة المضاف اليه مقامه واذا كان حذف المضاف يطرد جوازه مع غير ان فلان يجوز مع أن اجدر مع طول الكلام بالصلة وقال الكسائي موضع ان تقولوا نصب باتقوا اي اتقوا يا اهل مكة ان تقولوا ولو اتقوتحت ان بعد لو مع انه لا يقع فيه المصدر لأن الفعل مقدر بعد لو فكأنه قيل لوقع الينا انا انزل الكتاب علينا إلا ان هذا الفعل لا يظهر من اجل طول ان بالصلة ولا يحذف مع المصدر الا في الشعر قال

لَوْ غَيْرَكُمْ عَلِقَ الزَّيْبُ بِجَبَلِهِ
أَدَى الْجَوَارِ إِلَى بَنِي الْعَوَامِ (١)

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه انه لما انزل القرآن قطعا للمعذرة وازاحة للعلة فقال (ان تقولوا) اي كراهة ان تقولوا يا اهل





مكة أو اتلا يقولوا (انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا) اي جماعتين وهم اليهود والنصارى من ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة والسدي وانما خصها بالذكر لشهرتها وظهور امرها اي انزلنا عليكم هذا الكتاب لنقطع حجتكم (وان كنا عن دراستهم لغافلين) والمعنى انا كنا غافلين عن تلاوة كتبهم وما كنا الا غافلين عن دراستهم ولم ينزل علينا الكتاب كما انزل عليهم (او تقولوا) يا أهل مكة (أو أنا انزل علينا الكتاب لكننا اهدى منهم) في المبادرة الى قبوله والتمسك به لأننا اجود اذهانا واثبت معرفة منهم فإن العرب كانوا يدلون بمجودة الفهم وذكا الحدس وحدة الذهن وقد يكون العارف بالشيء اهدى اليه من عارف آخر بأن يعرفه من وجوه لا يعرفها هو وبأن يكون ما يعرفه به اثبت مما يعرفه به الاخر ثم قال تعالى (فقد جاءكم بينة من ربكم) اي حجة واضحة ودلالة ظاهرة وهو القرآن (وهدى) يهتدي به الخلق الى النعيم المقيم والثواب العظيم (ورحمة) اي نعمة لمن اتبعه وعمل به (فمن اظلم) لنفسه (ممن كذب بآيات الله وصدق عنها) اي اعرض عنها غير مستبدل بها ولا مفكر فيها عن ابن عباس ومجاهد والسدي وقتادة (سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب) اي شدة العذاب وهو ما أعد الله للكفار نعوذ بالله منه (بما كانوا يصدفون) اي جزاء بما كانوا يصدفون عن القرآن ومن أتى به وهو محمد (ص) وفي هذا دلالة على ان انزال القرآن لطف للكافرين وانه لو لم ينزله لكان لهم الحجة واذا كان في منع اللطف عذر وحجة للمكلف فمنع القدرة وخلق الكفر اولى بذلك فلو قيل فهل للذين ماتوا من قبل من خوطب بقوله ان تقولوا حجة وعذر قيل له ان عذر أو أنك كان مقطوعا بالعقل وبما تقدم من الاخبار والكتب وهو لا. ايضا لو لم يأتيهم الكتاب والرسول لم يكن لهم حجة لكن الله تعالى لما علم ان المصلحة تعلقت بذلك فعله ولو علم مثل ذلك فيمن تقدم لانزل عليهم مثل ما أنزل على هؤلاء. واذا لم ينزل عليهم علمنا ان ذلك لم يكن من مصالحهم

قوله تعالى (١٥٨) هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلْ أَنْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ (آية)

✽ القراءة ✽

قرأ حمزة والكسائي وخلف يأتهم بالياء ههنا وفي النحل وقرأ الباقون تأتيهم بالياء. وقدمضى الكلام في امثال ذلك

✽ المعنى ✽

ثم توعدهم سبحانه فقال (هل ينظرون) معناه ما ينتظرون يعني هؤلاء الكفار الذين تقدم ذكرهم وقال ابو علي الجبائي معناه هل تنتظر انت يا محمد واصحابك الا هذا وهم وان انتظروا غيره فذلك لا يمتد به من حيث ما ينتظرونه من هذه الاشياء المذكورة لعظم شأنها فهو مثل قوله ومارميت إذ رميت ولكن الله رمى وكما يقال تكلم فلان ولم يتكلم اذا تكلم بما لا يمتد به (الا ان تأتيهم الملائكة) لقبض ارواحهم عن مجاهد وقتادة والسدي وقيل لانزال العذاب والحسف بهم وقيل لعذاب القبر (او يأتي ربك) فيه اقوال  احدها  او يأتي امر ربك بالعذاب فحذف المضاف ومثله وجاء ربك عن الحسن وجاز هذا الحذف كما جاز في قوله ان الذين يؤذون الله اي اولياء الله وقال ابن عباس يأتي امر ربك فيهم بالقتل  وثانيها  او يأتي ربك بجلائل آياته فيكون حذف الجار فوصل الفعل ثم حذف المفعول لدلالة الكلام عليه وهو قيام الدليل في العقل على ان

الله سبحانه لا يجوز عليه الانتقال ولا يختلف عليه الحال ﴿وثالثها﴾ ان المعنى او يأتي إهلاك ربك أيهم بمذاب عاجل او أجل او بالقيامة وهذا كقولنا قد نزل فلان بيلد كذا وقد أتاهم فلان اي قد أوقع بهم عن الزجاج (او يأتي بعض آيات ربك) وذلك نحو خروج الدابة او طلوع الشمس من مغربها عن مجاهد وقتادة والسدي وروي عن النبي (ص) انه قال بادروا بالأعمال ستأ طلوع الشمس من مغربها والدابة والدجال والدخان وخويصة احدثم اي موته وأمر العامة يعني القيامة (يوم يأتي بعض آيات ربك) التي تضطرهم الى المعرفة ويزول التكليف بعدها (لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل) لأنه ينسد باب التوبة بظهور آيات القيامة ويضطر الله تعالى كل أحد الى معرفته ومعرفة المحسنات والمقدمات ضرورة ويعرفه انه ان حاول القبيح او ترك الحسن حيل بينه وبينه فيصير ملجأ الى فعل الحسن وترك القبيح (او كسبت في إيمانها خيرا) عطف على قوله آمنت وقيل في معناه اقوال ﴿احدها﴾ انه انما قال ذلك على جهة التغليب لأن الأكثر مما ينتفع بإيمانه حينئذ من كسب في إيمانه خيراً ﴿وثانيها﴾ انه لا ينفع احدا فعل الايمان ولا فعل خير فيه في تلك الحال لأنها حال زوال التكليف وإنما ينفع ذلك قبل تلك الحال عن السدي فيكون معناه لا ينفعه إيمانه حينئذ وان كسب في إيمانه خيراً اي طاعة وبراً لأن الايمان واكتساب الخير انما ينفعان من قبل ﴿وثالثها﴾ انه الإيهام في احد الامرين فالمعنى انه لا ينفع في ذلك اليوم إيمان نفس اذا لم تكن آمنت قبل ذلك اليوم او ضمت الى إيمانها افعال الخير فإنها اذا آمنت قبل نفعها إيمانها وكذلك اذا ضمت الى الايمان طاعة نفعها ايضاً يريد انه لا ينفع حينئذ إيمان من آمن من الكفار ولا طاعة من أطاع من المؤمنين ومن آمن من قبل نفعه إيمانه بانفراده وكذلك من أطاع من المؤمنين نفعته طاعته ايضاً وهذا اقوى الأقوال واوضحها (قل انتظروا) آيات الملائكة ووقوع هذه الآيات (فلان منتظرون) بكم ووقوعها وفي هذه الآية حث على المسارعة الى الايمان والطاعة قبل الحال التي لا يقبل فيها التوبة وفيها ايضاً حجة على من يقول ان الايمان اسم لأداء الواجبات وللطاعات فإنه سبحانه قد صرح فيها بأن اكتساب الخيرات غير الايمان المجرد لعطفه سبحانه كسب الخيرات وهي الطاعات في الايمان على فعل الايمان فكانه قال لا ينفع نفسا لم تؤمن قبل ذلك اليوم ايمانها ذلك اليوم وكذا لا ينفع نفسا لم تكن كاسبة خيراً في إيمانها قبل ذلك كسبها الخيرات ذلك اليوم وقد عكس الحاكم ابو سعيد في تفسيره الامر فيه فقال هو خلاف ما يقوله المرجئة لانه يدل على أن الايمان بمجرد لا ينفع حتى يكون معه اكتساب الخيرات وليت شعري كيف تدل الآية على ما قاله وكيف حكم لنفسه على خصمه فيما الحكم فيه لخصمه عليه وهل هذا إلا عدول من سنن العدل والانصاف

قوله تعالى (١٥٩) **إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (آية)**

﴿ القراءه ﴾

قرأ حمزة والكسائي ها معنا وفي الروم فارقوا بالالف وهو المروي عن علي عليه السلام والباقر فرقوا بالتشديد

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي من قرأ فرقوا فتقديره يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض كما قال اقتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض وقال ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسوله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ومن قرأ فارقوا دينهم فالمعنى باينوه وخرجوا عنه وهو يؤول إلى معنى فرقوا الا ترى انهم لما آمنوا ببعضه وكفروا ببعضه فارقوه كله فخرجوا عنه ولم يتبعوه

* اللغة *

الشيعة الفرق التي يبالى بعضهم بعضا على امر واحد مع اختلافهم في غيره وقيل إن اصله من الظهور يقال شاع الخبر يشيع شيوعا ظهر وشيئت النار إذا القيت عليها الحطب فكأنك تظهرها وقال الزجاج اصله الاتباع يقال شاعكم السلام وشاعكم السلام أي تبعكم السلام قال

الْأَيَا نَحْلَةً مِنْ ذَاتِ عِرْقٍ
بُرُودَ الظِّلِّ شَاعَكُمْ السَّلَامُ (١)

ويقول آتيك غدا أو شيعة أي أو اليوم الذي تتبعه فمعنى الشيعة الذين يتبع بعضهم بعضا قال الكهيت

وَمَالِي إِلَّا آلَ أَحْمَدَ شَيْعَةً
وَمَالِي إِلَّا مَشْعَبَ الْحَقِّ مَشْعَبٌ

* المعنى *

ثم عطف سبحانه على ما قدمه من الوعيد فقال (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا) اختلف في المعنيين بهذه الآية على أقوال (١) أحدها (٢) أنهم الكفار واصناف المشركين عن السدي والحسن ونسختها آية السيف (٣) وثانيها (٤) أنهم اليهود والنصارى لأنهم يكفرون بعضهم بعضا عن قتادة (٥) وثالثها (٦) أنهم أهل الضلالة واصحاب الشبهات والبدع من هذه الأمة رواء أبو هريرة وعائشة مرفوعا وهو المروي عن الباقر عليه السلام جعلوا دين الله أديانا لا يكفرون بعضهم بعضا وصاروا احزابا وفرقا (٧) لست منهم في شيء (٨) هذا خطاب للنبي (ص) واعلام له انه ليس منهم في شيء وانه على المباعدة التامة من ان يجتمع معهم في معنى من مذاهبهم الفاسدة وليس كذلك بعضهم مع بعض لأنهم يجتمعون في معنى من المعاني الباطلة وان افترقوا في غيره فليس منهم في شيء لأنه بريء من جميعه وقيل ان معناه لست من مخالفتهم في شيء وإنما هو نهى النبي من مقاربتهم وامر له بمباعدتهم عن قتادة وقيل معناه لست من قتالهم في شيء ثم نسختها آية القتال عن الكلبي والحسن (٩) إنما امرهم إلى الله في مجازاتهم على سوء افعالهم وقيل امرهم في الانظار والاستئصال إلى الله وقيل الحكم بينهم في اختلافهم إلى الله (ثم ينبئهم) أي يخبرهم ويحذوهم (بما كانوا يفعلون) يوم القيامة فيظهر المحق من المبطل

قوله تعالى (١٦٠) مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا
وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (آية)

* القراءة *

قرأ يعقوب عشر منون أمثالها برفع اللام وهو قراءة الحسن وسعيد بن جبير والباقرن عشر مضاف أمثالها مجرور

* الحجة *

من قرأ عشر أمثالها فالمعنى له عشر حسنات أمثالها فيكون أمثالها صفة للموصوف الذي اضيف اليه عشرون قرأ عشر أمثالها فيكون أمثالها صفة لمشر هذا قول الزجاج وحذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه ضعيف عند المحققين وأكثر ما يأتي ذلك في الشعر والاولى ان يكون أمثالها غير صفة في قوله عشر أمثالها بل يكون محمولا على المعنى فأنث الأمثال لما كان في معنى الحسنات وحكي عن أبي عمرو انه سمع اعرابيا يقول فلان لغوب جأته كتابي فاحتقرها قال فقلت له اتقول جأته كتابي قال نعم أليس بصحيفة

* اللغة *

الحسنة اسم للأعلى في الحسن ودخول الها للمبالغة قال علي بن عيسى دخول الها يدل على انها طاعة اما واجب او نذب وليس كل حسن كذلك لأن في الحسن ما هو مباح لا يستحق عليه مدح ولا ثواب واقوى من

(١) الشعر في جامع الشواهد بتغيير في المصراع الثاني . قوله برود الظل أي في برود الظل .

ذلك ان يقال دخول لام التعريف فيها يدل على انها المأمور بها لانها لام العهد والله سبحانه لا يأمر بالمباح

✽ المعنى ✽

لما ذكر سبحانه الوعيد على المعاصي عقبه بذكر الوعد وتضعيف الجزاء في الطاعات فقال (من جاء بالحسنة فله عشر امثالها) اي من جاء بالحسنة الواحدة من خصال الطاعة فله عشر امثالها من الثواب (ومن جاء بالسيئة) اي بالحسنة الواحدة من خصال الشر (فلا يجزي إلا امثالها) وذلك من عظيم فضل الله تعالى وجزيل إنعامه على عباده حيث لا يقتصر في الثواب على قدر الاستحقاق بل يزيد عليه وربما يعفو عن ذنوب المؤمن مَنًا منه عليه وتفضلا وان عاقب عاقب على قدر الاستحقاق عدلا وقيل المراد بالحسنة التوحيد وبالسيئة الشرك عن الحسن واكثر المفسرين وعلى هذا فإن اصل الحسنات التوحيد وأسوأ السيئات الكفر (وهم لا يظلمون) بالزيادة على مقدار ما استحقوا من العقاب ثم اختلف الناس في ان هذه الحسنات العشر التي وعد بها الله من جاء بالحسنة هل يكون كلها ثوابا ام لا فقال بعضهم لا يكون كلها ثوابا وإنما يكون الثواب منها الواحدة والتسع الزائدة تكون تفضلا ويؤيده قوله ليوفيههم اجرهم ويزيدهم من فضله فيكون على هذا معنى عشر امثالها في النعيم واللذة لا في عظيم المذلة ويجوز ان يكون التفضل مثل الثواب في الكثرة واللذة وان يميز منه الثواب بمقارنة التعظيم والإجلال اللذين لولاها لما حسن التكليف وهذا هو الصحيح وقال قوم لا يجوز ان يساوى الثواب والتفضل على وجه فيكون على قولهم كل ذلك ثوابا قال الزجاج ان المعجزة من الله عز وجل على الحسنات بدخول الجنة شيء لا يبلغ وصف مقداره فإذا قال عشر امثالها وقال كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبله ماؤه حبة وقال فيضاعفه له اضعافا كثيرة فالمعنى في هذا كله ان جزاء الله سبحانه على الحسنات على التضعيف للمثل الواحد الذي هو النهاية في التقدير في النفوس فيضاعف الله سبحانه ذلك باثنين عشرة اضعاف إلى سبعمائة ضعف إلى اضعاف كثيرة وقد قيل ايضا في ذلك ان المعنى من جاء بالحسنة فله عشر امثال المستحق عليها والمستحق لا يعلم مقداره إلا الله تعالى وليس المراد امثال ذلك في العدد وهذا كما يقول الانسان لا جبره الك من الأجر مثل ما عملت اي مثل ما تستحقه بعملك وقد وردت الرواية عن المعرور بن سويد عن ابي ذر قال حدثني الصادق المصدقان الله تعالى قال الحسنات عشر او ازيد والسيئة واحدة او اغفر فالويل لمن غلبت آحاده اعشاره

قوله تعالى (١٦١) قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِثْلَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٦٢) قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٣) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (ثلاث آيات كوفي واربع عند غيرهم)

✽ القراءة ✽

قرأ ابن عامر واهل الكوفة قِيَمًا مكسورة القاف خفيفة الياء والباقون قِيَمًا مفتوحة القاف مشددة الياء. وقرأ اهل المدينة مَحْيَايَ ساكنة الياء ومماتي بفتحها والباقون مَحْيَايَ بفتح الياء ومماتي ساكنة الياء.

✽ الحجة ✽



من قرأ قِيَمًا فالقيَم هو المستقيم فيكون وصفا للدين كما ان التقدير في قوله دين القِيَمَة دين الملة القِيَمَة لأن الملة هي مثل الدين فلهذا قرأ قِيَمًا فإنه مصدر كالصفر والكبر الا انه لم يصحح كما صحح حول وعوض وكان القياس ولكنه شذ كما شذ نحو بُيْرَة في جمع ثور وحياد في جمع جواد وكان القياس الواو وقال الزجاج انما اعتل قيم لأنه من قام فلما اعتل قام اعتل قيم لأنه جرى عليه واما حول فإنه جار على غير فعل واما إسكان

الياء في محياي فإنه شاذ عن القياس والاستعمال فإن الساكنين لا يلتقيان على هذا الحد وإذا كان ما قبلها متحركا نحو ومحياتي فالفتح جائز والاسكان جائز قال ابو علي والوجه في محياي بسكون الياء مع شذوذه ما حكى عن بعض البغداديين انه سمع التقت حلقتا البطان باسكان الالف مع سكون لام المعرفة ومثل هذا ما جوزه يونس في قوله اضربان زيدا واضربان زيدا وسيبويه ينكر هذا من قول يونس وقال علي بن عيسى ولو وصله على نية الوقف جاز كما جاز فبهدهم اقتده فإنما تزداد هذه الهاء في الوقف كما تسكن تلك الياء في الوقف

✽ اللغة ✽

الملة الشريعة مأخوذة من الاملاء كأنه ما يأتي به الشرع ويورده الرسول من الشرائع المتجددة فيسئل على أمته ليكتب او يحفظ فأما التوحيد والعدل فراجبان باقل ولا يكون فيها اختلاف والشرائع تختلف ولهذا يجوز ان يقال ديني دين الملائكة ولا يقال ماتي ملة الملائكة فكل ملة دين وليس كل دين ملة والنسك العبادة ورجل ناسك ومنه النسيكة الذبيحة والنسك الموضع الذي تذبح فيه النساءك قال الزجاج فالنسك كل ما تقرب به الى الله تعالى الا ان الغالب عليه امر الذبح وقول الناس فلان ناسك ليس يراد به ذابح إنما يراد به انه يودي المناسك اي يودي ما افترض عليه مما يتقرب به الى الله

✽ الاعراب ✽

دينا قال ابو علي يحتمل نصه ثلاثة اضرب  احدها  انه لما قال هادي ربي الى صراط مستقيم استغنى بجري ذكر الفعل عن ذكره ثانيا فقال دينا قيما كما قال اهدنا الصراط المستقيم وان شئت نصته على اعرفوا لأن هدايتهم اليه تعريف لهم فحمله على اعرفوا دينا قيما وان شئت حملته على الاتباع كأنه قال اتبعوا دينا قيما والزوم كما قال اتبعوا ما أنزل اليكم قال الزجاج ملة ابراهيم بدل من دينا قيما وحنيفا منصوب على الحال من ابراهيم والمعنى هادي وعرفني ملة ابراهيم في حال حنيفة

✽ المعنى ✽

ثم امر الله نبيه (ص) فقال (قل) يا محمد لهؤلاء الكفار وللخلق جميعا (انني هادي) اي دلي وارشدي (ربي الى صراط مستقيم) وقيل اراد اطف لي ربي في الاهتداء ووقفني لذلك وقد بينا معنى الصراط المستقيم في سورة الحمد (دينا قيما) اي مستقيما على نهاية الاستقامة وقيل ثابتا دائما ينسخ (ملة ابراهيم) كوانما وصف دين النبي بأنه ملة ابراهيم ترغيبا فيه للعرب جلالة ابراهيم في نفوسها ونفوس كل اهل الاديان ولانتساب العرب اليه واتفاقهم على انه كان على الحق (حنيفا) اي مخلصا في العبادة لله عن الحسن وقيل مائلا الى الاسلام ميلا لازما لا رجوع معه من قولهم رجل احنف اذا كان مائل القدم من خلقته عن الزجاج وقيل مستقيما وانما جاء احنف على التفاؤل عن الجبائي (وما كان من المشركين) يعني ابراهيم كان يدعو الى عبادة الله وينهى عن عبادة الاصنام (قل ان صلاتي) قد فسرنا معنى الصلاة فيما تقدم (ونسكي) اي ذبيحتي للحج والعمرة عن سعيد بن جبير ومجاهد وقتادة والسدي وقيل نسكي ديني عن الحسن وقيل عبادتي عن الجبائي والزجاج وانما ضم الصلاة الى أصل الواجبات من التوحيد والعدل لأن فيها التعظيم لله عند التكبير وفيها تلاوة القرآن الذي يدعو الى كل بر وفيها الركوع والسجود وفيها الخضوع لله تعالى والتسبيح الذي هو التنزيه له (ومحيي ومماتي) اي حياتي وموتي (الله رب العالمين) وانما جمع بين صلاته وحياته واحدهما من فعله والاخر من فعل الله لأنهما جميعا بتدبير الله وقيل معناه صلاتي ونسكي له عبادة وحياتي ومماتي له ملكا وقدرة عن القاضي وقيل ان عبادتي له لأنها بهديته ولطفه ومحيي ومماتي له لأنه بتدبيره وخلق وقيل معنى قوله ومحيي ومماتي لله ان الاعمال الصالحة التي تتعلق بالحياة في فنون الطاعات وما يتعلق بالمات من الوصية والحتم بالحيرات لله وفيه تنبيه

على انه لا ينبغي ان يجعل الانسان حياته لشهوته ومماته لورثته (لا شريك له) اي لا ثاني له في الآلية وقيل لاشريك له في العبادة وفي الاحياء والإماتة (وبذلك أمرت) اي وبهذا أمرني ربي (وانا أول المسلمين) من هذه الأمة فلان ابراهيم كان أول المسلمين ومن بعده تابع له في الاسلام عن الحسن وقتادة وفيه بيان فضل الاسلام وبيان وجوب اتباعه على الاسلام اذ كان صلى الله عليه وآله أول من سارع اليه ولا نه انما أمر بذلك ليتأسى به وبقتدى بقله قوله تعالى (١٦٤) **قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ أَبْنِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ** (١٦٥) **وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَلْوَكُمُ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ** (آيتان)

✽ اللغة ✽

الرب اذا اطلق أفاد المالك بتصريف الشيء بأنتم التصريف واذا أضيف فقيل رب الدار ورب الضيعة فمعناه المالك لتصريفه بأنتم تصريف العباد وأصله التربية وهي تنشئة الشيء حالاً بعد حال حتى يصير الى الكمال والفرق بين الرب والسيد ان السيد المالك لتدبير السواد الأعظم والرب المالك لتدبير الشيء حتى يصير الى الكمال مع اجرائه على تلك الحال ويقال وزرير وزرأو ووزرور فهو موزور وأصله من الوزر الذي هو الملجأ فحال الموزور كحال المتجسجى الى غير ملجأ ومنه الوزير لأن الملك يتجسجى اليه في الأمور وقيل ان أصله الثقل ومنه قوله ووضعنا عنك وزرك وكلاهما محتمل وواحد الخلائف خليفة مثل صحيفة وصحائف وسفينة وسفائن وخلف فلان فلانا يخلفه فهو خليفته اذا جاء بعده

✽ الإعراب ✽

في نصب درجات ثلاثة اقوال - احدها - ان يقع موقع المصدر فكأنه قال رفعة بعد رفعة - والثاني - انه الى درجات فحذفت الى كما حذفته في قولك دخلت البيت وتقديره الى البيت - والثالث ان يكون مفعولاً من قولك ارتقع درجة ورفعته درجة - من اكتسى ثوباً وكسوته ثوباً

✽ المعنى ✽

لما أمر سبحانه نبيه (ص) ببيان الاخلاص في الدين عقبه بأمره ان يبين لهم بطلان افعال المشركين فقال (قل) يا محمد اهولاء الكفار على وجه الانكار (اغير الله ابني رباً وهو رب كل شيء) وتقديره يجوز ان اطلب غير الله رباً واطلب الفوز بعبادته وهو مربوب مثلي وأترك عبادة من خلقتني ورباني وهو مالك كل شيء وخالقه ومدبره وليس بمربوب ام هذا قبيح في العقول وهو لازم لكم على عبادتكم الأوثان (ولا تكسب كل نفس الا عليها) أي لا تكسب كل نفس جزاء كل عمل من طاعة او معصية الا عليها فعليها عقاب معصيتها ولها ثواب طاعتها ووجه اتصاله بما قبله انه لا ينبغي في ابتغاء رب غيره ما أنتم عليه من ذلك لأنه ليس بعذر لي في اكتساب الأثم اكتساب غيبي نه لأن لا تزر وازرة وزر آخر (أي لا يحمل احد ذنب غيره ومعناه ولا يجازى احد بذنب غيره وقال الزجاج معناه لا تؤخذ نفس غير آثمة بإثم أخرى وقيل ان الكفار قالوا للنبي (ص) اتبعنا وعلينا وزرك ان كان خطأ فأنزل الله هذا وفيه دلالة على فساد قول المجبرة ان الله تعالى يعذب الطفل بكفر ابيه (ثم الى ربكم مرجعكم) أي ما لكم ومصيركم (فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون) أي يخبركم بالحق فيما اختلفتم فيه فيظهر المحسن من المسيء (وهو الذي جعلكم خلائف الارض) اخبر سبحانه

انه الذي جعل الخلق خلائف الأرض ومعناه ان أهل كل عصر يخلف أهل العصر الذي قبله كما مضى قرن خلفهم قرن يجري ذلك على انتظام واتساق حتى تقوم الساعة على العصر الأخير فلا يخلفه عصر وهذا لا يكون إلا من عالم مدبر عن الحسن والسدي وجماعة وقيل المراد بذلك أمة نبينا محمد صلى الله عليه وآله جعلهم الله تعالى خلفاء لسائر الأمم ونصرهم على سائر الخلق (ورفع بعضكم فوق بعض درجات) في الرزق عن السدي وقيل في الصورة والعقل والعمر والمال والقوة وهذا أولى لأن الأول يدخل فيه ووجه الحكمة في ذلك مع انه سبحانه خلقهم ابتداءً من غير استحقاق بعمل يوجب التفاضل بينهم ما فيه من اللطاف الداعية الى الواجبات والصارفة عن المقبحات لأن كل من كان غنياً في ماله شريفاً في نسبه ربما دعاه ذلك الى طاعة من يملكه رغبة في امثاله ومن كان على ضد ذلك ربما دعاه الى طاعته رهبة من امثاله ورجاء أن ينقله عن هذه الحال الى حال جليلة يقتبط عليها (لبلوكم فيما آتاكم) أي ليختبركم فيما اعطاكم أي يعاملكم معاملة المختبر مظهرة في العدل وانتفاء من الظلم ومعناه لينظر الفني الى الفقير فيشكر وينظر الفقير الى الغني فيصبر ويفكر العاقل في الأدلة فيعلم ويعمل بما يعلم (ان ربك سريع العقاب) إنما وصف نفسه بذلك مع ان عقابه في الآخرة من حيث ان كل ما هو آت قريب فهو إذا سريع وقيل معناه انه سريع العقاب بين اسنحقه في دار الدنيا فيكون تحذيراً لمواقع الخطيئة على هذه الجهة وقيل معناه انه قادر على تسجيل العقاب فاحذروا معاجلته بالعلاك في الدنيا (وانه لغفور رحيم) قابل سبحانه بين العقاب والتفران ولم يقابل بالثواب لأن ذلك ادعى الى الإقلاع عما يوجب العقاب لأنه لو ذكر الثواب لجاز أن يتوهم انه لمن لم يكن منه عصيان وقيل انه سبحانه افتتح السورة بالحمد على نعمه تليها وختمها بالمغفرة والرحمة ليحمد على ذلك

(سورة الاعراف)

هي مكية وقد روي عن قتادة والضحاك انها مكية غير قوله واسئلهم عن القرية الى قوله بما كانوا يفسقون فإنها نزلت بالمدينة عدد آياتها مائتان وست آيات حجازي كوفي وخمس بصري شامي

✽ اختلافها ✽

خمس آيات المص وبدأكم تعودون كوفي مخلصين له الدين بصري شامي ضعفاً من النار والحسنى علي بن اسرائيل حجازي

✽ فضلها ✽

أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله قال من قرأ سورة الاعراف جعل الله بينه وبين ابليس ستراً وكان آدم شقيماً له يوم القيامة وروى العياشي بإسناده عن ابي بصير عن ابي عبد الله (ع) قال من قرأ سورة الاعراف في كل شهر كان يوم القيامة من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فإن قرأها في كل يوم جمعة كان ممن لا يحاسب يوم القيامة قال ابو عبد الله (ع) أما إن فيها آيات محكمة فلا تدعوا قراءتها وتلاوتها والقيام بها فإنها تشهد يوم القيامة لمن قرأها عند ربه

✽ تفسيرها ✽

لما ختم الله سبحانه سورة الانعام بالرحمة افتتح هذه السورة بأنه أنزل كتاباً فيه معالم الدين والحكمة فقال

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

قوله تعالى (١) ألمص (٢) كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (٣) أَتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا نَذَرَ كُرُون (ثلاث آيات كوفي وآيتان في الباقيين)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن عامر بتذكرون بياء وتاء وقرأ اهل الكوفة غير ابي بكر تذكرون خفيفة الذال وقرأ الباقون تذكرون بتشديد الذال والكاف

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي من قرأ تذكرون مشددة أراد تذكرون فأدغم التاء في الذال وإدغامها فيها حسن لأن التاء مهموسة والذال مجهورة والمجهور أزيد صوتا واقوى من المهموس فحسن ادغام الأتقص في الأزيد ولا يسوغ ادغام الأزيد في الأتقص وما في قوله ما تذكرون موصولة بالفعل وهي معه بمنزلة المصدر والمعنى قليلا تذكركم ولا ذكر في الصلة يعود اليها كما لا يكون في صلة أن ذكر ومن قرأ تذكرون فإنه حذف التاء التي أدغمها من شدد الذال وذلك حسن لاجتماع ثلاثة احرف متقاربة ويقوي ذلك قولهم استطاع يستطيع فحذفوا أحد الثلاثة المتقاربة ومن قرأ بتذكرون بياء وتاء فوجهه انه مخاطبة النبي (ص) أي قليلا ما تذكروا

﴿ اللفظة ﴾

قد تقدم ذكر الحروف المقطعة في أوائل السور في أول سورة البقرة وذكرنا الأقوال في معانيها واعرابها فلا معنى لإعادتها وبيئنا ان حروف الهجاء توصل على نية الوقف فرقا بينها وبين ما يوصل للمعاني فعلى هذا متى سميت رجلا بالمص وسميت بالحكاية وإن سميت بصاد او قاف لم يجب ذلك لأن صاد وقاف لهما نظير في الأسماء المفردة مثل باب ونار وليس كذلك المص لأنه بمنزلة الجملة إذ ليس له نظير في المفرد وإنما عد الكوفيون المص آية ولم يعدوا صاد لأن المص بمنزلة الجملة مع ان آخره على ثلاثة احرف بمنزلة المردف فلما اجتمع هذان السببان وكل واحد منهما يقتضي عدده وعلوه ولم يعدوا المر لأن آخره لا يشبه المردف ولم يعدوا صاد لأنه بمنزلة اسم مفرد وكذلك قاف ونون ومن قال ان هذه الحروف في أوائل السور أسماء للسور فعلى قوله إنما سميت بها ولم تسم بالأسماء المنقولة لأنها تتضمن معاني أخر مضافة الى التسمية وهو انها فاتحة لما هو منها وانها فاصلة بينها وبين ما قبلها ولا أنه يأتي من التأليف بعدها ما هو معجز مع انه تأليف كتاليفها فلهذا المعاني من اسرارها والذكري مصدر ذكر يذكركم كبراً فهي اسم للتذكير وفيه مبالغة ومثله الرجعي

﴿ الإعراب ﴾

قال الزجاج اجمع النحويون على ان قوله كتاب أنزل اليك مرفوع بغير هذه الحروف فالمعنى هذا كتاب أنزل اليك ومن قال ان كتاب يرتفع بالمص وتقديره المص حروف كتاب يلزمه اضمراء شيتين فيكون المعنى المص بعض حروف كتاب أنزل اليك فيكون قد اضمراء المضاف وما أضيف اليه وهذا ليس بجائز فإن قال قائل قد يقول اب ت ث ثمانية وعشرون حرفاً وإنما ذكرت اربعة فنأين جاز ذلك قيل قد صار

اسم هذه الحروف كلها اب ت ث كما انك تقول الحمد سبع آيات فالحمد اسم لجملة السورة وليس اسم الكتاب ألم ولا اسم القرآن أسم وهذا فرق بين قال والذي اخترناه في تفسير المص قول ابن عباس ان المص انا الله اعلم وافصل فيكون يرتفع بعض هذه الحروف ببعض والجملة لا موضع لها وقوله فلا يكن في صدرك حرج دخول الفاء فيه يحتمل وجهين * احدهما * ان تكون عاطفة جملة على جملة وتقديره هذا كتاب أنزلناه اليك فلا يكن بعد إنزاله في صدرك حرج والآخر ان يكون جوابا وتقديره إذا كان أنزل اليك الكتاب لتنذر به فلا يكن في صدرك حرج منه فيكون محمولا على معنى اذا و ذكرى قال الزجاج يصلح أن يكون في موضع نصب ورفع وخفض فالنصب على قوله أنزل اليك لتنذر به ولتذكر به ذكرى لأن في الانذار معنى التذكير وهذا كما يقال جئتك للإحسان وشوقا اليك فيكون مفعولا له واما الرفع فلي تقدير وهو ذكرى واما الخفض فلي معنى لتنذر فإن معنى لتنذر لأن تنذر فيكون تقديره للإنذار ولذا كره قال علي بن عيسى وهذا الوجه ضعيف لأنه لا يجوز أن يحمل الجر على التأويل كما لا يجوز مررت به وزيد

— * المعنى * —

(المص) مضى تفسيره وما قيل فيه (كتاب أنزل اليك) أي هذا الذي أوحته اليك كتاب أنزل اليك أي أنزله الملائكة اليك بأمر الله تعالى (فلا يكن في صدرك حرج منه) ذكر في معناه اقوال * احدها * ما ذكره الحسن ان معنى الحرج الضيق فمعناه ولا يضيقت صدرك لتشعب الفكر خوفا من ان لا تقوم بتبليغ ما أنزل اليك حق القيام فليس عليك اكثر من الانذار * وثانيها * ان معنى الحرج الشك عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي فمعناه فلا يكن في صدرك شك فيما يلزمك من القيام بحقه فإنما أنزل اليك لتنذر به * وثالثها * ان معناه فلا يضيقت صدرك من قومك ان يكذبوك ويجهوك بالسوء فيا أنزل اليك كما قال سبحانه فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا عن الفراء وقد روي في الخبر ان الله تعالى لما أنزل القرآن إلى رسول الله (ص) قال إني أخشى ان يكذبني الناس ويشلقوا رأسي فيتركوه كالخبيزة فأزال الله الحروف عنه بهذه الآية وقوله (لتنذر به) أي بالقرآن قال الفراء والزجاج واكثر العلماء انه على التقديم والتأخير وتقديره كتاب أنزل اليك لتنذر به (و ذكرى للمؤمنين) فلا يكن في صدرك حرج منه وقال آخرون هو متصل بقوله فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به * أي كن على انشراح صدر بالانذار ومعناه التخوف بوعده ووعيدته وامثاله وامره ونهيه وليذكروا بما فيه وإنما خص المؤمنين لأنهم المتفهمون به ثم خاطب الله سبحانه المكلفين فقال (اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم) ويحتمل ان يكون المراد قل لهم يا محمد اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم لأنه قال قبل لتنذر به والاتباع تصرف الثاني بتصرف الأول وتدبيره بتدبيره فالأول إمام والثاني موتم ووجوب الاتباع فيما أنزل الله تعالى يدخل فيه الواجب والندب والمباح لأنه يجب ان يعتقد في كل منها ما امر الله سبحانه به كما يجب ان يعتقد في الحرام وجوب اجتنابه (ولا تتبعوا من دونه اولياء) أي ولا تتخذوا غيره اولياء تطيعونهم في معصية الله لأن من لا يتبع القرآن صار متبعا لغير الله من الشيطان والأوثان فأمر سبحانه باتباع القرآن ونهى عن اتباع الشيطان ليعلموا ان اتباع القرآن اتباع له سبحانه (قليلا ما تذكرون) أي قليلا يأمشرون المشركين تذكركم واتماظكم وهذا استبطاء في التذكير وخرج مخرج الخبر والمراد به الامر فمعناه تذكروا كثيرا

ما يلزمكم من امر دينكم وما اوجه الله عليكم ومعنى التذكر ان يأخذ في الذكر شيئا بمدشي مثل التفقه والتعلم
قوله تعالى (٤) وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَبَاءَهَا بَأْسًا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ (٥) فَمَا كَانَ
دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (آيتان)

- الاعراب -

كم لفظه موضوعة للتكثير ورب للتقليل وإنما كان كذلك لأن رب حرف وكم اسم والتقليل ضرب
من النفي وكم يدخل في الخبر بمعنى التكثير فأما في الاستفهام فلا لأن الاستفهام موكول إلى بيان المجيب
وإنما دخلها التكثير لأن استفهام العدد عن ان يظهر او يضبط وإنما يكون لكثرة في غالب الأمر وكم
مبهمة قال الفرزدق

كَمْ عَمَّةٍ لَكَ يَا جَرِيرُ وَخَالَةٍ
فَدَعَا. قَدْ حَلَبْتَ عَلِيَّ عِشَارِي

فدل بكم على كثرة العمات والخالات وموضع كم في الآية رفع بالابتداء وخبرها اهلكناها ولو جعلتها
في موضع نصب جاز كما تقول في قوله سبحانه انا كل شيء خلقناه بقدر والاول اجود وقيل في دخول
الفاء في قوله فبأها بأسنا بيانا مع ان الفاء للتعقيب اقوال * احدها * اهلكناها في حكمنا فبأها بأسنا
* والثاني * اهلكناها بإرسال ملائكة العذاب اليها فبأها بأسنا * والثالث * انه مثل زرتني فاكرمتني
فإن نفس الإكرام هي الزيارة قال علي بن عيسى وليس هذا مثل ذلك لأن هذا إنما جاز لأنه قصد
الزيارة ثم الإكرام بها * والرابع * اهلكناها فصح انه جاءها بأسنا وقال الفراء ان الفاء هنا بمعنى
الواو ورد عليه علي بن عيسى بأنه نقل حرف عن معناه بغير دليل وذلك لا يجوز وقوله او هم قائلون قال
الفراء او الحال مقدرة فيه وتقديره او هم قائلون وإنما حذف استخفافا قال الزجاج وهذا لا يحتاج إلى
ضمير الواو ولو قلت جاءني زيد راجلا او هو فارس او جاءني زيد هو فارس لم يحتاج إلى واو لأن الذكر
قد عاد إلى الاول ومعنى بيانا اي ليلا يقال بات بيانا حسنا وبيته حسنة والمصدر في الاصل بات بيتا وإنما
سمي البيت بيتا لأنه يصلح للمبيت فعنى او هم قائلون اي او جاءهم بأسنا نهارا في وقت القائلة فأو دخلت
ها هنا على جهة تصرف الشيء ووقوعه وأما مرة كذا فهي في الخبرها هنا بمنزلة او في الإباحة إذا قلت جالس
الحسن او ابن سيرين أي كل واحد منها اهل أن يجالس وأو ها هنا احسن من الواو لأن الواو بتضمن
اجتماع الشبثين لو قلت ضربت القوم قياما وقعودا لا وجبت الواو انك ضربتهم وهم على هاتين الحالتين
ولو قلت ضربتهم قياما او ضربتهم قعودا ولم تكن شاكا فإنها المعنى انك ضربتهم مرة على هذه الحال ومرة
على هذه الحال وأقول أن الاولى أن يكون بيانا مصدرا وضع موضع الحال فيكون بمعنى بائين او قائلين
فيكون حالا عن الماء والميم في جاءهم وموضع ان قالوا الاختيار أن يكون رفا وأن يكون دعواهم في موضع
نصب كقوله وما كان جواب قومه إلا أن قالوا ويجوز أن يكون في موضع نصب ويكون الدعوى في
موضع رفع إلا أن الدعوى إذا كانت في موضع رفع فلا كثر في اللفظ فا كانت دعواهم كذا لأن الدعوى
موتنة وهي اسم لما تدعيه وتصلح أن تكون بمعنى الدعاء حكى سيبويه اللهم اشر كنا في صالح دعوى
المسلمين وانشد (وَلْتَدْعُواهَا كَثِيرٌ صَخْبُهُ) اي دعاؤها^(٣)

(١) الفدح : اعوجاج الرسغ من اليد او الرجل حتى ينقلب الكف او القدم الى انسيها . المشار جمع عشراء
الناقة التي أتت عليها من يوم أرسل عليها الفحل عشرة أشهر (٢) [اما مرة كذا] . (٣) المصعب : شدة الصوت .

- المعنى -

لما تقدم الامر منه سبحانه للمكلفين باتباع القرآن والتحذير من مخالفته والذكري عقب ذلك بتذكيرهم ما نزل بمن قبلهم من العذاب وتحذيرهم ان ينزل بهم ما نزل بأولئك فقال (وكم من قرية) أي من أهل قرية فحذف المضاف لدلالة الكلام عليه (اهلكتناها) بعذاب الاستئصال (فجاءها بأسنا) أي عذابنا (آياتنا) بالليل (أو هم قائلون) أي في وقت القيلولة وهي نصف النهار واصله الراحة ومنه الإقالة في البيع لانه الإراحة منه بالإعفاء من عقده والأخذ بالشدة في وقت الراحة اعظم في العقوبة فلذلك خص الوقتين بالذكر (فما كان دعواهم إذ جاءهم بأسنا) أي لم يكن دعاء هؤلاء الذين اهلكتناهم عقوبة لهم على معاصيهم وكفرهم في الوقت الذي جاءهم شدة عذابنا (إلا أن قالوا إنا كنا ظالمين) يعني اعترافهم بذلك على نفوسهم واقرارهم به وهذا القول كان منهم عند معاينة البأس والتيقن بأنه ينزل بهم ويجوز أن يكونوا قالوه حين لا يسهم طرف منه ولم يهلكوا بعد وفي هذا دلالة على ان الاعتراف والتوبة عند معاينة البأس لا ينفع

قوله تعالى (٦) فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ (٧) فَلَنَقْصِبَنَّهُمْ عَلَىٰ مَعْلَمٍ مَّا كَانُوا غَائِبِينَ (٨) وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ (أربع آيات)

✽ اللغة ✽

السؤال طلب الجواب بأدائه في الكلام كما ان الاستخبار طلب الخبر بأدائه في الكلام والقصص ما يتلو بعضه بعضاً ومنه المقص لأن قطعه يتلو بعضه بعضاً ومنه القصص من الشعر والقصة من الكتاب ومنه القصص لانه يتلو الجنابة في الاستحقاق ومنه المقاصة في الحق لأنه يسقط ماله قصاصاً بما عليه والوزن في اللغة هو مقابلة احد الشئين بالآخر حتى يظهر مقداره وقد استعمل في غير ذلك تشبيهاً به فمنها وزن الشعر بالعروض ومنها قوله فلان يزن كلامه وزناً قال الاخطل

وَإِذَا وَضَعْتَ أْبَاكَ فِي مِيزَانِهِمْ رُجِحُوا وَشَالَ أَبُوكَ فِي الْمِيزَانِ (١)

والحق وضع الشيء موضعه على وجه تقتضيه الحكمة وقد استعمل مصدراً على هذا المعنى وصفة كما جرى ذلك في المدل قال الله سبحانه ذلك بأن الله هو الحق فجرى على طريق الوصف والتقدير جازم من الاعتماد اللازم سقلاً وتقيضه الخفة وهي الاعتماد اللازم علواً

✽ الإعراب ✽

الفاء في قوله فلنساءن عاطفة جملة على جملة وإنا دخلت الفاء وهي موجبة للتعقيب مع تراخي ما بين الأول والثاني وذلك يليق بتم تقريبات ما بينهما كما قال سبحانه اقتربت الساعة وقال وما امر الساعة إلا كلمح البصر أو هو اقرب وقال أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين وإذا ظرف المفاجأة وبينها بعد يومئذ يجوز فيه الإعراب والبناء لأن إضافته الي مبني إضافة غير محضة تقربه من الاسماء المركبة وإضافته الي الجملة تقربه من الإضافة الحقيقية وتوّن إذ لانه قد قطع عن الإضافة اذ من شأن التنوين ان يعاقب الإضافة

(١) البقس : القراض . (٢) شال ميزان فلان : غلب في المغامرة . (٣) أي بين الجملتين اعني خلقه من النطفة وصيرورته خصماً

* المعنى *

ولما أنذرهم سبحانه بالمذاب في الدنيا عقبه بالانذار بعذاب الآخرة فقال (فلنسلن الذين ارسل اليهم ولنسلن المرسلين) اقسام الله سبحانه انه يسأل المكلفين الذين ارسل اليهم رسله واقسم ايضا انه يسأل المرسلين الذين بعثهم فيسأل هؤلاء عن الابلاغ ويسأل أولئك عن الامثال وهو تعالى وإن كان عالماً بما كان منهم فإنما أخرج الكلام مخرج التهديد والزجر ليتأهب العباد بحسن الاستعداد لذلك السؤال وقيل انه يسأل الأمم عن الإجابة ويسأل الرسل ماذا عملت أمهم فيما جاؤا به وقيل ان الأمم يسألون سؤال توبيخ والانبيا يسألون سؤال شهادة على الحق عن الحسن واما فائدة السؤال فاشياء منها أن يعلم الخلائق انه سبحانه ارسل الرسل وأزاح العلة وانه لا يظلم احداً ومنها ان يهلموا ان الكفار استحقوا المذاب بأفعالهم ومنها ان يزداد سرور أهل الإيمان بالثناء الجميل عليهم ويزداد غم الكفار بما يظهر من افعالهم القبيحة ومنها ان ذلك لطف للمكلفين إذا أخبروا به وبما يسأل على هذا أن يقال كيف يجمع بين قوله تعالى ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون فيومثذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان وقوله فلنسلن الذين ارسل اليهم فوربك لنسئلتهم اجمعين والجواب عنه من وجوه * احدها * انه سبحانه نفى ان يسألهم سؤال استرشاد واستعلام وإنما يسألهم سؤال تبيخ وتقريع ولذلك قال عقبيه يعرف المجرمون بسيماهم وسؤال الاستعلام مثل قولك أين زيد ومن عندك وهذا لا يجوز على الله سبحانه وسؤال التوبيخ والتقريع كن يقول ألم أحسن اليك فكفرت نعمتي ومنه قوله ألم اعهد اليكم يا بني آدم ألم تكن آياتي تتلى عليكم وكقول الشاعر (أطرباً وَاِنَّتَ قَسْرِي) أي كبير السن وهذا توبيخ منه لنفسه أي كيف اطرب مع الكبر والشيب وقد يكون السؤال للتقريع كقول الشاعر

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بَطُونٌ رَاحٌ

أي أنتم كذلك وفي ضده قوله « وهل يصلح المطار ما أفسد الدهر » أي لا يصلح واما سؤال المرسلين فليس بتقريع ولا توبيخ لهم ولكنه توبيخ للكفار وتقريع لهم « وثانيها » انهم إنما يسألون يوم القيامة كما قال وقفوم انهم مسؤلون ثم تنقطع مسألتهم عند حصولهم في العقوبة وعند دخولهم النار فلا تنافي بين الخبرين بل هو اثبات للسؤال في وقت ونفي له في وقت آخر * وثالثها * ان في القيامة مواقف ففي بعضها يسأل وفي بعضها لا يسأل فلا تضاد بين الآيات واما الجمع بين قوله فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون وقوله وا قبل بعضهم على بعض يتساءلون فهو ان الأول ومعناه لا يسأل بعضهم بعضا سؤال استخبار عن الحال التي جعلها بعضهم لتشاغلهم عن ذلك ولكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه والثاني معناه يسأل بعضهم بعضا سؤال تلاوم وتوبيخ كما قال في موضع آخر يتلاومون وكقوله نحن صدقناكم عن الهدى الآية ومثل ذلك كثير في القرآن ثم بين سبحانه ما ذكرناه من انه لا يسألهم سؤال استعلام بقوله (فلنقصن عليهم) أي لنخبرنهم بجميع افعالهم ليعلموا أن اعمالهم كانت محفوظة ويعلم كل منهم جزاء عمله وانه لا ظلم عليه ول يظهر لأهل الموقف احوالهم (يعلم) قيل معناه نقص عليهم اعمالهم بأنا عالمون بها وقيل معناه يعلمون كما قال ولا يحيطون بشيء من علمه أي من معلومه وقال ابن عباس معنى قوله فلنقصن عليهم يعلم ينطق عليهم كتاب اعمالهم كقوله تعالى هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق (وما كنا غائبين) عن علم ذلك وقيل عن الرسل فيما بلغوا وعن

(١) المطايا جمع المطية : العاقبة . الاندى افضل التفضيل من الندى وهو الجود الراح جمع الراحة : الكف .

(٢) اوله « تروح الى المطار تبني شبابها »

الأمم فيما أحبوا وذكر ذلك مؤكدا لعله بأحوالهم والمعنى انه لا يخفى عليه شيء (والوزن يومئذ الحق) ذكر فيه اقوال « احدها » ان الوزن عبارة عن العدل في الآخرة وانه لا ظلم فيها على احد عن مجاهد والضحاك وهو قول البلخي « وثانيها » ان الله ينصب ميزانا له لسان وكفتان يوم القيامة فتوزن به اعمال العباد الحسنات والسيئات عن ابن عباس والحسن وبه قول الجبائي ثم اختلفوا في كيفية الوزن لان الاعمال اغراض لا يجوز عليها الإعادة ولا يكون لها وزن ولا تقوم بأنفسها فتقبل توزن صحائف الاعمال عن عبد الله بن عمر وجماعة وقيل يظهر علامات للحسنات وعلامات للسيئات في الكفتين فيراها الناس عن الجبائي وقيل يظهر للحسنات صورة حسنة والسيئات صورة سيئة عن ابن عباس وقيل توزن نفس المؤمن والكافر عن عبيد بن عمير قول بوثق بالرجل العظيم الجثة فلا يزن جناح بعوضة « وثالثها » ان المراد بالوزن ظهور مقدار المؤمن في العظم ومقدار الكافر في الذل كما قال سبحانه فلا تقيم لهم يوم القيامة وزنا فمن أتى بالعمل الصالح الذي يثقل وزنه أي بمظم قدره فقد أفلح ومن أتى بالعمل السي الذي لا وزن له ولا قبعة فقد خسر عن ابي مسلم وأحسن الأقوال القول الأول وبعده الثاني وإنما قلنا ذلك لأنه اشتهر من العرب قولهم كلام فلان موزون وافعاله موزونة يريدون بذلك انها واقعة بحسب الحاجة لا تكون ناقصة عنها ولا زائدة عليها زيادة مضرّة او داخلية في باب العيب قال مالك بن اساء الفزاري

وَحَدِيثُ الذِّهْنِ هُوَ مِثْلُ
مَنْطِقِ صَائِبٍ وَيَلْحَنُ أَحْبَابًا
بَنَيْتُ النَّاعِتُونَ يُوَزَّرُونَ وَزَنًا
نَا وَخَيْرُ الْحَدِيثِ مَا كَانَ لِحْنًا

أي يعرض في الكلام ولا يصرح به وقبل انه من اللحن الذي هو سرعة الفهم والفظنة وعلى هذا فيكون معنى الوزن انه قام في النفس مساويا لغيره كما يقوم الوزن في مرآة العين كذلك واما حسن القول الثاني فلمرعاة الخبر الوارد فيه والجرى على ظاهره (فمن ثقلت موازينه) وإنما جمع الموازين لأنه يجوز ان يكون لكل نوع من انواع الطاعات يوم القيامة ميزان ويجوز ان يكون كل ميزان صنفاً من اصناف اعماله ويؤيد هذا ما جاء في الخبر أن الصلاة ميزان فمن وفى استوفى (فأولئك هم المفلحون) أي الفائزون بثواب الله (ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم) بأن استحقوا عذاب الأبد « بما كانوا بآياتنا يظلمون » أي بجهودهم بما جاء به محمد (ص) من آياتنا وحججنا والخسران ذهاب رأس المال ومن اعظم رأس المال النفس فإذا أهلك نفسه بسوء عمله فقد خسر نفسه

قوله تعالى (١٠) وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ
(١١) وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ
لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ . (آياتان)

== « القراءة » ==

قرأ كل القراء معايش بغير همز وروى بعضهم عن نافع معاش ممدودا مهموزا

== « الحجة » ==

قال ابو علي معايش جمع معيشة واعتل معيشة لأنه على وزن يعيش وزيادته زيادة تخنص الاسم دون

الفعل فلم يحتاج إلى الفصل بين الاسم والفعل كما احتيج اليه فيما كانت زيادته مشتركة نحو الهمزة في اخاف وهو اخوف منك ومواقفة الاسم لبناء الفعل توجب في الاسم الاعلال الا ترى انهم اعلوا باباً وناباً ويوم راح لما كاتب على وزن الفعل وصححوا نحو جول وغيبة ولومة لما لم تكن على مثال الفعل فمعيشه موافقة للفعل في البناء الا ترى انه مثل يعيش في الزنة وتكسيرها يزبل مشابهته في البناء فقد علمت بذلك زوال المعنى الموجب للاعلال في الواحد في الجمع فلزم التصحيح في التكسير لزوال المشابهة في اللفظ ولأن التكسير معنى لا يكون في الفعل إنما يختص به الاسم وإذا كانوا قد صححوا نحو الجولان والهيان مع قيام بناء الفعل فيه لما لحقه من الزيادة التي يختص بها الاسم فتصحيح قولهم معاش الذي قد زال مشابهة الفعل عنه في اللفظ والمعنى لا اشكال فيه وفي وجوب العدل عن اعلاله ومن أعلّ فهمز فمجازه على وجه اللفظ وهو ان معيشة على وزن مصيبة فتوهمها فعيلة فهمزها كما همز مصائب ومثل ذلك ما يحمل على الناطق قولهم في جمع مسبل امسلة فتوهموه فعيلة وإنما هو مفعلة وذكر المحققون ان الهمزة في هذه الياء إنما تكون إذا كانت زائدة نحو صحيفة وصحائف وإنما يهمل الياء الزائدة لانه لا حظ لها في الحركة وقد قربت من آخر الكلمة ولزمتها الحركة فأوجبوا فيها الهمزة وإذا جمعت مقاما قلت مقاوم وانشدوا

وَإِنِّي لَقَوَّامٌ مَّقَاوِمَ لَمْ يَكُنْ جَرِيرٌ وَلَا مَوْلَى جَرِيرٍ يَقُومُهَا

﴿ اللينة ﴾

التمكين اعطاء ما يصح به الفعل مع رفع المنع لأن الفعل كما يحتاج إلى القدرة فقد يحتاج إلى آلة وإلى دلالة وإلى سبب ويحتاج إلى ارتفاع المنع فالتمكين عبارة عن جميع ذلك والجعل إيجاد ما به يكون الشيء على خلاف ما كان عليه مثل ان تقول جعلت الساكن متحرراً كأنك فعلت فيه الحركة ونظيره التصيير وجعل الشيء اعم من حدوثه لأنه قد يكون بحدوث غيره ما يتغير به والمعيشة ما يكون وصلة إلى ما فيه الحياة من جهة المطعم والمشرب والملبس والخلق احداث الشيء على تقدير تقتضيه الحكمة والتصوير جعل الشيء على صورة من الصور والصورة بنية مقومة على هيئة ظاهرة والسجود اصله الانخفاض وحقيقته وضع الجبهة على الأرض

﴿ الاعراب ﴾

قليلاً نصب بتشكرون وتقديره تشكرون قليلاً وما زائدة ويجوز ان يكون ما مع ما بعدها بمنزلة المصدر فيكون تقديره قليلاً شكركم

﴿ المعنى ﴾

ثم ذكر سبحانه نعمه على البشر بالتمكين في الأرض وما خلق فيها من الارزاق مضافة إلى نعمه السابقة عليهم بانزال الكتب وارسال الرسل فقال (ولقد مكناكم في الارض) اي مكناكم من التصرف فيها وملكناكموها وجعلناها لكم قراراً (وجعلنا لكم فيها معاش) اي ما تعيشون به من انواع الرزق ووجوه النعم والمنافع وقيل يريد المكاسب والاقدار عليها بالعلم والقدرة والآلات (قليلاً ما تشكرون) اي ثم انتم مع هذه النعم التي انعمناها عليكم لتشكروا قد قل شكركم ثم ذكر سبحانه نعمته في ابتداء الخلق فقال (ولقد خلقناكم ثم صورناكم) قال الامحفش ثم هاهنا في معنى الواو وقال الزجاج وهذا خطأ لا يبيزه الخليل

وسبويه وجميع من يوثق بعلمه إنما ثم للشيء الذي يكون بعد المذكور قبله لا غير وإنما المعنى في هذا الخطاب ذكر ابتداء الخلق أولاً فالمراد أنابدأنا خلق آدم ثم صورناه فابتداء خلق آدم (ع) من التراب ثم وقعت الصورة بعد ذلك فهذا معنى خلقناكم ثم صورناكم (ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) بعد الفراغ من خلق آدم فثم وإنما هو لما بعد وهذا مروى عن الحسن ومن كلام العرب فلننا بكم كذا وكذا وهم يعنون أسلافهم وفي التنزيل وإذا أخذنا ميثاقكم ورفضنا فوقكم الطور أي ميثاق أسلافكم وقد قيل في ذلك أقوال أخر منها أن معناه خلقنا آدم ثم صورناكم في ظهره ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم عن ابن عباس ومجاهد والربيع وقتادة والسدي ومنها أن الترتيب وقع في الأخبار فكانه قال خلقناكم ثم صورناكم ثم انا نخبركم إنما قلنا للملائكة اسجدوا لآدم كما يقول القائل انا راجل ثم انا مسرع وهذا قول جماعة من النحويين منهم علي بن عيسى والقاضي أبو سعيد السيرافي وغيرهما على هذا فقد قيل إن المعنى خلقناكم في أصلاب الرجال ثم صورناكم في أرحام النساء عن عكرمة وقيل خلقناكم في الرحم ثم صورناكم بشق السمع والبصر وسائر الأعضاء عن يمان وقول الشاعر

سَأَلْتُ رَبِيعَةَ مِنْ خَيْرِهَا أَبَا تَمَّ أُمَّتًا فَقَالَتْ لِيْهِ

فمعناه للجبب أولاً عن الأب ثم الاموقوله (فسجدوا إلا ابليس لم يكن من الساجدين)

قد مضى الكلام فيه في سورة البقرة

قوله تعالى (١٢) قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (١٣) قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَّكِبَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ (آياتان)

❖ اللفظة ❖

الصاغر الذليل بصغر القدر يقال صغر بصغر صغراً وصغراً فهو صاغر إذا رضي بالضيم ومن الصغر ضد الكبر صغر يصغر قال ابن السكيت يقال فلان صغرة ولد أبيه أي اصغرهم

❖ الأعراب ❖

ما في قوله ما منعك مرفوع الموضع والمعنى أي شيء منعك ولا ملني في قوله ألا تسجد المعنى ما منعك أن تسجد ومثله قوله سبحانه لتلا يعلم ومعناه لأن يعلم وقال الشاعر

أَبِي جُودِهِ لَا الْبُخْلَ وَاسْتَعْجَلَتْ بِهِ نَعَمٌ مِنْ فِتْنِي لَا يَمْنَعُ الْجُودُ قَاتِلَهُ (١)

قالوا معناه أبي جوده البخل وقال أبو عمرو بن العلاء الرواية أبي جوده لا البخل بالجر والمعنى أبي جوده لا التي تبخل الإنسان قال الزجاج وروى فيه وجهاً آخر حسناً وهو أن يكون لا غير لئو ويكون البخل منصوباً بدلاً من لا والمعنى أبي جوده لا التي هي البخل فكانه قال أبي جوده البخل وقد قيل إنما دخل لا في قوله ألا تسجد لأن معناه ما دعاك إلى أن لا تسجد أو ما أحوجك إلى أن لا تسجد

— المعنى —

ثم حكى سبحانه خطابه لآبليس حين امتنع من السجود لآدم بقوله (قال) أي قال الله تعالى (ما منعك أن لا تسجد) أي ما دعاك إلى أن لا تسجد وما اضطرك إليه أو ما منعك أن تسجد (إذ أمرتك) بالسجود

لا دم (قال) ابليس (انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين) وهذا الجواب غير مطابق لانه كان يجب ان يقول معني كذا لان قوله انا خير منه جواب لمن يقول ايتك اخير ولكن فيه معنى الجواب ويجري ذلك مجرى ان يقول القائل لغيره كيف كنت فيقول انا صالح وكان يجب ان يقول كنت صالحا لكنه جاز ذلك لانه افاد انه صالح في الحال مع انه كان صالحا فيما مضى قال ابن عباس اول من قاس ابليس فأخطأ القياس فمن قاس الدين بشي من رايه قرنه الله بابليس وقال ابن سيرين اول من قاس ابليس وما عبت الشمس والقمر الا بالمقاييس ووجه دخول الشبهة على ابليس انه ظن ان النار اذا كانت اشرف من الطين لم يجوز ان يسجد الاشرف للأدون وهذا خطأ لأن ذلك تابع لما يعلم الله سبحانه من مصالح العباد وقد قيل ايضا ان الطين خير من النار لانه اكثر منافع للخلق من حيث ان الارض مستقر الخلق وفيها معاشهم ومنها يخرج انواع ارزاقهم والخيرية انما يراد بها كثرة المنافع دون كثرة الثواب لأن الثواب لا يكون الا للمكلف المأمور دون الجواد (قال) اي قال الله سبحانه لابليس (فاهبط) اي انزل وانحدر (منها) اي من السماء عن الحسن وقيل من الجنة وقيل معناه انزل عما انت عليه من الدرجة الرفيعة والمنزلة الشريفة التي هي درجة متبعي امر الله سبحانه وحافظي حدوده إلى الدرجة الدنيا التي هي درجة العاصين المضيعين امر الله (فايكون لك ان تتكبر) عن امر الله (فيها) اي في الجنة او في السماء فانها ليست بموضع المتكبرين وانما موضعهم النار كما قال اليس في جهنم مثوى للمتكبرين (فاخرج) من المكان الذي انت فيه او المنزلة التي انت عليها (انك من الصاغرين) اي من الأذلاء بالمصيبة في الدنيا لأن العاصي ذليل عند من عصاه او بالعباد في الآخرة لأن المعبذب ذليل وهذا الكلام انما صدر من الله سبحانه على لسان بعض الملائكة عن الجائي وقيل ان ابليس رأى معجزة تدل على ان ذلك كلام الله وقوله سبحانه فا يكون لك ان تتكبر فيها لا يدل على انه يجوز التكبر في غير الجنة فان التكبر لا يجوز على حال لانه اظهار كبر النفس على جميع الاشياء وهذا في صفة العباد ذم وفي صفة الله سبحانه مدح الا ان ابليس تكبر على الله سبحانه في الجنة فاخرج منها قسرا ومن تكبر خارج الجنة منع من ذلك بالامر والذم

قوله تعالى (١٤) قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يَبْعَثُونَ (١٥) قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ (١٦) قَالَ فِيمَا أُغْوِيَنِّي لِأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٧) ثُمَّ لَا تَجِدُنَّهُمْ فِي بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (أربع آيات)

— اللغة —

الانظار والامهال والتأخير والتأجيل نظائر وبينها فروق وضد الامهال الاعجال والبعث الاطلاق في الأض والانبعاث الانطلاق والبعث والحشر والنشر والجمع نظائر

✽ الاعراب ✽

لا تعدن جواب القسم والقسم محذوف لأن غرضه بالكلام التأكيد وهو ضد قوله ص والقرآن ذي الذكر فإنه حذف الجواب هناك وبقي القسم لأن الفرض تعظيم المقسم به ونصب صراطك على الحذف دون الظرف وتقديره على صراطك كما قيل ضرب زيد الظهر والبطن اي على الظهر والبطن قال الشاعر

لَدُنْ بِهِزِ الْكَفِّ يَعْسَلُ مَتْنُهُ فِيهِ كَأُ عَسَلِ الطَّرِيقِ الشَّلْبِ (١)

وقال آخر

كَأَنِّي إِذَا اسْمَعُ لِأظْفَرِ طَائِرًا مَعَ النَّجْمِ فِي جَوِّ السَّهَاءِ يَصُوبُ (٢)

اي لاظفر على طائر

- المعنى -

(قال) يعني ابليس (انظرني) اي امهني وأخبرني في الأجل ولا تمنني (الي يوم يبعثون) اي يبعث الخلق من قبورهم للجزاء وقيل معناه أنظرني في الجزاء الي يوم القيامة فكأنه خاف ان يعاجله الله سبحانه بالعقوبة يدل عليه قوله الي يوم يبعثون ولم يقل الي يوم يموتون ومعلوم ان الله تعالى لا يُبقي أحداً حياً الي يوم القيامة قال الكلبي أراد الخبيث ان لا يذوق الموت في النفخة الأولى مع من يموت فأجيب بالانظار الي يوم الوقت المعلوم وهي النفخة الأولى ليذوق الموت بين النفختين وهو اربعون سنة وأما الوجه في مسألة ابليس الانظار مع علمه بأنه مطرود ملعون فملمه بأنه سبحانه يظاهر الي عباده بالنعيم ويعتمدهم بالفضل والكرم فلم يصرفه ارتكابه المعصية عن المسألة والطمع في الإجابة (قال) اي قال الله سبحانه لا ابليس (انك من المنظرين) اي من المؤخرين (قال) ابليس لما لعنه الله وطرده ثم سأله الانظار فأجابه الله تعالى الي شيء منه (فيما اغويته) اي فبالذي اغويته قيل في معناه أقوال * احدها * ان معناه بماخيتني من رحمتك وجنتك كما قال الشاعر

فَمَنْ يَلْقَ خَيْرَ أَيَّحَمَّدَ النَّاسِ أَمْرَهُ وَمَنْ يَغْوِ لَا يَئِدِمُ عَلَى الْغَيِّ لِأَيَّمَا

اي من يحب * وثالثها * ان المراد امتحتني بالسجود لا دم فغويت عنده فلذلك قال اغويته كما قال فزادتهم رجسا الي رجسهم * وثالثها * ان معناه حكمت بغوايتي كما يقال أضلتني اي حكمت بضلالي عن ابن عباس وابن زيد - ورابعها - ان معناه اهلكتني بلعنك اباي كما قال الشاعر

مُعْطَفَةُ الْإِتْنَاءِ لَيْسَ فَصِيلُهَا بَرَازُهَا دَرًّا وَلَا مَيْتَ غَوِيٍّ (٣)

اي ولا ميت هلاكاً بالقعود عن شرب اللبن ومنه قوله فسوف يلقون غيا اي هلاكاً وقالوا غوى الفصيل اذا فقد اللبن فمات والمصدر غوى مقصور - وخامسها - ان يكون الكلام على ظاهره من الغواية ولا يبعد ان يكون ابليس قد اعتقد ان الله تعالى يغوي الخلق بأن يضلهم ويكون ذلك من جملة ما كان اعتقده من الشر (لا تعدن) اي لا تجلسن (لهم) اي لا اولاد آدم (صراطك المستقيم) اي على طريقك المستوي وهو طريق الحق لا صدنهم عنه بالاغواء حتى اصرفهم الي طريق الباطل كيدا لهم وعداوة وقول من قال انه لو كان ما يفعل به الايمان هو بعينه ما يفعل به الكفر لكان قوله فيما اغويته مساوياً لقوله فيما أضلحتني يفسد بأن صفة الآلة اذا وقع بها الكفر خلاف صفتها اذا وقع بها الايمان وان كانت الآلة واحدة كما ان السيف واحد ويصلح لأن يستعمل في قتل المؤمن كما يصلح أن يستعمل في قتل الكافر ولا يجب من ذلك ان تكون الصفتان واحدة من أجل انه واحد فلا يمتنع ان يكون متى استعملت آلة الايمان في الضلال والكفر تسمى اغواء وان استعمل في الايمان سميت هداية وان كان ما يصح به الايمان هو بعينه ما يصح به الكفر والضلال (ثم لا تبينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شاكلهم) قيل في ذلك أقوال = احدها = ان المعنى من قبل دنياهم

(١) اللدن: اللين من كل شيء. وعسل الرمح: اضطرب واشتد اهتزازة ورمح عاسل: بهترليناً. يصف الشاعر رمحه.
(٢) الصوب: الحبل والنزول (٣) الاتناء جمع النتي: الناقة التي ولدت بطنين ويقال لولدها ايضاً النتي. عطف الشيء: اماله. قوس معطفة منحنية قال في اللسان وربما عطفوا عدة ذود على فصيل واحد فاحتلبوا البانين على ذلك ليدررن. الرزة: النقيس والفقد. الدر: اللبن وقال فيه يصف قوساً يعني القوس وسهياً رمى به عنها وهذا من اللغز.

وأخرتهم ومن جهة حسناتهم وسيئاتهم عن ابن عباس وقادة والسدي وابن جريج وتلخيصه اني ازين لهم الدنيا وأخوفهم بالفقر وأقول لهم لا جنة ولا نار ولا بعث ولا حساب وأبطلهم عن الحسنات واشغلهم عنها وأحبب اليهم السيئات وأحثهم عليها قال ابن عباس وإنما لم يقل ومن فوقهم لأن فوقهم جهة نزول الرحمة من السماء فلا سبيل له الى ذلك ولم يقل من تحت ارجلهم لأن الاقيان منه موحش = وثانيها = ان معنى من بين ايديهم وعن ايمانهم من حيث يبصرون ومن خلفهم وعن شائلتهم من حيث لا يبصرون عن مجاهد = وثالثها = ما روي عن ابي جعفر (ع) قال **ثلاث تبتهم من بين ايديهم** معناه أهون عليهم أمر الآخرة ومن خلفهم أمرهم بجمع الأموال والبخل بها عن الحقوق لتبقى لورثتهم وعن ايمانهم أفسد عليهم أمر دينهم بتزيين الضلالة وتحسين الشبهة وعن شائلتهم بتحبيب الذات اليهم وتغليب الشهوات على قلوبهم وإنما دخلت من في القدام والخلف وعن في اليمين والشمال لأن في القدام والخلف معنى طلب النهاية وفي اليمين والشمال الانحراف عن الجهة (ولا تجد اكثرهم شاكرين) هذا اخبار من ابليس ان الله تعالى لا يجد اكثر خلقه شاكرين وقيل انه يمكن ان يكون قد قال ذلك من أحد وجهين إما من جهة الملائكة بأخبار الله تعالى اياهم وإما عن ظن منه كما قال سبحانه ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فإنه لما استزل آدم ظن ان ذريته ايضا سيجيونوه لكونهم أضعف منه والقول الأول اختيار الجبائي والثاني عن الحسن وأبي مسلم

قوله تعالى (١٨) **قَالَ أَخْرَجْ مِنْهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ نَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ** (١٩) **وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ** (٢٠) **فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَا كَمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ** (٢١) **وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لِنَ النَّاصِحِينَ** (اربع آيات)

✽ القراءة ✽

في الشواذ قراءة الزهري مذوما على تخفيف الهمزة وقرأ ابو جعفر وشيبة سواتها بتشديد الواو وهو قراءة الحسن والزهري وقرأ ابن محبض عن هذي الشجرة

✽ اللمحة ✽

الوجه في تخفيف السوات انه يحذف الهمزة ويقتي حركتها على الواو فيقال السوة ومنهم من يقول السوة وهو ارداء اللتين وأما هذي الشجرة فانه الاصل في الكلمة وإنما الهاء في ذه بدل من الياء في ذي وأما الياء اللاحقة بعد الهاء في هذه ونحوه فزائدة لحقت بعد الهاء تشبيها لها بهاء الاضمار في نحو مررت بهي

✽ اللمة ✽

الذام والذيم اشد العيب يقال ذامه يذامه ذاما فهو مذوم وذامه يذم ذمًا وذاما فهو مذم قال الشاعر
صَحِبْتُكَ إِذْ عَيَّنِي عَلَيْهَا غِشَاوَةٌ فَلَمَّا انجَلَّتْ قَطَعْتَ نَفْسِي اذْيَهَا
وفي رواية الومها والذجر الدفع على وجه الهوان والاذلال دحره يدحره دحرا ودحورا والوسوسة الدعاء الى أمر بصوت خفي كالهنمة والحشخشة قال روضة

وَسَوَسَّ يَدْعُو مُخْلِصاً رَبَّ الْفَلَقِ سِرّاً وَقَدْ أَوْيَنَ الْمُعَقِّ (١)

وقال الأعشى

تَسْمَعُ لِلْحَلِيِّ وَسَوَاساً إِذَا أَنْصَرَفَتْ كَمَا اسْتَعَانَ بِرِيحِ عَشْرِقٍ زَجِيلٍ (٢)

والإبداء الأظهار وهو جعل الشيء على صفة ما يصح أن يدرك وضده الأخفاء وكل شيء أزيل عنه الساتر فقد أبدى والمواراة جعل الشيء وراء ما يستتره ومثله المساترة وضده المكاشفة ولم يهمز ووري لأن الثانية مدة ولولا ذلك لوجب همز الواو المضمومة والسوأة الفرج لأنه يسوء صاحبه أظهاره وأصل القسم من القسمة قال الأعشى بني ثعلبة

رَضِيْعِي لِبَانٍ ثَدْيِي أُمَّ تَقَاسِمًا بِأَسْحَمٍ دَاجٍ عَوْضٌ لَا تَتَفَرَّقُ (٣)

والمقاسمة لا تكون إلا بين اثنين والقسم كأن من إبليس لا من آدم فهو من باب عاقبت الهمز وطارت النمل وعافاه الله وقيل إن في جميع ذلك معنى المقابلة فالمقابلة بمقابلة بالجزء وكذلك المعافاة بمقابلة المرض بالسلامة وكذلك المقاسمة مقابلة في المنازعة باليمين والنصح نقيض الغش يقال نصحتك انصحته وهو إخلاص الأفعال ضميره فيما يظهر من عمله

الإعراب

لمن تبعك منهم لأن اللام الأولى لام الابتداء والثانية لام القسم ومن للشرط وهو في موضع رفع بالإبتداء ولا يجوز أن يكون هنا بمعنى الذي لأنها لا تنقلب الماضي إلى الاستقبال وحذف الجزاء في قوله لمن تبعك لأن جواب القسم أولى بالذكر من حيث أنه في صدر الكلام ولو كان القسم في حشو الكلام لكان الجزاء أحق بالذكر من جواب القسم كقولك إن تاتي والله كرمك ويجوز أن تقول والله لمن جاءك اضربه بمعنى لا اضربه ولم يجز بمعنى لا اضربه كما يجوز والله أضرب زيدا بمعنى لا يضرب ولا يجوز بمعنى لا ضربين لأن الإيجاب لا بد فيه من نون التأكيد مع اللام وإنما قال منكم على التثنية للخطاب على الغيبة والمعنى لأن ملأ جهم منكم ومن تبعك منهم كما قاله في موضع آخر وقوله إلا أن تكونا تقديره الإكرهية أن تكونا ملكين فحذف المضارع فهو في موضع نصب بأنه مفعول له وقيل إن تقديره لأن لا تكونا ملكين فحذف لا والأول الصحيح وقوله أني لكما لمن الناصحين تقديره أني لكما ناصح ثم فسّر ذلك بقوله لمن الناصحين ولا يكون قوله لكما متعلقا بالناصحين لأن ما في الصلة لا يجوز أن يتقدم على الموصول ومثله قوله وأنا على ذلكم من الشاهدين وتقديره وأنا على ذلكم شاهد ويثني بقوله من الشاهدين

المعنى

ثم بين سبحانه ما فعله إبليس من الإهانة والاذلال وما أتاه آدم من الإكراه والجلال بقوله (قليل أخرج منها) أي من الجنة أو من السماء أو من المنزلة الرفيعة (مذموماً) أي مذموماً عن ابن زيد وقيل معيباً عن المبرد وقيل مهاناً لعيناً عن ابن عباس وقتادة (مدحوراً) أي مطروداً عن مجاهد والسدي (لمن تبعك منهم) أي من بني آدم معناه من اطاعك واقتدي بك من بني آدم (لأن ملأ جهم منكم) أي منك ومن ذريتك وكفار بني آدم (أجمعين) وإنما جمعهم في الخطاب لأنه لا يكون في جهم إلا إبليس وحزبه من الشياطين وكفار الإنس وضلالهم الذين اتقادوا له وتركوا أمر الله لاتباعه (وبآدم أسكن) أنت وزوجك الجنة) هذا اسم بالسكنى دون السكنون وإنما لم يقل وزوجتك لأن الإضافة إليه قد اغتت عن ذكره وأبانت عن معناه فكان الحذف أحسن لما فيه من الإيجاز من غير إخلال بالمعنى (فكلا من حيث شئت) أباح سبحانه لهما أن يأكلا من حيث

(١) أون العنار إذا أكل وشرب وامتلا بطنه وامتدت خاصرته فصار مثل اللون وهو العدل والخروج بجمل فيه الزاد . والمعق بضمين - جمع المعقوق : العامل من البهائم يصف حماداً ورد الماء فشرّب حتى امتلأت خواصره ؛ فصار الماء مثل الأذنين إذا عدلا على الدابة . (٢) الوسواس : جرس العلى . و إذا أنصرفت أي إذا أنقلبت إلى فراشها والشرق :

شَاءَ وَأَيْنَ شَاءَ وَمَا شَاءَ (ولا تقربا هذه الشجرة) بالأكل (فتكونا من الظالمين) أي من الباسخين قوسهم الثواب العظيم وقد مضى تفسير هذه الآية مشروحا في سورة البقرة (فوسوس لها) أي لآدم وحواء (الشيطان) الفرق بين وسوس إليه ووسوس له أن معنى وسوس إليه أنه التقى إلى قلبه المعنى بصوت خفي ومعنى وسوس له أنه أوهمه النصيحة له في ذلك (لييدي لها) أي ليظهر لها (ما وورى) أي ستر (عنهما من سواتهما) أي عوراتهما وهذا الظاهر يوجب أن يكون ابليس علم أن من أكل من هذه الشجرة بدت عورته وأن من بدت عورته لا يترك في الجنة فاحتال في اخراجهما منها بالوسوسة (وقال ما نعاكما ربكما عن هذه الشجرة) أي عن أكل هذه الشجرة (إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين) والمعنى أنه أوهمهما انهما إذا أكلتا من هذه الشجرة تغيرت صورتها إلى صورة الملك وأن الله تعالى قد حكم بذلك وبأن لا تبدي حياتهما إذا أكلتا منها وروي عن يحيى بن أبي كثير أنه قرأ ملكين بكسر اللام قال الزجاج قوله هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى بدل على الملكين واحسبه قد قرأ به ويحتمل أن يكون المراد بقوله إلا أن تكونا ملكين أنه أوهمهما ان المنهي عن تناول الشجرة الملائكة خاصة والخالدين دونها فيكون كما يقول احدنا لغيره ما نهيت عن كذا إلا أن تكون فلانا وإنما يريد أن المنهي إنما هو فلان دونك وهذا المعنى اوكد في الشبهة واللبس عليها ذكره المرتضى قدس الله روحه (وقاسمها) أي وحلف لها بالله تعالى حتى خدعها عن فتادة (إني لكما لمن الناصحين) أي المخلصين النصيحة في دعائكما إلى تناول من هذه الشجرة ولذلك تأكدت الشبهة عندهما إذ ظننا أن أحدا لا يقدم على اليمين بالله تعالى إلا صادقا فدعاهما ذلك إلى تناول الشجرة واستدل جماعة من المعتزلة بقوله إلا أن تكونا ملكين على أن الملائكة أفضل من الأنبياء قالوا لأن ابليس رغبهما بالتناول من الشجرة في منزلة الملائكة حتى تناولوا ولا يجوز أن يرغب عاقل في أن يكون على منزلة دون منزلته فيحمله ذلك على معصية الله وأجاب عنه المرتضى بأن قال ما انكرتم أن تكون الآية محمولة على الوجه الثاني الذي ذكرناه دون أن يكون معناها أن ينقلها إلى صفة الملائكة وإذا كانت الآية محتملة لما ذكره أيضا فما برفع هذه الشبهة أن يقال ما انكرتم أن يكونا رغبا في أن ينقلها إلى صفة الملائكة وخلقتهما لما رغبهما ابليس في ذلك ولا تدل هذه الرغبة على ان الملائكة افضل منها فإن الثواب إنما يستحق على الطاعات دون الصور والمهيات ولا يمتنع ان يكونا رغبا في صور الملائكة وهياتها ولا يكون ذلك رغبة في الثواب ولا الفضل الا ترى انهما رغبا في أن يكونا من الخالدين وليس الخلود مما يقتضي مزية في الثواب ولا الفضل

قوله تعالى (٢٢) فدلها بفرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سواتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين (٢٣) قال ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم نغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين (٢٤) قال أهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين (٢٥) قال فيها تميون وفيها تمونون ومنها تخرجون (أربع آيات)

القراءة

قرأ أهل الكوفة غير عاصم تخرجون بفتح التاء هاهنا وفي الروم والزخرف والجنانية لا يخرجون منها بفتح الياء ووافقهم يعقوب وسهل هاهنا وابن ذكوان هاهنا وفي الزخرف وقرأ الباقون جميع ذلك بضم التاء والياء

شجيرة قدر ذراع لها اكام فيها حب صغار اذا جفت صوتت بمر الريح . و نبات زجل أي للريح صوت في خلاله .
(٣) اللبان بالكسر: الرضام اسحه داج : الليل المظلم . قوله عوض لا تتفرق اي لا تتفرق أبدأوفي اللسان في مادة لبن .
«رضيمي لبان تدي أم تعالفا» .

- الحجة -

من قرأ بالفتح فحجته اتفاق الجميع في قوله إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون بفتح التاء وقوله إلى ربهم ينسلون يؤيده أيضا وقوله كما بدأكم تعودون ومن قرأ بالضم فحجته قوله ابعدهم عنكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما إنكم مخرجون وقوله كذلك نخرج الموتى

- اللغة -

دلاهما قيل أصله من تلبية الدلو وهو ان ترسلها في البئر والغرور اظهار التصح مع ابطان الفش وأصل الغرطي الثوب يقال اطوه على غره اي على كسر طيه فالغرور بمنزلة لما فيه من اظهار حال واخفاء حال وطفق يفعل كذا بمعنى جعل يفعل ومثله ظل يفعل وابتدأ يفعل واخذ يفعل والخصف أصله الضم والجمع ومنه خصف النمل والمخصف الميثقب الذي يخصف به النمل ومنه قول النبي صلى الله عليه وآله لكنه خاضع النمل في الحجرية يعني عليا (ع) والإخفاف سرعة العدو لانه يقطعه بسرعة والبعض هو احد قسمي العدة فأحد قسمي العشرة بمضها واحد قسمي الاثنين كذلك ولا بعض للواحد لأنه لا ينقسم قال علي بن عيسى العدو هو التائي بصرته في وقت الحاجة إلى معونته والوتى هو الداني بصرته في وقت الحاجة إليها والمستقر هو موضع الاستقرار وهو أيضا الاستقرار بينه لأن المصدر يجي على وزن المفعول والمتاع الانتفاع بما فيه عاجل استلذاذ والحين الوقت قصيرا كان او طويلا إلا انه استعمل هنا على طول الوقت وليس بأصل فيه

* المعنى *

(فدلاهما بغرور) اي اوقعهما في المكروه بأن غرهما بيمينه وقيل معناه دلاهما من الجنة إلى الأرض وقيل معناه خذلها وخلاهما من قولهم تدلى من الجبل او السطح إذا نزل إلى جهة السفلى عن اي مبيدة اي حطهما عن درجتها بغروره (فلما ذاقا الشجرة) اي ابتداء بالاكل ونالا منها شيئا يسيرا ولذلك اتى بلفظة ذاقا عبارة عن انهما تناولا شيئا قليلا من ثمرة الشجرة على حرف شديد لأن الذوق ابتداء الاكل والشرب ليعرف الطعم وفي هذا دلالة على ان ذوق الشيء المحرم يوجب الدم فكيف استيفاءه وقضاء الوطرنه (بدت لهما سوراتهما) اي ظهرت لهما عوراتهما ظهر لكل واحد منهما عورة صاحبه قال الكلبي فلما اكلا منها تهافت لباسهما عنهما فأبصر كل واحد منهما سوراة صاحبه فاستحيا (وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة) اي اخذا يحملان ورقة على ورقة ليسترا سوراتهما عن الزجاج وقيل معناه جملا يرقعان ويصلان عليهما من ورق الجنة وهو ورق التين حتى صار كهيئة الثوب عن قتادة وهذا إما كان لأن المصاحبة اقتضت اخراجهما من الجنة واهباطهما إلى الأرض لاعلى وجه العقوبة فإن الانبياء لا يستحقون العقوبة وقد مضى الكلام فيه في سورة البقرة (وناداهما ربهما ألم انهكما عن تلكما الشجرة) اي عن تلك الشجرة لكنه لما خاطب اثنين قال تلكما والكاف حرف الخطاب (وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين) ظاهر المعنى (قالا) اي قال آدم وحواء عاتبهما الله سبحانه ووبخهما على ارتكاب النهي عنه (ربنا ظلمنا انفسنا) ومعناه بخسناها الثواب بترك المنسوب اليه فالظلم هو النقص ومن ذهب إلى انهم فعلا صغيرة فإنه يحمل الظلم على تنقيص الثواب إذا كانت الصغيرة عنده تنقص من ثواب الطاعات فأما من قال ان الصغيرة تقع مكفرة من غير ان تنقص من ثواب فاعلم شيئا فلا يتصور هذا المعنى عنده ولا يثبت في الآية فائدة ولا خلاف أن حواء وآدم لم يستحقا العقاب وإنما قالا ذلك لأن من جال في الدين قدمه كثر على سير الزلزل ندمه وقيل معناه ظلمنا انفسنا بالتزول إلى الأرض ومفارقة العيش الرغد (وإن لم تغفر لنا) معناه وإن لم تستر علينا من المغفرة هي السترة على ما تقدم بيانه (وترحمنا) أي ولم تتفضل علينا بنعمتك التي يتم بها ما فرطنا نفوسنا من الثواب وبضروب فضلك (لنكونن من الخاسرين) أي من جملة من خسر ولم يربح والأولسان يصح أن يظلم نفسه بأن

يدخل عليها ضرراً غير مستحق فلا يدفع عنها ضرراً اعظم منه ولا يجتلب به منفعة توفي عليه ولا يصح أن يكون معايباً لنفسه (قال ايهطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين) قد مر تفسيره في سورة البقرة (قال الله تعالى (فيها تحيون) أي في الأرض تمشون) وفيها تموتون ومنها تخرجون) عند البعث يوم القيامة قال الجبائي في الآية دلالة على أن الله سبحانه يخرج العباد يوم القيامة من هذه الأرض التي حيروا فيها بعد موتهم وانه يقينها بعد أن يخرج العباد منها في يوم الحشر وإذا أراد افناءها زجرهم عنها زجرة فيصرون إلى أرض اخرى يقال لها الساهرة وتقضى هذه كما قال فلذا هم بالساهرة .

قوله تعالى (٢٦) يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (٢٧) يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا لِلشَّيَاطِينِ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ (٢٨) وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آيَاتِنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ اتَّقُوا اللَّهَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (ثلاث آيات)

❖ القراءة ❖

قرأ أهل المدينة وابن عامر والكسائي ولباس بالنصب والباقون بالرفع

❖ اللمعة ❖

قال ابو علي أما النصب فلأنه حمل على انزل أي انزلنا عليكم لباسا ولباس التقوى وقوله ذلك على هذا مبتدأ وخبره خير ومن رفع فقال ولباس التقوى قطع اللباس من الاول واستأنف به فجعله مبتدأ وذلك صفة او بدل او عطف بيان ومن قال إن ذلك لغو لم يكن على قوله دلالة لانه يجوز أن يكون على احدهما ذكرنا وخبر خبر اللباس والمعنى لباس التقوى خير لصاحبه إذا اخذ به واقرب له إلى الله تعالى مما خلق له من اللباس والرياش الذي يتجمل به واضيف اللباس إلى التقوى كما اضيف في قوله فأذاقها الله لباس الجوع إلى الجوع والخوف

❖ اللمعة ❖

اللباس كل ما يصلح للبس من ثوب او غيره من نحو الدرع وما يفشى به البيت من نطع او كسوة واصله المصدر تقول لبسه يلبسه لبسا ولباسا ولبسا بكسر اللام قال الشاعر

فَلَمَّا كَشَفْنَا اللَّيْسَ عَنْهُمْ مَسَحْنَهُ بِأَطْرَافِ طِفْلِ زَانٍ غَيِّلاً مَوْشَاً^(١)

والغيل الساعد الريان المحتلى والريش والاثاث متاع البيت من فراش او دثار وقيل الريش ما فيه الجبال ومنه

ريش الطائر وقيل انه المصدر من ريشه يريشه ريشا وانشد سيبويه

رَيْشِي مِّنْكُمْ وَهُوَ أَي مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَتْ زِيَارَتُكُمْ لِمَا^(٢)

قال الزجاج الريش كل ما يستر الرجل في جسمه ومعيشته يقال تريش فلان أي صار له ما يعيش به وتقول

العرب اعطيته رجلا بريشه اي بكسوته وقال ابو عبيدة الريش والرياش ما ظهر من اللباس والفتنة الابتلاء.

والامتعان يقال فتنن الذهب بالنار امتحنته وقلب فاتنن اي مقتون قال الشاعر

رَخِيمُ الْكَلَامِ قَطِيعُ الْقِيَامِ أَمْسَى فَوَادِيَّ بِهَا فَاِنْنَا^(٣)

(١) أطراف البدن . اليدان والرجلان . الطفل الرخص الناعم من كل شيء . قائله حميد بن ثور يصف فرساً خدمته الجوارى (٢) اللسان ككتاب يقال فلان يزور لماماً . اي في حين دون حين او في كل اسبوع مرة (٣) رخييم الكلام اي رقيقه ولينه . قطع القيام اي منقطع مقطوع القيام ضعفاً او سناً .

القبيل الجماعة من قبائل شتى فإذا كانوا من اب وام واحد فهم قبيلة

المعنى *

لما ذكر سبحانه نعمته على بني آدم في تبويبه الدار والمستقر عقبه بذكر النعمة في الملابس والستر فقال (يا بني آدم) وهو خطاب عام لجميع اهل الازمنة من المكلفين كما يوصي الانسان واده وولد ولده بتقوى الله ويجوز خطاب المذموم إذا كان من المعلوم انه سيوجد ويتكامل فيه شروط التكليف (قد أنزلنا عليكم لباساً) قيل انه انزل ذلك مع آدم وحوا حين امرا بالانهباط عن الجبائي وهو الظاهر وقيل معناه انه ينبت بالمطر الذي ينزل من السماء عن الحسن وقيل لأن البركات ينسب إلى انها تأتي من السماء كقوله وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد عن علي بن عيسى وقيل معنى أنزلنا عليكم اعطيناكم ووهبنا لكم وكل ما اعطاه الله تعالى لعبده فقد أنزله عليه ليس ان هناك علوا وسفلا ولكنه يجري مجرى التعظيم كما يقال رفعت حاجتي إلى فلان ورفعت قضيتي إلى الأمير عن ابي مسلم وقيل معناه خلقنا لكم كما قال وأنزل لكم من الانعام ثمانية ازواج وأنزلنا الحديد عن ابي علي الفارسي (يواري سواتكم) أي يستر عوراتكم (وريشا) اي اثاثا مما تحتاجون اليه وقيل مالا عن ابن عباس ومجاهد والسدي وقيل جمالا عن ابن زيد وقيل خصبا ومعاشا عن الأخفش وقيل خيرا وكل ما قاله المفسرون فإنه يدخل فيه إلا ان كلا منهم خص بعض الخير بالذكر (ولباس التقوى) هو العمل الصالح عن ابن عباس وقيل هو الحياء الذي يكسيكم التقوى عن الحسن وقيل هو ثياب النسك والتواضع إذا اقتصر عليه كلباس الصوف والحشن من الثياب عن الجبائي وقيل هو لباس الحرب الصدر والمغفر والالات التي يتقى بها من العدو عن زيد بن علي بن الحسين (ع) وابي مسلم وقيل هو خشية الله تعالى عن عروة بن الزبير وقيل هو ستر العورة يتقى الله فيواري عورته عن ابن زيد وقيل هو الإيمان عن قتادة والسدي ولا مانع من حمل ذلك على الجميع (ذلك خير) اي لباس التقوى خير من جميع ما يلبس (ذلك من آيات الله) أي ذلك الذي خلقه الله وأنزله من حجج الله التي تدل على توحيده (املهم يذكرون) معناه لكي يتفكروا فيها فيؤمنوا بالله ويصيروا إلى طاعته وينتهوا عن معاصيه ثم خاطبهم سبحانه مرة اخرى فقال (يا بني آدم لا يفتنكم الشيطان) أي لا يضلنكم عن الدين ولا يصرفنكم عن الحق بأن يدعركم إلى المعاصي التي تميل اليها النفوس وإنما صح أن ينهي الانسان بصيغة النهي للشيطان لأنه ابلغ في التحذير من حيث يقتضي انه يطلبنا بالمكروه ويقصدنا بالعداوة فالنهي له يدخل فيه النهي لنا عن ترك التحذير منه (كما اخرج ابويكم من الجنة) نسب الاخراج اليه لما كان باغوائه وإن كان خروجهما أمر الله تعالى وجرى ذلك مجرى ذمه لفرعون بأنه يذبح ابناهم ولو اُمر بذلك وتحقيق الذم فيها راجع إلى فعل المذموم ولكنه يذكر بهذه الصفة لبيان منزلة فعله في عظم الفاحشة (يتزع عنها) عند وسوسته ودعائه اهما (لباسهما) من ثياب الجنة وقيل كان لباسها الظفر عن ابن عباس اي كان شبه الظفر وعلى خلقته وقيل كان لباسها نورا عن وهب بن منبه (ليريهما سواتهما) عوراتهما (انه) يعني الشيطان (يراكم هو وقبيله) اي نسله عن الحسن وابن زيد يدل عليه قوله افتتخذونه وذريته اولياء من دوني وقيل جنوده واتباعه من الجن والشياطين (من حيث لا ترونهم) قال ابن عباس إن الله تعالى جعلهم يجرون من بني آدم مجرى الدم وصدور بني آدم مساكن لهم كما قال الذي يوسوس في صدور الناس فهم يرون بني آدم وبنو آدم لا يرونهم قال قتادة والله ان عدوايرك من حيث لا تراه لشديد المؤنة إلا من عصم الله ولو اُمرنا قال ذلك لانا إذا كنا لا نراهم لم نعرف قصدهم لنا بالكيد والاغواء فينبغي أن نكون على حذر فيما نجاه في انفسنا من الوسوس خيفة أن يكون ذلك من الشيطان وإننا ليراهم البشر لأن اجسامهم شفافة لطيفة تحتاج روثها إلى فضل شمع وقال ابو الهذيل وابو بكر بن الاخشىد يجوز أن يمكنهم الله تعالى فيتكشفوا فيراهم حينئذ من يحضهم واليه ذهب علي بن عيسى وقال انهم مكشون من ذلك وهو الذي نصره الشيخ المفيد أبو عبد الله رحمه الله قال الشيخ ابو جعفر قدس الله روحه وهو الأقوى

عندي وقال الجبائي لا يجوز أن يرى الشياطين والجن لأن الله عزاسمه قال لا ترونهم وإنما يجوز أن يروا في زمن الانبياء بأن يكشف الله اجسادهم على الانبياء كما يجوز أن يرى الناس الملائكة في زمن الانبياء (إنا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون) أي حكمنا بذلك لانهم يتناصرون على الباطل كما قال وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن ائنا اي حكموا بذلك حكماً باطلاً وإنما خص الذين لا يؤمنون تنبيهاً على أنهم مع اجتهادهم لا يتمكنون من خيار المؤمنين المتيقظين منهم ولو أنهم يتمكنون من الكفرة والجهال والفسقة الاغفال (ولوذا فعلوا فاحشة) كفى به عن المشركين الذين كانوا يبدون سوءاتهم في طوافهم فكان يطوف الرجال والنساء عراة يقولون تطوف كما ولدتنا امهاتنا ولا تطرف في الثياب التي كسارنا فيها الذنوب وهم الحس قال الفراء كانوا يعملون شيئاً من سيور مقطعة يشدونهم على حقوبهم يسمى حوقاً وإن عمل من صوف يسمى رهطاً وكانت تضع المرأة على قبلها النسعة فتقول

الْيَوْمَ يَبْدُو بَعْضُهُ أَوْ كَلَهُ
وَمَا بَدَأَ مِنْهُ فَلَا أُحِلُّهُ

يعني الفرج لان ذلك يستر سترًا تاماً وفي الآية حذف تقديره وإذا فعلوا فاحشة فنهرا عنها (قالوا وجدنا عليها ابائنا) قيل ومن أين اخذها آباؤكم قالوا (الله امرنا بها) اخبر سبحانه عن هؤلاء الكفار انهم إذا فعلوا ما يعظم قبحه اعتذروا لنفوسهم إنا وجدنا آباؤنا يفعلونها وان آباؤهم فعلوا ذلك من قبل الله وقال الحسن انهم كانوا اهل اجبار فقالوا لو كره الله ما نحن عليه لنقلنا عنه فهذا قالوا والله امرنا بها فرد الله سبحانه عليهم قولهم بأن قال (إن الله لا يأمر بالفحشاء) ثم انكر عليهم من وجه آخر فقال (أتقولون على الله ما لا تعلمون) لأنهم إن قالوا لنقضوا مذهبهم وإن قالوا نعم افترضوا في قولهم قال الزجاج اتقولون على الله معناه اتكذبون عليه

قوله تعالى (٢٩) قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ (٣٠) فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهم مُهْتَدُونَ (آيتان) تمام الآية الأولى تعودون عند الكوفي ومخلصين له الدين عند البصري

اللغة

اصل القسط العدل فإذا كان الى جهة الحق فهو عدل ومنه قوله ان الله يحب المقسطين وإذا كان الى جهة الباطل فهو جور ومنه قوله وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً واصل الاخلاص اخراج كل شائب من الجنس ومنه اخلاص الدين لله وهو توجيه العبادة اليه خالصاً دون غيره والبداء فعل الشي أول مرة والعود فعله ثاني مرة وقد يكون فعل اول خصلة منه بدء كبدء الصلاة وبدء القراءة وبدأ وابدأ لقتان والفريق جماعة انفصلت من جماعة والاتخاذ افتعال من الأخذ بمعنى اعداد الشي لأمر من الأمور والحسبان بمعنى الظن وهو ما قوى عند الظان كون المظنون على ما ظنّه مع تجديزه ان يكون على غيره فبالقوة يتميز من اعتقاد التقليد والتبجيت والتجويد يتميز من العلم لأن مع العلم القطع

الإعراب

واقيموا عطف على ما تقدّم من قوله لا يفتنكم الشيطان فتقديره احذروا الشيطان واقيموا وجوهكم عن ابي مسلم وقيل ان تقديره أمر ربي بالقسط وقل واقموا وقوله كما بدأكم قال ابو علي الفارسي تقديره كما بدأ خلقكم ثم حذف المضاف وتعودون معناه ويعودون معكم ثم حذف المضاف وأتى المضاف اليه مقامه فصار مخاطبون فاعلين وفريقاً حق عليهم الضلالة نصه ليعطف فعلاً على فعل وتقديره وفريقاً أضل فأضمر أضل لأنه

(١) الحس : لقب قريش وكنانة وجذيلة ومن تابعهم في الجاهلية .

قد فسره ما بعده فاغني عن ذكره ونظيره قوله يدخل من يشاء في رحمته والظالمين أعد لهم عذابا أليما وقال الفراء فريقا منصوب على الحال من تعودون وفريقا الثاني عطف عليه واورف على تقدير احدهما كذا والآخر كذا لجاز كما قال قد كان لكم آية في فتنين التقنا فنة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة

— المعنى —

لما بين سبحانه انه لا يأمر بالفحشاء. وهو اسم جامع للقبايح والسيئات عقبه ببيان ما يأمر به من القسط وهو اسم جامع لجميع الخيرات فقال (قل) يا محمد (أمر ربي بالقسط) اي بالعدل والاستقامة عن مجاهد والسدي واكثر المفسرين وقيل بالتوحيد عن الضحاك وقيل بلا إله إلا الله عن ابن عباس وقيل بجميع الطاعات والقرب عن ابي مسلم (وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد) قيل فيه وجوه ﴿ احدها ﴾ ان معناه توجهوا الى قبلته كل مسجد في الصلاة على استقامة عن مجاهد والسدي وابن زيد ﴿ وثانيها ﴾ ان معناه أقيموا وجوهكم الى الجهة التي أمركم الله بالتوجه اليها في صلاتكم وهي الكعبة والمراد بالمسجد اوقات السجود وهي اوقات الصلاة عن الجبائي وغيره ﴿ وثالثها ﴾ ان المراد اذا ادر كنتم الصلاة في مسجد فصلوا ولا تقولوا حتى ارجع الى مسجدي والمراد بالمسجد موضع السجود عن الفراء وهو اختيار المغربي ﴿ ورابعها ﴾ ان معناه اقصوا المسجد في وقت كل صلاة أمر بالجماعة لها ندبا عند الاكثرين وحتمًا عند الاقلين ﴿ وخامسها ﴾ ان معناه اخلصوا وجوهكم لله تعالى في الطاعة فلا تشركوا به وثناً ولا غيره عن الربيع (وادعوه مخلصين له الدين) وهذا امر بالدعاء والتضرع اليه سبحانه على وجه الاخلاص اي ارجعوا اليه في الدعاء بعد اخلاصكم له الدين وقيل معناه وادعوه مخلصين له الدين (كما بدأكم تعودون) قيل في وجه اتصاله بما قبله وجوه - احدها - ان معناه وادعوه مخلصين فانكم مبعوثون ومجازون وإن بعد ذلك في عقولكم فاعتبروا بالابتداء واعلموا انه كما بدأكم في الخلق الأول فلو انه يبعثكم فتعودون اليه في الخلق الثاني - وثانيها - انه يتصل بقوله فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون فقال كما بدأكم تعودون اي فليس بعثكم بأشد من أبتدائكم عن الزجاج قال وانما ذكره على وجه الحجاج عليهم لأنهم كانوا لا يقرؤون بالبعث - وثالثها - انه كلام مستأنف اي يعيدكم بعد الموت فيجازيكم عن ابي مسلم قال فتادة بدأكم من التراب واليه تعودون كما قال منها خلقناكم وفيها نعيدكم وقيل معناه كما بدأكم لا تملكون شيئاً كذلك تبعثون يوم القيامة ويروى عن النبي (ص) انه قال تمشرون يوم القيامة عراة حفاة فرلا كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين وقيل معناه تبعثون على ما مئتم عليه المؤمن على ايمانه والكافر على كفره عن ابن عباس وجابر (فريقا) اي جماعة (هدى) اي حكم لهم بالاهتداء بقبولهم للهدى او لطف لهم بما اهتدوا عنده او هداهم الى طريق الثواب كما تكررت بيانه في مواضع (وفريقا حق) اي وجب عليهم الضلالة) اذ لم يقبلوا الهدى او حق عليهم الخذلان لأنه لم يكن لهم لطف ينشرح له صدورهم او حق عليهم العذاب والهلاك بكفرهم ويؤيد هذا القول الأخير انه سبحانه ذكر الهدى والضلال بعد العود والبعث ثم قال (انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله) بين سبحانه انه لم يبدأهم بالعقوبة ولكن جازاهم على عصيانهم واتباعهم الشيطان وإنما اتخذوهم اولياء بطاعتهم لهم فيما دعواهم اليه (ويمحبون انهم مهتدون) ومعناه وهم مع ذلك يظنون انهم في ذلك على هداية وحق

قوله تعالى (٣١) يَا بَنِي آدَمَ خذوا زينتكم عند كل مسجد واكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين (٣٢) قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك فصل الآيات لقوم يعلمون (آيتان)

❁ القراءة ❁

قرأ نافع وحده خالصة بالرفع والباقون بالنصب

❁ الحجة ❁

قال ابو علي من رفعه جملة خبر المبتدأ الذي هو هي ويكون للذين آمنوا تبينا للخلوص ولا شيء فيه على هذا ومن قال هذا حلو حامض امكن أن يكون للذين آمنوا خبرا وخالصة خبر آخر ومن نصب خالصة كان حالا مما في قوله للذين آمنوا الا ترى ان فيه ذكراً يعرود الى المبتدأ الذي هو هي فخالصة حال عن ذلك الذكر والعامل في الحال ما في اللام من معنى الفعل وحجة من رفع ان المعنى هي تخلص للذين آمنوا يوم القيامة وان شركهم فيها غيرهم من الكافرين في الدنيا ومن نصب فالمعنى عنده ثابتة للذين آمنوا في حال خلوصها يوم القيامة لهم وانتصاب خالصة على الحال اشبه بقوله ان المتقين في جنات وعيون اخدين ونحو ذلك مما انتصب الاسم فيه على الحال بعد الابتداء وخبره وما يجري مجراه اذا كان فيه معنى فعل قال الزجاج من نصب خالصة فهو حال على ان العامل في قولك في الحياة الدنيا في تأويل الحال كأنك تقول هي ثابتة للمؤمنين مستقرة في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة قال ابو علي قوله في الحياة الدنيا يحتمل ثلاثة اضرب ❁ احدها ❁ ان يكون قل هي في الحياة الدنيا للذين آمنوا خالصة على ان يكون خبر هي قوله للذين آمنوا ويكون في الحياة الدنيا ظرفا والعامل فيه الظرف الذي هو قوله للذين آمنوا والتقدير هي في الحياة الدنيا للمؤمنين مقدار خلوصها يوم القيامة ففي هذا الوجه يجوز تقديرها مقدمة على اللام الجارة لأنه ظرف للذين آمنوا والظروف وان كان العامل فيها المعاني فان تقديرها عليها جائز وان لم يجز ذلك في الاحوال ويحتمل ان يكون قوله في الحياة الدنيا متصلا بالصلة التي هي آمنو وهي العاملة فيه والمعنى هي للذين آمنوا في حياتهم اي للذين آمنوا ولم يكفروا فيها خالصة فموضع في على هذا نصب بأمنوا ويجوز ان يكون في الحياة الدنيا في موضع حال وصلب الحال هو هي والعامل في الحال معنى الفعل وهو قوله للذين آمنوا والمعنى قل هي لهم مستقرة في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة ولا يجوز في هذا الوجه ولا في الوجه الذي قبله تقدير تقديم في الحياة على قوله للذين آمنوا اما في الوجه الأول فلأن قوله في الحياة صلة الذين ولا يجوز تقديم الصلة على الموصول وأما في الوجه الآخر فلأنه في موضع الحال والحال لا يجوز تقديمها اذا كان العامل فيها معنى الفعل وهذا الوجه الثالث ذكره ابو اسحاق واما قراءة من قرأ خالصة بالنصب جعله منصوبا على الحال على ان العامل في قوله في الحياة الدنيا على تأويل الحال الى آخر كلامه فينبغي ان تعلم ان من نصب خالصة في قراءة جاز ان يكون في الحياة الدنيا ظرفا للذين آمنوا والعامل فيه معنى الفعل وجاز ان يكون متعلقاً بأمنوا وظرفا له وجاز ان يكون في موضع الحال كما ذكر فالوجهان الأولان لا يحتاج مهمما الى تقدير شيء حتى تعلقه بما قبله اما اذا كان ظرفا للام الجارة فمعنى الفعل يعمل فيه كما تقول المك ثوب كل يوم واذا كان من الصلة فنفس الفعل الظاهر يعمل فيه فأما اذا جعلته حالا فإنه ينبغي ان تقدر فعلا او اسم فاعل يكون في موضع الحال ويكون في الحياة متعلقا به ولا يوهنك قول ابى اسحاق الذي ذكرناه انه يلزم ان يقدر قوله في الحياة الدنيا في تقدير الحال لا غير اذا جعلت خالصة منصوبا على الحال فان الوجهين الآخرين كل واحد منهما مع نصب خالصة على الحال سائغ جائز

- المعنى -

لما تقدم ذكر ما انعم الله سبحانه على عباده من اللباس والرزق أمرهم في أثرها بتناول الزينة والتستر والاقتصاد في الأكل والشرب فقال (يا بني آدم) وهو خطاب لسائر المكلفين (خذوا زينتكم عند كل مسجد) اي خذوا ثيابكم التي تزيّنون بها للصلاة في الجمعات والامیاد عن ابى جعفر الباقر (ع) وقيل عند كل صلاة روى العياشي باسناده ان الحسن بن علي عليه السلام كان اذا قام الى الصلاة ابس اجود ثيابه فقيل له يا ابن رسول الله لم تلبس

اجود ثيابك فقال ان الله جميل يحب الجمال فأتجمل لربي وهو يقول خذوا زينتكم عند كل مسجد فأحب ان
 البس اجود ثيابي وقيل معناه خذوا ما تسترون به عوراتكم وانما قال ذلك لأنهم كانوا يتعرون من ثيابهم
 للطواف على ما تقدم بيانه وكان يطوف الرجال بالنهار والنساء بالليل فأمرنا بلبس الثياب في الصلاة والطواف من
 جماعة من المفسرين وقيل ان اخذ الزينة هو التمشط عند كل صلاة روي ذلك عن الصادق (ع) (وكلاوا واشربوا)
 صورته صورة الأمر والمراد الإباحة وهو عام في جميع المباحة (ولا تسرفوا) اي لا تجاوزوا الحلال الى الحرام
 قال مجاهد لو انفتحت مثل احد في طاعة الله لم تكن مسرفا ولو انفتحت درهما او مدا في معصية الله لكان اسرافا
 وقيل معناه لا تخرجوا عن حد الاستواء في زيادة المقدار وقد حكى ان الرشيد كان له طبيب نصراني حاذق فقال
 ذات يوم لعلي بن الحسين بن واقد ايس في كتابكم من علم الطب شيء والعالم علمان علم الأديان وعلم الأبدان
 فقال له علي قد جمع الله الطب كله في نصف آية من كتابه وهو قوله كواوا واشربوا ولا تسرفوا وجمع نبينا (ص)
 الطب في قوله المدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء واعط كل بدن ما عودته فقال الطبيب ما ترك كتابكم
 ولا نبيكم جالينوس طباً وقيل معناه ولا تأكلوا محرماً ولا باطلا على وجه لا يحل وأكل الحرام وان قل أنسراف
 ومجاوزة للحد وما أستقبه العقلاء وعاد بالضرر عليكم فهو ايضا اسراف لا يحل كمن يطبخ القدر بما الورد
 وي طرح فيها المسك وكمن لا يملك الا دينارا فاشتري به طيبا فتطيب به وترك عياله محتاجين (انه لا يحب
 المسرفين) اي يفضهم لأنه سبحانه قد ذمهم به ولو كان بمعنى لا يحبهم ولا يفضهم لم يكن ذمها ولا مدحها
 حيث الله سبحانه على تناول الزينة عند كل مسجد وندب اليه الأكل والشرب ونهي عن الاسراف وكان قوم
 من العرب يحرّمون كثيرا من هذا الجنس حتى انهم كانوا يحرّمون السمون والالبان في الاحرام وكانوا يحرّمون
 السوايب والبخائر انكسر عز اسمها ذلك عليهم فقال (قل) يا محمد (من حرّم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات
 من الرزق) اي من حرّم الثياب التي تتزين بها الناس بما اخرجها الله من الأرض لعباده والطيبات من الرزق قيل
 هي المستلذات من الرزق وقيل هي المحللات والأول اظهر لخلاصها يوم القيامة للمؤمنين (قل هي للذين آمنوا
 في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة) قال ابن عباس يعني ان المؤمنين يشاركون المشركين في الطيبات في الدنيا
 فأكلوا من طيبات طعامهم ولبسوا من جيد ثيابهم ونكحوا من صالح نسائهم ثم يخص الله الطيبات في الآخرة
 للذين آمنوا وايس للمشركين فيها شيء قال الفراء مجازة هي للذين آمنوا مشرّكة في الدنيا وهي خالصة لهم
 في الآخرة وهذا معنى قول ابن عباس وقيل معناه قل هي في الحياة الدنيا للذين آمنوا غير خالصة من الهوم
 والاحزان والمشقة وهي خالصة يوم القيامة من ذلك عن الجبائي (كذلك نفضّ الآيات) اي كما نيزلكم الآيات
 وندلكم بها على منافعكم وصلاح دينكم كذلك نفضّ الآيات (قوم يعلمون) وفي هذه الآية دلالة على
 جواز لبس الثياب الفاخرة وأكل الأطعمة الطيبة من الحلال وروى العياشي بأسناده عن الحسين بن زيد عن عمه
 عمر بن علي عن ابيه زين العابدين بن الحسين بن علي عليهم السلام انه كان يشتري كساء الخبز بخمسين دينارا
 فاذا أصاف تصدّق به ولا يرى بذلك بأساً ويقول قل من حرّم زينة الله الآية وبأسناده عن يوسف بن ابراهيم قال
 دخلت على ابي عبد الله (ع) وعليه جبة خبز وطيلسان خبز فنظر اليّ فقلت جعلت فداك هذا خبز ما تقول فيه فقال
 وما بأس بالخرز قلت فسده ايزيسم قال لا بأس به فقد أصيب الحسين (ع) وعليه جبة خبز ثم قال ان عبد الله بن عباس
 لما بعث أمير المؤمنين (ع) الى الخوارج لبس أفضل ثيابه وتطيّب بأطيب طيبه وركب افضل مراكبه فخرج اليهم
 فوافقهم قالوا يا ابن عباس بينا أنت خير الناس اذ أتيتنا في لباس الجباوية ومراكبهم فتلا هذه الآية قل من حرّم
 زينة الله الى آخرها فالبس وتجميل فلون الله جميل يحب الجمال وليكن من حلال وفي الآية دلالة ايضا على
 ان الاشياء على الإباحة لقوله من حرّم فالسمع ورد مؤكداً لما في العقل

قوله تعالى (٣٣) قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ (٣٤) وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ (آياتان)

❖ اللفظة ❖

التحريم هو المنع من الفعل بإقامة الدليل على وجوب تجنبه وضده التحليل وهو الاطلاق في الفعل بالبيان على جواز تناوله وأصل التحريم المنع من قولهم حرم فلان الرزق حرمانا فهو محروم واحرم بالحج وحرمة الرجل زوجته والحرمت الجنائيات والمحرم القرابة التي لا يحل تزوجها وحریم الدار ما كان من حقوقها والفواحش جمع فاحشة وهي اقبح القبائح وهي الكبائر والبغي الاستطالة على الناس وحده طلب الترتس بالقهر من غير حق واصله الطلب وينبغي كذا اي هو اولي ان يطلب والسلطان والبرهان والبيان والفرقان نظائر وحدودها تختلف فالبيان اظهار المعنى للنفس كما يظهر نقيضه والبرهان اظهار صحة المعنى وافساد نقيضه والفرقان اظهار تميز المعنى مما التبس به والسلطان اظهار ما يتسلط به على نقيض المعنى بالابطال والامة الجماعة التي يعمها معنى وأصلها من أمة يؤمها اذا قصدت فالامة الجماعة التي على مقصد واحد والاجل الوقت المضروب لانقضاء المهل لأن بين العقداً ول الذي يضرب لنفس الأجل وبين الوقت الآخر مهلاً مثل أجل الدين وأجل الرزق وأجل الوعد وأجل العمر

❖ المعنى ❖

ثم بين سبحانه المحرمات فقال (قل) يا محمد (إنما حرم ربي الفواحش) اي جميع القبائح والكبائر عن الجبائي وابي مسلم (ما ظهر منها وما بطن) اي ما علن منها وما خفي وقد ذكرنا ما قيل فيه في سورة الانعام ومعناه لم يحرم ربي الا الفواحش لما قد بينا قبل ان لفظه إنما محققة لما ذكرنا فيه لما لم يذكر فذكر القبائح على الاجمال ثم فصل للبيان فقال (والاثرم والبغي) فكأنه قال حرم ربي الفواحش التي منها الاثرم ومنها البغي ومنها الاشرار بالله وقيل ان الفواحش هي الزنا وهو الذي بطن منها والتعري في الطواف وهو الذي ظهر منها عن مجاهد وقيل هي الطواف فما ظهر منها طواف الرجال بالنهار وما بطن طواف النساء بالليل والاثرم قيل هو الذنوب والمعاصي عن الجبائي وقيل الاثرم ما دون الحد عن الفراء وقيل الاثرم الحر عن الحسن وانشد الاخفش

شربت الاثرم حتى ضل عقلي
كذلك الاثرم يذهب بالمقول
وقال آخر

نهانا رسول الله ان نقرب الحنا^(١)
وان نشرب الاثرم الذي يوجب الوزر

والبغي الظلم والفساد وقوله (بغير الحق) تأكيد كقوله ويقتلون النبيين بغير حق وقيل قد يخرج البغي من كونه ظلماً اذا كان بسبب جائز في الشرع كالتقصاص (وان تشركوا بالله) اي وحرّم الشرك بالله (ما لم ينزل به سلطاناً) اي لم يقم عليه حجة وكل اشراك بالله فهو بهذه الصفة ليس عليه حجة ولا برهان (وان تقولوا على الله ما لا نعلمون) اي وحرّم القول على الله بغير علم ثم بين تعالى ما فيه تسلية النبي ﷺ في تأخير عذاب الكفار فقال (ولكل امة اجل) اي لكل جماعة واهل عصر وقت لاستئصالهم عن الحسن

ولم يقل لكل احد لأن ذكر الأمة يقتضي تقارب اعمار أهل المصر ووجه آخر وهو انه يقتضي اهلاكم في الدنيا بعد اقامة الحججة عليهم بإتيان الرسل وقال الجبائي المراد بالأجل هنا اجل العمر الذي هو مدة الحياة وهذا أقوى لأنه يعم جميع الأمم (فإذا جاء اجلهم لا يستأخرون) اي لا يتأخرون (ماعة) عن ذلك الوقت (ولا يستقدمون) اي لا يتقدمون ساعة على ذلك الوقت وقبل معناه لا يطلبون التأخر عن ذلك الوقت للإياس عنه ولا يطلبون التقدم عليه ومعنى جاء اجلهم قرب اجلهم كما يقال جاء الصيف اذا قارب وقته

قوله تعالى (٣٥) يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنْ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٦) وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (آياتان)

✽ الاعراب ✽

إما اصله ان الجزاء دخلت عليه ما ولدخولها دخلت النون الثقيلة في يأتينكم ولو قال ان يأتينكم لم يجوز وقد شرحنا هذا في سورة البقرة وبيناه وقال سيويه ان حتى واما والآ لا يجوز فيهن الإمالة لأن هذه الألفات ألزمت الفتح لأنها اواخر حروف جاءت لمعنى ففصل بينها وبين اواخر الاسماء التي فيها الألف نحو حلى وهدى الا ان حتى كتبت بالياء لأنها على اربعة احرف فاشبهت سكرى واما التي للتخيير شبهت بأن التي ضمت اليها ما فككت بالالف والا كتبت بالالف لأنها لو كتبت بالياء لاشبهت الى

✽ المعنى ✽

لما تقدم ذكر النعم الدنيوية عقبه بذكر النعم الدينية فقال (يا بني آدم) هو خطاب يعم جميع المكلفين من بني آدم من جاءه الرسول منهم ومن جاز ان يأتيه الرسول معطوف على ما تقدم (اما يأتينكم) اي ان يأتكم (رسل منكم) اي من جنسكم (يقصون عليكم آياتي) اي يعرضونها عليكم ويخبرونكم بها (فمن اتقى) انكار الرسل والآيات (واصلح) عمله وقيل فمن اتقى المعاصي واجتنبها والتقوى اسم جامع لذلك وتقديره فمن اتقى منكم واصلح (فلا خوف عليهم) في الدنيا (ولا هم يحزنون) في الآخرة (والذين كذبوا بآياتنا) اي حججنا (واستكبروا عنها) اي عن قبولها (اولئك اصحاب النار) الملازمون لها (هم فيها خالدون) باقون فيها على وجه الدوام والتأيد

قوله تعالى (٣٧) فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَقَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ (آية)

✽ اللمة ✽

النيل وصول النعم الى العبد اذا أطلق فإن قيد وقع على الضرر لأن اصله الوصول الى الشيء من نلت انال نيلا قال امرؤ القيس

سَمَاحَةٌ ذَا وَبِرٌّ ذَا وَوَفَاءُ ذَا
وَنَائِلُ ذَا إِذَا صَحَا وَإِذَا سَكِرَ^(١)
والتوفي قبض الشيء بتمامه يقال توفيته واستوفيته

— المعنى —

ثم ذكر سبحانه وعيد المكذبين فقال (فمن اظلم من اقرى على الله كذبا) اي لا احد اظلم منه صورته صورة الاستفهام والمراد به الاخبار وانما جاء بلفظ الاستفهام ليكون ابلغ (او كذب بآياته) الدالة على توحيده ونبوة رسله (او لك ينالهم نصيبهم من الكتاب) اي من العذاب الا انه كفى عن العذاب بالكتاب لأن الكتاب ورد به كقوله لقد حقت كلمة العذاب على الكافرين عن الحسن وابي صالح وقيل معناه ينالهم نصيبهم من العمر والرزق وما كتب لهم من الخير والشر فلا يقطع عنهم رزقهم بكفرهم عن الربيع وابن زيد وقيل ينالهم جميع ما كتب لهم وعليهم عن مجاهد وعطية (حتى اذا جاءتهم رسلنا) يعني الملائكة اي حتى اذا استوفوا ارزاقهم وجاءهم ملك الموت مع اعوانه (يتوفونهم) اي يقبضون ارواحهم وقيل معناه حتى اذا جاءتهم الملائكة لحشرهم يتوفونهم الى النار يوم القيامة عن الحسن (قالوا) يعني الملائكة (اين ما كنتم تدعون من دون الله) من الاوثان والاصنام والمراد بهذا السوال توبيخهم اي هلا دفعوا عنكم ما نزل بكم من العذاب (قالوا) يعني قال الكفار (ضلوا عنا) اي ذهبوا عنا وافقدناهم فلا يقدرين على الدفع عنا وبطلت عبادتنا ايهم (وشهدوا على انفسهم انه كانوا كافرين) اي اقروا على نفوسهم بالكفر

قوله تعالى (٣٨) قَالَ ادْخُلُوا فِي اُمَّمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْاِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ اُمَّةٌ لَعْنَتْ اُخْتَهَا حَتَّىٰ اِذَا ادَّارَ كُوفِهَا جَمِيعًا قَالَتْ اُخْرَا۟هُمۡ لِاُولَآئِہِمۡ رَبِّنَا هُوَ لَآءِ اَضَلُّوْنَا فَآتَيْہِمۡ عَذَابًا ضَعِيفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضَعْفٌ وَلٰكِن لَّا تَعْلَمُوْنَ (٣٩) وَقَالَتْ اُولَآئِہِمۡ لَآ اُخْرَا۟هُمۡ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُوْنَ (آياتان)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابو بكر لا يطمون بالياء والباقون بالتاء.

﴿ الحجة ﴾

وجه القراءة بالياء انه حمل الكلام على كل لانه وان كان للمخاطبين فهو اسم ظاهر موضوع للنية فحمل على اللفظ دون المعنى

﴿ اللفظ ﴾

الخلو انتفاء الشيء عن مكانه يقال خلا عن البيت وكذلك خلت بمعنى مضت لأنها اذا مضت بالهلاك فقد خلا مكانها منها الجنس من الحيوان مستزود عن اعين الناس لرقهم يغلب عليهم التمرد في افعالهم كما يغلب على الملك افعال الخير والضعف المثل الزائد على مثله فاذا قال القائل اضعف هذا الدرهم فمعناه اجعل معه درهما آخر لا دينارا وكذلك اذا قال اضعف الاثنين فمعناه اجعلهما اربعة وحكي ان المضعف في كلام العرب ما كان ضميفين والمضاعف ما كان اكثر من ذلك، وادار كوا اصله تدار كوا

(١) صعا السكران : ذهب سكره .

فادغمت التاء في الدال واجتلب الف الوصل ليتمكن النطق بالساكن الذي بعده ومعناه تلاحقوا

✽ المعنى ✽

(قال ادخلوا) هذه حكاية قول الله تعالى للكفار يوم القيامة وامره لهم بالدخول ويموز ان يكون اخبارا عن جملة اياهم في جملة اولئك من غير ان يكون هناك قول كما قال كونوا قردة خاسئين والمراد انه جعلهم كذلك (في اسم قد خلت) اي في جملة اقوام وجماعات قد مضت (من قبلكم من الجن والانس) على الكفر (في النار) وقيل إن "في" بمعنى مع اي ادخلوا مع امم كافرة (كلما دخلت امة) من هذه الامم النار (لعت اختها) يعني التي سبقتها الى النار وهي اختها في الدين لا في النسب يريد انهم يلصقون من كان قبلهم عن ابن عباس وقيل يلصقون بالاتباع القادة والروساء اذا حصلوا في العذاب بعد ما كانوا يتوادون في الدنيا يقولون انتم اوردتمونا هذه الموارد فلعنكم الله عن ابي مسلم (حتى اذا ادار كوا) اي تلاحقوا واجتمعوا (فيها) اي في النار (جميعا) اي كان هذا حالهم حتى اجتمعوا فيها فلما اجتمعوا فيها (قالت اخراهم لا ولاهم) اي قالت اخراهم دخولا النار وهم الاتباع لا ولاهم دخولا وهم القادة والروساء (ربنا هو لا اضلونا) اي شرعوا لنا ان نتخذ من دونك إلهنا عن ابن عباس وقيل معناه دعونا الى الضلال وحلونا عليه ومنعونا عن اتباع الحق قال الصادق عليه السلام يعني ائمة الجور (فآتهم عذابا ضعفا من النار) اي فاعطهم عذابا مضاعفا قال ابن مسعود اراد بالضعف هنا الحيات والافاعي وقيل اراد باحد الضمفين عذابهم على الكفر وبالاخر عذابهم على الاغواء (قال) الله تعالى (لكل ضعف) اي للتابع والمتبوع عذاب مضاعف لانهم قد دخلوا في الكفر جميعا (ولكن لا تعلمون) ايها المصلون والمصلون ما لكل فريق منكم من العذاب (وقالت اولاهم لا خراهم) اي قال المتبوعون للتابعين (فما كان لكم علينا من فضل) اي تفاوت في الكفر حتى تطلبوا من الله ان يزيد في عذابنا وينقص من عذابكم وقيل معناه قالت الامة السابقة للامة المتأخرة ما كان لكم علينا من فضل في الرأي والعقل وقد بلغكم ما نزل بنا من العذاب فلم اتبعتمونا وقيل من فضل اي من تخفيف من العذاب (فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون) من الكفر باختياركم لا باختيارنا لكم

قوله تعالى (٤٠) إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ (٤١) لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (آيتان)

📖 القراءة 📖

قرأ حمزة والكسائي وخلف لا يُفْتَحُ بالياء والتخفيف وقرأ ابو عمرو بالتاء والتخفيف وقرأ الباقون بالتاء والتشديد وروي في الشواذ عن ابن عباس وسعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد والشعبي وابن السكيت حتى يلبج الجملة بالضم والتشديد عن سعيد بن جبير في رواية اخرى وعبد الكريم وحنظلة الجملة بالضم والتخفيف وعن ابن عباس ايضا الجملة بضم الجيم وسكون الميم والجملة بضم الجيم وسكون الميم وعن ابن السكيت الجملة بفتح الجيم وسكون الميم

— الحجة —

حجة من قرأ لا تُفْتَحُ بالتشديد قوله جنات عدن مفتحة لهم الابواب وحجة من خفف قوله ففتحنها

ابواب السماء واما الجَمَل بالضم والتشديد والجَمَل بالتخفيف وكلاهما الجمل الفليضة من القَبِّ وقيل هو جبل السفينة وقيل الجبال المجموعة واما الجَمَل فيجوز ان يكون جمع جَمَل فيكون مثل اَسَد وَاَسَد وُوْثْن وُوْثْن وكذلك المضموم ايضا كَأَسَد وُوْثْن قال ابن جني واما الجَمَل فيبعد ان يكون مخففاً من جَمَل لطفة الفتحة وان كان قد جاء عنهم قوله

وَمَا كُلُّ مَبْتَاغٍ وَلَا سَافَ صَفْقَةٍ
بِرَاجِعٍ مَا قَدْ فَاتَهُ بَرْدَادٍ^(٢)

✽ اللفظة ✽

السم بفتح السين وضمها الثقب ومنه السم القاتل لأنه ينفذ بلفظه في مسام البدن حتى يصل الى القلب فينقض بنيته وكل ثقب في البدن لطيف فهو سَمَّ وسمَّ وجمعه سموم وقال الفرزدق

فَنَفَسْتُ عَنْ سَمِّيهِ حَتَّى تَنَفَّسًا
وَقُلْتُ لَهُ لَا تَخْشَ شَيْئًا وَرَأِيَا

يريد بسميه ثقبى انفه ويجمع السم القاتل سِماما وَاخِيَاطُ وَاخِيَاطُ الْاِبْرَةِ كَالْحَافِ وَالْمَلْحَفِ وَالْفَنَاعِ وَالْمَقْنَعِ وَالْاِزَارِ وَالْمُتَزَّرِ وَالْقَرَامِ وَالْمَقْرَمِ ذَكَرَهُ الْفَرَاءُ وَجَهَنَّمَ اسْمٌ مِنْ اَسْمَاءِ النَّارِ وَاسْتِقَاقُهَا مِنَ الْجَهَنَّمَ وَهِيَ الْغَلْظُ وَقِيلَ اخَذَ مِنْ قَوْلِهِمْ بِثَرَجِيَّتَامِ اَي بَعِيدَ قَمَرِهَا وَالْمَهَادُ الْوِطَاءُ الَّذِي يَفْتَرَشُ وَمِنْهُ مَهْدُ الصَّبِيِّ وَقَدْ مَهَدَتْ لَهُ هَذَا الْأَمْرَ اَي وَطَأَتْهُ لَهُ وَالْفَوَاشِي جَمْعُ غَاشِيَةٍ وَهُوَ كُلُّ مَا يَشَاكُ اَي يَسْتَرِكُ وَمِنْهُ غَاشِيَةُ السَّرِجِ وَفُلَانٌ يَفْشَى فُلَانًا اَي يَأْتِيهِ وَيَلْبَسُهُ

✽ الإعراب ✽

قال ابو علي للنحويين في نحو غواشي وجوابي قولان ✽ احدهما ✽ مذهب سيبويه والتحليل وهو ان الياء حذفت حذفاً لا لالتقاء الساكنين فلما حذفت الياء انتقص الاسم عن الزنة التي كان التنوين يعاقبها ولا يجتمع معها فدخلها وانما حذفت هنا الياء لالتقاء الساكنين كما يحذف حرف اللين في الوقف في نحو والليل اذا يسر وذلك ما كنا نبغ وقد حذفت في الوصل ايضا وكان الذي حسن ذلك الحذف انها قد صارت بمنزلة الحركات لأنها قد صارت عوضاً منها بدلالة تعاقبها وانما تحذف في الموضع الذي تحذف فيه الحركة فلما قوي الحذف فيها وكثر وكان هذا الجمع خارجاً عن الأبنية الأولى وبأبنا لزم الحذف والقول الآخر ما حدث السراج عن المبرد عن المازني قال ينظر يونس النحوي وابو زيد والكسائي الى جوارى وبابه فما كان من الصحيح لا يلحقه التنوين لم يلحقه في المعتل وما كان يلحقه التنوين في الصحيح الحقوه في المعتل قال والذي عليه البصريون هو القول الاول

✽ المعنى ✽

ثم عاد الكلام الى الوعيد فقال سبحانه (ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها) اى تكبروا عن قبولها (لا تفتح لهم ابواب السماء) اى لا تفتح ابواب السماء لارواحهم كما تفتح لارواح المؤمنين عن ابن عباس والسدي وقيل لا تفتح لأعمالهم ولدعاتهم عن الحسن ومجاهد وعن ابن عباس في رواية اخرى وروي عن ابي جعفر الباقر عليه السلام انه قال اما المؤمنون فترفع أعمالهم وارواحهم الى السماء فتفتح لهم ابوابها واما الكافر فيصلد بعمله وروحه حتى اذا بلغ الى السماء نادى مناد اهبطوا به الى سجين وهو واد بحضرموت يقال له يرهوت وقيل لا تفتح لهم ابواب السماء لدخول الجنة لأن الجنة في السماء عن الجبائي

(١) الثَّغْبُ: نبات . (٢) كأنه يقول ليس كل من سلف متاعه يتوقى دينه .

(ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط) أي حتى يدخل البعير في ثقب الأبرة والمعنى لا يدخلون الجنة أبداً وسئل ابن مسعود عن الجمل فقال هو زوج الناقة كأنه استجهل من سأله عن الجمل وهذا كما تقول العرب في التباعد للشيء لا أفضل كذا حتى يشيب الغراب وحتى يبيض القار وحتى يؤوب القارطان قال الشاعر

إِذَا شَابَ الْغُرَابُ آتَيْتُ أَهْلِي وَصَارَ الْقَارُ كَاللَّبَنِ الْحَلِيبِ
وقال آخر

فَرَجِي الْحَيْرَ وَانْتَظِرِي آيَابِي إِذَا مَا الْقَارِظُ الْعَنْزِي آبَا
وتعليق الحكم بما لا يتوهم وجوده ولا يتصور حصوله تأكيد له وتحقيق للباس من وجوده (وكذلك نجزي المجرمين) أي ومثل ما جزينا هؤلاء نجزي سائر المجرمين المكذبن بآيات الله تعالى (لهم) أي هؤلاء (من جهنم مهاد) أي فراش ومضجع (ومن فوقهم غواش) مثل قوله لهم من فوقهم ظلال من النار وقبل المراد به لطف والمعنى أن النار محيطة بهم من اعلام واسفلهم (وكذلك نجزي الظالمين) قال ابن عباس يريد الذين أشركوا به واتخذوا من دونه إلهاً

قوله تعالى (٤٢) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٤٣) وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولَ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكَمُ الْجَنَّةُ أَوْرَثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (آيتان)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن عامر ما كنا لنهتدي بغير واو وكذلك في مصاحف أهل الشام والباقون مع الواو وقرأ أبو عمرو وحمة والكسائي اورثوها مدغمة وكذلك في الزخرف وقرأ الباقر اورثوها غير مدغمة
« الحجة »

قال أبو علي وجه الاستفناء عن حرف العطف أن الجملة ملتبسة بما قبلها فاغنى التباسها به عن حرف العطف وقد تقدم ذكر أمثاله ومن ترك الإدغام في اورثوها فلتباين المخرجين وكأن الحرفين في حكم الانفصال وإن كانا من كلمة واحدة إلا ترى أنهم لم يدغموها ولو شاء الله ما اقتتلوا وإن كانا مثليين لما لم يكونا لازمين إلا ترى أن تاء افعل قد يقع بعدها غير التاء فكذلك اورث قد يقع بعد التاء منها غير التاء فلا يجب الإدغام ووجه الإدغام أن التاء والتاء مهموستان متقاربتان فاستحسن الإدغام لذلك

﴿ اللفظة ﴾

الغُلُّ الحقد الذي ينقل بلطفه إلى صميم القلب ومنه الغلول وهو الوصول بالحيلة إلى دقيق الخيانة ومنه الغُلُّ الذي يجمع اليدين والعتق بانفلاله فهما الصدر ما يصدر من جهة التدبير والرأي ومنه قيل للرئيس صدر والجريان انحدر المانع فالما يجري والدم يجري وكل ما يصح أن يجري فهو مانع والنهر الواسع من مجاري الماء ومنه النهار لا تساع ضيائه والنداء الدعاء بطريقة يا فلان

(١) القار: القبر. القارطان: رجلان من قبيلة عنزة خرجا يجنيان القرظ وهو ورق السلم يدغبه ويسمى بالفارسية ما زوم فلم يرجما ولا عرف لهما خبر ف ضرب بهما المثل لكل فائب لا يرجى إياه.

— الاعراب —

لانكلف نفسا الا وسما جملة في موضع رفع بأنه خبر الذين آمنوا وحذف العائد الى المبتدأ فكانه قيل منهم لا من غيرهم نحو قولهم السمن منوان بدرهم اي منوان منه ويجوز ان يكون اعتراضا ما بين المبتدأ والخبر ويكون الخبر الجملة التي هي اولئك اصحاب الجنة واذا كان اعتراضا فلا موضع له من الاعراب وان تلكم الجنة يجوز ان يكون أن بمعنى اي لتفسير النداء فيكون المعنى نودوا على وجه التهنية بكلام هذا معناه ويجوز ان يكون مخففة من الثقيلة والهاء مضمرة والتقدير بأنه تلكم الجنة قال الشاعر

أَكْشِرُهُ وَأَعْلَمُ أَنَّ كِلَانَا
عَلَى مَا سَاءَ صَاحِبُهُ حَرِيصٌ (١)

— المعنى —

لما تقدم وعيد الكفار بالخلود في النيران ائبع ذلك بالوعد للمؤمنين بالخلود في الجنان فقال (والذين آمنوا) اي صدقوا بآيات الله واعترفوا بها ولم يستكبروا عنها (وعملوا الصالحات) اي ما اوجبه الله عليهم او ندهم اليه (لا نكلف نفسا الا وسما) التكليف من الله سبحانه هو ارادة ما فيه المشقة من الكلفة التي هي المشقة اي لا نلزم نفسا الا قدر طاقتها وما دونها لأن الوسع دون الطاقة ووجه اتصاله بما قبله بين اذا جعلته خيرا لأن معناه لانكلف احدا منهم من الطاعات الا ما يقدر عليه واذا كان اعتراضا بين الكلامين فكانه لما وعد المؤمنين بالجنان والكافرين بالنيران بين انه لا يكلف احدا منهم الا ما في وسعه وان من استحق النار فمن نفسه اتي (اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون) مقيمون (ونزعنا ما في صدورهم من غلٍ) اي واخرجنا ما في قلوبهم من حقد وحسد وعداوة في الجنة حتى لا يحسد بعضهم بعضا وان رآه ارفع درجة منه (تجري من تحتهم الانهار) قيل انه في موضع الحال اي يجري ماء الانهار من تحت ابنتهم واشجارهم في حال نزع الغل من صدورهم وقيل هو استئناف (وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا) اي هدانا للعمل الذي استوجبنا به هذا الثواب بأن دلنا عليه وعرضنا له بتكليفه ابانا وقيل معناه هدانا لثبوت الايمان في قلوبنا وقيل لنزع الغل من صدورنا وقيل هدانا لمجاوزة الصراط ودخول الجنة (وما كنا لنهتدي) لما يصيرنا الى هذا النعيم المقيم والثواب العظيم (لولا ان هدانا الله) هذا اعتراف من اهل الجنة بنعمة الله سبحانه اليهم ومنته عليهم في دخول الجنة على سبيل الشكر والتلذذ بذلك لأنه لا تكلف هناك (لقد جاءت رسل ربنا بالحق) وهذا اقرار منهم بأن ما جاءت به الرسل اليهم من جهة الله تعالى فهو حق لا شبهة في صحته (ونودوا) اي ويناديهم مناد من جهة الله تعالى ويجوز ان يكون ذلك خطابا منه سبحانه لهم (ان تلكم الجنة) اي هذه الجنة وإنما قال تلكم لأنهم وعدوا بها في الدنيا فكانه قيل لهم هذه تلكم التي وعدتم بها ويجوز ان يكونوا عاينوها فيقال لهم قبل ان يدخلوها اشارة اليها تلكم الجنة (أو رثتموها) اي أعطيتموها إرثا وصارت اليكم كما يصير الميراث لأهله وقيل معناه جعلها الله سبحانه بدلا لكم كما كان أعدّه للكفار لو آمنوا وروي عن النبي (ص) انه قال ما من أحد الا وله منزل في الجنة ومنزل في النار فأما الكافر فيرث المؤمن منزله من النار والمؤمن يرث الكافر منزله من الجنة فذلك قوله اورثتموها (بما كنتم تعملون) اي توحّدون الله وتقومون بفرائضه

(١) كاشره مكالسة : ضاحكه وحرّك عليه اسنانه .

قوله تعالى (٤٤) وَنَادَىٰ اصْحَابُ الْجَنَّةِ اصْحَابَ النَّارِ اَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَاذَّتْ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ اَنْ لَعْنَةُ اللّٰهِ عَلَى الظّٰلِمِيْنَ (٤٥) الَّذِيْنَ يَصُدُّونَ عَنِ سَبِيْلِ اللّٰهِ وَيَبْغُوْنَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كٰفِرُونَ (آيتان)

❖ القراءة ❖

قال الكسائي وحده نِعِمَّ بكسر العين كل القرآن والباقون بالفتح وقرأ اهل المدينة والبصرة ان مخففة لعنة الله بالرفع والباقون ان مشددة لعنة الله بالنصب

❖ الحجة ❖

قال الاخفش نَعَمَ ونِعِمَّ لغتان فالكسر لغة كنانة وهذيل والفتح لغة باقي العرب وان التي تقع بعد العلم انما هي المشددة والمخففة عنها واذن مؤذّنٌ معناه اعلم معلّمٌ ان لعنة الله ومن خفف ان فعل ارادة اضمار القصة والحديث وتقديره انه لعنة الله ومثله وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين التقدير انه ولا تخفف ان هذه الا واضمار القصة والحديث يراد معها والمكسورة اذا خففت لا يكون كذلك والفصل بينها ان المفتوحة موصولة والموصولة تقتضي صلتها فصارت لاقتضاها الصلة اشد اتصالا بما بعدها من المكسورة فقدّر بعدها الضمير الذي هو من جملة صلتها وليست المكسورة كذلك

❖ الإعراب واللفظة ❖

قال سيبويه نعم عدة وتصديق فاذا استفهمت اجبت بنعم قال ابو علي والذي يريد بقوله عدة وتصديق انه يستعمل عدة ويستعمل تصديقا وليس يريد انه يجتمع التصديق مع العدة الا ترى انه اذا قال اعطينني فقلت نعم كان عدة ولا تصديق في هذا واذا قال قد كان كذا فقلت نعم فقد صدقته ولا عدة في هذا فليس هذا القول من سيبويه كقوله في اذا انها جواب وجزء لان اذا يكون جوابا في الموضع الذي يكون فيه جزء وقوله اذا استفهمت اجبت بنعم يريد اذا استفهمت عن موجب اجبت بنعم ولو كان مكان الايجاب النفي لقلت بلى ولم تقل نعم كما لا تقول في جواب الموحب بلى قال ألسنت بربكم قالوا بلى والذين يصدون في موضع جر بأنه صفة للظالمين وعوجا يجوز ان يكون منصوبا بأنه مفعول به بمعنى يبنون لها العوج ويجوز ان يكون منصوبا على المصدر بمعنى يطلبون لها هذا الضرب من الطلب كما تقول رجع القهقري اي رجع هذا الضرب من الرجوع وكذلك عدداً البشكى واشتمل الصها والعوج بالكسر يكون في الطريق وفي الدين وبالفتح يكون في الخلقة تقول في ساقه عوج بفتح العين وفي دينه عوج بالكسر

❖ المعنى ❖

ثم حكى سبحانه ما يجري بين اهل الجنة والنار بعد استقرارهم في الدارين فقال (ونادى) اي وسينادي (اصحاب الجنة اصحاب النار) اي اهل الجنة اهل النار وانما ذكره بلفظ الماضي لتحقيق المعنى جعل ما سيكون كأنه قد كان لأنه كائن لا محالة وذلك ابلغ في الردع (ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا) من الثواب في كتبه وعلى السنة رسله (حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم) من العقاب (حقا) وانما اضافوا الوعد بالجنة الى نفوسهم لأن الكفار ما وعدهم الله بالجنة الا بشرط ان يؤمنوا فلما لم يؤمنوا فكأنهم لم يوعدوا بالجنة

وانما سألوهم هذا السؤال لأن الكفار كانوا يكذبون المؤمنين فيما يدعون لأنفسهم من الثواب ولهم من العقاب فهو سؤال توبيخ وشامة يريد به سرور اهل الجنة وحسرة اهل النار (قالوا نعم) اي قال اهل النار وجدنا ما وعدنا ربنا من العقاب حقاً وصدقاً (فأذن مؤذّن بينهم) اي نادى مناد بينهم اسمع الفريقين (ان لعنة الله على الظالمين) اي غضب الله وسخطه وأليم عقابه على الكافرين لأنه وصف الظالمين بقوله (الذين يصدون عن سبيل الله) اي يعرضون عن الطريق الذي دل الله سبحانه على أنه يودّي الى الجنة وقيل معناه يصرفون غيرهم عن سبيل الله اية دينه والحق الذي دعا اليه (ويغوونها عوجاً) قال ابن عباس معناه يصلون لغير الله ويعظمون ما لم يعظمه الله وقيل معناه يطلبون لها العوج بالشبه التي يلتبسون بها ويوهون انه يقدح فيها وهي معوجة عن الحق بتناقضها (وهم بالآخرة) اي بالدار الآخرة يعني القيامة والبعث والجزاء (كافرون) جاحدون وقيل في المؤذّن أنه مالك خازن النار وروي عن ابي الحسن الرضا (ع) انه قال المؤذّن أمير المؤمنين علي (ع) ذكره علي بن ابراهيم في تفسيره قال حدثني ابي عن محمد بن فضيل عن الرضا (ع) ورواه الحاكم ابو القاسم الحسكاني باسناده عن محمد بن الحنفية عن علي عليه السلام انه قال انا ذلك المؤذّن وباسناده عن ابي صالح عن ابن عباس ان لعلي (ع) في كتاب الله اسماء لا يعرفها الناس قوله فأذن مؤذّن بينهم فهو المؤذّن بينهم يقول الا ائمة الله على الذين كذبوا بولايتي واستخفوا بحجتي

قوله تعالى (٤٦) وَيَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادُوا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ (٤٧) وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (آيتان)

❀ اللغة ❀

الحجاب الحاجز المانع من الادراك ومنه قيل للضرب محجوب وحاجب الامر وحاجب العين والاعراف الامكنة المرتفعة أخذ من عرف الفرس ومنه عرف الذهب وكل مرتفع من الأرض عرف لأنه بظهوره اعرف ما انخفض قال الشاخر

وَوَظَلَّتْ بِأَعْرَافٍ تَعَالَى كَانَهَا رِمَاحٌ نَحَاهَا وَجَهَةَ الرِّيحِ رَاكِزٌ (١)

وقال آخر

كُلُّ كِنَازٍ لِحْمِهِ نِيَّافٍ كَالْعَلَمِ الْمُؤَفِّي عَلَى الْأَعْرَافِ (٢)

يعني نشوزا من الأرض والسيما العلامة وهي فعلى من سام ابله يسومها اذا ارسلها في المرعى معلمة وهي السائمة وقيل ان وزنه عفى من وسمت فقلت كما قالوا له جاء في الناس وأصله وجه وكما قالوا اضمحل وامضحل وأرض خامة اي وخيمة وفيه ثلاث لغات سيماء بالصدر والمد وسيمياء على زنة كبيراء قال الشاعر « له سيمياء ما يشق على البصر » والتقاء جهة اللقاء وهي جهة المقابلة ولذلك كان ظرفا من ظروف المكان تقول هو لقاءك فهو حذاءك والابصار جمع بصير وهو الحاسة التي يدرك بها المبصر وقد يستعمل بمعنى المصدر ويقال له بصير بالاشياء اي علم بها وهو بصير بالأمر اي عالم

(١) ظل يفعل كذا : دام وقوله ظلت اصله ظلمت . وتعالى اي تتعالى وقوله نحاها اي امالها من قولهم نحى بوجه اليه : اماله . وركز الرمح : غرزه في الارض . أنتبه اي اماله . (٢) جارية وناقاة كناز : اي كثيرة اللحم صلبة . تليق من الجمال والنوق : الطويل في ارتفاع . وأوفى عليه : أشرف .

* المعنى *

ثم ذكر سبحانه الفريقين في الجزاء فقال (وبينهما حجاب) اي بين الفريقين أهل الجنة وأهل النار ستر وهو الاعراف والاعراف سور بين الجنة والنار عن ابن عباس ومجاهد والسدي وفي التنزيل فضرِبَ بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب وقيل الاعراف شُرف ذلك السور عن الجبائي وقيل الاعراف الصراط عن الحسن بن الفضل (وعلى الاعراف رجال) اختلف في المراد بالرجال هنا على اقوال فقيل انهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فحالت حسناتهم بينهم وبين النار وحالت سيئاتهم بينهم وبين الجنة فجعلوا هناك حتى يقضي الله فيهم ما شاء ثم يدخلهم الجنة عن ابن عباس وابن مسعود وذكر ان بكر بن عبد الله المزني قال للحسن بلغني انهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فضرِبَ الحسن يده على فخذه ثم قال هؤلاء قوم جعلهم الله على تعريف أهل الجنة والنار يميزون بعضهم من بعض والله لا ادري لعل بعضهم معنا في هذا البيت وقيل ان الاعراف موضع عال على الصراط عليه حمزة والعباس وعلي وجعفر يعرفون محبهم ببياض الوجوه وبمغضبهم بسواد الوجوه عن الضحاك عن ابن عباس رواه الثعلبي بالاسناد في تفسيره وقيل انهم الملائكة في صورة الرجال يعرفون أهل الجنة والنار ويكونون خزنة الجنة والنار جميعا او يكونون حفظة الاعمال الشاهدين بها في الآخرة عن ابي مجلز وقيل انهم فضلاء المؤمنين عن الحسن ومجاهد وقيل انهم الشهداء وهم عدول الآخرة عن الجبائي وقال ابو جعفر الباقر (ع) هم آل محمد عليهم السلام لا يدخل الجنة الا من عرفهم وعرفوه ولا يدخل النار الا من انكروهم وانكروه وقال ابو عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام الاعراف كُتبان بين الجنة والنار فيقف عليها كل نبي وكل خليفة نبي مع المذنبين من أهل زمانه كما يقف صاحب الجيش مع الضملاء من جنده وقد سبق المحسنون الى الجنة فيقول ذلك الخليفة للمذنبين الواقفين معه انظروا الى اخوانكم المحسنين قد سبقوا الى الجنة فيسلم المذنبون عليهم وذلك قوله ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم ثم اخبر سبحانه انهم لم يدخلوها وهم يطعمون يعني هؤلاء المذنبين لم يدخلوا الجنة وهم يطعمون ان يدخلهم الله اياها بشفاعته النبي والامام وينظر هؤلاء المذنبون الى أهل النار فيقولون ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين ثم ينادي اصحاب الاعراف وهم الانبياء والخلفاء أهل النار مقرعين لهم ما اغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون هؤلاء الذين أقسمتم يعني هؤلاء المستضعفين الذين كنتم تحقرونهم وتستطيلون بدينكم عليهم ثم يقولون هؤلاء المستضعفين عن أمر من الله لهم بذلك ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون ويؤيده ما رواه عمر بن شبة وغيره ان علياً (ع) قسيم النار والجنة ورواه ايضا باسناده عن النبي (ص) انه قال يا علي كافي بك يوم القيامة وييدك عصا عوسج تسوق قوما الى الجنة وآخرين الى النار وروى ابو القاسم الحسكاني باسناده رفعه الى الأصعب بن نباته قال كنت جالسا عند علي (ع) فأتاه ابن الكوا فسأله عن هذه الآية فقال ويحك يا ابن الكوا نحن نقف يوم القيامة بين الجنة والنار فمن ينصرنا عرفناه بسياه فأدخلناه الجنة ومن ابغضنا عرفناه بسياه فأدخلناه النار وقوله (يعرفون كلا بسيماهم) يعني هؤلاء الرجال الذين هم على الاعراف يعرفون جميع الخلق بسيماهم يعرفون أهل الجنة بسياء المطيعين وأهل النار بسياء العصاة (ونادوا اصحاب الجنة) يعني هؤلاء الذين على الاعراف ينادون باصحاب الجنة (ان سلام عليكم) وهذا تسليم وتهنئة وسرور بما وهب الله لهم (لم يدخلوها) اي لم يدخلوا الجنة بعد عن ابن عباس وابن مسعود والحسن وقادة (وهم يطعمون)

ان يدخلوها وقيل ان الطمع ههنا طمع يقين مثل قول ابراهيم والذي أطمع ان يغفر لي خطيئتي وهو قول الحسن وابي علي الجبائي (واذا صرفت ابصارهم) يعني ابصار الذين على الاعراف (تلقاء اصحاب النار) الى جهنم فنظروا اليهم وانما قال صرفت ابصارهم لأن نظرم نظر عداوة فلا ينظرون اليهم الا اذا صرفت وجوههم اليهم (قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين) اي لا تجمعنا وايامهم في النار وروي ان في قراءة عبد الله ابن مسعود وسالم واذا قلبت ابصارهم. تلقاء اصحاب النار قالوا ربنا عاذا بك ان تجعلنا مع القوم الظالمين وروي ذلك عن ابي عبد الله (ع)

قوله تعالى (٤٨) وَنَادَىٰ اصْحَابُ الْأَعْرَافِ رَجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسْمَائِهِمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تُسْتَكْبِرُونَ (٤٩) أَهْلَ الْأَعْرَافِ الَّذِينَ اقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ (آيتان)
- [اللغة] -

النداء امتداد الصوت ورفعته ونادى نظير دعا إلا ان الدعاء قد يكون بعلامة من غير صوت ولا كلام ولكن بإشارة تنبئ عن معنى تعال ولا يكون النداء إلا برفع الصوت وهو مشتق من الندى والخوف توقع المكروه وهو ضد الأمن وهو الثقة بانتفاء المكروه

* الاعراب *

هو الأسماء مبتدأ وخبره الذين اقسمتم والاولى ان يكون الذين اقسمتم خبر مبتدأ محذوف التقدير أهؤلاء هم الذين اقسمتم وقوله لا ينالهم الله برحمة جواب اقسمتم وهذا داخل في صلة الذين لأن الذين هنا وصل بالقسم وجوابه ولا يجوز ان يكون الذين صفة لهؤلاء من وجهين * احدهما * ان المبهم لا يوصف إلا بالجنس * والاخر * انه يبقى المبتدأ بلا خبر

* المعنى *

ثم بين سبحانه خطاب اصحاب الاعراف لأصحاب النار فقال (ونادى) اي وسينادي (اصحاب الاعراف رجالا) من اصحاب النار (يعرفونهم بسمايتهم) اي بصفاتهم يدعونهم بأسمائهم وكنام ويسمونه رؤساء المشركين عن ابن عباس وقيل بعلاماتهم التي جعلها الله تعالى لهم من سواد الوجوه وتشويه الخلق وزرقة العين عن الجبائي وقيل بصورهم التي كانوا يعرفونهم بها في الدنيا (قالوا ما اغنى عنكم جمعكم) الاموال والعدد في الدنيا (وما كنتم تستكبرون) اي واستكباركم عن عبادة الله وعن قبول الحق وقد كنا نصحناكم فاشتغلتم بجمع المال وتكبرتم فلم تقبلوا منا فأن ذلك المال واين ذلك التكبر وقيل معناه ما نفعكم جماعتكم التي استندتم اليها وتجيركم عن الانقياد لأنبياء الله في الدنيا عن الجبائي (اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة) اي خلقتم انهم لا يصيبهم الله برحمة وخير ولا يدخلون الجنة كذبتم ثم يقولون لهؤلاء (ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون) اي لا خائفين ولا محزونين على اكل سرور واتم كرامة والمراد بهذا تقريع الذين زروا على ضعفاء المؤمنين حتى حالفوا انهم لا خير لهم عند الله وقد اضطربت أقوال المفسرين في القائل لهذا القول فقال الا كثرون انه كلام اصحاب الاعراف وقيل هو كلام الله تعالى وقيل كلام

(١) وفي النسخة المطبوعة بطهران «جهتهم» بدل «جهنم» (٢) [عن أبي مسلم]
(٣) زرار عليه عمله : عاتبه أو عابه عليه .

الملائكة والصحيح ما ذكرناه لأنه المروي عن الصادق (ع)

قوله تعالى (٥٠) وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيَّ الْكَافِرِينَ (٥١) الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَأُكُمْ كَمَا نَسَأُ يَوْمَهُمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (آيَات)

✽ الفنة ✽

الإفاضة إجراء المانع من علو ومنه قولهم أفاضوا في الحديث أي أخذوا فيه من أوله لأنه بمنزلة اعلامه وأفاضوا من عرفات إلى المزدلفة صاروا إليها واللهو طلب صرف اللهم بما لا يحسن ان يطلب به واللعب طلب المرح بما لا يحسن ان يطلب به واشتقاقه من اللعاب وهو المرور على غير استواء

✽ الإعراب ✽

قال أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله ثم قال حرّمها ولم يقل حرّمه وان كان التقدير أفيضوا احد هذين لأنه جاء على قولهم جالس الحسن أو ابن سيرين فيجوز بحالتهما جميعا وقوله الذين اتخذوا يجوز ان يكون في موضع جر صفة للكافرين ويحتمل ان يكون رفعا بالابتداء فيكون اخبارا من الله تعالى على وجه الذم لهم

— المعنى —

ثم ذكر سبحانه كلام اهل النار وما اظهروه من الافتقار بدلا مما كانوا عليهم الاستكبار فقال (ونادى) أي وسينادي (اصحاب النار) وهم المخلدون في النار وفي عذابها (اصحاب الجنة ان أفيضوا علينا من الماء) أي صبوا علينا من الماء نسكن به العطش او ندفع به حر النار (او مما رزقكم الله) أي اعطاكم الله من الطعام عن السدي وابن زيد (قالوا) يعني اهل الجنة جواباً لهم (ان الله حرّمها على الكافرين) ويسأل فيقال كيف يتنادى اهل الجنة واهل النار واهل الجنة في السماء على ما جاءت به الرواية واهل النار في الأرض وبينهما ابعاد الغايات من البعد وأجيب عن ذلك بأنه يجوز ان يزيل الله تعالى عنهم ما يمنع من السماع ويجوز ان يقويه الله تعالى به لهو واللعب دون التدين به وقيل معناه اتخذوا دينهم لهواً ولعياً) أي اعتدوا دينهم الذي أسرم الله تعالى به لهو واللعب دون التدين به وقيل معناه اتخذوا دينهم الذي كان يلزمهم التدين به والتجنب من محظوراته لعباً ولهواً فحرموا ما شاءوا واستحلوا ما شاءوا بشهواتهم (وغرّتهم الحياة الدنيا) أي اغتروا بها وبطول البقاء فيها فكانت الدنيا غرّتهم (فالיום ننسأكم كما نسأ لقاء يومهم هذا) أي تتركهم في العذاب كما تركوا التأهب والعمل للقائه هذا اليوم عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقيل معناه تعاملهم معاملة المنسي في النار فلا نجيب لهم دعوة ولا نرحم لهم عبرة كما تركوا الاستدلال حتى نسوا العلم وترضوا للنسيان عن الجبائي (وما كانوا باياتنا يجحدون) ما في الموضوعين بمعنى المصدر وتقديره كنسيانهم لقاء يومهم هذا وكونهم جاحدين لا ياتنا واختلف في هذه الآية قبل ان الجميع كلام الله تعالى على غير وجه الحكاية عن اهل الجنة وتم كلام اهل الجنة عند قوله حرّمها على الكافرين وقيل انه من كلام اهل الجنة الى قوله الحياة الدنيا ثم

استأنف تعالى الكلام بقوله فاليوم نسام

قوله تعالى (٥٢) وَلَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ
(٥٣) هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا نَا وَوَيْلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (آيتان)

— اللغة —

الكتاب صحيفة فيها حروف مسطورة تدل بتأليفها على معان مفهومة والتفصيل والتبيين والتقسيم نظائر ينظرون أي ينتظرون والانتظار هو الاقبال على ما يأتي بالتوقع له وأصله الاقبال على الشيء بوجه من الوجوه والتأويل ما يؤول اليه حال الشيء والنسيان ذهاب المعنى عن النفس واختلف المتكلمون فيه فقال ابو علي الجبائي انه معنى وقال ابو هاشم ليس بمعنى وإنما هو من قبيل السهو وقال القاضي هو ذهاب العلم الضروري و اليه ذهب المرتضى

✽ الاعراب ✽

هدى ورحمة يجوز ان يكون حالا ويجوز ان يكون مفعولا له وقال ابو مسلم مصدر وضع موضع الحال ولو قرئ بالرفع على الاستئناف او بالجر على البدل لجاز إلا ان القراءة بالنصب فيشعروا نصب لأنه جواب التمني بالفاء وتقديره هل يكون لنا شفعاة او نرد بالرفع على تقدير او هل نرد فنعمل اي هل يكون لنا رد فنعمل اي فعل مناغير ما كنا عملناه

✽ المعنى ✽

لما ذكر حال الفريقين بيّن سبحانه انه قد أتاهم الكتاب والحجة فقال (ولقد جئناهم بكتاب) وهو القرآن (فصلناه) بيناه وفسرناه (على علم) اي ونحن عالمون به ولما كان من انفة عالم مأخوذة من العلم لجاز ان يذكر العلم ليدل به على العالم كما ان الوجود في صفة الوجود كذلك (هدى ورحمة لقوم يؤمنون) اي دلالة ترشدهم الى الحق وتنجيهم من الضلالة ونعمة على جميع المؤمنين لأنهم المتبعون به (هل ينظرون الا تأويله) اي هل ينتظرون الا عاقبة الجزاء عليه وما يؤول مغبة أمورهم اليه عن الحسن وقناعة ومجاهد والسدي وإنما أضاف اليهم مجازا لأنهم كانوا جاحدين لذلك غير متوقمين له وإنما كان ينتظر بهم المؤمنون لايمانهم بذلك وعترفهم به وقيل ان تأويله ما وعدوا به من البعث والنشور والحساب والعقاب عن الجبائي (يوم يأتي تأويله) اي يوم يأتي عاقبة ما وعدوا به (يقول الذين نسوه من قبل) اي يقول الذين تركوا العمل به ترك الناس له واعرضوا عنه عن مجاهد والزجاج (قد جاءت رسلنا بالحق) اعترفوا بأن ما جاءت به الرسل كان حقا والحق ما شهد بصحته العقل (هل لنا من شفعاة فيشفعوا لنا) تمنوا ان يكون لهم شفعاة يشفعون لهم في ازالة العقاب (او نرد) أي او هل نرد الى الدنيا (فنعمل غير الذي كنا نعمل) من الشرك والمصيبة (قد خسروا انفسهم) اي اهلكوها بالعذاب (وحمل عنهم ما كانوا يفترون) على الاصنام بقولهم انها آلهة وانها تشفع لنا

قوله تعالى (٥٤) **إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ بَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** (آية)

❖ القراءة ❖

قرأ أهل الكوفة غير حفص ويعقوب ينشئ بالتشديد وكذلك في الرعد والباقون بالتخفيف وقرأ ابن عامر والشمس والقمر والنجوم مسخرات كله بالرفع والباقون بالنصب

❖ الحجة ❖

قال أبو علي غشي فعل متمم إلى مفعول واحد فإذا نقلته بالهمزة أو بتضميف العين تمدى إلى مفعولين وقد جاء التنزيل بالأمرين قال فضأها ما غشى فما في موضع نصب بأنه المفعول الثاني وقال فأغشينا هم فهم لا يبصرون فهذا منقول بالهمزة والمفعول الثاني محذوف والمعنى فأغشينا هم المعنى أو فقد الروية عنهم فإذا جاء التنزيل بالأمرين فكلا الفريقين قرأ بما جاء في التنزيل وقوله ينشئ الليل النهار كل واحد من الليل والنهار منتصب بأنه مفعول به والفعل قبل النقل غشي الليل النهار ولم يقل ينشئ النهار الليل كما قال سراويل تفهيم الحر ولم يقل تفيكم البرد العلم بذلك من الفحوى ومثل هذا لا يضيق وحجة من نصب الشمس والقمر والنجوم انه جملة على خلق كما قال واسجدوا لله الذي خلقهن وحجة ابن عامر قوله وسخر لكم ما في السموات والأرض وتما في السماء الشمس والقمر فإذا أخبر بسخيرهما حسن الإخبار عنهما به كما أنك اذا قلت ضربت زيدا استقام ان تقول زيد مضروب

❖ اللفظة ❖

قد بينا معنى الاستواء في سورة البقرة عند قوله ثم استوى إلى السماء والعرش السري ومنه ولما عرش عظيم والعرش الملك يقال نزل عرشه والعرش السقف ومنه قوله فهي خاوية على عروشها والحديث السير السريخ بالسوق واصل البركة الثبات ومنه براكاه القتال

❖ الإعراب ❖

قوله حثيثا يجوز ان يكون حالا من الفاعل أو المفعول أو منها جميعا ومثله قوله فأنت به قومها تحمله فان تحمله كذلك ومثله قول الشاعر

مَتَىٰ مَا تَلَقَّيْتَنِي فَرَدَّيْنِ تَرَجِفُ
رَوَانِفُ الْيَتِيكَ وَتُسْتَطَارَا (٣)

❖ المعنى ❖

لما ذكر سبحانه الكفار وعبادتهم غير الله سبحانه احتج عليهم بمقدوراتهم ومصنوعاته ودلهم بذلك على انه لا معبود سواه فقال مخاطبا لجميع الخلق (ان ربكم الله) اي ان سيدكم ومالككم ومنشكم ومحدثكم هو الله (الذي خلق السموات) اي انشأ اعيانها وابدعها لا من شيء ولا على مثال ثم امسكها بلا عماد يدعها (والأرض) أي وأنشأ الأرض اوجدها كذلك (في ستة أيام) اي في مقدار ستة أيام من أيام الدنيا ولا شبهة انه سبحانه يقدر على خلق أمثال ذلك في لحظة ولكنه خلقها في هذه المدة لمصلحة وربها على أيام

(١) والصواب د وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض (٢) نزل عرشهم : ذهب عزمهم . نزل الله عرشهم : هدم ملكهم . (٣) رجف الشيء : تحرك واضطرب شديدا . الروانف جمع الرانفة : أسفل الآلية الذي يلي الأرض عند القعود . أستطير فلان : دعر

الاسبوع فابتدأ بالأحد والاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس والجمعة فاجتمع له الخلق يوم الجمعة فلذلك سمي الجمعة عن مجاهد وقيل ان ترتيب الحوادث على انشاء شيء بعد شيء على ترتيب ادل على كون فاعله عالماً مدبراً يصرفه على اختياره ويجريه على مشيئته وقيل انه سبحانه علم خلقه الثابت والرفق في الأمور عن سعيد بن جبير (ثم استوى على العرش) أي استوى امره على الملك عن الحسن يعني استقر ملكه واستقام بعد خلق السماوات والأرض فظهر ذلك للملائكة وإنما أخرج هذا على التعارف من كلام العرب كقولهم استوى الملك على عرشه إذا انتظمت أمور مملكته وإذا اختل أمر ملكه قالوا ثل عرشه ولعل ذلك الملك لا يكون له سرير ولا يجلس على سرير أبداً قال الشاعر

إِذَا مَا بَنُو مَرَوَانَ ثَلَّتْ عُرُوشُهُمْ
وَأودت كما أودت إِيَادٌ وَحَمِيرٌ (١)

وقال

إِنْ يَقْتُلُوكَ فَقَدْ ثَلَّتْ عُرُوشُهُمْ
بِعْتِيَّةِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ شِهَابٍ

وقيل معناه ثم استوى عليه بأن رفته عن الجبائي وقيل معناه ثم قصد إلى خلق العرش عن الفراء وجماعة واختاره القاضي قال دل بقوله ثم ان خلق العرش كان بعد خلق السماء والأرض وروي عن مالك ابن انس انه قال الاستواء غير مجهول وكيفيته غير معلومة والسؤال عنه بدعة وروي عن ابي حنيفة انه قال امرؤه كما جاء أي لا نفسروه (يفشى) أي يلبس (الليل النهار) يعني يأتي بأحدهما بعد الآخر فيجمل ظلمة الليل بمنزلة الفسوة للنهار ولم يقل ويفشى النهار الليل لأن الكلام يدل عليه وقد ذكر في موضع آخر يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل (يطلبه حيثما) أي يتلوه فيدركه سريعاً وهذا توسع يريد أنه يأتي في أثره كما يأتي الشيء في أثر الشيء طالبا له (والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره) أي مذلات جاريات في مجاريهن بتدبيره وصنعه خلقهن لمنافع العباد ومن قرأ مسخرات بالنصب فإنه منصوب على الحال (ألا له الخلق والأمر) وإنما فصل بين الخلق والأمر لأن فائدتهما مختلفة لأنه يريد بالخلق ان له الاختراع والأمر ان له الأمر في خلقه بما أحب ويفعل بهم ما شاء (تبارك الله) أي تعالى بالوحدانية فيما لم يزل ولا يزال فهو بمعنى تعالى بدوام الثبات وقيل معناه تعالى عن صفات المخلوقين والمحدثين وقيل تعالى بدوام البركة أي البركة في ذكر اسمه (رب العالمين) أي خالقهم ومالكهم وسيدهم

قوله تعالى (٥٥) اذعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين (٥٦) ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفاً وطمعاً إن رحمت الله قريب من المحسنين (آياتان)

❖ القراءة ❖

قرأ أبو بكر عن عاصم خفية بكسر الخاء والباقون بضمها وهما لسان

❖ اللغة ❖

التضرع التذلل وهو اظهار الذل الذي في النفس ومثله التخشع ومنه التطلب لا مر من الأمور واصل التضرع الميل في الجهات ذلاً من قولهم ضرع الرجل يضرع ضرعاً إذا مال باصبعه يميناً وشمالاً ذلاً وخوفاً ومنه ضرع الشاة لأن اللبن يميل اليه ومنه المضارعة للمشابهة لأنها تميل إلى شبهه والضريع نبت لا يسمن لأنه يميل مسم كل داء

والخفية خلاف العلانية والمهزلة في الاخفاء منقلبة عن الياء كما أن الهزمة في الغناء منقلبة عن الياء بدلالة الضمة وقالوا اخفيت الشيء إذا اظهرته قال الشاعر

يُخْفِي التُّرَابَ بِأَظْلَافِهِ ثَمَانِيَةَ فِي أَرْبَعِ مَسْهِنِ الْأَرْضِ تَحْلِيلُ (١)

ويمكن ان يكون اخفيت الشيء أي أزلت اظهاره واذا أزلت اظهاره فقد كتمته كما ان اشكيت به بمعنى أزلت شكايته والخفية الاخفاء والحيفة الحروف والرهة والطعم توقع المحبوب وضده اليأس وهو التقطع بانتفاء المحبوب

❖ الاعراب ❖

تضرعاً وخفية مصدران وضعا موضع الحال أي ادعوه متضرعين ومخفين وقوله خوفا وطمعا في موضع الحال أيضا أي خائفين عقابه وطماعين في رحمته قال الفراء إنما ذكّر قريب ولم يوثق ليفصل بين القريب من القرابة والقريب من القرب قال الزجاج وهذا غلط لأن كل ما قرب في مكان أو نسب فهو جار على ما يصيبه من التانيث والتذكير والوجه في تذكيره هنا ان الرحمة والغفران والغفر في معنى واحد وكذلك كل تانيث ليس بحقيقي وقال الاخفش جائز أن يكون أراد بالرحمة هنا النظر فلذلك ذكره و مثله قول الشاعر

يَا أَيُّهَا الرَّأْيُ كَبُّ الْمَرْجِي مَطِيئَتُهُ سَأْتِلُ بَنِي أَسَدٍ مَا هَذِهِ الصَّوْتُ (٢)

أي ما هذه الصيحة وقول الآخر

إِنَّ السَّهَابَةَ وَالْمَرْوَةَ ضَمِينَا قَبْرًا بَمَرَوْ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ

❖ المعنى ❖

ثم أمر سبحانه بعد ذكره دلائل توحيده بدعائه على وجه الحشوع كافة عبده فقال (ادعوا ربكم تضرعا وخفية) أي تحشعا وسراً عن الحسن قال بين دعوة السر ودعوة العلانية سبعون ضعفاً ثم قال ان كان الرجل قد جمع القرآن وما يشعر به جاره وان كان الرجل لقد فقه الفقه الكثير وما يشعر به الناس وان كان الرجل ليصلي الصلاة الكثيرة في بيته وعنده الزور فلا يشعر به ولقد تداركنا أقواماً ما كان على الأرض من عمل يفقدون ان يعملوه في السر فيكون علانية أبداً ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء وما يسمع لهم صوت ان كان إلا همساً بينهم وبين ربهم وروي ان النبي صلى الله عليه وآله كان في غزاة فأشرفوا على واد فجعل الناس يهللون ويكبرون ويرفون اصواتهم فقال (ص) يا ايها الناس اربعوا على انفسكم اما انكم لا تدعون الأصم ولا غائباً انكم تدعون سميماً قريباً انه معكم وقيل ان التضرع رفع الصوت والخفية السر أي ادعوه علانية وسراً عن ابي مسلم ورواه علي بن ابراهيم في تفسيره (انه لا يحب المتدين) في الدعاء قيل هو ان يطلب منازل الأنبياء فيجاوز الحد في الدعاء عن ابي مجلز وقيل هو الصياح في الدعاء عن ابن جريج وقيل معناه لا يحب المجاوزين الحد المرسوم في جميع المبادات والدعوات (ولا تفسدوا في الأرض بعد اصلاحها) ومعناه النهي عن قتل المؤمنين واطلالهم والعمل بالمعاصي في الأرض بعد ان اصلاحها الله بالكتب والرسول عن السدي والحسن والضحاك والكلي وقيل بعد ان أمر الله بالاصلاح فيها قال الحسن واصلاحها اتباع امر الله تعالى فيها وروي عنه أيضا انه قال لا تفسدوها بقتل المؤمن بعد اصلاحها ببقائه وقيل لا تفسدوها باظلم بعد اصلاحها بالعدل وقيل معناه لا تعصوا في الأرض فيمسك الله المطر ويهلك الحرث بماصيكم عن عطية وعلى هذا فيكون معنى قوله بعد اصلاحها بعد اصلاح الله اياها بالمطر والحصب وروي مسير عن ابي جعفر عليه السلام في هذه الآية قال ان الارض كانت فاسدة فأصلحها الله بنبيه (ص) (وادعوه خوفاً وطمعا) خوفاً من عقابه وطمعاً في ثوابه وقيل خوفاً من الرد وطمعاً في الإجابة وقيل خوفاً من عدله وطمعاً في فضله عن ابن جريج وقيل معناه خوفاً من النيران وطمعاً في الجنان عن عطاء (ان رحمة الله قريب من المحسنين)

(١) الظلف : ظفر كل ما أجترو وهو للبقرة والشاة والظبي وشبهها بمنزلة القدم للانسان وقوله أدعوه اريد به ايدان والرجلان . والتعليل بمعنى التقليل ، وأصله من تحليل البين باقل المسمى (٢) أزجاء : ساقه .
(٣) الزور بمعنى الزائر .

معناه ان انعام الله قريب إلى فاعلي الاحسان وقيل ان رحمة الله اي ثوابه قريب من المطيعين عن سعيد بن جبير وقيل المراد بالرحمة المطر عن الاخفش ويؤيده قوله فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يمجى الأرض بعد موتها والاحسان هو النفع الذي يستحق به الحمد والاساءة هي الضرر الذي يستحق به الذم ومن قال ان المراد بالمحسنين من خلقت افعاله من الاساءة وكانت كلها حسنة فالظاهر لا يقتضي ذلك بل الذي يقتضيه ان رحمة الله واصلة إلى من فعل الاحسان وليس فيه انه لا يصل إلى من جمع الاحسان والاساءة وذلك موقوف على الدلالة

قوله تعالى (٥٧) وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْهِ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَتِ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ نَخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٥٨) وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبثَ لَا يَخْرِجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ (آيات)

❖ القراءة ❖

قرأ ابن كثير الريح واحدة ونشرا مضمومة النون والشين وقرأ اهل المدينة والبصرة الرياح جمع، ونشربضم النون والشين حيث كان وقرأ اهل الكوفة غير عاصم الريح نشرا بفتح النون وسكون الشين وقرأ ابن عامر الرياح نشرا بضم النون وسكون الشين وقرأ عاصم الرياح بشرا بالباء ساكنة الشين وقرأ ابو جعفر إلا نكدا بفتح الكاف والباقون بالكسر

— الحجة —

قال ابو علي اعلم ان الريح اسم على فعل والمعين منه واو فانقلبت في الواحد للكسر فأما في الجمع القليل فصحت لأنه لا شيء فيه يوجب الإعلال ألا ترى ان الفتحة لا توجب إعلال هذه الراو في نحو قوم وقول فأما في الجمع الكثير فرياح انقلبت ياء للكسرة التي قبلها وإذا كانت انقلبت في نحو ديمة وديم وحيلة وحيل فإن تنقلب في رياح اجدر لوقوع الألف بعدها والألف تشبه الياء والياء إذا تأخرت عن الراو اوجب فيه الإعلال وكذلك الألف لتشبهها بها وقد يجوز ان يكون الريح على لفظ الواحد ويراد به الكثرة كقولهم كثر الدرهم والدينار والشاة والبعر وان الإنسان لقي خسر ثم قال إلا الذين آمنوا وكذلك من قرأ الريح نشرا فأفرد ووصفه بالجمع فإنه حمله على المعنى وقد اجاز ابو الحسن ذلك وقال الشاعر

فِيهَا اثْنَتَانِ وَأَرْبَعُونَ حَلُوبَةً سُودًا كَخَافِيَةِ الْغُرَابِ الْأَسْحَمِ (١)

ومن نصب حمله على المعنى لأن المفرد يراد به الجمع وهذا وجه قراءة ابن كثير وقول من جمع الريح إذا وصفها بالجمع الذي هو نشرا احسن لأن الحمل على المعنى ليس بكثير كالحمل على اللفظ وأما ما جاء في الحديث ان النبي صلى الله عليه وآله كان يقول إذا هبت ريح اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا فلأن عامة ما جاء في التنزيل على لفظ الرياح للسقيا والرحمة كقوله تعالى وارسلنا الرياح لواقح ویرسل الرياح مبشرات وما جاء بخلاف ذلك جاء على الافراد كقوله فأهلكوا بريح صرصر عاتية ریح فيها عذاب الیم قال ابو عبيدة نشرا متفرقة من كل جانب وقال ابو زيد انشر الله الموتى انشارا إذا بشها وانشر الله الريح مثل احيائها فنشرت هي اي حيت والدليل على ان انشار الريح احيائها قول المراد القعسي

وَهَبَّتْ لَهُ رِيحُ الْجَنُوبِ وَأَحْيَيْتْ لَهُ رِيْدَةً يُجِيئُ الْمِيَاهَ نَسْجَمًا (٢)
والريدة والريدانة الريح قال «أودت به ريدانة صرصر» ومن قرأ نشرا يمتثل ضربين يجوز ان يكون جمع

(١) العلوبة: المحلوبة. وخافية واحدة الخوافي وهي الريشات التي اذا ضم الطائر جناحيه خفيت.

(٢) وفي اللسان «المسات» بدل «المياه».

ريح نشور وريح ناشر ويكون على معنى النسب فإذا جعلته جميع نشور احتل امرين ﴿احدهما﴾ ان يكون النشور بمعنى المنشور كما ان الركوب بمعنى المركوب فكأن المعنى وريح او رياح منشرة ويجوز ان يكون جمع نشور يراد به الفاعل مثل ظهور ونحوه من الصفات ويجوز ان يكون نشورا جمع ناشر كشاهد وشهد ونازل ونزل وقاتل وقتل قال الاعشى «إنا لأمثالكم يا قومنا قتل» وقول ابن عامر نشر ايحتمل الوجهين ﴿احدهما﴾ ان يكون على فاعل وفاعل وخفف العين كما خفف في كتب ورسل ويكون جمع فاعل كجبال وبجزل وعايط وعايط واما من قرأ نشرا فإنه يحتمل ضربين ﴿احدهما﴾ ان يكون المصدر حالا من الريح فإذا جعلته حالا منها احتل امرين ﴿احدهما﴾ ان يكون النشر الذي هو خلاف الطي كأنها كانت بانقطاعها كالمطوية ويجوز على تأويل اليه عبدة ان تكون متفرقة في وجوهها ﴿والآخر﴾ ان يكون النشر الذي هو الحياة في نحو قوله «يا عجباً للميت الناشر» فإذا حملته على ذلك وهو الوجه كان المصدر يراد به الفاعل كما تقول أتنا ركضاً اي راكضاً ويجوز ان يكون المصدر يراد به المفعول كأنه يرسل الرياح انشारा اي محياة فعذف الزوايد من المصدر كما قال عمر ك الله وكما قال «وان يهلك فذلك كان قدرى» اي تقديري ﴿والضرب الآخر﴾ ان يكون نشر اي تصب انتصاب المصدر من باب صنع الله لأنه إذا قال يرسل الرياح دل هذا الكلام على مصدر نشر الرياح نشر او تنشر نشر من قوله «كما تنشر بعد الطية الكتب» ومن نشرت الريح كما ينشر الميت وقرأ عاصم بشرًا جمع بشير وبشر من قوله يرسل الرياح مبشرات اي تبشر بالمطر والرحمة وجمع بشيرا على بشر ككتاب وكتب والوجه في قراءة ابي جعفر نكدًا انه لغة في نكد قال الزجاج ويجوز فيه وجهان آخران نكدًا ونكدًا إلا انه لم يثبت بهما رواية

— اللغة —

الإقلال حمل الشيء بأسره حتى يقل في طاقة الحامل له بقوة جسمه يقال استقل بجمله استقلالاً واقطعه اقلالا والسحاب الغيم الجاري في السماء يقال سحبه فانسحب والسوق حث الشيء في السير حتى يقع الاسراع فيه يقال ساقه واستاقه والبلد هو الأرض التي تجمع الخلق الكثير والبادية كالبلد للاعراب ونحوهم من الإكراود والنكد العسر الممتنع من اعطاء الخير على وجه البخل يقال نكد ينكد نكدًا ونكدًا فهو نكد ونكد وقد نكد إذا سئل فبخل قال الشاعر

وَأَعْطِ مَا أَعْطَيْتَهُ طَيْبًا لَا خَيْرَ فِي الْمُنْكَودِ وَالنَّاكِدِ

— المعنى —

لما أخبر الله سبحانه في الآية المتقدمة بأنه خلق السماوات والأرض وما فيهما من البدائم عطف على ذلك بقوله (وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته) تمداد النعمة على برئته اي يطلقها ويجريها منتشرة في الأرض او محية للأرض او مبشرة بالخير على ما تقدم بيانه قدام رحمته وهو المطر (حتى إذا أقلت) أي حملت وقيل دفعت (سحابا ثقالا) بالماء . (سقناه لبلد ميت) أي إلى بلد ميت وموت البلد تعني مزارعه ودروس مشاربه لا نبات فيه ولا زرع ولم يقل سقناها لانه رد الضمير إلى لفظ السحاب والرياح تجمع السحاب من المواضع المختلفة حتى إذا اتصل السحاب اتزل المطر (فاتزلنا به الماء) يجوز أن يكون الضمير في به راجعاً إلى البلد أي فاتزلنا بالبلد الماء . ويجوز أن يكون راجعاً إلى السحاب أي فاتزلنا بالسحاب الماء (فاخرجنا به) أي بهذا الماء المتزل او بهذا البلد (من كل الثمرات) يحتمل أن يكون من لتبويض ويحتمل أن يكون لتبيين الجنس (كذلك نخرج الموتى) أي كما اخرجنا الثمرات كذلك نخرج الموتى بأن نحياها بمد موتها (لعلكم تذكرون) أي لكي تذكروا وتفتكروا وتعتبروا بأن من قد على انشاء الاشجار والثمار في البلد الذي لا ماء فيه ولا زرع يربح يرسلها فإنه

يقدر على احياء الاموات بأن يعيدها إلى ما كانت عليه ويخلق فيها الحياة والقدرة واستدل ابو القاسم البلخي بهذه الآية على أن كثير من الاشياء يكون بالطبع قال لأن الله تعالى بيّن انه يخرج الثمرات بالما الذي يتزله من السماء ثم قال ولا ينبغي ان ينكر ذلك وإنما ينكر قول من يقول بقدوم الطوائم وأن الجملات فاعلة فأما من قال أن الله تعالى هو الفاعل لهذه الأشياء غير انه يفعلها تارة مخترعة بلا وسائط وتارة يفعلها بوسائط فلا كراهة في ذلك كما تقول في السبب والمسبب وانكر عليه هذا القول اكثر اهل العدل وقاروا ان الله سبحانه اجري العادة باخراج النبات عند انزال المطر مع قدرته على اخراج ذلك من غير مطر لما تقتضيه الحكمة من وجوه المصالح الدينية والدنيوية ثم بيّن سبحانه حال الأرض التي يأتيها المطر فقال (والبلد الطيب) معناه والأرض الطيب ترابه (يخرج نباته) أي زرعه خروجا حسنا ناميا زاكيا من غير كد ولا عناء (بأذن ربه) بأمر الله تعالى وإنما قال بأذن ربه ليكون ادل على العظمة ونفوذ الإرادة من غير تعب ولا نصب (والذي خبت لا يخرج إلا نكدا) أي والأرض السبخة التي خبت ترابها لا يخرج ريعها إلا شيئا قليلا لا ينتفع به عن السدي ومعناه الاعرا ممتنعا من الخروج ولو اراد سبحانه ان يخرج من الأرض النكدة اكثر مما يخرج من الأرض الطيبة لامكنه إلا انه اجري العادة باخراجه من الأرض الطيبة ليكون ذلك باعثا للانسان على طاب الخير من مظهره ودلالة له على وجوب الاجتهاد في الطاعات فإذا حمل نفسه على ابتغاء الخير اليسير الذي لا يدوم وربما لا يحصل فإن يتغير الزمير الدائم الذي لا يفنى ولا يبيد بالأعمال الصالحة اولى (كذلك نصرف الايات) أي الدلالات المختلفة (قوم يشكرون) معناه كما بينا هذا المثل نبيّن الدلالات للشاكرين وقيل كما صرفنا الايات لكم بالآيات بآية بعد آية وحنة بعد اخرى نصرفها لقوم يشكرون الله على انعامه عليهم ومن انعامه عليهم هدايته إياهم لما فيه نجاتهم وتبصيرهم سبيل أهل الضلال وامره اياهم تجنب ذلك والعدل عنه وروي عن ابن عباس ومجاهد والحسن ان هذا مثل ضربه الله تعالى للدون والكافر فأخبر بأن الأرض كلها جنس واحد إلا أن منها طيبة تلين بالمطر ويحسن نباتها ويكثر ريعها ومنها سبخة لا تنبت شيئا فلان انبتت فما لا منفعة فيه وكذلك القلوب كلها لحم ودم ثم منها اين يقبل الوعظ ومنها قاس جاف لا يقبل الوعظ فليشكر الله تعالى من لان قلبه لذكوره

قوله تعالى (٥٩) لقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من الله غيره إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم (٦٠) قال الملأ من قومه إنا لنراك في ضلال مبين (٦١) قال يا قوم ليس بي ضلالة وليكني رسول من رب العالمين (٦٢) أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون (٦٣) أو عجبت أن جاءكم ذكركم من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون (٦٤) فكذبوه فأنجيناه والذين معه في الفلك وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوما عاين (ست آيات)

﴿ القراءه ﴾

قرأ ابو جعفر والكسائي من آله غيره بجنس الرا. حيث وقع والباقون بالرفع وقرأ ابو عمرو وحده أبلغكم بتخفيف اللام والباقون بتشديدها

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي وجه قراة من جرّ انه جعل غيرا صفة لاؤه على اللفظ وجعل لكم مستقرا او جعله غير مستقر واضر الخبر والخبر ما لكم في الوجود او في العالم او نحو ذلك لا بد من هذا الاضمار إذا لم نجعل لكم مستقرا

لأن الصفة والموصوف لا يستقل بهما كلام وحجة من رفع قوله ما من إله إلا الله فكأن قوله إلا الله بدل من قواه من إله كذلك قوله غيره يكون بدلا من قوله من إله وغيره يكون بمنزلة الاسم الذي بعد إلا وهذا الذي ذكرنا أولى أن يحل عليه من أن يجعل غير صفة لإله على الموضع فإن قلت ما تنكر أن يكون إلا الله صفة لقوله من إله على الموضع كما كان قوله لو كان فيها آله إلا الله صفة لا آله قيل إن الإلهاوية استثناء. أعرف وأكثر من كونها صفة وإنما جعلت على التشبيه بغيرها فإذا كان الاستثناء أولى حملنا هل من خالق غير الله على الاستثناء. من للنفي في المعنى لأن قوله هل من خالق غير الله بمنزلة ما من خالق غير الله ولا بد من أضرار الخبر كأنه ما من خالق للعالم غير الله وكذلك لإله إلا الله فهذا استثناء. من منفي مثل لا أحد في الدار إلا زيد فأما قراءة حمزة والكسائي هل من خالق غير الله فلي أن جملا غير صفة للخالق وأضرما الخبر كما تقدم والباقرن جعلوه استثناء. بدلا من المنفي وهو الأولى عندنا لما تقدم من الاستشهاد عليه من قوله وما من إله إلا الله وما ابلغكم فالقول فيه أن بلغ يتعدى إلى مفعول في نحو بلغني الخبر فإذا نقاته تعدى إلى مفعولين والنقل يكون بالمز وبتضييف المين وكلا الأمرين جاء به التزويل قال سبحانه يأبى الرسول بلغ إلى قوله فما بلغت رسالته وقال فإن تولوا فقد ابلغتكم وليعلم أن قد ابلغوا

✽ اللغة ✽

الملا الجماعة من الرجال خاصة ومثله القوم والنفر والرهط عن الفراء وسوا بذلك لأنهم يلاؤون المحافل والقوم الجمع الذي يقوم بالأمر سوا بالمصدر والابلاغ إيصال ما فيه بيان وافهام ومنه البلاغة وهو إيصال المعنى إلى النفس بأحسن صورة من اللفظ والبلغ الذي ينشئ البلاغة لا الذي يأتي بها على وجه الحكاية والفرق بين الإبلوغ والاداء ان الاداء إيصال الشيء على الوجه الذي يجب فيه ومنه فلان أدى الدين أداءً وفلان حسن الاداء. لا يسمع وحسن الاداء للقراءة والرسالات جمع رسالة وهي جملة من البيان يحملها القائم بها ليؤديها إلى غيره والنصيحة اخلاص النية من شائب الفساد في المعاملة والفلك السفن يقع على الواحد وعلى الجمع واصله الدور مشتق من قواهم فلك تدي الجارية اذا استدار ومنه الفلكة والفلك

✽ الإعراب ✽

يا قوم حذف يا. الإضافة لقوة النداء على التغيير حتى يحذف للتخيم فلما جاز أن يحذف في غير النداء للاجترار بالكسرة منها لزم ان يحذف فيه لاجتماع سببين فيها لكنني اصله لكنني حذف التون لاجتماع التونات ويجوز الإتمام في غير القرآن لأنه الاصل وكذلك افي وكأني فاما ليتني فلا يجوز فيه إلا اثبات التون لانه أم يعرض فيه علة الحذف وأما أملي فيجوز فيه الوجهان لأن اللام قريبة من التون رسول من رب العالمين من هنا لا ابتداء الغاية أي هو ابتدائي بالرسالة وكل مبتدأ بفعل فذلك الفعل منه واصل من أن يكون لا ابتداء الغاية

✽ المعنى ✽

لما بين الله سبحانه الأدلة على وحدانيته ذكر بعده حال من عاند وكذب رسله تسلية لبنيينا محمد صلى الله عليه وآله وتشبثا له على احتمال الأذى من قومه وتحذيرا لهم عن الاقتداء. باوئك فينزل بهم ما نزل بهم وابتدأ بقصة نوح فقال (لقد أرسلنا نوحا إلى قومه) اللام للقسم وقد تأكيد للكلام وتقديره حقا أقول انا حملنا نوحا الرسالة إلى قومه وتحميل الرسالة تكليفه القيام بها وهي منزلة جليلة شريفة يستحق الرسول بتقبلها اياها وقيامه باعبائها من التعظيم والاجلال مالا يستحق بغيره وهو نوح بن ملك بن متوشلخ بن اخنوخ النبي وهو ادريس (ع) وهو اول نبي بعد ادريس وقيل انه كان نجارا وولد في العام الذي مات فيه آدم (ع) قبل موت آدم في الالف الاولى وبمث في الألف الثانية وهو ابن اربعمائة وقيل بمث وهو ابن خمسين سنة ولبث في قومه الف سنة الا خمسين عاما وكان في تلك الالف ثلاثة قرون عايشهم وعمر فيهم وكان يدعوهم ليلا ونهارا فلا يزيدهم دعاؤه إلا فرارا وكان يضربه

قومه حتى يغشى عليه فإذا أفاق قال اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون ثم شكاهم إلى الله تعالى ففرغت له الدنيا وعاش بعد ذلك تسعين سنة وروي أكثر من ذلك أيضا (فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من آله غيره) أخبر سبحانه انه امرهم بعبادة الله وحده لأنه لا إله لهم غيره ولا معبود لهم سواه ثم أوعدهم على مخالفته فقال (إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) إنما قال أخاف ولم يقطع لأنه جاز أن يؤمنوا ثم ذكر سبحانه جوابهم فقال (قال الملائكة من قومه) أي الجماعة من قومه عن الجبائي وقيل الأشراف والرؤساء الذين يلاؤن الصدور هيبة وجالا عن أبي مسلم (إنا نراك في ضلال مبين) قيل معناه رؤية القلب الذي هو العلم أي إنا لنملك في ذهاب من الحق بين ظاهر لدعائك إيانا إلى ترك عبادة الاصنام وقيل معناه رؤية البصري نراك بإبصارنا على هذه الحال وقيل انه من الرأي الذي هو غالب الظن فكأنه قال إنا لنظنك (قال يا قوم ليس بي ضلالة) هذا أخبار عما أجابهم به نوح (ع) أي ليس بي عدول عن الحق ولا ذهاب عن الصواب يقال به ضلالة لأن معناه عرض به ذاك كما يقال به جنة ولا يجوز أن يقال به معرفة لأنها ليست مما يعرض لصاحبها ولكن يصح أن يقال به جوع وبه عطش (والكني رسول من رب العالمين) الذي يملك كل شيء (ابلغكم رسالات ربي) أي أؤذي اليكم ما حملني ربي من الرسالات (وانصح لكم) في تبليغ الرسالة على وجهها من غير تفسير ولا زيادة ولا نقصان (وأعلم من الله) أي من صفات الله وتوحيده وعدله وحكمته (ما لا تعلمون) وقيل اعلم من دين الله وقيل اعلم من قدرته وسلطانه وشدة عقابه ما لا تعلمونه والكل محتمل وقيل إنما قال ذلك لأن قوم نوح لم يسموا قط أن الله سبحانه عذب قوما وقد سمعت الامم بعدهم هلاك من قباهم الا ترى أن هردا قال جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وقال شبيب مثل ما اصاب قوم نوح (اوعجبت) هذه همزة استفهام دخلت على واو العطف على جهة الانكار فبقيت الواو مفتوحة كما كانت فالكلام مستأنف من وجه متصل من وجه (ان جاءكم ذكر) أي لأن جاءكم بيان وقيل نبوة ورسالة (من ربكم على رجل منكم لينذركم) أي على بشر مثلكم ليخوفكم العقاب إن لم تؤمنوا وقيل أن على هنا بمعنى مع أي مع رجل منكم تعرفون مولده ومنشأه ليعلمكم بموضع المخافة وإنما انكر عليهم التعجب لأنه ليس في ارساله اليهم ليرشدهم إلى ما فيه صلاحهم موضع تعجب وإنما المعجب من افعال امرهم كيف ووجوب الرسالة إذا كان للخلق فيها مصلحة امر قد اقتضته الحكمة ودل عليه العقل (ولتتقوا) أي ولتتقوا الشرك والمعاصي (ولعلكم ترحمون) أي ولكي ترحموا وقال الحسن ولتتقوه رجاء ان يرحمكم (فكذبوه) أي فكذبوا نوحا فيما دعاهم اليه (فانجيناهم والذين معه في الفلك) أي فخلصناهم والذين كانوا معه في السفينة وهم المؤمنون من عذاب الفرق (واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا) أي واهلكنا الذين كذبوا بدلاننا بالماء (إنهم كانوا قوما عمن) عن الحق أي ذاهبين عنه جاهلين به يقال رجل عم إذا كان اعمى القلب ورجل اعمى في البصر قال زهير « ولكنني عن علم ما في غد عمي »

﴿ قصة نوح (ع) ﴾

قد ذكرنا نسبه وكان من قصته ما رواه الشيخ ابو جعفر بن بابويه باسناده في كتاب النبوة مرفوعا إلى أبي عبد الله (ع) قال لما بعث الله عز وجل نوحا دعا قومه علانية فلما سمع عقب هبة الله بن آدم من نوح تصديق ما في ايديهم من العلم وعرفوا أن العلم الذي في ايديهم هو العلم الذي جاء به نوح صدقوه وسلموا له فاما ولد قابيل فلأنهم كذبوه وقالوا إن الجن كانوا قبلنا فبعث الله اليهم ملكا فلو أراد أن يبعث الينا لبعث الينا ملكا من الملائكة حنان بن سدير عن أبي عبد الله (ع) قال آمن مع نوح من قومه ثمانية نفر وفي حديث وهب بن منبه ان نوحا (ع) كان اول نبي نبأه الله عز وجل بعد ادريس وكان إلى الادمية ما هو دقيق الوجه في رأسه طول عظيم العينين دقيق الساقين طويلا جسيا دعا قومه إلى الله حتى انقرضت ثلاثة قرون منهم كل قرن ثلاثمائة سنة يدعوهم سرا

وجهرها فلا يزدادون إلا طغيانا ولا يأتي منهم قرن إلا كان اعسى على الله من الذين قبلهم وكان الرجل منهم يأتي بابنه وهو صغير فيقيه على رأس نوح فيقول يابني إن بقيت بعدي فلا تطيعن هذا المجنون وكانوا يشيرون إلى نوح فيضربونه حتى يسيل مسامه دماً وحتى لا يعقل شيئاً مما يصنع به فيحمل فيرمى به في بيت أو على باب داره مغشياً عليه فأوحى الله تعالى إليه انه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فعندما اقبل على الدعاء عليهم ولم يكن دعا عليهم قبل ذلك فقال رب لا تذر على الأرض إلى آخر السورة فأعقم الله تعالى اصلاب الرجال ولرحام النساء ولبثوا اربعين سنة لا يولد لهم ولد وقحطوا في تلك الأربعين سنة حتى هلكت اموالهم واصابهم الجهد والبلاء ثم قال لهم نوح استغفروا ربكم إنه كان غفارا الآيات فاعذر اليهم وانذر فلم يزدادوا إلا كفراً فلما ينس منهم اقصر عن كلامهم ودعائهم فلم يؤمنوا وقالوا لا تذرنا آهتكم ولا تذرنا وداً ولا سراعا الآية ينزون آهتهم حتى فرغهم الله وآهتهم التي كانوا يعبدونها فلما كان بعد خروج نوح من السفينة وعبد الناس الاصنام سموا اصنامهم باسماء اصنام قوم نوح فاتخذ اهل اليمن يغوث ويعمرق واهل دومة الجندل صنماً سموه وداً واتخذت حمير صناسمته نسرأ وهذيل صنماً سموه سراعا فلم يزالوا يعبدونها حتى جاء الإسلام وسندكر قصة السفينة والفرق في سورة هود إن شاء الله تعالى وروى الشيخ ابو جعفر بن بابويه عن علي بن احمد بن موسى قال حدثنا محمد بن ابي عبد الله الكوفي قال حدثنا سهل بن زياد الادمي قال حدثنا عبد العظيم بن عبد الله الحسيني قال سمعت علي بن محمد (ع) يقول عاش نوح (ع) الفين وخمسمائة سنة وكان يوماً في السفينة نائماً فهبت ريح فكشفت عورته فضحك حام ويافث وزجرها سام ونهاهم عن الضحك وكان كلما غطى سام ما يكشفه الريح كشفه حام ويافث فانتبه نوح فرأهم يضحكون فقال ما هذا فأخبره سام بما كان فرجع نوح يده إلى السماء يدمر فقال اللهم غير ماء صلب حام حتى لا يولد له إلا السودان اللهم غير ماء صلب يافث فغير الله ماء صلبها فجميع السودان من صلب حام حيث كانوا وجميع الترك والسقلا ب وياجوج وماجوج والصين من يافث وجميع البيض سواهم من سام وقال نوح لحام ويافث جل الله ذربتكما خوفاً لذرية سام إلى يوم القيامة لأنه برّ بي وعقمتاني فلا زالت سمة عقوقكالي في ذربتكما ظاهرة وسمة البرّي في ذرية سام ظاهرة ما بقيت الدنيا قال الشيخ ابو جعفر بن بابويه القمي رحمه الله ذكر يافث في هذا الخبر مخرب لم اروه إلا من هذا الطريق وجميع الاخبار التي رويتها في هذا المعنى فيها ذكر حام وحده وأنه ضحك لما انكشفت عورة ابيه وان ساما ويافث كانا في ناحية قبلهما ما صنع فأقبلا ومعهما ثوب وهما معرضان والقيام عليه الثوب وهو نائم فلما استيقظ اوحى الله عز وجل اليه الذي صنع حام فلحن حاماً ودعا عليه وروى ابراهيم بن هاشم عن علي بن الحكم عن بعض أصحابنا عن ابي عبد الله عليه السلام قال عاش نوح النبي سنة وخمسمائة سنة منها ثمانمائة وخمسين قبل أن يبعث والى سنة إلا خمسين عاماً وهو في قومه يدعوم ومأتي عام في عمل السفينة وخمسمائة عام بعد ما نزل من السفينة ونضب الماء فمصر الأمصار واسكن ولده البلدان ثم أن ملك الموت جاءه وهو في الشمس فقال السلام عليك فردّ عليه نوح وقال له ما جاء بك يا ملك الموت فقال جئتك لأقبض روحك فقال له تدعني اتحول من الشمس إلى الظل فقال له نعم قال فتحول نوح ثم قال له يا ملك الموت كأن ما مرّ بي من الدنيا مثل تحولي من الشمس إلى الظل فامض لما امرت به قال قبض روحه (ع)

قوله تعالى (٦٥) وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٦٦) قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ

(٦٧) قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٦٨) أَلْبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ (٦٩) أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَأَذَكُرُوكُمْ وَإِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٧٠) قَالُوا أَجِئْنَا لِنُعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ وَعِبَدُ آبَائِنَا فَإِنَّا بِنَايَا نَمُوتُ بِمَا نَعِدُنَا إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ (٧١) قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءِ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانظُرُوا إِلَيَّ مِنْ الْمُنْتَضِرِينَ (٧٢) فَأَتَيْنَاهُ الَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا بِهَا إِتِمَامًا مُؤْمِنِينَ (ثماني آيات)

﴿ اللغة ﴾

السفاهة خفة الحلم وثوب سفاهة إذا كان خفيفاً قال مؤرج السفاهة الجنون بلفظة حمير والفرق بين المعجب والمعجب أن المعجب بضم العين عقد النفس على فضيلة لها ينبغي أن يعجب منها وليس كذلك المعجب بفتح العين والجيم لأنه قد يكون حسناً وفي المثل لا خير فهمن لا يتمجب من المعجب وارذل منه المتمجب من غير عجب وخلفاء جمع خليفة وهو الكائن بدل غيره ليقوم مقامه في تدبيره وهذا الجمع على التذكير لا على اللفظ مثل ظريف وظرفاء وجائز أن يجمع على خلائف على اللفظ مثل ظريفة وظرائف والآلاء النعم وفي واحد اربع لغات إلى مثل معي وإلى مثل قفا وألى مثل رمي وإلى مثل حسي قال الاعشى

أَبْيَضُ لَا يَرْهَبُ الْهَزَالَ وَلَا يَقَطَعُ رَحْمًا وَلَا يَخُونُ إِلَى

وروي إلى أيضا وقيل انه اراد بقوله إلا إلا بالتشديد فخففه وهو المهد والقراية والوقوع والسقوط والنزول نظائر والرجس العذاب وقيل الرجس الرجز قلبت الزاي سيناً كما قلبت السين تاء في قول الشاعر

أَلَا لِحَى اللَّهِ بَنِي السَّمَلَاتِ
عَمْرُوبِ بْنِ يَرْبُوعِ شِرَارِ النَّاتِ (١)

أي الناس «لَيْسُوا بِأَعْقَابٍ وَلَا أَكْيَاتٍ» يريد اكياس

﴿ الاعراب ﴾

انتصب اخاهم هوداً بقوله ارسلنا في اول الكلام لأن تفصيل القصص يقتضي ذلك والتقدير وارسلنا إلى عاد اخاهم هودا وصرف هود خلفته كما صرفت جل خلفتها يا قوم موضع قوم نصب لانه ندا مضاف ولو وصفته لم يميز في صفته إلا النصب قوله ولكني رسول استدرك ولكن لأن فيه معنى ما دعاني إلى امركم السفه ولكن دعاني إليه اني رسول

﴿ المعنى ﴾

ثم عطف سبحانه على قصة نوح قصة هود فقال (وإلى عاد) وهو عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح (أخاهم) يعني في النسب لا في الدين (هودا) وهو هود بن شالخ بن ارفحشد بن سام بن نوح (ع) عن محمد بن اسحاق وقيل هو هود بن عبد الله بن رياح بن جلوث بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح

(١) لحي الله فلانا : تبعه ولينه .

عن غيره وكذا هو في كتاب النبوة وإنما قال أخاهم لانه ابلغ في الحجة عليهم إذا اختار للرسالة اليهم من هو من قبيلتهم ليكونوا اليه اسكن وبه آس وعنه افهم (قال) هود (يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) قد مر تفسيره (افلا تتقون) استفهام يراد به التقرير (قال الملأ الذين كفروا من قومه) قد مر تفسيره (إنا لنراك) يهود (في سفاهة) أي جهالة ومعناه نراك سفيا إلا انه قال في سفاهة على جهة المبالغة أي نراك منمسا في سفاهة (وإنا لنظنك من الكاذبين) أي كذبوه ظانين لامتيقنين عن الحسن والزجاج وقيل إن المراد بالظن هنا العلم كما في قول الشاعر

فَقُلْتُ لَهُمْ ظُنُّوا بِالْفَيْ مَدَجَّجٍ سَرَاتِهِمْ فِي الْفَارِسِيِّ الْمُسَرَّرِ^(١)

ومعناه ايقنوا (قال) هود (يا قوم ليس بي سفاهة) أي لم يحملني على هذا الاخبار السفاهة (ولكني رسول من رب العالمين) هذا تعليم من الله تعالى بأن لا يقابل السفهاء بالكلام القبيح ولكن يقتصر الانسان على نفي ما اضيف اليه عن النفس (ابانكم رسالات ربي) أي نبوات ربي وإنما قال رسالات هنا وفيما تقدم بلفظ الجمع لأن الرسالة متضمنة لاشياء كثيرة من الامر والنهي والترغيب والترهيب والوعد والوعيد وغير ذلك فأتى بلفظ يدل عليها وإذا قال رسالة ربي بلفظ الواحد اتى بلفظة مشتملة على هذه الاشياء بطريق الاجمال (وأنا لكم ناصح) فيما ادعوك اليه من طاعة الله وتوحيده (أمين) أي ثقة مأمون في تأديبة الرسالة فلا اكذب ولا اغيّر عن الضحاك والجبائي وقيل معناه كنت مأمونا فيكم فكيف تكذبونني عن الكلبي (أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم) أي لا عجب في أن جاءكم نبوة وقيل معجزة وبيان (على رجل منكم) في النسب نشأ بينكم وقيل إن معناه كيف تمعّبون من بشة رجل منكم ولا تمعّبون من عبادة حجر (لينذركم) لينذركم (واذكروا) اذكروا (إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح) معناه واذكروا نعمة الله عليكم بأن جعلكم سكّان الأرض من بعد قوم نوح وهلاكهم بالعصيان (وزادكم في الخلق بسطة) أي طولا وقوة عن ابن عباس وجماعة قال الكلبي كان اطولهم مائة ذراع واقصرهم ستين ذراعا وقيل كان اقصرهم اثني عشر ذراعا وقال ابو جعفر الباقر « ع » كانوا كأنهم النخل الطوال وكان الرجل منهم ينحو الجبل بيديه فيهدم منه قطعة وقيل معناه وزاد في خلقكم بسطة فكانوا اطول من غيرهم بمقدار أن يمد الإنسان يده فوق رأسه باسطة (فاذكروا آلاء الله) أي نعم الله (لعلكم تفلحون) أي لكي تفوزوا بنعيم الدنيا والآخرة (قالوا اجئتنا) يهود (لتعبد الله وحده ونذر) عبادة (ما كان يعبد آباؤنا) من الاصنام (فأتنا بما تمدنا) من العذاب (إن كنت من الصادقين) في انك رسول الله الينا وفي نزول العذاب بنا لو لم نترك عبادة الاصنام (قال) هود لقومه جوابا عما قالوه (قد وقع عليكم) أي وجب عليكم وحلّ بكم لا محالة فهو كالواقع (من ربكم رجس) أي عذاب (وغضب) والغضب من الله ارادة العذاب بمستحقه ومثله السخط (اتجادونني) أي اتناظرونني وتخاصمونني (في اسما سميتوها أنتم وآباؤكم) أي في اصنام صنعتموها أنتم وآباؤكم واخترعتم لها اسما سميتوها آلهة وما فيهما من معنى الآية شي وقيل معناه سميتهم لبعضها انه يسقيهم المطر ولاخرانه يأتيهم بالرزق ولاخرانه يشفي المرضى ولاخرانه يصحبهم في السفر (ما نزل الله بها من سلطان) أي حجة وبرهان وبينه وعليكم البينة بما ادعيتم وسميتم وليس عليّ أن آتيكم بالبينة على ما تعبدون من دون الله بل ذلك عليكم وعليّ أن آتيكم بسطوات مبين إن الله تعالى هو المعبود

(١) المدجج : اللابس السلاح . والسراة بمعنى الاشراف . والمسرد : الدرع .

ولا مصوب. سواء وافي رسوله (فاتظروا) عذاب الله فإنه نازل بكم (إني معكم من المنتظرين) لنزوله بكم عن الحسن والجبائي والمفسرين (فأنجيناهم والذين معه برحمة منا) أي فخلصنا هودا والذين كانوا آمنوا معه من العذاب باخراجنا إياهم من بينهم قبل انزال العذاب بهم (وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا) أي واستأصلنا الذين كذبوا بمجئنا بعذاب الاستئصال فلم يبق لهم نسل ولا ذرية (وما كانوا مؤمنين) بالله ورسوله وإنما قال ذلك ليبين أنه كان المعلوم من حاله أنه لو لم يهلكهم ما كانوا ليؤمنوا كما قال في موضع آخر ولقد أهلكتنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا وفي هذه الآية دلالة على أن قوم هود استوصلوا فلا عجب لهم

❁ قصة هود ❁

جملة ما ذكره السدي ومحمد بن اسحاق وغيرهما من المفسرين في قصة هود أن عادا كانوا ينزلون اليمن وكانت مساكنهم منها بالشحر والاحقاف وهي رمال يقال لها رمل عالج والدهناء ويبرهن ما بين عمان الى حضرموت وكان لهم زرع ونخل ولهم اعمار طويلة واجساد عظيمة وكانوا اصحاب اصنام يصبونها فبث الله تعالى اليهم هودا نبيا وكان من اوسطهم نسباً وافضلهم حسناً فدعاهم الى التوحيد وخلع الأنداد فأبوا عليه وكذبوه وآذوه فأمسك الله عنهم المطر سبع سنين وقيل ثلاث سنين حتى قحطوا وكان الناس في ذلك الزمان اذا نزل بهم بلاء او جهد التجؤا الى بيت الله الحرام بمكة مسلمهم وكافرهم واهل مكة يومئذ المالبق من ولد عليلق بن لاوذ بن سام بن نوح وكان سيد المالبق اذ ذاك بمكة رجلاً يقال له معاوية بن بكر وكانت امه من عاد فبث عاد وفداً الى مكة ليستسقوا لهم فنزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجاً من الحرم فأكرمهم وأنزلهم وأقاموا عنده شهراً يشربون الخمر فلما رأى معاوية طول مقامهم وقد بثهم قوتهم يتفوتون من البلاء الذي نزل بهم شق ذلك عليه وقال هلك اخوالي وهوؤلاء مقبون عندي وهم ضيغي أستحي أن آمرهم بالخروج الى ما بعثوا اليه وشكنا ذلك الى قبته التين كاتنا تغنياتهم وها الجرادتان فقالتا قل شعراً تنبئهم به لا يدرون من قاله فقال معاوية بن بكر

أَلَا يَا قَبِيلَ وَيْحَكَ قَمَّ فَنَيْمٌ
قَيْسَتِي أَرْضَ عَادٍ إِنْ عَادًا
وَإِنَّ الْوَحْشَ تَأْتِيهِمْ جِهَارًا
وَأَنْتُمْ هُنَا فَيَا اسْتَهَيْتُمْ
فَقَبِّحْ وَقَدْ كُمْ مِنْ وَقْدِ قَوْمِ
لَعَلَّ اللَّهَ يُصْبِحُنَا غَمَامًا
قَدْ أَمَسُوا مَا يُبَيِّنُونَ الْكَلَامَا
وَلَا تَخْشَى لِمَا دِي سِهَامَا
تَهَارَكُمُ وَلَيْلِكُمُ التَّيَامَا
وَلَا لَقُوا التَّحِيَّةَ وَالسَّلَامَا

فلما غتتهم الجرادتان بهذا قال بعضهم لبعض انما بشكم قومكم يتفوتون بكم من هذا البلاء فادخلوا هذا الحرم واستسقوا لهم فقال رجل منهم قد آمن بهود سرّاً والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان أعطتم نبيكم سقيتم فزجروه وخرجوا الى مكة يستسقون بها لماد وكان قبل بن عنزرأس وفد عاد فقال يا إلهنا ان كان هود صادقاً فاسقنا فإننا قد هلكنا فأنشأ الله سبحانه سحابة ثلاثاً بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء يا قبيل اختر لنفسك ولقومك فاختار السحابة السوداء التي فيها العذاب فساق الله سبحانه تلك السحابة بما فيها من النعمة الى عاد فلما رأوها استبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا يقول الله عز وجل

(١) قيل: اسم رجل من عاد وسيأتي. قوله فبينهم أمر من هينم أي فادع الله تعالى

بل هو ما استعجلتم به ربح فيها عذاب اليم فسخرها الله تعالى عليهم سبع ليل وثمانية أيام حسوما أي دائمة فلم تدع من عاد أحداً إلا هلك واعتزل هود ومن معه من المؤمنين في حظيرة ما يصيبه ومن معه إلا ما تلين عليه الجلود وتلتذ النفوس وأنها لتمر من عاد بالظن ما بين السماء والأرض وتدمغهم بالحجارة فأهلكهم وروى أبو حمزة الثمالي عن سالم عن أبي جعفر (ع) قال إن الله تبارك وتعالى بيت ربح مقل عليه لو فتح لأذرت ما بين السماء والأرض ما أرسل على قوم عاد إلا قدر الخاتم وكان هود وصالح وشعيب وإسماعيل وبنينا صلى الله عليه وآله يتكلمون بالعربية

قوله تعالى (٧٣) وَإِلَىٰ نُوحٍ أَخَاهُم صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذُرُّوهَا تَأْكُلُ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءِ فِعْلٍ خُذْكُمْ عَذَابُ الْيَمِّ (٧٤) وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سَهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَأَذْكُرُوا الْآيَةَ اللَّهُ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٧٥) قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ (٧٦) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (٧٧) فَفَعَّرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٧٨) فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَائِعِينَ (٧٩) فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ (سبع آيات)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن عامر وحده وقال الملا باثبات الواو والباقون بغير الواو

﴿ الحجة ﴾

قد تقدم القول في نحو هذا الواو وإن اثباتها حسن وحذفها حسن

﴿ اللفظة ﴾

البينة العلامة الفاصلة بين الحق والباطل من جهة شهادتها به والناقة أصلها من التوطئة والتذليل يقال عبر ممتوق أي مذل موطأ وتنوق في العمل جوده والآية والمعبرة والدلالة والعلامة نظائر والتبوتة التمكين من المنازل يقال بواته منزلاً إذا مكثته منه ليأوي إليه وأصله من الرجوع قال الشاعر
وَبَوَّتْ فِي صَمِيمٍ مَّصْرَهَا قَتَمَ فِي قَوْمِهَا مُبَوَّأَهَا
أي انزلت ومكثت والقصور جمع قصر وهو الدار التي لما سور يكون به مقصورة وأصله القصر الذي هو الجمل على منزلة دون منزلة ومنه القصير لأنه دون غيره والقصر الناية يقال قصرك الموت لأنه قصر عليه والعتي الفساد يقال عتي عتي وعاث يعيث بمعنى والمعثر الجرح الذي يأتي على أصل النفس وهو من عُثِرَ

الحوض: أصله قال امرؤ القيس * بإزاء الحوض أو عثره *^(١) والمتو تجاوز الحد في الفساد والرجف الاضطراب يقال رجف بهم السقف يرجف رجوا إذا اضطرب من تخمهم وارجف الناس بالشئ إذا خاضوا فيه واضطربوا والحثوم البروك على الركبة يقال حثم يحثم حثوما قال جرير
 عرفت المتأني وعرفت منها مطايا القدر كالحدا الحثوم^(٢)

﴿ الإعراب ﴾

ثمود جاء مصروفاً وغير مصروف فمن صرفه فعلى انه اسم الحي مذكر ومن ترك صرفه فعلى انه اسم القبيلة كما قال الا ان ثموداً كفروا ربهم الا بعدا لثمود فصرف الأول ولم يصرف الثاني آية منصوب على الحال لأن معنى قوله هذه ناقة الله أنظروا الى هذه الناقة آية اي علامة وتأكل في موضع نصب على الحال اي آكلة ومفسدين ايضا نصب على الحال وقوله لمن آمن منهم موضعه نصب بدل من قوله للذين استضعفوا وهو بدل البعض من الكل الا أنه أعيد فيه حرف الجر وقوله يا صالح اثنتان وصلته همزة وان ابتدأت به لم تهمز تقول إيتنا وانما كان كذلك لأن أصله اثنتان بهمزتين فكرهوا اجتماعهما فقلبوا الثانية ياء لكسرة ما قبلها واذا وصل تسقط همزة الوصل فتظهر همزة الأصل

﴿ المعنى ﴾

ثم عطف سبحانه على ما تقدم قصة صالح فقال (والى ثمود أخاهم صالحا) اي وارسلنا الى ثمود وثمود هنا القبيلة وهو ثمود بن عاثر بن ارم بن سام بن نوح وصالح من ولد ثمود (قال يا قوم اعبدوا الله) وحده (ما لكم من آله غيره) فعبدوه (قد جاءكم بينة من ربكم) اي دلالة معجزة شاهدة على صدقي (هذه ناقة الله لكم آية) اشار الى ناقة بعينها أضافها الى الله سبحانه تفضيلا وتخصيضا نحو بيت الله وقيل انما اضافها اليه لأنها خلقها بلا واسطة وجعلها دلالة على توحيده وصدق رسوله لأنها خرجت من صخرة ملساء تمخضت بها كما تمخض المرأة ثم انفلقت عنها على الصفة التي طلبوها وكان لها شرب يوم تشرب فيه ماء الوادي كله وتسقيهم اللبن بدله ولهم شرب يوم يمضون لا تقرب فيه ماءهم عن السدي وابن اسحاق وجماعة وقيل انما اضافها الى الله لأنه لم يكن لها مالك سواه تعالى عن الجبائيل قال الحسن كانت ناقة من النوق وكان وحه الاعجاز فيها انها كانت تشرب ماء الوادي كله في يوم على ما شرحناه (فذروها) اي اتركوها (تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء) اي بعقروا ونحو (فيأخذكم) اي ينالكم (عذاب اليم) اي مؤلم (واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد) اي واذكروا نعم الله تعالى عليكم في ان اورثكم الأرض ومكنكم فيها من بعد عاد (وبوأكم في الأرض) اي انزلكم فيها وجعل لكم فيها مساكن وبيوتا تأوون اليها (وتتخذون من سهولها قصورا) والسهل خلاف الجبل وهو ما ليس فيه مشقة على النفس اي تبون في سهولها الدور والقصور وانما اتخذوها في السهول ليصيفوا فيها (وتنتحون الجبال بيوتا) قال ابن عباس كانوا يبنون القصور بكل موضع وينتحون من الجبال بيوتا يسكنونها شتاء لتكون مساكنهم في الشتاء احصن وادفاً ويروى انهم لطول اعمارهم يحتاجون الى ان ينحوا بيوتا في الجبال لأن السقوف والابنية كانت تبلى قبل فناء اعمارهم (فاذكروا آلاء الله) اي نعم الله عليكم بما اعطاكم من القوة وطول العمر والتمكن في الأرض (ولا تعثوا في الأرض مفسدين) اي ولا تضطربوا بالفساد في الارض ولا تبالغوا فيه (قال الملا الذين استكبروا) اي تعظمو

(١) قبله فرماها في فرانسها . الفرائس جمع الفريسة و هي اللحمة التي ترعد من الدابة عند مرجم الكتف تتصل بالفؤاد . و ازاء الحوض : مهراق الدلو ومصبها من الحوض . عقر الحوض : مؤخره ومقام الشارب منه . يصف صائداً حاذقاً بالرمي يصيب المقاتل (٢) المتأني : الموضع البعيد ومطايا القدر : الاثنا في وهي الاحجار التي توضع عليها القدر . والحدا : طائر . وحشم الطائر : تليد الارض .

ورفضوا انفسهم فوق مقدارها يجحود الحق للانفة من اتباع الرسول الداعي اليه (من قومه) اي من قوم صالح (الذين استضعفوا) اي للذين استضعفهم من المؤمنين (لمن آمن منهم) انما ذكره لئلا يظن بالمستضعفين انهم كانوا غير مؤمنين لأنه قد يكون المستضعف مستضعفا في دينه ولا يكون مؤمنا فأزال الله سبحانه هذه الشبهة (اتملون ان صالحا مرسل من ربه) اي هل تعلمون ان الله سبحانه ارسل صالحا (قالوا انا بما أرسل به مؤمنون) اي مصدقون (قال الذين استكبروا) لهم حين سمعوا منهم الايمان والاعتراف بنبوة صالح (انا بالذي آمتم به) اي صدقتم به (كافرون) جاحلون ثم اخبر سبحانه عما فعله المستكبرون بقوله (فسقروا الناقة) اي ففحروا الناقة قال الازهري المقر عند العرب قطع عرقوب البعير ثم جعل النحر عرقاً لأن نحر البعير يعقره ثم ينحره (وعتوا عن امر ربهم) اي تجاوزوا الحد في الفساد والمعصية (وقالوا يا صالح ائتنا بما تمدنا) من العذاب على قتل الناقة قد قتلناها (ان كنت من المرسلين) ثم اخبر سبحانه بما حل بهم من العذاب بقوله (فأخذتهم الرجفة) اي الصيحة عن مجاهد والسدي وقيل الصاعقة وقيل الزلزلة اهلكوا بها عن أبي مسلم وقيل كانت صيحة زلزلت بها الأرض واصل الرجفة الحركة المزعجة بشدة الزعزعة (فأصبحوا في دارهم) اي في بلدهم ولذلك وحد وقيل يربد في دورهم وانما وحد لأنه اراد الجنس كقوله ان الإنسان لفي خسرو قد ذكر في موضع آخر ديارهم بالجمع (جائئين) اي صرعى ميتين ساقطين لا حركة بهم وقيل كالرماد الجائئ لأنهم احترقوا بالصاعقة (فتولى عنهم) صالح اي عرض عنهم لأنه انما كان يقبل عليهم لدعائهم الى الايمان (وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم) اي أدت النصح في تبليغ الرسالة (ولكن لا تحبون الناصحين) اي ولكنكم لا تحبون من ينصح لكم لأن من أحببنا ساقط من

❀ قصة صالح ❀

وكان من قصة صالح وقومه على ما ذكره اصحاب التواريخ أن عادا لما هلكت وتفضى امرها عميرت عمود بعدها واستخلفوا في الأرض فكثروا وعمرروا وكانوا في سمة من منابشهم فتوا على الله وافسدوا في الأرض وعبدوا غير الله فبعث الله اليهم صالحا وكان من اوسطهم نسبا وكانوا قوما عربا وروى في الخبر انه لما بعث كان ابن ست عشرة سنة فلبث فيهم يدعوهم الى الله تعالى حتى بلغ عشرين ومائة سنة لا يجيبونه الى خير وكان لهم سبعون صنفا يبدونها فلما رأى ذلك منهم قال لهم انا اعرض عليكم امرين ان شئتم فاسألوني حتى اسأل إلهي فيجيبكم فيما تسألون وان شئتم سألت آلهتكم فإن اجابوني خرجت عنكم فقد شئتكم وشئتموني قالوا قد انصفت فأتدوا ليوم يخرجون فيه فخرجوا باصنامهم الى عيديم وأكلوا وشربوا فلما فرغوا دعوه فقالوا يا صالح سل فسألها فلم تجبه قال لا أرعى آلهتكم تجيبني فاسألوني حتى اسأل إلهي فيجيبكم الساعة فقالوا يا صالح أخرج لنا من هذه الصخرة وأشاروا الى صخرة منفردة ناقة مخترجة جوفاء وبراء والمخترجة ما شاكل البخت من الابل فإن فلت صدقناك وآمنابك فسأل الله سبحانه ذلك صالح فانصدعت الصخرة صدعا كادت عقولهم تطير منه ثم اضطربت كالمرأة يأخذها الطلق ثم انصدعت عن ناقة عشره جوفاء وبراء كما وصفوا لا يعلم ما بين جنبيها إلا الله عظما وهم يتظنون ثم تبعت سقبا مثلها في العظم فأمن به رهط من قومه ولم يؤمن أكابرهم فقال لهم صالح هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم وقد بينا ذلك قبل فإذا كان يومها وضمت رأسها في مائهم فأترفضه حتى تشرب كل ما فيه ثم ترفع رأسها فتفحج

لهم فيحتلبون ما شاؤا من لبن فيشربون ويدخرون حتى يملؤا أو انيهم كلها قال الحسن بن محبوب حدثني رجل من اصحابنا يقال له سعيد بن يزيد قال أتيت أرض ثمود فدرعت مصدر الناقة بين الجبلين برأيت اثر جنبها فوجدته ثمانين ذراعا وكانت تصدر من غير الفج الذي منه وردت لا تقدر على ان تصدر من حيث ترد لانه يضيق عنها فكانوا في سعة ودعة منها وكانوا يشربون الماء يوم الناقة من الجبال والمغارات فشو ذلك عليهم وكانت مواشيهم تنفر عنها لعظمتها فهموا بقتلها قالوا وكانت امرأة جميلة يقال لها صدوف ذات مال من ابل وبقر وغنم وكانت اشد الناس عداوة لصالح فدعت رجلا من ثمود يقال له مصدع بن مهورج وجعلت له نفسها على أن يعقر الناقة وامرأة اخرى يقال لها عنيزة دعت قدار بن سالف وكان احمر ازرق قصيرا وكان ولد زنا ولم يكن لسالف الذي يدعى اليه ولكنه ولد على فراشه وقالت له اعطيك اي بناتي شئت على ان تعقر الناقة وكان قدار عزيزا منيعا في قومه فانطلق قدار بن سالف ومصدع فاستغويا خواة ثمود فاتبعها سبعة نفر واجتمعوا على عقر الناقة قال السدي وغيره اوحى الله تعالى إلى صالح ان قومك سيعقرون ناقتك فقال ذلك لقومه فقالوا ما كنا لنفعل قال صالح انه يولد في شهر كم هذا غلام يعمرها ويكون هلاككم على يديه فقالوا لا يولد لنا ابن في هذا الشهر الا قتلناه فولد لتسعة منهم في ذلك الشهر فذبحوا ابناءهم ثم ولد للعاشر فأبى ان يذبح ابنه وكان لم يولد له قبل ذلك شيء وكان العاشر ازرق احمر ونبت نباتا سريعا وكان اذا مرَّ بالثسعة فرأوه قالوا لو كان ابناؤنا احياء لكانوا مثل هذا ففضب التسعة على صالح لانه كان سبب قتلهم ابناءهم فتعاسوا بالله لنيئته واهله قالوا نخرج فيرعى الناس انا قد خرجنا الى سفر فأتى النار فتكون فيه حتى اذا كان الليل وخرج صالح الى مسجده أتينا فقتلناه ثم رجعنا الى النار فكأ فيه ثم رجعنا قتلنا ما شهدنا مهلك اهله وانا لصادقون فيصدقوننا يعلمون انا قد خرجنا الى سفرنا وكان صالح لا ينام معهم في القرية ويبيت في مسجد يقال له مسجد صالح فإذا أصبح أتاهم فوعظهم واذا أمسى خرج الى المسجد فبات فيه فانطلقوا فلما دخلوا النار وأرادوا ان يخرجوا من الليل سقط عليهم النار فقتلهم فانطلق رجال ممن اطلع على ذلك منهم فإذا هم رضع فرجموا وجعلوا يصيحون في القرية اي عباد الله أما رضي صالح ان امرهم يقتل اولادهم اذ قتلهم فاجتمع اهل القرية على عقر الناقة وقال ابن اسحاق اما كان تعاسم التسعة على بيت صالح بعد عقر الناقة وانذار صالح اياهم بالعذاب قال السدي ولما ولد قدار وكبير جلس مع اناس يصييون من الشراب فأرادوا ماء يمزجون به شرابهم وكان ذلك اليوم شرب الناقة فوجدوا الماء قد شربته الناقة فاشتد ذلك عليهم فقال قدار هل لكم في ان اعقرها لكم قالوا نعم وقال كعب كان سبب عقرهم الناقة ان امرأة يقال لها ملكاء كانت قد ملكت ثمودا فلما اقبل الناس على صالح وصارت الرئاسة اليه حسدته فقالت لامرأة يقال لها قطام وكانت ممشوقة قدار بن سالف ولامرأة اخرى يقال لها قبال كانت ممشوقة مصدع وكان قدار ومصدع يجتمعان معها كل ليلة ويشربون الخمر فقالت لها ملكاء ان اتاكما الله قدار ومصدع فلا تطيعاهما قولا لها ان ملكاء حزينة لأجل الناقة ولأجل صالح فنحن لا نطيعكما حتى تمقرنا الناقة فلما اتياها قاتلتا هذه المقالة لهما فقالا نحن نكون من وراء عقرها قالوا فانطلق قدار ومصدع واصحابها السبعة فرصدوا الناقة حين صدرت عن الماء وقد كن لها قدار في اصل صخرة على طريقها وكن لها مصدع في اصل اخرى فمرت على مصدع فرمى بسهم فانتظم به عضلة ساقتها وخرجت عنيزة وامرت ابنتها وكانت من احسن الناس فاسفرت لقدار ثم

زمرته فشه على الناقة بالسيف فكشف عرقوبها فخرت ورجت رغاء واحدة وتحذرت سبها ثم طمن في لبثها فخرها وخرج أهل البدة واقتسموا لحمها وطبخوه فلما رأى الفصيل ما فعل بأمه ولي هاربا حتى صعد جبلا ثم رغاء رغاء تقطع منه قلوب القوم واقتل صالح فخرجوا يعتذرون إليه إنما عقرها فلان ولا ذنب لنا فقال صالح انظروا هل تدركون فصياها فإن ادر كنتموه فمسي أن يرفع عنكم العذاب فخرجوا يطلبونه في الجبل فلم يجدوه وكانوا عقروا الناقة ليلة الاربعاء فقال لهم صالح تمتعوا في داركم يعني في محبتكم في الدنيا ثلاثة أيام فإنت العذاب نازل بكم ثم قال يا قوم انكم تصبحون غدا ووجوهكم مصفرة واليوم الثاني تصبحون وجوهكم حمرة واليوم الثالث وجوهكم مسودة فلما كان اول يوم اصبحت وجوههم مصفرة فقالوا جاءكم ما قال لكم صالح ولما كان اليوم الثاني احمرت وجوههم واليوم الثالث اسودت وجوههم فلما كان نصف الليل اتاهم جبرائيل (ع) فصرخ بهم صرخة خرقت اسماعهم وفلقت قلوبهم وصدعت اكبادهم وكانوا قد تحنطوا وتكفونوا وعلمو أن العذاب نازل بهم فماتوا اجمعين في طرفة عين صغيرهم وكبيرهم فلم يبق الله منهم ثاغية ولا راغية ولا شيناً يتنفس إلا اهلكه فاصبحوا في ديارهم موتى ثم ارسل الله اليهم مع الصيحة النار من السماء فأحرقتهم اجمعين فهذه قصتهم وفي كتاب علي بن ابراهيم فبمث الله عليهم صيحة وزلزلة فهلكوا وروى الثعلبي باسناده مرفوعا عن النبي (ص) قال يا علي اتدري من اشقى الأولين قال قلت الله ورسوله اعلم قال عاقر الناقة قال اتدري من اشقى الآخرين قال قلت الله ورسوله اعلم قال قاتلك وفي رواية اخرى قال اشقى الآخرين من يخضب هذه من هذه وأشار إلى لحيته ورأسه وروى ابو الزبير عن جابر بن عبد الله قال لما مر النبي (ص) بالحجر في غزوة تبوك قال لاصحابه لا يدخلن احد منكم القرية ولا تشربوا من مائهم ولا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين ان يصيبكم الذي اصابهم ثم قال اما بعد فلا تسألوا رسولكم الآيات هؤلاء قوم صالح سألوها رسولهم الآية فبعث الله لهم الناقة وكانت ترد من هذا الفج وتصدر من هذا الفج تشرب ما هم يوم ورودها وأراهم مرتقى الفصيل حين ارتقى في القارة فتوا عن امر ربهم فمقروها فأهلك الله من تحت اديم السماء منهم في مشارق الأرض ومغاربها إلا رجلا واحدا يقال له ابو رغال وهو ابو ثقيف كان في حرم الله فمنعه حرم الله من عذاب الله فلما خرج اصابه ما اصاب قومه فدفن ودفن معه غصن من ذهب وأراهم قبر ابي رغال فنزل القوم فابتدروه بأسياهم وحنوا عنه فاستخرجوا ذلك الغصن ثم قنع رسول الله صلى الله عليه وآله رأسه واسرع السير حتى جاز الوادي

قوله تعالى (٨٠) وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ (٨١) أَلَيْسَ لَنَا نُحُورٌ الرِّجَالِ شَهْوَةٌ مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ (٨٢) وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ (٨٣) فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أُمَّرَأَةً كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (٨٤) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا قَانِظًا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ (خمس آيات)

﴿ القراءة ﴾

قرأ اهل المدينة وحفص وسهل هنا انكم لتأتون وكذلك مذهبهم في الاستفهامين يجتمعان يكتفون بالاستفهام الأول عن الثاني في كل القرآن وهو مذهب الكسائي الآ في قصة لوط والباقون بهمزين اللينة مكسورة وحققها اهل الكوفة الآ ان حفصا يفصل بينهما بألف وابن كثير وابو عمرو ورويس يحققون الأولى وبلينون الثانية الآ ان ابا عمرو يفصل بينهما بالألف

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي كل واحد من الاستفهامين جملة مستقلة لا يحتاج في تمامها الى شيء فمن الحق حرف الاستفهام جملة نقلها به من الخبر الى الاستخيار ومن لم يلحقها بقاها على الخبر فاذا كان كذلك فمن قرأ انكم لتأتون الرجال جعله تفسيرا للفاحشة كما ان قوله للذكر مثل حظ الأنثيين تفسير للوصية

﴿ اللغة ﴾

قال الزجاج لوط اسم غير مشتق لأن المعجمي لا يشتق من العربي وإنما قال ذلك لأنه لم يوجد الآ علماً في اسماء الانبياء وقيل انه مشتق من لَطْتُ الحوض اذا الزقت عليه الطين وملسته به ويقال هذا الوطُّ بقلبي من ذاك اية الصق والديطة القشر للصوق بما اتصل به والشهوة مطالبة النفس بفعل ما فيه اللذة وليست كالإرادة لأنها قد تدعو الى الفعل من جهة الحكمة والشهوة ضرورية فينا من فعل الله تعالى والإرادة من فعلنا يقال شهِيت اشهى شهوة قال

وَأَشَعْتُ يَشْمِي النَّوْمَ قَلْتُ لَهُ أَرْجُلِي إِذَا مَا النَّجُومُ أَعْرَضَتْ وَأَسْبَكْرَتْ (١)
فَقَامَ يَجْرُ الْبُرْدُ لَوْ أَنَّ نَفْسَهُ يُقَالُ لَهُ خُذْهَا بِكَفَيْكَ خَرَّتْ
والاسراف الخروج عن حد الحق الى الفساد والغابر الباقي قال الاعشى

عَضَّ بِمَا أَبْقَى الْمَوَاسِي لَهُ مِنْ أُمَّهِ فِي الزَّمَنِ الْغَابِرِ (٢)

﴿ الاعراب ﴾

انما صرف لوطا خلفته بكونه على ثلاثة احرف ساكن الاوسط قاومت الخفة احد السبيين ويجوز في قوله جواب قومه الرفع الآ ان الاجود النصب وعليه القراءة شهوة مصدر وضع موضع الحال وقوله الآ امراته استثناء متصل لأنه يجوز ان تدخل الزوجة في الأهل على التقلب في الجملة دون التفصيل ولم يقل من الغابرات لأنه اراد انها بمن بقيت مع الرجال ومطراً مصدر ذكر للتأكيد كقوله ضربه ضرباً

— المعنى —

ثم عطف سبحانه على ما تقدم فقال (ولوطا) اي وارسلنا لوطا وقيل ان تقديره واذكر لوطا قال الاخفش يمتثل للثنين جميعاً ههنا ولم يمتثل في قصة عاد وثمود إلا ارسلنا لأن فيها ذكر إلى وهو لوط ابن هاران بن تارخ بن اخي ابراهيم الخليل عليه السلام وقيل انه كان ابن خالة ابراهيم وكانت سارة امرأة ابراهيم اخت لوط (اذ قال لقومه أتأتون الفاحشة) اي السيئة العظيمة القبيح يعني اتيان الرجال في اديبارم (ماسبقكم بها من احد من العالمين) قيل ما نزاك على ذكر قبل قوم لوط عن عمر وبن دينار قال الحسن وكانوا يفعلون ذلك بالقرباء ثم بين تلك الفاحشة فقال (انكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء) معناه أتأتون

(١) اسبكر: اضطجع وامتد. (٢) عضبه: أمسكه باسنانه. المواسي جمع موسى آله من فولاذ يخلق بها: قاله في الهجاء.

الرجال في اديارهم اشتهاه منكم اي تشتهونهم فأتونهم وتتركون اتيان النساء اللاتي ابلحها الله لكم (بل انتم قوم مسرفون) اي متجاوزون عن الحد في الظلم والفساد ومستوفون جميع المعاصي اتيان الذكران وغيره (وما كان جواب قومه) اي لم يجيبوه عما قال (إلا ان قالوا اخرجوهم من قريبتكم) قابلوا النصيح والوعظ بالسفاهة فقالوا اخرجوا لوطا ومن آمن به من بلدتكم والمراد بالقريبة البلدة كما قال ابو عمرو بن العلاء ما رأيت قرويين افصح من الحسن البصري والحجاج يريد بالقروي من يسكن المدن (انهم اناس يطهرون) اي يخرجون عن اديار الرجال فصارهم بما يجب ان يدحوا به عن ابن عباس ومجاهد وقادة وقيل معناه يتنزهون عن افعالكم وطرائقكم (فأنجيناه) اي فخلصنا لوطا من الهلاك (واهل) المختصين به واهل الرجل من يختص به اختصاص القرابة (الامرأته كانت من الغابرين) اي من الباقيات في قومه المتخلفين عن لوط حتى هلكت لأنها كانت على دينهم فلم تؤمن به وقبل معناه كانت من الباقيات في عذاب الله عن الحسن وقادة (وامطرنا عليهم مطرا) اي ارسلنا عليهم الحجارة كالمطر كما قال في آية أخرى وامطرنا عليهم حجارة من سجيل (فانظر كيف كان عاقبة المجرمين) معناه تفكروا ونظروا بين العقول كيف كان مآل امر المتطرفين للسيئات والمنقطعين اليها وعاقبة فعلهم من عذاب الدنيا بالاستئصال قبل عذاب الآخرة بانخلود في النار

﴿ قصة لوط مع قومه ﴾

وجلة امرهم فيما روي عن ابي حمزة الثمالي وابي بصير عن ابي جعفر عليه السلام ان لوطا لبث في قومه ثلاثين سنة وكان نازلا فيهم ولم يكن منهم يدعوهم إلى الله وينهاهم عن الفواحش ويحثهم على الطاعة فلم يجيبوه ولم يطيعوه وكانوا لا يتطهرون من الجنابة بخلاء أشحاء على الطعام فأعقبهم البخل الداء الذي لا دواء له في فروجهم وذلك انهم كانوا على طريق السيارة إلى الشام ومصر وكان ينزل بهم الضيفان فدعاهم البخل إلى أن كانوا إذا نزل بهم الضيف فضحوه وإنما فعلوا ذلك لتنكل النازلة عليهم من غير شهوة بهم إلى ذلك فأوردتهم البخل هذا الداء حتى صاروا يطلبونه من الرجال ويضطون عليه الجمل وكان لوط سخيا كريما يقري الضيف إذا نزل به فنهوه عن ذلك وقالوا لا تقربن ضيفا جاء ينزل بك فانك إن فعلت فضحنا ضيفك فكان لوط إذا نزل به الضيف كتم امره مخافة ان يفضحه قومه ولما اراد الله سبحانه عذابهم بث اليهم رسلا مبشرين ومنذرين فلما عتوا عن امره بعث الله اليهم جبرائيل (ع) في نفر من الملائكة فأقبلوا إلى ابراهيم قبل لوط فلما رأى ابراهيم ذبح عجلا سمينا فلما رأى ايديهم لا تصل اليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا يا ابراهيم إنا رسل ربك ونحن لا نأكل الطعام إنا أرسلنا إلى قوم لوط وخرجوا من عند ابراهيم فوقفوا على لوط وهو يسقي الزرع فقال من انتم قالوا نحن ابنا السبيل اضفنا الليلة فقال لوط إن أهل هذه القرية قوم سوء ينكحون الرجال في اديارهم ويأخذون أموالهم قالوا قد أبطأنا فأضفنا فجاء لوط إلى اهله وكانت امرأته كافرة فقال قد أتاني اضياف في هذه الليلة فاكتسي أمرهم قالت افضل وكانت العلامة بينها وبين قومها انه إذا كان عند لوط اضياف بالنهار تدخن من فوق السطح وإذا كان بالليل توقد النار فلما دخل جبرائيل (ع) والملائكة معه بيت لوط وثبت امرأته على السطح فأوقدت نارا فأقبل القوم من كل ناحية يهرعون اليه أي يسرعون ودار بينهم ما قصه الله تعالى في مواضع من كتابه فضرب جبرائيل (ع) بجناحه على عيونهم فطمسها فلما رأوا ذلك علموا أنهم قد أتاهم العذاب فقال جبرائيل عليه السلام بالوط اخرج من

ينهم أنت وأهلك إلا أمرتك فقال كيف أخرج وقد اجتمعوا حول داري فوضع بين يديه عمودا من نور وقال ائبع هنا المصود ولا يلتفت منكم احد فخرجوا من القرية فلما طلع الفجر ضرب جبرائيل بجناحه في طرف القرية قتلها من تخوم الأرضين السابعة ثم رفعها في الهواء حتى سمع اهل السماء نباح كلابهم وصواخ دبوهم ثم قلبها عليهم وهو قول الله عز وجل فجعلنا عاليها سافلها وذلك بعد أن أمطر الله عليهم حجارة من سجيل وهلك امرأته بأن ارسل الله عليها صخرة فقتلتها وقيل قلبت المدينة على الحاضرين منهم فجعل عاليها سافلها وأمطرت الحجارة على المائين فاهلكوا بها وقال الكلبي أول من عمل قوم لوط ابليس الخبيث لأن بلادهم اخصبت فلتنجها أهل البلدان فتمثل لهم ابليس في صورة شاب ثم دعاهم إلى دبره فنكح في دبره ثم عثوا بذلك العمل فلما كثر ذلك فيهم عجت الأرض إلى ربها فسمعت السماء فعبت إلى ربها فسمع العرش فنج ابلى ربه فأمر الله السماء أن تحصيهم وأمر الأرض أن تخسف بهم

قوله تعالى (٨٥) وَإِلَى مَدِينِ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تفسدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٨٦) وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرْتُمْ وَأَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (٨٧) وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلَتْ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَمِيعَكُمْ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (ثلاث آيات)

✽ اللفظة ✽

الإيفاء اتمام الشيء إلى حد الحق فيه ومنه إيفاء العهد وهو اتمامه بالعمل به والكيل تقدير الشيء بالمكيل حتى يظهر مقداره منه والوزن تقديره بالميزان والمساحة تقديره بالذراع أو ما زاد عليه أو نقص والبخس النقص عن الحد الذي يوجبه الحق والافساد اخراج الشيء إلى حد لا يتفجع به بدلا من حال يتفجع بها وضده الإصلاح والصد الصرف عن الفعل بالإغواء فيه كما يصد الشيطان عن ذكر الله وعن الصلاة يقال صدّه عن الأمر بصدّه أي منعه العوج بكسر العين في الدين وكل ما لا يرى والعوج بفتح العين في السواد وكل ما يرى كالحائط وغيره والطائفة الجماعة من الناس وهو من الطوف مأخوذة من انها تجتمع على الطواف

✽ الاعراب ✽

مدین اسم للمدينة أو القبيلة لا ينصرف للتعريف والتأنيث وجائز أن يكون اعجميا عن الزجاج بكل صراط بمعنى على كل صراط ويموز تعاقب الحروف الثلاثة هنا الباء وعلى وفي قول لا تقعد بكل صراط وعلى كل صراط وفي كل صراط لانه اجتمع معاني الأحرف الثلاثة فيه فإن الباء للإصاق وهو قد لاصق المكان وعلى للاستعلاء وهو قد علا المكان وفي للمحل وقد حل المكان ومن آمن في موضع نصب بأنه مفعول به أي وتصدون المؤمنين بالله وإنما قال فاصبروا فجعل الصبر جزاء وهو لازم على كل حال لأن المدني فسيتبع

جزاء كل فريق بما يستحقه من ثواب او عقاب كانه قال فانتم مصبون على حكم الله بذلك

✽ المعنى ✽

ثم عطف سبحانه على ما تقدم من القصص قصة شيب فقال (وإلى مدین) أي وأرسلنا إلى مدین (اخاهم شعيبا) وقيل إن مدین ابن ابراهيم الخليل فنسبت القبيلة اليه قال عطا هو شعيب بن توبة بن مدین بن ابراهيم وقال قتادة هو شعيب بن بويب قال ابن اسحاق هو شعيب بن ميكيل بن يشجب بن مدین بن ابراهيم وأم ميكيل بنت لوط وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه وهم اصحاب الأيكة وقال قتادة ارسل شعيب مرتين إلى مدین مرة وإلى اصحاب الأيكة مرة (قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من آله غيره قد جاءكم بينة من ربكم) قد مر تفسيره (فأوفروا الكيل والميزان) أي اتروا ما تكيلونوه على الناس بالمكبال وما تزنونه عليهم بالميزان ومعناه ادرا حقوق الناس على التام في المعاملات (ولا تبخسوا الناس اشياءهم) أي لا تنقصوهم حقوقهم وقال قتادة والسدي البعض الظلم ومنه المثل تحسبها حقا وهي باخس (ولا تفسدوا في الأرض بعد اصلاحها) يعني لا تعملوا في الأرض بالمعاصي واستحلال المحارم بعد أن اصلاحها الله بالأمر والنهي وبعثة الانبياء وتعريف الخلق مصالحهم وقيل لا تفسدوا بأن لا تؤمنوا فيهلك الله الحرث والنسل (ذاكم) الذي امرتكم به (خير لكم) وأعوذ عليكم (إن كنتم مؤمنين) أي مصدقين بالله وإنما علق خيرته بالايمان وان كان هو خيرا على كل حال من حيث ان من لا يكون مؤمنا بالله وعارفا بنبيه لم يمكنه أن يعلم أن ذلك خير له فكأنه قال لهم كونوا مؤمنين لتعلموا أن ذلك خير لكم ويمكن أن يكون المراد لا ينفعكم ايفاء الكيل والوزن إلا بعد أن تكونوا مؤمنين وقال الفراء لم يكن لشعيب معجزة على نبوته لأن الله تعالى لم يذكر له دلالة في القرآن وهو غلط لأنه لا يجوز ان يخلي الله تعالى نبيا عن معجزة هذا وقد قال سبحانه قد جاءكم بينة من ربكم فأوفروا فبها وبالفا. جوابا للجزء ويجوز أن يكون له معجزات وان لم تذكر في القرآن كما أن أكثر آيات نبينا صلى الله عليه وآله ومعجزاته غير مذكورة في القرآن ولم يوجب ذلك نفيها (ولا تقعدوا بكل صراط تعدون) قيل في معناه أقوال **✽** أحدها **✽** أنهم كانوا يعمدون على طريق من قصد شعيبا للإيمان به فيخرفونه بالقتل عن ابن عباس والحسن وقاتدة ومجاهد **✽** وثانيها **✽** أنهم كانوا يقطعون الطريق فنهاهم عن ابي هريرة وعبد الرحمن بن زيد ويسكن أن يكونا أراداه به أنهم كانوا يقطعون الطريق على الناس عن قصد شعيب فيرجع الى معنى القول الأول **✽** وثالثها **✽** أن المراد لا تقعدوا بكل طريق من طرق الدين فتطلبون له العوج بايراد الشبه وتقولون لشعيب انه كذاب فلا يقتننكم عن الدين وتترعدونه (وتصدون عن سبيل الله من آمن به) أي تمنعون عن دين الله من أراد أن يؤمن به من الناس (وتبغونها عوجا) الها. راجعة الى السبيل أي تبغون السبيل عوجا عن الحق وهو أن تقولوا هذا كذب وهذا باطل وما اشبه ذلك عن قتادة وقيل معناه تلتبسون لها الزيف عن مجاهد وقيل معناه لا تستقيمون على طريق الهدى عن الحسن وقيل تريدون الاعوجاج والمدول عن القصد عن الزجاج (واذكروا إذ كنتم قليلا فكثركم) أي كثر عددكم قال ابن عباس وذلك أن مدین بن ابراهيم تزوج بنت لوط فولدت حتى كثر اولادها قال الزجاج وجائز أن يكون كثركم جعلكم اغنيا. بعد أن كنتم فقرا. وجائز أن يكونوا غير ذوي مقدرة واقدار فكثرتهم وجائز أن يكون عددهم قليلا فكثرتهم (وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين) يعني فكثروا في عواقب امر عاد وثمود ولوط وانزال العقاب بهم واستئصال شأفتهم وما حل بهم من البوار (وان كان طائفة) أي جماعة (منكم آمنوا بالذي أرسلت به) أي صدقوني في رسالتي وقبلوا قولتي (وطائفة لم يؤمنوا) لم يصدقوني (فاصبروا حتى يحكم الله بيننا) خاطب الطائفتين ومعناه لا يفرنكم تفرق الناس عني فإن جميل العاقبة لي وسيجزى الله كل واحد من الفريقين بما يستحقه على عمله في الدنيا او الآخرة

دون الدنيا (وهو خير الحاكمين) لانه لا يجوز عليه الجور ولا المعالجة في الحكم وهذا وعيد لهم قال البخاري أمرهم في هذه الآية بالكف عما كانوا يفعلون من الصد عن الدين والايعاد عليه والكف عنه خير ورشد ولم يأمرهم بالمقام على الكفر وفي ذلك دلالة على انه ليس كل افعال الكفار كفر ومعصية كما يذهب اليه بعض أهل النظر

قوله تعالى (٨٤) قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَنَعُوذَنَّ فِي مَلِيتِنَا قَالَ أُولَئِكَ نَارِهُنَّ (٨٥) قَدْ أَفْتَرْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِن كُنَّا فِي مِلَّةٍ كُفْرًا بَعْدَ إِذْ نَجَّيْنَا اللَّهَ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ (آيَاتَان)

اللفظة

العود الرجوع وهو صير الشيء إلى حال كان عليها ومنه إعادة الله الخلق وتعمل لفظة الاعادة في الفعل مرة ثانية حقيقة وفي فعل مثله مجازا وكلاهما يسمى إعادة تقول اعدت الكتابة والقراءة ومعناه فعلت مثله قال الزجاج يقال قد عاد علي من فلان مكروه وإن لم يكن سبقه مكروه قبل ذلك وتأويله انه قد لحقني منه مكروه قال الشاعر

لَإِنْ كَانَتْ الْيَوْمَ الْأَيَّامُ أَحْسَنَ مَرَّةٍ
إِلَيَّ فَقَدْ عَادَتْ لَهْنَ ذُنُوبُ

الافتراء مشتق من فري الادميم وهو مثل الاختلاف والافتعال والملة الديانة التي يجتمع على العمل بها فرقة عظيمة والاصل فيه تكرار الأمر من قولهم طريق مليل إذا تكرر سلوكه حتى توطأ ومنه الملل وهو تكرر الشيء على النفس حتى تضجر والملة الرماد الحار تدفن فيه الحبة حتى تنضج لتكرر الحلمي عليها والفتح الحكم والفتح والفتح الحاكم لانه يفتح باب العلم الذي انقلب على غيره وفتحته في كذا اي قاضيته قال ابن عباس ما كنت ادري ما الفتح حتى سمعت بنت سيف بن ذي يزن وقد جرى بيني وبينها كلام فقالت انطلق افاتحك إلى القاضي أي احاكك اليه

المعنى

ثم اخبر سبحانه عما دار بينه وبين قومه فقال (قال الملا الذين استكبروا من قومه) اي دفعوا انفسهم فوق مقدارها (لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا) أي نخرجنك وأتباعك من المؤمنين بك من بلدتنا التي هي وطنك ومستقرك (أو لنعوذن في ملتنا) أو لترجمن إلى ملتنا التي كنا عليها لانه كان عندهم وفي ظنهم انه كان قبل ذلك على دينهم فلذلك اطلقوا لفظ العود وقد كان عليه السلام يخفي دينه فيهم ويحتمل انهم ارادوا به قومه فادخلوه معهم في الخطاب ويحتمل أن يكون المراد به او تدخلن في ديننا وطريقتنا لأن العود يذكر ويراد به الابتداء كما قاله الزجاج ويكون بمعنى الصيرورة ومثله قول الشاعر

تِلْكَ الْمَكَارِمُ لَا قَعْبَانَ مِنْ لَبَنٍ
شِبَابًا بِمَاءٍ فَعَادًا بَعْدَ ابْوَالٍ (١)

وحقيقة المعنى اننا لا نغفرك من المقام في بلدنا وانت على غير ملتنا فإما أن تخرج من بلدتنا او تدخل في ملتنا (قال أولو كنا كارهين) أي قال شعيب لهم اتמידوننا في ملتكم وتردوننا اليها ولو كنا كارهين للدخول فيها والمعنى إذا مع كراهتنا لذلك لما عرفناه من بطلانه لا نرجع فأدخل ههنا الاستفهام على ولو وقيل المعنى انكم

(١) القبان ثنية القعب : القدح الضخم . شاب الشيء : خلطه . يقول ليس ما فتخرون به هي المكلام بل المكلام ما ذكرت .

لا تقدرين على ردنا الى دينكم على كره منا فيكون على هذا كارهين بمعنى مكرهين (قد افترينا على الله كذبا إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها) أي إن عدنا في ملتكم بأن نحل ما تحلونه ونحرم ما تحرمونه وننسبه إلى الله تعالى بعد إذ نجانا الله تعالى منها بأن أقام الدليل والحجة على بطلانها ووضح الحق لنا فقد اختلفنا على الله كذبا فيما دعوناكم اليه (وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا) قيل في معنى هذه المشية مع حصول العلم بأنه سبحانه لا يشاء عبادة الاصنام أقوال ﴿ أحدها ﴾ أن المراد بالملة الشريعة وليس المراد بها ما يرجع إلى الاعتقاد في الله سبحانه وصفاته مما لا يجوز أن تختلف العبادة فيه وفي شريعتهم اشياء يجوز أن يتعد الله تعالى بها فكانه قال ليس لنا أن نعود في ملتكم إلا أن يشاء الله ان يتعدنا بها وينقلنا اليها وينسخ ما نحن فيه من الشريعة عن الجبائي والقاضي ﴿ وثانيها ﴾ انه سبحانه علّق ما لا يكون بما علم انه لا يكون على وجه التبعيد كما قال ولا يدخلون الجنة حتى بلغ الجمل في سم الحياط وكقول الشاعر

إِذَا شَابَ الْغُرَابُ أَتَيْتْ أَهْلِي وَصَارَ الْقَارُ كَاللَّبَنِ الْحَلِيبِ (١)

فيكون المعنى كما لا يشاء الله عبادة الاصنام والقبايح لأن ذلك لا يليق بحكمته فكذلك لا نعود في ملتكم عن جعفر بن حرب ﴿ وثالثها ﴾ أن المراد إلا أن يشاء الله ان يكتنكم من اكرهنا ويحلّي بينكم وبينه فنعود إلى اظهارها مكرهين ويقوي هذا قوله أو لو كنا كارهين ﴿ ورابعها ﴾ ان تعود الهاء التي في قوله فيها إلى القرية لا إلى الملة لأن ذكر القرية قد تقدّم كما ان ذكر الملة تقدّم فيكون تحقيق الكلام إناسنخرج من قريبتكم ولا نعود فيها إلا ان يشاء الله بما ينجزه لنا من الوعد في الاظهار عليكم والظفر بكم فنعود فيها ﴿ وخامسها ﴾ ان يكون المعنى إلا ان يشاء الله ان يردكم الى الحق فنكون جميعا على ملة واحدة غير مختلفة لأنه لما قال حاكيا عنهم او لعودن في ملتنا كان معناه او لنكونن على ملة واحدة غير مختلفة فحسن ان يقول مسن بعد الا ان يشاء الله ان يجمعكم معنا على ملة واحدة فإن قيل فكان الله تعالى ما شاء ان يرجع الكفار الى الحق قلنا بلى قد شاء ذلك إلا انه إنما شاء بأن يؤمنوا مختارين ليستحقوا الثواب ولم يشأ على كل حال اذ لو شاءه على كل حال لما جاز الا يقع منهم ذلك فكانه قال ان ملتنا لا تكون واحدة أبدا الا ان يشاء الله ان يلجئكم إلى الإيمان والاجتماع معنا على ملتنا (وسع ربنا كل شيء علما) انتصب علما على التمييز وتقديره وسع علم ربنا كل شيء فنقل الفعل الى نفسه لما فيه من جزالة اللفظ وفخامة المعنى وقيل في وجه اتصاله بما قبله ان الملة انما يتعد بها على حسب ما في المعلوم من المصلحة فالمعنى انه سبحانه أحاط علمه بكل شيء فهو اعلم بما هو اصلح لنا فيتعدنا به وقيل ان المراد به انه عالم بما يكون منا من عود او ترك (على الله توكلنا) في الانتصار منكم وفي كل أمورنا (ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق) هذا سؤال من شعيب ورغبة منه الى الله في أن يحكم بينه وبين قومه بالحق على سبيل الانقطاع اليه سبحانه وان كان من المعلوم ان الله سيفعله لا محالة وقيل ان معناه اكشف بيننا وبين قومنا وبيننا وبيننا على حق وهذا استعمال منه للنصر (وأنت خير الفاتحين) اي خير الحاكمين والفاصلين

قوله تعالى (٩٠) وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَخَائِرُونَ (٩١) فَأَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثِيمِينَ (٩٢) الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَخْسَرُوا مَالَهُمْ خَسْرًا يُبْذَرُونَ (٩٣) فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ (أربع آيات)

— اللغة —

غني بالمكان يعني غناً وغنياً أقام به كأنه استغنى بذلك المكان عن غيره والمغاني المنازل واصل الباب المعنى

قال حاتم طي

غَنِينَا زَمَانًا بِالتَّصَمُّكِ وَالغِنَى فَكَلَّا سَقَانَاهُ بِكَاسِيهَا الدَّهْرُ
فَمَا زَادَنَا بَغِيًّا عَلَى ذِي قِرَابَةٍ غِنَانَا وَلَا أَرْزَى بِأَحْسَابِنَا الْفَقْرُ (١)

والاسى شدة الحزن يقول اسي يأسى اسا وقال (يقولون لا تهلك اسي وتجمل)

✽ الاعراب ✽

إنكم إذا خاسرون جواب القسم وقد سدَّ مسدَّ جواب الشرط من قوله لئن وإذا هاهنا ملغاة لانها وقعت حشو الكلام وما بعدها يعتمد على ما قبلها الذين كذبوا شيميا الاول في موضع رفع بالابتداء وخبره كأن لم يفتوا فيها وإنما أعيد مرة ثانية من غير كناية لتخليط الامر في تكذيبهم شيماع البيان انهم الذين حصلوا على الخسران لا من نسبهه إلى ذلك من اهل الايمان وهم في قوله هم الخاسرون فصل وإنما دخل الفصل مع أن المضمحل لا يوصف لأنه يحتاج فيه إلى التوكيد ليتسكن معناه في النفس وان الذي بعده من المعرفة لا يخرج ذلك من معنى الخبر وان كان الاصل في الخبر النكرة

📖 المعنى 📖

ثم حكى الله سبحانه ما قالت الجماعة الكافرة الجاحدة بآيات الله فقال (وقال الملائة الذين كفروا من قومه) أي من قوم شيب للباقيين منهم (لئن اتعتم شعياً) في دينه وتركتم دينكم انقياداً لأمره ونهيه لأن الاتباع هو طلب الثاني موافقة الاول فيادعا اليه (انكم إذا خاسرون) والخسران ذهاب رأس المال فكانهم قالوا إن اتبعتموه كبتكم بمنزلة من ذهب رأس ماله وقيل خاسرون مضمونون عن ابن عباس وقيل هالكون (فأخذتهم الرجفة) أي فأخذ قوم شيب الزلزلة عن الكلبي وقيل ارسل الله عليهم رمدة وحرّاً شديداً فأخذ بأنفاسهم فدخلوا اجواف البيوت فدخل عليهم البيوت فلم ينفعهم ظل ولا ماء. وانضحهم الحرّ فبعث الله تعالى سحابة فيهاريح طيبة فوجدوا برد الريح وطيبها وظلّ السحابة فتنادوا عليكم بها فخرجوا إلى البرية فلما اجتمعوا تحت السحابة الهبها الله عليهم ناراً ورجفت بهم الأرض فاحترقوا كما يحترق الجراد القلبي وصاروا رماداً وهو عذاب يوم الظلة عن ابن عباس وغيره من المفسرين وقيل بعث الله عليهم صيحة واحدة فهاوا عن ابي عبد الله (ع) وقيل إنه كان لشيب قومان قوم اهلكوا بالرجفة وقوم هم اصحاب الظلة (فأصبحوا في دارهم) أي منازلهم (جاغين) أي ميتين ملقين على وجوههم (الذين كذبوا شعياً كأن لم يفتوا فيها) أي كأنهم لم يقيموا بما قط لأن المهلك يصير كأن لم يكن وقيل كأن لم يفتوا فيها كأن لم يعيشوا فيها مستغنين عن قتادة وقيل كأن لم يعمروا فيها عن ابن عباس (الذين كذبوا شعياً) عاد اللفظ تأكيداً وتخليطاً (كانوا هم الخاسرين) مرّ معناه بين سبحانه انهم الخاسرون دون من آمن به (فتولّى عنهم) شيب ابي اعرض عنهم لما رأى اقبال العذاب عليهم امراض الايس منهم (وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي) فيما امرني فلم تؤمنوا (ونصحت لكم) فلم تقبلوا ومعناه ان ما نزل بكم من البلاء. وإن كان عظيماً فقد استوجبتم ذلك مجناتيتكم على انفسكم (فكيف آسى) أي فكيف احزن (على قوم كافرين) حلّ العذاب بهم مع استحقاقهم له وقوله فكيف آسى وإن كان على لفظ الاستفهام فالمراد به النفي لأن جوابه في هذا الموضع لا يصح إلا بالنفي وإنما يدخله معنى الانكار ايضاً لهذه اللمة وهذا كما قال الهجاج « اطربوا وانت قنصري » وهذا تسلية من شيب بما يذكر من حاله معهم في مناصحته لهم وتأديته رسالة ربه

(١) تصملك الرجل : أفقر . وأزراه : عابه ووضع من حقه .

اليهم وانه لا ينبغي أن يأسى عليهم مع تردادهم في كفرهم وشدة عتوهم قال البلخي وفي هذا دلالة على انه لا يجوز للمسلم أن يدعو للكافر بالخير وانه لا يجوز الحزن على هلاك الكافرين والظالمين
قوله تعالى (٩٤) وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيِّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ (٩٥) ثُمَّ بَدَلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (آيتان)

[اللغة] -

التبديل وضع احد الشئين مكان الآخر واصل العفو الترك من قوله فمن عفي له من اخيه شيء فمضى قوله عفو تركوا حتى كثروا قال

وَلَكِنَّا نَمِضُ السَّيْفَ مِنْهَا بِأَسْوَقٍ عَافِيَاتٍ اللَّحْمِ كَوْمٍ (١)
والبغته الفجأة وهي الأخذ على غرة من غير تقدمة تؤذن بالنازلة يقال بغته يبغته بغتا وبغته قال « وانكأ شيء حين يفجأك البغته » (٢)

✽ الإعراب ✽

اصل يضرعون يتضرعون فادغمت التاء في الضاد ولا يدغم الضاد في التاء لأن في الضاد استطالة وإن يادغم الناقص في الزائد ولا يدغم الزائد في الناقص لما في ذلك من الإخلال به وهو في موضع رفع بأنه خبر لعل وبغته مصدر وضع موضع الحال

✽ المعنى ✽

ثم ذكر سبحانه بعد ما اقتصر من قصص الانبياء وتكذيب امهم اياهم وما نزل بهم من العذاب سنة في امثالهم تسلية لنبينا صلى الله عليه وآله فقال (وما أرسلنا في قرية) من القرى التي اهلكناها بالعذاب وقيل في سائر القرى عن الجبائي (من نبي) وهو من يردّي عنا بلا واسطة من البشر فلم يؤمنوا به بعد قيام الحجّة عليهم (إلا اخذنا اهلها) يعني اهل تلك القرية (بالباء والضرأ) لعلمهم يضرعون) اي ليتنبهوا ويعلموا انه مقدمة العذاب ويتضرعوا ويتوبوا عن شركهم ومخالفتهم ويعني بالباء ما نالهم من الشدة في انفسهم وبالضرأ ما نالهم في امراضهم وقيل ان البأساء الجوع والضرأ الفقر عن السدي (ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة) أي رفنا السيئة ووضعنا الحسنة مكانها والسيئة الشدة والحسنة الرخاء عن ابن عباس والحسن وقناة ومجاهد وسميت سيئة لانها تسوء صاحبها قال الجبائي جرى في هذا الموضع على سبيل التوسع والمجاز (حتى عفو) أي كثروا عن ابن عباس ومجاهد والسدي وقيل سمنوا عن الحسن وقيل امرضوا عن الشكر عن ابي مسلم (وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء) أي قال بعضهم لبعض هكذا عادة الدهر فكثروا على ما انتم عليه كما كان آباؤكم كذلك فلم ينتقلوا عن حالهم فتنقلوا (فأخذناهم بغتة) اي فجأة عبدة لمن بعدهم (وهم لا يشعرون) اي لم يعلموا ان العذاب نازل بهم إلا بعد حلوله وحقيقة المعنى في الآية انه سبحانه يدير خلقه الذين يعصونه بأن يأخذهم ترة بالشدة وتارة بالرخاء فإذا افسدوا على الأمرين جميعا اخذهم فجأة ليكون ذلك اعظم في الحسرة وابلغ في العقوبة نعوذ بالله من سخطه

قوله تعالى (٩٦) وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٩٧) أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَاتَاتًا

(١) قائله ليبد واعضه سيفي : ضربته به يقال أعض السيف بساق البعير . و أسوق جمع الساق . وناقة عافية اللحم : كثيرة اللحم . و الكوم جمع الكوماه : العظيمة السنام من النوق . يصف قومه بالجود .
(٢) قائله يزيد بن ضبة الثقفي وقيل « ولكنهم ماتوا و لم أدر بغته » .

وَهُمْ نَائِمُونَ (٩٨) أَوْ آمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٩٩) أَفَأَمِنُوا
مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يُأْمِنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ (أربع آيات)

✽ القراءة ✽

أو أمن بفتح الواو عر اقي وابن فليح والباقون أو أمن بسكون الواو إلا ان ورشا قرأه على أصله في القاء
حركة الهززة على الساكن قبلها فقال أو مِن

— الحجة —

قال ابو علي او حرف استعمل على ضربين **✽** احدهما **✽** ان يكون بمعنى احد الشئين او الاشياء في الخبر
والاستفهام **✽** والآخر **✽** ان يكون للاضراب عما قبلها في الخبر والاستفهام كما ان أم المنقطعة في الاستفهام
والخبر كذلك فأما التي تكون لأحد الشئين او الاشياء فمثاله في الخبر زيد او عمرو ضربته وجاء زيد او عمرو
كما تقول احدهما جاء واحدهما ضربته وهي إذا كانت للاباحة كذلك ايضا وهو قوله جالس الحسن او ابن
سيرة وأما التي تجيء للاضراب بعد الخبر والاستفهام فكقواك انا اخرج ثم تقول او اقيم أضربت عن الخروج
وإثبت الإقامة كأنك قلت لا بل اقيم كما انك في قولك انها لا بل أم شا. مَضْرِبٌ عن الأول ولا يقع بعد هذه
الاجملة ومن ثم قال سيبويه في قوله ولا تطعم منهم آثما او كفورا انك لو قلت او لا تطعم كفورا انقلب المعنى وإنما
كان ينقلب المعنى لأنه إذا قال لا تطعم منهم آثما او كفورا فكأنه قال لا تطعم هذا الضرب ولا تطعم هؤلاء. فلو لم يلزمه
ان لا يطعم واحدا منها لأن كل واحد منهما في معنى الآخر في وجوب ترك الطاعة له كما جاز له أن يجمع بين
مجالسة الحسن وابن سيرة لأن كل واحد منهما اهل للمجالسة ومجالسة كل واحد منها كمجالسة الآخر ولو
قال ولا تطعم منهم آثما او لا تطعم كفورا كان بقوله او لا تطعم قد أضرب عن ترك طاعة الاول وكان يجوز ان يطعمه
وفي جواز ذلك انقلاب المعنى ووجه قراءة مَنْ قرأ أو أمن انه جعل او للاضراب لا على انه ابطال الاول ولكن
كقوله ألم تنزيل الكتاب ثم قال أم يقولون افتراء فجاء هذا ليصروا ضلاتهم فكان المعنى او أمنوا هذه الضروب
من معاقبتهم والأخذ بهم وإن شئت جعلته او التي في قولك ضربت زيدا او عمرا كأنك اردت أفأمنوا إحدى
هذه العقوبات ووجه قراءة مَنْ قرأ أو أمن انه ادخل همزة الاستفهام على حرف العطف كما دخل في نحو قوله
أثم إذا ما وقع وقوله أو كما عاهدوا عهداً ومن حجة مَنْ قرأ ذلك انه اشبه بما قبله وما بعده ألا ترى ان قبله أفأمن
اهل القرى وبعده أفأمنوا مكر الله أولم يهد للذين يرثون الارض فكما ان هذه الاشياء عطف حرف دخل عليها
حرف الاستفهام كذلك يكون أو أمن

✽ اللفظة ✽

البركات الحيرات النامية واصله الثبوت والامن والثقة والطمأنينة نظائر في اللفظة وضد الأمن الخوف وضد
الثقة الريبة وضد الطمأنينة الاترعاج والامن الثقة بالسلامة من الخوف والبأس العذاب والبؤس الفقر والاصل
الشدة ورجل بنيس شديد في القتال والنوم تقيض اليقظة وهو سهو يغمر القلب ويغشى العين ويضعف الحس
ويباني العلم يقال نام الرجل ينام نوما وهو حسن النية إذا كان حسن هيئة النوم ورجل نومة بسكون الواو إذا
كان خسيلا لا يؤبه به ورجل نومة بفتح الواو إذا كان كثير النوم والنسيم الفرو لأن من شأنه أن ينام فيه او لأنه
يفشى كما يفشى النوم والضحي صدر النهار في وقت انبساط الشمس واصله الظهور من قولهم ضحا الشمس يضحو
ضحوا وضحوا وفعل ذلك الامر ضاحية إذا فعل ظاهرا والأضحية لأنها تذيب عند الضحي يوم العيد قال الخليل
المكر الاحتياال باظهار خلاف الاضار وقيل ان اصل المكر الاتفاف ومنه سائق ممكورة اي ملتفة حسنة

قال ذو الرمة

عَجْزاً مَمْكُورَةً فَخْصَانَةٌ قَلِقٌ عَنْهَا الْوِشَاحُ وَتَمَّ الْجِسْمُ وَالْقَصَبُ

والمكور شجر ملتف قال **قَيْسَتٌ فِي عُلْقَى** وفي **مُكُورٍ** فمعنى قواك مكر فلان يكر مكرًا التف تديره على مكوره لصاحبه

* الإعراب *

لو معناه تعليق الثاني بالأول الذي يجب الثاني بوجوده وينتهي بانتفائه على طريقة كان وإن فيها هذا المعنى على طريقة يكون والفرق بينها أن تعاقب الثاني بالأول الذي يمكن أن يكون ويمكن أن لا يكون كقولك إن آمن لهذا الكافر استحق الثواب وهذا مقدور وليس كذلك لو لأنها قد تدخل على ما لا يمكن أن يكون كقولك لو كان الجسم قديماً لاستغنى عن صانعه وإنما فتحت أن بعد أو لأنها وقعت في الموضع الذي يختص بالفعل فأول لو ليس يدخل إلا على الفعل وأن مع اسمها وخبرها في تأويل اسم مفرد فيكون تقديره أو وقع أن أهل القرى آمنوا فيكون أن مع ما بعدها في موضع رفع بالفعل المقدر بـ **بداو** وإنما دخلت هذه الاستفهام على حرف العطف من قوله **أفأمن** أو **أمن** مع أن الاستفهام للاستئناف والعطف بخلافه لأنها إنما يتناهيان في المفرد لأن الثاني إذا عمل فيه الأول كان من الكلام الأول والاستئناف قد أخرجه من أن يكون منه وأما في عطف جملة على جملة فيصح لأنه على استئناف جملة بعد جملة

- المعنى -

ثم بين سبحانه أن كل من أمركه من الأمم المتقدم ذكرهم إنما أتوا في ذلك من قبل نفوسهم فقال (وار أن اهل القرى) التي أهلكتها بسبب جحودهم وعنادهم (آمنوا) وصدقوا رسلنا (واتقوا) الشرك والمعاصي (افتحنا عليهم بركات) أي خيرات نامية (من السماء) بإتزال المطر (و) من الأرض (بإخراج النبات والثمار كما وعد نوح بذلك أمته فقال يرسل السماء عليكم مدراراً الآيات وقيل بركات السماء اجابة الدعاء و بركات الأرض تيسير الحوائج (ولكن كذبوا الرسل فأخذناهم بما كانوا يكسبون) من المعاصي والمخالفة وتكذيب الرسل فحبسنا السماء عنهم وأخذناهم بالضيق عقوبة لهم على فعلهم (أفأمن أهل القرى) المكذبون لك يا محمد (أن يأتيهم بأسنا) أي عذابنا (بيّاتاً) ليلاً (وهم نائمون) في فرشهم ومنازلهم كما أتى المكذبين قبلهم (أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى) أي عذابنا نهاراً عند ارتفاع الشمس (وهم يلعبون) أي وهم في غير ما ينفعهم أو يعود عليهم بنفع فإن من اشتمل بدنياء واعرض عن آخرته فهو كالألعاب والممنى بأهل القرى كل أهل قرية يقيم على معاصي الله في كل وقت وزمان وإن نزلت بسبب أهل القرى الظالم أهلها المشركين في زمن النبي صلى الله عليه وآله وإنما خص سبحانه هذين الوقتين لأنه أراد أنه لا يجوز لهم أن يأمنوا ليلاً ولا نهاراً عن الحسن (أفأمنوا مكر الله) أي أبقم هذا كله آمنوا عذاب الله أن يأتيهم من حيث لا يشعرون عن الجانبين قال دخلت القاف للتعقيب وسمي العذاب مكرًا لتزوله بهم من حيث لا يعلمون كما أن المكر يتزل بالمكوره به من جهة الماكر من حيث لا يعلمه وقيل إن مكر الله استدراجه إياهم بالصحة والسلامة وطول العمر وتظاهر النعمة (فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون) يسأل عن هذا فيقال إن الأنبياء والمعصومين آمنوا مكر الله وليسوا بخاسرين وجوابه من وجوه **أحدها** أن معناه لا يأمن مكر الله من المذنبين إلا القوم الخاسرون بدلالة قوله سبحانه إن المتقين في مقام أمين **وثانيها** أن معناه لا يأمن عذاب الله للعصاة إلا الخاسرون والمعصومون لا يأمنون عذاب الله للعصاة ولهذا سلموا من مواقة الذنوب **وثالثها** لا يأمن عقاب الله جهلاً بحكمته إلا الخاسرون ومعنى الآية الإبانة عما يجب أن يكون عليه المكلف من الخوف لعقاب الله تعالى ليسارع إلى طاعته

(١) العجزاء: العظمية العجز. الخصمان مؤنث الخصمان: ضامر البطن. وخصامة البطن دقة خلقته. امرأة قلق الوشاح أي مضطرب وشاحها. والوشاح: شبه ولادة من نسيج عريض يرصم بالجوهر تشده المرأة على خصرها. تم الجسم: تمامه. القصب: عظام اليدين والرجلين ونحوهما. (٢) استن الفرس: قمص وعدا أقبالا وأدباراً من نشاط وزعل. الملقى: نبت يكون واحداً وجمعاً قضبانه دقائق.

واجتناب مفاصيه ولا يستشعر الأمن من ذلك فيكون قد خسر في دنياه وآخرته بالتمالك في القبائح
قوله تعالى (١٠٠) **أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصْبَنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ
وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ** (١٠١) **تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقِصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ
رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ
(١٠٢) وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ** (ثلاث آيات)

❖ القراءة ❖

قرأ يعقوب برواية زيد أولم يهد بالنون وكذلك في طه والسجدة وبه قرأ ابو عبد الرحمن السلمي وقتادة
والباقون بالياء

❖ الحجة ❖

من قرأ نهد بالنون فإنه للتعظيم وهذا يقوي أن المعنى في قوله أولم يهد بالياء أولم يبين الله سبحانه لهم دون
ان يكون المعنى أولم يهد لهم مشيئتنا او اصطلامنا لمن اهلكناه

❖ اللفظة ❖

القصص اتباع الحديث الحديث يقال فلان يقص الأثر اي يتبعه ومنه المقص لأنه يتبع في القطع اثر القطع
والنبا الخبر عن امر عظيم الشأن والذالك اخذ منه اسم نبي والوجدان والإلقاء والادراك والمصادفة نظائر

❖ الإعراب ❖

نطبع ليس بمحمول على أصبناهم لأنه لو حمل عليه لكان ولطمنا ولكنه على الاستئناف اي ونحن نطبع
من عهدهم من هنا للتبعيض لأنه إذا لم يوجد بعض المهمل لم يوجد الجميع والاولى ان تكون مسن مزيدة للتميم
واستغراق الجنس وقيل ان اصلها لا ابتداء الفاية فدخلت على ابتداء الجنس إلى انتهائه وان وجدنا اكثرهم لفاسقين
إن هذه هي المخففة من الثقيلة وإذا خفت جاز الفاءها من العمل وان يليها الفعل لانها حينئذ قد صارت خارجة
من شبه الفعل

❖ المعنى ❖

ثم انكر سبحانه عليهم تركهم الاعتبار بمن تقدمهم من الامم فقال (أولم يهد) وهو استفهام يراد به
التقرير اي أولم يبين الله وبالنون أولم نبين عن ابن عباس ومجاهد والسدي وقيل معناه أولم يهد ما تلونا من انباء
القرى وقيل تقديره أولم يهد لهم مشيئتنا لأن قوله أن لو نشاء اصبناهم في موضع رفع بانه فاعل يهدي للذين
يرثون الارض من بعد اهلها) معناه للذين خلفوا في الارض من بعد اهلها الذين اهلكهم الله بتكذيبهم للرسول
(ان او نشاء اصبناهم بذنوبهم) يعني أولم نبين انا لو شئنا اهلكناهم بعقاب ذنوبهم كما اهلكنا الامم الماضية
قبلهم (ونطبع على قلوبهم) قد ذكرنا معنى الطبع والختم في اوائل سورة البقرة (فهم لا يسمعون) الوعظ ولا
يقبلونه ثم اخبر سبحانه عن اهل القرى التي ذكرها وقص خبرها فقال (تلك القرى) والمخاطبة للنبي ﷺ
(نقص عليك من انبائها) لتفكر فيها وتجبر قومك بها ليتذكروا ويعتبروا ويحذروا عن الاصرار على مثل حال
او تلك المغترين بطول الامهال في النعم السابقة والمن المتظاهرة (ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات) اي الدلالات
والحجج وإنما اضاف الرسول اليهم مع انهم رسل الله لأن المرسل مالك الرسالة وقدم ملك العباد الانتفاع بها
والاهتداء بما فيها من البيان (فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل) معناه فما اهلكناهم إلا وقد كان في

معلومنا انهم لا يؤمنون ابدأ عن مجاهد قال ويريد بقوله من قبل من قبل الهلاك وهو بمقتلة قوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وقيل معناه ان عتوهم في كفرهم وتقدم فيه يحملهم على ان لا يتركوه إلى الايمان فما كانوا ليؤمنوا به ان جاءتهم الرسل بالمعجزات بما كذبوا به من قبل رؤيتهم تلك اليناث عن الحسن وقيل معناه ما كان هؤلاء الخلف ليؤمنوا بما كذب به اوائلهم من الامم وقال الاخفش بما كذبوا معناه بتكذيبهم فجعل ما مصدرية (كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين) قيل ان الله سبحانه شبه الكفر بالصدأ لأنه يذهب عن القلوب بحلاوة الايمان ونور الاسلام كما يذهب الصدأ بنور السيف وصفاء المرأة ولما صاروا عند امر الله لهم بالايمان إلى الكفر جاز ان يضيف الله سبحانه الطبع إلى نفسه كما قال زادتهم رجسا إلى رجسهم وان كانت السورة لم تردهم ذلك عن جعفر بن حرب والبلخي ووجه التشبيه في الكاف ومعناه ان دلالة على انهم لا يؤمنون كالطبع على قلوب الكافرين الذين في مثل صفتهم وقيل معناه كما دل الله لكم بالاخبار على انهم لا يؤمنون فكذلك يدل للملائكة بالطبع على انهم لا يؤمنون (وما وجدنا الا اكثرهم) أي ما وجدنا الا اكثر المهلكين (من عهد) أي من وفاء بهد كما يقال فلان لا عهد له أي لا وفاء له بالهد وليس يحافظ للهد ويجوز ان يكون المراد بهذا العهد ما اودع الله العقول من وجوب شكر المنعم وطاعة المالك المحسن واجتناب القبائح ويجوز ان يكون المراد به ما اخذ على المكلفين على السنة الانبياء ان يصدوه ولا يشر كوابه شيئا وهو قول الحسن (وان وجدنا اكثرهم لفاسقين) اللام وان للتأكيد والمعنى وان وجدنا اكثرهم ناقضين للعهد مخلفين للوعد ويسأل فيقال كيف قال اكثرهم وكلهم فسقة وكيف يجوز ان يكون كافر غير فاسق والجواب انه قد يكون الكافر عدلا في دينه غير مرتكب لما يحرم في طريقتة فلي هذا يكون المعنى وان اكثرهم مع كفرهم فاسق في دينه غير لازم لمذهبه ناقض للعهد وقيل الوفاء بالوعد

قوله تعالى (١٠٣) ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (١٠٤) وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٠٥) حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَىٰ اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٠٦) قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (١٠٧) فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ (١٠٨) وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بِيضًا لِلنَّاظِرِينَ (ست آيات)

❖ القراءة ❖

قرأ نافع وحده حقيق علي بتشديد الباء والباقون بتخفيف الباء.

❖ الحجة ❖

قال ابو علي حجة نافع في قوله حقيق علي واتصاله بعل من وجهين ❖ احدهما ❖ ان حق الذي هو فعل يعدي بعل قال فحق علينا قول ربنا ❖ والاخر ❖ ان حقيق بمعنى واجب فكأن واجب يتعدى بعل كذلك يتعدى حقيق به ومن قرأ حقيق على فجاز تعدته بعل من الوجهين اللذين ذكرنا وقد قالوا هو حقيق بكذا فيجوز على هذا ان يكون على بمعنى الباء قال ابو الحسن كما وقعت الباء في قوله بكل صراط توعدون موقع على كذلك وقعت على هنا موقع الباء.

- اللغة -

البعث الإرسال وهو في الأصل النقل باعتماد بوجوب الإسراع في المشي فالبعث بعد الموت نقل إلى حال الحياة والبعث للانيه نقل بالإرسال عن حالة إلى حالة النبوة والمصاعود كالقضب يابس وأصله الامتناع ييسه يقال عصي بالسيف يمضي إذا امتنع قال جرير

تَصِفُ السُّيُوفَ وَغَيْرَ كُمْ يَعْصِي بِهَا
يَا ابْنَ الْقِيُونَ وَذَاكَ فِعْلُ الصَّيْقَلِ (١)

ويقال عصا بالسيف أي اخذه اخذ العصا ويقال لمن استقر بعد تنقل القى عصاه قال

فَأَلَقَتْ عَصَاهَا وَأَسْتَقَرَّتْ بِهَا النَّوَى (٢)
كَأَنَّ قَرَّةَ عَيْنًا بِالْأَيَابِ الْمُسَافِرِ

ولبت المعصية بمشتقة من العصا لأن العصا من بنات الواو والمعصية من بنات الياء قال

فَجَاءَتْ بِسَيْحِ الْعَنْكَبُوتِ كَأَنَّهُ
عَلَى عَصَوَيْهَا سَابِرِيٌّ مُشْبِرُقٌ (٣)

وأصل القى من اللقاء الذي هو الاتصال فالقى عصاه أي أزال اتصالها كان عليه والثعبان الحية الضخمة

الطويلة قال الفراء الثعبان اعظم الحيات وهو الذكور وهو مشتق من ثعبت الماء أبعه إذا فجرته والمثعب موضع انفجار الماء فسمي الثعبان لأنه يجري كمنق الماء عند الانفجار والنزع ازالة الشيء عن مكانه الملابس له المتكهن فيه كنزع الرداء عن الإنسان والنزع والقلم والجذب نظائر

* الإعراب *

موضع كيف في قوله كيف كان نصب لأنه خبر كان وتقديره انظر أي شيء كان عاقبة المفسدين وموسى على وزن مفعول والميم زائدة لكثرة زيادتها أولا كالمهزة حتى صارت اغلب من زيادة الألف أخيراً وافى على وزن افعل لهذه العلة وموسى لا ينصرف لأنه اسم اعجمي معرفة وموسى الحديد عربي ان سميت به رجلا لم تصرفه لأنه موث ومعرفة على أكثر من ثلاثة احرف كما لو سميت بعناق لم تصرفه وفرعون على وزن فاعول مثل بردون فالواو زائدة لأنها جاءت مع سلامة الأصول الثلاثة والنون زائدة للزومها وفرعون لا ينصرف لأنه اعجمي معرفة عرب في حال تعريفه لأنه نقل من الاسم العلم ولو عرب في حال تنكره لا ينصرف كما ينصرف بأقوت في اسم رجل، إلا الحق نصب بأنه مفعول القول على غير الحكاية بل على معنى الترجمة عن المعنى دون حكاية اللفظ، قوله إن كنت جئت بآية قال ابو العباس المبرد إن هنا لم ينقل الماضي الى معنى الاستقبال من أجل قوة كان لأنها أم الأفعال ولا يجوز ذلك في غيرها وقال ابو بكر السراج المعنى ان تكن جئت بآية أي ان صح ذلك قال إذا امكن إجراء الحرف على أصله لم يجز اخراجه عنه وإن ينقل الفعل نقلين إلى الشرط والاستقبال كما أن لم ينقل الفعل إلى النفي والماضي وضمير المخاطب في كنت يرجع إلى المكني ولا يجوز ذلك في الذي لأن الذي غائب فحقه ان يعود إليه ضمير الغائب وقد أجازوه إذا تقدمت كناية المتكلم في نحو قول الشاعر

وَأَنَا الَّذِي قَتَلْتُ بَكْرًا بِالْقَنَا
وَتَرَكْتُ تَغْلِبَ غَيْرَ ذَاتِ سَنَامٍ

ونحو ما روي عن امير المؤمنين عليه السلام من قوله

أَنَا الَّذِي سَمَّيْتُ أُمَّي حَيْدَرَهُ
أَكَلِكُمْ بِالسَّيْفِ كَيْلَ السَّنَدَرَةِ (٤)

وعلى هذا يجوز ان الذي ضربك عمرو والوجه ضربه عمرو وقوله فأت بها جاز وقوع الأمر في جواب الشرط

(١) القيون جمع القين : العداد . و الصيقل الذي يشهد السيف و لا يستعمله (٢) استقرنوى القوم : موضع كذا :

أقاموا . (٣) السابري من الثياب : الرقاق و كل ثوب وقيق سابري . وثوب مشبرق : مزرق مقطم . وقال فم اللسان : عصو البشر عرقواته و أنشد هذا البيت (٤) السندرة - بفتح السين - ضرب من الكبل عزاف جراف و العزاف مكبيل ضمضم والجراف نوع منه يعني أقتلكم قتلا واسعا كبيرا ذريعا .

لأن فيه معنى ان كنت جئت بآية فإني الزمك ان تأتي بهذا فقد عادالى انهوجب الثاني بوجوب الأول قوله فإذا هي ثعبان مبین اذا هذه ظرف مكان ويسمى ظرف المفاجأة وهي بخلاف اذا التي هي ظرف زمان وفيها معنى الشرط ويعمل فيها جوابها ومثال اذا التي هي ظرف المكان قولهم خرجت فإذا الناس وقوف فإذا في موضع نصب بكونها ظرفاً لوقوف وتقديره فبالحضرة الناس وقوف فيجوز ان ينصب وقوفاً على الحال لأن اذا ظرف مكان وظروف المكان تكون اخباراً عن الجثث وهذه المسئلة وقعت بين سيويه والكسائي لما اجتمع عند يحيى بن خالد البرمكي فيما رواه علي بن سليمان الاخفش قال حدثني احمد بن يحيى ثعلب ومحمد ابن يزيد المبرد قالما ورد سيويه بغداد شق أمره على الكسائي فأتى جعفر بن يحيى والفضل بن يحيى فقال انا وليكما وصاحبكما وهذا الرجل قد قدم ليذهب بجحلي قتالا له فاحتل لنفسك فإننا سنجمع بينكما فجمعاً بينهما عند ايها وحضر سيويه وحده وحضر الكسائي ومعه الفراء وعلي الاحمر وغيرها من اصحابه فسألوه كيف تقول كنت أظن المقرب أشد لسمة من الزنبور فإذا هو هي او فإذا هو اياها قال اقول فإذا هو هي فأقبل عليه الجمع فقالوا له اخطأت ولحنت فقال يحيى هذا موضع مشكل انتما ماما مصر بكم فمن يحكم بينكما قال الكسائي واصحابه الاعراب الذين على الباب فادخل ابو الجراح ومن وجد معه ممن كان الكسائي واصحابه يحملون عنهم فقالوا انا نقول فإذا هو اياها وانصرف المجلس على ان سيويه اخطأ وحكموا عليه بذلك فأعطاه البرامكة وأخذوا له من الرشيد وبعثوا به الى بلده فما لبث بعد هذا الامر الا يسيراً حتى مات ويقال انه مات كمداً قال علي بن سليمان واصحاب سيويه الى هذه الغاية لا اختلاف بينهم يقولون ان الجواب على ما قال سيويه فإذا هو هي وهذا موضع الرفع وهو كما قال علي بن سليمان وذلك ان النصب انما يكون على الحال نحو خرجت فإذا الناس وقوفاً جاز النصب هنا لأن وقوفاً نكرة والحال لا يكون الا نكرة فإذا اضمرت بطل امر الحال فإن المضمر معرفة والمعرفة لا تكون حالاً فوجب المدول عن النصب الى الرفع كما تقول فإذا الناس وقوف

❀ المعنى ❀

ثم عطف سبحانه بقصة موسى (ع) على ما تقدم من قصص الأنبياء (ع) فقال (ثم بعثنا من بعدهم) اي من بعد الرسل الذين ذكرناهم او من بعد الأمم الذين ذكرنا اهلاكم (موسى بآياتنا) اي بدلائلنا وحججنا (الى فرعون وملائه) اي اشراف قومه وذوي الأمر منهم (فظلموا بها) اي ظلموا انفسهم بجحدها عن الحسن والجبائي وقيل فظلموا بوضعها غير مواضعها فجعلوا بدل الايمان بها الكفر والجحود لأن الظلم وضع الشيء في غير موضعه الذي هو حقه ولم يقل فذهب موسى (ع) فأدى اليهم الرسالة فكذبوه لأن في قوله فظلموا بها دلالة عليه (فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) يعني ما آل اليه امرهم في الهلاك وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين (هذه حكاية قول موسى لفرعون وندائه له اني رسول اليك من قبل رب العالمين بمبعوث اليك والى قومك قال وهب وكان اسم فرعون الوليد بن مصعب وهو فرعون يوسف وكان بين اليوم الذي دخل يوسف مصر واليوم الذي دخلها موسى رسولا أربعائة عام (حقيق على ان لا أقول على الله الا الحق) قال الزجاج معناه حقيق على ترك القول على الله الا الحق وقال الامام العلامة الزمخشري تقول انا حقيق على قول الحق اي واجب علي قول الحق ان اكون انا قائله والقائم به ولا يرضى

الا مثلي ناطقا به ومنه قول العرب فلان يدعيه العلم بالطرف فوق ما يدعي هو العلم بها
وقال الفراء معناه حقيق بأن لا أقول على الله الآ الحق فيكون على بمعنى الباء كما تقول رميت السهم على
القوس وبالقوس وجاءني فلان على حالة حسنة وبجالة حسنة وقيل معناه حريص على ان لا أقول على الله
الآ الحق وما فرضه علي من الرسالة عن ابي عبيدة (قد جئتكم بينة) اي بحجة ومعجزة (من وبيكم) اي
اعطانيها ربكم (فأرسل معي بني اسرائيل) اي فأطلق بني اسرائيل من عقاب السخيرة وخلصهم من ارض
الارض المقدسة وذلك ان فرعون والقبط كانوا قد استعبدوا بني اسرائيل واعتقلوهم للاستخدام في الاعمال
الشاقة مثل بناء المنازل وحمل الماء ونقل التراب وما اشبه ذلك (قال) فرعون (ان كنت جئت بآية) اي
حجة ودلالة تشهد لك على ما تقوله (فأت بها ان كنت من الصادقين) في انك رسول الله (فألقى عصاه)
الفاء فاه الجواب اي فكان جوابه لفرعون ان القى عصاه من يده (فاذا هي ثعبان مبین) اي حية عظيمة
بين ظاهر انه ثعبان بحيث لا يشبهه على الناس ولم يكن مما يتخيل انه حية وليس بحية وقيل ان العصا لما صارت
حية أخذت قبة فرعون بين فكيفها وكان ما بينها ثمانون ذراعا فتضرع فرعون الى موسى بعد ان وثب من
سريره وهرب منها واحده وهرب الناس ودخل فرعون البيت وصاح يا موسى خذها وأنا أو من بك
فأخذها موسى فمادت عصا عن ابن عباس والسدي وقيل كان طولها ثمانين ذراعا (ونزع يده فاذا هي
بيضاء للناظرين) هناك قيل ان فرعون قال له هل معك آية اخرى قال نعم فأدخل يده في جيبه وقيل تحت
ابطه ثم نزعها اي اخرجها منه وأظهرها فاذا هي بيضاء اي لونها ابيض نوري ولها شعاع يغلب نور الشمس
وكان موسى (ع) آدم فيها يروي ثم اعاد اليد الى كفه فمادت الى لونها الاول عن ابن عباس والسدي
ومجاهد . سؤال . قيل كيف قال سبحانه هنا فاذا هي ثعبان وقال في موضع آخر فلما رآها تهتز كأنها جان
والثعبان الحية العظيمة والجان الحية الصغيرة فاختلف الوصفان والقصة واحدة والجواب ان الآيتين ليستا اخباراً
عن قصة واحدة بل الحالتان متلفتان والحالة التي كانت العصا بصفة الجان كانت في ابتداء النبوة
والحالة التي كانت بصفة الثعبان كانت عند لقائه فرعون وعل هذا فلا سم ال وقد اوجب اضاعه ذلك بأنه
شبهها بالجان لسرعة حركتها ونشاطها وخفتها مع انها في جسم الثعبان وكبر خلقه وهذا ابهر في باب الاعجاز

❁ حديث العصا ❁

قد ذكرنا نسب موسى (ع) في سورة البقرة وأما عصاه فقيل انه اعطاه اياها ملك حين توجه الى مدين وقيل ان
عصا آدم من آس الجنة حين اهبط وكانت تدور بين اولاده حتى انتهت النبوة الى شعيب فكانت ميراثه مع اربعين
عصا كانت لا بائه فلما استأجر شعيب موسى امره بدخول بيت فيه العصى وقال له خذ عصا من تلك العصى فوقعت تلك
العصا بيد موسى فاستردها شعيب وقال خذ غيرها حتى فعل ذلك ثلاث مرات في كل مرة تقع يده عليها دون
غيرها فتركها في يده في المرة الرابعة فلما خرج من عنده متوجها الى مصر ورأى ناراً وأتى الشجرة فناداه الله
تعالى ان يا موسى اني انا الله وأمره بألقائها فألقاها فصارت حية فوثق هاربا فناداه الله سبحانه خذها ولا تخف
فأدخل يده بين لحبيها فمادت عصا فلما اتى فرعون القاها بين يديه على ما تقدم بيانه وقيل كان الأنبياء (ع)
يأخذون العصا تحيياً من الخيلاء وقال رسول الله (ص) تمصوا فلانها من سنن اخواني المرسلين وقال أمير المؤمنين
(ع) قال رسول الله (ص) من خرج في سفر معه عصا من لوز مر وتلا هذه الآية ولما توجه لتلقاء مدين الى قوله
والله على ما تقول وكيل آمنه الله من كل سبع ضار ومن كل لص عادي ومن كل ذات حمة حتى يرجع الي

أهله ومنزله و كان معه سبعة وسبعون من المعقبات يستغفرون له حتى يرجع ويضمها وقيل ان اول من أخذ العصا عند الخطبة في الرب قس بن ساعدة

قوله تعالى (١٠٩) قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا السَّاحِرُ عَلِيمٌ (١١٠) يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ (١١١) قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (١١٢) يَا تَوَكَّلْ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ (أربع آيات)

— القراءة —

قرأ أهل المدينة والكسائي وخلف أرجه بكسر الميم وبغير همز بين الجيم والهاء إلا أن نافعا والكسائي وخلفا يشيعون كسرة الهاء ولا يشيع أبو جعفر وقالون عن نافع بل يكسران الهاء بغير همز بين الجيم والهاء وقرأ عاصم وحزمة أرجه بغير همز وسكون الهاء وقرأ الباقون أرجه بالهمز وضم الهاء وفي الشعراء مثله وقرأ بكل سحر بألف بعد الحاء كوفي غير عاصم هاتوا في يونس وقرأ الباقون ساحر بالف قبل الحاء في السورتين ولم يختلفوا في الشعراء أن الألف بعد الحاء هناك

﴿ الحجة ﴾

قال أبو علي أرجه أنفعه من الأرجاء وهو التأخير ولا يد من ضم الهاء مع المعزة ولا يجوز غيره وأن لا يبلغ الواو أحسن لأن الهاء خفية فلو بلغ بها الواو لكان كأنه جمع بين ساكنين ومن قال أرجه فالحق الواو فلأن الهاء متحركة ولم يلتق ساكنات لأن الهاء يفصل بينهما ولو كان مع الهاء حرف لين لكان وصلها بالواو اتبع نحو عليه لاجتماع حروف متقاربة مع أن الهاء ليس بمجاز قوي ومن قرأ أرجه فوصل الهاء بياء فلأن هذه الهاء يوصل في الإدراج يواو ياء نحو بهو بهي وضر بهو ومن قرأ أرجه فلأن في أرجه لنتين أرجه وأرجه فإذا قال أرجه كان من أرجه قال الزجاج زعم الخدق بالنحو أن هذه الهاء لا يجوز اسكانها أعني هاء الأضمار وزعم بعض النحويين أن اسكانها جائز وأن هاء التانيث يجوز اسكانها واستشهد بيده

مَلَّ إِلَى أَرطَاةٍ جَفَفٍ فَاضْطَجَعَ
لَمَّا رَأَى أَنْ لَادَعَهُ وَلَا شَبَعَ

قال وهذا شعر لا يعرف قائله والشاعر قد يجوز أن يخطئ وحجة من قرأ ساحر قوله فالتقي السحرة ولعلنا تتبع السحرة والسحرة جمع ساحر وكذلك قوله سحروا أعين الناس وحجة من قرأ سحر انه قد وصفه بعليم وذلك يدل على تناميه فيه وحذقه به فحسن لذلك أن يذكروا بالاسم الدال على المبالغة في السحر

— اللغة —

السحر لطف الخيلة في اظهار اعجوبة توهم المعجزة وقيل الأزهرى السحر صرف الشيء عن حقيقته إلى غيره واصل السحر خفاء الأمر والسحر آخر الليل لخفاء الشخص بيقية ظلمته والسحر الرثة لخفاء امرها ويقال سحر المطر الأرض إذا جادها فقطع نباتها عن اصوله فقلب الأرض ظهراً لبطن بسحرها سحرا والأرض مسحورة فشبها سحر الساحر بذلك لتخيله إلى من سحره انه يرى الشيء بخلاف ما هو به

﴿ الإعراب ﴾

فإذا تأمرون موضع ما يمتثل ان يكون رفعا ويكون ذا معنى الذي فيكون بمعنى فاعل الذي تأمرون ويحتمل أن يكون نصبا ويكون ما وذا اسماً واحداً ويكون بمعنى فاعلي شيء تأمرون ويأتوك . جزوم لانه جواب الأمر وعمل

(١) الدعة النفض في العيش . الارطاة شجر واحدته ارطاة . الجفف بالكسر ما هوج من الرمل واستطال .

الاعراب فيه محذوف وتقديره فإنك ان ترسل بأتوك والباء في قوله بكل ساحر يحتمل أن يكون بمعنى مع اي يأتيون ومعهم كل ساحر فيكون في موضع الحال ويحتمل أن يكون للتمدية تقول ذهبت به واذهبت به واتيت به واتيته

﴿ المعنى ﴾

ثم حكى سبحانه ما قاله اشراف قوم فرعون فقال (قال الملا من قوم فرعون) لمن دونهم في الرتبة من الحاضرين (إن هذا لساحر عليم) بالسحر (يريد أن يخرجكم من ارضكم) معناه يريد أن يستميل بقلوب بني اسرائيل إلى نفسه ويتقوى بهم فيغلبكم بهم ويخرجوكم من بلدتكم (فاذا تأمرون) قيل أن هذا قول الاشراف بعضهم لبعض على سبيل المشورة ويحتمل ان يكون قالوا ذلك لفرعون وإنما قالوا تأمرون بلفظ الجمع على خطاب الملوك ويحتمل ايضا ان يكون قول فرعون لقومه فيكون تقديره قال فرعون لهم فاذا تأمرون وهو قول الفراء والجباثي (قالوا ارجه وأخاه) اي قالوا لفرعون أخره وأخاه هارون ولا تعجل بالحكم فهما بشي فتكون عجلتك حجة عليك عن الزجاج وقيل أخره اي احبسه والأول اصح لانه كان يعلم انه لا يقدر على حبه مع ما رأى من تلك الآيات (وأرسل في المدائن) التي حولك (حاشرين) أي جامعين للسحرة يحشرون من يعلمونه منهم عن مجاهد والسدي وقيل هم اصحاب الشرط أرسلهم في حشر السحرة وكانوا اثنين وسبعين رجلا عن ابن عباس (بأتوك بكل ساحر عليم) أي يحشرون اليك السحرة ليحتموا وبعارضوا موسى فيغلبوه

قوله تعالى (١١٣) وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ (١١٤) قَالَ نَعَمْ وَإِنكُم لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (١١٥) قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّمَا أَن تُلْقِي وَإِنَّمَا أَن ذَكَوْنُ نَحْنُ الْمُلْقِينَ (١١٦) قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَأَسْأَرَهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ (أربع آيات)

﴿ القراءة ﴾

قرأ اهل الحجاز وحفص إن لنا لأجراً بهمزة واحدة على الخبر وقرأ اثنان بهزتين محقتين ابن عامر وأهل الكوفة غير حفص وقرأ ابو عمرو وأوت بهمزة ممدودة وقرأ يعقوب غير زيد بهمزة غير ممدودة

﴿ اللمحة ﴾

قال ابو علي الاستفهام اشبه بهذا الموضع لأنهم يستفهمون عن الأجر وليسوا يقفون على أن لهم الأجر ويقوي ذلك اجماعهم في الشعراء وربما حذف همزة الاستفهام قال ابو الحسن في قوله وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني اسرائيل أت من الناس من يذهب إلى انه على الاستفهام وقد جاء ذلك في الشعر قال

أَفْرَحُ أَنْ أُرْزَأَ الْكِرَامَ وَأَنْ أَوْرَثَ ذَوْدًا شَصَائِصًا نَبَلًا

وهذا اقبح من قوله

وَأَصْبَحْتُ فِيهِمْ آمِنًا لَا كَمَشْرِ
أَتَوَيْ فِقَالُوا مِنْ رِبْعَةٍ أَمْ مَضْرٍ

لأن ام يدل على الهمزة

﴿ الإعراب ﴾

نحن يحتمل ان يكون موضعه رفعا ويكون تأكيداً للضمير المتصل في كنا ويحتمل أن يكون فصلا بين الخبر والاسم ونعم حرف مع انه يجوز الوقف عليه لأنه في الوجوب نظير لا في النفي وإنما جاز الوقف على كل واحد منهما لأنه جواب لكلام يستغنى بدلالته عليه عما يتصل به والواو في قوله وإنكم واو العطف فكأنه قال لكم ذلك وإنكم لمن المقربين وهو في مخرج الكلام كأنه معطوف على الحرف وكسرت الألف من إنكم

(١) الرزية . الصبية . الذود : الطائفة القليلة من الابل الشصوص من النوق : القليلة اللبن . النبل بفتحين . صفار الابل أي أفرح بصغار الابل . وقد رزئت بكبار الكرام قاله حين عبره رجل بانه فرح بموت أخيه لما ورثه .

لانه في موضع استئناف بالوعد ولم يكسر لدخول اللام في الخبر لأنه لو لم يكن اللام لكانت مكسورة وإنما دخلت أن في قوله إما أن تلقي ولم تدخل في إما يعذبهم وأما يتوب عليهم لأن فيه معنى الامر كأنه قال اختر إما أن تلقي أياً إما القالك وأما القاءنا فموضع ان نصب ويجوز أيضاً ان يكون التقدير اما القاؤك مبدوء به وإما القاؤنا فموضع ان على هذا يكون نصبا

— المعنى —

(وجاء السحرة فرعون) في الكلام حذف كثير تقديره فأرسل فرعون في المدائن حاشرين يحشرون السحرة فحشروهم فجاء السحرة فرعون وكانوا خمسة عشر الفا عن ابن اسحاق وقيل ثمانين الفا عن ابن المنكدر وقيل سبعين الفا عن عكرمة وقيل بضعة وثلاثين الفا عن السدي وقيل كانوا اثنين وسبعين ساحرا اثنان من القبط وهما رئيسا القوم وسبعون من بني اسرائيل عن مقاتل وقيل كانوا سبعين عن الكلبي (قالوا) لفرعون إنما لم يقل فقالوا حتى يتصل الثاني بالأول لأن المعنى لما جاءوا قالوا فلم يصلح دخول القاء على هذا الوجه (أئن لنا أجراً) أي عوضاً على عملنا جزاء بالخير (إن كنا نحن الغالين) لموسى (قال نعم) أي قال فرعون مجيباً لهم عما سأله نعم لكم الأجر (وإنكم لمن المقربين) أي وإنكم مع حصول الأجر لكم لمن المقربين إلى المنازل الجليلة والمراتب الخطيرة التي لا يتخطى إليها العامة ولا يحظى بها إلا الخاصة وفي هذا دلالة على حاجة فرعون وذاته لو استدل قومه به واحسنوا نظريه لنفوسهم لأن من المعلوم انه لم يمتج إلى السحرة إلا لمجزه وضمفه (قالوا) يعني قالت السحرة لموسى (يا موسى اما ان تلقي) ما معك من العصا اولا (واما ان نكون نحن الملقين) لما معنا من العصي والحبال اولا (قال) لهم موسى (القوا) انتم وهذا امر تهديد وتقريع كقوله سبحانه اعملوا ما شئتم وقيل معناه القوا على ما يصح ويجوز لا على ما يفسد ويستحيل وقيل معناه ان كنتم محقين فآلقوا (فلما القوا سحرُوا أعين الناس) أي فلما القى السحرة ما عندهم من السحر احتالوا سيف تهربك العصي والحبال بما جعلوا فيها من الزئبق حتى تحركت بحرارة الشمس وغير ذلك من الحيل وانواع التمويه والتليس وخيل إلى الناس انها تتحرك على ما تتحرك الحية وإنما سحرُوا أعين الناس لأنهم أروهم شيئاً لم يعرفوا حقيقته وخفي ذلك عليهم لبعده منهم فإنهم لم يدخلوا الناس يدخلون فيها بينهم وفي هذا دلالة على ان السحر لا حقيقة له لأنها لو صارت حيات حقيقة لم يقل الله سبحانه سحرُوا أعين الناس بل كان يقول فلما القوا صارت حيات وقد قال سبحانه ايضاً بخيل اليه من سحرهم انها تسمى (واسترهبوهم) أي استدعوا رهبتهم حتى رهبهم الناس عن الزجاج وقيل معناه ارهبوهم وافزعوهم عن اللبرد (وجاءوا بسحر عظيم) وصف سحرهم بالعظم لبعده مرام الحيلة فيه وشدة التمويه به فهو لذلك عظيم الشأن عند من يراه من الناس ولأنه على ما ذكرناه في عدة السحرة وكثرتهم كان مع كل واحد منهم عصا او جبل فلما القوا وخيل إلى الناس انها تسمى استعظموا ذلك وخافوه

قوله تعالى (١١٧) وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (١١٨) فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١١٩) فَغَلَبُوا هَنَالِكَ وَأَنْقَلَبُوا صَاغِرِينَ (١٢٠) وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ (١٢١) قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٢٢) رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ (ست آيات)

✽ القراءة ✽

قرأ حفص عن عاصم تلقف خيفة وفي طه والشعراء مثله والباقون تلقف بشديد القاف في جميعها

✽ الحجة ✽

تلقف وتلقم واحد وأصله تتلقف فحذفت التاء التي للمطاوعة في فعل وثبت التاء التي للمضارعة وتلقف

ساكنة اللام مضارع لَقَفَ بَلَقَفَ لَقَفًا قَالَ الشَّاعِرُ
أَنْتَ عَصَا مُوسَى الَّتِي لَمْ تَزَلْ تَلَقَّفُ مَا يَأْفِكُكَ السَّاحِرُ

✽ اللفظة ✽

الإفك قلب الشيء عن وجهه في الأصل وبني الإفك الكذب لأنه قلب المعنى عن جهة الصواب، أصل الوقوع السقوط كسقوط الحائط والطائر والواقعة النازلة من السماء قال علي بن عيسى الوقوع ظهور الشيء بوجوده نازلاً إلى مستقره والحق كون الشيء في موضعه الذي اقتضته الحكمة والباطل الكائن بحيث يؤدي إلى الهلاك وهو تقيض الحق فإن الحق كون الشيء بحيث يؤدي إلى النجاة والغلبة الظفر بالغبية من العدو في حال المنازعة والصاغر الذليل والصغر والصغار الذلة يقال صغر الشيء بصغر صغراً وصغراً وإذا ذل وأصله صغر القدر

✽ الإعراب ✽

أن التي يجوز أن يكون ان مع ما بعدها من الفعل بمنزلة المصدر فيكون تقديره وأوحينا إلى موسى بأن التي أي بالإلقاء ويجوز أن يكون بمعنى أي لأنه تفسير ما أوحى إليه ما بأفكون ما بمعنى الذي وتقديره تلقف ما بأفكون فيه أي تلقف المأفوك الذي حل فيه الإفك ومثله والله خلقكم وما تعملون يعني وما تعملون فيه وما كانوا يعملون يحتمل أن تكون ما بمعنى المصدر أي وبطل عملهم ويحتمل أن يكون ما بمعنى الذي أي وبطل الجبال والعصي التي عملوا بها السحر وما إذا كانت بمعنى المصدر لا تعمل في الفعل كما يعمل ان فيه إذا كانت بمعنى المصدر لأن ان ينقل الفعل نقلين إلى المصدر وإلى الاستقبال ولا ينقله ما إلى الاستقبال تقول يعجبني ما تصنع الآن ويعجبني ان تصنع الخير وهناك دخلت اللام فيه ليدل على بعد المكان المشار إليه كما دخلت في ذلك بعد المشار إليه فهنا لما بعد قليلاً وهناك لما كان أشد بعداً وهو ظرف مبهم وفيه معنى الإشارة كما ان ذا مبهم وإنما دخلت كاف المخاطبة مع بعد الإشارة لتشعر بتأكيد معنى الإشارة إلى المخاطب ليتنبه على بعد المشار إليه من المكان. والبعيد أحق بعلامة التنبيه من القريب

✽ المعنى ✽

ثم أخبر سبحانه عن نفسه فقال (وأوحينا إلى موسى) أي أوحينا إليه من وجه لم يشعر به إلا هو (ان التي عصاك) التي معك (فإذا هي تلقف ما بأفكون) معناه فألقاها فصارت ثعباناً فإذا هي تبلع ما يكذبون فيه انها حيات عن مجاهد (فوق) أي ظهر (الحق) وهو امر موسى وصحة نبوته ومعجزاته عن الحسن ومجاهد وقيل وقع الحق بأن صارت العصا حية في الحقيقة (وبطل ما كانوا يعملون) أي بطل تمويهاتهم عن الجبائي وإنما ظهر ذلك لهم لأنهم لما رأوا تلك الآيات الباهرة والمعجزات القاهرة في العصا علموا انه امر ساوي لا يقدر عليه غير الله تعالى فمن تلك الآيات قلب العصا حية ومنها أكلها جبالهم وعصيتهم مع كثرتها ومنها فناء جبالهم وعصيتهم في بطنها اما بالفرق واما بالفناء عند من جوزّه ومنها عودها عصا كما كانت من غير زيادة ولا نقصان وكل من هذه الأمور يعلم كل عاقل انه لا يدخل تحت مقدور البشر فاعترفوا بالتوحيد والنبوة وصار إسلامهم حجة على فرعون وقومه (فقلبوا هنالك) أي قهر فرعون وقومه عند ذلك المجمع وبهت فرعون وخلى سبيل موسى ومن تبعه (واقلبوا صاغرين) أي انصرفوا أدلاً مقهورين (وألقي السحرة ساجدين) يعني ان السحرة لما شاهدوا تلك الآيات وعلموا انها من عند الله تعالى آمنوا بالله تعالى وبموسى وسجدوا لله أهمهم الله ذلك وقيل ان موسى وهارون سجدا لله تعالى شكراً له على ظهور الحق فاقصدوا بها فسجدوا معها وإنما قال التي على ما لم يسم فاعله ليكون فيه معنى القائم مارأوا من عظيم آيات الله بأن دعاهم إلى السجود لله والخضوع له عزت قدرته وانهم لم يتالكوا انفسهم عند ذلك بأن وقصوا ساجدين وهذا كما يقال أعجب فلان بنفسه وإن كان أتى من قبله وليس

يفعل ذلك به غيره (قالوا آمنا) أي صدقنا (برب العالمين) الذي خلق السماوات والارض وما بينهما (رب موسى وهارون) خصوصاً بالذكر بعد دخولها في جملة العالمين لأنها دعوا إلى الإيمان بالله تعالى ولشرف ذكرهما وتفضيلهما على غيرهما على طريق المدحة والتعظيم لها وقيل انهم فسروا سجودهم بأن قالوا آمنا برب العالمين لثلاث بتوهم متوهم انهم سجدوا لفرعون ثم قالوا رب موسى وهارون لأن فرعون كان يدعي انه رب العالمين فأزالوا به الإبهام لثلاث بتوهم الجهال انهم عتوا بقولهم رب العالمين فرعون وقال علي بن عيسى بجوز ان يقال ان الله سبحانه لم يزل ربا ولا مربوب كما جاز لم يزل سميما ولا مسموع لأنها صفة غير جارية على الفعل كما جرى صفة مالك على ملك فالمقدور هو المملوك ولا يطلق الرب إلا على الله تعالى لأنه يقتضي انه رب كل شيء يصح ملكه ويقال في غيره رب الدار ورب الفرس ومثله خالق لا يطلق إلا عليه سبحانه ويقال في غيره خالق الادم

قوله تعالى (١٢٣) قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِخُرُوجِهَا مِنْهَا أَهْلُهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (١٢٤) لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (١٢٥) قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ (١٢٦) وَمَا نَنْقِمُ مِنْهَا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ (اربع آيات)

- القراءة -

قرأ حفص عن عاصم آمنتم بهمزة واحدة على الخبر حيث كان والباقون بهمزتين على الاستفهام إلا ان أهل الكوفة إلا حفصاً يحققون الممزين وغيرهم حققوا الاولى وليتوا الثانية ولم يفصل احد بين الممزين بالف

- الحجة -

وجه الخبر فيه انه يخبرهم بإيمانهم على وجه التقرير لم بإيمانهم والإينكار عليهم ووجه الاستفهام انه على جهة التقرير والتوبيخ ايضا ومن حقق الممزين فإنه على ما يراه من تحقيقها والمهزة الثانية ممدودة لأن الألف المنقلبة عن المهزة التي هي فاء من الامن يتصل بها ومن خفف المهزة الثانية فتخفيفها أن يحملها بين بين

* اللفظة *

الصلب الشد على الخشبة وغيرها وأصله من صلابة الشيء والقراء كلهم على تشديد اللام من التصليب . الأزهرى يقال قَمِئْتُ عَلَى الرَّجْلِ أَنْقَمْتُ وَقَمَمْتُ وَالْفَصِيحُ قَمَمْتُ . ابن الاعرابي النعمة العقوبة والانكار قال علي بن عيسى النعمة ضد النعمة والفرق بين النعمة والإساءة ان النعمة قد تكون بحق جزاء على كفر النعمة والإساءة لا تكون إلا قبيحة والسيء مذموم لا محالة والإفراغ صب ما في الإناء أجمع حتى يخلو مشق من الفراغ والصبر حبس النفس عن اظهار الجزع والصبر على الحق عز كما ان الصبر على الباطل ذل

* المعنى *

ثم حكى سبحانه ما صدر عن فرعون عند إيمان السحرة فقال سبحانه (قال فرعون آمنتم به) أي اقرتم له بالصدق من (قبل ان آذن لكم) أي من قبل ان أمركم بالإيمان وآذن لكم في ذلك (إن هذا لكم مكرتموه في المدينة لئخرجوا منها أهلها) أراد فرعون بهذا القول التلييس على الناس وإيهامهم ان إيمان السحرة لم يكن عن علم ولكن لتواطؤ منهم ليذهبوا مالكم وملككم وقيل معناه ان هذا الصنيع صنعتوه فيما بينكم وبين موسى في مصر قبل خروجكم إلى هذا الموضع لتستولوا على مصر فتخرجوا منها أهلها (فسوف تعلمون)

عاقبة اسرهم وهذا وعيد لهم ثم بين الوعيد فقال (لا قطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) أي من كل شق طرفا
قال الحسن هو ان يقطع اليد اليمنى مع الرجل اليسرى وكذلك اليد اليسرى مع الرجل اليمنى (ثم لا صلبكم
اجميين) أي لا أدع واحدا منكم إلا صلبته وقيل ان اول من قطع الرجل وصلب فرعون صلبهم في جذوع
النخل على شاطئ نهر مصر (قالوا) يعني السحرة جوابا لفرعون (إنا إلى ربنا متقلبون) أي راجعون إلى ربنا
بالتوحيد والاخلاص عن ابن عباس والاقلاب إلى الله تعالى هو الاقلاب إلى جزائه وغرضهم بهذا القول التسلي
في الصبر على الشدة لما فيه من المثوبة مع مقابلة وعيده بوعيد اشد منه وهو عقاب الله (وما تقم منا إلا أن آتانا
بآيات ربنا لما جاءتنا) معناه وما تطمن علينا وما تكبره منا إلا إيماننا بالله وتصديقنا بآياته التي جاءتنا قال ابن
عباس معناه ما لنا عندك من ذنب ولا ركبتنا منك مكروها تمذبا عليه إلا إيماننا بآيات ربنا وهي ما أتى به موسى
«ع» آمنوا بها انها من عند الله لا يقدر على مثلها إلا هو (ربنا افزع علينا صبرا) أي أصب علينا الصبر عند
القطع والصلب حتى لا ترجع كفارا والمراد اللفظ لنا حتى نصبر على عذاب فرعون وتشجع عليه ولا تزع منه
(وتوفنا مسلمين) أي وفقنا للثبات على الإيمان والاسلام إلى وقت الوفاة وقيل مسلمين مخلصين لله حتى لا يردنا
البلاء عن ديننا قالوا فصلبهم فرعون من يومه فكانوا اول النهار كفارا سحرة وآخر النهار شهداء بيرة وقيل
ايضا انه لم يصل اليهم وعصمهم الله منه

قوله تعالى (١٢٧) وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَنْتَرْمُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ
وَيَذَرُكَ وَأَهْلَكَ قَالَ سَنُقْتِلُ آبَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ (آية)

﴿ القراءة ﴾

روي عن علي بن ابي طالب عليه السلام وابن عباس وابن مسعود وأنس ابن مالك وعلقمة وغيرهم ويذرك
وأهلك وعن نعيم بن ميسرة والحسن بخلاف ويذرك بالرفع وعن الأشهب ويذرك بسكون الراء والقراءة المشهورة
ويذرك وأهلك وقرأ أهل الحجاز سنقتل ابناءهم بالتخفيف والباقون سنقتل بالتشديد

﴿ الحجة ﴾

اما الإلهة فإنه الربوبية والعبادة فمن قرأ وأهلك فعناه ويذرك وربوبيتك عن الزجاج وقيل وعبادتك
عن ابن جني قال ومنه سميت الشمس الآلهة والآلهة لأنهم كانوا يعبدونها ومن قرأ ويذرك بالرفع فإنه على
الاستثنا أي وهو يذرك واما من اسكن فقال ويذرك فإنه كقراءة ابي عمرو ان الله بأمركم وقد مضى الكلام
في ذلك ومن نصب ويذرك فإنه على جواب الاستفهام بالواو فيكون المعنى أي يكون منك أن تذر موسى وان
يذرك ويجوز ان يكون عطفا على لفسدوا ومن قرأ سنقتل بالتخفيف فإنه قد يقع ذلك على التكثير وغير التكثير
والتثنية بهذا المعنى أخص وبالوضع أليق

— المعنى —

ثم اخبر سبحانه عن قوم فرعون فقال سبحانه (وقال الملأ من قوم فرعون) لما اسلم السحرة تمريضا له على
موسى (انتذر موسى وقومه لفسدوا في الأرض) أي انتذرهم ليعبدوا ويبدعوا الناس إلى مخالفتك
ليظلموا عليك ويفسد به ملكك وأمرك وقيل لفسدوا في الأرض بعبادة غيرك والدعاء إلى خلاف دينك وقيل
ليفسدوا فيها بالتلبه عليها وأخذ موسى قومه منها وروي عن ابن عباس أنه لما آمن السحرة اسلم من بني اسرائيل
ستائة الف قس واتبعوه (ويذرك وأهلك) قال الحسن كان فرعون يستعبد الناس ويعبد الاصنام بنفسه وكان
الناس يعبدونها تقربا إليه وقال السدي كان يبص ما يستحسن من البقر وروي انه كان يأمرهم ايضا بعبادة البقر

ولذلك اخرج السامري لهم عجلاً جسداً له خوار وقال هذا إلهكم وإله موسى وقال الزجاج كانت له اصنام يعبدها قومه تقرباً إليه ومن قرأ وألهتك قال كان فرعون يستعبد الناس بنفسه ولا يعبد شيئاً وروي عن مجاهد انه قال كان فرعون يُعبَد ولا يُعبَد (قال) فرعون (سقتل ابناهم) الذين يكون فيهم النجدة والقوة ويصلحون للقتال (ونسجتي نساءهم) أي بناتهم نستقيهن إذ لا يكون فيهن نجدة وقوة للمهنة والخدمة استذلالاً لهن وإن كان فرعون قد انقطع طمعه عن قتل موسى وقومه فلم يقل سأقتل موسى وقومه لما رأى من علو أمره وعظم شأنه فانتقل إلى عذاب المستضعفين منهم وهم ابنا بني اسرائيل وبناتهم ليؤهم انه يتم له ذلك فيهم ايضاً (وأنا فوقهم قاهرون) ظاهر المعنى

قوله تعالى (١٢٨) قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (١٢٩) قَالُوا أَوْذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ (آيَاتان)

﴿ المعنى ﴾

قال ابن عباس كان فرعون يقتل ابنا بني اسرائيل فلما كان من امر موسى ما كان أمر بإعادة القتل عليهم فشكا ذلك بنو اسرائيل إلى موسى فعند ذلك (قال موسى لقومه استمعوا بالله) في دفع بلاه فرعون عنكم (واصبروا) على دينكم وعلى اذى فرعون (إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده) أي ينقلها إلى من يشاء نقل الموارث فيورثكم بعد اهلاك فرعون كما أورثها فرعون وهذا وعد لهم بحسن العاقبة ليكون داعياً لهم إلى الصبر (والعاقبة للمتقين) معناه تمسكوا بالتقوى في الدنيا فإن حسن العاقبة في الدارين للمتقين والعاقبة ما يؤدى إليه البادية إلا انه إذا قيل العاقبة له فهو في الخير وإذا قيل العاقبة عليه فهو في الشر كما يقال الدائرة له وعليه والدبرة له وعليه (قالوا) أي قال بنو اسرائيل لموسى (أوذبتنا من قبل أن تأتينا) أي عذبتنا فرعون بقتل الابناء واستخدام النساء قبل أن تأتينا بالرسالة وقيل قبل أن جئتنا (ومن بعد ما جئتنا) ايضاً ويتوعدنا ويأخذ اموالنا ويكفنا الأعمال الشاقة فلم ننفع بمجيئك وهذا يدل على انه قد جرى فيهم القتل والتعذيب مرتين قال الحسن كان فرعون يأخذ الجزية قبل مجي موسى وبعده من بني اسرائيل فلماذا قالوا أوذبتنا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا وهذا الذي قالوه إنما هو استبطاء منهم لما وعدم موسى (ع) من النجاة من فرعون وقومه فجدد (ع) لم الوعد عن الله تعالى ليتقوا به (قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم) قال الزجاج عسى طمع واشفاق إلا أن ما يطمع الله فيه فهو واجب وهو معنى قول المفسرين عسى من الله واجب ومعناه اوجب ربكم على نفسه أن يهلك عدوكم فرعون وقومه (ويستخلفكم في الأرض) أي يملككم ما كانوا يملكونه في الأرض من بعدهم (فينظر كيف تعملون) أي فيرى ذلك بوقوعه منكم لأن الله تعالى لا يجازي عباده على ما يعلمه منهم إنما يجازيهم على ما يقع منهم عن الزجاج وقيل يعلم ذلك ومعناه فيظهر معلومه أي يتيلىكم بالنعمة ليظهر شكركم كما اجتلكم بالنعمة ليظهر صبركم ومثله ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين وموضع كيف نصب وتقديره أملاً حسناً تعملون أم قبيحاً أي شاكرين كتم نعمته أم كافرين وقد حقق الله سبحانه هذا الوعد فأورث بني اسرائيل أرض مصر ونواحيها بعد أن أهلك عدوهم

قوله تعالى (١٣٠) وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقَصْنَا مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (١٣١) فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا

طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ آيَاتِنَا

﴿ القراءة ﴾

في الشواذ قراءة الحسن إلا أننا طيرهم عند الله بغير الف

﴿ الحجة ﴾

الطير جمع طائر في قول أبي الحسن وفي قول صاحب الكتاب الطائر اسم للجمع بمنزلة الجامل والباقر غير مكسر وروي عن قطرب أن الطير قد يكون واحداً كأن الطائر واحد ويجوز أن يكون الطائر جمعاً كالجامل

أنشد ابن الأعرابي

كَانَهُ تَهْتَانُ يَوْمٍ مَاطِرٍ^(١) عَلَى رُوُوسٍ كَرُوُوسِ الطَّائِرِ

﴿ اللفظة ﴾

العرب تقول أخذتهم السنة إذا كانت قحطة ويقال استنت القوم إذا اجذبوا وإنما قيل للسنة المجذبة السنة ولم يقل للمخضبة لأنها نادرة في الانفراد بالجدب والنادر احتق بالانفراد بالذكر لاقراده بالمعنى الذي ندر به قالوا وجدنا البلاد سنين أي جدوبا قال

وَأَمْوَالُ اللَّيَامِ بِكُلِّ أَرْضٍ تَجَحَّفُهَا الْجَوَائِحُ وَالسَّنُونَ^(٢)

وقال آخر

كَانَ النَّاسُ إِذْ فَقَدُوا عَلِيًّا نَعَامَ جَالٍ فِي بَلَدٍ سَيْنِيًّا

أي في بلد جدب والتطير الطيرة من الشيء وهو التشاؤم به واشتقاقه من الطير وطائر الإنسان عمله أخذ من ذلك لأن العرب كانت تزجر الطير فتشأم بالبارح وهو الذئب يأتي من جهة الشمال وتبترك بالسائح وهو الذي يأتي من قبل اليمين قال الشاعر

زَجَرَتْ لَهَا طَيْرَ الشِّمَالِ فَإِنْ يَكُنْ هَوَاكَ الَّذِي تَهْوِي بِصَبْكَ اجْتِنَابُهَا

ثم كثر ذلك فسمي نصيب الإنسان طائره ويقال طار له من القسم كذا وكذا وأنشد ابن الأعرابي

فَإِنِّي لَسَيْتٌ مِنْكَ وَلَسْتُ مِنْي إِذَا مَا طَارَ مِنْ مَالِي الثَّمِينُ

يريد الزوجة إذا أخذ ثمنها من ماله

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه ما فعله آل فرعون وأقسم عليه فقال (ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين) اللام للقسم وقد يقرب الماضي من الحال لأنه إذا توقع كوت أمر فقيل قد كان دل على قربه من الحال وآل الرجل خاصته الذين يؤول أمره اليهم وأمرهم اليه ومعناه ولقد عاقبنا قوم فرعون بالجدوب والقحوط (وقص من الثمرات) أي وأخذناهم مع القحط واجذاب الأرض بنقصان من الثمرات (لهمم يذكرون) أي يخافون فيوحّدون الله فلم يتذكروا وقيل لكي يتفكروا في ذلك ويرجعوا إلى الحق قال الزجاج إنما أخذوا بالضراء لأن أحوال الشدة ترق القلوب وترغب فيما عند الله الا ترى إلى قوله وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض وقيل معناه لكي تتذكروا ان فرعون لو كان إلاها لما كان يستسلم لذلك الضر وفي هذه الآية دلالة على بطلان مذهب المجبرة في انه سبحانه يريد الكفر فإنه يتبين انه اراد منهم التذكر والرجوع إلى الله (فإذا جاءتهم الحسنة) يعني الخصب والنعمة والسعة في الرزق والسلامة والعافية (قالوا لنا هذه) أي إنا نستحق ذلك على العادة الجارية لنا من نعمنا وسعة

(١) تهتان : شدة نزول المطر على ما قيل (٢) قوله تَجَحَّفُهَا أي تنهبها والجوامع جمع الجامعة : النازلة العظيمة

(٣) وفي نسخة «أخنت» .

ارزاقنا في بلادنا ولم يعلموا انه من عند الله سبحانه فيشكروه عليه. ويؤذوا شكر النعمة فيه (وإن تصبهم سيئة) اي جوع وبلاء وقحط المطر وضيق الرزق وهلاك الثمر والمواشي (بطير وابهوسى ومن معه) اي بتطيروا فادغمت التاء في الطاء وتفسيره يتشاءموا بهم عن الحسن ومجاهد وابن زيد وقالوا ما رأينا شرأولا اصابنا بلاء حتى رأيناكم (ألا إنما طائرهم عند الله) معناه الا إنما الشؤم الذي يلحقهم هو الذي وعدوا به من العقاب عند الله يفعل بهم في الآخرة لا ما ينالهم في الدنيا عن الزجاج وقيل ان معناه إن الله تعالى هو الذي يأتي بطائر البركة وطائر الشؤم من الخير والشر والنفع والضر فلو عقلوا لطلبوا الخير والسلامة من الشر من قبله وقال الحسن معناه الا ان ما تشاءموا به محفوظ عليهم حتى يجازيهم الله يوم القيامة (ولكن أكثرهم لا يعلمون) ولا يتفكرون ليعلموا قوله تعالى (١٣٢) وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِنَسْحَرَنَّ بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ (١٣٣) فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ آيَاتان

❖ القراءة ❖

في الشواذ قراءة الحسن القمل بفتح القاف وسكون الميم وهو المعروف

❖ اللفظة ❖

الطوفان السيل الذي يعم بتفريقه الأرض وهو مأخوذ من الطوف فيها وقيل هو مصدر كالرجحان والنقصان قال الأخفش واحده طوفانة قال ابو عبيدة الطوفان من السيل البُعاق^(١) ومن الموت الذريع والقمل كبار القردان قال ابو عبيدة هو الحمتان واحده حمنة وحمتانة^(٢)

❖ الاعراب ❖

مما قال الخليل مه اصلها ما إلا أنهم ادخلوا عليها ما كما يدخلونها على حروف الجزاء يقولون اما ومتى ما فتيروا فيها بأن ابدلوها هاء لثلاث يوم التكرير وصار ما فيها مبالغة في معنى العموم وقال غيره اصلها مه بمعنى اكفف دخلت على مالتى للجزاء والفرق بين مها وما أن مها خالصة للجزاء وفي ما الاشتراك لأنه قد يكون استظهارا تارة وبمعنى الذي اخرى وبمعان أخرى وتأنتنا مجزوم وعلامة الجزم فيه حذف الياء وانما حذف الياء للجزم لأنه من حروف المد واللين وهي ميجانة لحركات الاعراب ومن شأن الجازم ان يحذف حركة فلذا لم يصادف حركة عمل في قس الحرف لثلاث بتعطل من العمل والضمير في به يعود الى مها وتقديره اي شي تأنتنا به والضمير في بها يعود الى آية آيات مفصلات نصب على الحال

— المعنى —

(وقالوا) أي قال قوم فرعون لموسى (مهما تأنتنا به من آية) أي أي شي تأنتنا به من المعجزات (لتسحرنا بها) أي لتموه علينا بها حتى تنقلنا عن دين فرعون (فما نحن لك بمؤمنين) أي مصدقين اشاروا بهذا القول الى اصرارهم على الكفر وانهم لا يصدقونه وإن أتى بجميع الآيات ثم زاد الله سبحانه في الآيات تأكيذاً لموسى (ع) كما قال (فأرسلنا عليهم الطوفان) اختلف فيه فقيل هو الماء الغالب الخارج عن العادة الهادم للبينان والقالم للاشجار والزرورع عن ابن عباس وقيل هو الموت الذريع الجارف عن مجاهد وعطا وقيل هو الطاعون بلفظة اهل اليمن ارسل الله ذلك على ابكار آل فرعون في ليلة فأقمصهن فلم يبق منهن انسان ولا دابة عن وهب بن منبه وقيل هو الجدرمي وهم اول من عذبوا به وبقي في الارض عن ابى قلابة وقيل هو امر من الله تعالى طاف بهم عن

(١) سيل بُعاق وبعاق : شديد الدفنة وقيل هو الفئى بهجرف كل شيء . (٢) العمن والعمنان : صغار القردان .

ابن عباس رواه ابو ظبيان عنه ثم قرأ فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون (والجراد) هو المعروف (والقمل) اختلف فيه فليل هو الذي وهو صغار الجراد الذي لا أجنحة له والجراد الطيارة التي لما أجنحة عن ابن عباس ومجاهد والسدي وقتادة والكوفي قيل القمل بنات الجراد عن عكرمة وقيل القمل البراغيث وقيل دواب سود صغار عن سعيد ابن جبير والحسن وعطاء الخراساني ولذلك قرأ الحسن والقمل وقيل هو السوس الذي يخرج من الخنطة عن سعيد ابن جبير (والصفاح والدم آيلت مفصلات) اي معجزات ميبينات ظاهرات وأدلة واضحات عن مجاهد وقيل مفصلات اي بعضها مفصل عن بعض (فاستكبروا) اي تكبروا عن قبول الحق والايمان بالله (وكانوا قوماً مجرمين) عاصين كافرين

﴿ القصة ﴾

قال ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة ومحمد بن اسحاق بن يسار ورواه علي بن ابراهيم باسناده عن ابي جعفر وابي عبد الله (ع) دخل حديث بعضهم في بعض قالوا لما آمنت السحرة ورجع فرعون مغلوباً وأبي هو وقومه الآ الاقامة على الكفر قال هامان لفرعون ان الناس قد آمنوا بموسى فانظر من دخل في دينه فاجسه فحبس كل من آمن به من بني اسرائيل فتابع الله عليهم بالآيات وأخذهم بالسنين ونقص من الثمرات ثم بعث عليهم الطوفان فخرّب دورهم ومسكنهم حتى خرجوا إلى البرية وضربوا الخيام وامتلأت بيوت القبط ماء ولم يدخل بيوت بني اسرائيل من الماء قطرة واقام الماء على وجه ارضهم لا يقدرّون على ان يجرّثوا فقالوا لموسى ادع لنا ربك ان يكشف عنا المطر فتؤمن لك ونرسل معك بني اسرائيل فدعا ربه فكشف عنهم الطوفان فلم يؤمنوا وقال هامان لفرعون لئن خليت بني اسرائيل غلبك موسى وأزال ملكك وانبت الله لهم في تلك السنة من الكلاً والزرع والتمر ما عشت به بلادهم واخصبت فقالوا ما كان هذا الماء إلا نعمة علينا وخصياً فأنزل الله عليهم في السنة الثانية عن علي بن ابراهيم وفي الشهر الثاني عن غيره من المفسرين الجراد فجردت زروعهم واشجارهم حتى كانت تجرد شعورهم ولحام وتأكل الأبواب والنياب والائمة وكانت لا تدخل بيوت بني اسرائيل ولا يصيبهم من ذلك شيء فمجتوا وضجوا وجزع فرعون من ذلك جزعاً شديداً وقال يا موسى ادع لنا ربك ان يكشف عنا الجراد حتى اخلي عن بني اسرائيل فدعا موسى ربه فكشف عنه الجراد بعد ما أقام عليهم سبعة أيام من السبت الى السبت وقيل ان موسى (ع) يوز الى القضاء فأشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجعت الجراد من حيث جاءت حتى كأن لم يكن قط ولم يدع هامان فرعون ان يخلي عن بني اسرائيل فأنزل الله عليهم في السنة الثالثة في رواية علي بن ابراهيم وفي الشهر الثالث عن غيره من المفسرين القمل وهو الجراد الصغار الذي لا أجنحة له وهو شرّ ما يكون واخبثه فأتى على زروعهم كلها واجتثها من اصلها فذهبت زروعهم ولحس الأرض كلها وقيل أمر موسى ان يمشي الى كتيب أغر بقرية من قرى مصر تدعى عين الشمس فأتاه فضر به بعصاه فاتثال عليهم قملاً فكان يدخل بين ثوب أحدهم فيمضه وكان يأكل أحدهم الطعام فيمتلئ قملاً قال سعيد بن جبير القمل السوس الذي يخرج من الحيوب فكان الرجل يخرج عشرة اجربة الى الرحا فلم يرد منها ثلاثة اقمزة فلم يصابوا بيلاء كان اشد عليهم من القمل واخذت اشعارهم وابشارهم واشفار عيونهم وحواجبهم ولزمت جلودهم كأنه البدرى عليهم ومنعهم النوم والقرار فصرخوا وصاحوا فقال فرعون لموسى ادع لنا ربك لئن كشفت عنا القمل لا كفن عن بني اسرائيل فدعا موسى حتى ذهب القمل بعد ما أقام عندهم سبعة أيام من السبت الى السبت فكشفوا فأنزل الله عليهم في السنة الرابعة وقيل في الشهر الرابع الضفادع فكانت تكون في طعامهم وشرابهم وامتلأت منها بيوتهم وأبيتهم فلا يكشف احد ثوباً ولا اثناء ولا طعاماً ولا شراباً إلا وجد فيه الضفادع وكانت تيب في قدورهم فتفسد عليهم ما فيها وكان الرجل يجلس الى ذقته في الضفادع وبهم ان يتكلم فييب الضفادع في فيه ويفتح فاه لا كئلته فيسبق الضفادع أكلته الى فيه فلحقوا منها أذى

شديدا فلما رأوا ذلك بكوا وشكوا الى موسى وقالوا هذه المرة نتوب ولا نعود فادع الله ان يذهب عنا الضفادع فلما نؤمن بك ونرسل معك بني اسرائيل فأخذ عهودهم ومواثيقهم ثم دعا ربه فكشف عنهم الضفادع بعد ما أقام عليهم سبعا من السبت إلى السبت ثم تقضوا العهد وعادوا لكفرهم فلما كانت السنة الخامسة أرسل الله عليهم الدم فسال ماء النيل عليهم دما فكان القبطي يراه دما والاسرائيلي يراه ماء فإذا شربه الاسرائيلي كان ماء وإذا شربه القبطي كان دما وكان القبطي يقول للاسرائيلي خذ الماء في فيك وصبه في في فكان إذا صب في فم القبطي تحول دما وان فرعون اعتراه العطش حتى انه ليضطر إلى مضغ الأشجار الرطبة فإذا مضغها بصير ماءها في فيه دما فمكثوا في ذلك سبعة أيام لا يأكلون إلا الدم ولا يشربون إلا الدم قال زيد بن اسلم الدم الذبي سلط عليهم كان الرعاف فأتوا موسى فقالوا ادع لنا ربك يكشف عنا هذا الدم فنؤمن لك ونرسل معك بني اسرائيل فلما دفع الله عنهم الدم لم يؤمنوا ولم يخلوا عن بني اسرائيل

قوله تعالى (١٣٤) وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٣٥) فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بِالْقُوَّةِ إِذَا هُمْ يَنْكُشُونَ (١٣٦) فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِآيَاتِنَا كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ثلاث آيات

اللغة

اصل الرجز الميل عن الحق ومنه والرجز فاهجر يعني عبادة الوثن والعذاب رجز لانه عقوبة على الميل عن الحق والرجز رعدة في رجل الناقة لداه يلحقها تعدل به عن حق سيرها والرجز ضرب من الشعر اخذ من رجز الناقة لانه متحرك وساكن ثم متحرك وساكن في كل اجزائه فهو كالرعدة في رجل الناقة ينحرك بها ثم يسكن ثم يستمر على ذلك والنكث تقض العهد الذي يلزم الوفاء به واليم البحر قال ذو الرمة

دَوِيَّةٌ وَدَجِيٌّ لَيْلٌ كَانَهُمَا
يَمُّ تَرَاطُرٌ فِي حَافَاتِهِ الرُّومُ

والفضلة حال تعري النفس تنافي الفتنة واليقظة

الاعراب

إذا ظرف المفاجأة على ما تقدم بيانه وليست مضافة إلى الجملة بل هي بمنزلة هناك وقد بيكتفي بالاسم كاتقول خرجت فلذا زيد وفيه وقوع خلاف المتوقع منهم لانه اتى منهم تقض العهد بدلا من الوفاء فكانه فاجأ الرأي عجب من نكثهم وإذا هذه جواب لما ومثله قوله وإن تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم إذا هم يقنطون ولا يجوز أن يجاب الشرط بلو لأن إذ لا يكون إلا للوقت الماضي والجواب إنما يكون بعد الأول ولذلك يصلح فيه التمام ولا يصلح الواو وحرف الجزاء إنما يقبل الفعل إلى الاستقبال دون الوقت

المعنى

ثم اخبر سبحانه عنهم ايضا فقال (ولما وقع عليهم الرجز) أي العذاب عن الحسن وفتادة ومجاهدوه ما تزل بهم من الطوفان وغيره وقيل هو الطاعون اصابهم فأت من القبط سبعون الف انسان وهو العذاب السادس عن سعيد ابن جبير ومثله ما روي عن ابي عبد الله (ع) انه اصابهم ثلج احمر ولم يروه قبل ذلك فاتوا فيه وجزعوا واصابهم ما لم يمهده قبله (قالوا) يعني فرعون وقومه (يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك) اي بما تقدم اليك أن تدعوه به فلانه يجيبك كما اجابك في آياتك وقيل بما عهد عندك انا لو آتانا لرفع عنا العذاب وقيل بما عهد عندك من

(١) ارض دوية : بعيدة الاطراف مستوية واسعة . المرأنة : التكلم بالمعجبة . العافات . الجوانب
(٢) كذا في النسخ التي عندنا ولعله تصحيف «الرامي»

النبوة عن ابي مسلم فعلى هذا يكون الباء بالقسم والمعنى بحق ما آتاك الله من النبوة لما دعوت الله ليكشف هذا عنا (لئن كشفت عنا الرجز) أي العذاب (لنؤمنن لك) أي نصدقك في انك نبي ارسلك الله (ولنرسلن معك نبي اسرائيل) أي نطلقهم من الاستخدام وتكليف الأعمال الشاقة (فلما كشفنا عنهم الرجز) أي فلما رفعنا عنهم العذاب (إلى اجل هم بالغوه) يعني الأجل الذي عرفهم الله فيه وقيل هو الأجل المقدر عن الحسن (إذ اذ هم ينكثون) أي ينقضون العهد (فانتقمنا منهم) أي فجزيناهم على سوء صنيعتهم بالعذاب ثم فسّر ذلك العذاب فقال (فأغرقتهم في اليم) أي البحر (بأنهم كذبوا بآياتنا) أي فعلنا ذلك بهم جزاء بتكذيبهم بآياتنا وحججنا وبراهيننا الدالة على صدق موسى وصحة نبوته وجحودهم لها (وكانوا عنها غافلين) معناه انه انزل عليهم العذاب وكانوا غافلين عن نزول ذلك بهم وقيل معناه إنا عقبناهم بتكذيبهم وتعرضهم لأسباب الغلظة وعملهم عمل الغافل عنها فيكون وعيداً لهم على الاعراض عن الآيات

قوله تعالى (١٣٧) وَأُورِثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ آيَةٌ

✽ القراءة ✽

قرأ ابن عامر وابو بكر يعرشون بضم الراء والباقون بكسرها

✽ الحجة ✽

هما لغتان فصيحتان والكسر أفصح

✽ اللفظ ✽

قال ابو عبيدة يعرشون بينون يقال عرش مكة أي بناؤها

✽ الإعراب ✽

يجوز أن يكون مشارق الأرض ومغاربها وإنما انتصب بأنه مفعول اورثنا ويجوز أن يكون ظرفاً على تقدير وأورثناهم الأرض في مشارقها ومغاربها وقيل وإنما انتصب مشارق الأرض ومغاربها على الظرف للاستضعاف والتقدير وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون في مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها وعلى هذا فالهاء في فيها يعود إلى التي والتي صفة للأرض المحذوفة وموضعها نصب بأورثنا

✽ المعنى ✽

ثم عطف سبحانه على ما تقدم فقال (وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون) يعني بني إسرائيل فإن القبط كانوا يستضعفون فأورثهم الله بأن مكّهم وحكم لهم بالتصرف وأباح لهم ذلك بعد اهلاك فرعون وقومه القبط فكأنهم ورثوا منهم (مشارق الأرض ومغاربها) التي كانوا فيها يعني جمات الأرض الشرق والغرب منها يريد به ملك فرعون من ادناه إلى اقصاه وقيل هي ارض الشام ومصر عن الحسن وقيل هي ارض الشام شرقها وغربها عن قتادة وقيل هي ارض مصر عن الجبائي قال الزجاج كان من بني إسرائيل داود وسليمان ملكوا الأرض (التي باركنا فيها) باخراج الزروع والثمار وسائر صنوف النبات والاشجار الى غير ذلك من العيون والأنهار وضروب المنافع (وتمّت كلمة ربك الحسنی على بني إسرائيل) معناه صح كلام ربك بانجاز الوعد باهلاك عدوم واستخلافهم في الأرض وإنما كان الإنجاز تاماً للكلام بتمام النعمة به وقيل ان الكلمة الحسنی قوله سبحانه وتريد أن نمن على

الذين استضعفوا في الأرض إلى قوله يحذرون وقال الحسن وإن كانت كلمات الله سبحانه كلها حسنة لأنها وعد بما يحبون وقال الحسن أراد وعد الله لهم بالجنة (بما صبروا) على اذى فرعون وقومه وتكليفهم ايام ما لا يطيقونه من الاستعباد والاعمال الشاقة (ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه) أي اهلكنا ما كانوا يبنون من الابنية والقصور والديار (وما كانوا يعرشون) من الاشجار ومن الاعناب والثمار وقيل يعرشون يسقفون من القصور والبيوت عن ابن عباس

قوله تعالى (١٣٨) وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا آلِهًا كَمَا لَهُم آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (١٣٩) إِنَّ هَؤُلَاءِ مَتَّبِعُوا مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٤٠) قَالَ أَغْبِرَ اللَّهُ أَبْنِيَكُمْ إِلِهًا وَهُوَ فَضَلَّكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (ثلاث آيات)

✽ القراءة ✽

يعكفون بكسر الكاف كوفي غير عاصم والباقون بضم الكاف وهما لفتان

✽ اللفظة ✽

المجاوزه الاخراج عن الحد وجاز الوادي يجوز جوازا إذا قطعه وخلفه وراه وجاوزه مجاوزة واجتازه اجتيازاً واصل البحر من السعة ومنه البحيرة لسعة شق اذنها وتبحر في العلم إذا اتسع فيه وقوي تصرفه وعكف على الشيء واظب عليه ولزمه ومنه الاعتكاف وهو لزوم المسجد للعبادة فيه والنتبر من التبار وهو الهلاك ومنه التبر للذهب وسمي بذلك لا صرين ✽ احدهما ✽ ان معدنه مهلكة ✽ والآخر ✽ ما قاله الزجاج انه يقال لكل انا مكسر متبر وكسارته تبره

✽ الإعراب ✽

كما لهم آله ما هذه كافة للكاف لأن ما بعدها جملة وقال البصير وهو واحد زماننا في هذا الفن ما هاهنا مصدرية أي كما ثبت لهم آله وصلت بالظرف وما ارتفع به كما يوصل بالمبتدأ والخبر في قوله «كما سيف عمرو لم تخنه مضاربه» ويجوز أن يكون بمعنى الذي وفي لهم ضمير يعود اليه وآله بدل من ذلك الضمير او يرتفع بإضمار هي أي هي آله فحذف هي وماهم فيه موصول وصلة في موضع رفع بقيامه مقام الفاعل لقوله متبر وكذلك ما كانوا يعملون فاعل الباطل، أغبر الله ابنيكم إلهاً بنى يتمدى إلى مفعولين وطلب يتمدى إلى مفعول واحد لأن معنى قولك بغاه الخير اعطاه الخير وليس كذلك طلب لانه غير مبضم بالمطلوب وعلى هذا فيكون إلها مفعولاً به ثانياً ويكون غير منصوباً على الحال التي لو تأخرت كانت صفة للتكرة وتقديره ابنيكم إلهاً غير الله وقد يجوز أن يكون بمعنى ابني لكم ويكون غير الله منصوباً بأنه مفعول ابني وتقديره اطلب غير الله لكم مفعولاً فيكون إلهاً منصوباً على الحال

✽ المعنى ✽

ثم اخبر الله سبحانه عن احوال بني إسرائيل فقال (وجاوزنا ببني إسرائيل) أي قطعنا بهم (البحر) يعني النيل نهر مصر بأن جعلنا لهم فيه طرقاً يابسة حتى عبروا ثم اغرقنا فرعون وقومه فيه (فأتوا)

ي فرؤا (على قوم يكفون على اصنامهم) أي يقبلون عليها ملازمين لها مقيمين عندها يبدونها قال قتادة كان أولئك القوم من لحم و كانوا نزولا بالرقّة وقال ابن جريج كانت تماثيل بقر وذلك أول شأن العجل (قوا يا موسى اجعل لنا إلهة كما لهم آلهة) أي انصب لنا شيئا نعبده كما لهم أوثان يبدونها وهذا كفر ربما قتله الجهال من قومه دون المؤمنين الأخيار وإنما قالوا ذلك لأن الإنسان يحن إلى ما يراه لغيره فيحب ان يكون له مثل ما لغيره وفي هذا دلالة على عظيم جهلهم بعد ما رأوا الآيات المترادفة والمعجزات من حيث توهموا الله يجوز عبادة غير الله تعالى ولم يعرفوا ان المجمعول لا يكون إله وان الاصنام لا تكون آلهة ويمكن أن يكونوا قد ظنوا انه يجوز أن يتقرب إلى الله تعالى بعبادة غيره وإن اعتقدوا انه لا يشبه الاشياء ولا تشبهه ولم يكونوا مشبهة كما حكى الله سبحانه عن المشركين انهم قالوا ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى (قال انكم قوم تجهلون) هذا حكاية عما اجابهم به موسى (ع) أي تجهلون ربكم وعظمتهم وصفاته ولو عرفتموه حق معرفته لما قلتم هذا القول عن الجبائي وقيل تجهلون نعمة ربكم فيما صنع بكم عن ابن عباس (إن هؤلاء) يعني القوم الذين عبدوا الاصنام (متبر) اي مدمر مهلك (ما هم فيه) من عبادة الاصنام (وباطل ما كانوا يعملون) أي باطل عملهم لا يجدي عليهم نفعا ولا يدفع عنهم ضرا فكانه بمنزلة من لم يكن من هذا الوجه فالبطالان انتفاء المعنى بعدمه او بأنه لا يصح معتقده فالأول كبطالان البناء بالهدم والثاني كبطالان إله آخر مع الله لأنه لا يصح في عدمه ولا وجود (قال) يعني قال موسى لقومه بعد ازرائه على الاصنام وعلى من كان يعبدها (اغير الله ابنيكم) أي التمس واطلب غير الله لكم فحذف حرف الجر فوصل الفعل بقوله واختر موسى قومه أي من قومه (إلهة) أي معبودات تعبدونه سوى الله (وهو فضلكم على العالمين) أي على عالمي زمانكم عن الحسن والجبائي وقيل معناه وهو سبحانه خصكم بفضائل لم يعطها احدا غيركم وهو أن ارسل اليكم رجلين منكم لتكونوا أقرب إلى القبول وخلصكم من اذى فرعون وقومه على اعجب وجه واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم

قوله تعالى (١٤١) واذا أنجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم (آية)

القراءة

قرأ ابن عامر انجماكم على لفظ الماضي والباقون انجيناكم وقرأ نافع وحده يقتلون بالتخفيف والباقون يقتلون بالتشديد

الحجة

قد مضى الكلام في امثال ذلك مرة بعد اخرى فلا وجه للإطالة باعادته

المعنى

ثم خاطب الله سبحانه بني إسرائيل الذين كانوا في زمن النبي ﷺ فقال لهم على وجه الامتنان عليهم بما انعمه على اسلافهم (واذا أنجيناكم) اي واذا كروا اذ خلصناكم (من آل فرعون يسومونكم) أي يولونكم اكرها ويحملونكم اذلالا (سوء العذاب يقتلون أبناءكم) أي يكثرون قتل ابنائكم (ويستحيون

نساء كم) اي يستبقونهم للخدمة والمهنة (وفي ذلكم) اي وفي ما فعل بكم من النجاة (بلاء) اي نعمة (من ربكم عظيم) قدرها وقيل معناه في تخليته اياكم وقوم فرعون ابتلاء عظيم وقد مضى تفسير هذه الآية في سورة البقرة

قوله تعالى (١٤٢) وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتمناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين (آية)

✽ اللمة ✽

الفرق بين الميقات والوقت أن الميقات ما قدر ليعمل فيه عمل من الأعمال والوقت وقت الشيء قدره ولذلك قيل مواقيت الحج وهي المواضع التي قدرت للاحرام فيها

— المعنى —

ثم بين سبحانه تمام نعمته على بني اسرائيل فقال (واعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتمناها بشر) ولم يقل اربعين ليلة كما قاله في سورة البقرة لفائدة زائدة ذكر فيها وجوه ✽ احدها ✽ ان العدة كانت ذا القعدة وعشر ذي الحجة ولو قال اربعين ليلة لم يعلم انه كان الابتداء اول الشهر ولا أن الايام كانت متوالية ولا أن الشهر شهر بعينه قاله الفراء وهو معنى قول مجاهد وابن عباس وابن جريج ومسروق وأكثر المفسرين ✽ وثانيها ✽ انه سبحانه واعد موسى ثلاثين ليلة ليصوم فيها ويتقرب بالعبادة ثم امتت بمشرك الى وقت المناجاة وقبل هي المشرك التي نزلت التوراة فيها ولذلك افردت بالذكر ✽ وثالثها ✽ أن موسى (ع) قال لقومه اني اتأخر عنكم ثلاثين يوماً ليتسهل عليهم ثم زاد عليهم عشراً وليس في ذلك خلف لانه اذا تأخر عنهم اربعين ليلة فقد تأخر ثلاثين ليلة قبلها عن ابي جعفر الباقر (ع) وقريب منه ماروي عن الحسن أن الموعد كان اربعين ليلة في الاصل فاجل هناك وفصل ههنا على وجه التأكيد (تم ميقات ربه اربعين ليلة) وإنما قال هذا مع أن ما تقدمه دل على هذه العدة للبيان والتفصيل الذي تسميه الكتاب الفذلكة ولولم يذكره لجاز أن يتوهم انه تم الثلاثين بعشر منها على معنى كملنا الثلاثين بمشرك حتى كملت ثلاثين كما يقال كملت العشرة بدرهمين وقدم معنى المواعدة والوعد في سورة البقرة وقلنا أن اربعين هنا منصوب على الحال وتقديره معدودة اربعين ليلة (وقال موسى) وقت خروجه الى الميقات (لأخيه هارون اخلفني) اي كن خليفتي (في قومي واصلح) فيما بينهم واجر على طريقك في الصلاح وقيل معناه واصلح فاسدهم في حال غيبتني وقيل اصلحهم اي احلمهم على الطاعة (ولا تتبع سبيل المفسدين) اي لا تسلك طريقة الماصين ولا تكن عوناً للظالمين وإنما اراد بذلك اصلاح قومه وان كان المخاطب به أخاه وإنما أمر موسى (ع) أخاه هارون بأن يخلفه وينوب عنه في قومه مع أن هارون كان نبياً مرسلان لأن الرئاسة كانت لموسى (ع) عليه وعلى أمته ولم يكن يجوز أن يقول هارون لموسى مثل ذلك وفي هذا دلالة على أن منزلة الإمامة منفصلة من النبوة وغير داخله فيها وإنما اجتمع الامران لأنبياء مخصوصين لأن هارون لو كان له القيام بأمر الأمة من حيث كان نبياً لما احتاج فيه الى استخلاف موسى اياه واقامته مقامه

قوله تعالى (١٤٣) ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب ارني انظر إليك قل لئن تراني ولستكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله

دَكَوْخَرٌ مُّوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ (آية)

✽ القراءة ✽

جعله دكا بالمد هاهنا وفي الكهف كوفي غير عاصم وواقهم عاصم في الكهف والباقون دكا بالقصر
والنوبن في الموضعين

✽ الحجة ✽

قال الزجاج جعله دكا بالنوبن معناه جعله مدقوقا مع الارض والدكا والدكاوات الروابي التي مع
الارض ناشزة عنها لا تبلغ ان تكون جبلا قال ابو الحسن لما قال جعله فكانه قال دكه واراد جعله ذادك
وقال ابو عبيدة جعله دكا أي مندكا وناقاة دكا ذاهبة السنام كأنه جعله كالناقاة الدكا فبقي اكثره والدك
المستوي وانشد للاغلب « هل غير غار دك غاراً فانهدم » وقال علي بن عيسى دكا مستويا بالارض يقال
دكه يدكه دكا أي سحقه سحقاً

✽ اللفظة ✽

التجلي الظهور ويكون تارة بالظهور وتارة بالدلالة قال الشاعر
تَجَلَّى لَنَا بِالمَشْرِفِيَّةِ وَالقَنَا وَقَدْ كَانَ عَن وَقَعِ الأَسِنَّةِ نَائِبًا^(١)

اراد الشاعر أن تدبره دل عليه ويقال للسيد هو ابن جلاي لا يخفى أمره لشهرته وفي خطبة الحجاج
لانا ابن جلا وطلاع الثنايهمتي اضع العمامة تعرفوني قال سيبويه جلا فعل ماض فكانه قال انا ابن الذي جلا
أي اوضح وكشف

— المعنى —

ثم ذكر سبحانه حديث الميقات فقال (ولما جاء موسى لميقاتنا) معناه ولما انتهى موسى الى المكان الذي
وقتنا له وأمرناه بالمصير اليه لنكلمه وننزله عليه التوراة ويمكن ان يكون المراد بالميقات الزمان الذي
وقته الله تعالى له ان يأتي ذلك المكان فيه فإن لفظ الميقات كما يقع على الزمان يقع على المكان كما وقعت
الإحرام فإنها للأمكنة التي لا يجوز مجاوزتها لأهل الآفاق الا وهم محرمون (وكلمه ربه) من غير سفير
أوحى كما كان يكلم الأنبياء على السنة الملائكة ولم يذكر من أي موضع اسمه كلامه وذكر في موضع
آخر انه اسمه كلامه من الشجرة فجعل الشجرة محلاً للكلام لأن الكلام عرض لا يقوم الا بجسم وقيل
إنه في هذا الموضع اسمه كلامه من القيام (قال رب أنظرني إليك) أي أنظرني نفسك أنظر اليك اختلف
العلماء في وجه مسألته (ع) الروية مع علمه بأنه سبحانه لا يدرك بالحواس على أقوال ✽ أحدها ✽ مقاله
الجهور وهو الأقوى انه لم يسأل الروية لنفسه وانما سألها لقومه حين قالوا له لن نؤمن لك حتى نرى الله جهره
ولذلك قال (ع) لما أخذتهم الرجفة اهلكنا بما فعل السفهاء منا فأضاف ذلك الى السفهاء ويسأل على هذا فيقال
لو جاز ان يسأل الروية لقومه مع علمه باستحالة الروية عليه تعالى لجاز ان يسأل لقومه سائر ما يستحيل عليه
من كونه جسماً وما اشبه ذلك متى شكوا فيه والجواب انما صح السؤال في الروية لأن الشك في جواز الروية
التي تقتضي كونه جسماً يمكن معه معرفة السمع وانسه سبحانه حكيم صادق في أخباره فيصح ان يعرفوا
بطلب الوارد من جهته تعالى استحالة ما شكوا في صحته وجوازه ومع الشك في كونه جسماً لا يصح معرفة

(١) السيوف الشرفية : التي تنسب الى مشارف الشام .

السمع من حيث ان الجسم لا يجوز ان يكون غيباً ولا عالماً بجميع المعلومات ولا بد في العلم بصحة السمع من ذلك فلا يقع بجوابه انتفاع ولا علم وقال بعض العلماء انه كان يجوز ان يسأل موسى لقومه ما يعلم استحالاته ايضا وان كان دلالة السمع لا تثبت قبل معرفته متى كان في المعلوم ان في ذلك صلاحاً للمكافين في دينهم غير انه شرط ان يبين النبي في مسأله ذلك علمه باستحالة ما سأل عنه وان غرضه في السؤال ورود الجواب ليكون لطفاً * وثانيها * انه (ع) لم يسأل الروية بالبصر ولكن سأل ان يعلم نفسه ضرورة باظهار بعض اعلام الآخرة التي تضطره الى المعرفة فنزول عنه الدواعي والشكوك ويستغني عن الاستدلال فيخفف المحنة عليه بذلك كما سأل ابراهيم (ع) رب ارني كيف تحيي الموتى طلباً لتخفيف المحنة وقد كان عرف ذلك بالاستدلال والسؤال وان وقع بلفظ الروية فإن الروية يفيد العلم كما يفيد العلم الادراك بالبصر فيبين الله سبحانه له ان ذلك لا يكون في الدنيا عن ابي القاسم البلخي * وثالثها * انه سأل الروية بالبصر على غير وجه التشبيه عن الحسن والربيع والسدي وذلك لأن معرفة التوحيد تصح مع الجهل بمسألة الروية ومعرفة السمع تصح ايضا معه وهذا ضعيف لأن الأمر كان على ما ذكره فإن الأنبياء لا يجوز ان يخفى عليهم مثل هذا مع جلالة رتبهم وعلو درجاتهم (قال لن تراني) هذا جواب من الله تعالى ومعناه لا تراني ابداً لأن لن ينفي على وجه التأييد كما قال ولن يتموه ابداً وقال لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له (ولكن انظر الى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني) علّق روّيته باستقرار الجبل الذي علمنا انه لم يستقر وهذه طريقة معروفة في استبعاد الشيء لأنهم يملقونه بما يعلم انه لا يكون ومتى قيل انه لو كان الفرض بذلك التباعد لطفه سبحانه بأمر بسنجيل كما علّق دخول الجنة بأمر مستحيل من ولوج الجمل في سمّ الخياط فجوابه انه سبحانه علّق جواز الروية باستقرار الجبل في تلك الحال التي جعله فيها دكا وذلك مستحيل لما فيه من اجتماع الضدين (فلما تجلّى ربه للجبل) اي ظهر أمر ربه لأهل الجبل فحذف والمعنى انه سبحانه اظهر من الآيات ما استدلل به من كان عند الجبل على ان روّيته غير جائزة وقيل معناه ظهر ربه بآياته التي احدثها في الجبل لأهل الجبل كما يقال الحمد لله الذي تجلّى لنا بقدرته فكل آية يمجدها الله سبحانه فكانه يتجلّى للمباد بها فلما اظهر الآيات العجيبة في الجبل صار كأنه ظهر لأهله وقيل إن تجلّى بمعنى جلّى كقولهم حدث وتحدث وتقديره جلّى ربه أمره للجبل اي ابرز في ملكوته للجبل ما تدكك به ويؤيده ما جاء في الخبر ان الله تعالى ابرز من المرش مقدار الخنصر فدكك به الجبل وقال ابن عباس معناه ظهر نور ربه للجبل وقال الحسن لما ظهر وحي ربه للجبل (جعل دكا) اي مستويا بالارض وقيل ترابا عن ابن عباس وقيل ساخ في الارض حتى فني عن الحسن وقيل تقطع اربع قطع قطعت ذهب نحو المشرق وقطعة ذهب نحو المغرب وقطعة سقطت في البحر وقطعة صارت رملا وقيل صار الجبل سنة اجبل وقعت ثلاثة بالمدينة وثلاثة بمكة فالتى بالمدينة أحد وورقان ورضوى والتي بمكة ثور وبيبر وحران وروي ذلك عن النبي (ص) (وخر موسى صعقا) اي سقط منشيا عليه عن ابن عباس والحسن وابن زيد ولم يمت بدلالة قوله فلما افاق ولا يقال افاق الميت وانما عاش او حياي وأما السبعون الذين كانوا معه فقد ماتوا كلهم لقوله ثم بشناكم من بعد موتكم وروي عن ابن عباس انه قال اخذته النشبة عشية الخميس يوم عرفة وفاق عشية يوم الجمعة وفيه نزلت عليه التوراة وقيل معناه خر ميتا عن قتادة (فلما افاق) من صعقته ورجع اليه عقله (قال سبحانه لك)

أبي تنزيها لك عن ان يجوز عليك ما لا يليق بك وقيل تنزيها لك من أن تأخذني بما فعل السفهاء من سؤال الروية (تبت اليك) من التقدم في المسألة قبل الاذن فيها وقيل انه قاله على وجه الاتقطاع إلى الله سبحانه كما يذكر التسييح والتهليل ونحو ذلك من الالفاظ عند ظهور الامور الجلية (وأنا أول المؤمنين) بأنه لا يراك احد من خلقك عن ابن عباس والحسن وروي مثله عن ابي عبد الله (ع) قال معناه أنا أول من آمن وصدق بأنك لا تترى وقيل معناه أنا أول المؤمنين من قومي باستعظام سؤال الروية عن الجائي وقيل أول المؤمنين بك من بني إسرائيل عن مجاهد والسدي

قوله تعالى (١٤٤) قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ (١٤٥) وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَا خُدَّاءُ بِأَحْسَنِهَا سَأَ رِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ. (آياتان)

❖ القراءة ❖

قرأ أهل الحجاز وروح برسالتي على التوحيد والباقون برسالاتي على الجمع وقد مضى الكلام فيه

❖ اللفظة ❖

اللوحة صحيفة مهيأة للكتابة فيها وأصله من اللوح وهو اللص يقال لاح يلوح إذا لمع وتلاوا والتلويع التضمير ولوحة السفر غيره تغييراً تبين عليه اثره لأن حاله يلوح بما نزل به واللوحة الهواء لانه كاللامع في هبويه فاللوحة تلوح المعاني بالكتابة فيه والموعظة التحذير بما يزجر عن القبيح ويصير مواقع المخوف

❖ المعنى ❖

ثم اخبر سبحانه عن عظيم نعمته على موسى بالاصطفاء واجلال القدر وأمره إياه بالشكر بقوله (قال) أي قال الله سبحانه (يا موسى إني اصطفيتك) أي اخترتك واتخذتك صفوة وفضلتك على الناس (برسالاتي) من غير كلام (وبكلامي) من غير رسالة وخص الناس لأنه كالملائكة ولم يكلم احدا من الناس بلا واسطة سوى موسى (ع) وقيل انه سبحانه كلم موسى على الطور وكلم نبينا محمداً ^{صلى الله عليه وآله وسلم} عند سدره المنتهى (فخذ ما آتيتك) أي تناول ما اعطيتك من التوراة وتمسكت بما امرتك (وكن من الشاكرين) أي من المعترفين بنعمتي القائمين بشكرها على حسب مرتبتها فكلما كانت النعمة اعظم وأجل وجب أن تقابل من الشكر بما يكون اتم وأكمل والوجه في تشريف موسى (ع) بالاخصاص بالكلام ان ذلك نعمة عظيمة ومنه جسيمة منه تعالى عليه لانه كلمه وعلّمه الحكمة من غير واسطة بينه وبينه ومن اخذ العلم من العالم المعظم كان أجل رتبة من اخذه ممن هو دونه (وكتبنا له) يعني لموسى (ع) (في الألواح) يريد ألواح التوراة عن ابن عباس وقيل كانت من خشب نزلت من السماء عن الحسن وقيل كانت من زمرّد وطولها عشرة اذرع عن ابن جريج وقيل كانت من زبرجدة خضراء وياقوتة حمراء عن الكلبي وقيل انها كانا لوجين قال الزجاج ويجوز في اللغة ان يقال للوحين الواح ويجوز أن يكون ألواح جمع أكثر من اثنين (من كل شيء) قال الزجاج اعلم الله سبحانه انه اعطاه من كل شيء يحتاج اليه من امر الدين مع ما أراه من الآيات (موعظة) هذا تفسير لقوله كل شيء وبيان لبعض ما دخل تحته (وتفصيلاً لكل شيء) يحتاج اليه في الدين من الأوامر والنواهي

والحلال والحرام وذكر الجنة والنار وغير ذلك من العبر والأخبار وتفصيلاً أيضاً تفسير لقوله كل شيء (فخذها بقوة) أي يجتهد واجتهاد وقيل بصحة عزيمة وقوة قلب (وأمر قومك يأخذوا بأحسنها) أي بما فيها من أحسن المحاسن وهي الفرائض والتواضعات فإنها أحسن من المباحات وقيل معناه يأخذ بالناسخ دون المنسوخ عن الجبائي وهذا ضعيف لأن المنسوخ قد خرج من أن يكون حسناً وقيل إن المراد بالأحسن الحسن والحسن وكلها حسن كقوله سبحانه وهو أهون عليه وكقوله ولذكر الله أكبر عن قطرب (سأريكم دار الفاسقين) يعني سأريكم جهنم من الحسن ومجاهد والجبائي والمراد فليكن منكم على ذكر لتحذروا أن تكونوا منهم وهذا تهديد لمن خالف أمر الله وقيل يريد ديار فرعون وقومه بمصر عن عطية العوفي وقيل معناه سأدخلكم الشام فأريكم منازل القرون الماضية ممن خالفوا أمر الله لتعبروا بها عن فتادة وفي تفسير علي بن إبراهيم إن معناه يبيحكم قوم فساق يكون الدولة لهم

قوله تعالى (١٤٦) مَا أَصْرَفُ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا
كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ
سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ (١٤٧) وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ
الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (آيتان)

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل الكوفة غير عاصم الرشد بفتح الراء والشين والباقون الرشد بضم الراء وسكون الشين

﴿ الحجة ﴾

هما لفتان ويحكى أن أبا عمرو فرق بينهما فقال الرشد الرشد والصلاح والرشد في الدين مثل قوله بما علمت
رشدًا وتحروا رشدًا فهذا في الدين وقوله فإن آتستم منهم رشدًا وهو في إصلاح المال والحفظ له وقد جاء
الرشد في غير الدين قال

حَتَّ إِلَى نَعْمِ الدَّهْنِ فَقَلَّتْ لَهَا أُمِّي بِلاَ أَعْلَى التَّوْفِيقِ وَالرَّشْدِ (١)

﴿ اللفظة ﴾

الرشد سلوك طريق الحق يقال رشد رشد رشداً ورشيد يرشد رشداً ورشداً وضده الغي غوي بضم
غياً وغواية والحبوط سقوط العمل حتى يصير بمنزلة ما لم يعمل واصله الفساد من الحبط وهو داء يأخذ البعير
في بطنه من فساد الكلاء عليه ويقال حبطت الابل تجب حبطاً إذا اصابها ذلك وإذا عمل الإنسان عملاً
على خلاف الوجه الذي امر به يقال احبطه

﴿ المعنى ﴾

(سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض) ذكر في معناه وجوه ﴿ احدها ﴾ انه أراد سأصرف عن
نيل الكرامة المتعلقة بآياتي والاحتراز بها كما يناله المؤمنون في الدنيا والآخرة المستكبرين في الأرض بغير الحق
كما فعل قوم موسى وفرعون فإن موسى كان يقتل من القبط وكان أحد منهم لا يجسر أن يتألم بمكروه
خوفاً من الثمان وعبر بيني إسرائيل البحر وغرق فيه فرعون وقومه عن أبي علي الجبائي والآيات على هذا

(١) حَتَّ إليه : اشتاقت . والنعم - بالتحريك وتسكن عينه : الابل . والدهن : اسم موضع . وأمه : قصده .

التأويل يحتمل أن تكون سائر الأدلة ويحتمل أن تكون معجزات الأنبياء وفي قوله ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا يان ان صرفهم عن الآيات مستحق بتكذيبهم * وثانيها * ان معناه سأصرفهم عن زيادة المعجزات التي اظهرها على الأنبياء (ع) بعد قيام الحججة بما تقدم من المعجزات التي ثبتت بها النبوة لأن هذا الضرب من المعجزات إنما يظهر إذا كان في المعلوم انه يؤمن عنده من لا يؤمن بما تقدم من المعجزات فيكون الصرف بأن لا يظهرها جملة او بأن يصرفهم عن مشاهدتها ويظهرها بحيث يتفجع بها غيرهم وهذا الوجه اختاره القاضي لأن ما بعده يليق به من قوله وإن يروا سبيل الرشدا إلى آخر الآية * وثالثها * ان معناه سأمنع الكذابين والتكبرين آياتي ومعجزاتي واصرفهم عنها واخص بها الانبياء فلا اظهرها إلا عليهم وإذا صرفهم عنها فقد صرفها عنهم وكلا اللفظين يفيد معنى واحدا فليس لأحد أن يقول هلا قال سأصرف آياتي عن الذين يتكبرون وهذا يطل قول من قال أن الله تعالى جعل النبل في أمر فرعون فكان يجري بأمره ويقف وما شاكل ذلك * ورابعها * أن يكون الصرف معناه المنع من ابطال الآيات والحجج والقدح فيها بما يخرجها عن كونها أدلة وحججا ويكون تقدير الآية اني اصرف المبطلين والمكذبين عن القدح في دلالاتي بما اوتيتها واحكمها من الحجج والبيانات ويجري ذلك مجرى قول احدنا ان فلانا منع اعدائه بافعاله الحميدة واخلاقه الكريمة من ذمه وتهجينه واخرس الستهم عن الطعن فيه وإنما يريد المعنى الذي ذكرناه ويكون على هذا قوله ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا راجعا الى ما قبله بلا فصل من قوله وإن يروا سبيل الرشدا لا يتخذوه سبيلا ولا يرجع الى قوله سأصرف - « وخامسها » - أن المراد سأصرف عن ابطال آياتي والمنع من تبليغها هؤلاء المتكبرين بالاهلاك والمنع من غير اهلاك فلا يقدر على القدح فيها ولا على قهر مبلغها ولا على منع المؤمنين من اتباعها والايمان بها وهو نظير قوله والله يصمك من الناس ويكون الآيات في هذا الوجه القرآن وما جرى مجراه من كتب الله التي تحملها الأنبياء عليهم السلام ويكون قوله ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا على هذا متعلقا ايضا بقوله وإن يروا سبيل الرشدا الى ما بعده ومعنى قوله الذين يتكبرون في الارض اي يرون لانفسهم فضلا على الناس وحقا ليس لغيرهم مثله فيحملهم ذلك على ترك اتباع الأنبياء انفة من الاتقياد لهم والقبول منهم وقوله (بغير الحق) تأكيد وبيان أن التكبر لا يكون الا بغير الحق كقوله ويقتلون النبيين بغير الحق وقد مضى ذكر امثاله (وان يروا كل آية) اي كل حجة ودلالة تدل على توحيد الله وصحة نبوة أنبيائه (لا يؤمنوا بها) هذا اخبار من الله تعالى عن هؤلاء بعلمه فيهم انهم لا يؤمنون به وبكتبه ورسله وبيان انه إنما صرفهم عن آياته لذلك (وان يروا سبيل الرشدا لا يتخذوه سبيلا) يعني ان يروا طريق الهدى والحق لا يتخذوه طريقا لانفسهم (وان يروا سبيل التي) اي طريق الضلال (يتخذوه سبيلا) أي طريقا لانفسهم ويميلون اليه وقيل الرشدا الايمان والني الكفر وقيل الرشدا كل امر محمود والني كل امر قبيح مذموم (ذلك) اشارة الى صرفهم عن الآيات وقيل اشارة الى اتخاذهم طريق التي وترك طريق الرشدا وتقديره امرهم بذلك (بأنهم كذبوا بآياتنا) اي بحججنا ومعجزات رسلنا (وكانوا عنها غافلين) أي لا يتفكرون فيها ولا يتعظون بها والمراد بالغفلة هنا التشبيه لا الحقيقة مثل قوله سبحانه صم بكم عمي وذلك انهم لما عرضوا عن الانتفاع بالآيات والتأمل فيها اشبهت حالهم حال من كان غافلا ساهيا عنها ثم بين سبحانه وعيد المكذبين فقال (والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة) يعني القبامة والبعث والنشور (حبطت اعمالهم) التي عملوها ولا يستحقون بها مدحا ولا ثوابا لأنها وقعت على خلاف الوجه

المأموره فصارت بمنزلة ما لم يعمل (هل يجوزون الا ما كانوا يعملون) صورته صورة الاستفهام والمراد به الإنكار والتوبيخ ومعناه ليس يجوزون الا ما عملوه ان خيراً فخييراً وان شراً فشرّاً

= النظم =

قبل في وجه اتصال الآية بما قبلها وجوه - (احدها) - انه تقدم ذكر المعجزات وما رام فرعون من ابطالها فبين سبحانه بقوله سأصرف عن آياتي انه يمنع عن ابطال المعجزات فيتصل بما تقدم من قصة موسى وفرعون - (وثانيها) - انه لما تقدم ذكر معجزات موسى نبه عقبيه على انه سبحانه لا يظهر المعجزات على يد من ليس بنبي وابان عن صدق موسى ومحمد عليهما السلام لمكان المعجزة - (وثالثها) - انه خطاب لموسى وزيادة في البيان عن اتمام ما وعده في اهلاك اعدائه وصرفهم عن الاعتراض على آياته ومعناه خذها آمناً من طعن الطاعنين فإني سأصرف - (ورابعها) - أن الايتين اعتراض بين قصة موسى والخطاب لنبينا محمد ﷺ والمراد انه يصرف المتكبرين عن آياته كما صرف فرعون عن موسى

قوله تعالى (١٤٨) وَأَتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خَوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ (آية)

✽ القراءة ✽

قرأ حمزة والكسائي حليهم بكسر الحاء واللام وقرأ يعقوب حليهم بفتح الحاء وسكون اللام وقرأ الباقون حليهم بضم الحاء وكسر اللام

= الحجة =

من قرأ بضم الحاء فإنه جمع حلي ونحو ثدي وثدي وجمه لأنه اضافة إلى جمع ومن قرأ بكسر الحاء اتبع الكسرة الكسرة وكره الخروج من الضمة إلى الكسرة واجرى مجراه في قسي ونحوه ومن قرأ حليهم فلأنه اسم جنس يقع على القليل والكثير

= اللفظة =

الاتخاذ اجتناب الشيء لأمر من الامور فهو لا. اتخذوا العجل للعبادة والحلي ما اتخذ للزينة من الذهب والفضة ويقال حلي الشيء في عيني بجلي حلي وحلا في فمي بجلو حلاوة. وحليت الرجل تحلية إذا وصفته بتأثره منه وتعلل بكذا تزيت به وتحسن والحسد جسم الحيوان مشد البدن وهو روح وجسد فالروح ما لطف والحسد ما كثف والجسم يقع على جسد الحيوان وغيره من العبادات والخوار صوت الثور وهو صوت غليظ وبناء. فعال يدل على الافة نحو الصراخ والسكات والعطاس

✽ الاعراب ✽

موضع من حليهم نصب تقديره اتخذوا حليهم عجلاً وجسداً يدل من عجل معناه عجل

المعنى

ثم عاد الكلام إلى قصة بني اسرائيل وما احدثوه عند خروج موسى (ع) إلى ميقات زبه فقال سبحانه (واتخذ قوم موسى) يعني الامري ومن جرى على طريقته وقيل يعني جميعهم لأن منهم من ساق العجل ومنهم من عبده ومنهم من لم ينكر واوفا انكر ذلك القليل منهم فخرج الكلام على الطالب (من بعده) أي من

بعد خروج موسى إلى الميقات عن الجبائي وغيره (من حلبيهم) التي استماروها من قوم فرعون وكانت بنو إسرائيل بمنزلة اهل الجزية في القبط وكان لهم يوم عيد يترينون فيه ويستميرون من القبط الحلبي فوافق ذلك عيدهم فاستماروا حلبي القبط فلما أخرجهم الله من مصر وغرق فرعون بقيت تلك الحلبي في ايديهم فاتخذ السامري منها (عجلا) وهو ولد البقرة (جدا) اي مجسدا لا روح فيه وقيل لها ودما عن وهب (له خوار) أي صوت وروي في الشواذ عن علي (ع) جوار بالجم والمهزمة وهو الصوت ايضا وفي كيفية خوار العجل مع انه مصوغ من ذهب خلاف قليل اخذ السامري قبضة من تراب اثر فرس جبرائيل (ع) يوم قطع البحر فقذف ذلك التراب في فم العجل فتحوّل لها ودما وكان ذلك معتادا غير خارق للعادة وجاز أن يفعل الله تعالى ذلك بمجرد العادة عن الحسن وقيل انه احتال بادخال الريح كما يعمل هذه الآلات التي تصوت بالحيل عن الزجاج والجبائي والبلخي وإنسا اضاف سبحانه الصوت اليه لأنه كان محله عند دخول الريح جوفه وكان السامري عندهم مهيبا مطاعا فيما بينهم فأرجف ان مرسى (ع) قد مات لما لم يرجع على رأس الثلاثين فدعاهم إلى عبادة العجل فأطاعوه ولم يطيعوا هارون وعبدوا العجل على ما سرد ذكره في سورة البقرة ثم انكر سبحانه ذلك عليهم فقال (ألم يروا) اي ألم يعلموا (انه لا يكلمهم) بما يجدي عليهم نفعا او يدفع عنهم ضررا (ولا يهديهم سبيلا) أي لا يهديهم إلى خير ليأتوه ولا إلى شر ليجتنبوه دل سبحانه بهذا على فساد ما ذهبوا اليه فان من لا يتكلم في خير وشر ولا يهدي إلى طريق فهو جماد لا ينفع ولا يضر فكيف يكون إلهها معبودا (اتخذوه) اي اتخذوه إلهها وعبدوه (وكانوا ظالمين) باتخاذهم له إلهاً واضمين للعبادة في غير موضعها

قوله تعالى (١٤٩) وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (آية)

﴿ القراءة ﴾

لئن لم ترحمنا بالتاء ربنا بالنصب وتغفر لنا بالتاء كوفي غير عاصم والباقون يرحمنا ويغفر لنا بالياء ربنا بالرفع

﴿ الحجة ﴾

من قرأ بالياء جعل الفعل للنية وارتفع ربنا به ويغفر لنا فيه ضمير ربنا ومن قرأ بالتاء ففيه ضمير الخطاب وربنا نداء وحذف حرف التنبيه معه لأن عامة ما في التنزيل حذف حرف التنبيه معه نحو قوله ربنا اني اسكنت من ذريتي ربنا واتنا ما وعدتنا

﴿ اللفظ ﴾

• منى سقط في ايديهم وقع ابلا في ايديهم اي وجدوه وجدان من يده فيه يقال ذلك للنادم عندما يجده بما كان خفي عليه ويقال سقط في يده واستقط في يده وبغير الف افصح وقيل مناه صار الذي كان يضربه ملقى في يده

﴿ المعنى ﴾

ثم اخبر سبحانه انهم تدروا على عبادة العجل فقال (ولما سقط في ايديهم) أي فلما لحقتهم الندامة (ورأوا انهم قد ضلوا) أي علموا ضلالهم عن الصواب وطريق الحق بعبادة العجل حين رجع اليهم موسى وبين لهم ذلك (قالوا لئن لم يرحمنا ربنا) بقبول توبتنا (ويغفر لنا) ما قدمناه من عبادة العجل (لنكونن من الخاسرين) باستحقاق العقاب قال الحسن إن كلهم عبدوا العجل إلا هارون بدلالة قول موسى رب اغفر لي ولاخي واو كان هناك • ومن غيرهما لدعا له وقال غيره إنما عبده بعضهم

قوله تعالى (١٥٠) وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِي أَعْجَلْتُمُ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِي الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (١٥١) قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ آيَاتِنَا

✽ القراءة ✽

قرأ ابن عامر وأهل الكوفة عن عاصم ابن أم بالكسر ههنا وفي طه وقرأ الباقون ابن أم نصبا في الموضعين وروى في الشواذ عن مجاهد فلا تَشْمِتْ بفتح التاء والميم الأعداء بالنصب وروى عن مجاهد أيضا فلا يشمت بالياء.

— الحجة —

من قرأ ابن أم بالفتح فكثرة استعمالهم هذا الاسم قالوا يا ابن أم ويا ابن عم جعلوها اسما واحدا نحو خمسة عشر قال سيبويه قالوا يا ابن ام ويا ابن عم فجعلوا ذلك بمنزلة اسم لأن هذا أكثر في كلامهم من يا ابن ابي ويا غلام غلامي ومن العرب من يقول يا ابن أمي بأوثبات الياء قال الشاعر

يَا ابْنَ أُمِّي وَيَا شَقِيقَ نَفْسِي أَنْتَ خَلَيْتَنِي لِدهْرِ شَدِيدِ

ولأمر شديد قال ابو علي بنى الاسمان على الفتح والفتحة في ابن ليست النصب التي كانت تكون في الاسم المضاف المنادى لكن بنى على الحركة التي كانت تكون للاعراب كما ان قولهم لارجل كذلك وكما ان مكانك اذا اردت به الأمر لا تكون الفتحه فيه الفتحه التي كانت فيه وهو ظرف واكنه على حد الفتحه في رويدك فان قال قائل فلم لا تقول انها نصبته والمراد يا ابن أمأ فحذفت الألف كما حذفت يا. الاضافة في غلامي قيل له ليس هذا مثله ألا ترى ان من حذف الياء من يا غلام اثبتها في يا غلام غلامي فلو كانت الالف مقدره في يا ابن ام لم يكن تحذف كما لم تحذف في قوله « يا بنت عمأ لا تلومي واهجعي » فالالف لا يحذف حيث يحذف الياء. ألا ترى أن من قال ما كنا نبغ والليل اذا يسر فحذف الياء من الفواصل وما اشبه الفواصل من الكلام التام لم يكن عنده في نحو قوله والليل اذا ينشى والنهار اذا تجلى إلا الاثبات فان قلت فقد حذف الالف في نحو قوله « رهط ابن مرحوم ورهط ابن المعل » يريد المعلى وانشد ابو الحسن

فَلَسْتُ بِمُدْرِكٍ مَا فَاتَ مِنِّي بَلَهْفٍ وَلَا بَلْبَتٍ وَلَا لَوَائِي

يريد بلهفي فحذف الالف فالقول فيه ان ذلك في الشعر ولا يكون في الاختيار وحال السعة ولا ينبغي ان يحمل قوله يا ابن أم على هذا وقياس من اجاز ذلك ان تكون فتحة الابن نصبه والفتحة في ام ليست كالتي في عشر من خمسة عشر ولكن مثل الفتحة التي في الميم من يا بنت عمأ قال الزجاج ومن قرأ ابن ام بالكسر فإنه أضافه الى نفسه بعد ان جعله اسما واحداً

✽ اللفه ✽

الاسف الغضب الذي فيه تأسف على فوت ما سلف والأسف الحزن والتلهف ايضا ويقال خلفه يخلفه بما يجب وبما يكره اذا عمل خلفه ذلك العمل والمجلة التقدم بالشيء قبل وقته والسرعة عمله في اول وقته ولذلك صارت المجلة مذمومة ويقال عجلته اي سبقته واعجلته استحثته والشماتة سرور العدو بسوء العاقبة يقال شمته بهشاته واشمته اسماء. عرضه لتلك الحال

ح ٣

في معنى قوله تعالى ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفا

غضبان منصوب على الحال وهو فعلان مؤنثه قلبى نحو غضبان وغضبي ولا ينصرف لأن فيه الألف والنون المضارعين لأن في التانيث في حمراء

المعنى

ثم أخبر سبحانه عما فعله موسى (ع) حين رجع من مناجاة ربه ورأى عكوف قومه على عبادة العجل فقال (ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا) اي حزينا عن ابن عباس وقيل الأسف الشديد الغضب عن الي الدرداء وقيل معنى الغضب والأسف واحد وانما كررهما للتأكيد واختلاف اللفظين كما قال الشاعر « متى أذن منه يئنا عني وبعده » عن النبي وقيل معناه غضبان على قومه اذ عدوا العجل اسفا حزينا متلفعا على ما فاتته من مناجاة ربه (قال بنسبا خلفتموني من بعدي) اي بنسبا عملتم خلقي وبس الفعل فعلكم بعد ذهابي الى ميقات ربي (اعجلتم أمر ربكم) اي ميعاد ربكم فلم تصبروا له عن ابن عباس ونحو هذا قال الحسن وعد ربكم الذي وعدني من الاربعة ليلا من ليلى مسلم وذلك انهم قدروا انه قد مات بلما لم يأت على رأس ثلاثين ليلة وقيل اعجلتم بعبادة العجل قبل ان يأتيكم أمر من ربكم عن الكلبي وقيل معناه استعجلتم وعد الله وثوابه على عبادته فلما لم تنالوه عدلتم الى عبادة غيره عن ابي علي الجبائي (والقى الاواح) معناه انه التقاهم لادخله من شدة الغضب والجزع على عبادة قومه العجل عن ابن عباس وروي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال يرحم الله اخي موسى (ع) ليس المخبر كالمؤمنين لقد أخبره الله بفتنة قومه وقد عرف ان ما أخبره ربه حق وانه على ذلك لتسلك بها في يديه فرجع الى قومه ورآهم فغضب والقى الاواح وقد تقدم ذكر ما قيل في الاواح (وأخذ برأس أخيه) يعني هارون (يجره اليه) قيل في معناه وجوه ﴿ احدثها ﴾ ان موسى (ع) انما فعل ذلك مستعظا لفعالهم مفكرا فيما كان منهم كما يفعل الانسان بنفسه مثل ذلك عند الغضب وشدة الفكر فيقبض على حليته وبعض على شفته فأجرى موسى (ع) أخاه هارون مجرى نفسه فصنع به ما يصنع الانسان بنفسه عند حالة الغضب والفكر عن ابي علي الجبائي وهذا من الامور التي تختلف احكامها بالاعداد فيكون ما هو اكرام في موضع استخفافا في غيره ويكون ما هو استخفاف في موضع اكراما في آخر ﴿ وثانيها ﴾ انه (ع) اراد ان يظهر ما اعتراه من الغضب على قومه لا لكي ياره منهم ما صاروا اليه من الكفر والارتداد فصدر ذلك منه للتألم بظلالهم واعلامهم عظيم الخال عنده ليتجزوا عن مثله في مستقبل الاحوال ذكره الشيخ المفيد ابو عبد الله بن النعمان ﴿ وثالثها ﴾ انه انما جره الى نفسه ليتناجيه ويستبرئ حال القوم منه ولهذا اظهر هارون براءة نفسه ولما اظهر هارون براءته دعاه ولفسه ﴿ ورابعها ﴾ انه لما رأى بهارون مثل ما به من الجزع والقلق أخذ برأسه متوجعا له مسكنا فكرة هارون ان يظن الجهال ذلك استخفافا فظهر براءته ودعا له موسى إزالة للهمة ﴿ وخامسها ﴾ انه انكر على هارون ما بينه في طه من قوله ما منعك اذ رأيتهم ضلوا الا تتبع الآية عن ابي مسام (قال) يعني قال هارون (ابن ام) قال الحسن والله لقد كان اخاه لا يبه وأمه الا انه انما نسبته الى الأم لأن ذكر الأم ابلغ في الاستعطاف (ان القوم استضعفوني) يعني ان القوم الذين قررتني بين اظهروهم اتخدوني ضيفا (وكادوا يقتلونني) اي هموا يقتلوني وقرب ان يقتلوني لشدة انكارهم عليهم (فلا تشمت بي الاعداء) اي لا تسرهم بأن تفعل ما يهونهم ظاهره خلاف التعظيم (ولا تجعلني مع القوم الظالمين) اي لا تجعلني مع عبدة العجل ومن جعلتهم في اظهار الغضب والموجدة علي (قال) موسى حين تبين له ما نهبه هارون عليه من خوف التهمة ودخول الشبهة على القوم (رب اغفر لي ولاخي) وهذا على وجه الانقطاع الى الله سبحانه والتقرب اليه لا انه كان واقف منه او من أخيه قبيح كبير او صغير يحتاج ان يستغفر منه فلون الدليل قد دل على ان الانبياء لا يجوز ان يقع منهم شيء من القبيح وقيل انه (ع) بين بهذا النبي اسرائيل انه لم يجرد رأسه

(١) الوجدة : الغضب .

قوله تعالى (١٥٥) وَأَخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلِ وَإِثْبَانِي أَنَّهُلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنَّ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ نُضِلُّهَا بِهَا مَن نَّشَاءُ وَتَهْدِي مَن نَّشَاءُ أَنْتَ وَلِيْنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ آيَةٌ

❖ اللفظة ❖

الاختيار ارادة ما هو خير يقال خيره بين أمرين فاختر احداهما والاختيار والايثار بمعنى واحد والفتنة الكشف والاختبار وقال المسيب بن علس

إِذْ تَسْتَبِيكَ بِأَصْلَتِي نَاعِمٌ قَامَتْ لِتَفْتِنَهُ بِغَيْرِ قِنَاعٍ (١)

اي لتكشفه وتبرزه

❖ الإعراب ❖

واختار موسى تقديره اختار موسى من قومه فحذف من فوصل الفعل فنصبه وإنما حذف من لدلالة النعل

عليه مع إيجاز اللفظ قال الفرزدق

وَمِنَّا الَّذِي اخْتَارَ الرِّجَالَ سَهَابَةً وَجُودًا إِذَا هَبَّ الرِّيحُ الزَّعَارِعُ (٢)

وقال غيلان

وَأَنْتَ الَّذِي اخْتَرْتَ الْمَذَاهِبَ كُلَّهَا بُوْهَبِينَ إِذْ رَدَّتْ عَلَيَّ الْإِبَاعِرُ (٣)

وقال آخر

فَقُلْتُ لَهُ اخْتَرَهَا قَلْوَصًا سَمِيئَةً وَنَابًا عَلَيْنَا مِثْلُ نَابِكَ فِي الْحَيَا (٤)

❖ المعنى ❖

ثم اخبر تعالى عن اختيار موسى من قومه عند خروجه الى ميقات ربه فقال (واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا) واختلف في سبب اختياره اياهم ووقته فقيل انه اختارهم حين خرج الى الميقات ليكلمه الله سبحانه بجزعهم ويعطيه التوراة فيكونوا شهداء له عند بني اسرائيل لما لم يتفقوا بجزعه أن الله سبحانه يكلمه فلما حضروا الميقات وسمعوا كلامه تعالى سألوا الروية فأصابتهم الصاعقة ثم احياهم الله تعالى فابتدأ سبحانه بحديث الميقات ثم اعترض حديث العجل فلما تم عاد الى بقية القصة وهذا الميقات هو الميعاد الاول الذي تقدم ذكره عن ابي علي الجبائي وابي مسلم وجماعة من المفسرين وهو الصحيح ورواه علي بن ابراهيم في تفسيره وقيل انه اختارهم بعد الميقات الاول للميقات الثاني بعد عبادة العجل ليعتذروا من ذلك (فلما) سمعوا كلام الله قالوا ارنا الله جهرة (فأخذتهم الرجفة) وهي الرعدة والحركة الشديدة حتى كادت ان تبين مفاصلهم وخاف موسى عليهم الموت فبكى ودعا وخاف ان يتهمه بنو اسرائيل على السبعين اذا عاد اليهم ولم يصدقوه بأنهم ماتوا عن السدي والحسن وقال ابن عباس ان السبعين الذين قالوا لنؤمن لك حتى ترى الله جهرة فأخذتهم الصاعقة كانوا قبل السبعين الذين أخذتهم الرجفة وانما أمر الله تعالى موسى ان يختار من قومه سبعين رجلا فاخترهم وبرز بهم ليدعور بهم فكان فيما دعوا ان قالوا اللهم اعطنا ما لم تعط احدا قبلنا ولا تعطيه احدا بعدنا فذكره الله ذلك من دعائهم فأخذتهم الرجفة ورواه عن علي بن ابي طالب (ع) انه قال انما اخذتهم الرجفة من اجل دعواهم على موسى قتل اخيه هارون وذلك ان موسى وهارون وشبير وشبير ابني هارون انطلقوا الى سفح جبل فنام هارون على سريره فتوفاه الله فلما مات دفنه موسى (ع) فلما رجع الى بني اسرائيل قالوا له اين هارون قال توفاه الله فقالوا لا بل انت قتلته

(١) السيم : الاسر . وأصلت الجبين : واسعه والياه للبلانة والناعم : اللين الملمس (٢) الزعازع : شدائد الدهر وقوله الرجال بالنصب اي من الرجال (٣) وهبئين موضع اي اخترتك من بين من يذهب الى هذا الموضع (٤) القلوص من الابل : الشابة . الناب : الناقة السنة . العيا : الخصب .

حسدتنا على خلفه ولينه قال فاختراروا من شتم فاختراروا منهم سبعين رجلا وذهب بهم فلما انتهوا الى القبر قال موسى يا هارون اقتلت ام مت فقال هارون ما قتلتني احد ولكن توفاني الله فقاوا لن نصي بعد اليوم فأخذتهم الرجفة وصمقوا وقيل انهم ماتوا ثم احياهم الله وجعلهم انبياء وقال وهب لم تكن تلك الرجفة موتا ولكن القوم لما رأوا تلك الهيئة اخذتهم الرعدة فقلقلوا ورجفوا حتى كادت تبين منه مفاصلهم وتنقض ظهورهم فلما رأى ذلك موسى رحمه وخاف عليهم الموت واشتد عليه فقدهم وكانوا وزراء على الخير ساء حين له مطيعين فعند ذلك دعا ربكى ونشدر به فكشف الله عنهم تلك الرجفة والرعدة فسكنوا واطمأنوا وسمعوا كلام ربهم (قال) اي قال موسى (رب لو شئت اهلكتهم من قبل وإياي) اي لو شئت اهلكت هؤلاء السبعين من قبل هذا الموقف واهلكتني معهم فالآن ماذا اقول لبني اسرائيل اذا رجعت اليهم (اتهلكنا بما فعل السفهاء منا) معناه النفي وان كان بصورة الانكار والمعنى انك لا تهلكنا بما فعل السفهاء منا فهذا نسألك رفع المعنة بالاهلاك عنا وما فعله السفهاء هو عبادة العجل لأن موسى انهم اهلكوا لأجل عبادة بني اسرائيل العجل فهم السفهاء. وقيل هو سؤال الرؤية عن جماعة من المفسرين (ان هي الا فتنتك) معناه إن الرجفة الا اختبارك وابتلاك ومحتك اي تشديك التعبد والتكليف علينا بالصبر على ما انزلته بنا عن سعيد بن جبيرة والي العالية والربيع ومثله قوله ولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين يعني بذلك الامراض والأسقام التي شدت الله بها التعبد على عباده وانما سمي ذلك فتنة لأنه يشتد الصبر عليها ومثله لم أحسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنة وهم لا يفتنون اي لا ينالهم شوائد الدنيا وقيل ان المراد ان هي الا عذابك عن ابن عباس وقد سمي الله العذاب فتنة في قوله يوم هم على النار يفتنون أي يعذبون فكأنه قال ليس هذا الاهلاك الا عذابك لهم بما فعلوه من الكفر وعبادة العجل او سؤالهم الرؤية (تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء) أي تصيب بهذه الرجفة من تشاء وتصرفها عن تشاء عن ابن عباس وتقديره تهلك بها من تشاء وتنجي من تشاء. وقيل معناه تضل بترك الصبر على فتنتك وترك الرضا بها من تشاء عن نبيل ثوابك ودخول جنتك وتهدي بالرضا بها والصبر عليها من تشاء (انت ولينا) معناه انت ناصرنا والاولى بنا تحوطنا وتحفظنا (فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين) اي خير

الساقرين على عباده والمتجاوزين لهم عن جرمهم

قوله تعالى (١٥٦) **وَإِذَا كُتِبَ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الآخِرَةِ إِنَّا هُدُنَا إِلَيْكَ**
قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ
وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يَوْمُونَ (آية)

✽ القراءة ✽

في الشواذ قراءة الحسن وعمرو الاسواري من اساء والقراءة المشهورة من اشاء والوجه فيه ظاهر

— المعنى —

هذا تمام ما قاله موسى في دعائه (واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة) سأل الله سبحانه أن يكتب لهم الحسنة في الدنيا وهي النعمة وإنما سميت النعمة حسنة وإن كانت الحسنة اسم الطاعة لله لأمرين ﴿احدهما﴾ أن النعمة تتقبلها النفس كما أن الطاعة يتقبلها العقل والآخر انها ثمرة الطاعة لله وانما ذكر بلفظ الكتابة ولم يقل واجعل لنا أو اوجب لنا لأن الكتابة اثبت وادوم يقال كتب رزق فلان في الديوان فيدل ذلك على دوامه وثبوته على مرور الأزمان (وفي الآخرة) معناه واكتب لنا في الآخرة حسنة ايضا كما في قوله ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقيل الحسنة في الدنيا الثناء الجميل وفي الآخرة الرفعة وقيل هي في الدنيا التوفيق للأعمال

الصالحه وفي الآخرة المغفرة والجنة (انا هدنا اليك) أي رحمتنا بتوبتنا اليك واليهود الرجوع (قال) الله تعالى مجيباً لموسى (ع) (عذابي اصيب به من اشاء) ممن عصاني واستحققه بعصيانه وانما علقه بالمشيئة لجواز الغفران في العقل (ورحمتي وسعت كل شيء) قال الحسن وقتادة ان رحمته في الدنيا وسعت البر والفاجر وهي يوم القيامة للمتقين خاصة وقال عطية العوفي وسعت كل شيء ولكن لا تحب الا للذين يتقون وذلك ان الكافر يرزق ويدفع عنه بالمؤمن لسعة رحمة الله للمؤمن فيعشر فيها فاذا صار في الآخرة وجبت للمؤمنين خاصة كالمتضي بنار غيره إذا ذهب صاحب السراج بسراجة وقيل معناه انها تسع كل شيء ان دخلوها فلو دخل الجميع فيها لوسعتهم الا ان فيهم من لا يدخل فيها اضلاله وفي الحديث ان النبي (ص) قام في الصلاة فقال اعرابي وهو في الصلاة اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا احداً فلما سلم رسول الله (ص) قال للأعرابي لقد تحجرت واسما يريد رحمة الله عز وجل اورده البخاري في الصحيح (فسأكتبها للذين يتقون) أي فسأوجب رحمتي للذين يتقون الشرك أي يجتنبونه وقيل يجتنبون الكبائر والمعاصي (ويوتون الزكاة) أي يخرجون زكاة اموالهم لانه من أشق الفرائض وقيل معناه ويطيعون الله ورسوله عن ابن عباس والحسن وانما ذهبا الى تزكية النفس وتطهيرها والذين هم بآياتنا يؤمنون) أي بجمعنا وبيئاتنا يصدقون وروي عن ابن عباس وقتادة وابن جريج انها لما نزلت ورحمتي وسعت كل شيء قال ابيس انا من ذلك الشيء فنزعها الله من ابيس بقوله فسأكتبها للذين يتقون الى آخر الآية فقالت اليهود والنصارى نحن نتقي ونؤتي الزكاة ونؤمن بآيات ربنا فنزعها منهم وجعلها هذه الأمة بقوله الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الآية

قوله تعالى (١٥٧) الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَا مَرْهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحْرِمُهُمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَأَتَّعُوا التَّوْرَ الَّذِي أَنْزَلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (آية)

القراءة

قرأ ابن عامر وحده أصارهم على الجمع والباقون أصارهم على التوحيد

الحجة

قال ابو علي الاصر مصدر يقع على الكثير مع افراد لفظه يدل على ذلك قوله أصارهم فاضيف وهو مفرد الى الكثرة ولا يجمع وقال ربنا ولا تحمل علينا اصرنا وقال ينظرون من طرف خفي ولا يبرئ اليهم طرفهم فالوجه الافراد كما افرد في غير هذا الموضع وجمعه ابن عامر كأنه اراد ضرابا من المائتم مختلفة فجمع لاختلافها والمصادر تجمع اذا اختلف ضروبها واذا كانوا قد جمعوا ما يكون ضربا واحدا كقوله

هَلْ مِنْ حُلُومٍ لِأَقْوَامٍ فَيَنْذِرَهُمْ (١) مَا جَرَّبَ النَّاسَ مِنْ عَصِيٍّ وَتَضَرَّيْسِي

فان يجمع ما يختلف من المائتم اجدر ويقوي ذلك قوله وليحملن ائقاهم واتقلا مع ائقاهم والتقل مصدر كالشيم والضر والكبر

اللفظ

قال الزجاج اختلف أهل اللغة في معنى قوله عزروه وفي قواهم عزرت فلانا اعزره واعزره عزرا فليل معناه رددته وقيل معناه اعنته وقيل معناه لته ويقال عزرت به بالتشديد نصرته ويقال منعت منه فمعنى عزروه منعه العداة

من الكفرية وقيل نصره والمعنى قريب لأن منع الاعداء منه نصرته ومعنى عزرت فلانا اذا ضربته ضربا دون الحد انه يمنه بضربه اياه من معاودته مثل عمله ويجوز أن يكون من عزرته أي رددته معناه فطت به ما يردّه عن المعصية

✽ الإعراب ✽

قال الزجاج قوله بأمرهم بالمعروف يجوز ان يكون على تقدير يجدونه مكتوبا عندهم انه بأمرهم بالمعروف ويجوز ان يكون بأمرهم بالمعروف مستأنفا قال ابو علي لا وجه لقوله يجدونه مكتوبا انه بأمرهم ان كان يعني ان ذلك مراد لأنه لا شيء يدل على حذفه ولا نألم نعلمهم حذفوا هذا في شيء وتفسيره ان وجدت هنا هو المتعدي الى مفعولين ومكتوبا مفعول ثان والمعنى يجدون ذكره مكتوبا عندهم في التوراة او اسمه فالمفعول الأول قام مقام المضاف اليه وانما قلنا ذلك لأن المكتوب هو الاسم او الذكر والمفعول الثاني في هذا الباب يجب ان يكون الاول في المعنى قال فاما قوله بأمرهم بالمعروف فهو عندي تفسير لما كتب كما ان قوله لهم مقفرة واجر عظيم تفسير لو عدتهم وكما ان قوله خلقه من تراب تفسير للمثل فإن قلت لم لا تجعله حالا من المفعول الأول فلان ذلك ممنوع في المعنى ألا ترى ان المعنى إذا كان يجدون ذكره او اسماه مكتوبا لم يجوز ان يكون بأمرهم حالاً منه لأن الاسم والذكر لا يأمران انما يأمر المذكور والمسمى ولا يجوز ان يكون مما في مكتوب من الضمير لأن الضمير هو المفعول الأول في المعنى

✽ المعنى ✽

ثم وصف سبحانه الذين يتقون بصفة أخرى فقال (الذين يتبعون الرسول النبي) أي يؤمنون به ويمتقدون نبوته يعني نبينا محمد (ص) (الأمي) ذكر في معناه اقوال ✽ احدها ✽ أنه الذي لا يكتب ولا يقرأ ✽ وثانيها ✽ انه منسوب الى الأمة والمعنى انه على جيلة الأمة قبل استفادة الكتابة وقيل ان المراد بالأمة العرب لأنها لم تكن تحسن الكتابة ✽ وثالثها ✽ انه منسوب الى الأم والمعنى انه على ما ولدته أمه قبل تعلم الكتابة ✽ ورابعها ✽ انه منسوب الى أم القرى وهي مكة وهو المروي عن ابي جعفر الباقر (ع) (الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل) معناه يجدون نعت وصفته ونبوته مكتوبا في الكتابين لأنه مكتوب في التوراة في السفر الخامس اتي ساقم لهم نبيا من اخوتهم مثلك واجعل كلامي في فيه فيقول لهم كل ما اوصيه به وفيها ايضا مكتوب وأما ابن الأمة فقد باركت عليه جدا جدا وسيلد اثني عشر عظيما وأؤخره لأمة عظيمة وفيها ايضا اتانا الله من سيناء واشرق من ساعير واستعان من جبال فاران وفي الانجيل بشارة بالفارقليط في مواضع منها تعطسكم فارقليط آخر يكون معكم آخر الدهر كله وفيه ايضا قول المسيح للحواريين انا اذهب وسيأتيكم الفارقليط روح الحق الذي لا يتكلم من قبل نفسه انه نذيركم بجميع الحق ويخبركم بالأموال المزمنة ويمدحني ويشهد لي وفيه ايضا انه اذا جاء فتد اهل العالم (بأمرهم بالمعروف وبنهاهم عن المنكر) يجوز ان يكون هذا مكتوبا في التوراة والانجيل ويكون موصولا بما قبله ويانا لمن يكتب له رحمة الولاية والمحبة ويجوز ان يكون ابتداء من قول الله تعالى مدحا للنبي (ص) والمعروف الحق والمنكر الباطل لأن الحق معروف الصحة في العقول والباطل منكر الصحة في العقول وقيل المعروف مكارم الاخلاق وصلة الارحام والمنكر عبادة الاوثان وقطع الارحام عن ابن عباس وهذا القول داخل في القول الأول (ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث) معناه يبيح لهم المستلذات الحسنة ويحرم عليهم القبائح وما تعافه الاقس وقيل يحل لهم ما اكتسبوه من وجه طيب ويحرم عليهم ما اكتسبوه من وجه خبيث وقيل يحل لهم ما حرّم عليهم رها بينهم واحبارهم وما كان بحرّمه اهل الجاهلية من البحائر والسوائب وغيرها ويحرم عليهم الميتة والدم ولحم الخنزير وما ذكر معها (ويضع عنهم اصرهم) أي ثقلهم شبه ما كان على بني اسرائيل من التكليف

الشديد بالثقل وذلك ان الله سبحانه جعل توبتهم ان يقتل بعضهم بعضا وجعل توبة هذه الأمة الندم بالقلوب حرمه للنبي (ص) عن الحسن وقيل الاصر هو العهد الذي كان الله سبحانه أخذه على بني اسرائيل ان يعملوا بما في التوراة عن ابن عباس والضحاك والسدي ويجمع المعنيين قول الزجاج الاصر ما عقدته من عقد ثقيل (والاغلال التي كانت عليهم) معناه ويضع عنهم العهود التي كانت في ذمتهم وجعل تلك العهود بمنزلة الاغلال التي تكون في الاعناق للزومها كما يقال هذا طوق في عنقك وقيل يريد بالاغلال ما امتحنوا به من قتل قوسهم في التوبة وقرض ما بصييه البول من اجسادهم وما اشبه ذلك من تحريم السبت وتحريم العروق والشحوم وقطع الاعضاء الخاطئة ووجوب القصاص دون الدية عن اكثر المفسرين (فالذين آمنوا به) اي بهذا النبي وصدقوه في نبوته (وعزروه) اي عظموه ووقروه ومنعوا عنه اعداءه (ونصروه) عليهم (واتبعوا النور) معناه القرآن الذي هو نور في القلوب كما ان الضياء نور في العيون ويهتدي به الخلق في أمور الدين كما يهتدون بالنور في أمور الدنيا (الذي أنزل معه) اي أنزل عليه وقد يقوم مع مقام على كما يقوم على مقام مع وقيل معناه أنزل في زمانه وعلى عهده ويروى ان النبي (ص) قال لاصحابه اي الخلق اعجب ايمانا قالوا الملائكة فقال الملائكة عند ربهم فما لهم لا يؤمنون قالوا فالبينون قال النبيون يوحى اليهم فما لهم لا يؤمنون قالوا فنحن يا نبي الله قال انا فيكم فما لكم لا تؤمنون ايمانا هم قوم يكونون بعدكم يجدون كتابا في ورق فيؤمنون به فهو معنى قوله واتبعوا النور الذي أنزل معه (أو لتك هم المفلحون) اي الظافرون بالمراد الناجون من العقاب الفائزون بالثواب

قوله تعالى (١٥٨) قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَأَتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (آية)

✽ الأعراب ✽

جميعا نصب على الحال من ضمير المخاطب الذي عمل حرف الإضافة فيه والعامل في الحال معنى الفعل في رسول الله الا انه لا يجوز ان يتقدم على حرف الإضافة لانه قد صار بمنزلة العامل
- المعنى -

ثم أمر الله سبحانه نبينا ان يخاطب جميع الخلق من العرب والعجم فقال (قل يا أيها الناس اني رسول الله) ارسلني (اليكم جميعا) ادعوك الى توحيدته وطاعته واتباعه فيما أوذبه اليكم وانما ذكر جميعا للتأكيد وليعلم انه مبعوث الى الكافة (الذي له ملك السماوات والأرض) معناه الذي له التصرف في السماوات والأرض من غير دافع ومنازع (لا اله الا هو) ولا شريك له في الإلهية (يحيي ويميت) الأحياء فان من شأن القادر على الشيء ان يكون قادرا على ضده (فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله) يعني لم يأمركم بالإيمان حتى آمن هو اولا وعليه زيادة التكليف من أداء الرسالة وبيان الشرائع والقيام بالدعوة (وكلماته) اي يؤمن بكلماته من الكتب المتقدمة والوحي والقرآن (واتبعوه لعلكم تهتدون) اي لكي تهتدوا الى الثواب والجنة

قوله تعالى (١٥٩) وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ (١٦٠) وَقَطَعْنَا لَهُمْ
أَنْتِي عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَّمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ

فَأَنْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى كُلُّوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (آيات)

— اللفظ —

قال الأزهرى السبط الفرقة لابنتي ولا يجمع ولا يؤنث وقد جمع فقيل اسباط واشتقاقها من سبط وهو شجر والواحدة سبطة ورجل سبط الشعر وامرأة سبطة وقد سبط شعره سبوطه وهو الذي لا جمودة فيه ورجل سبط الأصابع طويلها وسبط الكف سمحها ومطر سبب وسبب متدارك وسباطته سعته والسبط في كلام العرب خاصة الاولاد قال الزجاج قال بعضهم السبط القرن الذي يجي بعد قرن والصحيح ان الاسباط في ولد اسحاق بمنزلة القبائل في ولد اسماعيل فولد كل ولد من اولاد يعقوب سبط وولد كل ولد من اولاد اسماعيل قبيلة وانما سموا هؤلاء بالقبائل وهو لاء بالقبائل وبالا سباط ليفصل بين ولد اسماعيل وولد اسحاق (ع) ومعنى القبيلة الجماعة ويقال للشجرة لها قبائل وكذلك الاسباط من السبط كأنه جعل اسحاق بمنزلة شجرة وجعل اسماعيل بمنزلة شجرة وكذلك يفعل النسابون في النسب يجعلون الوالد بمنزلة شجرة واولاده بمنزلة اغصانها ويقال طوبى لفرع فلان وفلان من شجرة سالحة فهذا معنى الاسباط والسبط

✽ الاعراب ✽

اثنتي عشرة اسباطا يعني اثنتي عشرة فرقة فحذف المميز ولذلك أنث واسباطا بدل من اثنتي عشرة تقديره وفرنقاهم اسباطا وجعلناهم اسباطا ويجوز كسر الشين في عشرة وهو قراءة الاعمش ويحيى بن وثاب وأما نعت الاسباط

✽ المعنى ✽

ثم عاد الكلام الى قصة بني اسرائيل فقال سبحانه (ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق) اي جماعة يدعون الى الحق ويرشدون اليه (وبه يمدلون) اي وبالحق يحكمون ويمدلون في حكمهم واختلف في هذه الأمة من هم على اقوال ~~احدها~~ انهم قوم من وراء الصين وبينهم وبين الصين وادجار من الرمل لم يغيروا ولم يبدلوا عن ابن عباس والسدي والربيع والضحاك وعطا وهو المروي عن ابي جعفر الباقر (ع) قالوا وليس لأحد منهم مال دون صاحبه يمتطرون بالليل ويضحون بالنهار ويزرعون لا يصل اليهم منا احد ولا منهم الينا وهم على الحق قال ابن جريج بلغني ان بني اسرائيل لما قتلوا انبياءهم وكفروا وكانوا اثنتي عشرة سبطا تبرأ سبط منهم مما صنعوا واعتذروا وسألوا الله ان يفرق بينهم وبينهم ففتح الله لهم نفقا من الأرض فساروا فيه سنة ونصف سنة حتى خرجوا من وراء الصين فهم هناك حنفاء مسلمون يستقبلون قبلتنا وقيل ان جبرائيل انطلق بالنبي (ص) ليلة الميراج اليهم فقرأ عليهم من القرآن عشر سور نزلت بمكة فآمنوا به وصدقوه وأمرهم ان يقيموا مكانهم ويتركوا السبت وأمرهم بالصلاة والزكاة ولم يكن نزلت فريضة غيرهما ففعلوا قال ابن عباس وذلك قوله وقتلنا من يهدى لبني اسرائيل اسكنوا الأرض فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لنفيقاً بعيسى بن مريم يخرجون معه وروى اصحابنا انهم يخرجون مع قائم آل محمد وروى عن ابن عباس قال لو أمرت بالمقام لسرتي ان أقيم بين أظهركم ~~وتأنيها~~ وانهم قوم من بني اسرائيل تمسكوا بالحق وبشرية موسى (ع) في وقت ضلالة القوم وقتلهم انبياءهم وكان ذلك قبل نسخ شريعتهم بشريعة عيسى (ع) فيكون تقدير الآية ومن قوم موسى أمة كانوا يهدون بالحق عن ابي علي الجبائي وانكر القول الأول وقال لو كانوا باقين لكانوا كافرين بمحمد نبوة محمد (ص) وليس هذا بشي لأنه

لا يمتنع ان يكون قوم لم يبلغهم دعوة النبي (ص) فلا يحكم بكفرهم ويمكن ان يكون بلغهم خبر النبوة وآمنوا
 ونالها ﴿ انهم الذين آمنوا بالنبي (ص) مثل عبد الله بن سلا. وابن سوريا وغيرهما وفي حديث ابي
 حمزة الثمالي والحكم بن ظهير ان موسى (ع) لما أخذ الألواح قال رب اني لأجد في الألواح أمة هي خير أمة
 اخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فاجعلهم أمتي قال تلك أمة احمد قال رب اني لأجد في
 الألواح أمة هم الآخرون في المخلق السابقون في دخول الجنة فاجعلهم أمتي قال تلك أمة احمد قال رب اني لأجد
 في الألواح أمة كتبهم في صدورهم بقرأونها فاجعلهم أمتي قال تلك أمة احمد قال رب اني لأجد في الألواح أمة
 يؤمنون بالكتاب الأول وبالكتاب الآخر ويقاوتون الاعور الكذاب فاجعلهم أمتي قال تلك أمة احمد قال رب
 اني أجد في الألواح أمة اذا هم احدهم بحسنة ثم لم يعملها كتبت له حسنة وان عملها كتبت له عشرة امثالها وان
 هم سيئفولم يعملها لم يكتب عليه وان عملها كتبت عليه سيئة واحدة فاجعلهم أمتي قال تلك أمة احمد قال رب
 اني أجد في الألواح أمة هم الشافعون وهم المشفوع لهم فاجعلهم أمتي قال تلك أمة احمد قال موسى رب اجعلني من أمة
 احمد (ص) قال ابو حمزة فأعطى موسى آيتين لم يعطوها يعني أمة احمد قال الله يا موسى اني اصطفيتك على الناس
 برسالاتي وبكلامي وقال ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون قال فرضي موسى (ع) كل الرضا وفي
 حديث غير ابي حمزة قال ان النبي (ص) لما قرأ وعن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون هذه لكم وقد اعطى الله
 قوم موسى مثلاً (وقطعناهم اثنتي عشرة اسباطا امما) اي وفرقنا بني اسرائيل اثنتي عشرة فرقة اسباطا يعني
 اولاد يعقوب (ع) فانهم كانوا اثني عشر وكان لكل واحد منهم اولاد ونسل فصار كل فرقة منهم سبطا وأمة
 وانما جعلهم سبحانه امما ليميزوا في شربهم ومطعمهم ويرجع كل أمة منهم الى رئيسهم فيخفف الأمر على موسى
 (ع) ولايقع بينهم اختلاف وتباغض (واوحينا الى موسى اذا نسقيه قومه) اي طلبوا منه السقيا (ان اضرب
 بمصاك الحجر فانبجست) الانبجاس خروج الماء الجاري بقله والانبجاس خروجه بكثرة وكان يتندى الماء من
 الحجر بقله ثم يتسع حتى يصير الى الكثرة فلذلك ذكر ههنا الانبجاس وفي سورة البقرة الانبجاس والآية الى
 آخرها مفسرة هناك فلا معنى لاجادته

قوله تعالى (١٦١) وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا
 حِطَّةٌ وَأَدْخِلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (١٦٢) فَبَدَّلَ الَّذِينَ
 ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ آيَاتان

✽ القراءة ✽

قرأ أهل المدينة وابن عامر ويعقوب وسهل تغفر بالتاء وضمها وفتح الفاء والباقون تغفر بالنون وكسر الفاء
 وقرأ أهل المدينة ويعقوب وسهل خطيئاتكم على جمع السلامة ورفع التاء وقرأ ابن عامر خطيئاتكم بالتوحيد
 ورفع التاء وقرأ ابو عمرو وخطاياكم بغير همز وعلى جمع التكسير والباقون خطيئاتكم على جمع السلامة وكسر التاء

✽ الحجة ✽

من قرأ تغفر بالنون فهو على واذ قيل لهم ادخلوا تغفر لكم أي ان دخلتم غرنا والتي في البقرة تغفر والنون
 هناك احسن لقوله واذ قلنا واما قراءة من قرأ تغفر بالتاء مضمومة فلأنه قد استند اليها خطيئاتكم وهو مؤنث
 فأنت وبني الفعل للمفعول وهو اشبه بقوله واذ قيل لهم وقد مضى تفسير مثل هاتين الآيتين في سورة البقرة فلا وجه لاجادته
 قوله تعالى (١٦٣) وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ

عباس اتخذوا الحياض فكانوا يسوقون الحيتان اليها ولا يمكنها الخروج منها فيأخذونها يوم الاحد وقيل انهم اسطادوها وتناولوها باليد في يوم السبت عن الحسن (كذلك نبلوهم) اي مثل ذلك الاختيار الشديد تختبرهم (بما كانوا يفسقون) اي فسقهم وعصيانهم وعلى المعنى الآخر لا تأتيهم الحيتان مثل ذلك الاتيان الذي كان منها يوم السبت ثم استأنف فقال نبلوهم (واذ قالت أمة) اي جماعة (منهم) اي من بني اسرائيل الذين لم يصطادوا وكانوا ثلاثة فرق فرقة قانصة وفرقة ساكنة واعظة فقال الساكتون للواعظين والناهين (لم تعظون قوما الله مهلكهم) اي بهلكهم الله ولم يقولوا ذلك كراهية لوعظهم ولكن لا يأسهم عن ان يقبل أو لك القوم الوعظ فإن الامر بالمعروف انما يجب عند عدم الاياس من القبول عن الجبائي ومعناه ما ينفع الوعظ من لا يقبل والله مهلكهم في الدنيا بمصيتهم (او معذبهم عذابا شديدا) في الآخرة (قالوا) اي قال الواعظون في جوابهم (معذرة الى ربكم) معناه موعظتنا ايام معذرة الى الله وتأدية لقرضه في النهي عن المنكر لئلا يقول لنا لم لم تعظوهم (ولعلمهم) بالوعظ (يتقون) ويرجعون

قوله تعالى (١٦٥) فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (١٦٦) فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَآئِهِمْ غَنُوا قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَادَةً خَاسِئِينَ آيَاتان

❖ القراءة ❖

قرأ اهل المدينة بعذاب بيس بكسر الباء غير مهموز على وزن فعل وقرأ ابن عامر بش مهموز على وزن فعل ايضا وقرأ ابو بكر غير حماد بيش على وزن فيعل والباقون بيش على وزن فيعل وروي في الشواذ عن ابن عباس بيش على وزن فيعل وعن زيد بن ثابت بيش على وزن فعل وعن يحيى والسلمي بخلاف بيش وعن طلحة بن مصرف بيس وروي ايضا عن نافع وروي عن مجاهد بائس على وزن فاعل وعن الحسن بيش بكسر الباء وفتح السين

❖ الهمزة ❖

قال ابو علي من قرأ بيش فانه يحتمل امرين ان يكون فيعلا من يؤس بيؤس اذا كان شديد البأس فيكون مثل بعذاب شديد وان يكون مصدراً على فيعل نحو التذير والتكبير وقولهم «عذير الحمي من عدوان كانوا حية الارض» فوصف بالمصدر والتقدير بعذاب ذي بيش اي ذي يؤس ومن قرأ بعذاب بيش فانه جعل بيش الذي هو فعل اسماً فوصف به ومثل ذلك قوله إن الله ينهى عن قِبَلٍ وَقَالَ وَمِثْلَهُ مَذُ شَبَّ إِلَى دَبٍّ وَمَذُ شَبَّ إِلَى دَبٍّ فَلَمَّا اسْتَعْمَلَتْ هَذِهِ الْأَلْفَاظُ اسْمَاءً وَأَفْعَالاً فَكَذَلِكَ بَشَّ جَعَلَهُ اسْمًا بَعْدَ أَنْ كَانَ فِعْلاً فَصَارَ وَصْفًا وَمَنْ قَرَأَ بِبِيشٍ فَإِنَّهُ يَكُونُ وَصْفًا مِثْلَ ضَيْغَمٍ وَحِيدٍ وَقَالَ وَلَا يَجُوزُ كَسْرُ الْعَيْنِ مِنْهُ لِأَنَّ فِعْلَ بِنَاءٍ اخْتَصَّ بِهِ مَا كَانَ عَيْنُهُ يَاءً أَوْ وَاوًا مِثْلَ طَيْبٍ وَسَيْدٍ وَلَمْ يَجِبْ مِثْلَ ضَيْغَمٍ وَقَدْ جَاءَ فِي الْمُعْتَلِّ فِعْلٌ اشْتَدَّ سَبَبِيَّةً «مَا بِالْأَعْيُنِ كَالشَّيْبِ الْعَيْنِ» فَيَنْبَغِي أَنْ يَحْمَلَ بِيَشَّ مَنْ رَوَاهُ عَلَى الْوَهْمِ قَالَ ابْنُ جَنِّي وَإِنَّمَا جَاءَ فِي الْهَمْزِ بِشَابَهَتِهَا حُرٌّ فِي الْعَلَّةِ وَأَمَّا بِيَشَّ عَلَى فَعِيلٍ فَإِنَّهُ جَاءَ عَلَى بِيَشَّ الرَّجُلِ بِأَسَّةٍ إِذَا شَجِعَ فَكَأَنَّهُ عَذَابٌ مُقَدَّمٌ عَلَيْهِمْ غَيْرُ مُتَأَخَّرٍ عَنْهُمْ وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَقْصُورًا مِنْ بِيَشَّ فَيَكُونُ مِثْلَ أُنْقَى مِنْ أُنْقَى وَأَمَّا بِيَشَّ فِي وَزْنِ جَيْشٍ فَكَأَنَّهُ ارَادَ بَشَّ فَخَفَّفَ الْهَمْزَ فَصَارَتْ بَيْنَ بَيْنٍ فَلَمَّا قَارَبَتْ الْيَاءَ اسْكَنْهَا طَلْبًا لِلخَفْفَةِ فَصَارَتْ فِي الْفِظِّ يَاءً وَنَحْوَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ ابْنِ مِيَادَةَ «وَكَانَ يَوْمِئِذٍ لَهَا حَكْمُهَا» ارَادَ يَوْمِئِذٍ فَخَفَّفَ وَأَمَّا بِائِسَ فَاسْمُ الْفَاعِلِ مِنْ بَشَّ وَإِنْ كَرِهَ ابْنُ حَاتِمٍ قِرَاءَةَ الْحَسَنِ بِيَشَّ وَقَالَ لَوْ كَانَ كَذَا لَمَا كَانَ يَدْمُهَا مِنْ مَاءٍ بِشَّ مَاءٍ كَتَمَّ مَا

(١) القانصة : الصيادون (٢) [وفرقة] (٣) قاله ذو الاصمعي المدواني وبعده «بشي بعض على بعض فلم يرعوا على بعض» يقولها عنداً فيما فعل بعضهم ببعض من التباعد والتباغض والقتل ولم يربح بعضهم على بعض بعد ما كانوا حية الارض التي يحدوها كل احد (٤) اي من لندن شبيت الى ان دبيت على البصا . (٥) الشيب : السقاء . سقاء حين اذا سال ماؤه وقيل اريد بالعين الجديد .

* اللة *

قال ابو زيد يقال بؤس الرجل ببؤس بؤس اذا كان شديد البؤس وفي البؤس وهو الفقر ببؤس الرجل ببؤس بؤس وبؤس والبؤساء الاسم والعتو الخروج الى افحش الذنوب والعتاقي المبالغ في المعاصي والليل العاتي الشديد الظلمة والخاصي المطرود المبعد عن الخير من خسأت الكلب اذا أقصيته فخصاً أي بعد

* المعنى *

(فلما نسوا ما ذكروا به) أي فلما ترك أهل هذه القرية ما ذكروا كرم الواعظون به ولم ينتهوا عن ارتكاب المعصية بصيد السمك (انجينا الذين ينهون عن سوء) أي خلصنا الذين ينهون عن المعصية (واخذنا الذين ظلموا) أنفسهم (بعذاب بئيس) أي شديد (بما كانوا يفسقون) أي يفسقهم وذلك العذاب لحقهم قبل أن مسخوا قرودة عن الجبائي ولم يذكر حال الفرقة الثالثة هل كانت من الناجية أم من الهالكة وروي عن ابن عباس فيهم ثلاثة اقوال أحدها انه نجت الفرقان وهلكت الثالثة وبه قال السدي * والثاني انه هلكت الفرقتان ونجت الفرقة الناهية وبه قال ابن زيد وروي ذلك عن ابي عبد الله (ع) * والثالث * التوقيف فيه روي عن عكرمة قال دخلت على ابن عباس وبين يديه المصحف وهو يبكي ويقرأ هذه الآية ثم قال قد علمت ان الله تعالى اهلك الذين اخذوا الحيتان وانجي الذين نهوهم ولا ادري ما صنع بالذين لم ينهوهم ولم يوافقوا المعصية وهذه حالتنا واختاره الجبائي وقال الحسن انه نجا الفرقة الثالثة لأنه ليس شيء ابلغ في الامر بالمعروف والوعظ من ذكر الوعيد وهم قد ذكروا الوعيد فقالوا الله مهلككم اومعذبهم عذاباً شديداً وقال قتادة قتادة صاروا قرودة لما اذنب تعاوى بعدان أكل الحيتان (فلما عتوا عما نهوا عنه) اي عن ترك ما نهوا عنه يعني لم يتركوا ما نهوا عنه وتمردوا في الفساد والجرأة على المعصية وابوا ان يرجعوا عنها (قلنا لهم كونوا قرودة) اي جعلناهم قرودة (خاستين) مبعدين مطرودين وانما ذكر كثر ليدل على انه سبحانه لا يمتنع عليه شيء واجاز الزجاج ان يكون قيل لهم ذلك بكلام سمعوه فيكون ذلك ابلغ في الآية النازلة بهم وحكي ذلك عن ابي الهذيل قال قتادة صاروا قرودة لما اذنب تعاوى بعدان كانوا رجالاً ونساء وقيل انهم بقوا ثلاثة أيام بنظر اليهم الناس ثم هلكوا ولم يتناسلوا عن ابن عباس قال ولم يمكث مسخ فوق ثلاثة ايام وقيل عاشوا سبعة ايام ثم ماتوا عن مقاتل وقيل انهم توالدوا عن الحسن وليس بالوجه لأن من المعلوم ان القرودة ليست من اولاد ادم كما ان الكلاب ليست منهم ووردت الرواية عن ابن مسعود قال قال رسول الله ﷺ ان الله تعالى لم يمسخ شيئاً فجعل له نسلًا وعتبًا

* القصة *

قيل كانت هذه القصة في زمن داود (ع) وعن ابن عباس قال امروا باليوم الذي أمرتم به يوم الجمعة فتركوه واختاروا يوم السبت فابتلوا به وحرم عليهم فيه الصيد و امروا بتعظيمه فكانت الحيتان تأتيهم يوم السبت شرعاً ايضا سمانا حتى لا يرى الماء من كثرتها فمكثوا كذلك ما شاء الله لا يصيدون ثم أتاهم الشيطان وقال إنما نهيتم عن أخذها يوم السبت فاتخذوا الحياض والشبكات فكانوا يسوقون الحيتان اليها يوم السبت ثم يأخذونها يوم الاحد وعن ابن زيد قال اخذ رجل منهم حوتا وربط في ذنبه خيطا وشده الى الساحل ثم اخذه يوم الاحد وشواه فلاموه على ذلك فلما لم يأتهم العذاب اخذوا ذلك واكلوه وباعوه وكانوا نحواً من اثني عشر الفا فصار الناس ثلاث فرق على ما تقدم ذكره فاعتزلتهم الفرقة الناهية ولم تسأكنهم فاصبحوا يوماً ولم يخرج من العاصية احد فنظروا فإذاهم قرودة ففتحوا الباب ودخلوا فكانت القرودة تعرفهم وهم لا يعرفونها فجعلت تبكي فلذا قالوا لهم ألم ننهكم قالت برووسها أن نعم قال قتادة صارت الشبان قرودة والشيوخ خنازير

قوله تعالى (١٦٧) **وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيُبْعَثَ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ** (١٦٨) **وَقَطَعْنَا مِنْ فِي الْأَرْضِ أُمَّمًا مِنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ** (آيات)

✽ الاعراب ✽

ومنهم دون ذلك دون في موضع الرفع بالابتداء ولكنه جاء منصوباً لتمكينه في الظرفية ومثله على قول أبي الحسن لقد تقطع ينكم هو في موضع الرفع فجاء منصوباً لهذا المعنى وكذلك في قوله يوم القيامة بقصل يتكم بين في موضع رفع لقيامه مقام الفاعل وإن شئت كان التقدير ومنهم جماعة هون ذلك فحذف الموصوف وقامت صفته مقامه

— المعنى —

ثم خاطب سبحانه النبي فقال (واذا تاذن ربك) معناه واذا ذكر يا محمد اذا اذن واعلم ربك فان تاذن واذن بمعنى وقيل معناه تألي ربك اي اقسام القسم الذي يسمع بالإذن وقيل معناه قال ربك عن ابن عباس (ليبعثن عليهم) اي على اليهود (الي يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب) اي من يذيقهم ويوليهم شدة العذاب بالقتل واخذ الجزية منهم والمعنى به امة محمد (ص) عند جميع المفسرين وهو المروي عن أبي جعفر (ع) وهذا يدل على ان اليهود لا تكون لهم دولة الي يوم القيامة ولا عز واما معنى البعث هاهنا فهو الامر والإطلاق والمعونة وقيل معناه التحلية وإن وقع على وجه المعصية كقوله سبحانه انا ارسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم اذا (ان ربك لسريع العقاب) لمن يستوجه على الكفر والمعصية (وانه لغفور رحيم) ظاهر المعنى وإنما قال سريع العقاب وان كان العقاب مؤخراً الي يوم القيامة لأن كل آت فهو قريب وقيل معناه سريع العقاب لمن شاء أن يعاقبه في الدنيا (وقطعناهم في الأرض أمة) معناه وفرقتهم في البلاد فرقا مختلفة وجماعات شتى يعني اليهود عن ابن عباس ومجاهد وإنما فرقهم بأن فرق دواعيهم حتى افرقوا في البلاد وتفرقهم ذل لهم بمنزلة أخذ الجزية لأنهم لا يتعاونون ولا يتناصرون وقيل إنه فرقهم لما علم سبحانه من الصلاح لهم في دينهم فصلاح فريق وعصى فريق ثم اخبر سبحانه عنهم فقال (منهم الصالحون) أي من هؤلاء الصالحون يعني من بني اسرائيل وهم الذين يؤمنون بالله ورسله ويطيعونه (ومنهم دون ذلك) أي دون الصالح في الدرجة والمنزلة وهم الذين امثلوا بعض الأوامر دون بعض وعملوا بعض المعاصي وإنما وصفهم بما كانوا عليه قبل ارتدادهم وكفرهم وذلك قبل أن يبعث فيهم عيسى (ع) وقيل معناه منهم المؤمنون بمحمد وعيسى عليهما السلام ومنهم الكافرون عن عطا ومجاهد (وبلوناهم بالحسنات والسيئات) معناه اختبرناهم بالرخاء في العيش والخفض في الدنيا والدعة والسعة في الرزق بالشدائد في العيش والمصائب في النفس والأموال فكأنه قال بلوناهم بالنعم والنقم والرخاء والشدة فإن فعل النعم يقتضي الرغبة الي الله تعالى في ارتباطها وفعل النقم يقتضي الرغبة الي الله تعالى في كشفها (لعلهم يرجعون) أي لكي يرجعوا الي الله تعالى وينيبوا الي طاعته وامثال أمره ومثي قيل كيف يصح الرجوع الي أمر لم يكونوا عليه قط فالقول فيه أن الذهاب عن الشيء قد يقال له ارجع اليه أي صر اليه كما أن من رأى غيره سالكا في المهالك قد يقول له ارجع الي الطريق المستقيم يريد به اخرجاه عن المهالك وقيل ان معناه لعلهم يرجعون الي ما عليه أصل الفطرة

قوله تعالى (١٦٩) **فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ بَأْسُهُمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا**

يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالذَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا نَعْقِلُونَ
(١٧٠) وَالَّذِينَ يُمْسِكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ (آيَاتان)

﴿ القراءة ﴾

قرأ أبو بكر يمسكون بتسكين الميم والباقون بفتحها وتشديد السين وهما بمعنى واحد وفي الشواذ قراءة السلمي
وَأَدْرَسُوا مَا فِيهِ اراد تدارسوا فادغم

﴿ اللغة ﴾

قال الزجاج يقال للقرن الذي بجي في اثر قرن خلف والخلف ما اخلف عليك بدلا مما ذهب منك قال
الفراء يقال هو خلف صدق وخلف سوء قال لبيد

وَبَقِيْتُ فِي خَلْفٍ كَجِلْدِ الْأَجْرَبِ (١)

ذَهَبَ الَّذِينَ يَعَاشُ فِي أَكْنَافِهِمْ

قال علي بن عيسى وقد يوضع احدهما مكان الآخر قال حسان

لَنَا الْأَقْدَمُ الْأُولَى إِلَيْكَ وَخَلْفُنَا
لِأَوْلِيَانَا فِي طَاعَةِ اللَّهِ تَابِعٌ

والأغلب في الفتح أن يستعمل في المدح . والعرض ما يعرض ويقبل لبته ومنه سمي العرض القائم بالجسم
عرضا لأنه يعرض في الوجود ولا يجب له من اللبث ما يجب للأجسام والدرس تكرير الشيء ويقال درس الكتاب
إذا كرر قراءته ودرس المنزل إذا تكرر عليه مرور الامطار والرياح حتى انمحي أثره وامسك وتمسك
واستمسك بالشيء بمعنى واحد أي اعتصم به

﴿ الإعراب ﴾

بأخذون عرض هذا الأذنى في موضع النصب على الحال من الضمير في ورثوا وقوله ورثوا الكتاب صفة
خلف ودرسوا ما فيه عطف على ورثوا وقوله ألم يؤخذ عليهم الى قوله الا الحق اعتراض بين ورثوا ودرسوا ولا
يجوز الوقف من اول الآية إلا على قوله ما فيه وخبر الذين يمسكون قوله انا لا نضيع أجر المصلحين منهم فحذف
منهم لدلالة الكلام عليه كما في قوله السمن متوان بدرهم ويمتثل ان يكون التقدير لا نضيع أجرهم لأن
المصلحين هم الذين يمسكون بالكتاب في المعنى ويجوز أن يكون الخبر محذوفاً وتقديره نعطيمهم أجرهم لأننا
لا نضيع أجر المصلحين فاستغنى بذكر العلة عن ذكر المعلول

﴿ المعنى ﴾

ثم ذكر سبحانه الأُخلاف بعد ذكر الأُسلاف فقال (فخلف من بعدهم خلف) معناه فذهب أو أنك وقام
مقامهم قوم آخرون ورثوا الكتاب يعني التوراة فإن الميراث ما صار للباقي من جهة البادي (بأخذون عرض هذا
الأذنى) معناه ما اشرف لهم من الدنيا أخذوه عن ابن عباس يقال الدنيا عرض حاضر يأكل منه البر والفاجر
وجميع متاع الدنيا عرض وقيل انهم كانوا يرتشون ويحكمون بجور وقيل انهم كانوا يرتشون ويحكمون بحق
وكل ذلك عرض خسيس و اراد بقوله هذا الأذنى هذا العاجل وقيل اراد عرض هذا العالم الأذنى وهو الدار الثانية
(ويقولون سيغفر لنا) وهذا اخبار عن حرصهم على الدنيا واصرارهم على الذنوب اذا اشرف لهم شيء من الدنيا
أخذوه حلالا كان او حراما وبسمنون على الله المغفرة (وإن يأثمهم عرض مثله بأخذوه) أي وان وجدوا من الغد
مثله أخذوه وهذا دليل على اصرارهم وانهم تمنوا المغفرة مع الاصرار وقيل معناه وإن جاءهم حرام من الرشوة وغيرها
بعد ذلك أخذوه واستحلوه ولم يرتدعوا عنه عن ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وقيل معناه لا يشبعهم شيء

(١) شبه أصحابه بجلد الاجرب في كونهم كلاً عليه كما ان جلد الاجرب من جهة حكة دائماً فيه مشقة على صاحبه .

عن الحسن (الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ألا يقولوا على الله إلا الحق) معناه الم يؤخذ على هؤلاء المرتشين في الأحكام القائلين سيقترونا إذا عوتبوا على ذلك الميثاق في التوراة أن لا يكذبوا على الله تعالى ولا يضيفوا إليه إلا ما أنزله على رسوله موسى (ع) في التوراة من الوعد والوعيد وغير ذلك وليس فيها ميعاد المقررة مع الاصرار (ودرسوا ما فيه) أي وقرأوا ما فيه فهم ذاكرون لذلك وقيل انه معطوف على قوله ورثوا الكتاب والمعنى فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ودرسوا ما فيه فضيعوه وتركوا العمل به (والدار الآخرة خير للذين يتقون) معناه ما أعدّه الله لأوليائه في الدار الآخرة من النعيم والثواب للعاملين بطاعته خير للذين يجتنبون معاصي الله (أفلا تعقلون) من قرأ بالياء فمعناه أفلا يعقل هذه الطائفة ومن قرأ بالتاء فمعناه قل لهم أفلا تعقلون ان الأمر على ما أخبر الله به (والذين يمسكون بالكتاب) أي يتمسكون به والكتاب التوراة أي لا يحرفونه ولا يكتمونه عن مجاهد وابن زيد وقيل الكتاب القرآن والمتمسك به امة محمد (ص) عن عطا (واقاموا الصلاة) إنما خص الصلاة بالذكر لجلالة موقعها وشدة تأكدها (انا لا نضيع أجر المصلحين) أي لا نضيع جزاء عملهم ونثيبهم على ما يستحقونه قوله تعالى (١٧١) وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا

مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (آية)

✽ اللفظة ✽

التتق قلع الشيء من الاصل وكل شيء قلعه ثم رميت به فقد نتقته ومنه قيل للمرأة الكثيرة الاولاد ناتق لأنها ترمي بالاولاد رمياً هذا قول أبي عبيدة وقيل أصل التتق الرفع ومنه امرأة ناتق لرفعها الاولاد ونتقت المرأة فهني ناتق ومثاق اذا كثرت ولدها وهو قول ابن الاعرابي وقيل اصله الجذب يقال نتقت الغرّب من البئر جذبتة عن ابي مسلم والظلة كلما اظلك ابي سترك من سقف او سحابة او جناح حائط

✽ المعنى ✽

عاد الكلام الى قوم موسى (ع) فقال سبحانه (واذ نتقنا الجبل فوقهم) معناه واذا كر يا محمد اذ قلنا الجبل من اصله فرفعناه فوق بني اسرائيل وكان عسكر موسى (ع) فرسخاً في فرسخ فرقع الله الجبل فوق جميعهم) كأنه ظلة) اي غمامة وقيل سقيفة عن عطا (وظنوا انه واقع بهم) ابي علموا وابتقوا عن الحسن وقيل معناه على ظاهره من الظن اي قوي في قوسهم ذلك عن الرماني والجبائي (خذوا) اي وقلنا لهم خذوا (ما آتيناكم بقوة) اي خذوا ما الزمانكم من احكام كتابنا وفرائضه فاقبلوه بجد واجتهاد منكم في كل اوان من غير تقصير ولا توان (واذكروا ما فيه) من العهود والمواثيق التي أخذناها عليكم بالعمل بما فيه (لعلكم تتقون) اي لكي تتقوا ربكم وتحافوا عقابه وقد مضى تفسير هذه الآية في سورة البقرة مشروحاً

قوله تعالى (١٧٢) وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى

أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ

(١٧٣) أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ

الْبَاطِلُونَ (١٧٤) وَكَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ثلاث آيات

— القراءة —

قرأ ابن كثير واهل الكوفة ذربتهم على التوحيد والباقون ذرياتهم على الجمع وقرأ ابو عمرو أن يقولوا ويقولوا بالياء والباقون بالتاء

✽ الحجة ✽

قال ابو علي الذرية قد يكون جمعا وقد يكون واحداً فمما جاء فيه جمعا قوله وكنا ذرية من بعد هو ذرية من حملنا مع نوح فمن افرد جملة جمعا فاستغنى عن جمعه لوقوعه على الجمع ومما جاء فيه واحداً قوله رب هب لي من لدنك ذرية طيبة ثم قال إن الله يبشرك يبجي وهذا مثل قوله رب هب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب وأما قراءة ابي عمرو ان يقولوا بالياء فلأن الذي تقدم من الكلام على النية ومن قرأ بالياء فلأنه جرى في الكلام خطاب ايضا فقال الست بربكم وكلا الوجهين حسن لأن النيب هم المخاطبون في المعنى

✽ الاعراب ✽

من ظهورهم بدل من قوله من بني آدم والمعنى أخذ ربك من ظهور بني آدم ذريتهم وقد ذكرنا الذرية وما قيل في تقدير وزنها واشتقاقها فيما تقدم وقوله ان تقولوا تقديره كراهة ان تقولوا او لثلا تقولوا وقد مضى الكلام في امثاله

✽ المعنى ✽

ثم ذكر سبحانه ما أخذ على الخلق من المواثيق بمقولم عقيب ما ذكره من المواثيق التي في الكتب جمعا بين دلائل السمع والعقل وابلاغا في إقامة الحجة فقال (وإذ أخذ ربك) اي واذا ذكر لهم يا محمد اذا خرج ربك (من بني آدم من ظهورهم) اي من ظهور بني آدم (ذريتهم واشهدهم على اقسمهم الست بربكم قالوا بلى) اختلف العلماء من العام والخاص في معنى هذه الآية وفي هذا الاخراج والشهاد على وجوه ❧ احدها ان الله تعالى اخرج ذرية آدم من صلبه كهيئة الذر فعرضهم على آدم وقال اني أخذ على ذريتك ميثاقهم ان يعبدوني ولا يشركوا بي شيئا وعلي ارزاقهم ثم قال لهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا انك ربنا فقال للملائكة اشهدوا فقالوا شهدنا وقيل ان الله تعالى جعلهم فعلاء عقلاء بسمعون خطابه ويفهمونه ثم ردهم الى صلب آدم والناس محبوسون باجمعهم حتى يخرج كل من اخرج الله في ذلك الوقت وكل من ثبت على الاسلام فهو على الفطرة الأولى ومن كفر وجحد فقد تغير عن الفطرة الأولى عن جماعة من المفسرين ورووا في ذلك آثارا بعضها مرفوعة وبعضها موقوفة يعملونها تأويلا للآية ورد المحققون هذا التأويل وقالوا انه مما يشهد ظاهر القرآن بخلافه لأنه تعالى قال وإذ أخذ ربك من بني آدم ولم يقل من آدم وقال من ظهورهم ولم يقل من ظهره وقال ذريتهم ولم يقل ذريته ثم أخبر تعالى بأنه فعل ذلك لثلا يقولوا انهم كانوا عن ذلك غافلين او يستندوا بشرك آبائهم وانهم نشأوا على دينهم وهذا يقتضي ان يكون لهم آباء مشركون فلا يتناول الظاهر ولد آدم لصلبه وايضا فإن هذه الذرية المستخرجة من صلب آدم لا يخلو إما ان جعلهم الله عقلاء او لم يجعلهم كذلك فإن لم يجعلهم عقلاء فلا يصح ان يعرفوا التوحيد وان يفهموا خطاب الله تعالى وان جعلهم عقلاء وأخذ عليهم الميثاق فيجب ان يتذكروا ذلك ولا ينسوه لأن أخذ الميثاق لا يكون حجة على المأخوذ عليه الا ان يكون ذا كرامة فيجب ان نذكر نحن الميثاق ولأنه لا يجوز ان ينسى الجمع الكثير والجم الغفير من العقلاء شيئا كانوا عرفوه وميزوه حتى لا يذكروه واحدهم منهم وان طال العهد الأتري ان اهل الآخرة يعرفون كثير من احوال الدنيا حتى يقول اهل الجنة لاهل النار قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا ولو جازان ينسوا ذلك مع هذه الكثرة لجاز ان يكون الله تعالى قد كلّف الخلق فيما مضى ثم اعادهم إما ليثيبهم وإما ليعاقبهم ونسوا ذلك وذلك يؤدّي الى التجاهل وإلى صحة مذهب التناسخية وحكي عن علي بن عيسى عن ابي بكر بن الاشيد انه جوز ان يكون خبر الذر صحيحا غير انه قال ليس تأويل الآية على ذلك ويكون فائدته انه انما فعل ذلك ليبحروا على الاعراق الكريمة في شكر النعمة والاقرار لله تعالى بالربوبية كما روي عنهم ولدوا على الفطرة وحكي ابو الهذيل في كتاب الحجة ان الحسن البصري واصحابه كانوا يذهبون الى ان نعم الاطفال في الجنة ثواب عن الإيمان

في الذر ﴿١٧٥﴾ وثانيها ﴿١٧٦﴾ ان المراد بالآية ان الله سبحانه اخرج بني آدم من اصلاب آبائهم الى ارحام أمهاتهم ثم رقاهم درجة بعد درجة وعلقة ثم مضغة ثم انشأ كلا منهم بشرا سويا ثم حيا مكافوا واهم آثار صنعه ومكنهم من معرفة دلائله حتى كأنه اشهدهم وقال لهم الست بربكم فقالوا بلى هذا يكون معنى اشهدهم على اقسيم دلتهم بخلقه على توحيدهم وانما اشهدهم على اقسيمهم بذلك لما جعل في عقولهم من الأدلة الدالة على وحدانيته وركب فيهم من عجائب خلقه وغرائب صنعه وفي غيرهم فكانه سبحانه بمنزلة المشهد لهم على اقسيمهم فكانوا في مشاهدة ذلك وظهوره فيهم على الوجه الذي اراده الله وتعذر امتناعهم منه بمنزلة المعترف المقر وان لم يكن هناك اشهاد صورة وحقيقة ونظير ذلك قوله تعالى فقال لها وللأرض ائتيا طوعا او كرها قالنا ائتينا طائعين وان لم يكن منه سبحانه قول ولا منها جواب ومثله قوله تعالى شاهدين على انفسهم بالكفر ومعلوم ان الكفار لم يعترفوا بالكفر بالسنتهم لكنه لما ظهر منهم ظهوراً لا يتمكنون من دفعه فكانهم اعترفوا به ومثله في الشعر

وَقَالَتْ لَهُ الْعَيَانُ سَمِعًا وَطَاعَةً
وَحَدَرْنَا كَالَّذِي لَمَّا يَتَّقِبُ

وكما يقول القائل جوارحي تشهد بنعمتك وكما روي عن بعض الخطباء من قوله سل الأرض من شق انهارك وغرس اشجارك وايبح ثمارك فان لم تجبك حواراً اجابتك اعتباراً ومثله كثير في كلام العرب واشعارهم ونظمهم وشعرهم وهو قول الرماني وابي مسلم وابن الاخشيد ﴿١٧٦﴾ وثالثها ﴿١٧٧﴾ انه تعالى انما عنى بذلك جماعة من ذرية آدم خلقهم واكمل عقولهم وقرّرهم على السن رسله (ع) بمفرته وبما يجب من طاعته فأقرّوا بذلك وأشهدهم على انفسهم به لثلاثا يقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين او يقولوا انا اشرك آباؤنا من قبل فقلدناهم في ذلك فنبه سبحانه على انه لا يعاقب من له عذر رحمة منه لخلقهم وكرما وهذا يكون في قوم خاص من بني آدم ولا يدخل جميعهم فيه لأن المؤمن لا يدخل فيه لأنه بين ان هؤلاء المأخوذ ميثاقهم كان لهم سلف في الشرك ولأن ولد آدم لصلبه لم يؤخذوا من ظهور بني آدم فقد خرجوا من ذلك وهذا اختيار الجبائي والقاضي وقوله (شهدنا) حكاية عن قول الملائكة انهم يقولون ذلك اي شهدنا لثلاثا تقولوا ذكره الازهري عن بعضهم وقال ان قوله قالوا بلى تمام الكلام وهذا خلاف الظاهر وما عليه المفسرون لأن الكل قالوا شهدنا من قول من قال بلى وان اختلفوا في كيفية الشهادة على ان الملائكة لم يجزها ذكر في الآيات فيبعد ان يكون اخباراً عنهم (ان تقولوا يوم القيامة) معناه لثلاثا يقولوا اذا صاروا الى العذاب يوم القيامة (انا كنا عن هذا غافلين) لم تنتبه عليه ولم تقم لنا حجة به ولم تكمل عقولنا فنفكر فيه (او تقولوا) اي يقول قوم منهم (انا اشرك آباؤنا من قبل) حين بلغوا وعقلوا (وكنا ذرية من بعدهم) اي اطفالا لا نعقل ولا نصلح للفكرة والنظر والتدبير وعلى التأويل الأخير فعناه اني انما قررتكم بهذا التواظبوا على طاعتي وتشكروا نعمتي ولا تقواوا يوم القيامة انا كنا غافلين عما أخذ الله من الميثاق على لسان الانبياء وتقولوا انا اشرك آباؤنا من قبل فنشؤنا على شركهم احتجاجا بالتقليد وتمويلا عليه اي فقد قطعت حجبتكم هذه بما قررتكم به من معرفتي واشهدتكم على انفسكم باقراركم بمفرتكم اياي (أفتهلكنا بما فعل المبتلون) ومعناه ولأن لا تقولوا أفتهلكنا بما فعل آباؤنا من الشرك وتقديره انا لا نهلككم بما فعلوه وانما نهلككم بفعلكم انتم (وكذلك نفصل الآيات) معناه انا كما يتالكم هذه الآيات كذلك نفصلها للعباد وبيئتها لهم وتفصيل الآيات تمييزها لئلا يتمكن من الاستدلال بكل واحدة منها (ولعلمهم يرجعون) اي ليرجعوا الى الحق من الباطل

قوله تعالى (١٧٥) وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ

فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (١٧٦) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ
فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتَرَّكَهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا
بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (١٧٧) سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا
وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا بِظَالِمُونَ (١٧٨) مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضِلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ
الْخَاسِرُونَ (اربع آيات)

✽ اللغة ✽

النبأ الخبر عن الأمر العظيم ومنه اشتقاق النبوة نبأه الله أي جعله نبيا واخلد الى كذا واخلد اليه سكن
اليه واخلد أكثر واصله اللزوم على الدوام ورجل مخلص اذا ابطأ عنه الشيب واخلد الى الارض لصق بها
قال مالك بن نويرة

بِآيَاتِنَا حَقٌّ مِنْ قِبَائِلِ مَالِكٍ وَعَمْرُوبِنْ يَرْبُوعٍ أَقَامُوا فَأَخْلَدُوا

الامث أن يدلغ الكلب لسانه من العطش واللاهات حر العطش وفي حديث سعيد بن جبير في المرأة المهثي
إنما تغطر في رمضان وقيل هو النفس الشديد من شدة الإعياء
= الإعراب =

نصب مثلا لأنه تفسير الضمير في ساء التي هي بمعنى بشس فيكون فعلا ماضيا غير منصرف وتقديره
ساء المثل مثلا وفي الكلام حذف آخر وتقديره ساء المثل مثلا مثل القوم ثم حذف المثل الاول لدلالة المنصوب
عليه وحذف الثاني لقيام المضاف اليه مقامه ولأن المعنى مفهوم

﴿ المعنى ﴾

ثم أمر سبحانه نبيه (ص) أن يقرأ عليهم قصة آخرى من أخبار بني اسرائيل فقال (واتل اي واقرأ
عليهم) يا محمد (نبأ الذي آتيناه) أي خبر الذي اعطيناه (آياتنا) أي حججنا وبيئاتنا (فانسلخ منها) أي فخرج
من العلم بها بالجهل كالشيء الذي ينسلخ من جلده (فأتبعه الشيطان) أي تبعه وتبع واتبع بمعنى وقيل معناه
لحقه الشيطان وادركه حتى اضله (فكان من الغاوين) أي من الهالكين وقيل من الخائنين عن الجبائي
واختلف في المعنى به فقيل هو بلعام بن باعور عن ابن عباس وابن مسعود وكان رجلا على دين موسى (ع)
وكان في المدينة التي قصدها موسى وكانوا كفارا وكان عنده اسم الله الأعظم وكان اذا دعا الله تعالى اجابه
وقيل هو بلعم بن باعورا من بني هاب بن لوط عن ابي حمزة الثمالي ومسروق قال ابو حمزة وبلغنا ايضا
والله اعلم انه امية بن ابي الصلت الثعفي الشاعر وروي ذلك عن عبد الله بن عمر وسعيد بن المسيب
وزيد بن اسلم وابي روق وكانت قصته انه قرأ الكتب وعلم ان الله سبحانه مرسل رسولا في ذلك الوقت
ورجا أن يكون هو ذلك الرسول فلما ارسل محمد (ص) حسده ومر على قتلى بدر فسأل عنهم فقيل قتلهم
محمد فقال لو كان نبيا ما قتل اقرباه واستنشد رسول الله اخته شعرة بعد موته فانشده

لَكَ الْحَمْدُ وَالنَّعْمَاءُ وَالْفَضْلُ رَبَّنَا وَلَا شَيْءَ أَعْلَى مِنْكَ جَدًّا وَامْجَدًّا

مَلِكٌ عَلَى عَرْشٍ السَّمَاءِ مِهِينٌ لِيُزَيِّهَ تَعَنُّوا الْوُجُوهَ وَتَسْجُدْ
وهي قصيدة طويلة حتى اتت على آخرها ثم انشدته قصيدته التي فيها
وَقَفَّ النَّاسُ لِلْحِسَابِ جَمِيعًا فَشَقِيٌّ مُعَذِّبٌ وَسَعِيدٌ
والتي فيها

عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ تَعْرِضُونَ عَلَيْهِ يَعْلَمُ الْعَجْرَ وَالسِّرَارَ الْخَفِيًّا
يَوْمَ يَأْتِي الرَّحْمَنُ وَهُوَ رَحِيمٌ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا
رَبِّ إِنْ تَعَفُّ فَاَلْمَعَاوَةَ ظَنِّي أَوْ تَعَاقِبْ فَلَمْ تَعَاقِبْ بَرِيًّا

فقال رسول الله (ص) آمن شعره وكفر قلبه وانزل الله فيه قوله واتل عليهم نبا الذي آتينا الآيات وقيل انه ابو عامر بن النعمان بن صيفي الراهب الذي سماه النبي الفاسق وكان قد تهرب في الجاهلية ولبس المسوخ فقدم المدينة فقال للنبي (ص) ما هذا الذي جئت به قال جئت بالحنيفية دين ابراهيم قال فانا عليها فقال (ص) لست عليها ولكنك ادخلت فيها ما ليس منها فقال ابو عامر امات الله الكاذب منا طريداً وحيدا فخرج الى أهل الشام وارسل الى المنافقين ان استعدوا السلاح ثم اتى قيصر واتى بجند ليخرج النبي (ص) من المدينة فمات بالشام طريداً وحيدا عن سعيد بن المسيب وقيل المعني به منافقوا اهل الكتاب الذين كانوا يعرفون النبي ﷺ كما يعرفون ابناءهم ويكون معنى فانسلخ منها عرض عن آيات الله وتر كها فاتبعه الشيطان أي خذله الله وخلق بينه وبين الشيطان عن الحسن وابن كيسان وقيل انه مثل ضربه الله لمن عرض عليه الهدى فأبى أن يقبله عن قتادة وقال ابو جعفر (ع) الأصل في ذلك بلم ثم ضربه الله مثلاً لكل مؤثر هواه على هدى الله من أهل القبلة وقيل ايضا في الآيات التي اوتيتها اقول آخر منها أن المراد بها المعجزات الدالة على صدق الأنبياء فلم يقبلها وعري عنها يعني فرعون عن ابي مسلم فكانه قال اتل عليهم نبا فرعون اذ آتينا الحجج الدالة على صدق موسى فلم يقبلها ومنها ان الآيات الايمان والهدى والدين عن الحسن ومنها انها النبوة عن مجاهد وهذا لا يجوز لأن الأنبياء منزّهون عن ذلك فإنهم حجج الله على خلقه (ولو شئنا لرفعناها) أي تلك الآيات والهاء في رفعنا يعود الى الذي آتاه الله آياته فانسلخ منها معناه ولو شئنا لرفعنا منزلته بأياته ومعرفة قبل أن يكفر ولكن بقيناه ليزداد الايمان فكفر عن الجبائي وقيل معناه ولو شئنا لخلقنا بينه وبين ما اختاره من المعصية وهذا اخبار عن كمال قدرته عن البلخي والزجاج (ولكنه اخذ الى الارض) أي ركن الى الدنيا ومال اليها عن سعيد بن جبير والسدي ومعناه ولكنه مال الى الدنيا يثار الراحة والدعة في لذة (واتبع هواه) أي وانقاد طواه في الركون الى الدنيا واختيارها على الآخرة ثم ضرب له مثلاً فقال (فمثلته كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث) معناه فصفته كصفة الكلب ان طردته وشدت عليه يخرج لسانه من فمه وان تركته ولم تطرده يخرج لسانه من فمه ايضا وتحمل عليه من الحمله لا من الحمل والمعنى ان وعظته فهو ضال وان لم تعظه فهو ضال في كل حال كما ان كل شيء يلهث فإنما يلهث في حال الاعياء والكلال الا الكلب فإنه يلهث في كل حال ومثله قوله سبحانه سواء عليكم ادعوتهم أم أنتم صامتون وقيل إنما شبهه بالكلب في الخسة وقصور الهمة وسقوط المنزلة ثم وصف الكلب باللهث على عادة العرب في تشبيهه الشيء بالشيء ثم يأخذون في وصف المشبه به وان لم يكن ذلك الوصف في المشبه وذلك يكثر في كلامهم عن ابي مسلم وقيل شبهه

بالكلب اذا اخرج لسانه لا يذانه الناس بلعانه حملت عليه او تركته يقال لمن آذى الناس بلسانه فلان اخرج لسانه من الفم مثل الكلب ولهته في هذا الموضع صباحه ونباحه وقيل ان هذا مثل للذي يقرأ القرآن فلا يعمل به عن مجاهد (ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا) معناه ذلك صفة الذين يكذبون بآيات الله قال ابن عباس يريد اهل مكة كانوا يمتنون هاديا يهديهم ويدعوهم الى طاعة الله فلما جاءهم من لا يشكون في صدقه كذبوه فلم يهتدوا لما تركوا ولم يهتدوا لما دعوا بالرسول والكتتاب (فاقصص القصص) اي فاقصص عليهم اخبار الماضين (لهمم يتفكرون) فيعتبرون ولا يفعلون مثل فعلهم حتى لا يحل بهم ما حل بهم ثم وصف الله تعالى بهذا المثل الذي ضربه وذكره بأنه (ساء مثلا) اي بسئ مثلا مثل (القوم الذين كذبوا بآياتنا) ومعناه بثت الصفة المضروب فيها المثل او وقع حال المضروب فيه لأن المثل حسن وحكمة وصاب وانما القبيح صفتهم (وانفسهم كانوا يظلمون) اي وانما نقصوا بذلك انفسهم ولم ينقصوا شيئا لأن عقاب ما يفعلونه من المعاصي يحل بهم والله سبحانه لا يضره كفرهم ومعصيتهم كما لا ينفخه ايمانهم وطاعتهم (من هدى الله فهو المهتدي) كتبت ههنا بالياء ليس في القرآن غيره بالياء وأثبت الياء ههنا في اللفظ جميع القراء ومعناه من يهده الله الى نيل الثواب كما يهدي المؤمن الى ذلك والى دخول الجنة فهو المهتدي للايمان والخير عن الجبائي (ومن يضل أي ومن يضلله الله عن طريق الجنة وعن نيل الثواب عقوبة على كفره وفسقه لا فاولئك هم الخاسرون) خسروا الجنة ونعيمها وخسروا انفسهم والانتفاع بها وقيل المهتدي هو الذي هداه الله لقبيل الهداية واجاب اليها والذي أضله الله هو الذي اختار الضلالة فخلّى الله بينه وبين ما اختاره ولم يمنعه منه بالجبر عن البلخي

قوله تعالى (١٧٩) وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (١٨٠) وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٨١) وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ (ثلاث آيات)

❖ القراءة ❖

قرأ حمزة يلحدون بفتح الياء والحاء حيث كان وواقه الكسائي وخلف في النحل والباقون يلحدون بضم الياء وكسر الحاء

❖ الحجة ❖

قال ابو الحسن لحدوا لحدفتان والحد في الكلام اكثر قال الشاعر « ليس الامام بالشحيح المالحد » وفي القرآن ومن يرد فيه بالحاد

❖ اللفظة ❖

الذره والانشاء والاحداث والخلق نظائر قال علي بن عيسى الاسم كلمة تدل على المعنى دلالة الاشارة والفعل كلمة تدل على المعنى دلالة الافادة والصفة كلمة مأخوذة للمذكور من اصل من الاصول لتجري عليه تابعة له والاحاد العدول عن الاستقامة والانحراف عنها ومنه الاحد الذي يحفر في جانب القبر خلاف الضريح الذي يحفر في وسطه وروى ابو عبيدة عن الاحمر لحدت جرت وملت والحدت ماريت وجادلت

ابو عبيدة لحدت للمبت والحدت بمعنى واحد

❖ الإعراب ❖

اللام في قوله لجهنم لام العاقبة كما في قوله فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وإنما التقطوه ليكون لهم قرة عين كما قالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك ومثله قول الشاعر

وَأَمَّ سِمَاكِ فَلَا تَجْزَعِي فَلِلْمَوْتِ مَا تَلِدُ الْوَالِدَةَ

وقول الآخر

وَالْمَوْتِ تَفْذُو الْوَالِدَاتُ سِخَالَهَا كَالْخَرَابِ الدَّهْرِ تُبْنِي الْمَسَاكِينَ

وقول الآخر

أَمْوَالُنَا لِذَوِي الْمِيرَاثِ نَجْمَعُهَا وَدُورُنَا لِخَرَابِ الدَّهْرِ نَبْنِيهَا

وقول الآخر

يَا أُمَّ وَجْرَةَ بَصْدَ الْوَجْدِ وَاعْتَرَفِي فَكُلُّ وَالِدَةٍ لِلْمَوْتِ مَا تَلِدُ

قال علي بن عيسى هي لام الإضافة تذكراً مرة على معنى العلة ومرة على معنى شبه العلة

❖ المعنى ❖

لما بين سبحانه أمر الكفار وضرب لهم الأمثال عقبه ببيان حالهم في المصير والمآل فقال (ولقد ذرانا أي خلقنا لجهنم كثيرا من الجن والانس) يعني خلقناهم على ان عاقبتهم المصير الى جهنم بكفرهم وانكارهم وسوء اختيارهم ويدل على هذا المعنى قوله سبحانه وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فاخبر انه خلقهم للمعبادة فلا يجوز أن يكون خلقهم للنار وقوله وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله ولقد صرفناه بينهم ليدكروا في نظائر ذلك لا تحصى والمراد بالآية كل من علم الله تعالى انه لا يؤمن ويصير الى النار (لهم قلوب لا يفقهون بها) الحق لانهم لا يتدبرون ادلة الله تعالى وبيناته (ولهم اعين لا يبصرون بها) الرشد (ولهم آذان لا يسمعون بها) الوعظ لانهم يعرضون عن جميع ذلك اعراض من ليست له آلة الادراك وقد مر تفسيره في سورة البقرة عند قوله صم بكم عمي الآية (اولئك كالانعام) أي هولاء الذين لا يتدبرون آيات الله ولا يستدلون بها على وحدانيته وصدق انبيائه اشباه الانعام والبهائم التي لا تفقه ولا تعلم (بل هم اضل) من البهائم فانها اذا زجرت انزجرت واذا ارشدت الى طريق اهتدت وهولاء لكفرهم وعتوهم لا يهتدون الى شيء من الخيرات مع ما ركب الله فيهم من العقول الدالة على الرشاد الصارفة عن الفساد ولم يذكر بل ههنا للرجوع عن الاول ولكن للإضراب عنه مع بقائه وقيل إنما قال بل هم اضل من الانعام لأن الانعام لم تعط آلة المعرفة والتمييز فلا تاحقها المذمة وهولاء اعطوا آلة المعرفة والتمييز فضيعوها ولم ينتفعوا بها ولأن الانعام وان لم تكن مطيعة لم تكن عاصية وهولاء عصاة فهم اسوء حالا منها (اولئك هم النافلون) عن آياتي وحججي وعن الاستدلال والاعتبار بتدبرها والتفكر فيها دون البهائم التي هي مسخرة مصرفة وقيل النافلون عما يحل بهم في الآخرة من العذاب (والله الاسماء الحسنى) اخبر سبحانه ان له الاسماء الحسنى لحسن معانيها مثل الجواد والرحيم والرازق والكريم ويقال إن جميع اسمائه داخلة في وانها كلها حسنة متضمنة لمعان حسنة فمنها ما يرجع الى صفات ذاته كالعالم والقادر والحلي والاوله والقديم والسميع والبصير ومنها

ما هي صفات فعله كالتالي والرازق والمبدع والمحيي والميت ومنها ما يفيد التنزيه ونفي صفات النقص عنه كالغني والواحد والقدوس ونحو ذلك وقيل المراد بالحسنى ما مالت اليه النفوس من ذكر العفو والرحمة دون السخط والتعنة (فادعوه بها) أي بهذه الاسماء الحسنى ودعاؤه بها أن يقال يا الله يا رحمن يا رحيم يا خالق السموات والارض وكل اسم لله سبحانه فهو صفة مفيدة لأن القلب لا يجوز عليه فإنه بمنزلة الإشارة الى الحاضر وقد ورد في الحديث ان لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحدة من احصاها دخل الجنة إنه وترى يحب الوتر اورده مسلم في الصحيح (وذروا الذين يلحدون في اسماؤه) أي دعوا الذين يعدلون باسماء الله تعالى عما هي عليه فيستون بها اصنامهم ويغيرونها بالزيادة والنقصان فاشتقوا اللات من الله والمرى من العزيز ومنات من المنان عن ابن عباس ومجاهد وقيل ان معنى يلحدون في اسماؤه يصفونه بما لا يليق به ويسمونه بما لا يجوز تسميته به وهذا الوجه اعم فائدة ويدخل فيه قول الجبائي اراد تسميتهم المسيح بأنه ابن الله وفي هذا دلالة على انه لا يجوز أن يسمى الله تعالى إلا بما سمي به نفسه (سيحزون ما كانوا يعملون) في الآخرة وقيل في الدنيا والآخرة (ومن خلقنا امة يهدون بالحق) اخبر سبحانه أن من جملة من خلقه جماعة وعصبة يدعون الناس الى توحيد الله تعالى والى دينه وهو الحق يرشدونهم اليه (وبه يعدلون) أي وبالحق يحكمون وروى ابن جريج عن النبي ﷺ انه قال هي لا امتي بالحق يأخذون وبالحق يعطون وقد أعطي القوم بين ايديكم مثلها هو من قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون وقال الربيع بن انس قرأ النبي ﷺ هذه الآية فقال ان من امتي قوما على الحق حتى ينزل عيسى بن مريم وروى العياشي باسناده عن امير المؤمنين علي (ع) انه قال والذي نفسي بيده لتفترقن هذه الامة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار الا فرقة واحدة ومن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون فهذه التي تنجو وروي عن ابي جعفر وابي عبد الله (ع) انهما قالنا نحن هم

✽ النظم ✽

قيل في وجه اتصال هذه الآية بما قبلها وجهاً ✽ احدها ✽ أنه لما بين في الآية المتقدمة حال قوم من الكفار يغفلون عن الحق بين في هذه الآية أن من جملة ما خلق من يهدي الى دينه بالحق ويحكم بالعدل والآخرة يتصل بقوله ذرنا فكانه قال خلقنا قوما صفتهم كذا وكذا وقوما صفتهم كذا قوله تعالى (١٨٢) وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (١٨٣) وَأَمْ لِي لَهُمْ إِنْ كَيْدِي مَبِينٌ (١٨٤) أَوْلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مَبِينٌ (١٨٥) أَوْلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَخَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ (١٨٦) مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْنَهُونَ (خمس آيات)

✽ القراءة ✽

قرأ أهل العراق ويذرم بالياء والجزم كوفي غير عاصم والباقون ونذرم بالنون والرفع

✽ الحجة ✽

من قرأ بالنون فالتقدير وانا نذرهم ومن قرأ بالياء رده الى اسم الله تعالى أي وهو يذرهم ويكون

مقطوعاً عن الأول على الوجهين ولم يكن جواباً ومن جزمه فإنه عطفه على موضع الفاء وما بعده من قوله
 فلا هادي له ومثله في الحمل على الموضع قوله فاصدق واكن لأنه لو لم يلحق الفاء لقبيل لولا اخرتني
 اصدقت لأن معنى لولا اخرتني اخرتني اصدق ومثله قول الشاعر

أَنْتَى سَلَكَتَ فَأَنْتَى لَكَ نَاصِحٌ وَعَلَى أَنْتِقَاصِكَ فِي الْحَيَاةِ وَازْدَدَ

وقول ابي دواد

قَابَلُونِي بَلِيَّتِكُمْ لَعَلِّي أَصَالِحُكُمْ وَأَسْتَدْرِجُ نَوِيًّا

حمل استدرج على موضع الفاء المحذوفة من قوله فاعلى اصلحك وموضعه جزم

✽ اللفظة ✽

الاستدرج اصله من الدرجة وهو أن يؤخذ قليلاً قليلاً ولا يباغت كما يرتقي الراقي الدرجة فيندرج شيئاً بعد شيء حتى يصل الى العلو وقيل اصله من الدرج الذي يطوى فكانه يطوي منزلة بعد منزلة كما يطوي الدرج ويقال درج القوم اذا مات بعضهم في اثر بعض والاملاء التأخير والامهال من المي يقال مضى عليه ملي من الدهر وملاوة من الدهر بضم الميم وفتحها وكسرها أي قطعة منه وأصل الاملاء الاستمرار على العمل من غير لبث من املت الكتاب ومنه الملاءة للفلاة ذات الحر والسراب لاستطالة المكث فيه والمتين القوي والشديد واصله من المتن وهو اللحم الغليظ الذي عن جانب الصلب وهما متنان والكبد والمكر واحد والجنة الجنون واصله الستر والملكوت هو الملك الأعظم للمالك الذي ليس بمملوك

= « المعنى » =

لما ذكر سبحانه المؤمنين بمحمد ﷺ الهادين بالحق ذكر بعده المكذبين بآياته فقال (والذين كذبوا بآياتنا) التي هي القرآن والمعجزات الدالة على صدق النبي ﷺ وكفروا بها (سنستدرجهم من حيث لا يعلمون) الى الهلكة حتى بقعوا فيه بفتنة كما قال سبحانه بل تأتيهم بفتنة فتبتهم فلا يستطيعون ردها وقال فيأتيهم بفتنة وهم لا يشعرون فيقولوا هل نحن منظررون وقيل يجوز ان يريد عذاب الآخرة اي تقرهم اليه درجة درجة الى ان يقعوا فيه وقيل هو من المدرجة وهي الطريق ودرج اذا مشى سرعاً اي سنأخذهم من حيث لا يعلمون اي طريق سلكوا فإن الطريق كماها على ومرجع الجميع الي ولا يفلني غالب ولا يسبني سابق ولا يفوتني هارب وقيل انه من الدرج اي سنطوبهم في الهلاك ونرفهم عن وجه الأرض يقال طويت فلاناً وطويت أمر فلان اذا تركته وهجرته وقيل معناه كلما جدوا خطيئة جددنا لهم نعمة عن الضحاك ولا يصح قول من قال ان معناه سنستدرجهم الى الكفر والضلال لأن الآية وردت في الكفار وتضمنت انه يستدرجهم في المستقبل فإن السين تختص المستقبل ولأنه جمل الاستدرج جزاء على كفرهم وعقوبة فلا بد من ان يريد معنى آخر غير الكفر وقوله (وأمل لهم) معناه وامهالهم ولا اعاجلهم بالعقوبة فإنهم لا يفوتوني ولا يفوتني عذابهم (إن كيدي متين) اي عذابي قوتي متين لا يمنعه مانع ولا يدفعه دافع وسماه كيدا لتزوله بهم من حيث لا يشعرون وقيل اراد ان جزاء كيدهم متين والقول هو الأول (او لم يتفكروا ما يصاحبهم من جنة) معناه او لم يتفكروا هؤلاء الكفار المكذبون بمحمد ﷺ وبنبوتهم في اقواله وافعاله فاعلموا انه ﷺ ليس بجنون اذ ليس في اقواله وافعاله ما يدل على الجنون وتم الكلام عند قوله او لم يتفكروا ثم ابتداء فقال

مابصاحبهم من جنة اني ليس به جنون وذلك ان رسول الله ﷺ صمد الصفا وكان يدعوقربشا فخذاً
 فخذاً الى توحيد الله ويخوفهم عذاب الله فقال المشركون ان صاحبهم قد جن بات ليلا بصوت الى الصباح
 فأنزل الله هذه الآية عن الحسن وقتادة (ان هو الا نذير مبين) اي ماهو الا معلم موضع المخافة ليتقى ولموضع
 الا من ليحجبى ومعنى مبين بين امره وقيل مبين لهم عن الله امره فيهم ثم قال (اولم ينظروا) معناه اولم
 يتفكروا (في ملكوت السماوات والأرض) وعجيب صنعهما فينظروا فيها نظر المستدل المعتبر فيعترفوا بانها
 خالقا مالكا وبستدلوا بذلك عليه (وما خلق الله من شيء) اي وينظروا فيما خلق الله من اصناف خلقه
 فيملوا بذلك انه سبحانه خالق جميع الاجسام فان في كل شيء خلق الله عز وجل دلالة ولوضحة على اثباته
 وتوحيده (وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم) اي اولم يتفكروا وينظروا في ان عسى ان يكون قد قرب
 اجلهم وهو اجل موتهم فيدعوهم ذلك الى ان يحتاطوا لدينهم ولا أنفسهم مما يصيرون اليه بعد الموت من
 أمور الآخرة ويزهدوا في الدنيا وفيما يطلبونه من فخرها وشرفها وعرها ومعناه لعل اجلهم قريب وهم لا يعلمون
 (فبأي حديث بعده) اي بعد القرآن (يؤمنون) مع وضوح الدلالة على انه كلام الله المعجز اذ لم يقدر
 احد منهم ان يأتي بسورة مثله وسماه حديثا لانه محدث غير قديم (من يضل الله فلا هادي له) قد ذكرنا
 معناه (ونذرهم في طغيانهم يعمهون) معناه وتوكلهم في ضلالتهم يتحيرون والعمه في العين
 قوله تعالى (١٨٧) يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي لا بجليها اوقتها
 إلا هو تقلت في السماوات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة يسألونك كأنك حفي عنها قل
 إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون آية

❖ الفنة ❖

أيان معناه متى وهو سؤال عن الزمان على وجه الظرف للفعل قال الشاعر

أيان تقضي حاجتي أيانا أما ترى لنجحها أبانا

والساعة هنا الساعة التي يموت فيها الخلق والارساء الاثبات ومرعيا مثبتها ورسا الشيء يرسوه وراس
 اذا ثبت وارساه غيره والحفي المستقصي في السؤال واحفي فلان بفلان في المسئلة اذا أكثر عليه وألح قال الاعشى

فان تسألني عني فيا رب سائل حفي عن الأعشى به حيث أصغدا

ومنه اجفى شاربه اذا استقصى اخذه وحفيت الدابة تحفى حفى مقصورا اذا أكثر عليها ألم المشي والحفاء ممدودا
 المشي بغير نعل

❖ الإعراب ❖

الكاف في يستلونك المفعول الأول وعن الساعة في موضع المفعول الثاني وايان مرساها يتعلق بمذلول
 السؤال والتقدير قائلين ايان مرساها . مرساها في موضع رفع بالابتداء وايان خبره وبغته مصدر في موضع
 الحال من الضمير في تأتيكم

❖ النزول ❖

قيل جاء قوم من اليهود فقالوا يا محمد اخبرنا عن الساعة متى هي ان كنت نبياً فنزلت الآية عن ابن

عباس وقيل قالت قريش يا محمد متى الساعة فنزلت الآية عن قتادة والحسن

﴿ المعنى ﴾

لما تقدم الوعيد بالساعة سألوا عن وقتها فقال تعالى (يسألونك) يا محمد (عن الساعة) وهي الساعة التي يموت فيها الخلق عن الزجاج وقيل هي القيامة وهو وقت قيام الناس في الحشر عن أكثر المفسرين وقيل هو وقت فناء الخلق عن الجبائي (ايان مرساها) أي متى وقوعها وكونها عن الزجاج وقيل مرساها متساها عن ابن عباس وقيل قيامها عن قتادة والسدي (قل) يا محمد (إنما علمها عند ربي) أي إنما علم وقت قيامها وبقيتها عند الله تعالى لم يطلع عليه احد من خلقه وإنما لم يخبر سبحانه بوقتها ليكون العباد على حذر منه فيكون ذلك أدعى لهم الى الطاعة وازجر عن المعصية (لا يجليها لوقتها إلا هو) أي لا يظهرها ولا يكشف عن علمها ولا يبين وقتها إلا هو فلا يعلم احد سواه متى يكون قبل وقتها وقيل معناه لا يأتي بها إلا هو عن مجاهد (ثقلت في السماوات والأرض) ذكر فيه وجوه ﴿ أحدها ﴾ ثقل علمها على أهل السماوات والأرض لأن من خفي عليه علم شيء كان ثقيلاً عليه عن السدي وغيره قال ابو علي الفارسي أصل هذا قولهم احطت به علماً أي ذل لي فصرت لعلمي به غالباً عليه فحفت علي ولم يشغل كما يشغل ما لا تعلمه عليك ﴿ وثانيها ﴾ ان معناه عظمت على أهل السماوات والأرض صفتها لما يكون فيها من انتشار النجوم وتكوير الشمس وتسيير الجبال وغير ذلك عن الحسن وابن جريج ﴿ وثالثها ﴾ ثقل وقوعها على أهل السماوات والأرض لعظمتها وشدتها ولما فيها من المحاسبة والمجازاة عن الجبائي وابي مسلم وجماعة ﴿ ورابعها ﴾ أن المراد نفس السماوات والأرض أي لا تطبق السماوات والأرض حملها العظماء وشدتها عن قتادة والمعنى انها لو كانت احياء لثقل عليها تلك الأحوال من انفطار السماوات وانكدار النجوم وتسيير الجبال وغيرها (لا تأتكم إلا بفتة) أي فجأة لتكون اعظم واهول (يسألونك كأنك حفي عنها) معناه يسألونك عنها كأنك حفي بها أي عالم بها قد اكثرت المسألة عنها عن مجاهد والضحاك واصله من احفيت في السؤال عن الشيء حتى علمته أي استقصيت فيه وروي عن ابن عباس انه قرأ كأنك حفي بها فعلى هذا يكون الجار والمجرور الذي هو عنها محذوفاً لدلالة الحال عليها كما يكون في التقدير الأول يكون الجار والمجرور الذي هو بها محذوفاً للدلالة عليها ايضاً الا ترى انه اذا كان حفيها فلا بد أن يسأل عنها كما انه اذا سأل عنها فليس ذلك إلا للحفاوة بها وقيل فيه معنى آخر وهو أن يكون تقديره يسألونك عنها كأنك حفي بهم أي بآرهم فرح بسؤالهم والحفاوة في المسألة هي البشاشة بالسؤال عنه وقيل معناه كأنك معني بالسؤال عنها فسألت عنها حتى علمتها وعلى هذا فإن السؤال يوصل بمن فلا يوضع قوله حفي موضع السؤال وصله بمن وتقديره كأنك حفي بالمسألة عنها او تسأل عنها فتعلمها (قل) يا محمد (إنما علمها عند الله) لا يعلمها إلا هو وإنما اعاد سبحانه هذا القول لأنه وصله بقوله (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) وقيل اراد بالأول علم وقت قيامها وبالثاني علم كيفيتها وهيأتها وتفصيل ما فيها عن الجبائي قال وهذا يدل على بطلان قول الرافضة أن الأئمة منصوص عليهم باعيانهم إمام بعد إمام الى يوم القيامة لأنه لو كان كذلك لوجب أن يعلم آخر الأئمة أن القيامة تقوم بعده وذلك خلاف قوله قل إنما علمها عند الله وهذا ضعيف لأنه غير ممتنع أن يعلم آخر الأئمة انه لا إمام بعده وإن لم يعلم وقت قيام الساعة لأنه لا يعلم وقت وفاته بعينه هذا إذا قيل إن

الساعة وقت فناء الخلق او موتهم واذا قيل ان الساعة عبارة عن وقت الحشر فقد زالت الشبهة لانه اذا علم انه يفني الخلق بعده لا يجب ان يعلم متى يحشر الخلق على انه قد وردت الرواية ان التكليف يزول عند موت آخر الائمة لظهور اشراط الساعة وامارات قيامها نحو طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة وغير ذلك ومع هذا فيجوز ان لا يعلم وقت قيام الساعة

قوله تعالى (١٨٨) قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْكَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ آية

✽ النزول ✽

قيل ان أهل مكة قالوا يا محمد ألا يخبرك ربك بالسر الرخيص قبل ان يغلو فشرته فربح فيه وبالارض التي تريد ان تجذب فترحل منها الى ارض قد اخصبت فانزل الله هذه الآية

﴿ المعنى ﴾

(قل) يا محمد (لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله) ان يملكني آياه فاملكه بتملكه اياي (ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير) وهاهنا محذوف آخر وهو قوله ولا اعلم الغيب الا ما شاء الله ان يعلمنيه ولو كنت اعلم الغيب لادخرت من السنة المخصصة لسنة المجدي ولا شترت وقت الرخص لايام الغلاء وقيل معناه لاستكثرت من الاعمال الصالحة قبل اقتراب الاجل ولم اشتغل بغيرها ولا خرت الا فضل فالأفضل عن مجاهد وابن جريج وقيل معناه لو كنت اعلم ما اسأل عنه من الغيب لاستكثرت من الخير أي لأجبت في كل ما اسأل عنه من الغيب في امر الساعة وغيرها عن الزجاج (وما مسني السوء) أي وما اصابني الضر والفقر وقيل معناه وما بي جنون كما تزعمون فيكون ابتداء وقيل معناه وما مسني التكذيب منكم لاني اذا كنت عالما بكل شيء اجبت عن كل ما اسأل عنه فتصدقونني ولا تكذبونني وقيل معناه وما مسني سوء من جهة الاعداء لاني كنت اعلم ذلك فاتحرز منه (ان انا الا نذير) مخوف بالعباد (وبشير) مبشر بالثواب (لقوم يؤمنون) خصهم بالذكر لانهم المتفعمون بذلك كقوله انما تنذر من اتبع الذكر وان كان ينذر غيرهم ايضا وفي قوله الا ما شاء الله دلالة على فساد مذهب المجبرة لان الافعال كلها لو كانت مخلوقة لله لما صح الاستثناء منها لان احدا لا يملك عندهم شيئا وفي قوله لو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير دلالة على ان القدرة قبل الفعل لانها لو كانت مع الفعل لما امكنه الاستكثار من الخير اذا علم الغيب

✽ النظم ✽

وجه اتصال الآية بما قبلها انه لما تقدم اجابة القوم بأنه لا يعلم الغيب عقبه بأن علم الغيب يختص به المالك للنفع والضر وهو الله سبحانه عن ابي مسلم وقيل ان الآية في معنى جواب سؤالهم ايضا فكانه قال اذا أنا لا املك ان اسوق الى نفسي نفعا ولا ان ادفع عنها ضرا فكيف اعلم الغيب

قوله تعالى (١٨٩) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلًا خَفِيًّا فَهَمَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَتَتْكَ دَعَاكَ اللَّهُ رَبُّهَا لِيَنْ آتِبْنَا صَالِحًا لَنَكُونَ

مِنَ الشَّاكِرِينَ (١٩٠) فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلْنَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ
(١٩١) أَيْشُرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلِقُونَ (١٩٢) وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسُهُمْ
يَنْصُرُونَ (١٩٣) وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُواكُمْ سِوَاكُمْ عَلَيْهِمْ أَدْعَاؤُهُمْ أَمْ
أَنْتُمْ صَامِتُونَ خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل المدينة وأبو بكر شريكاً بكسر الشين والتنوين على المصدر لا على الجمع وهو قراءة الأعرج وعكرمة
والباقون شركاء بضم الشين والمد على الجمع وروى في الشواذ قراءة يحيى بن يعمر فمرت به خفيفة وقرأ
نافع لا يتبعوكم وفي الشعراء يتبعهم بالتخفيف والباقون يتبعوكم بالتشديد

﴿ الحجة ﴾

من قرأ شركاً فإنه حذف المضاف وتقديره جلاله ذا شرك أو ذوي شرك فالقراءتان على هذا بولان إلى
معنى واحد فإن معنى جلاله شركاء جلاله ذوي شرك والضمير في له يعود إلى اسم الله ومن قرأ فمرت
به خفيفة فإنه ينبغي أن يكون أصله التشديد كقراءة الجماعة إلا أنه حذفه تخفيفاً لثقل التضعيف قالوا مسّت
يده أي مسستها وقال أبو زيد

خَلَا إِنَّ الْعِتَاقَ مِنَ الْمَطَايَا أَحْسَنَ بِهِ فَهِنَّ إِلَيْهِ شَوْسٌ^(١)

أي أحسن به وقيل أنه من المرية أي شكّت أحمّت أم لا وعن الحسن شكّت أغلام أم جارية وروى
أن عبد الله بن عمر قرأ فارت به وهو من قولهم ما يمور إذا ذهب وجاء وقرأ ابن عباس فاستمرت به
ومعناه مرت به مكلفة نفسها ذلك لأن استفعل يأتي في أكثر الأمر بمعنى الطلب ومن قرأ لا يتبعوكم فإنه
في المعنى مثل القراءة الأخرى قال أبو زيد رأيت القوم فاتبعتهم إتباعاً أي ذهبت معهم واتبعتهم إتباعاً
إذا سبقوك فأسرعت نحوهم وتبعتمهم مثل اتبعتمهم في المعنى اتبعهم تبعاً

﴿ المعنى ﴾

لما تقدّم ذكر الله تعالى ذكر عقيقه ما يدل على وحدانيته فقال (هو الذي خلقكم) والخطاب لبني آدم
(من نفس واحدة) يعني آدم (ع) (وجعل) أي وخلق منها زوجها) يعني حواء (ليسكن) آدم (اليها) ويأنس بها (فلما
تفسيها) أي فلما أصابها كما يصيب الرجل زوجته يعني وطأها وجامعها (حلت حملاً خفيفاً) وهو الماء الذي
حصل في رحمها وكان خفيفاً (فمرت به) أي استمرت بالحمل على الخفة تقوم وتعد وتجي وتذهب كما كانت
من قبل لم يمنها ذلك الحمل عن شيء من التصرف (فلما أثقلت) أي صارت ذات ثقل كما يقال أثمرت الشجرة
صارت ذات ثمر وقيل معناه دخلت في الثقل كما يقال أصاف دخل في الصيف واشتد في الشتاء
والمعنى لما كبر الحمل في بطنها وتحركت وصارت ثقيلة به (دعوا الله ربها) يعني آدم وحواء سألا الله تعالى
عند كبر الولد في بطنها (لئن آتيتنا صالحاً) أي اعطينا ولدًا صالحاً عن أبي مسلم وقيل نسلاً صالحاً أي معافى
سليماً صحيح الخلق عن الجبائي وقيل بشراً سوياً عن ابن عباس وقيل غلاماً ذكرًا عن الحسن (لنكونن من
الشاكرين) لنعمتك علينا قال الجبائي وإنما قالوا ذلك لأنها أرادت أن يكون لها أولاد يونسونها في الموضوع

(١) العتاق - ككتاب - النجيبات من الإبل. والمطايا جمع مطية. الدابة السريعة. والشوس كقفل جمع شوساء
مؤنث أشوس وهو الذي ينظر بمؤخر عينه.

الذي كانا فيه لأنهما كانا فردين مستوحشين وكان اذا غاب احدهما عن الآخر بقي الآخر مستوحشا بلاموئس ويحتمل ايضا ان يكون اراد بقوله صالحا مطيما فاعلا للخير مصاحبا غير مفسد (فلما آتاهما) الله (صالحا) كالتمساح (جملا له شركاء فيما آتاهما) اختلف في من يرجع الضمير الذي في جملا اليه على وجوه * احدها * انه يرجع الى النسل الصالح اي المعافى في الخلق والبدن لا في الدين وايضا نئى لأن حواء كانت تلد في كل بطن ذكرا وانثى يعني ان هذا النسل الذين هم ذكر وانثى جملا له شركاء فيما اعطاهما من النعمة فأضافاتك النعم الى الذين اتخذوهم آلهة مع الله تعالى من الاصنام والأوثان عن الجبائي (- وثانيها) - انه يرجع الى النفس وزوجها من ولد آدم لا الى آدم وحواء عن الحسن وقتادة وهو قول الاصم قال ويكون المعنى في قوله خلقكم من نفس واحدة خالق كل واحد منكم من نفس واحدة وكل نفس زوج هو منها اي من جنسها كما قال سبحانه ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها فلما تمشى كل نفس زوجها حملت حملا خفيفا وهو ماء الفحل فلما انثقت عصير ذلك الماء لحما ودما وعظما دعا الرجل والمرأة ربها لئن آتينا صالحا اي ذكرا سويا لنكونن من الشاكرين وكانت عادتهم ان يثدوا البنات فلما آتاهما يعني الأب والأم صالحا جملا له شركاء فيما آتاهما لأنهم كانوا يستمون عبد المزي وعبد اللات وعبد منات ثم رجعت الكناية الى جميعهم في قوله (فتعالى الله عما يشركون) فالكنيابة في جميع ذلك غير متعلقة بآدم وحواء ولو كانت متعلقة بهما لقال عما يشركان وقال ابو مسلم تقدير الآية هو الذي خلقكم والخطاب لجميع الخلق من نفس واحدة يعني آدم وجعل من ذلك النفس زوجها وهي حواء ثم انقضى حديث آدم وحواء وخص بالذكر المشركين من اولاد آدم الذين سألوها ما سألوها وجمالوا له شركاء فيما آتاهم قال ويجوز ان يذكر العموم ثم يخص البعض بالذكر ومثله كثير في الكلام قال تعالى هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك وجريتم بهم بربح طيبة فخاطب الجماعة بالتسيير ثم خص ركب البحر بالذكر وكذلك هذه الآية اخبرت عن جملة البشر بأنهم مخلوقون من آدم وحواء ثم عاد الذكر الى الذي سأل الله تعالى ما سأل فلما اعطاه اياه ادعى له شركاء في عطيقه قال وجائز ان يكون معنى قوله هو الذي خلقكم من نفس واحدة المشركين خصوصا اذا كان كل واحد من بني آدم مخلوقا من نفس واحدة وزوجها وذكر قريبا من قول الاصم قال وقد يجيء مثله في التنزيل وغيره قال سبحانه والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم والمعنى فاجلدوا كل واحد منهم * وثالثها * ان الضمير يرجع الى آدم وحواء عليهما السلام ويكون التقدير في قوله جملا له شركاء جعل اولادهما له شركاء فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه فصار جملا وهذا مثل قوله سبحانه اتخذتم العجل واذ قلتم نفسا والتقدير واذ قتل اسلافكم نفسا واتخذ اسلافكم العجل فحذف المضاف وعلى هذا الوجه تكون الكناية من أول الكلام الى آخره راجعة الى آدم وحواء ويقويه قوله سبحانه فتعالى الله عما يشركون * ورابعها * ما روت العامة انه يرجع الى آدم وحواء وانها جملا لله شريكا في التسمية وذلك انها أقاما زمانا لا يولد لها فمر بها ابليس ولم يعرفه فشكوا اليه فقال لها ان اصاحت حالكما حتى يولد لكما ولد أتسميانه باسمي قالان نعم وما اسمك قال الحارث فولد لها فسمياه عبد الحارث ذكره ابن فضال وقيل ان حواء حملت أول ما حملت فأتاهما ابليس في غير صورته فقال لها يا حواء ما هو منك ان تكون في بطنك بهيمة فقالت لا دم لقد أتاني أت فأخبرني ان الذي في بطني بهيمة وإني لا أجده ثقلا فلم

﴿ القراة ﴾

قرأ ابو جعفر وحده يبطشون ههنا وفي القصص والدخان بضم الطاء والباقون بكسرها وقرأ هشام ويعقوب كيدوني بياء في الوقف والرصل ووافقها ابو جعفر وابو عمرو واسماعيل في الرصل والباقون بغير ياء في الخالين وقرأ تنظروني بالياء في الخالين يعقوب

﴿ الحجية ﴾

بطش يبطش وَيَبْطِشُ والكسر افصح وقال ابو علي الفواصل من الكلام التام تجري مجرى القوافي لاجتماعها في ان الفاصلة آخر الآية كما ان القافية آخر البيت وقد ازموا في القوافي حذف هذه اليات قال الاعشى

فَهَلْ يَمْنَعُنِي اِرْتِيَادَ الْبِلَادِ مِنْ حَذْرِ الْمَوْتِ اَنْ يَأْتِيَنَّ (١)

والياء التي هي لام كذلك نحو قوله

يَلْمَسُ الْاِحْلَاسَ فِي مَنَزَلِهِ بِيَدَيْهِ كَالْيَهُودِيِّ الْمَصَلِّ (٢)

ومن اثبت فلان الاصل الاثبات

﴿ المعنى ﴾

ثم اتم سبحانه الحجية على المشركين بقوله (ان الذين تدعون من دون الله) يعني الاصنام يريد تدعونهم آلهة (عباد امثالكم) اي مخلوقة امثالكم عن الحسن وقيل مماوكون امثالكم عن الكلبي وقيل امثالكم في التسخير اي انهم مسخرون مذلون لان امر الله عن الاخفش ولما كانت الاصنام غير ممتعة مما يريد الله بها كانت في معنى العباد فلان التعبيد التذليل وطريق معبد موطن مساك ومنه قوله وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل اي ذلتهم واستخدمتهم ضروبا من الخدمة (فادعهم) هذا الدعاء ليس الدعاء الاول والمراد به فادعهم في مهماتكم ولكشف الاسواء عنكم (فليستجيبوا لكم) هذه لام الامر على معنى التعجيز والتهجين كما قال هاتوا برهانكم (ان كنتم صادقين) قال ابن عباس معناه فاعبدوهم هل يثيبونكم او يجازونكم ان كنتم صادقين ان لكم عندها منفعة وثراوا او شفاة ونصرة ثم فضل سبحانه بني آدم عليهم فقال (الهم ارجل يشون بها) اي لهؤلاء الاصنام ارجل يشون بها في مصالحكم (ام لهم ايد يبطشون بها) اي ياخذون بها في الدفع عنكم ومعنى البطش التناول والاخذ بشدة (ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم آذان يسمعون بها) اي ليس لهم هذه الحواس ولكم هذه الحواس فانتم افضل منهم فلو دعوتهم وعبدتهم من له الحياة ومنافعها للزمكم الدم واللوم بذلك لانها مخلوقة مربية فكيف تعبدون من انتم افضل منه ثم زاد سبحانه في تهجينهم فقال (قل) يا محمد ادعوا شركاكم اي هذه الالوان التي تزعمون انها آلهة وتشركونها في اموركم وتعملون لها حظا من المواشي وغيرها وتوجهون عبادتكم اليها اشرا كما بالله لها (ثم كيدوني) باجمعكم (ولا تنظرون) اي لا تؤخروني ومضاه ان معبودي ينصرتي ويدفع كيد الكائدين عني ومعبودكم لا يقدر على نصركم فلان قدرتم على ضرب فاجتمعا انتم مع اصنامكم وتظاهروا على كيدي ولا تهملوني في الكيد والاضرار فلان معبودي يدفع كيدكم عني

قوله تعالى (١٩٦) اِنْ وَّلِيَّيْ اَللّٰهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصّٰلِحِيْنَ (١٩٧) وَالَّذِيْنَ تَدْعُوْنَ مِنْ دُوْنِهٖ لَا يَسْتَطِيْعُوْنَ نَصْرَكَمْ وَلَا اَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُوْنَ (١٩٨) وَاِنْ تَدْعُوْهُمْ اِلَى الْهُدٰى لَا يَسْمَعُوْا وَاَنْتُمْ اَنْتُمْ يَنْظُرُوْنَ اِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُوْنَ (ثلاث آيات)

(١) الارتياح : طلب الشيء : (٢) قبل ان عادة اليهود ان يلبسوا حلسا حين يصلون كالرداء يجعلونه على اكتافهم .

- المعنى -

ثم بين سبحانه بعد ان ناصر نبيه ﷺ وحافظه فأمره ان يقول للمشركين (ان وليي) اي ناصرني وحافظني ودافع شرّك عني (الله الذي تزل الكتاب) اي القرآن يؤيدني بنصره كما اتزله علي (وهو يتولى الصالحين) اي ينصر المطيعين له المجتنبين معاصيه قارة بالدفع عنهم وأخرى بالحجة (والذين تدعون من دونه آلهة لا يستطيعون نصركم) اي لا يقدرّون على ان ينصروكم ولا ان يدفعوا عنكم (ولا انفسهم ينصرون) كرر هذا لأن ما تقدم فإنه على وجه التقرّيع والتوبيخ وما ذكره هنا فإنه على وجه الفرق بين صفة من يجوز له العبادة وصفة من لا يجوز له العبادة فكأنه قال ان من أعبده ينصرني ومن تعبدونه لا يقدر على نصركم ولا على نصر نفسه (وان تدعوهم) يعني ان دعوتهم هو لاء الذين تعبدونهم من الاصنام (الى الهدى) اي إلى الرشد والمنافع عن الجبائي والفرأ وقيل معناه وان دعوتهم المشركين الى الدين عن الحسن (لا يسمعوا) اي لا يسمعوا دعاءكم (وتراهم) فاتحة اعينهم نحوكم على ما صورّتهم عليه من الصور وقال الجبائي جعل الله انفتاح عيونهم في مقابلتهم نظرا منهم اليهم مجازا لأن النظر قلب الحديقة الصحيحة نحو المرئ طلبا لرويته وذلك لا يتأتى في الجماد ويقال تناظر الخائطان اذا تقابلا وقيل معناه لا يقبلوا ومنه سمع الله لمن حمده (وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون) الحجة يعني مشركي العرب عن الحسن ومجاهد والسدي

قوله تعالى (١٩٩) خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلین (٢٠٠) وإما ينزغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (آيات)

* اللغة *

قد مرّ ما قيل في العفو عند قوله قل العفو في سورة البقرة والعرف ضد النكر ومثله المعروف والعارفة وهو كل خصلة حميدة تعرف صوابها العقول وتطمئن اليها النفوس قال الشاعر «لا يذهب العرف بين الله والناس» والتزغ الإزعاج بالأغراء وأكثر ما يكون ذلك عند الغضب وأصله الإزعاج بالحركة تزغه يتزغه تزغاً وقيل التزغ الفساد ومنه تزغ الشيطان بيني وبين اخوتي اي افسد قال الزجاج التزغ ادنى حركة تكون ومن الشيطان ادنى وسوسة

* المعنى *

لما أمر الله سبحانه نبيه (ص) بالدعاء اليه وتبليغ رسالته عليه محاسن الافعال ومكارم الأخلاق والحاصل فقال (خذ العفو) اي خذ يا محمد ما عفان من اموال الناس اي ما فضل من النفقة وكان رسول الله (ص) يأخذ الفضل من اموالهم ليس فيها شيء موقت ثم نزلت آية الزكاة فصار منسوخا بها فإن هذه السورة مكية عن ابن عباس والسدي والضحاك وقيل معناه خذ العفو من اخلاق الناس واقبل الميسور منها عن مجاهد والحسن ومعناه انه أمره بالتساهل وترك الاستقصاء في القضاء والاقتضاء. وهذا يكون في الحقوق الواجبة لله وللناس وفي غيرها وهو في معنى الخبر المرفوع أحب الله عبدا سمحاً بائناً ومشترياً قاضياً ومقتضياً وقيل هو العفو في قبول العذر من المتذنب وترك المواخذة بالإساءة وروي انه لما نزلت هذه الآية سأل رسول الله ﷺ جبرائيل عن ذلك فقال لا ادري حتى اسأل العالم ثم أتاه فقال يا محمد ان الله يأمرك ان تعفو عن ظلمك وتعطي من حرمك وتصل من قطعك (وامر بالعرف) يعني بالمعروف وهو كل ما حسن في العقل فله او في الشرع ولم يكن منكراً ولا قبيحاً عند العقلاء وقيل بكل خصلة حميدة (واعرض عن الجاهلین) معناه واعرض عنهم عند قيام الحجة عليهم والاياس من قبولهم ولا تقابلهم بالسفه صيانة لقدرك فإن مجاورة السفيه تضع عن القدر ولا يقال هذه الآية منسوخة بآية القتال لأنها عامة خص عنها الكافر الذي يجب قتله بدليل قال ابن زيد لما نزلت هذه الآية قال النبي ﷺ كيف يا رب والغضب فنزل

قوله (واما ينزغتك من الشيطان نزغ) ومعناه يا محمد ان نالك من الشيطان وسوسة ونخسة في القلب بما يوسول للانسان ممناه ان عرض لك من الشيطان عارض عن ابن عباس وقيل معناه وان منعك الشيطان عن شي مما امرتك من هذه الاشياء (فاستعذ بالله) اي سل الله عز اسمه ان يعينك منه (انه سميع) للمجموعات (عليم) بالخصيات وقيل سميع لدعائك عليم بما عرض لك وقيل ان النزغ اوس الوسوسة والمس لا يكون الا بعد التمكن ولذلك فصل الله سبحانه بين النبي صلى الله عليه وسلم وغيره فقال للنبي صلى الله عليه وسلم واما ينزغتك وقال للناس اذا مسهم طائف من الشيطان

قوله تعالى (٢٠١) **إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ** (٢٠٢) **وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغِيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ** (٢٠٣) **وَإِذَا لَمْ يَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا آجِبْتُمَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ** (ثلاث آيات)

❖ القراءة ❖

قرأ اهل البصرة وابن كثير والكسائي طيف بغير الف وهو قراءة النخعي والاسود بن زيد وقرأ الباقر طائف بالالف وقرأ اهل المدينة بمدونهم بضم اليا وكسر الميم والباقر بفتح اليا وضم الميم وفي الشراذ عن الجحدري يادونهم وعن عيسى بن عمر يقصرون بفتح اليا وضم الصاد
— الحجة —

الطيف مصدر طاف الخيال يطيف طيفا اذا ألم به في المنام فمعناه اذا مسهم خطرة من الشيطان ويكون الطائف بمعناه فطيف كالخطرة وطائف كالحاطر والطيف اكثر قال

أَلَا يَا قَوْمِي لَطِيفِ الْخِيَا لِ أَرْقٍ مِّنْ نَّازِحِ ذِي دَلَالٍ^(١)

وقال الاعشى

وَتَضْبِحُ عَنْ غَيْبِ السَّرِيِّ وَكَأَنَّهَا أَلَمَّ بِهَا مِنْ طَائِفِ الْجِنِّ أَوْلَقُ^(٢)

وقال ابو علي عامة ما جاء في التنزيل فيما يحمد ويستحب امددت على افطت كقوله **إِنَّمَا نَعْدُهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَمِنْ مَّالٍ وَمِنْ مَّالٍ وَمِنْ مَّالٍ** واما قوله **وَتَضْبِحُ عَنْ غَيْبِ السَّرِيِّ وَكَأَنَّهَا أَلَمَّ بِهَا مِنْ طَائِفِ الْجِنِّ أَوْلَقُ** فمددت على مددت قال ونمدتهم في طينانهم فهذا يدل على ان الوجه فتح اليا كما ذهب اليه الاكثر والوجه في قراءة من قرأ بمدونهم انه مثل فبشرهم بعذاب اليم فسنيدسه للسري والله اعلم ويادونهم يفاعلونهم منه اي يعاونونهم وقصر يقصر لغة في أقصر يقصر ويقال أقصر عنه اذا تركه عن قدرة وقصر عنه اذا ضعف عنه

❖ اللغة ❖

المسوس الذي به مس جن والمسوس من المياه ما نالته الأيدي والاجتباء افتعال من الجباية ونظيره الاصطفاء وهو استخلاص الشيء للنفس قال علي بن عيسى اصله الاستخراج ومنه الجباية الحراج وقيل اصله الجمع من جبيت الماء في الحوض والحوض جابية لجمعها الماء قال الفراء اجبتت الكلام واختلقته وارتجلته اذا افتعلته من قبل نفسك قال ابو عبيدة واخترعته مثل ذلك قال ابو زيد هذه الحروف تقولها العرب للكلام يتدوه الرجل لم يكن أعده قبل ذلك في نفسه والبصائر البراهين والحجج جمع بصيرة والبصائر ايضا طرائق الدم قال الاشعر الجفني **رَأَوْا بِصَائِرَهُمْ عَلَىٰ كُتَابِهِمْ وَبَصِيرَتِي يَعْدُو بِهَا عَتْدَهُ وَأَيُّ^(٣)**

(١) اروه : أسهره . و النازح: البعيد . (٢) الاولق : الجنون (٣) مضى البيت في صفحة ٢٤٥ .

أو البصيرة الترس وجمعها بصائر قال الزجاج وجميع هذا معناه ظهور الشيء وتبينه

✽ الأعراف ✽

إذا الأولى ظرف زمان ويكون لها جواب بمنزلة الجزاء وإذا الثانية ظرف مكان بمعنى المفاجأة

كقولك خرجت فإذا زيد

✽ المعنى ✽

ثم ذكر سبحانه طريقة المتقين إذا عرضت لهم وسارس الشياطين فقال (ان الذين اتقوا) الله باجتنب معاصيه (إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا) قيل معناه إذا وسوس اليهم الشيطان واغراهم بمعصيته تذكروا ما عليهم من العقاب بذلك فيجتنبونه ويتركونه وهو معنى قول ابن عباس والسدي وقال الحسن يعني إذا طاف عليهم الشيطان يوسوسه وقال سعيد بن جبير هو الرجل الذي يغضب الغضب فيتذكر فيكظم فيظه به قال مجاهد وروي عنه أيضا انه قال هو الرجل يهّم بالذنب فيذكر الله فيتركه وقيل طائف غضب وطيف جنون وقيل معناه واحد (فإذا هم مبصرون) المرشد (واخوانهم يمدونهم في النبي) معناه واخوان المشركين من شياطين الجن والانس يمدونهم في الضلال والمعاصي اي يزيدونهم فيه ويزينون لهم ما هم فيه (ثم لا يقصرون) ثم لا يكفون يعني الشيطان عن استغوائهم ولا يرحمونهم عن مجاهد وقاتدة وقيل معناه واخوان الشياطين من الكفار يمدهم الشياطين في النبي ثم لا يقصرون. مع ذلك كما يقصر الذين اتقوا عن ابن عباس والسدي والجائني وقيل معناه ثم لا يقصر الشياطين عن اغوائهم ولا يقصرونهم عن ارتكاب الفواحش (وإذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبتنا) معناه انك يا محمد اذا جئتهم بآية كذبوا بها واذا ابطأت عنهم يقرحونها ويقولون هلا جئنا به من قبل نفسك فليس كل ما تقوله وحي من السماء عن قنادة ومجاهد والزجاج وقيل معناه اذا لم تأتهم بآية مخرجة قالوا هلا اخترتها من قبل نفسك فتسأل ربك ان يأتيك بها عن ابن عباس والجائني واي مسلم (قل) يا محمد اهدم (انما اتبع ما يوحي الي من ربي) اي لست آتي بالآيات من عندي وانما يفعلها الله تعالى ويظهرها على حسب ما يعلم من المصلحة في ذلك لا بحسب اقتراح الخلق وانما أتبع الرحي ولا اتمدها وليس لي ان اسأله انزال الآيات إلا بعد اذنه في السؤال (هذا بصائر من ربكم) هذا القرآن دلائل ظاهرة وحيج واضحة وبراهين ساطعة من ربكم يبصر الانسان بها امور دينه (وهدي ورحمة) اي ودلالة تهدي الى الرشيد ونعمة في الدين والدنيا (لقوم يؤمنون) خص المؤمنين بالذكور لأنهم المنتفعون بها دون غيرهم من الكفار وفي هذه الآية دلالة على ان افعال النبي ﷺ واقواله تابعة للوحي وانه لا يجوز ان يعمل بالرأي والقياس

— النظم —

قيل ان هذه الآية اتصلت بقوله يسألونك عن الساعة وتقديره ويسألونك عن الآيات فإذا لم تأتهم بها قالوا

لولا اجتبتنا عن اي مسلم وقيل اتصلت بما قبلها من قوله واخوانهم يمدونهم ومعناه يقون في الضلالة وإذا لم تأتهم بآية يسألون منها قالوا كذا

قوله تعالى (٢٠٤) وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٢٠٥) وَأَذْكُرُ

رَبِّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ (٢٠٦) إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَحِوْنَهُ وَلَهُ

يَسْجُدُونَ ثلاث آيات

* اللغة *

الإنصات السكوت مع استماع قال ابن الاعرابي نصت وانصت وانتصت استمع الحديث وسكت وانصته وانصت له وانصت الرجل سكت وانصته غيره عن الازهري والآصال جمع اصل وأصل جمع اصل قال آصال جمع الجمع وتصغيره اصيلاق على ابدال النون ومعناه المشيات وهو ما بين العصر الى غروب الشمس

* الاعراب *

تضرعا وخيفة مصدران وضما موضع الحال اي متضرعين وخائفين ودون الجهر مطلق عليه فيجب ان يكون في موضع الحال أي وغير رافعين اصواتكم حتى يبلغ حد الجهر
- المعنى -

ثم أمر سبحانه بالاستماع للقرآن عند قراءته فقال (وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا) اختلف في الوقت المأمور بالإنصات للقرآن والاستماع له فقيل إنه في الصلاة خاصة خلف الإمام الذي يؤتم به اذا سمعت قراءته عن ابن عباس وابن مسعود وسعيد بن جبير وسعيد بن المسيب ومجاهد والزهري وروي ذلك عن ابي جعفر (ع) قالوا وكان المسلمون يتكلمون في صلاتهم ويسلم بعضهم على بعض واذا دخل داخل فقال لهم كم صليتم اجابوه فنهوا عن ذلك وأمروا بالاستماع وقيل انه في الخطبة أمروا بالإنصات والاستماع الى الإمام يوم الجمعة عن عطاء وعمرو بن دينار وزيد بن اسلم وقيل انه في الخطبة والصلاة جميعا عن الحسن وجماعة قال الشيخ ابو جعفر قدس الله روحه واقوى الاقوال الأول لأنه لا حال يجب فيها الإنصات لقراءة القرآن إلا حالة قراءة الإمام في الصلاة فإن على المأموم الإنصات والاستماع فأما خارج الصلاة فلا خلاف ان الإنصات والاستماع غير واجب وروي عن ابي عبد الله (ع) انه قال يجب الإنصات للقرآن في الصلاة وغيرها قال وذلك على وجه الاستحباب وفي كتاب العياشي باسناده عن ابي كهشم عن ابي عبد الله (ع) قال قرأ ابن الكوا خلف أمير المؤمنين (ع) لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين فانصت له أمير المؤمنين (ع) وعن عبد الله بن يعقوب عن ابي عبد الله (ع) قال قلت له الرجل يقرأ القرآن أيجب على من سمعه الإنصات له والاستماع قال نعم إذا قرئ عندك القرآن وجب عليك الإنصات والاستماع قال الزجاج ويجوز ان يكون فاستمعوا له وانصتوا اي اعملوا بما فيه ولا تتجاوزوا لأن معنى قول القائل سمع الله دعائك أجاب الله دعائك لأن الله سميع عليم وقال الجبائي انها نزلت في ابتداء التبليغ ليعلموا او يتفهموا وقال احمد بن حنبل اجمعت الأمة على انها نزلت في الصلاة (لعلكم ترحمون) اي لرحموا بذلك وباعتباركم به واتعاظكم بوعظهم واذا كرر بك في نفسك) خطاب للنبي عليه وآله السلام والمراد به عام وقيل هو خطاب لمستمع القرآن والمعنى واذا كرر بك في نفسك بالكلام من التسبيح والتهليل والتحميد وروي زرارة عن احدهما (ع) قال معناه اذا كنت خلف الإمام تأتم به فانصت وسبح في نفسك يعني في الصلاة بالقرآن وقيل معناه واذا كرر بك بالتفكير في نفسك وقيل اراد أذكره في نفسك بصفاته العليا واسمائه الحسنى (تضرعا وخيفة) يعني بتضرع وخوف يعني في الدعاء فإن الدعاء بالتضرع والخوف من الله تعالى اقرب إلى الإجابة وانما خص الذكر بالنفس لأنه ابعد من الرياء عن الجبائي (ودون الجهور من القول) معناه ارفعوا اصواتكم قليلا ولا تجهروا بها جارا بليغا حتى يكون عدلا بين ذلك كما قال ولا تجهر بصلاتك ولا تحافت بها وقيل انه امر للإمام ان يرفع صوته في الصلاة بالقرآن مقدار ما يسمع من خلفه عن ابن عباس (بالعدو والآصال) اي بالقنوتات والمشيات عن قتادة والمراد به دوام الذكر واتصاله وقيل انما خص هذين الوقتين لأنها حال فراغ القلب عن طلب المعاش فيكون الذكر فيها الصق بالقلب (ولا تكن من العاقلين) عما امرتك به من الدعاء والذكر وقيل ان الآية متوجهة الى من أمر بالاستماع للقرآن والإنصات وكانوا اذا سمعوا القرآن رفعوا اصواتهم بالدعاء عند ذكر الجنة او النار عن ابن زيد ومجاهد وابن جريج قال

الجائي، وفي الآية دليل على ان الذين يرفعون اصواتهم عند الدعاء ويجهرون به مخطون وعلى خلاف الصواب ثم ذكر سبحانه ما يبعث الى الذكر ويدعو اليه فقال (ان الذين عند ربك) وهم الملائكة عن الحسن وغيره (لا يستكبرون عن عبادته) معناه انهم مع جلالة قدرهم وعلو امرهم يبدون الله ويذكرونه وفائده انكم ان استكبرتم عن عبادته فمن هو اعظم حالا منكم لا يستكبر عنها وانما قال عند ربك تشريفا للملائكة بإضافتهم الى نفسه ولم يرد به قرب المكان تعالى الله عن ذلك وتقدس وقيل معناه انهم في المكان الذي شرفه الله تعالى ولا يملك عليهم الحكم الا الله تعالى بخلاف البشر كما يقال عند الأمير كذا وكذا من الجند والمراد انهم في حكمه وتحت امره وعند فلان كذا من المال ولا يراد به ان ذلك بمحضته وقال الزجاج من قرب من رحمة الله وفضله فهو عند الله اي هو قريب من فضله واحسانه (ويسبحونه) اي ينزهونه عما لا يليق به (وله يسجدون) اي يخضعون وقيل يصلون وقيل يسجدون في الصلاة عن الحسن ولا خلاف ان ههنا سجدة وهي اول سجدة القرآن واختلف في سجدة التلاوة هل هي واجبة فعند ابي حنيفة واجبة وعند الشافعي سنة مؤكدة واليه ذهب اصحابنا

سورة الانفال

هي مدنية عن ابن عباس وقتادة غير سبع آيات نزلت بمكة واذا يكربك الذين كفروا الى آخرهن وقيل نزلت بأسرها في غزاة بدر عن الحسن وعكرمة

﴿ عدد آياتها ﴾

هي سبعون وسبع آيات شامي وست حجازي بصري وخمس كوفي ﴿ اختلافها ﴾ ثلاث آيات ثم يغلبون بصري شامي مفعولا الاول غير الكوفي بنصره وبالمؤمنين غير البصري

﴿ فضلها ﴾

ابي بن كعب عن النبي ﷺ انه قال من قرأ سورة الانفال وبرائة فانا شفيع له وشاهد يوم القيامة انه بري من النفاق واعطي من الاجر بعدد كل منافق ومناققة في دار الدنيا عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات وكان العرش وحملته يصلون عليه ايام حياته في الدنيا وروى العياشي باسناده عن ابي بصير عن ابي عبد الله (ع) قال من قرأ الانفال وبرائة في كل شهر لم يدخله نفاق ابدا وكان من شيعة أمير المؤمنين (ع) حقا ويا كل يوم القيامة من موائد الجنة معهم حتى يفرغ الناس من الحساب وعن محمد بن مسلم عن ابي جعفر (ع) قال في سورة الانفال جدع الأنوف^(١)

﴿ تفسيرها ﴾

لما قص الله سبحانه في سورة الاعراف قصص الانبياء وختمها بذكر نبينا صلى الله عليه وآله افتتح سورة الانفال بذكره ثم ذكر ما جرى بينه وبين قومه فقال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى (١) يسألونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين آية

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن مسعود وسعد بن ابى وقاص وعلي بن الحسين وابو جعفر بن محمد بن علي الباقر وزيد بن علي وجعفر

(١) وذلك لاشتمالها لآية الخمس .

ابن محمد الصادق عليهم السلام وطلحة بن مصرف يسألونك الأنفال

— الحجة —

قال ابن جني هذه القراءة بالنصب مؤدية عن السبب للقيام بالآخرى التي هي عن الأنفال وذلك انهم إنما سألوها عنها تعرضا لطلبها واستعلاما لحالها هل يسوغ طلبها وهذه القراءة بالنصب اصرح بالتمسك بالأنفال وبيان عن الغرض في السؤال عنها فان قلت هل يحسن حملها على حذف حرف الجر كأنه قال يسألونك عن الأنفال فلما حذف عن نصب المفعول كقوله «امرتك الحير فافعل ما أمرت به» قيل هذا شاذ إنما يحمله الشعر فاما القرآن فيعتار له افصح اللغات وإن كان قد جاء واختار موسى قومه واقعدوا لهم كل مرصد فان الاظهر ما قدمناه

✽ اللغة ✽

الأنفال جمع نفل والنفل الزيادة على الشيء يقال نفلتكم كذا اذا زدته قال لبيد
 إِنَّ تَقْوَى رَبِّنَا حَبْرٌ نَفَلٌ
 وَبِإِذْنِ اللَّهِ رَبِّي وَعَجَلٌ

وقيل النفل العطية ونفلتكم اعطيتكم والنافلة عطية التطوع من حيث لا يجب ومنه نوافل الصلاة والتوكل الرجل الكثير العطية

✽ المعنى ✽

(يسألونك) أي يسألك يا محمد جماعة من اصحابك (عن الأنفال) اختلف المفسرون في الأنفال فهنا قيل هي الغنائم التي غنمها النبي ﷺ يوم بدر وهو المروي عن عكرمة عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وابن زيد وقيل هي انفال السرايا عن الحسن بن صالح بن حي وقيل هي ما شذ عن المشركين الى المسلمين من عبد او جارية من غير قتال او ما اشبه ذلك عن عطاء وقيل هو للنبي ﷺ خاصة يعمل به ما شاء وقيل هو ما سقط من المتاع بعد قسمته الغنائم من الفرس والزرع والرمح عن ابن عباس في رواية أخرى وروي عنه ايضا انه سلب الرجل وفرسه ينقل النبي ﷺ من شاء وقيل هي الخمس الذي جمعه الله لأهل الحرس عن مجاهد في رواية أخرى وصححت الرواية عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام انهما قالوا ان الأنفال كل ما اخذ من دار الحرب بغير قتال وكل ارض انجلى اهلها عنها بغير قتال ويسمونها الفقهاء فيأوميراث من لا وارث له وقطائع الملوكة اذا كانت في ايديهم من غير غصب والآجام وبطون الاودية والأرضون الموات وغير ذلك مما هو مذكور في مواضعه وقالوا هي لله وللرسول وبعده لمن قام مقامه فيصرفه حيث شاء من مصالح نفسه ليس لأحد فيه شيء وقالوا أن غنائم بدر كانت للنبي ﷺ خاصة فسأله أن يعطيهم وقد صح أن قراءة أهل البيت عليهم السلام يسألونك الأنفال فقال الله تعالى (قل) يا محمد (الأنفال لله والرسول) وكذلك ابن مسعود وغيره وإنما قرأوا كذلك على هذا التأويل فملئ هذا فقد اختلفوا في كيفية سؤالهم النبي ﷺ فقال هؤلاء إن اصحابه سألوه أن يقيم غنيمة بدر بينهم فأعلمهم الله سبحانه ان ذلك لله وللرسول دونهم وليس لهم في ذلك شيء وروي ذلك ايضا عن ابن عباس وابن جريج والضحاك وعكرمة والحسن واختاره الطبري وقالوا ان عن صلة ومعناه يسألونك الأنفال أن تعطيههم ويؤيد هذا القول قوله (فاتقوا الله) الى آخر الآية ثم اختلف هؤلاء فقال بعضهم هي منسوخة بآية الغنيمة وهي قوله واعلموا انما غنمتم من شيء وقال بعضهم ليست بمنسوخة وهو الصحيح لأن النسخ يحتاج الى دليل ولا تنافي بين هذه الآية وآية الخمس وقال آخرون انهم سألوا النبي ﷺ عن حكم الأنفال وعلموا فقاروا لمن الأنفال وتقديره يسألونك عن الأنفال لمن هي ولهذا جاء الجواب بقوله قل الأنفال لله والرسول وقال آخرون انهم سألوه عن حال الغنائم وقسمتها وانها حلال ام حرام كما كانت حراما على من قبلهم فبين لهم انها حلال واختلفوا ايضا في سبب سؤالهم فقال ابن عباس ان النبي ﷺ قال يوم بدر من جاء بكذا فله كذا

(١) الريث : الابطاء (٢) وفي بعض النسخ كمنسوخة التبيان « الفرس والزرع » مكان « الفرس والزرع » .

ومن جاء بأسير فله كذا فتسارع الشبان وبقي الشيخ تحت الرايات فلما انقضى الحرب طلب الشبان ما كان قد نفلهم النبي ﷺ به فقال الشيخ كئارده ألكم ولو وقعت عليكم الهزيمة أرجعتم إلينا وجرى بين أبي اليسرين عمرو الانصاري أخي بني سلحة وبين سعد بن معاذ كلام فنزع الله تعالى الفنائم منهم وجعلها لرسوله يفعل بها ما يشاء فقسها بينهم بالسوية وقال عبادة بن الصامت اختلفنا في النفل وسألت فيه اخلاقنا فنزعه الله من ايدينا فجعله الى رسوله فقسه بيننا على السواء وكان ذلك في تقوى الله وطاعته وصلاح ذات البين وقال سعد بن أبي وقاص قتل أخي عمير يوم بدر فقتلت سميد بن العاص بن امية واخذت سيفه وكان يسمى ذا الكتيفة فجئت به الى النبي ﷺ واستوهبته منه فقال ليس هذا لي ولا لك اذهب فاطرحه في القبط فطرحته ورجعت وبني مالايملحه الا الله من قتل أخي واخذ سلمي وقلت عسى أن يعطيني هذا لمن لم يبل بلائي فما جاوزت الا قليلا حتى جاءني الرسول وقد انزل الله يسألونك الآية فخفت أن يكون قد نزل في شيء فلما انتهت الى رسول الله ﷺ قال يا سعد انك سأنتني السيف وليس لي وانه قد صار لي فاذهب فخذه فهداك وقال علي بن طلحة عن ابن عباس كانت الفنائم لرسول الله ﷺ خاصة ليس لاحد فيها شيء وما اصاب سرايا المسلمين من شيء اتوه به فمن حبس منه ابرة او سلكا فهو غلول فساوا رسول الله أن يعطيهم منها فنزات الآية وقال ابن جريج اختلف من شهد بدرًا من المهاجرين والانصار في الغنيمة فكانوا ثلاثا فنزات الآية وملكها الله رسوله يقسمها كما اراه الله وقال مجاهد هي الخمس وذلك أن المهاجرين قالوا لم يرفع منا هذا الخمس ولم يخرج منا فقال الله تعالى قل الأنفال لله والرسول يقسمها كما شاء او يفلان منها ما شاء او يرضخان منها ما شاء فاتقوا الله يا اهل الذمة ما باعوا ما يأمركم به وما يأمركم به رسوله واحذروا مخالفة امرهما واصلحوا ذات بينكم اي اصلحوا ما بينكم من الخصومة والمنازعة وقوله ذات بينكم كناية عن المنازعة والخصومة والذات هي الحلقة والبنية يقال فلان في ذاته صالح في خلقته وبنيته يعني اصلحوا نفس كل شيء بينكم واصلحوا حال كل نفس بينكم وقيل معناه اصلحوا حقيقة وصلحكم كقوله لقد تقطع بينكم اي وصلحكم والمراد كونوا مجتمعين على ما امر الله ورسوله وكذلك معنى اللهم اصلح ذات البين اي اصلح الحال التي بها يجتمع المسلمون عن الزجاج وهذا نهي من الله تعالى عن الاختلاف فيما اختلفوا فيه من أمر الغنيمة يوم بدر عن ابن عباس ومجاهد السدي واطيع الله ورسوله اي قبلوا ما أمرتهم به في الفنائم وغيرها عن الزجاج ومعناه واطيعوهما فيما يأمركم به وينهيانكم عنه (ان كتبتم مؤمنين) مصدقين للرسول فيما يأتيتكم به من قبل الله كما تدعون وفي تفسير الكلبي أن الخمس لم يكن مشروعًا يومئذ وإنما شرع يوم أحد وفيه انه لما نزلت هذه الآية عرف المسلمين انه لا حقد لهم في الغنيمة وانها لرسول الله فقالوا يا رسول الله سمعنا وطاعة فاصنع ما شئت فنزل قوله واعلموا أننا غنمتم من شيء فأنت له خمس أي ما غنمتم بعد بدر وروي أن رسول الله قسم غنائم بدر عن بواي على سواه ولم يخمس

قوله تعالى (٢) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٣) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٤) أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ثلاث آيات

اللغة

الوجل والخوف والفرع واحد يقال وجِلَّ بوجلٌ ويَجَلُّ ويَجَلُّ بالالف ويَجَلُّ اربع لغات حكاه سيبويه

واجودها بوجل قال الشاعر

لَمَمَّرَكَ مَا أَدْرِي وَإِنِّي لَا وَجَلَّ
عَلَىٰ إِنَّا تَدَدُّوا الْمَنِيَةَ أَوَّلًا

والتوكل هو الثقة بالله في كل ما يحتاج إليه يقال وكأت الأصرالى فلان اذا جلت اليه القيام به والوكيل القائم بالامر لغيره

✽ الإعراب ✽

حقاً منصوب بماددت عليه الجملة التي هي قوله أو ألتك هم المؤمنون والمعنى احق ذلك حقاً

✽ المعنى ✽

لما قال سبحانه ان كنتم مؤمنين بين صفة المؤمنين بقوله (إنا المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) اي خافت تعظيماً له وذلك اذا ذكر عندهم عقوبته وعدله ووعدته على المعاصي بالمعاقب واقتداره عليه فاما اذا ذكرت نعمة الله على عباده واحسانه اليهم وفضله ورحمته عليهم وثوابه على الطاعات اطمانت قلوبهم وسكنت نفوسهم الى عفو الله تعالى كما قال سبحانه ألا بذكر الله تطمئن القلوب فلاتنافي بين الآيتين اذ وردتا في حالتين ووجه آخر وهو ان المؤمن ينبغي ان يكون من صفته انه اذا نظر في نعم الله عليه ومنته لديه وعظيم مغفرته ورحمته اطمان قلبه وحسن بالله ظنه واذا ذكر عظيم معاصيه بترك أو امره وارتكاب نواهيه وجل قلبه واضطربت نفسه والوجل الخوف مع شدة الحزن وانما يستعمل على الغالب في القلب (واذا اتيت عليهم آياته زادتهم إيماناً) معناه واذا قرئ عليهم القرآن زادتهم آياته تبصرة و يقينا على يقين عن الضحك وقيل زادتهم تصديقاً مع تصديقهم بما انزل الله اليهم قبل ذلك عن ابن عباس والمعنى انهم يصدقون بالأولى والثانية والثالثة وكل ما يأتي من عند الله فيزداد تصديقهم (وعلى ربهم يتوكلون) اي يفوضون أمورهم الى الله فيما يخافونه من سوء في الدنيا وقيل فيما يرجونه من قبول اعمالهم في الآخرة (الذين يقيمون الصلاة وما رزقناهم ينفقون) قد مر تفسيره في سورة البقرة وانما خص الصلاة والزكاة بالذكر لعظم شأنهما وتأكد أمرهما وليكون داعياً الى المواظبة على فعلهما (أو ألتك هم المؤمنون حقاً) اي هو لاء المستجمعون لهذه الخصال والحائزون لهذه الصفات هم الذين استحقوا هذا الاسم على الحقيقة (لهم درجات عند ربهم) يعني درجات الجنة يرتقونها باعمالهم عن عطا وقيل لهم اعمال رفيعة وفضائل استحسوها في ايام حياتهم عن مجاهد (ومغفرة) لذنوبهم (وورق كريم) اي خطير كبير في الجنة وقيل كريم كريم دائم كثير لا يشوبه ضرر ولا يعتربه كدر ولا يخاف عليه فناء ولا نقصان ولا حساب من قولهم فلان كريم اذا كانت اخلاقه معمودة واستدل من قال ان الإيمان يزيد وينقص وان افعال الجوارح من الإيمان بهذه الآيات فقال ان الله تعالى نفى ان يكون المؤمن غير متصف بهذه الصفات بلفظة انما فكأنه قال لا يكون احد مؤمناً الا ان يكون بهذه الصفات والجواب عنه ان هذه الصفات خيار المؤمنين وأفاضلهم فكأنه قال انما خيار المؤمنين من له هذه الاوصاف وليس يتمتع ان يتفاضل المؤمنون في الطاعات وان لم يتفاضلوا في الإيمان يدل على ذلك أن الإجماع حاصل على ان وجل القلب ليس بواجب وانما هو من المندوبات وان الصلاة قد تدخل فيها الفرائض والنوافل والائتفاق كذلك فلمننا ان الإشارة بالآية الى خيار المؤمنين واما ثلهم فلا تدل اذ على ان من كان دونهم في المنزلة خارج عن الإيمان وقد قال ابن عباس انه سبحانه اراد بذلك ان المناق لا يدخل قلبه خشية الله ذكره وان هذه الاوصاف المذكورة متفية عنه

قوله تعالى (٥) كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ
 (٦) يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ (٧) وَإِذْ يَعِدُكُمُ
 اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ
 يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ (٨) لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ
 كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ (اربع آيات)

❖ اللغة ❖

المجادلة المنازعة الذي يقتل بها عن مذهب الى مذهب سميت بذلك لشدة الجدل شديد الفتل
 ومنه الأجل الصغر لشدة وزمام جدل شديد الفتل وقبل اصله من الجدالة وهي الأرض يقال طعنه فجدله
 اي اوقعه على الأرض فكان المتجادلين يريد كل واحد منهما ان يرمي بخصمه الى الأرض والسوق الحث
 على المسير والشوكة الحد يقال ما اشد شوكة بني فلان وفلان شاك في السلاح وشائك وشاك من الشكة
 وشاك مخفف مثل قولهم كبش صاف كثير الصوف مثل صائف قال الشاعر

فَتَوَهَّمُونِي أَنِّي أَنَا ذَاكُمْ شَاكٌ سِلَاحِي فِي الْحَوَادِثِ مُعَلِّمٌ (١)

واصله من الشوك ودابر الأصر آخره ودابر الرجل عقبه والحق وقوع الشيء في موضعه الذي هو له
 فإذا اعتقد شيء بضرورة او حجة فهو حق لأنه وقع موقعه الذي هو له وعكسه الباطل

❖ الإعراب ❖

الكاف في قوله كما أخرجك ربك يتعلق بما دل عليه قوله قل الانفال لله والرسول لأن في هذا معنى
 نزحها من ايديهم بالحق كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وقيل تقديره قل الانفال ثابت لله والرسول ثبوتنا
 مثل ما أخرجك ربك اي هذا كائن لا محالة كما ان ذلك كان لامحالة وقيل إنه يتعلق بجادلونك وتقديره
 يجادلونك بالحق كما كرهوا اخراجك من بيتك بالحق وقيل انه يعمل فيه معنى الحق بتقدير هذا الذكر الحق كما
 أخرجك ربك من بيتك بالحق وقوله انها لكم في موضع نصب على البدل من إحدى الطائفتين وتقديره يعدكم
 ان احد من الطائفتين لكم ونظيره قوله هل ينظرون الا الساعة ان تأتيهم

❖ المعنى ❖

(كما أخرجك ربك من بيتك) يا محمد على التقدير الاول قل الانفال لله ينزعها عنكم مع كراهتكم ومشقة
 ذلك عليكم لأنه اصلح لكم كما أخرجك ربك من بيتك مع كراهة فريق من المؤمنين ذلك لأن الخروج
 كان اصلح لكم من كونكم في بيتكم والمراد بالبيت هنا المدينة يعني خروج النبي ﷺ منها الى بدر
 ويكون معنى أخرجك ربك دعاك الى الخروج وامرك به وحملك عليه كما يقال أضربت زهداً عمراً فضربه
 وأما على التقدير الثاني وهو ان يكون اتصاله بما بعده فيكون معناه يجادلونك في الحق كارهين له كما جادلوك
 يا محمد حين أخرجك ربك كارهين للخروج كرهوه كراهية طباع فقال بعضهم كيف نخرج ونحن قليل
 والمدو كثير وقال بعضهم كيف نخرج على عيياء لا ندري الى العير نخرج ام الى القتال فشبّه جدالهم بخروجهم
 لأن القوم جادلوه بعد خروجهم كما جادلوه عند الخروج فقالوا هلا خبرتنا بالقتال فكنا نستعد لذلك فهذا

(١) ورجل معلم اذا علم مكانه في الحرب بعلامة اعلمها .

هو جدالهم على تأويل مجاهد واما على التقدير الثالث فمعناه ان هذا خير لكم كما ان اخراجك من بيتك على كراهية جماعة منكم خير لكم وقريب منه ما جاء في حديث ابي حمزة الثمالي قاله ناصرك كما اخرجك من بيتك وقوله (بالحق) أي بالوحي وذلك ان جبرائيل (ع) أتاه وأمره بالخروج وقيل معناه اخرجك ومعك الحق وقيل معناه اخرجك بالحق الذي وجب عليك وهو الجهاد (وان فريقا من المؤمنين) اي طائفة منهم (لكارهون) لذلك للمشقة التي لحقتهم (يجادلونك في الحق بعد ما تبين) معناه يجادلونك فيما دعوتهم اليه بعد ما عرفوا صحته وصدقك بما ظهر عليك من المعجزات ومجادلتهم قولهم هلا اخبرتنا بذلك وهم يعلمون انك لا تأمرهم عن الله الا بما هو حق وصواب وكانوا يجادلون فيه لشدة عليهم يطلبون بذلك رخصة لهم في التخلف عنه او في تأخير الخروج الى وقت آخر وقيل معناه يجادلونك في القتال يوم بدر بعد ما تبين صوابه وانه مأمور به عن ابن عباس وقيل بعد ما تبين انك يا محمد لا تصنع الا ما امرك الله به (كما ناساقون الى الموت وهم ينظرون) معناه كأن هؤلاء الذين يجادلونك في لقاء العدو لشدة القتال عليهم حيث لم يكونوا مستعدين له ولكراحتهم له من حيث الطبع كانوا بمنزلة من يساق الى الموت وهم يرونه عياناً وينظرون اليه والى اسبابه (واذ يدعكم الله احدى الطائفتين انها لكم) يعني واذ كروا واشكروا الله اذ يدعكم الله ان احدى الطائفتين لكم اما العير واما النغير (وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم) اي تودون ان يكون لكم العير وصاحبها ابو سفيان بن حرب لثلاث تلحقكم مشقة دون النغير وهو الجيش من قريش قال الحسن كان المسلمون يريدون العير ورسول الله يريد ذات الشوكة كئني بالشوكة عن الحرب لما في الحرب من الشدة عن قطرب وقيل ذات الشوكة ذات السلاح (ويريد الله ان يحق الحق بكلماته) معناه والله اعلم بالمصالح منكم فأراد ان يظهر الحق بطفه ويمزج الاسلام ويظفركم على وجوه قريش ويهلكهم على أيديكم بكلماته السابقة وعداته في قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وقوله ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون وقيل بكلماته اي بأمره لكم بالقتال (ويقطع دابر الكافرين) اي يستأصلهم فلا يبقى منهم احدا يعني كفار العرب (ليحق الحق) اي انما يفعل ذلك ليظهر الاسلام (ويبطل الباطل) أي الكفر باهلاك اهله (ولو كره المجرمون) اي الكافرون وذكر البلخي عن الحسن ان قوله واذ يدعكم الله الآية نزات قبل قوله كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وهي في القراءة بعدها

❖ قصة غزاة بدر ❖

قال اصحاب السير وذكر ابو حمزة وعلي بن ابراهيم في تفسيرها دخل حديث بعضهم في بعض اقبل ابو سفيان بعير قريش من الشام وفيها اموالهم وهي اللطيمة وفيها اربعون راكبا من قريش فندب النبي ﷺ اصحابه للخروج اليها ليأخذوها وقال لعل الله ان ينفلكموها فانتدب الناس فحف بهم وهم وثقل بعضهم ولم يظنوا ان رسول الله ﷺ يلقي كيداً ولا حرباً فخرجوا لا يريدون الا ابا سفيان والركب لا يرونها الا غنيمة لهم فلما سمع ابو سفيان بمسير النبي ﷺ استأجر ضمضم بن عمرو النخاري فبعثه الى مكة وأمره ان يأتي قريشا يستنذهم ويخبرهم ان محمداً ﷺ قد تعرض ليرهم في اصحابه فخرج ضمضم سريعا الى مكة فبث عند المطلب رأته فيما يرى النائم قبل مقدم ضمضم بن عمرو بثلاث ليال ان رجلا اقبل ال غلب اغدوا الى مصارعكم ثم وافى بجمله على ابي قيس

(١) اللطيمة : المنيك . و نافع . مسك . وقيل : العير التي تحمل الطيب و بز النجار .

فأخذ حبراً فدهده من الجبل فما ترك داراً من دور قريش الا اصابته منه فلذة فانتبهت فرعة من ذلك واشبرت العباس بذلك فأخبر العباس عتبة بن ربيعة فقال عتبة هذه مصيبة تحدث في قريش وفشت الرويا فيهم وبلغ ذلك ابا جهل فقال هذه نبيه ثانية في بني عبد المطلب واللات والعزى لنتظرن ثلاثة أيام فإن كان ما رأنا حقا والا لنكبن كتابا بيننا انه ما من أهل بيت من العرب اكذب رجالا ونساء من بني هاشم فلما كان اليوم الثالث أتاهم ضمضم بنادبهم باعلى الصوت يا آل غالب يا آل غالب اللطيمة اللطيمة العبر العبر ادركوا وما أراكم تدركون ان محمداً والصباء من أهل يثرب قد خرجوا يعرضون لعيركم فتهبوا للخروج وما بقي احد من عظام قريش الا اخرج مالا لتجهيز الجيش وقالوا من لم يخرج نهدم داره وخرج معهم العباس ابن عبد المطلب ونوفل بن الحرث بن عبد المطلب وعقيل بن ابي طالب واخرجوا معهم القيان يضربون الدفوف وخرج رسول الله ﷺ في ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا فلما كان بقرب بدر اخذ عينا للقوم فأخبره بهم وفي حديث ابي حمزة بعث رسول الله ﷺ ايضا عيناه على العير اسمه عدي فلما قدم على رسول الله ﷺ فأخبره اين فارق العير نزل جبرائيل على رسول الله ﷺ فأخبره بتغير المشركين من مكة فاستشار اصحابه في طلب العير وحرب النغير فقام ابو بكر فقال يا رسول الله انها قريش وخيلاؤها ما آمنت منذ كفرت ولا ذلت منذ عزت ولم تخرج على هيئة الحرب وفي حديث ابي حمزة قال ابو بكر انا عالم بهذا الطريق فارق عدي العير بكذا وكذا وساروا وسرنا فنحن والقوم على ماء بدر يوم كذا وكذا كأنفسا رهان فقال ﷺ اجلس فجلس ثم قام عمر بن الخطاب فقال مثل ذلك فقال ﷺ اجلس فجلس ثم قام المقداد فقال يا رسول الله انها قريش وخيلاؤها وقد آمنت بك وصدقنا وشهدنا ان ما جئت به حق والله لو أمرتنا أن نخوض جمر الفضا وشوك الهراس^(١) لخصناه مملك والله لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى (ع) اذهب انت وربك فقاتلانا ههنا قاعدون ولكننا نقول امض لا مريبك فإنا معك مقاتلون فجزاه رسول الله ﷺ خيرا على قوله ذلك ثم قال اشير واعلي ايها الناس وانما يريد الانصار لان اكثر الناس منهم ولا نهم حين بايعوه بالعقبة قالوا انا براء من ذمتك حتى تصل الى دارنا ثم انت في ذمتنا نمنعك مما منع ابناءنا ونساءنا فكان ﷺ يتخوف ان لا يكون الانصار ثرى عليها نصرته الا على من دهمه بالمدينة من عدو ان ليس عليهم ان ينصروه خارج المدينة فقام سعد بن معاذ فقال بأبي انت وامى يا رسول الله كأنك اردتنا فقال نعم قال بأبي انت وامى يا رسول الله انا قد آمنت بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به حق من عند الله فمرنا بما شئت وخذ من اموالنا ما شئت واترك منها ما شئت والله لو امرتنا أن نخوض هذا البحر لخصناه مملك ولعل الله عز وجل ان يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله ففرح بذلك رسول الله ﷺ وقال سيروا على بركة الله فإن الله عز وجل قد وعدني احدى الطائفتين ولن يخلف الله وعده والله لكأني انظر الى مصرع ابي جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وفلان وفلان وأمر رسول الله ﷺ بالرحيل وخرج الى بدر وهو بشر وفي حديث ابي حمزة الثمالي بدر رجل من جهينة والماء ماؤه فأرنا سمي الماء باسمه واقبلت قريش وبعثوا عبيدها ليستقوا من الماء فأخذهم اصحاب رسول الله ﷺ وقالوا لهم من انتم قالوا نحن عبيد قريش قالوا فأين العير قالوا لا علم لنا بالعير فاقبلوا يضربونهم وكان رسول الله ﷺ يصلي فأنفلت من صلواته وقال ان صدقكم ضربتموهم وان كذبوكم تركتموهم فأتوه بهم

(١) الجمر : النار المتقدة . والنفا : شجر عظيم من الانبل واحدته غضاة . وخشه من أصلب الخشب ولهذا يكون فى نفعه صلابة وهو حسن النار وجمره يبقى زمانا طويلا لا ينطفئ . والهراس : كسحاب : شجر شائك .

فقال لهم من انتم قالوا يا محمد نحن عبيد قريش قال كم القوم قالوا لا علم لنا بعددهم قال كم ينحرون في كل يوم من جزور قالوا تسعة إلى عشرة فقال رسول الله ﷺ القوم تسعانة إلى الف رجل وأمر ﷺ بهم فحبسوا وبلغ ذلك قريشا ففرغوا وندموا على مسيرهم ولقي عتبة بن ربيعة أبا البختری بن هشام فقال أما ترى هذا النبي والله ما أبصر موضع قدمي خرجنا لنمنع غيرنا وقد افلتت فحشنا بنيا وعدوانا والله ما اطلع قوم بضوا قط ولو ددت ان ما في العير من اموال بني عبد مناف ذهبت ولم نسر هذا المسير فقال له ابو البختری انك سيد من سادات قريش فسر في الناس وتحمل العير التي اصحابها محمد ﷺ واصحابه بنخله ودم ابن الحضرمي فإنه حليفك فقال له علي ذلك وما على احد منا خلاف الا ابن الحنظلية يعني ابا جهل فصر إليه واعلمه اني حملت العير ودم ابن الحضرمي وهو حليفي وعلي عقله قال فقصدت خباءه وابلفته ذلك فقال ان عتبة ينصب لمحمد فإنه من بني عبد مناف وابنه معه يريد أن يخذل بين الناس لا واللات والمرى حتى تقحم عليهم يهربون وأخذهم اسارى فندخلهم مكة وتسامع العرب بذلك وكان ابو حذيفة بن عتبة مع رسول الله ﷺ وكان ابوسفیان لما جاز بالعير بعث إلى قريش قد نبى الله عبركم فارجموا ودعوا محمداً والعرب وادفوه بالراح ما اندفع وان لم ترجعوا فردوا القيان فلحقهم الرسول في الجحفة فاراد عتبة أن يرجع فأبى ابو جهل وبنو مخزوم ورددوا القيان من الجحفة قال وفرغ اصحاب رسول الله ﷺ لما بلغهم كثرة قريش واستغاثوا وتضرعوا فانزل الله سبحانه إذ تستغيثون ربكم وما بعده

قوله تعالى (٩) إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني مبدئكم بألف من الملائكة مردفين (١٠) وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم (١١) إذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام (١٢) إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألني في قلوب الذين كفروا الرعب فأضربوا فوق الأعناق وأضربوا منهنم كل بنان (١٣) ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب (١٤) ذلكم فذوقوه وإن للكافرين عذاب النار (ست آيات) وبعد الأقدام آية وكل بنان آية بلا خلاف

✽ القراءة ✽

قرأ أهل المدينة ويعقوب مردفين بفتح الدال والباقون مردفين بكسر الدال وقرأ أهل المدينة يغشيكم بضم الياء وسكون النين النعاس بالنصب وقرأ ابن كثير وابو عمرو يشاقق بالالف وفتح الياء النعاس بالرفع والباقون يغشيكم بضم الياء وفتح النين والتشديد النعاس بالنصب وفي الشواذ قراءة الشعبي ما ليطهركم به ما بمعنى الذي

✽ الحجة ✽

قال ابو علي مردفين يحتمل وجهين (احدهما) أن يكون مردفين مثلهم كما قالوا اردفت زيدا خلفي

فيكون في الآية المفعول الثاني محذوفاً * والآخر * أن يكونوا جاؤا خلفهم تقول العرب بنو فلان يردفوننا أي يجيئون بعدنا وقال ابو عبيدة مردفين جاؤا بعد، وردفني وأردفني واحد قال الشاعر

إِذَا الْجَوَازُ أَرَدَفَتِ الشُّرَيَّا ظَنَنْتُ بِأَلِ فَاطِمَةَ الظُّنُونَا

وهذا الوجه كأنه ابين لقوله إذ تستغيثون ربكم إلى قوله مردفين أي جئين بعد استغاثتكم ربكم وامداده أي أياكم بهم فمردفين على هذا صفة لألف وقال الزجاج معناه يأتيون فرقة بعد فرقة ومردفين على اردفوا الناس أي انزلوا بعدهم فيجوز على هذا أن يكون حالا من الضمير المنصوب في مدمكم مردفين بألف من الملائكة وقرأ في الشواذ مُرَدِّفِينَ وَمُرَدِّفِينَ والأصل فيهما مرتدفين فادغم التاء في الدال فلما التقى ساكنان حرك الراء لا لتقاء الساكنين فضمت تارة اتباعاً لضمة الميم وكسرت تارة لأن الساكن يحرك بالكسر ومن قرأ يَغْشِيكُمْ وَيَغْشِيكُمْ فَلأنه أشبه بما بعده من قوله وينزل عليكم فكأنه مسند إلى اسم الله فكذلك يغشى ويغشى ومن قرأ يغشاكم فإنه اسند الفعل إلى النعاس كما في قوله أمة نعاما يغشى، وأغشى وغشى معناهما واحد وقد جاء بهما التنزيل قال سبحانه فاعشيناهم وقال فغشاها ما غشى ومن قرأ ما ليظهركم به فإن ما هنا موصولة وصلتها حرف الجر بما بعده فكأنه قال ما للظهور كقولك كسوت الثوب الذي لدفع البرد وهذه اللام في قراءة الجماعة ما ليظهركم به هي لام المفعول له وهي كقوله أنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ويتعلق بنفس الفعل واللام التي في قراءة من قرأ ما ليظهركم به أي الذي للظاهرة به فمتعلقة بمحذوف وفيها ضمير لتعلقها بالمحذوف

* الفة *

الرَّعْبُ الخوف يقال رعبته رعباً ورعباً والرعب انزعاج النفس بتوقع المكروه واصله التقطيع من قولهم رعبت السنام ترعبياً إذا قطمته مستطيلاً فالرعب تقطع حال السرور بضده من انزعاج النفس بتوقع المكروه ورعب السبل فهو راعب إذا امتلأ منه الوادي لأنه انقطع إليه من كل جهة والبنان الاطراف من اليدين والرجلين والواحد بنانة ويقال للاصبع بنانة واصله اللزوم واصله من ابنت السحابة ابنا إذا لزمت قال الشاعر

أَلَا لَيْتَنِي قَطَعَتْ مِنْهُ بِنَانَهُ وَلَا قَيْتَهُ فِي الْبَيْتِ يَقْطَانُ خَادِرًا (١)

الشقاق العصيان واصله الانفصال يقال شقته فانشق وشاقه شقاقا إذا صار في شق عدوه عايبه ومنه اشتقاق الكلام لأنه انفصال الكلمة عما تحتمل في الأصل

* الإعراب *

العامل في إذ من قوله إذ تستغيثون قواً ويبطل الباطل وقيل محذوف وتقديره واذكروا إذ فعل الجوه الأول يكون متصلاً بما قبله وعلى الوجه الثاني يكون مستأنفاً والهاء في جملة عائدة إلى الامداد لأنه معتمد الكلام وقيل عائدة إلى الخبر بالمدد لأن تقديم ذلك إليهم بشارة على الحقيقة وقيل عائدة إلى الاراداف وامنة انتصب بأنه مفعول له والعامل فيه يغشى إذ يوحي في موضع نصب على معنى وما جملة الله إلى بشرى في ذلك الوقت ويجوز أن يكون ذلك على تقدير واذكروا إذ يغشىكم النعاس واذ يوحي، ذلك. فندوقه تقديره لأمر ذلكم فيكون خبر مبتدأ محذوف فيكون كما قال الشاعر

(١) الجوزي: القائل الكسنان - المسبح

وَقَائِلَةٌ خَوْلَانٌ فَاَنْكَحَ فَتَاهِمَهُ وَأُكْرِمَةُ الْحَيِّينِ خَلَوْ كَمَا هِيَ^(١)

اي هذه خولان ويحوز ان يكون ذلك منصوب الموضع فيكون مثل قولهم زيدا فاضربه منصوبا بفعل مضمر يفسره الظاهر وكم في ذلك لا موضع له من الاعراب لانه حرف الخطاب وان للكافرين يحتمل ان يكون موضعه نصبا وجرأ ورفعا فالرفع بالعطف على ذلكم فكانه قال الاصر ذلكم وان للكافرين عذاب النار مع ذا والنصب بالعطف على قوله اني معكم ومعناه اذ يوحى ربك ان للكافرين والجر على ان يكون معطوفاً على قوله بانهم شاقوا الله والرفع اليق بالظاهر ويشاقق باظهار التضعيف مع الجزم لغة أهل الحجاز وغيرهم يدغم

✽ النزول ✽

قال ابن عباس لما كان يوم بدر واصطف القوم للقتال قال ابو جهل اللهم اولانا بالنصر فانصره واستغاث المسلمون فنزلت الملائكة ونزل قوله إذ تستغيثون ربكم إلى آخره وقيل ان النبي ﷺ لما نظر إلى كثرة عدد المشركين وقلة عدد المسلمين استقبل القبلة وقال اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض فزال بهتف ربه ماداً يديه حتى سقط رداؤه من منكبيه فأنزل الله تعالى إذ تستغيثون ربكم الآية عن عمر بن الخطاب والسدي وابي صالح وهو المروي عن ابي جعفر (ع) قال ولما أمسى رسول الله ﷺ وجته الليل التي الله على اصحابه الناس وكانوا قد نزلوا في موضع كثير الرمل لا يثبت فيه قدم فأنزل الله عليهم المطر رذاذاً حتى لبد الأرض وثبت اقدامهم وكان المطر على قريش مثل العزالي والتي الله في قلوبهم الرعب كما قال الله تعالى سألني في قلوب الذين كفروا الرعب

✽ المعنى ✽

ثم ذكر سبحانه ما أتى المسلمين من النصر فقال (إذ تستغيثون ربكم) اي تستجيرون بربكم يوم بدر من اعدائكم وتسالونه النصر عليهم لقتلكم وكثرتهم فلم يكن لكم مفرع إلا التضرع اليه والدعاء له في كشف الضر عنكم والاستغاثة طلب المعونة والقوت وقيل معناه تستنصرونه والفرق بين المستنصر والمستجير ان المستنصر طالب الظفر والمستجير طالب الاخلاص (فاستجاب لكم) والاستجابة هي العطية على موافقة المسألة فمعناه فأغاثكم وأجاب دعاءكم (اني بمدكم) أي مرسل اليكم مدداً لكم (بألف من الملائكة مردفين) اي متبعين ألفاً آخر من الملائكة لأن مع كل واحد منهم رداً له عن الجبائي وقيل معناه مترادفين متتابعين وكانوا ألفاً بعضهم في اثر بعض عن ابن عباس وقناة والسدي وقيل معناه بألف من الملائكة جاءوا على اثر المسلمين عن ابي حاتم (وما جعله الله إلا بشري وتطمئن به قلوبكم) معناه وما جعله الله إلا مداداً بالملائكة إلا بشري لكم بالنصر وتسلمن به قلوبكم وتزول الوسوسة عنها وإلا فملك واحد كاف للتدمير عليهم كما فعل جبريل (ع) بقوم لوط فأهلكهم بريشة واحدة واختلف في ان الملائكة هل قاتلت يوم بدر أم لا فقيل ما قاتلت ولكن شجعت وكثرت سواد المسلمين وبشرت بالنصر عن الجبائي وقيل انها قاتلت قال مجاهد إنهم بألف مقاتل من الملائكة فأما ما قاله سبحانه في آل عمران بثلاثة آلاف وبخمسة آلاف فإنه للبشارة وقد ذكرنا هناك ما قيل فيه وروي عن ابن مسعود انه سأله ابو جهل من اين كان يأتينا الضرب ولا نرى الشخص قال من قبل الملائكة فقال هم غلبونا لا أنتم وعن ابن عباس أن الملائكة قاتلت يوم بدر وقتلت

(١) خولان : قبيلة من اليمن . الاكرومة من الكرم كالا عجوبة من العجب . الخلو : الفراغ البال من الهوم .
(٢) الرذاذ : المطر الضعيف . (٣) الفزالي جمع الفزلاء وهو فم المزادة الاسفل وشبه اتساع المطر اند فاقه بها .

(وما النصر إلا من عند الله) معناه انه لم يكن النصر من قبل الملائكة وإنما كان من قبل الله لأنهم عباده يتصر بهم من يشاء كما ينصر بغيرهم ويحتمل ان يكون المعنى ما النصر بكثرة العدد ولكن النصر من عند الله ينصر من يشاء قل العدد أم كثير (ان الله عزيز) لا يمنع عن مراده (حكيم) في أفعاله يجربها على ما تقتضيه الحكمة (إذ ينشيكم الناس) قد ذكرنا تفسيره عند قوله ثم أنزل عليكم من بعد الغم أسنة ناسا والناس أول النوم قبل ان يثقل (أمة) أي أمانا (منه) أي من العدو وقيل من الله فإن الإنسان لا يأخذه النوم في حال الخوف فأنهم الله تعالى بزوال الرعب عن قلوبهم كما يقال الخوف مسهروا الأمن منيم والأمانة الدعة التي تنافي المخافة وايضا فإنه قوام بالاستراحة على القتال من العدو (وينزل عليكم من السماء ماء) أي مطرا (ليظهركم به) وذلك لأن المسلمين قد سبقهم الكفار إلى الماء فنزلوا على كتيب رمل واصبحوا محدثين ومجنبيين وأصابهم الظمأ ووسوس اليهم الشيطان فقال ان عدوكم قد سبقكم إلى الماء وانتم تصلون مع الجنابة والحدث وتسوخ أقدامكم في الرمل فمطروهم الله حتى اغتسلوا به من الجنابة وتطهروا به من الحدث وتبلدت به أرضهم واوحلت أرض عدوهم (ويذهب عنكم رجز الشيطان) أي وسوسته بما مضى ذكره عن ابن عباس وقيل معناه ويذهب عنكم وسوسته بقوله ليس لكم بهؤلاء طاقة عن ابن زيد وقيل معناه ويذهب عنكم الجنابة التي اصابكم بالاحتلام (وليربط على قلوبكم) أي وليشد على قلوبكم ومعناه يشجع قلوبكم ويزيدكم قوة قلب وسكون نفس وثقة بالنصر (ويثبت به الأقدام) أي اقدامكم في الحرب بتلبد الرمل عن ابن عباس ومجاهد وجماعة وقيل بالصبر وقوة القلب عن ابي عبيدة والماء في به ترجع إلى الماء المنزل وقيل إلى ما تقدم من الربط على القلوب (إذ يوحى ربك إلى الملائكة اني معكم) يعني الملائكة الذين أمد بهم المسلمين أي اني معكم بالمعونة والنصرة كما يقال فلان مع فلان على فلان والايحاء القاء المعنى على النفس من وجه يخفى وقد يكون بنصب دليل يخفى إلا على من القى إليه من الملائكة (فثبتوا الذين آمنوا) يعني بشروهم بالنصر وكان الملك يسير أمام الصف في صورة الرجل ويقول أبشروا فإن الله ناصركم عن مقاتل وقيل معناه قاتلوا معهم المشركين عن الحسن وقيل ثبتوهم بأشياء تلقونها في قلوبهم يقولون بها عن الزجاج (سألتني في قلوب الذين كفروا الرعب) أي الخوف من أوابائي (فاضربوا فوق الأعناق) يعني الرووس لأنها فوق الأعناق قال عطاء يريد كل هامة وججمة وجائز أن يكون هذا أمراً للمؤمنين وجائز ان يكون أمراً للملائكة وهو الظاهر قال ابن الأنباري ان الملائكة حين أمرت بالقتال لم تعلم ان تقصد بالضرب من الناس فطمهم الله تعالى (واضربوا منهم كل بنان) يعني الأطراف من اليدين والرجلين عن ابن عباس وابن جريج والسدي وقيل يعني أطراف الأصابع ا كفى الله به عن جملة اليد والرجل عن ابن الأنباري (ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله) معناه ذلك العذاب لهم والأمر بضرب الأعناق والأطراف وتمكين المسلمين منهم بسبب انهم خالفوا الله ورسوله قال ابن عباس معناه حاربوا الله ورسوله ثم اوعد المخالف فقال (ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب) في الدنيا بالاهلاك وفي الآخرة بالتخليد في النار (ذلكم فذوقوه) أي هذا الذي اعدت لكم من الاسر والقتل في الدنيا فذوقوه عاجلا (وان للكافرين) آجلا في المعاد (عذاب النار) قال الحسن ذلكم حكم الله فذوقوه في الدنيا وان لكم ولسائر الكافرين في الآخرة عذاب النار ومعناه كونوا للعذاب كالذائق للطعام وهو طالب إدراك الطعم يتناول اليسير بالفم لأن معظم العذاب بعده

تمام القصة

ولما أصبح رسول الله ﷺ يوم بدر غيَّب أصحابه فكان في عسكره فرسان فرس للزبير بن العوام وفرس للمقداد بن الاسود وكان في عسكره سبعون رجلاً كانوا يتعاقبون عليها وكان رسول الله ﷺ وعلي بن ابي طالب (ع) ومرثد بن ابي مرثد القنوي يتعاقبون على جمل المرثد بن ابي مرثد وكان في عسكر قريش اربعمائة فرس وقيل مائتا فرس فلما نظرت قريش الى قلة اصحاب رسول الله ﷺ قال ابو جهل ما هم الا اكلة رأس لوبسنا اليهم عبيدنا لا خذوهم اخذاً باليد فقال عتبة بن ربيعة اترى لهم كميناً او مدداً فبعثوا عمير بن وهب الجمحي وكان فارساً شجاعاً فجاء بفارسه حتى طاف على عسكر رسول الله ﷺ ثم رجع فقال ليس لهم كمين ولا مدد ولكن نواضع يثرب قد حملت الموت الناقع اما ترونهم خرساً لا يتكلمون وينظفون تلمظ الافاعي ما لهم ملجأ الا سيوفهم وما اراهم يولون حتى يقتلوا ولا يقتلون حتى يقتلوا بمددهم فارتأوا رأيكم فقال له ابو جهل كذبت وجبت فانزل الله تعالى وان جنحوا للسلم فاجنح لها فبعث اليهم رسول الله ﷺ فقال يا معشر قريش اني اكره ان ابدأ بكم فخلوني والعرب وارجعوا فقال عتبة ما رد هذا قوم قط فافلحوا ثم ركب جماله احر فنظر اليه رسول الله ﷺ وهو يجول بين المسكرين وينهى عن القتال فقال ﷺ ان بك عند احد خير فعند صاحب الجمل الاحمر وان يطيعوه يرشدوا وخطب عتبة فقال في خطبته يا معشر قريش اطيعوني اليوم واعصوني الدهر ان محمداً له ال ذمة وهو ابن عمكم فخلوه والعرب فان بك صادقاً فانتهم اعلى عينا به وان بك كاذباً كهنكم ذوبان العرب امره فضاظ ابا جهل قوله وقال له جنت واتفخ سحرك فقال يا مصفراسته مثلي يجبن وستعلم قريش ايننا الام واجبن واينا المفسد لقومه ولبس درعه وتقدم هو واخوه شيبه وابنه الوليد وقال يا محمد اخرج الينا اكهانا من قريش فبرز اليهم ثلاثة نفر من الانصار واتسبوا لهم فقالوا ارجعوا انما نريد الاكهاء من قريش فنظر رسول الله ﷺ الى عبيدة بن الحرث بن عبد المطلب وكان له يومئذ سبعون سنة فقال قم يا عبيدة ونظر الى حمزة فقال قم يا عم ثم نظر الى علي بن ابي طالب (ع) فقال قم يا علي وكان اصغر القوم فاطلبوا بحكمك الذي جعله الله لكم فقد جاءت قريش بخيلائها وفخرها تريد ان تطفئ نور الله ويأبي الله الا ان يتم لهم قال يا عبيدة عليك بعتبة بن ربيعة وقال حمزة عليك بشيبه وقال لعلي (ع) عليك بالوليد فمروا حتى انتهوا الى القوم فقالوا اكهاء كرام فحمل عبيدة على عتبة فضربه على رأسه ضربة فلقت هامته وضرب عتبة عبيدة على ساقه فاطنمها فسقطا جميعاً وحمل شيبه على حمزة فضاربا بالسيفين حتى اثلما وحمل امير المؤمنين علي (ع) على الوليد فضربه على جبل عاتقه فأخرج السيف من ابطه قال علي لقد أخذ الوليد يمينه بين يديه فضرب بها هامتي فظننت ان السماء وقعت على الارض ثم احتنق حمزة وشيبه فقال المسلمون يا علي اما ترى ان الكلب قد نهز عمك فحمل عليه علي (ع) ثم قال يا عم طأطأ رأسك وكان حمزة اطول من شيبه فأدخل حمزة رأسه في صدره فضربه علي فطرح نصفه ثم جاء الى عتبة وبه رمق فاجز عليه وفي رواية أخرى انه برز حمزة لعتبة وبرز عبيدة لشيبه وبرز علي (ع) للوليد فقتل حمزة عتبة وقتل عبيدة شيبه وقتل علي (ع) الوليد فضرب شيبه رجل عبيدة فقطعها فاستنقذه حمزة وعلي وحمل عبيدة حمزة وعلي حتى أتيا به رسول الله ﷺ فاستمير فقال يا رسول الله الست شهيدا قال بلى انت اول شهيد من اهل بيتي وقال ابو جهل لقريش لا تمجلوا ولا تبطروا كما بطر ابناء ربيعة عليكم بأهل يثرب

فاجزروهم جزرا وعليكم بقريش فخلوهم أخذا حتى ندخلهم مكة فنعرفهم ضلالتهم التي هم عليها وجاء ابلis في صورة سراقه بن مالك بن جشم فقال لهم انا جار لكم ادفءوا الي رايكم فدفءوا اليه راية الميسرة وكانت الراية مع بني عبد الدار فنظر اليه رسول الله ﷺ فقال لاصحابه غصوا ابصاركم وعضوا على النواخذ ورفع يده فقال يا رب ان تهلك هذه العصاة لاتبعد ثم اصابه النشي فسري عنه وهو يسلم العرق عن وجهه فقال هذا جبرائيل قد أتاكم بألف من الملائكة مردفين وروى ابو امامة بن سهل بن حنيف عن ابيه قال لقد رأينا يوم بدر ان احدنا يشير بسيفه الى المشرك فيقع رأسه من جسده قبل ان يصل اليه السيف قال ابن عباس حدثني رجل من بني غفار قال اقبلت انا وابن عمي حتى اصعدنا في جبل يشرف بنا على بدر ونحن مشركان نتظر الوقفة على من تكون الدبرة فيينا نحن هناك اذ دنت مناصحنا فسمعنا فيها جمجمة الخيل فسمعت قائلا يقول اقدم حيزوم ثم قال فأما ابن عمي فانكشف قناع قلبه فأت مكانه وأما انا فكذت اهلك ثم تماسكت وروى عكرمة عن ابن عباس ان النبي ﷺ قال يوم بدر هذا جبرائيل أخذ برأس فرسه عليه اداة الحرب أورده البخاري في الصحيح قال عكرمة قال ابو رافع مولى رسول الله ﷺ كنت غلاما للعباس بن عبدالمطلب وكان الإسلام قد دخلنا اهل البيت واسلمت ام الفضل واسلمت وكان العباس يهاب قومه ويكره ان يخالفهم وكان يكتنم إسلامه وكان ذا مال كثير منفرد في قومه وكان ابو لهب عدو الله قد تخلف عن بدر وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة وكذلك صنعوا لم يخلف رجل الا بعث مكانه رجلا فلما جاء الخبر عن مصاب اصحاب بدر من قريش كبت الله واخزاه ووجدنا في انفسنا قوة وعزاً قال وكنت رجلا ضعيفا وكنت اعمل القداح انحتمها في حجرة زمزم فوالله اني لجالس فيها انحتم القداح وعندني ام الفضل جالسة وقد سرنا ما جاءنا من الخبر اذا قبل الفاسق ابو لهب يجر رجله حتى جلس على طنب الحجر فكان ظهره الى ظهري فيينا هو جالس اذ قال الناس هذا ابو سفيان ابن حرث بن عبدالمطلب وقد قدم فقال ابو لهب هلم الي يا ابن اخي فعندك الخبر فجلس اليه والناس قيام عليه فقال يا ابن اخي اخبرني كيف كان امر الناس قال لاشي والله ان كان إلا ان لقيناهم فنحناهم اكتافنا يقتلوننا ياسروننا كيف شاءوا وايم الله مع ذلك مالت الناس لقينا رجلا بيضا على خيل بلق بين السماء والارض ما تلبق شيئا ولا يقوم لها شي قال ابو رافع فرفعت طرف الحجره يدي ثم قلت تلك الملائكة قال فرجع ابو لهب يده وضرب وجهي ضربة شديدة فتاورته واحتماني فضرب بي الارض ثم برك علي يضربني وكنت رجلا ضعيفا فقامت ام الفضل الى عمود من عمد الحجره فأخذته فضربته ضربة فقلت رأسه شجة منكرة وقالت تستضعفه ان غاب عنه سيده فقام موليا ذليلا فوالله ما عاش الا سبع ليال حتى رماه الله بالعدسة فقتله ولقد تركه ابناه لبتين او ثلاثا ما يدفنانه حتى أنتن في بيته وكانت قريش تنقي العدسة كما يتقي الناس الطاعون حتى قال لهما رجل من قريش ويحكم الا تستحيان ان اباكما قد أنتن في بيته لاتعيانه قالانا انخشى هذه القرحة قال فانطلقا فانا معكما فما غسلوه إلا قدأبالماء عليه من بعيد ما يمسونه ثم احتملوه فدفنوه بأعلى مكة الى جدار وقدفوا عليه بالحجارة حتى واروه وروى مقسم عن ابن عباس قال كان الذي اسر العباس ابا اليسر كعب بن عمرو اخا بني سلمة وكان ابو اليسر رجلا مجموعا وكان العباس رجلا جسيما قال رسول الله ﷺ لا يبي اليسر كيف اسرت العباس يا ابا اليسر فقال يا رسول الله لقد اعانني عليه رجل ما رأيت قبل ذلك

ولا بعده هيأته كذا وكذا فقال ^{وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} لقد اعانك عليه ملك كريم
قوله تعالى (١٥) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا
تُولُوهُمُ الْأَدْبَارَ (١٦) وَمَنْ يُولِهِمْ يُؤَمِّدِ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُنْحَرِفًا إِلَى
فِتْنَةٍ قَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوِيَهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٧) فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ
اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ
سَمِيعٌ عَلِيمٌ (ثلاث آيات)

✽ الفنة ✽

اللقاء الاجتماع على وجه المقاربة لأن الاجتماع قد يكون على غير وجه المقاربة فلا يكون لقاء كاجتماع
الأعراس في المحل الواحد والزحف الدنو قليلا قليلا والتزاحف التذاني يقال زَحَفَ يَزْحَفُ زَحْفًا وَازْحَفَتْ
للقوم اذا دنوت لقتالهم وثبت لهم قال الليث الزحف جماعة يزحفون الى عدوهم بمرة وجمعه زحوف والتولية
جعل الشيء يلي غيره يقال ولآه دبره اذا جعله يليه فهو يتمدى الى مفعولين ومنه ولآه البلد من ولاية الامارة
وتولى هو اذا قبل الولاية واولاه نعمة لأنه جعلها تليه والتحرف الزوال عن جهة الاستواء الى جهة الحرف
ومنه الاحتراف وهو ان يقصد جهة الحرف لطلب الرزق والمحارف المحدود عن جهة الرزق الى جهة الحرف
ومنه حروف الهجاء لأنها اطراف الكلمة كحرف الجبل ونحوه والتحيز طلب حيز يتمكن فيه والتحيز المكان
الذي فيه الجواهر والفئة القطعة من الناس وهي جماعة منقطعة عن غيرها وذكر الفنة في هذا الموضع حسن
جدا وهو من فأوت رأسه بالسيف اذا قطعه

✽ الأعراب ✽

زحفا نصب على المصدر وهو في موضع الحال لأن معناه متزاحفين مجتمعين ومنحرفا و متحيزا منصوبان
على الحال ايضا ويجوز ان يكون النصب فهما على الاستثناء أي إلا أن يكون رجلا متحيزا او أن يكون منفردا
فينحاز ليكون مع المقاتلة ويومئذ يجوز اعرابه و بناؤه فالأعراب لأنه متمكن اضيف على تقدير الإضافة الحقيقية
كقولك هذا يوم ذاك واما البناء فلأنه اضيف الى مبني اضافة غير حقيقية فأشبه الأسماء المركبة

✽ المعنى ✽

لما أمد الله سبحانه المسلمين بالملائكة ووعدهم النصر والظفر بالكفار نهام عقيه عن الفرار قال
سبحانه (يا أيها الذين آمنوا) قيل انه خطاب لأهل بدر وقيل هو عام (اذا لقيتم الذين كفروا زحفا) أي
متدانيين لقتالكم قال الزجاج معناه اذا واقفتموهم للقتال (فلا تولوهم الأدبار) يعني فلا تجعلوا ظهوركم
مما يليهم اي فلا تنهزموا (ومن يولهم يومئذ دبره) أي ومن يجعل ظهره اليهم يوم القتال ووجهه الى جهة
الانهازم واراد بقوله يومئذ ذلك الوقت ولم يرد به بياض النهار خاصة دون الليل (إلا متحرفا لقتال) أي
إلا تاركا موقفا الى موقف آخر اصلح للقتال من الاول عن الحسن وقيل معناه الا منعطفا مستطرذا كذنه
يطلب عورة يمكنه اصابتها فيتحرف عن وجهه ويرى انه يقر ثم يكر والحرب كرفر (او متحيزا الى فئة)
أي منحازا منضمنا الى جماعة من المسلمين يريدون العود الى القتال ليستعين بهم (قد باء بغضب من الله)

اي احمل غضب الله واستحقه وقيل رجع بغضب من الله (ومأواه جهنم) اي مرجعه الى جهنم (وبئس المصير) واكثر المفسرين على ان هذا الوعيد خاص بيوم بدر خاصة ولم يكن لهم يومئذ ان ينحازوا لانه لم يكن يومئذ في الارض فئة للمسلمين فاما بعد ذلك فان المسلمين بعضهم فئة لبعض وهو قول ابي سعيد الخدري وابن عباس في رواية الكلبي والحسن وقتادة والضحاك ووردت الرواية عن ابن عمر قال بعثنا رسول الله ﷺ في سرية فلحقوا العدو فجاءت الناس جيضة واتينا المدينة فتحباننا بها وقتلنا رسول الله نحن الفرارون فقال بل انتم المكارون وانا فتنكم وقيل انه عام في جميع الاوقات وان من فر من الزحف اذا لم يزيدوا على ضعفي المسلمين لحقه الوعيد عن ابن عباس في رواية اخرى وهو قول الجبائي وابي مسلم ثم نفى سبحانه ان يكون المسلمون قتلوا المشركين يوم بدر فقال (فلم يقتلوهم ولكن الله قتلهم) وانما نفى الفعل عن هو فعله على الحقيقة ونسبه الى نفسه وليس بفعله من حيث كانت افعاله تعالى كالسبب لهذا الفعل والمؤدي اليه من اقداره اياهم ومعونته لهم وتشجيع قلوبهم والقاء الرعب في قلوب اعدائهم والمشركين حتى قتلوا (وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى) خطاب للنبي ذكر جماعة من المفسرين كابن عباس وغيره ان جبرائيل (ع) قال للنبي ﷺ يوم بدر خذ قبضة من تراب فارمهم بها فقال رسول الله ﷺ لما التقى الجمعان املي اعطني قبضة من حصا الوادي فناوله كما من حصا عليه تراب فرمى به في وجوه القوم وقال شامت الوجوه فلم يبق مشرك الا دخل في عينه وفمه ومنخرته منها شي ثم ردهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم وكانت تلك الرمية سبب هزيمة القوم وقال قتادة وانس ذكر لنا ان رسول الله ﷺ أخذ يوم بدر ثلاث حصيات فرمى بمحصاة في ميمنة القوم وحصاة في ميسرة القوم وحصاة بين اظهريهم وقال شامت الوجوه فانهمزوا ففعل هذا انما اضاف الرمي الى نفسه لانه لا يقدر احد غيره على مثله فانه من عجائب المعجزات (وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا) ولينعم عليهم به نعمة حسنة اي فعل ذلك انما على المؤمنين والضمير في منه راجع الى النصر اي من ذلك النصر ويجوز ان يكون راجعا الى الله تعالى (ان الله سميع) لدعائكم (عليم) بافعالكم وضائرهم وانما يقال للنعمة بلاء كما يقال للمضرة بلاء لان اصل البلاء ما يظهر به الامر من الشكر والصبر فينتلي سبحانه عباده اي يختبرهم بالنعم ليظهر شكرهم عليها وبالهمج والشدة ليدل على الصبر الموجب للاجر والبلاء الحسن هاها هو النصر والغنيمة والاجر والثوبة

﴿النظم﴾

وقيل في وجه اتصال هذه الآية بما قبلها وجان ﴿احدها﴾ انه سبحانه لما امرهم بالقتال في الآية المتقدمة ذكر عقيبها ان ما كان من الفتح يوم بدر وقهر المشركين انما كان بنصرته ومعونته تذكير للنعمة عن ابي مسلم ﴿والآخر﴾ انهم لما امروا بالقتال ثم كان بعضهم يقول انا قتلنا فلانا وانا قتلنا كذا

نزات الآية على وجه التنبيه لهم لئلا يمجروا باعمالهم

قوله تعالى (١٨) ذَلِكَمُ وَأَنَّ اللَّهَ مَوْهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ (١٩) إِنَّ نَسَفَتْ حَوْاقِدَ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ نَسَفَتْ حَوْاقِدَهُ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُدُّوْا وَعَدُّوْا لَنْ نَغْنِي عَنْكُمْ فَتُكْمُ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ (٢٠) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عُنُقَهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ (٢١) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ اربع آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل الحجاز وأبو عمرو ويعقوب برواية روح موهن بالتشديد غير متون، كيد بالجر على الإضافة وقرأ الباقون موهن بالتنوين والتخفيف، كيد بالنصب وقرأ حفص عن عاصم موهن بالتخفيف، كيد بالنصب وقرأ أهل المدينة وابن عامر وحفص وأن الله مع المؤمنين بفتح الألف والباقون بكسر الألف

﴿ الحجة ﴾

من قرأ موهن فإنه من أوهنته أي جعلته واهنا ومن شدد فإنه من وهنته كما يقال فرح وفرحته وكلاهما حسن ومن قرأ وان الله بكسر الهمزة فإنه قطعها مقابلته ويقويه أنهم زعموا أن في حرف عبد الله "الله" مع المؤمنين ومن فتح الهمزة فوجهه أن يكون على تقدير ولأن الله مع المؤمنين أي لذلك لن تغني عنكم فتكم

﴿ اللفظة ﴾

الاستفتاح طلب الفتح وهو النصر الذي تفتح به بلاد العدو والفتح أيضا الحكم ويقال للقاضي الفتح واصل الباب من الفتح الذي هو ضد الإغلاق والانتها. ترك الفعل لأجل النهي عنه يقال نهيت فانتهي وأمرته فاتم

﴿ الأعراب ﴾

ذلكم موضعه رفع وكذلك ان الله في موضع رفع والتقدير الأمر ذلكم والأمر ان الله موهن وكذلك الوجه فيما تقدم من قوله ذلكم فذوقوه وان الكافرين عذاب النار ومن قال أن ذلكم مبتدأ واذوقوه خبره فقد أخطأ لأن ما بعده الفاء لا يكون خبر المبتدأ ولا يجوز زيد فمطلق ولا زيد فاضربه إلا أن تضر هذا تريد هذا زيد فاضربه

— المعنى —

(ذلكم) إشارة إلى بلاة المؤمنين خاطبهم سبحانه بعد أن أخبر عنهم ومعناه الأمر ذلكم الاتعام أو ذلكم الذي ذكرت (وان الله موهن كيد الكافرين) أو لقاء الرب في قلوبهم وتفريق كلمتهم قال ابن عباس يقول إنى قد أوهنت كيد عدوكم حتى قتلت جبابرتهم وأسرت أشرافهم (ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح) قيل إنه خطاب للمشركين فإن أبا جهل قال يوم بدر حين التقى الفتيان اللهم اقطعنا للرحم واتانا بما لا نعرف فانصر عليه عن الحسن ومجاهد والزهري والضحاك والسدي وفي حديث أبي حمزة قال أبو جهل اللهم ربنا ديننا القديم ودين محمد الحديث فأني الدينين كان أحب إليك وأرضى عندك فانصر اهله اليوم وعلى هذا فيكون معناه ان تستنصروا لأهدى الفتيان فقد جاءكم النصر أي نصر محمد وأصحابه وقيل إنه خطاب للمؤمنين عن عطاء وأبي علي الجبائي ومعناه ان تستنصروا على أعدائكم فقد جاءكم النصر بالنبي ﷺ قال الزجاج ويجوز ان يكون معناه ان تستحكموا وتستقضوا فقد جاءكم القضاء والحكم من الله (وان تنتهوا أي تمتنعوا من الكفر وقاتل الرسول والمؤمنين) فهو خير لكم وان تعردوا نعد) معناه وان تعردوا أيها للمشركين الى قتال المسلمين نعد بأن ننصرهم عليكم ونأمرهم بقتالكم (ولن تغني عنكم فتكم شيئا) أي ولن تدفع عنكم جماعتكم شيئا (وان بكرت وان الله مع المؤمنين) بالنصر والحفظ يمكنهم منكم وينصرهم عليكم عن جماعة من المفسرين وقيل معناه وان تنتهوا أيها المسلمون عما كان منكم في الفتن وفي الأسارى من مخالفة الرسول فهو خير لكم وان تعردوا الى ذلك الصنيع نعد الى الإنكار عليكم وترك نصرتكم ولن يغني عنكم حيثنذ جمعكم شيئا اذ منناكم النصر عن عطاء والجبائي ثم أمر سبحانه بالطاعة التي هي سبب النصرة فقال (يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله) خص المؤمنين بطاعة الله ورسوله وان كانت واجبة على غيرهم أيضا لأنه لم يعتقد بغيرهم لأمر الله ما وجب عليهم ويجوز ان يكون إنما خصهم اجلالا لقدومهم ويدخل غيرهم فيه على طريق التبع (ولا تولوا عنه) أي ولا تعرضوا عن رسول الله ﷺ (وانتم تسمعون) دعاء لكم وأمره ونهيه أي اكم عن ابن عباس وقيل

معناه وانتم تسمعون الحجمة الموجبة لطاعة الله وطاعة الرسول عن الحسن (ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون) في الكلام حذف ومعناه ولا تكونوا كنهم في قولهم هذا المنكر فحذف المنهي عنه لدلالة الحال عليه وفي ذلك غاية البلاغة ومعنى قولهم سمعنا وهم لا يسمعون انهم سمعوا سماع عالم قابل له وليسوا كذلك والسماع بمعنى القبول كما في قوله سمع الله لمن حمده وهو لا الكفار هم المنافقون عن ابن اسحاق ومقاتل وابن جريج والجبائي وقيل هم أهل الكتاب من اليهود وقريظة والنظير عن ابن عباس والحسن وقيل انهم مشركو للعرب لانهم قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا عن ابن زيد

قوله تعالى (٢٢) **إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصَّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يُعْقِلُونَ (٢٣) وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ (آيات)**

❖ الفنة ❖

الشر الظاهر للسوء الذي يبلغ من صاحبه وهو نقيض الخير وقيل الشر الضرر القبيح والخير النفع الحسن وقيل الشر الضرر الشديد والخير النفع الكثير وهذا ليس بالوجه لأنه قد يكون ضررا ما لا يكون شرا بأن يعقب خيرا واصل الشر الإظهار من قوله

إِذَا قِيلَ أَيُّ النَّاسِ شَرٌّ قَبِيلَهُ

أشارت كليب بالأصابع

والدواب جمع دابة وهي ما دب على وجه الارض الا انه تختص في العرف بالحيل

- المعنى -

ثم ذم سبحانه للكفار فقال (ان شر الدواب) اي شر من دب على وجه الارض من الحيوان (عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون) يعني هؤلاء المشركين الذين لم ينتفعوا بما يسمعون من الحق ولا يتكلمون به ولا يفقهونه ولا يقرؤون به فكأنهم صم بكم لا يفكرون ايضا فيما يسمعون فكأنهم لم ينتفعوا بقولهم ايضا وصادوا كالذباب وقال الباقى (ع) نزلت الآية في بني عبد الدار لم يكن اسلم منهم غير مصعب بن عمير وحليف لهم يقال له سويط وقيل نزلت الآية في النضر بن الحارث بن كلدة من بني عبد الدار بن قصي (ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم) معناه ولو علم الله فيهم قبولا للهدى واقبالا على طلب الحق لاسمعهم ما يذهبون عن استماعه عن الحسن وقيل معناه لاسمعهم الجواب عن كل ما سألوا عنه عن الزجاج وقيل معناه لاسمعهم قول قصي بن كلاب فانهم قالوا احمي لنا قصي بن كلاب ليشهد بنو تكت عن الجبائي (ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون) أي لا عرضوا وفي هذا دلالة على ان الله تعالى لا يمنح احداً من المكلفين اللطف وانما لا يظلمن يعلم انه لا ينتفع به

قوله تعالى (٢٤) **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْحَرَمِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ نُحْشَرُونَ (٢٥) وَأَتَقُوا فِتْنَةَ لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (آيات)**

❖ القراءة ❖

قرأ أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) وزيد بن ثابت وابو جعفر الباقر (ع) والربيع بن انس وابو العالية تصيين والقراءة المشهورة لا تصيين

— الحجة —

قال ابن جني معنى هاتين القراءتين ضدان كما ترى لأن احدهما تصيين الذين ظلموا خاصة والأخرى لاتصيينهم ويمكن ان يكون حذف الالف من لا تصيين تخفيفاً واكتفى بالفتحة منها كما قالوا ام والله ليكونن كذا فحذفوا الف اما وذهب ابو عثمان في قوله يا ابت بفتح التاء انه اراد يا ابنا فحذف الالف تخفيفاً فإن قلت فهل يجوز ان نعمله على انه اراد لتصيين ثم اشبع الفتحة فأنشأ عنها الفاقول منقولة «بِنَاءٍ مِنْ ذِفْرِي غَضُوبِ جِسْرَةٍ» اراد يتبع ومثله قول ابن هرمة

فَأَنْتَ مِنَ الْغَوَائِلِ حِينَ تَرُمِي وَمِنْ ذَمِّ الرَّجَالِ بِمَنْتَزَاحٍ (١)

اي بمنترح قيل قوله تعالى فيا يليه واعلموا ان الله شديد العقاب اشبه با ذكرناه وأما الوجه في قوله لاتصيين فقد قال الزجاج زعم بعض النحويين ان هذا الكلام جزاء خبر وفيه طرف من النهي فإذا قلت انزل عن الدابة لا تطرحك او لا تطرحك فهذا جواب الأمر بلفظ النهي والمعنى ان تنزل عنه لا تطرحك فإذا أتيت بالنون الخفيفة او الثقيلة كان اوكد للكلام ومثله قوله تعالى يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان والمعنى ان تدخلوا لا يحطمنكم ويجوز ان يكون نهياً بعد أمر فيكون المعنى اتقوا فتنة ثم نهى بعده فقال لا تصيين الفتنة الذين ظلموا اي لاتعرضن الذين ظلموا لما ينزل بهم معه العذاب ويكون بمعنى يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم انها امرت بالدخول ثم نهتهم ان يحطمنهم سليمان فقالت لا يحطمنكم سليمان وجنوده فلفظ النهي لسليمان ومعناه للنمل كما تقول لا أرينك هاهنا قال ابو علي انه حكى القول الاول على جهة احتمال الآية كاحتمال القول الثاني فاما القول الثاني فيقول في الحسن ولا يصح عندنا الا القول في الحسن لأن قوله لاتصيين لا يخلو اما ان يكون جواب شرط ولا يجوز ذلك لأن دخول النون فيه يكون لضرورة الشعر كما انشده سيويه «ومها تشأ منه فزارة تمنن» واما ان يكون نهياً بعد امر فاستغنى عن استعمال حرف المطف مع لاتصال الجملة الثانية بالاولى كما مضى ذكر امثاله من قوله ثلاثة رابعهم كلبهم وأولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وهذا هو الصحيح دون الأول قال وبحال ان يكون جواب الأمر بلفظ النهي كما يستحيل أن يكون جواب الشرط بلفظ النهي لأن جواب الأمر في الحقيقة جواب الشرط ولا يجوز ايضا ان يكون اللفظ لفظ النهي والمعنى معنى الجزاء لأن الجزاء خبر فعكسه ان يكون على الفاظ الاخبار والفاظ الاخبار لا تجيء على لفظ الامر الا فيما علمته من قولهم اكرم به وما يدل على انه ليس بجزاء دخول النون فيه والنون لا تدخل في الجزاء لما ذكرناه خبر ولا يجوز دخول النون في الخبر الا في ضرورة الشعر نحو

رَبًّا أَوْفَيْتَ فِي عِلْمٍ تَرْفَعُنْ نُؤْيِي شَأْلَاتٍ (٢)

✽ المعنى ✽

ثم امر سبحانه بطاعة الرسول ﷺ فقال (يا ايها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول) اي اجيبوا الله والرسول فيا يأمرانكم به فاجابة الله والرسول طاعتها فيما يدعوان اليه (اذا دعاكم لما يحيبكم) قيل فيه اقوال **احدها** ان معناه اذا دعاكم الى الجهاد واللام في معنى الى قال القتيبي هو الشهادة فلو ان الشهداء احياء عند الله تعالى وقال الجبائي اي دعاكم الى احياء امركم واعزاز دينكم مجاهد عدوكم مع نصر الله اياكم وهو معنى قول الفراء **وثانيها** ان معناه اذا دعاكم الى الايمان فإنه حيلة القلب والكفر موقه من السدي وقيل الى الحق من مجاهد **وثالثها** ان معناه اذا دعاكم الى القرآن والعلم في الدين لأن الجهل موت والعلم حياة والقرآن سبب الحياة والعلم وفيه النجاة والعصمة عن قتادة **ورابعها** ان معناه اذا دعاكم الى الجنة لما فيها من الحياة الدائمة ونعم الأبد عن ابي مسلم (واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه) أي يحول بين المرء وبين الانتفاع بقلبه بالموت

(١) تمامه: «زبافة مثل الفتيق المرقم» وذفري: العظيم الذي خلف الاذن وهو اول ما يبرق من البحر والنضوب السوس من النوق وناقجسرة: طويلة ضخمة (٢) الغوائل جمع الغائلة: الداهية والفساد والشر. وأنت بمنترح من كذا اي يبعد منه. قوله في رثاء ابنه (٣) قوله اوفيت اي اشرفت. والعلم: الجبل

فلا يمكنه استدراك ما فات فبادروا الى الطاعات قبل الحيلولة ودعوا التسوية عن الجبائي قال وفيه حث على الطاعة قبل حلول المانع وقيل معناه انه سبحانه أقرب اليه من قلبه وهو نظير قوله ونحن اقرب اليه من جبل الوريد فلان الحائل بين الشيء وغيره اقرب الى ذلك الشيء من ذلك الغير عن الحسن وقتادة قال وفيه تحذير شديد وقيل معناه انه سبحانه يملك قلب القلوب من حال الى حال كما جاء في الدعاء يا مقلب القلوب والابصار فكأنهم خافوا من القتال فأعلمهم سبحانه انه يبذل خوفهم أمناباً يحول بينهم وبين ما يتفكرون فيه من اسباب الخوف وروى يونس بن عمار عن ابي عبد الله (ع) قال انه يحول بين المرء وقلبه معناه لا يستيقن القلب ان الحق باطل ابداً ولا يستيقن القلب ان الباطل حق ابداً وروى هشام بن سالم عنه عنه قال معناه يحول بينه وبين ان يعلم ان الباطل حق او ردهما المياشي في تفسيره وقال معناه لا يستطيع القلب ان يكتم الله شيئاً وهذا في معنى قول الحسن (وانه اليه تعشرون) معناه واعلموا انكم تعشرون أي تجمعون للجزاء على اعمالكم يوم القيامة ان خيراً فخير وان شراً فشر (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) حذرهم الله تعالى من هذه الفتنة وامرهم ان يتقوها فكأنه قال اتقوا فتنة لا تقربوها فتصيبنكم لأن قوله لا تصيبن نهي مسوق على الأمر ولفظ النهي واقع على الفتنة وهو في المعنى للمأمورين بالاتقاء كقوله ولا تموتن الا وانتم مسلمون أي احذروا ان يدرككم الموت قبل ان تسلموا واختلف في معنى الفتنة هاهنا فقيل هي العذاب امر الله المؤمنين ان لا يقربوا المنكرين اظهرهم فيعصمهم الله بالعذاب والحطاب لاصحاب النبي صلى الله عليه وآله خاصة عن ابن عباس والجبائي وقيل هي البلية التي يظهر باطن امر الانسان فيها عن الحسن قال بنزلت في علي وعمار وطلحة والزبير وقد قال الزبير لقد قرأنا هذه الآية زماناً وما ارانا من اهلها فاذا نحن المعينون بها فخالفتنا حتى أصابتنا خاصة وقيل نزلت في أهل بدر خاصة فاصابتهم يوم الجمل فاقتلوا عن السدي وقيل هي الضلالة وافتراق الكلمة ومخالفة بعضهم بعضاً عن ابن زيد وقيل هي الهرج الذي يركب الناس فيه بالظلم ويدخل ضرره على كل احد ثم اختلف في اصابة هذه الفتنة على قولين **الاول** انها جارية على العموم فتصيب الظالم وغير الظالم اما الظالمون فمعدبون واما المؤمنون فمستحنون محصون عن ابن عباس وروي انه سئل عنها فقال ابهوا ما ابهم الله **والثاني** انها تخص الظالم لأن الغرض من الناس عن الظلم وتقديره واتقوا عذاباً يصيب الظلمة خاصة ويقويه قراءة من قرأ تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة باللام فإنه تفسيره على هذا المعنى وقيل ان لا في قوله لا تصيبن زائدة ويجوز ان يقال ان الأنف في لا لاوشباع الفتحة على ما تقدم ذكره قال ابو مسلم تقديره احذروا ان يخص الظالم منكم بعذاب اي لا تظلموا فإيا تيكتم عذاب لا ينجو منه الا من زال عنه اسم الظلم (واعلموا ان الله شديد العقاب) لمن لم يتق المعاصي وروى الثعلبي باسناده عن حذيفة انه قال اتكتم فتن كقطع الليل المظلم يهلك فيها كل شجاع بطل وكل راكب موضع وكل خطيب مصقع وفي حديث ابي ايوب الانصاري ان النبي صلى الله عليه وآله قال لعمار يا عمار انه سيكون بعدي هنات حتى يختلف السيف فيما بينهم وحتى يقتل بعضهم بعضاً وحتى يبرأ بعضهم من بعض فإذا رأيت ذلك فعليك بهذا الاصلع عن يميني علي بن ابي طالب (ع) فان سلك الناس كلهم واديا وسلك علي واديا فاسلك وادي علي وخل عن الناس يا عمار ان علياً لا يردك عن هدى ولا يدلك على ردى يا عمار طاعة علي طاعتي وطاعتي طاعة الله رواه السيد ابو طالب الهروي باسناده عن علقمة والاسود قال اتينا ابا ايوب الانصاري الحبر بطوله وفي كتاب شراهد التنزيل للحاكم ابي القاسم الحكائي وحدثنا عنه ابو احمد مهدي بن تزار الحسني حدثني محمد بن القاسم بن احمد قال حدثنا ابو سعيد محمد بن الفضيل بن محمد قال حدثنا محمد بن صالح المرزومي قال حدثنا عبد الرحمن بن ابي حاتم قال حدثنا ابو سعيد الاشج عن ابي خلف الاحمر عن ابراهيم بن طهمان عن سعيد بن ابي عروبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية واتقوا فتنة قال النبي صلى الله عليه وآله من ظلم علياً مقدي هذا بعد وفاتي فكأننا جحد

(١) الراكب الموضع في الفتنة -: المسرع فيها . واليصمغ - كمنبر -: البليغ

بنبوتى ونبرة الانبياء قبله

قوله تعالى (٢٦) وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (آية)

﴿ اللفظة ﴾

الذكر ضد الهو وهو احضار المعنى للنفس والاستضعاف طلب ضعف الشيء بتهوين حاله والتخطف الأخذ ببرعة انتزاع يقال تخطف وتخطف واختطف

﴿ المعنى ﴾

ثم ذكر سبحانه حالهم الساقطة في القلة والضعف واتمامه عليهم بالنصر والتأييد والتكثير فقال (واذكروا) مشر المهاجرين (إذ أنتم قليل) في المدد وكانوا كذلك قبل الهجرة في ابتداء الإسلام (مستضعفون) يطلب ضعفكم بتهوين امرؤ (في الأرض) اي في مكة عن ابن عباس والحسن (تخافون ان يتخطفكم الناس) اي يستلبكم المشركون من العرب ان خرجتم منها وقيل انه يعني بالناس كفار قريش عن قتادة وعكرمة وقيل فارس والروم عن وهب (فآواكم) اي جعل لكم مأوى ترجعون اليه يعني المدينة دار الهجرة (وأيدكم بنصره) اي قواكم (ورزقكم من الطيبات) يعني الفنائم أحياكم ولم يحلها لأحد قبلكم وقيل هي عامة في جميع ما اعطاهم من الاطعمة اللذيذة (لعلكم تشكرون) اي لكي تشكروا والمعنى قابلوا حالكم التي انتم عليها الان بتلك الحال المتقدمة ليقين لكم موضع النعمة فتشكروا عليها

قوله تعالى (٢٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٨) وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (آيات)

﴿ اللفظة ﴾

الحيانة منم الحق الذي قد ضمن التأديبة فيه وهي ضد الأمانة واصلا ان تنقص من ائمتك أمانته قال زهير
بَارِزَةَ الْفِقَارَةِ لَمْ يَخْنَهَا
قِطَافٌ فِي الرَّكَابِ وَلَا خَلَاءٌ (١)
اي لم ينقص من فراحتها

﴿ الاعراب ﴾

وتخونوا مجزوم على النهي وتقديره ولا تخونوا من الاخش وهو في معنى قول ابن عباس وقيل انه نصب على الظرف مثل قول الشاعر
لَا تَنَّهُ عَنِ خُلُقِي وَتَأْتِي مِثْلَهُ
عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمٌ
وهو في معنى قول السدي

﴿ النزول ﴾

قال طا سمعت جابر بن عبد الله يقول ان ابا سفيان خرج من مكة فأتى جبرائيل (ع) النبي ﷺ فقال ان ابا سفيان في مكان كذا وكذا فاخرجوا اليه واكتبوا قال فكتب اليه رجل من المنافقين ان محمداً يريدكم فخذوا حذرکم فأتزل الله هذه الآية وقال السدي كانوا يسمعون الشيء من النبي ﷺ فيشونه حتى يبلغ المشركين وقال الكلبي والزهرري تزلت في ابي لبابة بن عبد المنذر الاتصاري وذلك ان رسول الله ﷺ حاصر يهود قريظة لحدى وعشرين ليلة فسألوا رسول الله ﷺ الصلح على ما صالح عليه اخوانهم من بني النضير (١) الآزره: الشديدة المجتمع بعضها الي بعض . أرادانها مدمجة الفقار متداخلة و ذلك اقوي لها . و القطف مصدر القطف من الدواب: البطة

على أن يسيروا إلى اخوانهم إلى اذرعاء وادبعاء من ارض الشام فأبى أن يعطيهم ذلك رسول الله ﷺ إلا ان يتلوا على حكم سعد بن معاذ فقالوا ارسل الينا ابا لبابة وكان مناصحا لهم لأن عياله وماله وولده كانت عندهم فبعث رسول الله ﷺ فاتهم فقالوا ما ترى يا ابا لبابة أنتزل على حكم سعد بن معاذ فأشار ابو لبابة بيده إلى حلقه انه الذبيح فلا تفعلوا فاتم جبرائيل (ع) فأخبره بذلك قال ابو لبابة فوالله ما زالت قدماي من مكانها حتى عرفت اني قد خنت الله ورسوله فتزلت الآية فيه فلما تزلت شد نفسه على سارية من سوارى المسجد وقال والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى أموت او يتوب الله علي فكث سبعة ايام لا يذوق فيها طعاما ولا شرابا حتى خر ممشيا عليه ثم كتاب الله عليه قبيل له يا ابا لبابة قد تيب عليك فقال لا والله لأحل نفسي حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يحلني فبجاء فحلّه بيده ثم قال ابو لبابة ان من قام توبتي ان اهجر دار قومي التي أصبت فيها الذنب وان اتخلع من مالي فقال النبي ﷺ يجزئك الثلث ان تصدق به وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله عليها السلام

- المعنى -

ثم امرهم الله سبحانه بترك الخيانة فقال (يا ايها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول) اي لا تخونوا الله بترك فرائضه والرسول بترك سننه وشرائعه عن ابن عباس وقيل ان من ترك شيئا من الدين وضيمه فقد خان الله ورسوله عن الحسن (وتخونوا أماناتكم) يعني الاعمال التي ائتمن الله عليها العباد يعني الفرائض التي يقول لا تنقصوها عن ابن عباس وقيل انهم اذا خانوا الله والرسول فقد خانوا أماناتهم عن السدي (واتم تلمسون) ما في الخيانة من الذم والعقاب وقيل وانتم تلمسون انها أمانة من غير شبهة (واعلموا) اي وتحققوا وابقنوا (انما اموالكم واولادكم فتنة) اي بلية عليكم ابتلاء الله تعالى بها فان ابا لبابة حمل على ما فعله ماله الذي كان في ايديهم واولاده الذين كانوا بين ظهرانيهم (وان الله عنده اجر عظيم) لمن اطاعه وخرج إلى الجهاد ولم يخن الله ورسوله وذلك خير من الأموال والاولاد بين سبحانه بهذه الآية انه يختبر خلقه بالأموال والاولاد ليتبين الراضي بقسمه ممن لا يرضى به وان كان سبحانه اعلم بهم من انفسهم ولكن يظهر الافعال التي بها يستحق الثواب والعقاب وإلى هذا أشار أمير المؤمنين علي (ع) في قوله لا يقولن أحدكم اللهم اني اعوذ بك من الفتنة لأنه ليس أحد الا هو مشتمل على فتنة ولكن من استعاذ فليستعذ من غلات الفتنة فان الله تعالى يقول واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة وقد روي هذا المعنى عن ابن مسعود ايضا

قوله تعالى (٢٩) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (آية)

✽ المعنى ✽

(يا ايها الذين آمنوا) اي يا ايها المؤمنون (ان تتقوا الله) أي ان تتقوا الله باتقائه معاصيه واداء فرائضه (يجعل لكم فرقانا) اي هداية ونورا في قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل عن ابن جريج وابن زيد وقيل معناه يجعل لكم مخرجا في الدنيا والاخرة عن مجاهد وقيل يجعل لكم نجاة عن السدي وقيل يجعل لكم فتحا ونصرا كما قال يوم الفرقان يوم التقى الجمعان عن الفراء وقيل يجعل لكم عزاً في الدنيا وثوابا في الاخرة وعقوبة وخذلانا لاعدائكم وذلا وعقابا كل ذلك يفرق بينكم وبينهم في الدنيا والاخرة عن الجبائي (ويكفر عنكم سيئاتكم) التي عملتموها (ياغفر لكم) ذنوبكم (والله ذو الفضل العظيم) على خلقه بما انعم عليهم من انواع النعم فاذا ابتدأهم بالفضل العظيم من غير استحقاق كرمأ منه وجوداً فإنه لا يمنهم ما استحقوه بطاعتهم له وقيل معناه اذا ابتدأ بنعيم الدنيا من غير استحقاق فليعلم انما ذلك بنعيم الاخرة باستحقاق وغير استحقاق

* النظم *

قيل اتصلت الآية بأول السورة من الأمر بالجهاد وتقديره ان تتقوا الله ولم تخافوه فيما امركم به من الجهاد يجعل لكم فرقانا وقيل انه لما امر بالطاعة وترك الخيانة بين بعده ما اعده لمن امتثل امره في الدنيا والاخرة قوله تعالى (٣٠) واذ يمكركم الذين كفروا وليبتوك او يقتلوك او يخرجوك ويمكرون ويمكركم الله والله خير الماكرين (آية)

* اللمة *

المكر الميل الى جهة الشر في خفية قال الازهري المكر من الناس خبٌ وخداع ومن الله جزاء وأصل المكر الاتخاف من قولهم جارية مكورة قال ذو الرمة

عَجْرًا مَكُورَةً خَمَصَانَةٌ قَلْبٌ
عَنْهَا الْوِشَاحُ وَتَمَّ الْجِسْمُ وَالْقَصَبُ (١)

اي ملتفة والفرق بين المكر والقدر ان القدر نقض العهد الذي يجب الوفاء به والمكر قد يكون ابتداء من غير عقد والاثبات الجبس يقال رماه فائتبه اي جسه مكانه وثبته في الحرب اذا جرحه جراحة مثقلة

- النزول -

قال المفسرون انها نزلت في قصة دار الندوة وذلك ان نفرا من قريش اجتمعوا فيها وهي دار قصي بن كلاب وقامروا في امر النبي ﷺ فقال مروة بن هشام نرتبص به ريب المنون وقال ابو البخترى اخرجوه عنكم تشريحوها من اذاه وقال ابو جهل ما هذا برأي ولكن اقتلوه بان يجتمع عليه من كل بطن رجل فيضربوه باسيافهم ضربة رجل واحد فيرضى حينئذ بنو هاشم بالدية فصوب ابيس هذا الرأي وكان قد جاءهم في صورة شيخ كبير من اهل نجد وخطأ الاولين فاتفقوا على هذا الرأي واعدوا الرجال والسلاح وجاء جبرائيل (ع) فأخبر رسول الله ﷺ فخرج الى الفار وأمر عليا (ع) فبات على فراشه فلما اصبحوا وفتشوا عن الفرائس وجدوا عليا وقد رد الله مكرهم فقالوا اين محمد فقال لا ادري فاقنصوا أثره وارسلوا في طلبه فلما بلغوا الجبل ومرّوا بالفار رأوا على بابهنسج العنكبوت فقالوا لو كان هاهنا لم يكن نسج العنكبوت على بابهنسج فيه ثلاثا ثم قدم المدينة

* المعنى *

(واذ يمكركم الذين كفروا) اي واذكركم اذ يحتمل الكفار في ابطال امرك ويدبرون في هلاكك وهم مشركو العرب منهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة والنضر بن الحارث وابو جهل بن هشام وابو البخترى بن هشام وزمة بن الاسود وحكيم بن حزام وأميمة بن خلف وغيرهم (ليبتوك) اي ليقيدوك ويبتوك في الوثاق عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وقيل ليبتوك في الحبس ويسجنوك في بيت عن عطا والسدي وقيل معناه ليخنوك بالجراحة والضرب عن ابان بن تغلب والجبائي وابو حاتم وانشد

فَقَلَّتْ وَيَمَّكَ مَاذَا فِي صَحْفَتِكُمْ
قَالُوا الْخَلِيفَةَ امْسِيْ مُشْتَبَاً وَجَمًّا

(او يقتلوك او يخرجوك) من مكة الى طرف من اطراف الارض وقيل او يخرجوك على بئر ويطردونه حتى يذهب في وجهه (ويمكرون ويمكركم الله) اي ويدبرون في امرك ويدبر الله في امرهم عن ابي مسلم وقيل ويمكرون في امرك من حيث لا تشعروا فاحل الله بهم ما اراد من عذابه من حيث لا يشعرون عن الجبائي وقيل يمكرون والله تعالى يجازيهم على مكرهم كما قال سبحانه وجزاء سيئة سيئة مثلها (والله خير الماكرين)

لأنه لا يكر إلا ما هو حق وصواب وهو انزال المكروه بمن يستحقه والعباد قد يكرهون مكرها هو ظلم وباطل ومكرهم الذي هو عدل لا يبلغ في المنفعة للمؤمنين مبلغ مكر الله فلذلك قال خير الماكرين وقيل معناه خير المجازين على المكر

﴿ النظم ﴾

الآية اتصلت بقوله واذكروا اذ انتم قليل فتقديره واذكروا تلك الحال واذكروا ما مكر الكفار بمكة عن ابي مسلم وغيره وقيل انها متصل بما قبلها من قوله ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا يعني يجعل لكم نجات كما جعل للنبي ﷺ واصحابه النجاة من مكر مشركي قريش فاذا كروا ذلك قوله تعالى (٣١) وَإِذَا تَلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٣٢) وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ أُنزِلْنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٣) وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (٣٤) وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَائِهِ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ اربع آيات

﴿ الاعراب ﴾

هو الحق هو فصل لا عمل له من الاعراب ويسميه الكوفيون عماداً والحق منصوب بأنه خبر كان ويجوز فيه الرفع ولكن لم يقرأ به واللام في قوله ليعذبهم لام الجحد وأصلها لام الاضافة وانما دخلت في النفي ولم تدخل في الايجاب لتعلق الخبر بحرف النفي كما دخلت الباء في خبر ما ولم تدخل في الايجاب وموضع أن من قوله أن لا يعذبهم الله نصب لأن تقديره وما لهم في أن لا يعذبهم الله أي شيء لهم في ذلك لكن لما حذف الجار عمل معنى الفاعل الذي هو الاستقرار ونحوه وانما جاز الحذف مع ان ولم يجزم مع المصدر لطول الكلام بالصلة اللازمة من الفعل والفاعل وليس كذلك المصدر

« المعنى »

ثم اخبر سبحانه عن عناد هؤلاء الكفار ومباهتهم للحق فقال (وإذا تلى عليهم آياتنا) من القرآن (قالوا قد سمعنا) أي ادركنا بأذاننا فإن السماع ادراك الصوت بحاسة الأذن (لو نشاء لقلنا مثل هذا) إنما قالوا ذلك مع ظهور عجزهم عن الايمان بسورة مثله بعد التحدي عداوة وعبادا وقد تحمل الإنسان شدة العداوة على ان يقول ما لا يعلم وقيل إنما قالوا ذلك لأنه لم ينقطع طمعهم من القدرة عليه في المستقبل اذ القرآن كان مريباً من كلمات جارية على السهم فطمعوا أن ينأى لهم في ذلك المستقبل بخلاف صيرورة المصاحبة في انه قد انقطع طمعهم عن الايمان بمثله اذ جنس ذلك لم يكن في مقدورهم (ان هذا الأساطير الأولين) معناه ما هذه الا أحاديث الأولين تلوها علينا وكان قائل هذا النضر بن الحارث بن كادة وأسر يوم بدر قتله رسول الله ﷺ وعقبه بن ابي معيط قال يا علي بن النضر ابني فأخذ علي بشعره وكان رجلاً جميلاً شعره فجا به الى النبي ﷺ قال يا محمد أسألك بالرحم بيني وبينك الا اجريني كرجل من قريش ان قتلته قتلتي وان قاديتهم قاديتني قال ﷺ لا رحم بيني وبينك قطع الله الرحم بالاسلام قديمه

يا علي فاضرب عنقه فاضرب عنقه ثم قال يا علي علي بعبقة فأحضر هال يا محمد ألم تقل لا تُصبر قريش اي لا يقتلون صبيرا فقال عليه السلام وأنت من قريش انما أنت عالج من أهل صفورية والله لا أنت في الميلاد اكبر من ابيك الذي تدعى له قال فمن للصبية قال عليه السلام النار ثم قال حن قدح ليس منها قال سعيد بن جبير قتل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم بدر ثلاثة نفر من قريش صبورا المطعم بن عدي والنضر بن الحارث وعبقة بن ابي معيط (واذ قالوا) اي واذا ذكر يا محمد اذ قالوا اي قال هؤلاء الكفار (اللهم ان كان هذا) الذي جاء به محمد (هو الحق من عندك) دون ما نحن عليه (فامطر علينا حجارة من السماء) كما امطرته علي قوم لوط (او ائتنا بعذاب اليم) اي شديد مؤلم والقائل لذلك النضر بن الحارث ايضا عن سعيد بن جبير ومجاهد وروي في الصحيحين ان هذا من قول ابي جهل ويسأل هاهنا فيقال لم طلبوا العذاب من الله بالحق وانما يطلب بالحق الخير والثواب والاجر والجواب انهم كانوا يعتقدون ان ما جاء به النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليس بحق من الله واذا لم يكن حقا لم يصبهم شي ويقال لم قتل امطر من السماء والامطار لا يكون الا من السماء وفي هذا جوابان عليه السلام احدهما عليه السلام انه يجوز ان يكون امطار الحجارة من مكان عال غير السماء عليه السلام والثاني عليه السلام انه على طريق البيان بمن ثم قال سبحانه (وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم) ذكر سبحانه سبب امهالهم ومعناه وما كان الله يعذب اهل مكة بعذاب الاستئصال وانت مقيم بين اظهرهم لفضلك وحرمتك يا محمد فان الله تعالى بعثك رحمة للعالمين فلا يعذبهم الا بعد ان يفعلوا ما يستحقون به سلب النعمة باخراجك عنهم قال ابن عباس ان الله سبحانه لم يعذب قومه حتى اخرجوه منها (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) معناه وما كان الله يعذبهم وفيهم بقية من المؤمنين بعد خروجك من مكة وذلك ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما خرج من مكة بقيت فيها بقية من المؤمنين لم يهاجروا بعدوا وكانوا على عزم الهجرة فرفع الله العذاب عن مشركي مكة لحرمته استغفارهم فلما خرجوا اذن الله في فتح مكة عن ابن عباس وعطية والضحاك واختاره الجبائي وقيل معناه وما يعذبهم الله بعذاب الاستئصال في الدنيا وهم يقولون غفرانك ربنا وانما يعذبهم على شركهم في الآخرة عن ابن عباس في رواية اخرى وهز يد بن رومان وابي موسى وعبد بن مبشر وفي تفسير علي بن ابراهيم لما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لقريش افي اقتل جميع ملوك الدنيا وأجري الملك اليكم فأجيبوني الى ما ادعوك اليه تملكون بها العرب وتدين لكم العجم فقال ابو جهل اللهم ان كان هذا هو الحق الآية حسدا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال غفرانك اللهم ربنا فانزل الله وما كان الله ليعذبهم الآية ولما هموا بقتل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واخرجوه من مكة انزل الله سبحانه وما لهم الا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام الآية فمذبهم الله بالسيف يوم بدر وقتلوا وقيل معناه انهم لو استغفروا لم يعذبوا وفي ذلك استدعاء الى الاستغفار عن ابن عباس في رواية اخرى والسدي وقنادة وابن زيد قال مجاهد وفي اصلاهم من يستغفر وقال عكرمة وهم يسلمون فأراد بالاستغفار الاسلام وقد روي عن أمير المؤمنين علي (ع) انه قال كان في الأرض أمانان من عذاب الله وقد رفع احدهما فدونكم الآخر فمذبهم الله وقرأ هذه الآية وروي ذلك عن قتادة ايضا (وما لهم الا يعذبهم الله) معناه ولم لا يعذبهم الله واي أمر يوجب ترك تعذيبهم (وهم يصدون عن المسجد الحرام) اي يمنعون عن المسجد الحرام اولياءه فحذف لأن ما بعده يدل عليه (وما كانوا أولياءه) اي وما كان المشركون أولياءه المسجد الحرام وان سموا في عمارته (ان اولياءه الا المتقون ولكن اكثرهم لا يعلمون) معناه وما اولياءه المسجد الحرام الا المتقون عن الحسن

وهو المروي عن أبي جعفر (ع) وقيل معناه وما كانوا أولياء الله أن أولياء الله إلا المتقون الذين يتركون معاصي الله ويحبتونها والأول أحسن ويسأل فيقال كيف يجمع بين الآيتين وفي الأولى نفي تعذيبهم وفي الثانية إثبات ذلك وجوابه على ثلاثة أوجه * أحدها * أن المراد بالأول عذاب الاصطلام والاستئصال كما فعل بالأمة الماضية وبالتالي عذاب القتل بالسيف والأسر وغير ذلك بعد خروج المؤمنين من بينهم * والآخر * أنه أراد وما لهم أن لا يعذبهم الله في الآخرة ويريد بالأول عذاب الدنيا عن الجبائي * والثالث * أن الأول استدعا للاستغفار يريد أنه لا يعذبهم بعذاب الدنيا ولا آخرة إذا استغفروا وتابوا فإذا لم يفعلوا عذبوا ثم بين أن استحقاقهم العذاب بصددهم الناس عن المسجد الحرام قوله تعالى (٣٥) وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ نَكْفُرُونَ (آية)

* القراءة *

يروى في الشواذ عن عاصم وما كان صلاتهم بالنصب إلا مكاءً وتصدية بالرفع وروي أيضاً عن ابان بن تغلب

* الحجة *

قال ابن جنبي لسنا ندفع أن جعل اسم كان نكرة وخبرها معرفة قبيح وإنما جاءت منه آيات شاذة لكن من وراء ذلك ما ذكره وهو أن نكرة الجنس تفيد مفاد معرفته ألا تراك تقول خرجت فإذا اسد بالباب فتجد معناه فإذا الاسد بالباب ولا فرق بينهما وذلك أنك في الموضعين لا تريد اسداً واحداً معينا وإنما تريد واحداً من هذا الجنس وإذا كان كذلك جاز هنا الرفع في مكاء وتصدية جوازا قريباً كأنه قال وما كان صلاتهم إلا هذا الجنس من الفعل ولا يكون مثل قولك كان قائم أخاك لأنه ليس في قائم معنى الجنسية وإيضاً فإنه يجوز مع النفي ما لا يجوز مع الإيجاب ألا تراك تقول ما كان إنسان خيراً منك ولا تجيز كان إنسان خيراً منك

* الفة *

المكاء الصغير والمكاء طائر يكون بالحجاز له صغير بالشد يد يقال مكاء مكاء إذا صفر بفيه قال عترة وحليل غانية تركت مجذلاً تمكو قريصته كشدق الأعمى والتصدية التصفيق وهو ضرب اليد على اليد ومنه الصدى صوت الجبل ونحوه

* المعنى *

ثم وصف سبحانه صلاتهم فقال (وما كان صلاتهم عند البيت) يعني هو لا المشركين الصادقين عن المسجد الحرام (الإكاء وتصدية) قال ابن عباس كانت قريش يطوفون بالبيت عراة يصفرون ويصفقون وصلاتهم معناه دعاءهم أي يقيمون المكاء والتصدية مكان الدعاء والتسبيح وقيل أراد ليس لهم صلاة ولا عبادة وإنما يحصل منهم ما هو ضرب من اللهو واللعب فالمسلمون الذين يطيعون الله ويمدون عند هذا البيت أحق بمنع المشركين منه وروي أن النبي ﷺ كان إذا صلى في المسجد الحرام قام رجلان من بني عبد الدار عن يمينه فيصفران ورجلان عن يساره يصفقان بأيديهما فيخلطان عليه صلاته فقتلهم الله جميعاً بيد ولهم

(١) الحليل : الزوج . النانية : المرأة التي غنيت بحسنها وجمالها عن الزينة . جدله فتجدل : رماه بالأرض فارتدى الشدق : طغفظة الفم من باطن الغدين . الأعمى : مشقوق الشفة العليا . يصف رجلًا طمعه .

المؤمنون وفي هذا دلالة على صحة نبوة النبي ﷺ. لأنه اخبر بالشيء قبل كونه فوجد على ما اخبر به (والذين كفروا الى جهنم يحشرون) اي يجمعون الى النار بعد تحسرم في الدنيا ووقوع الظفر بهم وقتلهم وإنما اعد قوله والذين كفروا لأن جماعة ممن انفقوا اسلموا بعد فخص منهم من مات على كفره بوعيد الآخرة (ليميز الله الخبيث من الطيب) معناه ليميز الله نفقة الكافرين من نفقة المؤمنين (ويميل الخبيث بمضه على بعض) اي ويميل نفقة المشركين بعضها فوق بعض (فيركمه) اي فيجمعه (جميعا) في الآخرة (فيجعله في جهنم) فيما قبلهم به كما قال يوم يحسب عليها في نار جهنم الآية وقيل معناه ليميز الله الكافر من المؤمن في الدنيا بالنقلة والنصر والأسماء الحسنة والاحكام المخصوصة وفي الآخرة بالثواب والجنة عن ابي مسلم وقيل بأن يميل الكافر في جهنم والمؤمن في الجنة ويميل الخبيث بمضه على بعض في جهنم بضيقها عليهم فيركمه جميعا أي يجمع الخبيث حتى يصير كالسحاب المركوم بأن يكون بعضهم فوق بعض في النار مجتمعين فيها فيجعله في جهنم اي يدخله جهنم (اولئك هم الخاسرون) قد خسروا انفسهم لأنهم اشتروا بانفاق الاموال في المصيبة عذاب الله في الآخرة

قوله تعالى (٣٨) قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأُولِينَ (٣٩) وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلَّهُ لِلَّهِ فَإِنْ أَنْتَهُوا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٤٠) وَإِنْ تَوَلَّوْا فاعلموا ان الله مولى لكم نعم المولى ونعم النصير ثلاث آيات

— اللفظ —

الانتهاؤ الاقلاع عن الشيء لأجل النهي يقال نهاه عن كذا فانتهى والسنة والطريقة والسيرة نظائر قال
فَلَا تَجْزَعَنَّ مِنْ سُنَّةٍ أَنْتَ سِرَّتَهَا فَأَوْلُ رَاضِي سُنَّةٍ مَنْ يَسِيرُهَا
والسلف التقدم والتولي عن الدين الذهاب عنه الى خلافه والتولي فيه هو الذهاب الى جهة الحق ومتابعته

✽ الاعراب ✽

وان تولوا شرط وقوله فاعلموا ان الله مولاكم أمر في موضع الجواب وإنما جاز ذلك لأن فيه معنى الخبر فكأنه قال فواجب عليكم العلم بأن الله مولاكم

✽ المعنى ✽

ثم أمر سبحانه نبيه ﷺ بدعائهم الى التوبة والايان قال (قل) يا محمد (للذين كفروا ان يتوبوا) اي يتوبوا عما هم عليه من الشرك ويمتنعوا منه (يغفر لهم ما قد سلف) اي ما قد مضى من ذنوبهم وقيل معناه ان يتوبوا عن المحاربة الى المودعة يغفر لهم ما قد سلف من المماقبة (وان يعودوا قد مضت سنة الاولين) معناه وان يعودوا الى القتال واصروا على الكفر فقد مضت سنة الله في آباتكم وعادته في نصر المؤمنين وكبت اعناء الدين والاسر والاسترقاق وإنما ذكر ذلك تحذيراً لهم واطراف السنة اليهم لأنها كانت تجري عليهم وقال سنة من قدارسلنا فأضاف السنة الى الرسل لأنها كانت تجري على ايديهم ثم قال ولا نجد لستنا تحويلاً فأضاف الى نفسه لأنه هو المجري لها (وقاتلوم حتى لا تكون فتنة) هذا خطاب للنبي ﷺ والمؤمنين بأن يقاتلوا الكفار حتى لا تكون فتنة اي شرك عن ابن عباس والحسن ومعناه حتى لا يكون

كافر بغير عهد لأن الكافر اذا كان بغير عهد كان عزيزا في قومه يدعو الناس الى دينه فتكون الفتنة في الدين وقيل حتى لا يفتن مؤمن عن دينه (ويكون الدين كله لله) اي ويجمع اهل الحق واهل الباطل على الدين الحق فيما يعتقدونه ويعملون به اي ويكون الدين حينئذ كله لله باجماع الناس عليه وروى زرارة وغيره عن ابي عبد الله (ع) انه قال لم يجبي تأويل هذه الآية ولو قام قائمتنا بعد سيرى من يدركه ما يكون من تأويل هذه الآية وليفلن دين محمد ﷺ ما بلغ الليل حتى لا يكون مشرك على ظهر الارض كما قال الله تعالى يصدونني لا يشركون بي شيئا (فان انتهوا) عن الكفر (فان الله بما يعملون بصير) معناه فان رجعوا عن الكفر وانتهوا عنه فان الله يجازيهم باعمالهم مجازاة البصير بها باطنها وظاهرها لا يخفى عليه منها شيء (وان تولوا) عن دين الله وطاعته (فاعلموا) ايها المؤمنون (ان الله مولاكم) اي ناصركم وسيدكم وحافظكم (نعم المولى) اي نعم السيد والحافظ (ونعم النصير) هو ينصر المؤمنين ويصينهم على طاعته ولا يخذل من هو ناصره قوله تعالى (٤١) **وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ إِن كُنْتُمْ أَمْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقِيٰ الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** آية

✽ الآية ✽

الغنيمة ما اخذ من اموال اهل الحرب من الكفار بقتال وهي هبة من الله تعالى للمسلمين والفي ما اخذ بغير قتال وهو قول عطاء ومذهب الشافعي وسفيان وهو المروي عن ائمتنا (ع) وقال قوم الغنيمة والفي واحد وادعوا ان هذه الآية ناسخة للتي في الحشر من قوله ما افاء الله على رسوله من اهل القرى فله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل الآية واليتيم الذي مات ابوه وهو صغير قبل البلوغ وكل حيوان يتيم من قبل امه الا الانسان فإنه من قبل ابيه والمساكين الذي تحمل له الصدقة وهو المحتاج الذي من شأنه أن تسكنه الحاجة عما ينهض به التقى وابن السبيل المسافر المنقطع به في سفره وانما قيل ابن السبيل لأن السبيل اخرجته الى هذا المستقر كما اخرجته ابوه الى مستقره

✽ الإعراب ✽

فان لله خمسة قبل في فتح أن قولان ✽ احدهما ✽ ان تقديره فعل ان لله خمسة ثم حذف حرف الجر ✽ والآخر ✽ انه عطف على ان الاولى وحذف خبر الاولى لدلالة الكلام عليه وتقديره اعلموا انما غنمتم من شيء يجب قسمته فاعلموا ان لله خمسة

✽ المعنى ✽

ثم بين سبحانه حكم الغنيمة فقال سبحانه مخاطبا للمسلمين (واعلموا انما غنمتم من شيء) اي بما قل او كثر (فان لله خمسة وللرسول ولذي القربى) اختلف العلماء في كيفية قسمة الخمس ومن يستحقه على اقوال ✽ أحدها ✽ ما ذهب اليه اصحابنا وهو ان الخمس يقسم على ستة اسهم فسهم لله وستهم للرسول وهذان السهمان مع سهم ذي القربى للإمام القائم مقام الرسول ﷺ وسهم لبيتنا آل محمد وسهم لمساكينهم وسهم لأبناء سبيلهم لا يشرركم في ذلك غيرهم لأن الله سبحانه حرم عليهم الصدقات لكونها اوساخ الناس

وعوَّضهم من ذلك الخمس وروى ذلك الطبري عن علي بن الحسين زين العابدين (ع) ومحمد بن علي الباقر عليهما السلام وروى ايضا عن ابي العالبة والربيع انه يقسم على ستة اسهم الا انها قالا سهم الله للكعبة والباقي لمن ذكره الله وهذا القسم مما يقتضيه ظاهر الكتاب وبقره والثاني ان الخمس يقسم على خمسة اسهم وان سهم الله والرسول واحد ويصرف هذا السهم الى الكراع والسلاح وهو المروي عن ابن عباس وابراهيم وقادة وعطاو الثالث ان يقسم على اربعة اسهم سهم ذي القربى لقرباة النبي ﷺ والا سهم الثلاثة لمن ذكروا بعد ذلك من سائر المسلمين وهو مذهب الشافعي والرابع انه يقسم على ثلاثة اسهم لأن سهم الرسول قد سقط بوفاته عندهم لأن الانبياء لا يورثون فيما يزعمون وسهم ذي القربى قد سقط لأن ابا بكر وعمر لم يطيبا سهم ذي القربى ولم ينكر ذلك احد من الصحابة عليها وهو مذهب ابي حنيفة واهل العراق ومنهم من قال لو اعطى قراء ذوي القربى سها والآخرون ثلاثة اسهم جاز ولو جعل ذوو القربى اسوة الفقراء ولا يفرد لهم سهم جاز واختلف في ذوي القربى قيل هم بنو هاشم خاصة من ولد عبد المطلب لأن هاشم لم يقب الا منه عن ابن عباس ومجاهد واليه ذهب اصحابنا وقيل هم بنو هاشم بن عبد مناف وبنو المطلب بن عبد مناف وهو مذهب الشافعي وروى ذلك عن جبير بن مطعم عن النبي ﷺ وقال اصحابنا ان الخمس واجب في كل فائدة تحصل للانسان من المكاسب وارباح التجارات وفي الكنوز والمعادن والنوص وغير ذلك مما هو مذکور في الكتب ويمكن ان يستدل على ذلك بهذه الآية فإن في عرف اللغة يطلق على جميع ذلك اسم الغنم والغنمية ونعود الى تأويل الآية قوله (فان لله خمسة) قالوا افتتح الكلام بالله على جهة التيمن والتبرك لأن الاشياء كلها عز وجل والمراد به مصروف الى الجهات المقربة الى الله تعالى وللرسول قالوا كان للنبي ﷺ سهم من خمسة اسهم يصرفه في موته وما فضل من ذلك يصرفه الى الكراع والسلاح والمصالح ولذي القربى قال بعضهم سقط هذان السهمان بموت الرسول ﷺ على ما ذكرناه قال الشافعي يصرف سهم الرسول الى الخليل والكراع في سبيل الله وسهم ذي القربى لبني هاشم وبني المطلب يستحقونه بالاسم والنسب فيشترك فيه الغني والفقير وروى عن الحسن وقادة ان سهم الله وسهم الرسول وسهم ذي القربى للإمام القائم من بعده ينقده على نفسه وعياله ومصالح المسلمين وهو مثل مذهبنا (واليتامى والمساكين وابن السبيل) قالوا ان هذه الاسهم الثلاثة لجميع الناس وانه يقسم على كل فريق منهم بقدر حاجتهم وقد بينا ان عندنا يختص باليتامى من بني هاشم ومساكينهم وابناء سييلهم (ان كنتم آمنتم بالله) قال الزجاج يجوز ان يكون ان كنتم آمنتم معلقة بقوله فاعلموا ان الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير ان كنتم آمنتم بالله (وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان) اي فاقنوا ان الله ناصركم ان كنتم قد شاهدتم من نصره ما قد شاهدتم ويجوز ان يكون ان كنتم آمنتم بالله معناه اعلموا ان ما غنمتم من شيء فان لله خمسة وللرسول بأمر ان فيه بما يريد ان كنتم آمنتم بالله فاقبلوا ما أمرتم به من الغنمة واعملوا به وما انزلنا على عبدنا اي وآمتم بما انزلنا على محمد من القرآن وقبل من النصر وقبل من الملائكة اي علمتم ان ظفركم على عدوكم كان بنا يوم الفرقان يعني يوم بدر لأن الله تعالى فرق فيه بين المسلمين والمشركين باعزازهم ولا وقع أولئك يوم التقى الجمعان جمع المسلمين وهم ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا وجمع الكافرين وهم بين تسعمائة الى الف من صناديد قريش وروؤسائهم فهزمهم وقتلوا منهم زيادة على السبعين وأسروا منهم مثل ذلك وكان يوم بدر

(الجزء العاشر) قوله تعالى إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى إلى قوله وإلى الله ترجع الأمور ٥٤٥

ج ٤

يوم الجمعة لسبع عشرة ليلة مضت من شهر رمضان من سنة اثنتين من الهجرة على رأس ثمانية عشر شهراً وقيل كان التاسع عشر من شهر رمضان وقد روي ذلك عن أبي عبد الله (ع) (والله على كل شيء قدير) قد مر تفسيره في سورة البقرة وفي تفسير الثعلبي قال المنهال بن عمر سألت علي بن الحسين (ع) وعبد الله بن محمد ابن علي عن الخمس فقالوا هولنا فقلت لبي ان الله يقول واليتامى والمساكين وابن السبيل قال يتامانا ومساكيننا وروى العياشي باسناده عن أبي عبد الله (ع) قال كتب نجدة الحروري الى ابن عباس يسأله عن موضع الخمس فكتب اليه ابن عباس أما الخمس فإننا نزعناه لانا ونزعهم قومنا انه ليس لنا فصبرونا وعن أبي عبد الله (ع) قال ان الله تعالى لما حرم علينا الصدقة أنزل لنا الخمس فالصدقة علينا حرام والخمس لنا حلال والكرامة لنا حلال قوله تعالى (٤٢) إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب أسفل منكم ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد ولكن ليقضي الله أمراً كان مفعولاً ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وإن الله لسميع عليم (٤٣) إذ يربكهم الله في منامك قليلاً ولو أراكم كثيراً لفشتم ولتنازعتن في الأمر ولكن الله سلم إنه عليم بذات الصدور (٤٤) وإذ يربكهم إذ التقيتم في أعينكم قليلاً ويقللكم في أعينهم ليقضي الله أمراً كان مفعولاً وإلى الله ترجع الأمور (ثلاث آيات) كوفي أربع آيات عند غيرهم

القراءة

قرأ ابن كثير وأبو عمرو بالعدوة بكسر الميم والباقون بضمها وقرأ نافع وأبو بكر عن عاصم والبرزي عن ابن كثير حيي بإظهار اليائين والباقون حيي بالادغام

الحجة

الكسر والضم في العدوة اثنان قال الراعي في الكسر

وَعَيْنَانِ حُمٍّ مَا قَبِيهَا
كَمَا نَظَرَ الْعِدْوَةَ الْجَوْذَرِ (١)

وقال أوس بن حجر في الضم

وَفَارِسٍ لَا يَجِلُّ الْحَيُّ عِدْوَتَهُ
وَلَوْ سِرَاعًا وَمَا هُمَا بِأَقْبَالَ

ومن ادغم حي فللزوم الحركة في الثاني فجرى مجرى ردوا إذا أخبروا عن جماعة قالوا حيوا فخففوا

وقد جاء مدغماً نحو حيوا قال

عَيُّوا بِأَمْرِهِمْ كَمَا
عَيَّتْ بِيَضَّتِهَا الْحُمَامَةُ (٢)

ومن اختار الاظهار فلامتناع الادغام في مضارعه وهو يمجى فاجري الماضي على شاكلة المستقبل

اللفظة

العدوة شفير الوادي والوادي عدوتان وهما جانباه والجمع عدى وعدي والدنيا تأنيث الادنى من دنوت والقصوى تأنيث الأقصى وما كان من النوت على فلي من بنات الواو فإن العرب تحوّلته الى الياء

(١) الحجة : السواد . والباق جمع النوق : مجري الدمع من العين . والعدوة : المكان المرتفع . والجوذدر : بقر الوحش (٢) حيي بأمره : لم يهتد لوجه مراده .

نحو الدنيا والعليا استقلوا الواو مع ضم الأول الا ان أهل الحجاز قالوا القصوى فأظهرو الواو وهو نادر وغيرهم يقولون القصيا والاقصى الأبعد والقصا البعد وقصوت منه اقصو اي تباعدت والركب جمع راكب مثل شارب وشرب وصاحب وصاحب والملوق قرار تحته قرار والسفل قرار فوقه قرار والنوم ضرب من السهو يزول معه معظم الحس والنام موضع النوم كالمضطجع موضع الاضطجاع والقلة نقصان عن عدة كما ان الكثرة زيادة على عدة والفشل ضعف من فزع والفعل منه فِشَل يفشَل والتنازع الاختلاف الذي يحاول كل واحد نزع صاحبه مما هو عليه والسلامة النجاة من الآفة واسلم الإنسان دخل في السلامة وأسلمه اسلما دفعه عن السلامة وسلمه اذا نجاه واستلم الحجر اذا طلب لمسه على السلامة والصدر الموضع الأجل يكون فيه القلب وصدر المجلس أجله لأنه موضع الرئيس والالتقاء اجتماع الاتصال لأن الاجتماع قد يكون في معنى من غير اتصال كاجتماع القوم في الدار وان لم يكن هناك اتصال ويقال للمسكرين اذا تصافوا التقيا لوقوع العين على العين

✽ الاعراب ✽

انما نصب اسفل لأن نديره بمكان اسفل او في مكان اسفل فهو في موضع جرّ فهو غير منصرف ويجوز أن يكون منصوبا على الظرف على تقدير والركب مكانا اسفل منكم قال الزجاج ويجوز أن ترفع اسفل على انك تريد والركب اسفل منكم أي أشدّ سفلا

✽ المعنى ✽

ثم بين سبحانه نصرته للمسلمين بدير فقال سبحانه (اذ أنتم) ايها المسلمون (بالعدوة الدنيا) قال ابن عباس يريد والله قدير على نصركم وانتم أذلة إذ انتم نزول بشفير الوادي الاقرب إلى المدينة (وهم) يعني المشركين اصحاب النضير (بالعدوة القصوى) اي نزول بالشفير الاقصى من المدينة (والركب) يعني اباسفيان واصحابه وهم العير (اسفل منكم) أي في موضع اسفل منكم إلى ساحل البحر قال الكلبي كانوا على شط البحر بثلاثة اميال فذكر الله سبحانه مقاربة الفتيين من غير ميعاد وما كان المسلمون فيه من قلة الماء والرمل الذي تسوخ فيه الارجل مع قلة العدد والعدة وما كان المشركون فيه من كثرة العدد والعدة ونزولهم على الماء والعير اسفل منهم وفيها اموالهم ثم مع هذا كله نصر المسلمين عليهم ليعلم ان النصر من عنده سبحانه (ولو تواعدتم لاختلتم في الميعاد) معناه لو تواعدتم ايها المسلمون للاجتماع في الموضع الذي اجتمعتم فيه ثم بلغكم كثرة عددهم مع قلة عددكم لتأخرتم فتقضتم الميعاد عن ابن اسحق وقيل معناه لاختلتم بما يعرض من العوائق والقواطع فذكر الميعاد لتأكيد امره في الاتفاق ولولا لطف الله مع ذلك لوقع على الاختلاف كما قال الشاعر

جَرَّتِ الرَّيَّاحُ عَلَى مَحَلِّ دِيَارِهِمْ فَكَأَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى مِعَادٍ

(ولكن ليقضي الله أمرا كان مفعولا) معناه ولكن قدر الله تعالى التقاءكم وجمع بينكم وبينهم على غير ميعاد منكم ليقضي الله أمرا كان كائنا لا محالة وهو اعزاز الدين واهله وإذلال الشرك واهله ومعنى ليقضي ليظهر قضاءه إذ الله تعالى قد قضى ما هو كائن ومعنى قوله مفعولا أي واجبا كونه لا محالة يقال للأمر الكائن لا محالة هذا امر مفروغ منه وقيل معناه ليقضي أمرا كان في علمه مفعولا لا محالة من إظهار الإسلام واعلاء كلمته على عبدة الأصنام (ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة) اي فعل ذلك ليموت من مات منهم بعد قيام الحجة عليه بما رأى من المعجزات الباهرة للنبي ﷺ في حروبه وغيرها ويميش من عاش منهم بعد قيام الحجة

عليه وقيل ان البيئة هي ما وعد الله من النصر للمؤمنين على الكافرين صار ذلك حجة على الناس في صدق النبي ﷺ فيما اتاهم به من عند الله وقيل معناه ليهلك من ضل بعد قيام الحجة عليه فتكون حياة الكافر وبقاؤه هلاكاً له ويحيامن اهتدى بعد قيام الحجة عليه فيكون بقاء من بقي على الايمان حياة له وقوله عن بيئة يعني بعديان (وان الله لسميع) لا قولهم (عليم) بما في ضمائرهم فهو يجازيهم بحسب ما يكون منهم (إذ يريكم الله) العامل في إذ ما تقدم وتقديره أتاكم النصر إذ كنتم يشقير الوادي إذ يريكم الله وقيل العامل فيه محذوف وتقديره واذا كرم يا محمد إذ يريكم الله أي يريك الله يا محمد هؤلاء المشركين الذين قاتلوكم يوم بدر (في منامك قليلاً ولو أراكم كثيراً لفشتنم ولتنازعتنم في الأمر) معناه يريكم الله في نومك قليلاً لتخبر المؤمنين بذلك فيجترى المؤمنون على قتالهم وهذا قول أكثر المفسرين وهذا جائز لأن الرؤيا في النوم هي تصور يتوهم معه الرؤية في اليقظة ولا يكون إدراكاً ولا علماً بل كثير مما يراه الانسان في نومه يكون تعبيره بالعكس مما رآه كما يكون تعبير البكاء ضحكاً قال الرماني ويجوز أن يري الله الشيء في المنام على خلاف ما هو به لأن الرؤيا في المنام تخيل للمعنى من غير قطع وان جامعه قطع من الانسان على المعنى وإنما ذلك على مثل ما يخيل السراب ماء من غير قطع على انه ماء ولا يجوز أن يلهمه اعتقاداً للشيء على خلاف ما هو به لأن ذلك يكون جهلاً لا يجوز ان يفعله الله سبحانه والرؤيا على اربعة اقسام رؤيا من الله عز وجل ولما تأويل ورؤيا من وساوس الشيطان ورؤيا من غلبة الأخطا ورؤيا من الافكار وكلها اضغاث احلام إلا الرؤيا من قبل الله تعالى التي هي الهام في المنام ورؤيا النبي ﷺ هذه كانت بشارة له وللمؤمنين بالغلبة وقال الحسن معنى قوله في منامك في موضع نومك أي في عينك التي تنام بها وليس من الرؤيا في النوم وهو قول البلخي وهذا بعيد لأنه خلاف الظاهر (ولو أراكم كثيراً) على ما كانوا عليه لجبنتم عن قتالهم وضمتم ولتنازعتنم في امر القتال فكان يقول بعضكم تقاتلهم وبعض آخر يخالفونهم ويقول بعضكم لبعض تقدمت انت في القتال وبتأخر هو بنفسه (ولكن الله سلم) أي سلم المؤمنين عن الفشل والتنازع واختلاف الكلمة واضطراب الامر بلطفه لهم وإحسانه اليهم حتى بلغوا ما أرادوه من عدوهم (انه عليم بذات الصدور) أي بما في قلوبكم يعلم انكم لو علمتم كثرة عدوكم لرغبتم عن القتال (وإذ يريكم يوم إذ التقيتم في عينكم قليلاً) الكاف والميم كتابة عن المؤمنين والهاء والميم كتابة عن المشركين اضافة الرؤيا في النوم إلى النبي ﷺ لأن رؤيا الأنبياء لا تكون إلا حقاواضاف رؤية العين اليهم قلل الله المشركين في أعين المؤمنين ليشتد بذلك طمعهم فيهم وجراتهم عليهم وقلل المؤمنين في أعين المشركين لئلا يتأهبوا لقتالهم ولا يكثر ثوابهم فيظفر بهم المؤمنون وذلك قوله تعالى (ويقللهم في أعينهم) وقد وردت الرواية عن ابن مسعود قال قلت لرجل يجني أترامهم سبعين رجلاً فقال هم قريب من مائة وقد روي ان ابا جهل كان يقول خذوهم بالأيدي أخذوا ولا تقاتلوهم ومتى قيل كيف قللهم الله في أعينهم مع رؤيتهم لم قالوا فالقول انه يجوز ان يكون ذلك لبعض الاسباب المانعة من الرؤية اما بغير او ما شاكلة فتخيلوهم بأعينهم قليلاً من غير رؤية عن الصحة لجمعهم وذلك لطف من الطاف الله تعالى (ليقضي الله امرا كان مفعولاً) إنما كرره سبحانه مع ذكره في الآية الاولى لتكرار الفائدة لأن المعنى في الآية الاولى جمعكم من غير ميعاد ليقضي الله امرا كان مفعولاً من الالتقاء على تلك الصفة والمعنى هنا انه قلل كل فريق في عين صاحبه ليقضي امرا كان مفعولاً من اعزاز الدين بجهادكم وقيل اراد بالأول الوعد بالنصرة يوم بدر والثاني الاستمرار على النصر وقيل إنما كرر للتأكيد وإنما قال كان مفعولاً والمعنى يكون مفعولاً في المستقبل لتحقيق كونه لا محالة حتى صار بمنزلة ما قد كان لعلمه سبحانه انه كائن لا محالة (والى الله ترجع الأمور) مر معناه

قوله تعالى (٤٥) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ

تَفْلِحُونَ (٤٦) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ
مَعَ الصَّابِرِينَ (٤٧) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطْرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ
عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (ثلاث آيات)

❖ اللفظة ❖

الريح الدولة قال عبيد بن الأبرص
كَمَا هَمَّ نَاكَ يَوْمَ النَّعْفِ مِنْ شَطْبِ
والفضل للقوم من ريح ومن عدد (١)
اي من عزة ودولة والبطر الخروج عن موجب النعمة من شكرها واصل البطر الشق ومنه البيطار لانه يشق
اللحم بالبخع والرياء اظهار الجميل ليرى مع ابطان التبجح
- الأعراب -

فتفشلوا منصوب باضمار ان على معنى جواب النعي ولذلك عطف عليه وتذهب ويصدون في محل النصب بالمطف
على قوله بطرا ورياء الناس ومما مصدران وضما موضع الحال والمعنى يبطرون ويرأون ويصدون ولا يجوز ان
يكون عطفاً على خرجوا إذ لا يعطف مستقبل على ماض

❖ المعنى ❖

ثم أمر سبحانه بالقتال والثبات في الحرب فقال (يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة) أي جماعة كافرة (فانبتوا)
لقتالهم ولا تنهزموا وإنما اطلق الفئة لان من المعلوم ان المؤمن لا يقاتل إلا الفئة الكافرة او الباغية فعذف للايجاز
(واذكروا الله كثيرا) مستعين به على قتالهم ومتوقعين النصر من قبله عليهم وقيل معناه واذكروا ما وعدكم
الله تعالى من النصر على الأعداء في الدنيا والثواب في الآخرة ليدعوك ذلك إلى الثبات في القتال (للكم
تفلقون) اي لكي تفلحوا وتنجحوا بالنصر والظفر بهم وبالثواب عند الله يوم القيامة (وأطيعوا الله ورسوله) فيما
يأمرانكم به (ولا تنازعوا فتفشلوا) أي لا تتنازعوا في لقاء العدو ولا تختلفوا فيما ينكم فنجبوا عن عدوكم
وتضعفوا عن قتالهم (وتذهب ريحكم) معناه تذهب صولتكم وقوتكم وقال مجاهد نصرتم وقال الأخفش
دولتكم والريح هنا كناية عن نفاذ الأمر وجريانه على المراد تقول العرب هبت ريح فلان إذا جرى أمره
على ما يريد وركدت ريحه إذا ادير أمره وقيل إن المعنى ريح النصر التي يبثها الله مع من ينصره على من يخذله
عن قتادة وابن زبد ومنه قوله ^{ويعتبر} نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور (واصبروا) على قتال الأعداء
(إن الله مع الصابرين) بالنصر والمهونة (ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا) أي بطرين يعني قريشا
خرجوا من مكة ليحرموا غيرهم فخرجوا معهم بالقيان والمغازف يشربون الخمر وتمزف عليهم القيان (ورياء الناس)
قيل انهم كانوا يدينون بعبادة الاصنام فلما اظهروا التقرب بذلك إلى الناس كانوا مرائين وقيل انهم وردوا بداراً
ليروا الناس انهم لا يبالون بالمسلمين وفي قلوبهم من الرعب ما فيه قسى الله سبحانه ذلك رياء (ويصدون عن
سبيل الله) أي ويمنعون غيرهم عن دين الله (والله بما يعملون محيط) أي عالم بأعمالهم فيجازيهم عليها ولا يخفى
عليه منها شيء

❖ القصة ❖

قال ابن عباس لما رأى ابو سفيان انه احرز غيره ارسل إلى قريش ان ارجعوا فقال ابو جهل والله لا نرجع
حتى نرد بدرأ وكان بدر موسماً من مواسم العرب يجتمع لهم بها سوق كل عام فقيم بها ثلاثا ونصر الجزر

(١) النف: المكان المرتفع في اعتراض. وشطب: جبل في ديار بني اسد.

ونظم الطعام ونسقي الخمر وتعرّف علينا القيان وتسمع بنا العرب فلا يزالون بها يومنا أبدا فوافوها فسقوا كؤوس المنابا وناحت عليهم النوائح

قوله تعالى (٤٨) وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌّ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَ آتِ الْفِتْنَانِ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٌّ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ (آية)

﴿ المعنى ﴾

(وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم) دخلت الواو عطفا على حال المشركين في خروجهم بطرا ورفاء الناس يعني وفي وقت تزوين الشيطان أعمالهم وقيل انه يعني واذكروا إذ زين الشيطان للمشركين أعمالهم أي حسنها في نفوسهم وذلك أن إبليس حسن لقريش مسيرهم إلى بدر لقتال النبي ﷺ (وقال لا غالب لكم اليوم من الناس) أي لا يقبلكم احد من الناس لكثرة عددكم وقوتكم (واني) مع ذلك (جار لكم) أي ناصر لكم ودافع عنكم السوء وقيل معناه واني عاقد لكم عقد الأمان من عدوكم من قوله وهو يجير ولا يجار عليه (فلما تراءت الفتنان) أي التقت الفرقتان (نكص على عقبيه) أي رجع القهقري منهزما وراهه (وقال اني بري منكم اني أرى ما لا ترون) أي رجعت عما كنت ضمنت لكم من الأمان والسلامة لأنني أرى من الملائكة الذين جاءوا لنصر المسلمين ما لا ترون وكان إبليس يعرف الملائكة وهم كانوا يعرفونه (اني أخاف الله) أي أخاف عذاب الله على ايدي من أراهم (والله شديد العقاب) لا يطاق عقابه وقيل معناه اني أخاف أن يكون قد حل الوقت الذي انظرت اليه فإن الملائكة لا ينزلون إلا لقيام الساعة او للعقاب وقال قتادة كذب عدو الله ما به من مخافة ولكنه علم انه لا قوة له ولا منعة وذلك عادة عدو الله لمن اطاعه حتى إذا التقى الحق والباطل اسلمهم وتبرأ منهم وعلى هذا فيكون قوله ارى ما لا ترون معناه اعلم ما لا تعلمون وأخاف الله أن يهلكني فيمن يهلك واختلف في ظهور الشيطان يوم بدر كيف كان فقيل إن قريشا لما أجمعت المسير ذكرت الذي ينهادر بين بني بكر ابن عبد مناف بن كنانة من الحرب وكاد ذلك ان يفتنهم فجاء إبليس في جند من الشيطان فتبدى لهم في صورة سراقه بن مالك بن جشعم الكناني ثم المدلجي وكان من اشراف كنانة فقال لهم لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم أي مجير لكم من كنانة كما قال الشاعر

يَا ظَالِمِي أَنِّي تَرَوُّمُ ظِلَامَتِي وَاللَّهُ مِنْ كُلِّ الْحَوَادِثِ جَارِي

فلما رأى إبليس الملائكة نزلوا من السماء وعلم انه لا طاقة له بهم نكص على عقبيه عن ابن عباس والسدي والكلبي وغيرهم وقيل انه لما التقوا كافى إبليس في صف المشركين أخذاً بيد الحارث بن هشام فنكص على عقبيه فقال له الحارث يامسرة أين أنتخذ لنا على هذه الحالة فقال له اني أرى ما لا ترون فقال والله ما ترى إلا جماسيس يثرب فدفع في صدر الحارث وانطلق وانهمز الناس فلما قدموا مكة قالوا هزم الناس سراقه فبلغ ذلك سراقه فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغني هزيمتكم فقالوا إنك أتيتنا يوم كذا فحلف لهم فلما اسلموا علموا ان ذلك كان الشيطان عن الكلبي وروي ذلك عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام وقيل ان إبليس لا يجوز أن يقدر على خلع صورته ولبس صورة سراقه ولكن الله تعالى جعل إبليس في صورة سراقه علماً للنبي ﷺ (وإنما فعل ذلك لأنه علم انه لو لم يدع المشركين انسان الى قتال المسلمين فإنهم لا يخرجون عن ديارهم حتى يقاتلهم المسلمون لخوفهم من بني كنانة فصوّره بصورة سراقه حتى تم المراد في إعزاز الدين عن الجبائي وجماعة وقيل ان إبليس لم يتصور في صورة الانسان وإنما قال ذلك لهم على وجه الوسوسة عن الحسن واختاره البلخي والاول هو

المشهور في التفاسير ورأيت في كلام الشيخ المفيد أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان (رض) انه يجوز ان يقدر الله تعالى الجن ومن جرى مجراهم على أن يجتمعوا ويعتمدوا ببعض جواهرهم على بعض حتى يتمكن الناس من رؤيتهم ويشبهوا بنيرهم من انواع الحيوان لأن اجسامهم من الرقة على ما يمكن ذلك فيها وقد وجدنا الانسان يجمع هوا ويفرقه ويفتر صور الاجسام الرخوة ضروبا من التغيير واعيانها لم تزد ولم تنقص وقد استفاض الخبر بأن ابليس تراءى لأهل دار الندوة في صورة شيخ من اهل نجد وحضر يوم بدر في صورة سراقه وان جبرئيل (ع) ظهر لأصحاب رسول الله ﷺ في صورة دحية الكلبي قال وغير محال ايضا ان يغير الله تعالى صورهم ويكشفها في بعض الأحوال فيراهم الناس لضرب من الامتحان

قوله تعالى (٤٩) اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم (٥٠) ولو ترى اذ يتوكل الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم واذبارهم وذوقوا عذاب الحريق (٥١) ذلك بما قدمت ايديكم وان الله ليس بظلام للعبيد (ثلاث آيات)

❖ القراءة ❖

قرأ ابن عاصم وحده اذ تتوفى بناء بن والباقون يتوفى بالياء والتاء

❖ اللمعة ❖

من قرأ بالتاء فلا يستاد الفعل إلى الملائكة ومن قرأ بالياء فلأن التانيث غير حقيقي

❖ الاعراب ❖

العامل في اذ يجوز ان يكون الابتداء والتقدير ذلك اذ يقول ويجوز ان يكون التقدير اذ كر اذ يقول وجواب لو محذوف وتقديره لرأيت منظرا عظيما او امرا عجبيا وحذف الجواب هنا اوجز وابلغ فإن ذكره يخص وجهها واحدا ومع الحذف الاحتمال لوجوه كثيرة وموضع بما قدمت ايديكم يحتمل وجهين من الاعراب ❖ احدهما ❖ الرفع بكونه خبر ذلك ❖ والثاني ❖ النصب بأن يكون منصلا بمحذوف وتقديره ذلك جزاؤكم بما قدمت ايديكم وان الله ليس بظلام للعبيد يحتمل ان يكون محله نصبا بتقدير وبأن الله اوجزا على الخلاف فيه ويحتمل ان يكون محله رفعا بتقدير وذلك ان الله كما تقول ذلك هذا

❖ المعنى ❖

(اذ يقول المنافقون) هذا يتعلق بما قبله معناه واذا زين لم الشيطان أعمالهم اذ يقول المنافقون فلذلك حذف الواو وهم الذين يبطنون الكفر ويظهرون الايمان (والذين في قلوبهم مرض) وهم الشاككون في الاسلام مع اظهارهم كلمة الايمان وقيل انهم فنية من قريش اسلموا بمكة واحتبسهم آباؤهم فخرجوا مع قريش يوم بدر وهم قيس بن الوليد بن المغيرة وعلي بن امية بن خلف والعاص بن منبه بن الحجاج والحارث بن زمة وابو قيس بن الناكهة بن المغيرة لما رأوا قلة المسلمين قالوا (غر هؤلاء دينهم) أي غر المسلمين دينهم حتى خرجوا مع قتلهم لأجل دينهم إلى قتال المشركين مع كثرتهم ولم يحسنوا النظر لأنهم حين اعتروا بقول رسولهم فبين الله تعالى انهم هم المغرورون بقوله (ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم) معناه ومن يسلم لأمر الله ويشق به ويرض بفعله وإن قل عددهم فإن الله تعالى ينصرهم على اعدائهم وهو عزيز لا يظلم فكذلك لا يظلم من توكل عليه وهو حكيم يضع الامور مواضعها على ما تقتضيه الحكمة (ولوترى) يا محمد (اذ يتوفى

الذين كفروا الملائكة) أي يقبضون ارواحهم عند الموت (بضربون وجوههم وأدبارهم) يريد استاهمهم ولكن الله سبحانه كفى عنها عن سعيد بن جبير ومجاهد وقيل وجوههم ما قبل منهم وأدبارهم ما دبر منهم والمراد بضربون أجسادهم من قدامهم ومن خلفهم والمراد به قتل بدر عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وأكثر المفسرين وقيل معناه سيضربهم الملائكة عند الموت قال الرماني وهذا غلط لأنه خلاف الظاهر وروى الحسن قال ابن رجلا قال يارسول الله إني رأيت بظهر أبي جهل مثل الشراك فقال ^{وَاللَّهِ} ذلك ضرب الملائكة وروى مجاهد أن رجلا قال للنبي ^{وَاللَّهِ} إني حملت على رجل من المشركين فذهبت لأضربه فندرت فقال سبقتك إليه الملائكة (وذوقوا عذاب الحريق) أي ويقول الملائكة للكفار استخفافا بهم ذوقوا عذاب الحريق بعد هذا في الآخرة وقيل انه كان مع الملائكة يوم بدر مقامع من حديد كما ضربوا المشركين بها التهيت النار في جراحاتهم فذلك قوله وذوقوا عذاب الحريق (ذلك) أي ذلك العقاب لكم (بما قدمت أي بما قدمتم وعلتم وإنما ضاف إلى اليد على التغليب لأن أكثر الأفعال تكون باليد والمراد بذلك يجنابتكم الكفر والمعاصي) وان الله ليس بظلام للعبيد) أي لا يظلم عباده في عقوبتهم من حيث انه إنما عاقبهم بجناباتهم على قدر استحقاقهم وفي هذا دلالة واضحة على بطلان مذهب المجبرة في انه يخلق الكفر ثم يعذب عليه وانه يجوز أن يعذب من غير ذنب وان يأخذ بذنب غيره لأن هذا غاية الظلم وقد بالغ عز اسمه في تقي الظلم عن هسه بقوله ليس بظلام للعبيد

قوله تعالى (٥٢) كَذَابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٥٣) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغْتَبَرًا نِعْمَةً أَنْعَمَّا عَلَى قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٥٤) كَذَابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ (ثلاث آيات)

الذم

الذم العادة والطريقة يقال ما زال ذلك دأبه ودينه وديده قال الزجاج الذم اذمة الفعل دأب بدأب في كذا إذا دام عليه وهو دأب فعل كذا أي يجري فيه على عادة قال خدش بن زهير
وَمَا زَالَ ذَاكَ الدَّأْبَ حَتَّىٰ تَخَاذَلَتْ هَوَايُنُ وَارْفَضَتْ سَلِيمٌ وَعَايِرٌ
والتغيير تصيير الشيء على خلاف ما كان بما لو شوهده لشوهده على خلاف ما كان

الإعراب

كذاب . الكاف في موضع رفع بأنه خبر المبتدأ كما يقول زيد خلفك فموضع خلفك رفع بأنه خبر المبتدأ وانفذه نصب بالاستقرار وتقديره دأبهم كذاب آل فرعون . لم يك أصله يكون فحذفت الواو للجزم ثم حذفت النون استخفافاً لكثرة الاستعمال مع انه لا يقع بالحذف اخلال بالمعنى لأن كان ويكون أم الافعال ألا ترى أن كل فعل فيه معناه لا نك إذا قلت ضرب فمعناه كان ضرب ويضرب معناه يكون يضرب فلما قويت بأنها أم الافعال وكثر استعمالها احتل الحذف ولم يحتل نظائرها ذلك مثل لم يصن

المعنى

ثم بين سبحانه أن حال هؤلاء الكفار كحال الذين من قبلهم فقال (كذاب آل فرعون) أي عادة هؤلاء المشركين في الكفر بمحمد ^{وَاللَّهِ} كعادة آل فرعون (والذين من قبلهم) في الكفر بالرسول وما انزل اليهم وقيل معناه عقوبة الله تعالى لهؤلاء الكفار كعقوبته لآل فرعون وآل فرعون أتباعه والفرق بين آل

فرعون واصحاب فرعون أن الأصحاب مأخوذ من الصعبة وكثر في الموافقة في المذهب كما يقال اصحاب الشافعي والبي حنيفة يراد به الموافقة في المذهب ولا يقال آل الشافعي إلا لمن يرجعون إليه بالنسب إلا وكذا الاقرب (كفروا بآيات الله) كما كفر هؤلاء (فأخذهم الله) أي فعاقبهم الله (بذنوبهم إن الله قوي) أي قادر لا يقدر احد على منعه عن لئال العقاب بما يريد (شديد العقاب) لمن استحقه ولا يوصف الله سبحانه بأنه شديد لأن الشدبد هو المتداخل على صعوبة تفككه وانما وصف العقاب بالشددة دون نفسه وشبهه حال المشركين في تكذيبهم بآيات الله بحال آل فرعون لأن تعجيل العقاب لهؤلاء بالإهلاك كتعجيله لاولئك بعذاب الاستئصال (ذلك) أي ذلك الأخذ والعقاب لهم (بأن الله لم يك مفضلاً نعمة انصمها على قوم حتى يغيروا ما أبانفسهم) معناه بأن الله لم يكن يزيل نعمة انصمها على قوم حتى يغيروا هم عن احوالهم المرضية الى احوال لا يجوز لهم ان يغيروا اليها وهو ان يستبدلوا المعصية بالطاعة وكفران النعمة بشكرها وقد سلب الله تعالى النعمة على وجه المصلحة لا على وجه العقاب إمتحاناً لمصلحة يعلمها في ذلك ولكن لا يسلبها بفعل النعمة على وجه العقاب. الا عن استحق العقاب قال السدي للنعمة التي انعمها الله عليهم محمد ﷺ انعم الله به على قريش فكفروا به وكذبوه فنقله الى الانصار (وأن الله سميع) لأقوالهم (عليهم) بضائرهم وبكل شيء (كذاب آل فرعون والذين من قبلهم) أي كعادتهم وطريقتهم في التكذيب بآيات الله عادة هؤلاء (كذبوا بآيات ربهم) أي بحججه وبيئاته (فأهلكناهم بذنوبهم) أي استأصلناهم (وأغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين) أي كل هؤلاء المهلكين كانوا ظالمين لا تقسم فلم نعاقب فريقاً منهم الا عن استحقاق وانما كرر قوله كذاب آل فرعون لأنه اراد بالاول بيان حالهم في استحقاق عذاب الآخرة وفي الثاني بيان استحقاقهم لعذاب الدنيا وقيل ان في الأول تشبيه حالهم بحال اولئك في التكذيب وفي الثاني تشبيه حالهم بحالهم في الاستئصال وقيل ان الأول في اخذهم بالعذاب والثاني في كيفية العذاب وقيل إن آل فرعون كانوا على احوال مختلفة في المعصية فيبين مشاركة هؤلاء اياهم في تلك الأحوال

قوله تعالى (٥٥) **إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٥٦) الَّذِينَ عَاهَدتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ (آيَاتان)**

❖ الإعراب ❖

فهم لا يؤمنون الفاء لطف جملة على جملة وهو في الصلة كأنه قال كفروا مصممين على الكفر فهم لا يؤمنون وإنما حسن عطف جملة اسمية على جملة فعلية لما فيها من التآدية إلى معنى الحال وذلك ان صيبتهم في الكفر وأصرارهم عليه أدى إلى الحال في انهم لا يؤمنون وقوله ثم ينقضون عطف المستقبل على الماضي لأن الغرض ان من شأنهم نقض العهد مرة بعد مرة في مستقبل اوقاتهم بعد العهد اليهم

📖 المعنى 📖

ثم ذم سبحانه الكفار فقال (إن شر الدواب عند الله) أي شر من يدب على وجه الارض في معلوم الله لو في حكم الله (الذين كفروا) واستمروا على كفرهم (فهم لا يؤمنون) هذا اخبار عن قوم من المشركين انهم لا يؤمنون ابداً فخرج المخبر على وفق الخبر فاتوا مشركين ثم وصفهم الله فقال (الذين عاهدت منهم) أي من جملتهم والضمير المائد إلى الذين محذوف أي الذين عاهدت منهم أي من المشركين وقيل ان من مزيدة وإنما دخلت لأن معنى عاهدت أخذت العهد منهم وكما قال ردف لكم لأن معنى ردف قرب فعومل بما يعامل به وقيل معناه عاهدت معهم قال مجاهد أراد به يهود بني قريظة فإنهم كانوا قد عاهدوا النبي ﷺ على أن لا يضرؤا به ولا يمالئوا عليه عدواً ثم مالاً وأعليه الأحزاب يوم الخندق وأعانوهم عليه بالسلاح وعاهدوا مرة بعد أخرى فنقضوا

فانتقم الله منهم (ثم ينتقمون عنهم في كل مرة) اي كلما عاهدتهم تقضوا العهد ولم يفوا به (وهم لا يتقون) تقض العهد وقيل لا يتقون عذاب الله تعالى

قوله تعالى (٥٧) فَأَمَّا تَتَّقِنَهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرَّ ذِيهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكُرُونَ
(٥٨) وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَأَنْذِرْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ (آيَاتان)

﴿ الآفة ﴾

الثقف الظفر والادراك بسرعة والتشريد التفريق على اضطراب والحياطة تقض العهد فيما أوثمن عليه والتبذلقا

الخبر إلى من لا يعلمه والسواء العدل قال الراجز

فَأَضْرِبْ وَجُوهَ الْغُرَرِ الْأَعْدَاءِ حَتَّى يُجِبُّوكَ إِلَى السَّوَاءِ

أي إلى العدل ومنه قيل للوسط سواء لاعتداله إلى الجهات قال حسان

يَا وَيْحَ أَنْصَارِ النَّبِيِّ وَرَهْطِهِ بَعْدَ الْمَغِيبِ فِي سَوَاءِ الْمَلْحَدِ

أي في وسطه وقيل عنى بقوله على سواء على استواء في العلم به

﴿ الإعراب ﴾

اما تتقنن واما تخافن دخلت نون التأكيد لما دخلت ما ولو لم يدخل ما لما حسن دخول النون لأن دخول ما كدخول القسم في انه علامة تؤذن انه من مواضع تأكيد المطلوب من التصديق لأن النون يدخل لتأكيد المطلوب فيما يدل على الطلب وهي في ستة مواضع التمني والأمر والاستفهام والعرض والقسم والجزاء مع ما

﴿ المعنى ﴾

ثم حكم سبحانه في هؤلاء الناقضين للعهد فقال لنبيه ﷺ (فأما تتقننهم في الحرب) معناه فلما تصادفهم في الحرب أي إن ظفرت بهم وادركتهم (فشرد بهم من خلفهم) أي فتكلم بهم تنكيلا وأثر فيهم تأثرا يشرد بهم من بعدهم ويطردهم ويمتهم من تقض العهد بأن ينظروا فيهم فيمتبروا بهم فلا يتقضوا العهد ويتفرقوا في البلاد مخافة أن تعاملهم بمثل ما عاملتهم به وإن يحل بهم ما حل بهم وهذا معنى قول ابن عباس والحسن وقتادة وسعيد ابن جبير والسدي وقال الزجاج معناه افضل بهم فعلا من القتل تفرق بهم من خلفهم وقيل ان معنى شردهم سبغ بهم بلغة قريش قال الشاعر

أَطْوَفُ فِي النُّوَاطِجِ كُلِّ يَوْمٍ مَخَافَةَ أَنْ يَشْرُدَ فِي حَكْمٍ (١)

(لعلهم يذكرون) أي لكي يتذكروا ويتعظوا وينزجروا عن مثل ذلك (واما تخافن من قوم خيانة) معناه وإن خفت يا محمد من قوم يبتغون عهدك وينقضون فيه لأن الخيانة إنما تكون بعد تقدم العهد ولم يظهر منهم تقض العهد بعد (فأنذر إليهم على سواء) أي فألقى إليهم ما بينك وبينهم من العهد وأعلمهم بأنك قد تقضت ما شرطت لهم لتكون أنت وهم في العلم بالتقض على استواء ولا تبدأم بالقتال من قبل ان تعلمهم بتقض العهد حتى لا ينسبكوا إلى الفدر بهم فهذا معنى قوله على سواء وقيل معنى قوله على سواء على عدل أي إن كان بينك وبينهم عهد بشير مال فأعلمهم بأنك قد تقضت عهدهم وإن كان العهد على مال فرد المال عليهم ثم انقض العهد (إن الله لا يحب الخائنين) أي يقضهم بمعناه فلا تخنم بأن تبدأم بالقتال من غير اعلام بتقض العهد قال الواقدى هذه الآية نزلت في بني قينقاع وبهذه الآية سار النبي ﷺ إليهم

قوله تعالى (٥٩) وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ (٦٠) وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَظْلَمُونَ (٦١) وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (ثلاث آيات)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن عامر وابو جعفر وحمزة وحفص ولا يحسن بالياء والباقون بالتاء وقرأ ابن عامر انهم لا يعجزون بالفتح والباقون انهم بالكسر وقرأ رويس عن يعقوب ترهبون بالتشديد والباقون ترهبون بالتخفيف وقرأ ابو بكر للسلام بكسر السين والباقون بفتح السين

﴿ الحجة ﴾

من قرأ لا تحسبن بالتاء فالذين كفروا المفعول الأول وسبقوا جملة في موضع نصب بكونها المفعول الثاني ومن قرأ يحسبن بالياء فلا يخلو من أن يكون جمل الذين كفروا الفاعل وهذا لا يجوز لأن يحسبن لا بد له من مفعولين ولكنه محمول على احد ثلاثة اشياء اما أن يكون فاعله النبي ﷺ وتقديره ولا يحسبن النبي ﷺ الذين كفروا سبقوا واما ان يكون تقديره على حذف إن كأنه قال لا يحسبن الذين كفروا ان سبقوا فحذفت إن كما حذفتها في تأويل سيبويه في قوله أفغير الله تأمروني اعبد كأنه قال أفغير عبادته تأمروني قال الزجاج ويقوي هذا الوجه انها في حرف ابن مسعود انهم سبقوا وإذا كانت كذلك فهو بمنزلة قولك حسبت أن أقوم وحسبت أقوم على حذف ان وإذا وجهته على هذا فقد سدتان سبقوا مسد المفعولين كما ان قوله المأحسب الناس ان يتركوا أن يقولوا آمنا كذلك واما ان يكون اضمير المفعول الأول وتقديره ولا يحسبن الذين كفروا انفسهم سبقوا وإياهم سبقوا ومن قرأ انهم لا يعجزون بكسر الألف يكون على الاستثناف كما ان قوله ساء ما يحكون منقطع من الجملة التي قبلها التي هي أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا ومن قرأ انهم لا يعجزون جملة متعلقا بالجملة الأولى وتقديره لا تحسبنهم سبقوا لأنهم لا يفوتون ومن قرأ ترهبون فلأن رهب يرهب رهبة يعدى تارة بالهمز وتارة بالتشديد فيقال رهبته وارهبته واما أنسلم وأنسلم فلتان ومعناهما الصلح

﴿ اللفظة ﴾

السبق تقدم الشيء على طالب الحقوق به والاعجاز إيجاد ما يعجز عنه والعجز منفي عند ابي علي الجبائي وابي القسم البلخي وليس بمعنى عند ابي هاشم واصحابه بل هو عدم القدرة وذهب اليه المرتضى والإعداد اتخاذ الشيء لغيره مما يحتاج اليه في امره والاستطاعة معنى ينطاع بها الجوارح للقل مع ارتفاع المنع والرباط شد أسير من المقد يقال ربطه يربطه ربطا وربطه مرابطة ورباطا والارهاب ازعاج النفس بالخوف والجنوح الميل ومنه جناح الطائر لأنه يميل به في احد شقيه ولا جناح عليه اي لا ميل إلى ما ثم

﴿ الإعراب ﴾

لا يعجزون فتح النون هو القراءة ويجوز كسرهما على معنى لا يعجزوني ويحذف النون الأولى لاجتماع النونين كما قال الشاعر

تَرَاهُ كَالثَّغَامِ يَمَلُّ مِسْكَاً يَسُوءُ الْغَالِيَاتِ إِذَا فَلَيْتِي

يريد فليتني وآخرين من دونهم منصوب على تقدير وترهبون آخرين ويجوز أن يكون على تقدير وأعدوا له

ولآخرين فيكون مجروراً عطفاً على الماء والميم

— المعنى —

لما تقدم الأمر بقتال الكفار عقبه سبحانه بوعد النصر والأمر بالأعداد لقتالهم فقال (ولا تحسبن الذين كفروا) معناه ولا تحسبن يا محمد أعداءك الكافرين قد سبقوا أمر الله واعجزوه وانهم قد فاتوك فإن الله سبحانه يظهرك بهم كما وعدك ويظهرك عليهم والسبق والقوت بمعنى واحد وقيل معناه لا تحسبن من اقلت من هذه الحرب انه قد سبق إلى الحياة عن الزجاج والخطاب للرسول ﷺ والمراد به غيره وقيل انه إنما قاله تطييباً لقلبه في المارين كما طيب قلبه في المقتولين والأسورين وعلى القراءة بالياء فالمعنى لا يحسبن الكافرون انفسهم سابقين او لا يحسبن الكافرون انهم سابقون (انهم لا يعجزون) أي لا يعجزون الله ولا يفوتونه حتى لا يعثمهم الله يوم القيامة عن الحسن وقيل معناه لا يعجزونك عن الجبائي (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) هذا امر منه سبحانه بأن يعدوا السلاح قبل لقاء العدو ومعناه وأعدوا للمشركين ما قدرتم عليه مما يتقوى به على القتال من الرجال والآلات الحرب وروى عقبه بن عامر عن النبي ﷺ ان القوة الرمي وعلى هذا فيكون معناه انه من القوة وقيل ان القوة اتفاق الكلمة والثقة بالله تعالى والرغبة في ثوابه وقيل القوة الحصون عن عكرمة (ومن رباط الخيل) أي ومن رباطها واقتنائها للغزو وهي من اقوى عدد الجهاد وروى عن النبي ﷺ انه قال ارتبطوا الخيل فإن ظهورها لكم عز واجوافها كنز وقيل ان القوة ذكور الخيل والرباط الإناث منها عن الحسن وعكرمة (ترهبون به) أي تخفون بما تعدونه لهم (عدو الله وعدوكم) يعني مشركي مكة وكفار العرب (وآخرين من دونهم) أي وترهبون كفارا آخرين دون هؤلاء واختلقوا في الآخرين فقيل انهم يتورقن عن مجاهد وقيل هم اهل فارس عن السدي وقيل هم المنافقون لا يعلم المسلمون انهم اعداؤهم وهم اعداؤهم عن الحسن وابن زيد (لا تعلمونهم) معناه لا تعرفونهم لأنهم يصلون ويصومون ويقولون لا إله إلا الله محمد رسول الله ويختلطون بالمؤمنين (الله يعلمهم) أي يعرفهم لأنه المطلع على الأسرار وقيل هم الجن وهو اختيار الطبري قال لأن الأعداء دخل فيه جميع المتظاهرين بالعداوة فلم يبق إلا من لا يشاهد (وما تنفقوا من شيء في سبيل الله) أي في الجهاد. وفي طاعة الله (يوف اليكم) أي يوفركم عليكم ثوابه في الآخرة (وأنتم لا تظلمون) أي لا تنقصون شيئاً منه (وإن جنحوا للسلم) أي مالوا إلى الصلح وترك الحرب (فاجنح لها) أي مل اليها واقبلها منهم وإنما أنت لأن السلم بمعنى المسالمة (وتوكل على الله) أي فوض امرك إلى الله (إنه هو السميع العليم) لا تخفي عليه خافية وقيل ان هذه الآية منسوخة بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله الآية عن الحسن وقناة وقيل انها ليست بمنسوخة لأنها في المواعدة لأهل الكتاب والأخرى لبياد الأوثان وهذا هو الصحيح لأن قوله اقتلوا المشركين والآية الأخرى نزلتا في سنة تسع في سورة براءة وصالح رسول الله ﷺ وقد نجران بعد ما

قوله تعالى (٦٢) وَإِنْ يَرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِنَصْرِهِ
وَبِالْمُؤْمِنِينَ (٦٣) وَالْأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ
اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ آية بصري وابتان في الباقين

✽ اللقمة ✽

الخدع والخدمة اظهار المحبوب في الامر مع ابطان المكروه والتأييد التمكين من الفعل على اتم ما يصح فيه والأيد القوة والتأليف الجمع على تشاكل واختلاف في التأليف فآيته بعضهم معنى ونفاه بعضهم والصحيح انه معنى يحمل محلين ولا يحصل من فعلنا إلا متولداً

- المعنى -

ثم خاطب الله سبحانه نبيه ﷺ فقال (وإن يريدوا أن يخدعوك) معناه وان يريد الذين يطلبون منك الصلح ان يخدعوك في الصلح بأن يقصدوا بالتاس الصلح دفع اصحابك والكف عن القتال حتى يقووا فيبدأوكم بالقتال من غير استعداد منكم (فإن حسبك الله) اي فإن الذي يتولى كفايتك الله (هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين) أي هو الذي قواك بالنصر من عنده وايدك بالمؤمنين الذين ينصرونك على اعدائك (وألف بين قلوبهم) وأراد بالمؤمنين الأ نصار وهم الأوس والخزرج عن ابي جعفر (ع) والسدي وأكثر المفسرين وأراد بتأليف القلوب ما كان بين الأوس والخزرج من المعادة والقتال فإنه لم يكن حيان من العرب بينهما من العداوة مثل ما كان بين هذين الحيين فألف الله بين قلوبهم حتى صاروا متوادين متحابين ببركة نبينا ﷺ وقيل أراد كل متحابين في الله عن مجاهد (لو اتفقت ما بيني الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم) أي لم يمكنك جمع قلوبهم على الإلفة وإزالة صفات الجاهلية (ولكن الله ألفت بينهم) بأن لطف لم يحسن تدبيره وبالإسلام الذي هداهم إليه (إنه عزيز حكيم) لا يمتنع عليه شيء يريد فعله ولا يفعل إلا ما تقتضيه الحكمة قال الزجاج وهذا من الآيات العظام وذلك أن النبي ﷺ بعث إلى قوم اقتمهم شديدة بحيث لو لطم رجل من قبيلة لطمه قاتل عنه قبيلته فألف الإيمان بين قلوبهم حتى قاتل الرجل اياه واخاه وابنه فأعلم الله سبحانه أن هذا ما تولاه منهم إلا هو قوله تعالى (٦٤) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٦٥) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَأَنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ (٦٦) أَلَنْ خَفَّ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ثلاث آيات

❖ القراءة ❖

إن يكن منكم مائة بالياء فيها كوفي والأول بالناء بصري ضعفاً بفتح الضاد كوفي الا الكسائي والباقون بضم الضاد ولكنهم سكنوا العين الا ابا جعفر فإنه قرأ ضعفاً على وزن فعلاء

❖ الهمزة ❖

من قرأ بالياء فإنه اراد به المذكور بذلك على ذلك قوله تعالى يغلبوا وقرأ ابو عمرو وان تكن منكم مائة صابرة بالناء كما انث صفة المائة وهي قوله صابرة كذلك انث الفعل ومن قرأ الجميع بالناء يحمل على اللفظ فاللفظ مؤنث والضعف والضعف لفتان كالفقر والفقر

❖ اللفظة ❖

الإلتباع موافقة الداعي فيما يدعو اليه من اجل دعائه والتحرير والحض والحث بمعنى وهو الترغيب في الفعل بما يبعث على المبادرة اليه وضده التمتير والصبر حبس النفس عما تنلزع اليه من ضد ما ينبغي أن يكون عليه وضده الجزع قال

فَإِنْ تَصَبَّرْ فَالصَّبْرُ خَيْرٌ مَغْبَةً وَإِنْ تَجَزَّعْ فَالْأَمْرُ مَا تَرِيَانِ

والتخفيف رفع المشقة بالخفة والخفة قبيض الثقل والخفة والسهولة بمعنى والضعف نقصان القوة وهو من الضعف لأنه ذهب ضعف القوة

* الاعراب *

موضع من اتبعك رفع على معنى حسبك الله وتباعك من المؤمنين ويحتمل أن يكون نصبا بمعنى ويكفي من اتبعك على التأويل لأن الكاف في حسبك في موضع جر بالإضافة لكنه مفعول به في المعنى فمطف على المعنى ومثله قوله تعالى انا منجوك وأهلك وقال الشاعر

إِذَا كَانَتْ الْهَيْجَاءُ وَأَنْشَقَّتِ الْعَصَا
فَحَسْبُكَ وَالضَّحَّاكَ سَيْفٌ مَهْنَدٌ^(١)

الآن مبني مع الألف واللام لأنه خرج عن التمكن بشبه الحرف قال الزجاج عشرون لا يجوز الا بكسر العين وزعم اهل اللغة انه كسر اوله كما كسر أول اثنين لأن عشريين من عشرة مثل اثنين من واحد ويدل عليه فتحهم ثلاثين كفتح ثلاثة وكسرم تسعين ككسر تسعة

* المعنى *

ثم امر سبحانه بقتال الكفار وحث عليه بقوله (يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين) أي كافيك الله ويكفيك متبعوك من المؤمنين وقال الحسن معناه الله حسبك وحسب من اتبعك من المؤمنين أي يكفيك ويكفيهم قال الكلبي نزلت هذه الآية بالبيداء في غزوة بدر قبل القتال (يا أيها النبي حرص المؤمنين) أي ابث المؤمنين (على القتال) ورغبهم فيه بسائر اسباب التحريض والترغيب من ذكر الثواب الموعود على القتال وبيان ما وعد الله لهم من النصر والظفر واغتنام الأموال (ان يكن منكم عشرون صابرون) على القتال (يغلبوا مأتين) من العدو (وإن يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا) واللفظ لفظ الخبير والمراد به الأمر ويدل على ذلك قوله فيما بعد الآن خفف الله عنكم لأن التخفيف لا يكون إلا بعد التكليف (بأنهم قوم لا يفقهون) معناه ذلك النصر من الله تعالى لكم على الكفار والخذلان للكفار بأنكم تفقهون امر الله تعالى وتصدقونه فيما وعدكم من الثواب فيدعوكم ذلك الى الصبر على القتال والجد فيه والكفار لا يفقهون امر الله تعالى ولا يصدقونه فيما وعدكم من الثواب ولما علم الله تعالى ان ذلك يشق عليهم تغيرت المصلحة في ذلك فقال (الآن خفف الله عنكم) الحكم في الجهاد من وجوب قتال المشرك على الواحد وثبات الواحد للمشرك (وعلم أن فيكم ضعفا) أراد به ضعف البصيرة والعزيمة ولم يرد ضعف البدن فإن الذين اسلموا في الاجتداء لم يكونوا كلهم اقوياء البدن بل كان فيهم القوي والضعيف ولكن كانوا اقوياء البصيرة واليقين ولما كثر المسلمين واختلط بهم من كان اضعف يقينا وبصيرة نزل الآن خفف الله عنكم (فإن يكن منكم مائة صابرة) على القتال (يغلبوا مأتين) من العدو (وان يكن منكم الف) صابرة (يغلبوا الفين) منهم (بإذن الله) أي يعلم الله وقيل بأمره فأمر الله تعالى الواحد بأن يثبت لاثنتين وتضمن النصر له عليها وإنما لم يفصل ولم يأمر من كان قوي البصيرة بأن يثبت ل عشرة ومن كان ضعيف البصيرة بأن يثبت لاثنتين لأنهم كانوا يشهدون القتال مختلطين فكان لا يمكن التمييز بينهم ولو نص على من كان ضعيف البصيرة كان فيه ابحاثهم وانكسار قلوبهم وزيادة ضعفهم (وا لله مع الصابرين) أي معونة الله مع الصابرين ومعناه والله معين الصابرين وقيل ان هذه الآية نزلت بعد الآية الأولى بمدة وان قرن بينهما في المصحف وهي ناسخة للأولى والمعتبر في النسخ والنسخ بالتزول دون التلاوة وقال الحسن ان التخليط كان على أهل بدر ثم جاءت الرخصة

قوله تعالى (٦٧) مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يَشْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ
الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٦٨) لَوْلَا كِتَابٌ مِنْ اللَّهِ سَبَقَ لَكُمْ

(١) المهند : السيف المطبوع من حديث الهند .

فِيْمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٦٩) فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ثلاث آيات

❖ القراءة ❖

قرأ ابو جعفر ان تكون له بالتاء أسارى وقرأ اهل الكوفة ان تكون له بالتاء اسرى والباقون ان يكون له بالياء اسرى

— الحجة —

من قرأ بالتاء فلأن الجمع مؤنث ومن قرأ بالياء فلأنهم مذكرون في المعنى وقد وقع الفصل بين الفعل والفاعل قال ابو علي والأسرى اقيس من الأسارى لأن اسير افعيل بمعنى مفعول وذلك يجمع على فعل نحو جريح وجرحى وقتيل وقتلى واستمر هذا الجمع في الباب وكثر حتى شبه به غيره مما ليس منه ولكن لموافقته مثل مرضى وهلكى وموتى وذلك ان هذه أمور ابتلوا بها وادخلوا فيها وهم لها كارهون فصار لذلك مشبهاً بفعيل في قول الخليل وإنما قالوا أسارى على التشبيه بكسالى كما قالوا كسلى على التشبيه بأسرى وقال الأزهري الأسارى جمع الأسرى فهو جمع الجمع

❖ اللفظة ❖

الأسرى الشد على المحارب بما يصير به في قبضة الآخذ له وفلان مأسور اي مشدود وكانوا يشدون الأسير بالقدم، والإيتمان في الأرض تغليظ الحال بكثرة القتل والنخن والغلظ والكثافة نظائر وقد ائخته المرض إذا اشتدت قوته عليه وائخته الجراح والعرض متاع الدنيا ساء عرضاً لقلته لبثه والفرق بين الحلال والمباح ان الحلال من حل العقد في التحريم والمباح من التوسعة في الفعل وإن اجتمع في الحل والطيب المستلذ وشبه الحلال به فسمي طيباً واللذة نيل المشتى

❖ الإعراب ❖

اتقاء في فكلوا دخلت للجزاء المعنى لقد أحلت لكم الغذاء فكلوا وحلالاً طيباً منصوب على الحال

❖ المعنى ❖

(ما كان لنبي) اي ليس له ولا في عهد الله اليه (ان يكون له اسرى) من المشركين ليفديهم أو يمين عليهم (حتى يشخن في الأرض) اي حتى يبالغ في قتل المشركين وفهرم ليرتدع بهم من وراءهم وقال ابو مسلم الإيتمان الغلبة على البلدان والتذليل لأهلها يعني حتى يتمكن في الأرض (تريدون عرض الدنيا) هذا خطاب لمن دون النبي ﷺ من المؤمنين الذين رغبوا في اخذ القداء من الاسرى في اول وقته ورغبوا في الحرب للثنيمة قال الحسن وابن عباس يريد يوم بدر ويقول اخذتم القداء من الاسرى في اول وقعة كانت لكم من قبل ان تشحنوا في الأرض وعرض الدنيا مال الدنيا لانه بمعرض الزوال (والله يريد الآخرة) اي تريدون عاجل الحظ من عرض الدنيا والله يريد لكم ثواب الآخرة (والله عزيز) لا يظلب انصاره فاعملوا ما يريد منكم لينصركم (حكيم) يجري افعاله على ما توجه الحكمة فصل سبحانه بين ارادة نفسه و ارادة عباده ولو كان ما ارادوه على ما قاله المجبرة لم يصح هذا التفصيل (لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم) قيل في معناه أقوال ❖ أحدها ❖ لولا ما مضى من حكم الله ان لا ييذب قوما حتى يبين لهم ما يتقون وانه لم يبين لكم ان لا تأخذوا القداء لمذبكم بأخذ القداء عن ابن جريج ❖ وثانيها ❖ لولا ان الله حكم لكم بإباحة الفنائم والقداء في ام الكتاب وهو الواح المحفوظ لمسكم فيما استحللتم قبل الإباحة عذاب عظيم فإن

(١) وفي نسخة البيان «اهل البصرة» مكان «اهل الكوفة» .

الفنائم لم تحمل لأحد قبلكم عن ابن عباس * وثالثها * لولا كتاب من الله سبق وهو القرآن فأمتمت به واستوجبتم بالإيمان به النفران لمسكم العذاب عن الجبائي قال والمراد به الصغائر * ورابعها * ان الكتاب الذي سبق قوله وما كان الله ليمذبههم وانت فيهم والمعنى لولا ما كتب الله في القرآن او في اللوح المحفوظ انه لا يعذبكم والنبي بين اظهر كم لعذبكم (فكأوا ما غنتم حلالا طيبا) هذه اباحة منه سبحانه للمؤمنين أن يأكلوا ما غنموه من اموال المشركين (واتقوا الله) باتقائه معاصيه (إن الله غفور رحيم)

* القصة *

كان القتلى من المشركين يوم بدر سبعين قتل منهم علي بن ابي طالب عليه السلام سبعة وعشرين وكان الاسرى ايضا سبعين ولم يؤسر احد من اصحاب النبي ﷺ فجمعوا الاسارى وقرنوه في الجبال وساقوهم على اقدامهم وقتل من اصحاب رسول الله تسعة رجال منهم سعد بن خيشمة وكان من النقباء من الأوس وعن محمد بن اسحاق قال استشهد من المسلمين يوم بدر احد عشر رجلا اربعة من قريش وسبعة من الانصار وقيل ثمانية وقتل من المشركين بضعة واربعون رجلا وعن ابن عباس قال لما امسى رسول الله ﷺ يوم بدر والناس محبوسون بالوثاق بات ساهرا اول الليلة فقال له اصحابه ما لك لا تنام فقال ﷺ سمعت انين عمي العباس في وثاقه فأطلقوه فسكت فنام رسول الله ﷺ وروى عبيدة السلماني عن رسول الله ﷺ انه قال لا اصحابه يوم بدر في الاسارى ان شتم قتلتموهم وان شتم فاديتهم واستشهد منكم بعدتهم وكانت الاسارى سبعين فقالوا بل نأخذ الفداء فنستمتع به ونتقوى به على عدونا وليستشهد منا بعدتهم قال عبيدة طلبوا الخيبرتين كاتبيها فقتل منهم يوم احد سبعون وفي كتاب علي بن ابراهيم لما قتل رسول الله ﷺ النضر بن الحارث وعقبة بن ابي معيط خافت الانصار ان يقتل الاسارى فقالوا يا رسول الله قتلنا سبعين وهم قومك واسرتك أتجد اصلمهم فخذ يا رسول الله منهم الفداء وقد كانوا اخذوا ما وجدوه من الفنائم في عسكر قريش فلما طلبوا اليه وسألوه الآية ما كان لنبي أن يكون له اسرى الآيات فاطلق لهم ذلك وكان اكثر الفداء اربعة آلاف درهم وأقله الف درهم فبشت قريش بالفداء أولا فأولا فبشت زينب بنت رسول الله ﷺ من فداء زوجها ابي العاص بن الربيع وبشت فلاندا لها كانت خديجة جهزتها بها وكان ابو العاص ابن اخت خديجة فلما رأى رسول الله ﷺ تلك الفلاند قال رحم الله خديجة هذه فلاندا هي جهزتها بها فأطلقه رسول الله ﷺ بشرط ان يبعث اليه زينب ولا يمنها من الحقوق به فمأهده على ذلك ووفى له وروي أن النبي ﷺ كره اخذ الفداء حتى رأى سعد بن معاذ كراهية ذلك في وجهه فقال يا رسول الله هذا اول حرب لقينا فيه المشركين والاشركان في القتل احب الي من استبقاء الرجال وقال عمر بن الخطاب يا رسول الله كذبوك وأخرجوك قدمهم واضرب اعناقهم ومكن عليا من عقيل فيضرب عنقه ومكني من فلان اضرب عنقه فإن هؤلاء أئمة الكفر وقال ابو بكر أهلك وقومك استأن بهم واستبقهم وخذ منهم فدية فيكون لنا قوة على الكفار قال ابن زيد فقال رسول الله ﷺ لئن نزل عذاب من السماء ما نجا منكم غير عمر وسعد بن معاذ وقال ابو جعفر الباقر (ع) كان الفداء يوم بدر كل رجل من المشركين بأربعين اوقية والأوقية اربعون مثقالا إلا العباس فإن فداءه كان مائة اوقية وكان اخذ منه حين اسر عشرون اوقية ذهابا فقال النبي ﷺ ذلك غنيمة ففاد نفسك وابني اخبك نوافلا وعقيل فقال ليس

معي شي فقال ابن الذهب الذي سلمته إلى ام الفضل وقلت إن حدث بي حدث فهو لك وللفضل وعبد الله وقثم فقال من اخبرك بهذا قال الله تعالى فقال اشهد انك رسول الله والله ما اطلع على هذا احدا الا الله تعالى قوله تعالى (٧٠) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَىٰ إِنَّ يَعْلَمُ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٧١) وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ آياتان

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابو جعفر وابو عمرو من الاسارى والباقون من الاسرى وقد ذكرنا الفرق بين الاسرى والاسارى فيما قبل

﴿ المعنى ﴾

ثم خاطب الله سبحانه نبيه فقال (يا ايها النبي قل لمن في ايديكم) من الاسارى انما ذكر الايدي لان من كان في وثاقهم فهو بمنزلة من يكون في ايديهم لاستيلائهم عليه (من الاسرى) يعني اسراء بدر الذين اخذ منهم الفداء (ان يعلم الله في قلوبكم خيرا) اي اسلاما واخلاصا او رغبة في الايمان وصحة نية (يؤتكم خيرا) اي يعطكم خيرا (ما اخذ منكم) من الفداء اما في الدنيا والآخرة واما في الآخرة (ويغفر لكم) ذنوبكم (والله غفور) للذنوب (رحيم) روي عن العباس بن عبد المطلب انه قال نزلت هذه الآية في وفي اصحابي كان معي عشرون اوقية ذهبا فاخذت مني فأعطاني الله مكانها عشرين عبدا كل منهم يضرب بال كعبه وادناهم يضرب بمشرين الف درهم مكان العشرين اوقية واعطاني زمزم وما احب ان لي بما جميع اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة من ربي قال قتادة ذكر لنا ان نبي الله ﷺ لما قدم عليه مال البحرين ثمانون الفا وقد تروضا لصلاة الظهر فاصلى يومئذ حتى فرقه وأمر العباس ان يأخذ منه ويحشي فأخذ فكان العباس يقول هذا خير ما اخذ منا وأرجو المغفرة (وإن يريدوا خيانتك) معناه وان يرد الذين اطلقتهم من الاسارى خيانتك بأن يعدوا حربا لك او ينصروا عدواً عليك (فقد خانوا الله من قبل) بأن خرجوا إلى بدر وقاتلوا مع المشركين وقيل بأن اشركوا بالله و اضافوا اليه ما لا يليق به (فأمكن منهم) اي فأمكنتك منهم يوم بدر بأن غلبوا واسروا وسيمكنتك منهم ثانيا ان خانوك (والله عليم حكيم) معناه عليم بما يقولونه وبما في نفوسهم وبجميع الأشياء حكيم فيما يفعله

قوله تعالى (٧٢) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يهاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ يَبْشِكُمْ وَيَبْشِكُكُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ آية

﴿ القراءة ﴾

قرأ حمزة ولايتهم بكسر الواو وهو قراءة الاعمش ويحيى بن وثاب والباقون ولايتهم بفتح الواو

* الحجة *

قال الزجاج من قرأ بالفتح فلان الولاية من النصر والنسب بفتح الواو والولاية التي بمنزلة الامارة مكسورة ليفصل بين المعنيين وقد يجوز كسر الواو ولأن في تولي بعض القوم بعضا جنسا من الصناعة والعمل وكل ما كان من جنس الصناعة فكسور نحو الخياطة والصباغة وقال ابو عبيدة وابو الحسن من ولايتهم مصدر المولى وأما في السلطان فالولاية بكسر الواو وهي في الأخرى لغة

* اللغة *

المهجرة والمهاجرة فراق الوطن الى غيره من البلاد وأصله من المهجر ضد الوصل والجهاد تحمل المشاق في قتال اعداء الدين من جهده الأمم جهدا والايواء ضم الانسان غيره اليه بايزاله عنده وتقريبه له يقال آواه يؤويه ايواء واو من باوي اوياء واويت معناه رجعت الى المأوى والولاية عقد النصر للموافقة في الديانة

* النزول *

قيل نزلت الآية في الميراث وكانوا يتوارثون بالمهجرة فجعل الله الميراث للمهاجرين والانصار دون ذوي الارحام وكان الذي آمن ولم يهاجر لم يرث من اجل انه لم يهاجر ولم ينصرو كانوا يعملون بذلك حتى انزل الله تعالى واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض فتسخت هذه الآية وصار الميراث لذوي الارحام المؤمنين ولا يتوارث أهل ملتين عن ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد والسدي

* المعنى *

ثم ختم الله سبحانه السورة بإيجاب موالة المؤمنين وقطع موالة الكافرين فقال (ان الذين آمنوا بالله ورسوله وبما يجب الايمان به (وهاجروا) من مكة الى المدينة (وجاهدوا) وقتلوا العدو (بأموالهم وانفسهم في سبيل الله) اي في طاعة الله واعزاز دينه (والذين آووا) الرسول والمهاجرين بالمدينة اي جعلوا لهم مأوى واسكنوهم منازلهم يعني الانصار (ونصروا) اي ونصروهم بعد الايواء على اعدائهم وبدلوا المهج في نصرتهم (أو تلك بعضهم اولياء بعض) اي هؤلاء بعضهم اولى ببعض في النصر وان لم يكن بينهم قرابة من اقربائهم من الكفار وقيل في التوارث عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة والسدي وقيل في التناصر والتعاون والموالة في الدين عن الاصم وقيل في نفوذ امان بعضهم على بعض فان واحدا من المسلمين لو أمن إنسانا نفذ امانه على سائر المسلمين (والذين آمنوا ولم يهاجروا) الي المدينة (مالكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا) اي مالكم من ميراثهم من شيء حتى يهاجروا فحينئذ يحصل بينكم التوارث فان الميراث كان منقطعاً في ذلك الوقت بين المهاجرين وغير المهاجرين وروي عن ابي جعفر (ع) انهم كانوا يتوارثون بالمواخاة الأولى وقيل معناه مالكم من موالاتهم ونصرتهم من شيء اي ليس عليكم نصرتهم (وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر) معناه وان طلبوا يعني المؤمنين الذين لم يهاجروا منكم النصر لهم على الكفار وإعطائهم في الدين فعليكم النصر والمعونة لهم وليس عليكم نصرتهم في غير الدين (الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق) معناه الا أن يطلبوا منكم النصر لهم على قوم من المشركين بينكم وبينهم امان وعهد يجب الوفاء به ولا تنصروهم عليهم لما فيه من نقض العهد (واشعرا بما تعملون بصير) اي بأعمالهم عليهم لا يخفى عليه شيء منها قوله تعالى (٧٣) وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعُهُمُ أَوْلِيَاءُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضُهُمْ أَلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ

وَفَسَادٌ كَبِيرٌ (٧٤) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٧٥) وَالَّذِينَ آمَنُوا مِن بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ثلاث آيات

❖ اللغة ❖

الفتنة أصلها الامتحان ثم تستعمل في اشياء منها الكفر والشرك وذلك نحو قوله تعالى والفتنة اكبر من القتل وقتلهم حتى لا تكون فتنة ومنها العذاب نحو قوله تعالى جعل فتنة الناس كعذاب الله وقوله ذوقوا فتنتكم يعني عذابكم بالتحريق بالنار ومنها المذرة في نحو قوله تعالى ثم لم تكن فتنتهم ابي معذرتهم ومنها القتل في نحو قوله ان خفتهم ان يقتلكم اي يقتلكم وقوله على خوف من فرعون وملئه ان يفتنهم ومنها الهرج والابتلاء على اثر البلاء في نحو قوله وهم لا يفنون ولقد فتننا الذين من قبلهم وهذا التفصيل مأخوذ من قول الصادق (ع) . والكريم فاعل الكرم والكرم الجود العظيم والشرف قال
تِلْكَ الْمَكَارِمُ لَا قَبَانَ مِنْ لَبَنِ شَيْبًا بِمَاءٍ فَعَادًا بَعْدُ أَبَوَالَا^(١)
والرزق الكريم العظيم الواسع

❖ الأعراب ❖

قوله فليكن النصر يجوز في العربية فليكن النصر على قولك عليك زيداً ولم يقرأ بها

❖ المعنى ❖

ثم ذكر سبحانه وتعالى حكم الكافرين فقال (والذين كفروا اولياء بعض) اي بعضهم انصار بعض عن ابن اسحاق وقتادة وقيل معناه بعضهم اولى بعض في الميراث عن ابن عباس واي مالك (لا تقبلوه) وتقديره الا تفضلوا ما امرتم به في الآية الأولى والثانية ومخرجه مخرج الخبر والمراد به الأمر وتقديره إلا تفضلوا ما امرتم به من التناصر والتعاون والتبرؤ من الكفار (تكن فتنة في الأرض وفساد كبير) على المؤمنين الذين لم يهاجروا ويريد بالفتنة هنا المحنة بالميل إلى الضلال والفساد الكبير ضعف الايمان وقيل ان الفتنة هي الكفر لأن المسلمين إذا وهم تجرؤوا على المسلمين ودعروهم إلى الكفر وهذا يوجب التبرؤ منهم والفساد الكبير سفك الدماء عن الحسن وقيل معناه وان لم تعلقوا التوارث بالهجرة ولم تقطعوه بعدمها ادى إلى فتنة في الأرض باختلاف الكلمة وفساد عظيم بتقوية الخارج عن الجماعة من ابن عباس وابن زيد ثم عاد سبحانه إلى ذكر المهاجرين والانصار ومدحهم والثناء عليهم فقال (والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله) اي صدقوا الله ورسوله وهاجروا من ديارهم واطانهم يعني من مكة إلى المدينة وجاهدوا مع ذلك في اعلاء دين الله (والذين آووا ونصروا) اي ضمروهم اليهم ونصروا النبي ﷺ (أو آتاكم هم المؤمنون حقا) اي أو آتاكم الذين حققوا ايمانهم بالهجرة والنصرة بخلاف من أقام بدار الشرك وقيل معناه ان الله حقق ايمانهم بالبشارة التي بشرهم بها ولم يكن لمن لم يهاجر ولم ينصر مثل هذا واختلفوا في ان الهجرة هل تصح في هذا الزمان ام لا فقيل لا تصح لأن النبي ﷺ قال لا هجرة بعد الفتح ولأن الهجرة الانتقال من دار الكفر إلى دار الاسلام وليس يقع مثل هذا في هذا الزمان لاتساع بلاد الاسلام إلا ان يكون نادرا لا يمتد به وقيل إن هجرة الأعراب إلى الامصار باقية إلى يوم القيامة

عن الحسن والأقوي ان يكون حكم الهجرة باقيا لأن من اسلم في دار الحرب ثم هاجر إلى دار الإسلام كان مهاجرا وكان الحسن يمنع ان يتزوج المهاجر إلى اعرابية وروي عن عمر بن الخطاب انه قال لا تنكحوا أهل مكة فإنهم اعراب وإنما سمي الجهاد سبيل الله لأنه الطريق إلى ثواب الله في دار كرامته (لهم مغفرة ورزق كريم) لا يشوبه ما ينقصه وقيل الرزق الكريم هاهنا طعام الجنة لأنه لا يستحيل في اجوافهم نجوا بسل يصير كالمسك ريحا (والذين آمنوا من بعد) اي من بعد فتح مكة عن الحسن وقيل معناه آمنوا من بعد إيمانكم (وما هجروا) بعد هجرتكم (وجاهدوا معكم) ايها المؤمنون (فاوثلثك منكم) أي مؤمنون مثلكم ومن جملتكم وحكمهم حككم في وجوب موالاتهم وموالاتهم ونصرتهم وان تأخر إيمانهم وهجرتهم (وأولوا الارحام بعضهم اولى ببعض) معناه وذوو الارحام والقرباة بعضهم احق ببيراث بعضهم من غيرهم عن ابن عباس والحسن وجماعة المفسرين وقالوا صار ذلك نسخا لما قبله من التوارث بالمعاقدة والهجرة وغير ذلك من الامتياب فقد كانوا يتوارثون بالمواخاة فإن النبي ﷺ كان أخى بين المهاجرين والانصار (في كتاب الله) اي في حكم الله عن الزجاج وقيل في اللوح المحفوظ كما في قوله ما اصاب من مصيبة في الأرض ولا في انفسكم إلا في كتاب من قبل ان نبرأها وقيل في القرآن وفي قوله وأولو الارحام بعضهم اولى ببعض دلالة على ان من كان اقرب إلى الميت في النسب كان اولى بالميراث سواء كان ذا سهم او غير ذي سهم او عصة او غير ذي عصة ومن وافقنا في توريث ذوي الارحام يستني أصحاب الفرائض والعصبة من الآية وذلك خلاف الظاهر (إن الله بكل شيء عليم) ظاهر المعنى واكثر هذه السورة في قصة بدر

تم المجلد الرابع من التفسير وهو الموسوم بكتاب مجمع البيان لطوم القرآن
وقد وقف على تصحيحه والتعليق عليه العبدان المتمسكان بحبل الله المتين السيدان الموسوي المحمدي
والسيد فضل الله الطباطبائي النيزكي دام الله
توفيقا لهما بمحمد
والله



فهرس المجلد الثاني من مجمع البيان في تفسير القرآن

وهو حاو للجزء الثالث والرابع حسب تجزئة المصنف
وفيه تفسير سور النساء والمائدة والأنعام والأعراف والأنفال

| صفحة | صفحة | صفحة |
|---|--|---|
| ٥٤ | من النساء | ﴿ سورة النساء ﴾ |
| من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه | ٢٧ حرمت عليكم امهاتكم | ١ يا أيها الناس اتقوا ربكم |
| ٥٥ يا أيها الذين أتوا الكتاب | ٣٠ والمحصنات من النساء | ٢-٣ وأتوا اليتامى أموالهم وان ختمتم ألا تقسطوا في اليتامى |
| ٥٦ ان الله لا يغفر ان يشرك به | ٣٣ ومن لم يستطع منكم طولا | ٤ وأتوا النساء صدقاتهن |
| ٥٨ ألم تر إلى الذين يزكون انفسهم انظر كيف يقترنون على الله الكذب | ٣٥ يريد الله ليعين لكم . والله يريد أن يتوب عليكم | ٥ ولا توتوا السفهاء . أموالكم وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح |
| ٥٩ ألم تر إلى الذين أتوا نصيبا من الكتاب أو تلك الذين لعنهم الله | ٣٦ يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل | ١٠ للرجال نصيب مما ترك الوالدان |
| ٦٠ أم لهم نصيب من الملك أم يجسدون الناس على ما آتاهم فنهم من آمن به | ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما ٣٧ إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ولا تزنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض | ١١ واذا حضر القسمة اولو القربى وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضاعفا |
| ٦١ ان الذين كفروا باياتنا والذين آمنا وعملوا الصالحات | ٤١ ولكل جعلنا موالى ما ترك الوالدان | ١٣ يؤصبيكم الله في اولادكم |
| ٦٣ ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى اهلها | ٤٢ الرجال قوامون على النساء | ١٦ ولكم نصف ما ترك ازواجكم |
| ٦٤ يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله | ٤٤ وإن ختمت شقاق بينهما | ١٩ تلك حدود الله ومن يعص الله ورسوله |
| ٦٥ ألم تر إلى الذين يزعمون انهم آمنا . وإذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله | ٤٥ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل | ٢٠ واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم والذات يأتينها منكم |
| ٦٦ فكيف اذا اصابتهم مصيبة أو تلك الذين يعلم الله ما في قلوبهم | ٤٧ والذين ينفقون أموالهم رثاء الناس . وما ذاع عليهم لو آمنوا بالله إن الله لا يظلم متقال ذرة | ٢١ إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء . بجهالة . وليست التوبة للذين يعملون السيئات |
| ٦٧ وما ارسلنا من رسول الا ليطاع | ٤٩ فكيف اذا جئنا من كل امة بشهادة . يومئذ يورد الذين كفروا يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا | ٢٣ يا أيها الذين آمنوا لا يحمل لكم أن ترثوا النساء . كرها |
| ٦٨ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك | الصلاة وانتم سكارى | ٢٥ وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج . وكيف تأخذونه |
| ٦٩ ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم . واذا لايتناههم ولهديناهم ومن يطع الله والرسول | ٥٣ ألم تر إلى الذين أتوا نصيبا من الكتاب . والله اعلم باعدائكم | ٢٦ ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم |

| صفحة | صفحة | صفحة |
|--|--|---|
| | | ذلك الفضل من الله |
| واسطاً حكيماً | درجات منه ومفكرة | ٧٢ يا أيها الذين آمنوا أخذوا حذرهم |
| ١٢١ وفيه ما في السماوات وما في الأرض إلى قوله وكفى بالله وكيلاً | ٩٧ ان الذين توفاهم الملائكة الا المستضعفين فاو لثك عسى الله ان يعفو عنهم | ٧٣ وإن منكم لمن ليبطئن ولئن اصابكم فضل من الله فليقاتل في سبيل الله |
| ١٢٢ إن يشأ يذهبكم ايها الناس إلى قوله فإذن الله كان بما تعملون خبيراً | ٩٩ ومن يهاجر في سبيل الله | ٧٥ وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله |
| ١٢٤ يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله | ١٠٠ وإذا ضربتم في الأرض | ٧٦ الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله |
| ١٢٥ إن الذين آمنوا ثم كفروا إلى قوله فإن العزة لله جميعاً | ١٠١ وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة | ٧٦ ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم |
| ١٢٦ وقد نزل عليكم في الكتاب الذي يتربصون بكم | ١٠٣ فإم إذا قضيت الصلاة فاذكروا الله | ٧٧ أينما تكونوا يدر ككم الموت |
| ١٢٨ إن المنافقين يخادعون الله إلى قوله فلن تجد له سبيلاً | ١٠٤ ولا تهنوا في ابتغاء القوم | ٧٩ ما اصابك من حسنة فمن الله |
| ١٢٩ يا أيها الذين آمنوا إلى قوله اجرا عظيماً | ١٠٥ انا انزلنا اليك الكتاب بالحق واستغفر الله | ٨٠ أفلا يتدبرون القرآن |
| ١٣٠ ما يفعل الله بعذابكم لا يحب الله الجهر بالسوء إلى قوله فإن الله كان عفواً قديراً | ١٠٦ ولا تجادل عن الذين يخفون انفسهم يستخفون من الناس ها انتم هولاء جادلتم ومن يعمل سوءاً او يظلم نفسه إلى قوله بهتاناً وإثماً مبيناً | ٨١ واذا جاءهم امر من الأمن او الخوف اذاعوا به |
| ١٣٢ إن الذين يكفرون بالله ورسوله إلى قوله وآتيناهم موسى سلطاناً مبيناً | ١٠٧ إلى قوله فسوف نؤتيه اجرا عظيماً | ٨٣ فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك |
| ١٣٣ ورفنا فوقهم الطور مبيناً | ١٠٨ ولولا فضل الله عليك ورحمته إلى قوله فسوف نؤتيه اجرا عظيماً | ٨٣ من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها |
| ١٣٤ فبما نقضهم ميثاقهم الى قوله وكان الله عزيزاً حكيماً | ١١٠ ومن يشاقق الرسول إلى قوله ولا يجدون عنها محيصاً | ٨٤ واذا حيتم بتحية فحيوا بأحسن منها |
| ١٣٧ وان من اهل الكتاب إلا ليوث من فبظلم من الذين هادوا الى قوله وأعدنا للكافرين منهم عذاباً أليماً | ١١١ ان الله لا يفر ان يشرك به | ٨٥ الله لا إله إلا هو ليجمضنكم |
| ١٣٩ لكن الراسخون في العلم منهم إنا أوحينا اليك | ١١١ ان يدعون من دونه إلا إنا نأنا إلى قوله ولا يجدون عنها محيصاً | ٨٦ فما لكم في المنافقين فتنين |
| ١٤١ ورسلا قد قصصناهم عليك الى قوله وكان الله عزيزاً حكيماً | ١١٣ والذين آمنوا وعملوا الصالحات ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب إلى قوله ولا يظلمون تقيراً | ٨٧ ودوالو تكفرون كما كفروا الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق |
| ١٤٢ لكن الله يشهد بما انزل اليك | ١١٥ ومن احسن ديناً إلى قوله وكان الله بكل شيء محيطاً | ٨٩ مستجدون آخرين يريدون ان يأمنوك |
| | ١١٧ ويستفتونك في النساء | ٨٩ وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمناً إلا خطأ |
| | ١١٩ وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً | ٩٢ ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم |
| | ١٢٠ ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء إلى قوله وكان الله عزيزاً حكيماً | ٩٤ يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا |
| | | ٩٦ لا يستوي القاعدون من المؤمنين |

| صفحة | صفحة | صفحة |
|---|---|---|
| ٢٠٠ | ١٧٤ | ١٤٣ |
| وقفينا على آثارهم إلى قوله فأولئك هم الفاسقون | يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا إلى قوله إلى صراط مستقيم | إلى قوله و كان ذلك على الله يسيرا يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق |
| ٢٠١ | ١٧٥ | ١٤٤ |
| وانزلنا إليك الكتاب بالحق وان احكم بينهم إلى قوله لقوم يوقنون | لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم إلى قوله واليه المصير | يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم |
| ٢٠٣ | ١٧٦ | ١٤٦ |
| يا أيها الذين آمنوا إلى قوله فأصبحوا خاسرين | يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا | لن يستكف المسيح أن يكون عبداً لله إلى قوله وليا ولا نصيرا |
| ٢٠٥ | ١٧٧ | ١٤٧ |
| يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه | واذ قال موسى لقومه إلى قوله فتنقلبوا خاسرين | يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم إلى قوله ويهديهم إليه صراطاً مستقيماً |
| ٢٠٧ | ١٧٩ | ١٤٨ |
| يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا واذا ناديتهم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعباً إلى قوله وان أكثركم فاسقون | قالوا يا موسى إن فيها قوما جبارين إلى قوله إنا ها هنا قاعدون | يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة |
| ٢٠٩ | ١٨١ | |
| يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا واذا ناديتهم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعباً إلى قوله وان أكثركم فاسقون | قال رب إني لا املك إلا نفسي وانخي إلى قوله على القوم الفاسقين | ﴿ سورة المائدة ﴾ فضلاً |
| ٢١٢ | ١٨٢ | ١٥٠ |
| يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا واذا ناديتهم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعباً إلى قوله وان أكثركم فاسقون | واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق لئن بسطت إلي يدك لتقتلني إلى قوله فأصبح من الخاسرين | يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله |
| ٢١٣ | ١٨٣ | ١٥٢ |
| يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا واذا ناديتهم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعباً إلى قوله وان أكثركم فاسقون | فبعث الله غرأبايحيث في الارض من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل | حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير يسألونك ماذا احل لهم |
| ٢١٤ | ١٨٤ | ١٥٦ |
| يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا واذا ناديتهم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعباً إلى قوله وان أكثركم فاسقون | إنا جزاء الذين يحاربون الله ورسوله إلى قوله غفور رحيم | اليوم احل لكم الطيبات يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة |
| ٢١٦ | ١٨٥ | ١٦٠ |
| يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا واذا ناديتهم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعباً إلى قوله وان أكثركم فاسقون | يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله إلى قوله عذاب مقيم | واذكروا نعمة الله عليكم يا أيها الذين آمنوا إلى قوله او لتلك اصحاب الجحيم |
| ٢١٨ | ١٨٧ | ١٦٢ |
| يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا واذا ناديتهم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعباً إلى قوله وان أكثركم فاسقون | واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق لئن بسطت إلي يدك لتقتلني إلى قوله فأصبح من الخاسرين | يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة واذكروا نعمة الله عليكم يا أيها الذين آمنوا إلى قوله او لتلك اصحاب الجحيم |
| ٢٢١ | ١٨٩ | ١٦٣ |
| يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا واذا ناديتهم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعباً إلى قوله وان أكثركم فاسقون | فبعث الله غرأبايحيث في الارض من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل | يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة واذكروا نعمة الله عليكم يا أيها الذين آمنوا إلى قوله او لتلك اصحاب الجحيم |
| ٢٢٢ | ١٩٠ | ١٦٦ |
| يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا واذا ناديتهم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعباً إلى قوله وان أكثركم فاسقون | إنا جزاء الذين يحاربون الله ورسوله إلى قوله غفور رحيم | يا أيها الذين آمنوا إلى قوله او لتلك اصحاب الجحيم يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم |
| ٢٢٤ | ١٩٢ | ١٦٨ |
| يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا واذا ناديتهم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعباً إلى قوله وان أكثركم فاسقون | يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله إلى قوله عذاب مقيم | يا أيها الذين آمنوا إلى قوله او لتلك اصحاب الجحيم يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم |
| ٢٢٥ | ١٩٣ | ١٦٩ |
| يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا واذا ناديتهم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعباً إلى قوله وان أكثركم فاسقون | واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق لئن بسطت إلي يدك لتقتلني إلى قوله فأصبح من الخاسرين | يا أيها الذين آمنوا إلى قوله او لتلك اصحاب الجحيم يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم |
| ٢٢٧ | ١٩٤ | ١٧٠ |
| يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا واذا ناديتهم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعباً إلى قوله وان أكثركم فاسقون | فبعث الله غرأبايحيث في الارض من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل | ولقد اخذنا من بني اسرائيل فبا نقضهم ميثاقهم ومن الذين قالوا إنا نصارى اخذنا ميثاقهم |
| ٢٢٩ | ١٩٥ | ١٧١ |
| يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا واذا ناديتهم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعباً إلى قوله وان أكثركم فاسقون | إنا جزاء الذين يحاربون الله ورسوله إلى قوله غفور رحيم | ولقد اخذنا من بني اسرائيل فبا نقضهم ميثاقهم ومن الذين قالوا إنا نصارى اخذنا ميثاقهم |
| ٢٣٠ | ١٩٦ | ١٧٣ |
| يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا واذا ناديتهم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعباً إلى قوله وان أكثركم فاسقون | يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله إلى قوله عذاب مقيم | ولقد اخذنا من بني اسرائيل فبا نقضهم ميثاقهم ومن الذين قالوا إنا نصارى اخذنا ميثاقهم |
| ٢٣٠ | ١٩٧ | ١٧٤ |
| يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا واذا ناديتهم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعباً إلى قوله وان أكثركم فاسقون | واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق لئن بسطت إلي يدك لتقتلني إلى قوله فأصبح من الخاسرين | ولقد اخذنا من بني اسرائيل فبا نقضهم ميثاقهم ومن الذين قالوا إنا نصارى اخذنا ميثاقهم |
| ٢٣٠ | ١٩٨ | ١٧٥ |
| يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا واذا ناديتهم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعباً إلى قوله وان أكثركم فاسقون | فبعث الله غرأبايحيث في الارض من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل | ولقد اخذنا من بني اسرائيل فبا نقضهم ميثاقهم ومن الذين قالوا إنا نصارى اخذنا ميثاقهم |

| صفحة | صفحة | صفحة |
|---------------------------------|------|-----------------------------------|
| الذين آتيناكم الكتاب يعرفونه | ٢٦٣ | إلى قوله وفي العذاب هم خالدون |
| ومن اظلم ممن افترى على الله | ٢٦٣ | ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي |
| كذبا ويوم نحشرهم جميعا | ٢٦٥ | إلى قوله مع القوم الصالحين |
| ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا | ٢٦٧ | فأتابهم الله بما قالوا إلى قوله |
| انظر كيف كذبوا على أنفسهم | ٢٦٧ | واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون |
| ومنهم من يستمع اليك | ٢٦٩ | لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم |
| وهم ينهون عنه وينثون | ٢٦٩ | يأيها الذين آمنوا إنا نحمر |
| ولو ترى إذ وقفوا على النار | ٢٦٩ | والمسر إلى قوله فهل انتم منتهون |
| بل بدا لهم ما كانوا يخفون | ٢٦٩ | وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول |
| من قبل | ٢٦٩ | ليس على الذين آمنوا |
| وقالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا | ٢٦٩ | يأيها الذين آمنوا ليبلونكم |
| ولو ترى إذ وقفوا على ربهم | ٢٦٩ | الله بشيء من الصيد إلى قوله |
| قد خسروا الذين كذبوا بقاء الله | ٢٦٩ | والله عزيز ذو انتقام |
| وما الحياة الدنيا إلا لهو ولعب | ٢٦٩ | أحل لكم صيد البحر وطعامه |
| قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون | ٢٦٩ | جعل الله الكعبة البيت الحرام |
| ولقد كذبت رسل من قبلك | ٢٦٩ | قياما للناس |
| فصبروا | ٢٦٩ | اعلموا أن الله شديد العقاب |
| وإن كان كبر عليك أعراضهم | ٢٦٩ | إلى قوله لعلكم تفلحون |
| إلى قوله ولكن أكثرهم | ٢٦٩ | يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا |
| لا يعلمون | ٢٦٩ | عن شيء إن تبد لكم تسؤكم |
| وما من دابة في الأرض | ٢٦٩ | قد سأها قوم من قبلكم إلى |
| والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم | ٢٦٩ | قوله وأكثرهم لا يعقلون |
| قل أرايتكم إن أتاكم عذاب الله | ٢٦٩ | وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل |
| بل آياه تدعون | ٢٦٩ | الله إلى قوله فينبئكم بما كنتم |
| ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلكم | ٢٦٩ | تعملون |
| إلى قوله والحمد لله رب العالمين | ٢٦٩ | يأيها الذين آمنوا شهادة بينكم |
| قل أرايتكم إن أخذ الله سمكم | ٢٦٩ | فإن عثر على أنها استحقا |
| وأبصاركم إلى قوله يمسه | ٢٦٩ | ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة |
| العذاب بما كانوا يفسقون | ٢٦٩ | على وجهها |
| قل لا أقول لكم عندي | ٢٦٩ | يوم يجمع الله الرسل |
| خزائن الله | ٢٦٩ | إذ قال الله يا عيسى بن مريم |
| ولا تطرد الذين يدعون ربهم | ٢٦٩ | |
| إلى قوله أليس الله بأعلم | ٢٦٩ | |
| بالشاكرين | ٢٦٩ | |

الجزء الرابع

﴿ سورة الأنعام ﴾

| | | |
|-----------------------------------|-----|---------------------------------|
| عدد آيها وفضلها | ٢٧١ | إلى قوله لا يعلمون |
| الحمد لله الذي خلق السموات والأرض | ٢٧٢ | وما من دابة في الأرض |
| هو الذي خلقكم من طين | ٢٧٢ | والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم |
| وهو الله في السموات وفي الأرض | ٢٧٣ | قل أرايتكم إن أتاكم عذاب الله |
| وما تأتيهم من آية من آيات | ٢٧٤ | بل آياه تدعون |
| ربهم ألم يروا كم أهلكنا | ٢٧٥ | ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلكم |
| قبلهم من قرن | ٢٧٥ | إلى قوله والحمد لله رب العالمين |
| ولو ترنا عليك كتابا في قرطاس | ٢٧٦ | قل أرايتكم إن أخذ الله سمكم |
| وقالوا لولا أنزل عليه ملك | ٢٧٦ | وأبصاركم إلى قوله يمسه |
| إلى قوله ما كانوا يستهزئون | ٢٧٧ | العذاب بما كانوا يفسقون |
| قل سيروا في الأرض إلى قوله | ٢٧٧ | قل لا أقول لكم عندي |
| وهو السميع العليم | ٢٧٩ | خزائن الله |
| قل أغير الله اتخذ وليا قل | ٢٨٠ | ولا تطرد الذين يدعون ربهم |
| إني أخاف إن عصيت ربي | ٢٨٠ | إلى قوله أليس الله بأعلم |
| من يصرف عنه يومئذ | ٢٨٠ | بالشاكرين |
| وإن يمسك الله بضر وهو | ٢٨٠ | |
| القاهر فوق عباده | ٢٨١ | |
| قل أي شيء أكبر شهادة | ٢٨١ | |

| صفحة | صفحة | صفحة |
|------|--------------------------------|-----------------------------------|
| ٣٠٧ | وإذ جاءك الذين يؤمنون بآياتنا | ٣٠٥ |
| ٣٠٨ | وكذلك نفصل الآيات | وان تطع أكثر من في الأرض |
| ٣٠٩ | قل إني نهيته أن أعبد الذين | ٣٠٦ |
| ٣٠٩ | تدعون من دون الله | فكلوا مما ذكر اسم الله عليه |
| ٣٠٩ | قل إني على بينة من ربي | ٣٠٦ |
| ٣١٠ | قل لو أن عندي ما تستعجلون به | الى قوله سيجزون بما كانوا |
| ٣١٠ | وعنده مفاتيح الغيب | يقترفون |
| ٣١٢ | وهو الذي يتوفاكم بالليل | ٣٠٨ |
| ٣١٢ | وهو القاهر فوق عباده | ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم |
| ٣١٣ | ثم ردوا إلى الله | الله عليه |
| ٣١٣ | قل من ينجيكم من ظلمات | ٣٠٨ |
| ٣١٣ | البر والبحر | أو من كان ميتا فأحييناه |
| ٣١٤ | قل الله ينجيكم منها | وكذلك جعلنا لكل قربة |
| ٣١٤ | قل هو القادر على أن يبعث | أكابر مجرميها |
| ٣١٥ | عليكم عذابا | ٣٦٠ |
| ٣١٥ | وكذب به قومك وهو الحق | واذ اجابوا أنهم آية قالوا لن نؤمن |
| ٣١٦ | لكل نبأ مستقر | ٣٦٢ |
| ٣١٦ | وإذا رأيت الذين يخوضون في | فمن يرد الله أن يهديه يشرح |
| ٣١٦ | آياتنا وما على الذين يتقون | صدره للاسلام |
| ٣١٧ | من حسابهم من شيء | ٣٦٤ |
| ٣١٧ | وذو الذين اتخذوا دينهم | وهذا صراط ربك مستقيما |
| ٣١٨ | لهوا ولعبا | لهم دار السلام عند ربهم |
| ٣١٨ | قل اذعوا من دون الله | ٣٦٤ |
| ٣١٩ | وأن أقيموا الصلاة وهو الذي | ويوم نحشرهم جميعا الى قوله |
| ٣٢١ | خلق السموات والأرض بالحق | بما كانوا يكسبون |
| ٣٢١ | وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر | ٣٦٦ |
| ٣٢٢ | إلى قوله وليكون من الموقنين | يامعشر الجن والإنس الى قوله |
| ٣٢٢ | فما جن عليه الليل رأى كوكبا | وما ربك بغافل عما يعملون |
| ٣٢٦ | إلى قوله وما أنا من المشركين | ٣٦٨ |
| ٣٢٦ | وحاجبه قومه إلى قوله إن | وربك الغني ذو الرحمة الى قوله |
| ٣٢٧ | كنتم تعلمون | انه لا يفلح الظالمون |
| ٣٢٧ | الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم | ٣٦٩ |
| ٣٢٨ | بظلم | وجعلوا لله ما ذرأ من الحرت |
| ٣٢٨ | وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم | والأنعام نصيبا |
| | | ٣٧٠ |
| | | وكذلك زين لكثير من |
| | | المشركين قتل أولادهم شركاهم |
| | | ٣٧٢ |
| | | وقالوا ما في بطون هذه الأنعام |
| | | ٣٧٣ |
| | | قد خسروا الذين قتلوا أولادهم |
| | | ٣٧٤ |
| | | وهو الذي أنشأ جنات |
| | | معروشات وغير معروشات |
| | | ٣٧٥ |
| | | ومن الأنعام حمولة وفرشا |
| | | الى قوله إن الله لا يهدي القوم |
| | | الظالمين |
| | | ٣٧٧ |
| | | قل لا أجد في ما أوحي إلي |

| صفحة | صفحة | صفحة |
|--|---|---|
| ٤٢٢ | فاهبط منها | ٣٧٨ وعلى الذين هادوا حرمتنا . |
| رجال . الى قوله لا تجعلنا مع القوم الظالمين | ٤٠٢ قال انظروني إلى يوم يبعثون إلى قوله ولا تجحد اكثرهم | الى قوله ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين |
| ٤٢٤ ونادى اصحاب الاعراف رجالا . أهولاً الذين اتسمتم | شاكرين | ٣٧٩ سيقول الذين اشر كوا . الى قوله وهم يربهم يعدلون |
| ٤٢٥ ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ، الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا | ٤٠٤ قال اخرج منها مذموما مدحورا إلى قوله وقاسمها إني لكما لمن الناصحين | ٣٨١ قل تعالوا أتت ما حرم ربكم عليكم |
| ٤٢٦ ولقد جئناهم بكتاب فصلناه هل ينظرون إلا تأويله | ٤٠٦ فدلها بغير رور . إلى قوله ومنها تخرجون | ٣٨٣ ولا تقرىوا مال اليتيم . الى قوله ولعلكم تتقون |
| ٤٢٧ إن ربكم الله الذي خلق السموات والارض | ٤٠٨ يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا . إلى قوله أتقولون على الله ما لا تعلمون | ٣٨٥ ثم آتينا موسى الكتاب . الى قوله لعلكم ترحمون |
| ٤٢٨ ادعوا ربكم تضرعا وخفية . ولا تفسدوا في الارض بعد إصلاحها | ٤١٠ قل أمر ربي بالقسط . إلى قوله ويحسبون انهم مهتدون | ٣٨٦ أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا . الى قوله بما كانوا يصدفون |
| ٤٣٠ وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته . والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه | ٤١١ يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد . قل من حرم زينة الله | ٣٨٧ هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة |
| ٤٣١ لقد أرسلنا نوحا إلى قومه . الى قوله إنهم كانوا قوما عيين | ٤١٤ قل إنما حرم ربي الفواحش . ولكل أمة أجل | ٣٨٨ إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا |
| ٤٣٤ قصة نوح | ٤١٥ يا بني آدم إما يأتينكم رسل منكم . والذين كذبوا بآياتنا | ٣٨٩ من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها |
| ٤٣٥ والى عاد أخاهم هودا الى قوله وما كانوا بآياتنا مؤمنين | ٤١٥ فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا | ٣٩٠ قل إنني هادي ربي الى صراط مستقيم . الى قوله وأنا اول المسلمين |
| ٤٣٨ قصة هود | ٤١٦ قال ادخلوا في أمم قد دخلت من قبلكم . إلى قوله فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون | ٣٩٢ قل أعير الله أبني ربا . إلى قوله وإنه لغفور رحيم |
| ٤٣٩ والى ثمود أخاهم صالحا . الى قوله ولكن لا تحبون الناصحين | ٤١٧ إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها . الى قوله وكذلك نجزي الظالمين | ﴿ سورة الأعراف ﴾ |
| ٤٤١ قصة صالح | ٤١٩ والذين آمنوا وعملوا الصالحات ونزعنا ما في صدورهم من غل | ٣٩٣ اختلافها ، فضلاء ، تفسيرها |
| ٤٤٣ ولوطا إذ قال لقومه . الى قوله فانظر كيف كان عاقبة المجرمين | ٤٢١ ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار . الذين يصدون عن سبيل الله | ٣٩٤ ألمص إلى قوله قليلا ما تذكرن |
| ٤٤٥ قصة لوط مع قومه | | ٣٩٦ وكم من قرية أهلكتناها |
| ٤٤٦ والى مدين أخاهم شعيبا . الى قوله وهو خير الحاكمين | | ٣٩٧ فلنسان الذين أرسل اليهم . إلى قوله بما كانوا ياتنا يظلمون |
| ٤٤٨ قال الملا الذين استكبروا من قومه . قد افترينا على الله كذبا | | ٣٩٩ ولقد مكناكم في الأرض إلى قوله لم يكن من الساجدين |
| | | ٤٠١ قال ما منعك ألا تسجد . قال |

| صفحة | صفحة | صفحة |
|------|--|--|
| ٤٩٦ | يستضعفون | ٤٤٩ . وقال الملائكة الذين كفروا من قومه . الى قوله فكيف آسى على قوم كافرين |
| ٤٩٨ | وجاوزنا ببني اسرائيل البحر الى قوله وهو فضلكم على العالمين | ٤٥١ وما ارسلنا في قرية من نبي ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة |
| ٥٠١ | وإذ نجيناكم من آل فرعون وواعدنا موسى ثلاثين ليلة ولما جاء موسى لبيقاتنا | ٤٥١ ولوان اهل القرى آمنوا واتقوا الى قوله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون |
| ٥٠٣ | قال يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وكتبنا له في الألواح من كل شيء سألهم عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض والذين كذبوا بآياتنا | ٤٥٤ أولم يهد للذين يؤثون الأرض وان وجدنا اكثرهم فاسقين ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا الى قوله ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين |
| ٥٠٥ | واتخذ قوم موسى من بعده ولما سقط في ايديهم | ٤٥٥ ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا الى قوله ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين |
| ٥٠٧ | ولما رجع موسى إلى قومه قال ربي اغفر لي ولأخي | ٤٥٨ حديث العاص |
| ٥١٠ | إن الذين اتخذوا العجل الى قوله للذين هم لرهبهم يرهبون واختار موسى قومه سبعين رجلا واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة الذين يتبعون الرسول النبي قل يا أيها الناس إني رسول الله ومن قوم موسى امة وقطعتهم اثنتي عشرة اسباطا وإذا قيل لهم اسكنوا هذه القرية فبدل الذين ظلموا منهم وسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر | ٤٥٩ قال الملائكة من قوم فرعون الى قوله يأتوك بكل ساحر عليم |
| ٥١١ | قل يا أيها الناس إني رسول الله | ٤٦٠ وجاء السحرة فرعون الى قوله وجاءوا بسحر عظيم |
| ٥١٢ | ومن قوم موسى امة وقطعتهم اثنتي عشرة اسباطا وإذا قيل لهم اسكنوا هذه القرية فبدل الذين ظلموا منهم وسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر | ٤٦١ وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك إلى قوله رب موسى وهارون |
| ٥١٣ | قل يا أيها الناس إني رسول الله | ٤٦٣ قال فرعون آمنتم به قبل أن آذن لكم إلى قوله وتوفنا مسلمين |
| ٥١٤ | قل يا أيها الناس إني رسول الله | ٤٦٤ قال الملائكة من قوم فرعون |
| ٥١٦ | قل يا أيها الناس إني رسول الله | ٤٦٥ قال موسى لقومه قالوا أؤذينا من قبل أن تأتينا |
| ٥١٦ | قل يا أيها الناس إني رسول الله | ٤٦٥ ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه |
| ٥١٨ | قل يا أيها الناس إني رسول الله | ٤٦٧ وقالوا مها تأتينا به من آية لتسحرنا بها فأرسلنا عليهم الطوفان ولما وقع عليهم الرجز إلى قوله وكانوا عنها غافلين وأوردنا القوم الذين كانوا |
| ٥١٨ | قل يا أيها الناس إني رسول الله | ٤٦٧ وقالوا مها تأتينا به من آية لتسحرنا بها فأرسلنا عليهم الطوفان ولما وقع عليهم الرجز إلى قوله وكانوا عنها غافلين وأوردنا القوم الذين كانوا |

﴿ سورة الانفال ﴾

| | |
|-----|---|
| ٥١٦ | عدد آياتها وفضلها وتفسيرها |
| ٥١٦ | يسألونك عن الانفال |
| ٥١٨ | لما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الى قوله ومغفرة ورزق كريم |

| صفحة | صفحة | صفحة |
|---------------------------------|-----------------------------------|------------------------------------|
| ٥٢٠ | ٥٣٨ | ٥٥١ |
| كما اخرجك ربك من بيتك | والله يجعل لكم فرقانا | كذاب آل فرعون والذين |
| بالحق إلى قوله ولو كره المجرمون | واذا تتلى عليهم آياتنا إلى قوله | من قبلهم إلى قوله وكل كانوا ظالمين |
| ٥٢٦ | ٥٤٠ | ٥٥٢ |
| قصة غزاة بدر | ولكن أكثرهم لا يعلمون | إن شر الدواب عند الله الذين |
| ٥٢٣ | ٥٤١ | كفروا الذين عاهدت منهم |
| إذ تستغيثون ربكم فاستجاب | وما كان صلاتهم عند البيت | ثم ينقضون عهدهم |
| لكم إلى قوله وإن للكافرين | إلا مكاء وتصديبة | ٥٥٣ |
| عذاب النار | إن الذين كفروا ينفقون | فأما تنفقنهم في الحرب فشر |
| ٥٢٩ | ٥٤٢ | بهم وأما تخافن من قوم خيانة |
| يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم | إلى قوله أو لئن لم يكفوا يذبحوا | ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا |
| الذين كفروا زحفا إلى قوله | قل للذين كفروا إن ينتهوا | إلى قوله إنه هو السميع العليم |
| ٥٣٠ | ٥٤٣ | ٥٥٥ |
| إن الله سميع عليم | بغفر لهم ما قد سلف إلى قوله | وان يريدوا ان يخدعوك |
| ذلكم وأن الله موهن كيد | نعم المولى ونعم النصير | وألف بين قلوبهم |
| الكافرين إلى قوله وهم | واعلموا انما غنمتم من شيء | ٥٥٦ |
| لا يسمعون | فأن لله خمسه | يا أيها النبي حسبك الله إلى قوله |
| ٥٣٢ | ٥٤٥ | والله مع الصابرين |
| إن شر الدواب عند الله | إذ انتم بالعدوة الدنيا إلى قوله | ما كان لبي ان يكون له اسرى |
| ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم | والى الله ترجع الامور | إلى قوله ان الله غفور رحيم |
| ٥٣٢ | ٥٤٧ | ٥٦٠ |
| يا أيها الذين آمنوا استجبوا | يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة | يا أيها النبي قل لمن في ايديكم |
| واتقوا فتنة لا تصيبن | فأثبتوا الى قوله والله بما | من الاسرى وإن يروا |
| ٥٣٥ | ٥٥٠ | ٥٦١ |
| واذكروا إذ انتم قليل | بمعاملون محيط | خياتك فقد خانوا الله من قبل |
| ٥٣٥ | ٥٥٠ | والذين كفروا بعضهم أولياء |
| يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا | واذ يقول المنافقون للذين في | بعض الى قوله إن الله بكل |
| الله والرسول إلى قوله وان | قلوبهم مرض الى قوله وان | شيء عليم |
| الله عنده اجر عظيم | الله ليس بظلام للعبيد | |
| ٥٣٦ | | |
| يا أيها الذين آمنوا إن تنقوا | | |

وله الحمد في البدء والختام

